

رَفَع

مجلس المدینة العلمیة
أسکة النبأ الفروع
www.moswarat.com



موسوعة
العقيدة
والفروع
والمذاهب
المعاصرة

موسوعة العقيدة والأخبار
والفروع والمذاهب المعاصرة

موسوعة العقيدة

العقيدة والأخبار والفروع والمذاهب المعاصرة

تصنيف وإعداد

بمجموعة من الأكاديميين والباحثين المختصين في جامعات العالم

مراجعة وتقديم

عدد من كبار العلماء والمختصين في العالم الإسلامي

المشرف العام

صاحب السمو الأمير

عبدالله بن محمد آل سعود

أستاذ العقيدة والفروع المشارك في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض

التحقيق

الجزء الخامس (غ - م)

دار التوثيق والدراسات الإسلامية

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

هَوَسُو عَتَا

العقيدة والأمانة والفردوس والمنزلة المعاصرة

غ - م

ح سعود بن سلمان بن محمد آل سعود، ١٤٣٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل سعود، سعود بن سلمان بن محمد
موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة . / سعود
ابن سلمان بن محمد آل سعود - الرياض، ١٤٣٩ هـ.
٦مج.

ردمك ٩-٥٨٤٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٣-٥٨٥٤-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج٥)

١- العقيدة الإسلامية ٢- المذاهب - موسوعات أ- العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٩/٢٠٥٥

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٢٠٥٥
ردمك: ٩-٥٨٤٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٣-٥٨٥٤-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج٥)

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص.ب ٧٤٨٠ الرمز البريدي ١١٤٦٢

<http://IslamicCreed.net>

info@islamiccreed.net

دار التوحيد للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب. ١٠٤٦٤ الرمز البريدي ١١٤٣٣

هاتف ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ - فاكس ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤

darattawheed@yahoo.com



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة
Encyclopedia of the Creed, Religions,
Sects, and Contemporary Ideologies

موسوعة عقيدتنا

العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة

تصنيف وإعداد
مجموعة من الأكاديميين والباحثين المختصين في جامعات العالم

مراجعة وتقديم
عدد من كبار العلماء والمختصين في العالم الإسلامي

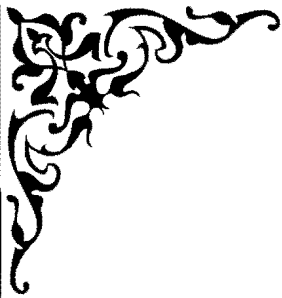
المشرف العام
صاحب السمو الأمير
د. بنعويذ بن سلمان بن محمد آل سعود
أستاذ العقيدة والمذاهب الشارحة في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض

العقيدة

الجزء الخامس (غ - م)

دار التوحيد للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



حرف الغين

سبب التسمية:

غربة الإسلام إنما هي من غربة أهله القائمين به، فهم الغرباء، وسمّوا بذلك لعدة أمور؛ منها:

- قَلَّتْهم في الناس جدًّا، فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء^(٤).

- قلة المستجيبين لهم والقابلين منهم، وكثرة المخالفين لهم والعاصين لهم^(٥).

- أنهم أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيه أكثر ممن يطيعهم.

- أنهم الذين يصلحون إذا فسد الناس.

- أنهم النزاع من القبائل.

- أنهم القابضون على الجمر لشدة

تمسكهم بدينهم.

الغرباء

يراجع مصطلح (غربة الإسلام).

غربة الإسلام

التعريف لغة:

تطلق كلمة الغربة في اللغة ويراد بها: البعد عن الشيء والتنجي والنأي عنه. يقال: غرب عن الشيء يغرب غَرْبًا؛ إذا تنجَّى^(١).

ومنه قيل للبعيد عن الوطن: غريب. قال ابن فارس: «والغربة: البعد عن الوطن، يقال: غربت الدار، ومن هذا الباب: غروب الشمس، كأنه: بعدها عن وجه الأرض، وشأؤُ مُغْرِب؛ أي: بعيد»^(٢).

التعريف شرعًا:

غربة الإسلام هي: بقاء أهل الله وأهل سنة رسوله ﷺ المتمسكين بالدين؛ على الحق، وبُعدهم عن طرائق أهل الباطل^(٣).

(العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ]، والغرباء للأجري (٢٤) [دار الخلفاء، ط ١، ١٤٠٣هـ]، وكشف الكربة في وصف أهل الغربة لابن رجب (٣٤) [دار ابن رجب، ط ١، ١٤٢٢هـ]، والاعتصام للشاطبي (١) (٢٣) [دار ابن عفا، ط ١].

(٤) مدارج السالكين (٣/١٨٦).

(٥) كشف الكربة في وصف أهل الغربة، لابن رجب

(٤٥).

(١) انظر: تهذيب اللغة (٨/١١٧) [دار صادر، ط ١].

(٢) مقاييس اللغة (٤/٤٢١) [دار الفكر، ط ١].

(٣) انظر: مدارج السالكين (٣/١٨٦) [دار الكتاب

وهم في آخر الزمان الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من السنة، وهم الذين يفرون بدينهم من الفتن^(١).

❁ الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء»^(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده: «طوبى للغرباء»، فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: «أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيه أكثر ممن يطيعهم»^(٣).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

١ - قال الأوزاعي: «... أما إنّه ما

(١) انظر: كشف الكربة في وصف أهل الغربة (٣٥)، وشرح النووي على مسلم (١٧٧/٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٥).

(٣) أخرجه أحمد (١١/٢٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والطبراني في الأوسط (١٤/٩) [دار الحرمين]، وقال الهيثمي في المجمع (٢٧٨/٧) [مكتبة القدسي]: (فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٦١٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤١٦).

فهذه الأمور تبين سبب تسميتهم بالغرباء، كما توضح غربة ما هم عليه في الدين. الحقيقة:

أنّ الناس كانوا قبل البعثة على ضلالة عامة، فلمّا بُعث النبي ﷺ ودعا إلى الإسلام لم يُستجب له في أول الأمر إلا الواحد بعد الواحد على خوف وحذر.

وكان المسلمون إذ ذاك مستضعفين يشردون كل مشرد، ويهربون بدينهم إلى البلاد النائية، كما هاجروا إلى الحبشة مرتين، ثم هاجروا إلى المدينة. وكان منهم من يُعذّب في الله ومنهم من يُقتل، فكان الداخلون في الإسلام حينئذٍ غرباء، ثم ظهر الإسلام بعد الهجرة إلى المدينة وعزّ، وصار أهله ظاهرين كل الظهور، ودخل الناس بعد ذلك في دين الله أفواجا، وكانوا على ذلك زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم أعمل الشيطان مكائده على المسلمين وألقى بأسهم بينهم، وأفشى فيهم فتنة الشبهات والشهوات، ولم تزل هاتان الفتنتان تتزايدان شيئا فشيئا حتى استحكمت مكيدة الشيطان وأطاعه أكثر الخلق، فأصبحوا متقاطعين متباغضين بعد أن كانوا إخوانا متحابين متواصلين، وأصبحوا أعداء وفرقا وأحزابا، ولم ينج من هذه الفرق كلها إلا الفرقة الواحدة الناجية.

يذهب الإسلام، ولكن يذهب أهل السنة حتى ما يبقى في البلد منهم إلا رجل واحد^(١).

٢ - قال سفيان الثوري: «استوصوا بأهل السنة فإنهم غرباء»^(٢).

٣ - قال ابن القيم: «الإسلام الحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، هو اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره، وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة، فالإسلام الحقيقي غريب جدًا، وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس»^(٣).

❁ الأقسام:

أهل الغربة قسمان:

أحدهما: من يصلح نفسه عند فساد الناس.

والثاني: من يصلح ما أفسد الناس من السنة، وهو الأعلى من القسمين، وهو أفضلهما^(٤).

❁ المسائل المتعلقة:

من المسائل المتعلقة بغربة الإسلام:

- المسألة الأولى: ذهاب الإيمان آخر الزمان:

وهذا من علامات قرب قيام الساعة

كما قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله»^(٥)، وهذا لأن الساعة إنما تقوم على شرار الخلق، وهذا حين يرسل الله الريح التي تقبض أرواح أهل الخير كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته،... فيبقى شرار الناس»^(٦). وهذا يدل على غربة ذلك الوقت قليل، كما يفهم من قوله ﷺ: «وسيعود غريبًا».

قال القاضي عياض: «وظاهر الحديث العموم، وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة، ثم انتشر وظهر، ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضًا كما بدأ»^(٧).

ولا تعارض بين هذا وبين قوله ﷺ: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك»^(٨)؛ لأن المقصود قرب قيام الساعة، وليس إلى قيامها بالفعل؛ لأنها

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٨).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٠).

(٧) إكمال المعلم (١/٤٥٦) [دار الوفاء، ط ١].

(٨) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩٢٤).

(١) كشف الكربة في وصف أهل الغربة (٣٩).

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٧١) [دار طيبة، ط ٨، ١٤٢٣هـ].

(٣) مدارج السالكين (٣/١٨٦).

(٤) كشف الكربة في وصف أهل الغربة (٣٩).

كما مرَّ لا تقوم إلا على شرار الخلق^(١).
- المسألة الثانية: عظم ثواب الغرباء:
 وعد الله تعالى عباده المؤمنين

المتمسكين بدينه ثواباً عظيماً وأجرًا كريماً، ويزيد هذا الثواب ويعظم كلما زادت مشقة هذا التمسك، واشتد الصبر

على هذا الأمر. وقد بين النبي ﷺ عظم هذا الأجر في كثير من الأحاديث، ومن ذلك قوله ﷺ: «إن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله. قال: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟ قال: أجر خمسين منكم»^(٢).

قال ابن القيم معلقاً على هذا الحديث: «وهذا الأجر العظيم إنما هو لغرته بين الناس، والتمسك بالسنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم»^(٣).

ولغربتهم كذلك وُعدوا بطوبى، كما في قوله ﷺ: «طوبى للغرباء»^(٤)؛ أي: الجنة لأولئك المسلمين الذين قَلَّوا في

أول الإسلام، وسيقلُّون في آخره، وإنما خصَّهم بصبرهم على أذية الكفار وأهل الابتداع^(٥).

فهذه بعض النصوص التي تدل على فضل الغربة وثواب الغرباء.

- المسألة الثالثة: كيفية دفع الغربة:
 إن الغربة التي يعيشها المسلم الصادق لا تجعله راضياً بالواقع الذي هو فيه، غير مهتم بمن حوله، ولا بعيداً عن الناس، منظوياً عنهم مطلقاً، بل عليه الاقتداء بالنبي ﷺ في مثل هذه الأحوال، فقد عاش ﷺ وأصحابه في بداية الإسلام غربة شديدة، كما أخبر ﷺ عن ذلك بقوله: «بدأ الإسلام غريباً»^(٦). ومع ذلك فقد كان ﷺ يدعو الناس إلى التوحيد، ويبذل الغالي والنفيس ليصل الخير إلى جميع الناس، فقد كان ﷺ يطوف على الناس ويقول: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»^(٧).

فكان ﷺ يدعو إلى توحيد الله وعبادته ولا يثنيه عن ذلك الغربة التي كان يعيشها، بل كان في ذلك صابراً رغم الأذى والابتلاء من القريب قبل البعيد،

(١) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (١/٤٠٥) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الملاحم، رقم ٤٣٤١)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٥٨) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠١٤)، وابن حبان (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣١٧٢).

(٣) مدارج السالكين (٣/١٨٩).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) انظر: التخيير لإيضاح معاني التيسير للأمير الصنعاني [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٣٣هـ].

(٦) سبق تخريجه.

(٧) أخرجه ابن خزيمة (كتاب الوضوء، رقم ١٥٩)، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٥٦٢)، والحاكم (كتاب تواريخ المتقدمين، رقم ٤٢١٩) وصححه.

- ٥ - «كشف الكربة في وصف أهل الغربة»، لابن رجب.
- ٦ - «الاعتصام»، للشاطبي.
- ٧ - «إكمال المعلم بفوائد مسلم»، للقاضي عياض.
- ٨ - «غربة الإسلام»، لحمود التوحيدي.
- ٩ - «القول المفيد»، لابن عثيمين.

❖ الغضب ❖

❖ التعريف لغة:

الغين والضاد والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على شِدَّةٍ وقُوَّةٍ^(١)، وهو ضدُّ الرضا^(٢). والغضب عند المخلوق منه المحمود ومنه المذموم^(٣).

❖ التعريف شرعاً:

صفة فعلية لله تعالى تليق بجلاله وعظمته، كما أثبت ذلك هو لنفسه، وجعله متعلقاً بوقوع موجبه كالشرك به، ومخالفة أمره ونحو ذلك.

❖ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين التعريفين من حيث إفادة عدم الرضا، إلا أن المعنى الشرعي مختص بمعنى الكمال والمدح في هذا

فهذا الأصل الذي هو الدعوة إلى التوحيد والصبر على الأذى فيه هو الذي يجب على الغريب التمسك به والدعوة إليه، وهو من أعظم ما تدفع به الغربة.

- المسألة الرابعة: مظاهر غربة الإسلام:

من مظاهر غربة الإسلام أمور؛ منها:

- ظهور الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الأكبر.

- كثرة الأئمة المضلِّين.

- اتخاذ الناس رؤوساً جهَّالاً.

- انتشار الزندقة والإلحاد.

- كثرة مظاهر الشرك الأصغر في هذه الأزمنة.

- البدع المُضلَّة في أكثر الأقطار الإسلامية، وغلبة ذلك على الأكثرين.

- فشو المنكرات، والتهاون بالفرائض كالصلاة والصيام والزكاة، والتثاقل عن أداء الحج.

- ترك الجهاد في سبيل الله

- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «الغرباء»، للآجري.
- ٢ - «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للالكائي.
- ٣ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.
- ٤ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

(١) مقاييس اللغة (٤/٤٢٨) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) القاموس المحيط (١٥٤) [مؤسسة الرسالة، ط٢].

(٣) لسان العرب (١/٦٤٨) [دار صادر].

بمجرد الإعطاء والإعزاز والرفع؛ لأن الفعل الآخر حيث تقتضي الحكمة ذلك أكمل ممن لا يفعل إلا أحد النوعين ويخل بالآخر في المحل المناسب له، ومن اعتبر هذا الباب، وجده على قانون الصواب، والله الهادي لأولي الأبواب»^(١).

الحكم:

وجوب إثبات صفة الغضب لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَالْخَمِيسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَجِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٦].

الحقيقة:

الغضب صفة فعلية لله تعالى، تليق بعظمته سبحانه، ومن المعلوم أن من كان يوصف بالرضا والغضب أكمل ممن لا يوصف بهما، أو لا يوصف إلا بأحدهما؛ فوضع الشيء في موضعه هو محل التمدح والكمال.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥]: «أغضبونا»^(٣).

وروي مثل ذلك عن مجاهد، وقاتدة، والسدي، وعبد الرحمن بن زيد^(٤).

قال أبو العباس ابن تيمية: «ولهذا وُصف الرب بالعلم دون الجهل، والقدرة دون العجز، والحياة دون الموت، والسمع والبصر والكلام دون الصم والعمي والبكم، والضحك دون البكاء، والفرح دون الحزن. وأما الغضب مع الرضا، والبغض مع الحب، فهو أكمل ممن لا يكون منه إلا الرضا والحب دون البغض والغضب للأمر التي تستحق أن تذم وتبغض، ولهذا كان اتصافه بأنه يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعز ويذل، أكمل من اتصافه

(١) الرسالة الأكملية، مجموع الفتاوى (٩٢/٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣١٩٤)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥١).

(٣) تفسير الطبري (٦٢٢/٢١) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٤) المصدر السابق (٦٢٢/٢١).

وقال الخلال: «وذهب أحمد بن حنبل رضي الله عنه إلى أن الله تعالى يغضب ويرضى، وأن له غضباً ورضاً، وقرأ أحمد قوله عنه: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [٨١] طه، فأضاف الغضب إلى نفسه»^(١).

وقال الطحاوي في عقيدته: «والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى»^(٢).

وقال أبو العباس ابن تيمية: «ووصف نفسه بالغضب فقال: ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ [الفتح: ٦]، ووصف عبده بالغضب في قوله: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ [الأعراف: ١٥٠]، وليس الغضب كالغضب»^(٣).

وقال ابن أبي العز: «ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضا، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى»^(٤).

وقال محمد الأمين الشنقيطي: «واعلم

(١) عقيدة الإمام أحمد للخلال (١٠٩) [دار قتيبة، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٢) شرح الطحاوية (٦٨٤/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٥].

(٣) التدمرية (٢٩) [ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٦٨٥/٢).

أن الغضب صفة وصف الله بها نفسه إذا انتهكت حرماته، تظهر آثارها في المغضوب عليهم، نعوذ بالله من غضبه رضي الله عنه، ونحن معاشر المسلمين نمرها كما جاءت، فنصدق ربنا في كل ما وصف به نفسه، ولا نكذب بشيء من ذلك، مع تنزيهنا التام له رضي الله عنه عن مشابهة المخلوقين رضي الله عنهم عن ذلك علواً كبيراً»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- ورود الأسف في النصوص:

يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف]، ومعنى قوله: ﴿ءَاسَفُونَا﴾؛ أي: أسخطونا، كما ورد عن ابن عباس^(٦)، وعن الضحاك وغيره: أغضبونا^(٧).

فالأسف بمعنى الغضب^(٨).

الآثار:

١ - الخوف من الله تعالى، والحذر من عاقبة غضبه سبحانه، فيطاع أمره، ويجتنب ما نهى عنه.

(٥) أضواء البيان (١٤٧/٤) [دار الفكر، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٢٢/٢١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وسنده حسن.

(٧) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٦٢١/٢١)، وتفسير ابن كثير (٢٣٢/٧)، وتفسير السعدي (٧٦٧).

(٨) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٤٢/٧، ٦٦٢)، والعقيدة الواسطية مع شرح ابن عثيمين (٢٢٤)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣٠/٥).

غليان دم القلب، والله تعالى منزّه عن مثل هذا.

يقول فخر الدين الرازي: «الغضب عبارة عن التغير الذي يعرض للإنسان في مزاجه عند غليان دم قلبه؛ بسبب مشاهدة أمر مكروه وذلك محال في حق الله تعالى، فهو محمول على إرادته لمن عصاه الإضرار من جهة اللعن والأمر بذلك»^(١).

والرد عليهم:

الرد بنفي هذا اللازم الذي ذكره في إثبات الصفة، فأهل السُنَّة يثبتونها لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجه، ولا مماثلة فيه لشيء من صفات المخلوقين.

وما هذه الإلزامات التي يوردونها على الإثبات إلا تدليس وتلبيس لرد الحق؛ فإنهم أخذوا في مسمى الصفة خصائص المخلوق ثم نفوها جملة عن الخالق، وهذا في غاية التلبيس والإضلال، فإن الخاصية التي أخذوها في الصفة لم تثبت لها لذاتها، وإنما تثبت لها بإضافتها إلى المخلوق، ومعلوم أن نفي خصائص صفات المخلوقين عن الخالق لا يقتضي نفي أصل الصفة عنه سبحانه، ولا إثبات أصل الصفة له يقتضي إثبات خصائص

٢ - الاعتبار بحال المغضوب عليهم، والاستعاذة من حالهم، والحذر من سلوك سبيلهم.

٣ - أن يكون غضب المؤمن موافقاً لما يُغضب الله تعالى، ويجتنب الغضب الذي يبغضه الله تعالى.

٤ - ظهور سُنَّة الله تعالى في أعدائه المكذبين لرسله، المعادين لأوليائه، بنزول العقوبة بهم، وجعلهم عبرة لمن بعدهم، كما قصَّ الله تعالى عن كثير منهم.

٥ - الفرقان بين الحق والباطل؛ بظهور سبيل الله وعلوِّها، ودحر سبيل الشيطان وزهوِّها؛ فلا تستوي عاقبة من رضي عنه الله ﷻ ومن غضب عليه، فمن عقل أدرك الفرقان.

٦ - ظهور آثار الذنوب والمعاصي في الأرض من المصائب والابتلاءات، فما نزل بلاء إلا بذنب، وما ارتفع إلا بتوبة، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى].

مذهب المخالفين:

خالف في هذه الصفة عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فنفوها عن الله تعالى؛ بحجة استلزامها للتشبيه وإضافة النقص إلى الله تعالى؛ إذ إن الغضب - كما يقولون -

(١) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) (٣/١٦٨) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ].

- ٧ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنة»، لعلوي عبد القادر السقاف.
- ٨ - «عقيدة الإمام أحمد»، لأبي بكر الخلال.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

❖ الغفران ❖

يراجع مصطلح (المغفرة).

❖ الغفَّار ❖

❖ التعريف لغةً:

الغفَّار من مادة (غ - ف - ر)، والغين والفاء والراء أصل يدل على الستر غالباً، وأصل العَفْرِ: التغطية والستر، مع الوقاية من وقوع الشر، ومنه المغفر الذي يوضع على الرأس فيه ستر للرأس مع وقايته من الشر^(٢).

❖ التعريف شرعاً:

الغفَّار سبحانه: هو الذي يستر ذنوب عباده بفضله، ويقيهم شرها بعدم محاسبتهم ومعاقبتهم عليها^(٣).

المخلوق له، كما أن ما نفي عن صفات الرب تعالى من النقائص والتشبيه لا يقتضي نفيه عن صفة المخلوق، ولا ما ثبت لها من الوجوب والقَدَم والكمال يقتضي ثبوته للمخلوق لإطلاق الصفة على الخالق والمخلوق، فالصفة الثابتة لله مضافة إليه لا يتوهم فيها شيء من خصائص المخلوقين لا في لفظها ولا في ثبوت معناها، وكل من نفى عن الرب تعالى صفة من صفاته لهذا الخيال الباطل لزمه نفي جميع صفات كماله؛ لأنه لا يعقل منها إلا صفة المخلوق، بل ويلزمه نفي ذاته؛ لأنه لا يعقل من الذوات إلا الذوات المخلوقة، ومعلوم أن الرب ﷻ لا يشبهه شيء منها^(١).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «أضواء البيان»، للشنقيطي.
- ٢ - «التدمرية»، لابن تيمية.
- ٣ - «تفسير الطبري».
- ٤ - «جلاء الأفهام»، لابن القيم.
- ٥ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٦ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسُّنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.

(١) انظر: جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام لابن القيم (٨٥) [عالم الكتب، بيروت]، والرسالة الأكملية لابن تيمية، مجموع الفتاوى (١١٩/٦).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١١٢/٨) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٣٨٥/٤) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٢٥/٥) [دار صادر، ط١، ١٤١٢هـ]، والقاموس المحيط (١٨٤/٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ].

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢٧٦/٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ].

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى الشرعي يوافق المعنى اللغوي، إلا أن المعنى اللغوي عام شامل لكل ما يستر ويغطي، والمعنى الشرعي مخصّص للمعنى اللغوي، فهو خاص بستر ذنوب العباد، مع التجاوز عنهم.

الأسماء الأخرى:

الغفور.

الحكم:

وجوب الإيمان بهذا الاسم الجليل من أسماء الله الحسنى، مع ما يدل عليه من معنى، وعدم تأويله، أو تعطيله.

الحقيقة:

اسم الله الغفار متضمن لصفة المغفرة، ومعناها وقاية شرّ الذنب بحيث لا يعاقب عليه، فمن غفر ذنبه لم يعاقب. وأمّا مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن^(١).

الأهمية:

معرفة هذا الاسم الجليل والإيمان به له أهمية بالغة وعظيمة في حياة العبد ومسيره إلى الله، وله تأثير في سلوكه وعبوديته، فهو يجعل العبد يتوب إلى الله وينيب إليه مهما كثرت ذنوبه وتكررت، فلا ييأس من رحمة الله، فإنه لن يعدم خيراً من ربّ غفار كثير المغفرة، وأهل

(١) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢٧٦/٥).

لها، فلا يجعل للشيطان عليه سبيلاً.

وعلمه بهذا الاسم وباسم الغفور والعفو والتوّاب «باب عظيم لنيل عالي المقامات، ولا سيّما مع مجاهدة النفس على تحقيق مقتضياتها من لزوم الاستغفار، وطلب العفو، ودوام التوبة، ورجاء المغفرة، والبعد عن القنوط وتعاطم غفران الذنوب، فهو سبحانه عفوٌّ غفور، لا يتعاطمه ذنب أن يغفره مهما بلغ الذنب وعظم الجرم»^(٢).

الأدلة:

ورد اسم الله (الغفار) في القرآن الكريم في مواطن عدة؛ منها في قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾^(٦٦) [ص]، وقوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٨٢) [طه].

ومن السنّة حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله إذا تضرّع - أي تقلّب - من الليل قال: «لا إله إلا الله الواحد القهار ربّ السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار»^(٣).

(٢) فقه الأسماء الحسنى للبيدر (١٤٥) [مطابع الحمصي، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (كتاب النعوت، رقم ٧٦٤١)، وابن حبان (كتاب الزينة والتطيب، رقم ٥٥٣٠)، والحاكم (كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسيح والذكر، رقم ١٩٨٠) وصححه، وقال المناوي في فيض القدير (١٤٤/٥): «قال =

أقوال أهل العلم:

المسائل المتعلقة:

قال الطبري رحمته الله: «وقوله: (العزیز الغفّار) يقول: العزیز في نعمته من أهل الكفر به، المدّعين معه إلهاً غيره، الغفّار لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم من كفره ومعاصيه، فأتاب إلى الإيمان به، والطاعة له بالانتهاى إلى أمره ونهيه»^(١).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «وتفسير اسم الله الغفّار بأنّه السّتار هذا تقصيرٌ في معنى الغفر؛ فإنّ المغفرة معناها وقاية شرّ الذّنب بحيث لا يعاقب على الذّنب فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه. وأمّا مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن، ومن عوقب على الذّنب باطنًا أو ظاهرًا فلم يغفر له، وإنّما يكون غفران الذّنب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقّة بالذّنب»^(٢).

وقال السعدي رحمته الله: «(الغفّار) لجميع الذنوب، صغيرها، وكبيرها، لمن تاب إليه وأقلع منها، فهذا الذي يحب ويستحق أن يعبد، دون من لا يخلق ولا يرزق، ولا يضر ولا ينفع، ولا يملك من الأمر شيئًا، وليس له قوة الاقتدار، ولا بيده مغفرة الذنوب والأوزار»^(٣).

= الحافظ العراقي في أماليه: صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٨/٥).
(١) تفسير الطبري (٢١/٢٣٥) مؤسسة الرسالة، ط ١.
(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/٢٧٦).
(٣) تفسير السعدي (٧١٦) مؤسسة الرسالة، ط ١.

- المسألة الأولى: من أسماء الله سبحانه الثابتة (الغفور): قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ].

- المسألة الثانية: لا يجوز تسمي العباد بهذا الاسم فهو مختص بالله تعالى.
- المسألة الثالثة: أن الله سبحانه مع أنه غفار لكنه لا يغفر الشرك إلا بالتوبة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] في موضعين من القرآن، وما دون الشرك فهو مع التوبة مغفور، وبدون التوبة معلق بالمشيئة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، فهذا في حق التائبين، ولهذا عمّم وأطلق وحتّم أنه يغفر الذنوب جميعًا، وقال في تلك الآية: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فخصّ ما دون الشرك وعلّقه بالمشيئة، فإذا كان الشرك لا يغفر إلا بتوبة؛ وأمّا ما دونه فيغفره الله للتائب؛ وقد يغفره بدون التوبة لمن يشاء^(٤)، وهذا بخلاف المعتزلة والخوارج القائلين بالعذاب الدائم،

(٤) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/٢٧٥).

الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد مرة كلما تكررت التوبة من الذنب تكررت المغفرة^(٤).

❁ الآثار:

١ - توحيد الله في اسمه الغفار يقتضي كثرة الاستغفار والتوبة إلى الله مهما بلغت كمية الذنوب وكثرتها وعظمتها، فالغفار سبحانه كثير المغفرة، روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فيما يحكي عن ربه ﷻ قال: أذنب عبد ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال: تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عمل ما شئت فقد غفرت لك»^(٥).

٢ - لاسم الله (الغفار) أثره العظيم في محبته وعدم اليأس من رحمته ﷻ؛ فالله لا يعذب مستغفرًا، والله واسع المغفرة ويغفر لكل من أتاه تائبًا مهما

والبقاء المخلد في النار لمن مات ولم يتوب من أصحاب الكبائر الموحدين، والدليل لمذهب أهل الحق الآيات والأحاديث الكثيرة الدالة على أن صاحب الكبيرة إنما يغفر الله له أو يعذبه مدة ثم يخرج من النار فلا يخلده فيها.

- المسألة الرابعة: أن هذا الاسم يتضمن صفة المغفرة لله تعالى:

وهي صفة فعلية لله تعالى، دل عليها الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ [النجم: ٣٢].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ولمّا كان قد ثبت بالقرآن أنه غفّار للتائبين رحيم بالمؤمنين علم أنه موصوف بالمغفرة والرحمة»^(٢).

❁ الضرووق:

الفرق بين الغفور والغفار:

الغفور: مبالغة من غافر، ومعناه الكثير الستر على عباده^(٣)، والغفار: هو

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة، رقم ٢٦٨٧).

(٢) منهاج السنة (٣/١٠١) [جامعة الإمام، ط١].

(٣) انظر: شرح النونية لهراس (٢/٤٨١).

(٤) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٥).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٨).

كان ذنبه حتى الشرك كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه].

٣ - حظ العبد من هذا الاسم أن يستر عن غيره ما يحب أن يُستر منه، فمن ستر مسلماً ستر الله عليه، فالجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن].

الرد عليهم:

هذا التفسير مجانب للصواب ولما عليه السلف، وتفسيرهم المغفرة بالإرادة يلزم منه ما فرّوا منه من التشبيه، وإلا فإن أثبتوا إرادة للخالق لا تشبه إرادة المخلوق، فليثبتوا مغفرة للخالق لا تشبه مغفرة المخلوق، فالباب واحد، والقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر. ثم إن الاسم من أسماء الله تعالى له دلالات؛ فيدل على ذات الله وعلى الصفة بالمطابقة، ويدل على الصفة وحدها بالتضمن، وعلى صفة أخرى باللزوم، فالغفار: يدل على ذات الله ﷻ وعلى صفة المغفرة، بالمطابقة، وعلى صفة الرحمة والقدرة والعلم باللزوم.

٤ - أن يعلم العبد أن اتصاف الله بكونه غفّاراً للذنوب هو محض فضله وكرمه ورحمته بهم، فهو غني عنهم، لا تنفعه طاعاتهم، ولا تضره معاصيهم وشركهم، كما أنه لا يغفر لهم خوفاً منهم بل هو عزيزٌ قويٌّ قهارٌ، لذلك قرن اسمه الغفار بالعزيز، فمع عزته وقهره إلا أنه غفور رحيم^(١).

مذهب المخالفين:

خالف المعتزلة والأشاعرة والماتريدية أهل السنة والجماعة في هذا الاسم الجليل، من حيث تفسيرهم له بمعنى غير صحيح ودلالته على الصفة؛ فراراً منهم من إثبات صفة المغفرة لله على وجهها الحقيقي، خوفاً من التشبيه، ففسر هؤلاء (الغفار) بأنه المريد لإزالة العقوبة عن

المصادر والمراجع:

١ - «أسماء الله الحسنى وصفاته العليا من كتب ابن القيم»، لعماد زكي البارودي.

(٢) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/٣٤٩)، والمواقف للإيجي (٣/٣٠٧، ٣١٧) [دار الجيل، ط ١، ١٩٩٧م]، والكشاف للزمخشري (٤/١١٥)، والماتريدية للحربي (٢٢٤) [دار الصميعي، ط ٢، ١٤٢١هـ].

(١) انظر النهج الأسمى (١/١٧٩).

٢ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، قهراً، والغلاب: الكثير الغلبة^(٢). للبيهقي.

٣ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.

٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٥ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للتيمي.

٦ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٧ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

٨ - «فقه الأسماء الحسنى»،

لعبد الرزاق البدر.

٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التيمي.

١٠ - «النهج الأسمى في شرح

الأسماء الحسنى» (ج ١)، للنجدي.

الغفور

يراجع مصطلح (المغفرة).

الغلبة

التعريف لغة:

الغين واللام والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على قوَّةٍ وقهرٍ وشدَّةٍ. من ذلك: غَلَبَ الرَّجُلُ غَلْبًا وَغَلْبًا وَغَلْبَةً^(١).

وتغلب على بلد كذا: استولى عليه

التعريف شرعاً:

الغلبة صفة فعلية لله تعالى؛ فلا رادَّ لأمره، ولا معقَّب لحكمه، ولا هازم لجنده؛ وهو القوي العزيز.

قال الحلبي في معنى الغالب: وهو البالغ مراده من خلقه، أحبوا أو كرهوا^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، وهما في حق الله تعالى على غاية الكمال والقدرة؛ فغلبته تعالى لا يقاومها شيء، ولا يعتربها أي معنى من معاني الضعف.

الحكم:

وجوب إثبات الغلبة صفة لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) [يوسف]. وقال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) الصحاح (٢/٢١٤) [دار العلم للملايين، ٤].

(٣) نقلاً عن الأسماء والصفات للبيهقي (١/١١٤) [مكتبة

السوادي، ١].

(١) مقاييس اللغة (٤/٣٨٨) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

كان يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعزَّ جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال البغوي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾: «إن الله غالب على أمره يفعل ما يشاء، لا يغلبه شيء ولا يردُّ حكمه راد»^(٢).

وقال ابن كثير: «﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾؛ أي: إذا أراد شيئاً فلا يرد ولا يمانع ولا يخالف، بل هو الغالب لما سواه»^(٣).

وقال الشوكاني: «﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١]؛ أي: على أمر نفسه، لا يمتنع منه شيء، ولا يغالبه عليه غيره من مخلوقاته»^(٤).

❁ الآثار:

١ - التعبّد لله تعالى بالاستنصار به؛ فهو الناصر الذي لا يغلب جنده.

٢ - الحذر من أسباب خذلان الله تعالى للعبد؛ فمن يخذله الله تعالى فلا ناصر له.

٣ - اليقين بوعد الله تعالى الصادق

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤١١٤)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٢٤).

(٢) تفسير البغوي (٢٦٦/٤) [دار طيبة، ط ٤].

(٣) تفسير ابن كثير (٣٧٨/٤) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٤) فتح القدير (١٤/٣) [دار الفكر، ١٤٠٣هـ].

❁ الغلو لغة: هو مجاوزة الحدّ وتعديّه، يقال: غلا غلاً فهو غالٍ، وغلت القدر تغلي غلياناً.

قال ابن فارس: «الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح يدل على

بأن العاقبة الحسنة لمن أطاعه واتقاه.

٤ - ظهور أمر الله تعالى، ونفوذ مشيئته.

٥ - ثبات سنن الله ﷻ الكونية، فلا تتبدل ولا تتحول.

٦ - نصر الله تعالى ﷻ لرسوله وأوليائه، وجعل العاقبة لهم.

٧ - ما يقع على أعداء الله تعالى من العذاب، وما ينالهم من الهزيمة.

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي عبد القادر السقاف.
- ٣ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.
- ٤ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

❁ الغلو

❁ التعريف لغة:

ارتفاع ومجاوزه قدر»^(١) .

ويطلق على السُّعر إذا ارتفع: غلاء، وإذا كان في القَدْر والمنزلة: غُلُوٌّ، وفي السَّهم: غَلُوٌّ، وأفعالهما جميعًا: غَلَا يَغْلُو.

قال ابن الأثير: «أصل الغَلَاء: الارتفاع ومجاوزه القَدْر في كل شيء، يقال: غَالَيْتَ الشَّيْءَ وبالشَّيءِ، وغلوت فيه أغلُو إذا جاوزت فيه الحدَّ»^(٢) .

ويقال: غلا في الدين غلواً: تشدَّد وتصلَّب حتى جاوز الحد.

التعريف شرعاً:

الغلو: هو مجاوزة الحدِّ المعتبر شرعاً في أمر من أمور الدين.

وقد تعددت أقوال العلماء في تعريف الغلو في الشرع على أقوال متقاربة، فمن ذلك:

١ - قال ابن تيمية: «الغلو: مجاوزة الحدِّ بأن يزداد في الشيء، في حمده، أو ذمِّه، على ما يستحق ونحو ذلك»^(٣) .

٢ - وقال ابن حجر في تعريفه: «هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحدِّ» .

٣ - وقال سليمان بن عبد الله:

(١) مقاييس اللغة (٣/٤٤٧) [دار الجيل، ط١].
 (٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٨٢).
 (٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٨٩) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٤هـ].
 (٤) تيسير العزيز الحميد (٣٠٥) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].
 (٥) انظر: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة (٦٢).

تجاه من هو أمثل منه تمسكاً واحتراماً لأحكام دينه .

وبالنظر إلى تاريخ الغلو فهو قديم مرتبط بأسبابه الكثيرة، والتي يجمعها الإعراض عن دين الله وما جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، فإنه بقدر ما ابتعد المرء عن منهاج رسل الله بقدر ما وقع في الإفراط والتفريط، تناسباً طردياً، وما غلو الفرق الإسلامية في أبواب العقيدة أو الشريعة أو السلوك إلا نموذج واقعي لهذه النتيجة ومحققة لها، مما يحتم على المسلمين جماعات وأفراداً التمسك بهديه ﷺ والاعتصام بما جاء به، والتحاكم إليه والدعوة إليه، فبذلك وحده تحصل لهم الهداية والعصمة، ويكونون شهداء على الناس^(١).

الأدلة:

تعددت النصوص الواردة في التحذير من الغلو، والنهي عنه، وذم الغلاة في دين الله تعالى، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَّاهَلُ الْكُتُبَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّاهَلُ الْكُتُبَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ عِدَّ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا

تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَفَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والغلو في الدين وإن كان محرماً إلا أنه ليس على درجة واحدة، فالغلو الاعتقادي ليس كالغلو العملي، فكثير من مسائل الغلو الاعتقادي قد تدخل في الكفر الأكبر، كغلو الجهمية بإنكار الأسماء والصفات، والغلو في الأئمة والأولياء بصرف شيء من خصائص الربوبية أو الإلهية لهم، ومن مسائل الغلو الاعتقادي ما لا يصل إلى درجة الكفر الأكبر، وإنما يدخل في الكفر الأصغر أو الابتداع المحرم، وأما مسائل الغلو العملي فالغالب أنها تدخل في التحريم، وقد يكون منها ما يتعدى ذلك إلى الكفر بحسب ما يتعلق بها من اعتقاد ونحو ذلك.

الحقيقة:

الحقيقة الشرعية للغلو هي مجاوزة الاعتدال والوسطية الشرعية في الاعتقاد والقول والفعل، والغالب الأعم تناول الغلو لذوات المعظمين، وللمقالات العقدية.

ولا تلازم بين الغلو والتطرف، فإن الغلو في الواقع أخص من التطرف.

وهنا تنبيه؛ وهو أنه ربما يربط الغلو بالتمسك بالشريعة، وهي نظرة قاصرة يتبناها المقصّر والمتهاون في شعائر دينه

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (٧٤/٢٦٦ - ٢٦٧).

كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ في الشيء، المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعينهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم^(٣).

وقال ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وقوله: «إياكم والغلو في الدين» عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقادات والأعمال والنصاري أكثر غلوًا من غيرهم جاء الخطاب موجهاً لهم، والمراد من ذكر ذلك موعظة هذه الأمة لتجتنب الأسباب التي أوجبت غضب الله على الأمم السابقة.

ومن ذلك قوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»^(١).

والنهي في هذا الحديث وإن كان سببه خاصًا - وهو الغلو في رمي الجمار - فهو نهى عن كل غلو.

وقوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «هلك المتطعون - قالها ثلاثًا»^(٢).

وهذا صريح في ذم الغلو، حيث أخبر النبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بهلاكهم، لمجاوزتهم للحد الذي حده الله وأمر به.

❁ أقوال أهل العلم:

قال الخطابي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «المتنع المتعمق

- وقال ابن حجر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب»^(٦).

(٣) معالم السنن (٤/٣٠٠) [المطبعة العلمية، ط ١].

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٨٩).

(٥) إغاثة اللفهان (١/١٣٢) [دار المعرفة، ط ٢].

(٦) فتح الباري (١/٩٤) [دار المعرفة، ط ١٣٧٩هـ].

(١) أخرجه النسائي (كتاب مناسك الحج، رقم ٣٠٥٧)،

وابن ماجه (كتاب المناسك، رقم ٣٠٢٩)، وأحمد

(٣/٣٥٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن خزيمة

(كتاب المناسك، رقم ٢٨٦٧)، وصححه شيخ

الإسلام في الاقتضاء (١/٣٢٨) [دار عالم الكتب،

ط ٧]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٧٠).

❁ الأقسام:

٤ - الإعراض عن منهج سلف الأمة،

والطعن فيهم، وفي فهمهم للنصوص.

٥ - الأخذ بالمناهج البدعية

المنحرفة، من علم الكلام والفلسفة.

٦ - الغرور بالمتبوعين والقادة وبما

لديهم من شذوذ ومخالفة^(٢).

- المسألة الثانية: صور الغلو قديماً

وحديثاً:

للغلو في حياة الأمم صور متعددة،

سواء في ذلك ما كان قبل الإسلام، أو

بعد الإسلام مما وُجد عند بعض الفرق

المنحرفة، فمن أمثلة ذلك ما يلي:

أ - غلو أهل الكتاب من اليهود

والنصارى، حيث زعم اليهود أن عزيزاً

ابن الله، وزعم النصارى أن عيسى عليه السلام

ابن الله، وعبادتهم له من دون الله، وقد

وصف الله النصارى بالغلو وحذر من

التشبه بهم في ذلك^(٣).

ب - الغلو عند الفرق المنحرفة في

تاريخ المسلمين:

تعددت أنواع الغلو عند الفرق

المنتسبة إلى الإسلام، ومن أمثلة ذلك:

(٢) انظر: مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة

العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة

والإرشاد (٧٤/٢٥٣ - ٢٦٦)، ومشكلة الغلو في

الدين في العصر الحاضر لعبد الرحمن اللويحق (٧) -

٤٣٠ (مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٠هـ).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٩/٤١٧) [مكتبة ابن تيمية،

ط ٢].

ينقسم الغلو بحسب ما يتعلق به من

أفعال العباد إلى نوعين:

النوع الأول: الغلو الاعتقادي، وهو

مجاوزه الحد فيما يتعلق بأبواب

الاعتقاد، كغلو الخوارج في صاحب

الكبيرة، والغلو في الأئمة وأدعاء

العصمة لهم، ونحو ذلك.

النوع الثاني: الغلو العملي، وهو

مجاوزه الحد فيما يتعلق بأبواب العبادات

والعمليات، سواء كان ذلك باللسان أم

الجوارح، كمن يصوم الدهر، أو يترك

الزواج، ونحو ذلك من الأعمال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقوله:

«إياكم والغلو في الدين» عام في جميع

أنواع الغلو، في الاعتقادات والأعمال

والنصارى أكثر غلوًا في الاعتقادات

والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم

نهى الله عن الغلو في القرآن^(١).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: أسباب الغلو:

١ - الجهل بدين الله تعالى، وترك

سؤال العلماء الربانيين.

٢ - مقابلة الجفاء والتفريط الواقع من

بعض الفرق والجماعات الأخرى.

٣ - سوء فهم النصوص، واتباع

المتشابه وترك المحكم.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٨٩).

١ - القول بتكفير من لم يكفر الكفار
- بزعمهم - من العلماء وغيرهم .
- ترك صلاة الجمعة والجماعة في
المساجد؛ لكفر أئمتها عندهم .
إلى غير ذلك من عقائدهم المنحرفة
وأقوالهم الغالية^(٣) .

❁ الفروق:

الفرق بين الغلو والتطرف:

لا تلازم بين الغلو والتطرف، فإن
الغلو في الواقع أخص من التطرف في
الزيادة والنقصان، والتطرف انحياز إلى
طرفي الأمر، فيشمل الغلو وغيره، فبين
الغلو والتطرف عموم وخصوص، فكل
غلو تطرف، وليس كل تطرف غلوًا^(٤) .

❁ الآثار:

١ - الانحراف عن المعتقد الصحيح
إلى بعض المعتقدات المبتدعة، والتي
أدت ببعض الفرق إلى الكفر، والخروج
من ملة الإسلام .
٢ - رفع بعض البشر فوق منزلتهم،
وصرف شيء من العبادة لهم، كما وقع
من الرافضة مع أئمتهم، وكما يقع من
بعض الصوفية مع جناب النبي ﷺ،

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (١/ ٣٣٢ - ٣٣٩)، والغلو في الدين في حياة المسلمين
المعاصرة (١٩٣ - ٣٣٠) .

(٤) انظر: مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة
العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة
والإرشاد (٧٤/٢٦٦) .

١ - غلو فرقة الخوارج في تكفير
صاحب الكبيرة، والقول بخروجه من
الإسلام^(١) .

٢ - غلو فرقة الرافضة في أئمتهم،
حيث بلغ بهم الغلو فيهم إلى وصفهم
بصفات الربوبية، من علم الغيب،
والتصرف في الكون، والتحليل
والتحريم، وغير ذلك من أنواع الغلو،
بل بلغ بهم الأمر إلى قولهم بحلول
الجزء الإلهي فيهم، وعبادتهم من دون الله
تعالى^(٢) .

والأمثلة على صور غلو الفرق
الإسلامية كثيرة ومتنوعة، وقد ذكر ذلك
أصحاب كتب المقالات، كالأشعري
وابن حزم وغيرهما .

ج - الغلو لدى بعض الجماعات
المعاصرة:

امتد الغلو إلى بعض الجماعات
المعاصرة، حيث ظهر عندهم الغلو في
بعض المعتقدات، ومن أشهر تلك
الجماعات الغالية، جماعة تُعرف بجماعة
المسلمين، واشتهرت بجماعة التكفير
والهجرة، ومن أبرز معتقداتهم الغالية:

- القول بتكفير صاحب الكبيرة إذا
أصرَّ على فعلها، ولم يتب .

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١١٥) [مكتبة
الرياض الحديثة] .

(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية للفقاري (٢/ ٥٢٠)
[ط١، ١٤١٤هـ] .

- حيث نسبوا إليه في مدائحهم الخلق والرزق، وغير ذلك من صفات الرب تعالى.
- ٣ - تعطيل الرب ﷻ عن أسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله ﷺ في سُنَّته.
- ٤ - استحلال دماء المسلمين وأموالهم، بشبهات منحرفة أو وقعت أتباعها في الغلو، كما فعل الخوارج وغيرهم.
- ٥ - الإفساد في الأرض وترويع الأمنيين في بلاد المسلمين، كما حدث من القرامطة في بعض الأزمان المتقدمة، وكما يحدث اليوم من بعض الفرق الغالية في بعض بلدان المسلمين.
- ٥ - الإفساد في الأرض وترويع الأمنيين في بلاد المسلمين، كما حدث من القرامطة في بعض الأزمان المتقدمة، وكما يحدث اليوم من بعض الفرق الغالية في بعض بلدان المسلمين.
- ٥ - الإفساد في الأرض وترويع الأمنيين في بلاد المسلمين، كما حدث من القرامطة في بعض الأزمان المتقدمة، وكما يحدث اليوم من بعض الفرق الغالية في بعض بلدان المسلمين.
- ٥ - الإفساد في الأرض وترويع الأمنيين في بلاد المسلمين، كما حدث من القرامطة في بعض الأزمان المتقدمة، وكما يحدث اليوم من بعض الفرق الغالية في بعض بلدان المسلمين.

❖ الغني ❖

يراجع مصطلح (الغني).

❖ الغني ❖

❖ التعريف لغةً:

قال ابن فارس رحمته الله: «الغين والنون والحرف المعتل أصلان صحيحان؛ أحدهما يدلُّ على الكفاية، والآخر: صوت. فالأوّل الغني في المال. يقال: غَنِيَ يَغْنَى غِنًى. والغِنَاءُ بفتح الغين مع المدّ: الكفاية. يقال: لا يُغْنِي فلانٌ غِنَاءَ فلانٍ؛ أي: لا يكفي كفايته. وغَنِيَ عن كذا فهو غانٍ. وغَنِيَ القومُ في دارهم: أقاموا، كأنَّهم استغنوا بها. ومغانيمهم: منازلهم. والغانية: المرأة، قال قومٌ: معناه أنها استغنت بمنزل أبيها، وقال آخرون: استغنت ببعْلِها. ويقال: استغنت بجمالها عن بُسِّ الحلي»^(١).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام القرآن الكريم»، للقرطبي.
- ٢ - «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية.
- ٣ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٤ - «الدين الخالص»، لمحمد صديق حسن.
- ٥ - «سنن النسائي بشرح السيوطي».
- ٦ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.
- ٧ - «الغلو في الدين في حياة

(١) مقاييس اللغة (٤/٣٩٧) [دار الجيل، ط ١،

التعريف شرعاً:

الغني: هو الغني تعالى بذاته، أفعاله، وصفاته، وسلطانه، فلا يحتاج إلى أحد، وكل موجود في هذا الوجود محتاج إليه، في إيجاده، وإعداده، وإمداده، وفي أمور دينه ودنياه^(١).

قال الشيخ السعدي رحمته الله: «الغني، المغني فهو الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه والاعتبارات لكماله، وكمال صفاته، فلا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً؛ لأن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا خالقاً، قادراً، رازقاً، محسناً، فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، فهو الغني، الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة. المغني جميع خلقه غني عاماً، والمغني لخواص خلقه بما أفاض على قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية»^(٢).

فالغني هو المستغني عن الخلق بذاته

(١١٧ - ١٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، والمحكم (١٧/٦)، ولسان العرب (١٣٥/١٥) [دار صادر، ط ١، ١٤١٢هـ]، والقاموس المحيط (٤/٤٢١) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(١) انظر: طريق الهجرتين (٩، ١٠) [مكتبة المتنبّي]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (١٠٤) [دار الإمام الذهبي، ط ٢٦].

(٢) تفسير السعدي (١٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٤].

وصفاته وسلطانه، والخلق جميعاً فقراء إلى إنعامه وإحسانه.

الحكم:

وجوب الإيمان بهذا الاسم الجليل من أسماء الله الحسنى، مع ما يدل عليه من معنى، وصفة، وعدم تأويله، أو تعطيل معناه^(٣).

الحقيقة:

الله تعالى له الغنى التام المطلق من كل الوجوه والاعتبارات؛ لكماله كمال صفاته وأفعاله؛ وذلك لأن غناه وصف لازم له، لا ينفك عنه؛ لأنه مقتضى ذاته، وما بالذات لا يمكن أن يزول، فيمتنع إلا أن يكون غنياً، كما لا يكون إلا خالقاً رازقاً محسناً، فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، فهو الغني بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، المغني لجميع خلقه غني عاماً، وكما أن غناه ذاتي لا يمكن أن يطرأ عليه ما ينافيه، فكذلك فقر المخلوقات إليه هو فقر ذاتي، بحيث لا يمكنها أن تستغني عنه لحظة من اللحظات^(٤).

الأهمية:

من عرف ربه بالغنى المطلق عرف

(٣) انظر: طريق الهجرتين (١٠).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣٠٤/٥)، وشرح نونية ابن القيم للهراس (٤٦٣/٢).

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(٣).

كما أن هذا الاسم العظيم مما أجمعت الأمة عليه^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ إِنَّ يَشَأْ يُدْهِبِكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْتَ كُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴿١٣٣﴾ [الأنعام]:

«الغني: عن عباده الذين أمرهم بما أمر، ونهاهم عما نهى، وعن أعمالهم وعبادتهم إياه، وهم المحتاجون إليه؛ لأنه بيده حياتهم ومماتهم، وأرزاقهم وأقواتهم، ونفعهم وضرهم. يقول عز ذكره: فلم أخلقهم، يا محمد، ولم أمرهم بما أمرتهم به، وأنهم عما نهيتهم عنه، لحاجة لي إليهم، ولا إلى أعمالهم، ولكن لأتفضل عليهم

(٢٨٦٠)، والحاكم (كتاب الاستسقاء، رقم ١٢٢٥) وصححه، قال أبو داود: إسناده جيد، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وحسن إسناده الألباني في إرواء الغليل (٣/١٣٥)، رقم ٦٦٨.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٨٥).

(٤) نقل الإجماع القرطبي في الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٢٠٥) [المكتبة الحضريّة، ط ٤، ١٤٢٧هـ].

نفسه بالفقر المطلق، ومن عرف ربه بالقدرة التامة عرف نفسه بالعجز التام، ومن عرف ربه بالعز التام عرف نفسه بالمسكنة التامة، ومن عرف ربه بالعلم التام والحكمة عرف نفسه بالجهل، فمتى حصلت له هاتان المعرفتان أنتجتا له فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته، وتفاوت الناس في هذا الفقر بحسب تفاوتهم في هاتين المعرفتين^(١).

❁ الأدلة:

ورد هذا الاسم الجليل في كتاب الله في مواضع كثيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر]

وورد ذكره في السنّة المطهرة في حديث الاستسقاء الطويل، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين»^(٢).

(١) طريق الهجرتين (٢٣/١) [دار ابن القيم، ط ٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١١٧٣) وقال: إسناده جيد، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم

برحمتي، وأثيبهم على إحسانهم إن أحسنوا، فإني ذو الرأفة والرحمة»^(١). ولا رب سواه»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صفة الغنى لله

تعالى:

يدل اسم الغني على صفة الغنى، وهي صفة ذاتية لله تعالى، ويدل باللزوم على الحياة والقيومية، والقوة والأحدية، والقدرة والسعة والكرم والعزة والكبرياء، والملك، وأدلة صفة الغنى لله تعالى هي نفسها أدلة اسمه تعالى الغني. ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت].

- المسألة الثانية: اتصاف المخلوق

بصفة الغنى:

بعض المخلوقين متصف بصفة الغنى، ولكن لما تضاف الصفة لشيء تقتضي التخصيص، فيكون غني المخلوق على ما يليق بضعفه وعجزه وفقره، وغنى الخالق على ما يليق بجلاله وكمال غناه.

قال الشنقيطي رحمته الله: «وقال في وصف نفسه بالغنى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم]، وقال في وصف الحادث بالغنى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ [النساء: ٦]، ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ

وقال ابن القيم رحمته الله: «فصل في أن الله هو الغني المطلق والخلق فقراء محتاجون إليه، قال الله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [١٥]»، [فاطر] بين سبحانه في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم لا ينفك عنهم، كما أن كونه غنياً حميداً ذاتي له فغناه وحمده ثابت له لذاته لا لأمر أوجبه، وفقر من سواه إليه ثابت لذاته لا لأمر أوجبه، فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا إمكان، بل هو ذاتي للفقير، فحاجة العبد إلى ربه لذاته لا لعله أوجبت تلك الحاجة، كما أن غنى الرب سبحانه لذاته لا لأمر أوجب غناه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والفقر لي وصف ذات لازم أبداً

كما الغنى أبداً وصف له ذاتي»^(٢).

وقال ابن كثير رحمته الله: «قال ابن عباس رضي الله عنهما: (الغني) الذي قد كمل في غناه، وهو الله، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفاء، وليس كمثلته شيء، سبحانه الله الواحد القهار. (الحميد) المستحمد إلى خلقه؛ أي: هو المحمود

(١) تفسير الطبري (١٢/١٢٦) مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ. وانظر منه (١٥/١٤٥).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (٢٢). وانظر:

مدارج السالكين (١/٥٢٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/٨٨).

(المُغْنِي) مقرونًا بالغني، والمغني مأخوذ من الفعل (أغنى) من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم]، ومن الفعل (يُغْنِي) في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَنفَرَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء]، ولم يرد مصرحًا به، وباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، والفرق بينهما أن الغني يدل على صفة ذاتية لازمة، أما المغني فيدل على صفة متعدية، فالغنى غنى الذات، والمغني يغني عباده وخلقه.

- المسألة الرابعة: ورود ذي الطَّوْلِ في النصوص.

الطَّوْل بضم الطاء: الامتداد^(٤)، وبفتح الطاء وسكون الواو: المنّ، قال القرطبي: «أصل الطَّوْل: الإنعام والفضل، يقال منه: اللَّهُمَّ طُلْ علينا؛ أي: أنعم علينا وتفضل»^(٥)، ويقال: طال عليه، وتطوّل عليه؛ إذا امتنّ عليه^(٦). وقال الأزهري في قوله تعالى: ﴿ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر]؛ «أي: ذي القدرة، وقيل: الطَّوْل: الغنى، والطَّوْل: الفضل، يقال لفلان على فلان طوّل؛ أي: فضل»^(٧).

يُعْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» [النور: ٣٢]، فهو ﴿عَنْ﴾ موصوف بتلك الصفات حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله، والحادث موصوف بها أيضًا على الوجه المناسب لحدوثه وفنائها، وعجزه وافتقاره، وبين صفات الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق، كما بيّناه في صفات المعاني^(١).

فالغني على سبيل الإطلاق وعدم الحاجة هو الله، وليس ذلك لأحد سواه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود أنه سبحانه أخبر عن حقيقة العباد وذواتهم بأنها فقيرة إليه سبحانه، كما أخبر عن ذاته المقدسة وحقيقته أنه غني حميد، فالفقر المطلق من كل وجه ثابت لذواتهم وحقائقهم من حيث هي، والغنى المطلق من كل وجه ثابت لذاته تعالى وحقيقته من حيث هي فيستحيل أن يكون العبد إلا فقيرًا، ويستحيل أن يكون الرب سبحانه إلا غنيًا، كما أنه يستحيل أن يكون العبد إلا عبدًا والرب إلا ربًّا»^(٢).

- المسألة الثالثة: حكم تسمية الله تعالى بالمُغْنِي:

يذكر بعض أهل العلم^(٣) اسم

(١) أضواء البيان (٤٤/٨) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٢) طريق الهجرتين (٢٣).

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢١٧/١) [مكتبة

السوادي].

(٤) مقاييس اللغة (٦٢٧) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٣٢٧/١٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ].

(٦) الصحاح (١٧٥٥/٥) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٧) تهذيب اللغة (١٧/١٤) [الدار المصرية للتأليف].

حجر^(١١)، ولم يعده البعض ضمن ما عدوا من أسماء الله الحسنى^(١٢)، وأنكر البعض أن يكون ذو الطول من أسماء الله الحسنى^(١٣).

❁ الثمرات:

الإيمان باسم الله الغني وبما تضمنه من صفة الغنى له ﷺ يثمر للعبد ثمرات؛ منها^(١٤):

١ - أن فهم العبد (الغني) لمعنى هذا الاسم الجليل يؤدي به إلى التواضع على الرغم من غناه؛ لعلمه أن المتوحد في الغنى هو الله ﷻ، ويظهر الفقير بمظهر الغني وهو يعاني من شدة الفقر تعففاً من سؤال الناس إلحافاً؛ لأن الغنى الحقيقي هو غنى النفس.

٢ - أن من الفقر ما هو اختياري، وهو نتيجة علمين شريفين؛ أحدهما: معرفة العبد بربه، والآخر: معرفته بنفسه، فمتى حصلت له هاتان المعرفتان أنتجتا له فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته، فمن عرف ربه بالغنى المطلق عرف نفسه بالفقر المطلق، ومن

وذكر ابن كثير بعد أن نقل أقوال المفسرين في معنى ذي الطُول: «أنه المتفضل على عباده، المتطول عليهم بما هم فيه من المنن والإنعام، التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]»^(١).

وقد ورد هذا الاسم المبارك مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله ﷺ: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾^(٢) [غافر].

وهو من الأسماء المضافة، وقد عده ضمن أسماء الله الحسنى كثير من العلماء، منهم: جعفر الصادق، وابن عيينة كما نقل عنهما ابن حجر^(٣)، والزجاجي^(٤)، وابن منده^(٥)، والخطابي^(٦)، والحليمي^(٧)، والبيهقي^(٨)، وابن تيمية^(٩)، وابن الوزير^(١٠)، وابن

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٦٨/١٢).

(٢) فتح الباري (٢٦٠/١١ - ٢٦١) [دار السلام، ط١].

(٣) اشتقاق أسماء الله (١٩٣) [مؤسسة الرسالة، ط٢].

(٤) انظر: كتاب التوحيد (٢٠٣/٢).

(٥) شأن الدعاء للخطابي (١٠٥).

(٦) المنهاج في شعب الإيمان (١٩٩/١) [دار الفكر، ط١].

(٧) الأسماء والصفات (١١٨/١).

(٨) أحكام القرآن (٣٤٢/٢) [دار الكتب العلمية، ط٣].

(٩) انظر: المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية (١/٦٢).

(١٠) إشارات الحق (١٦٠) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(١١) التلخيص الحبير (٣٢١/٤) [مؤسسة قرطبة، ط١].

(١٢) كابن حزم والغرالي والأصفهاني وغيرهم.

(١٣) مثل: عمر الأشقر في كتابه أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة (٦٤، ٦٥) [دار النفائس، ط٢].

(١٤) انظر: النهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى للنجدي (٢٣١/٢ - ٢٣٩) [مكتبة الإمام الذهبي].

عرف ربه بالقدرة التامة عرف نفسه بالعجز التام، وهكذا^(١).

■ الغوث ■

يراجع مصطلح (المغيث).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «أسماء الله الحسنى وصفاته العليا من كتب ابن القيم»، عماد زكي البارودي.

٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، الزجاج.

٣ - «توضيح الكافية الشافية»، للسعدي.

٤ - «شرح أسماء الله الحسنى»، للقطاني.

٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.

٦ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

٧ - «فتح الرحيم الملك العلام»، للسعدي.

٨ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٩ - «معارج القبول» (ج ١)، لحافظ الحكمي.

١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتيمي.

١١ - «النهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى» (ج ٢)، للنجدي.

■ الغول ■

❁ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الغين والواو واللام أصل صحيح يدل على ختل وأخذ من حيث لا يدري، ويقال: غاله يغوله: أخذه من حيث لم يدر. قالوا: والغول بعد المفازة؛ لأنه يغتال من مرّ به، والغُول من السعالي، سمّيت؛ لأنها تغتال»^(٢).

الغُول والغُول: يقعان على معنيين متقاربين، أحدهما: البعد، والآخر: الهلاك. فالغُول: المصدر، والغُول: بضم المعجمة الاسم، وجمعه: أغوال وغِيلان. وقيل: هو كل ما اغتالك من جني أو شيطان أو سبع فهو غول، وهو معنى قول من قال: الغول: كل شيء ذهب بالعقل^(٣).

❁ التعريف شرعاً:

الغُول: واحد الغيلان، جنس من الجن والشياطين، وقيل: من السعالي،

(٢) مقاييس اللغة (٤/٤٠٢) [دار الجبل، ط ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: الصحاح (٥/١٧٨٥) [دار العلم للملايين، ط ٣،

١٤٠٤هـ]، وتهذيب اللغة (٨/١٧٠) [الدار المصرية

للتأليف والترجمة]، ومقاييس اللغة (٤/٤٠٢).

(١) انظر: طريق الهجرتين (١/٢٣ - ٢٧).

❁ الحقيقة:

اختلفت أقوال أهل العلم في حقيقة

الغول على أقوال:

أولها: أنّ الغول شيء يخوّف به لا

وجود له. قاله الدّميري في حياة الحيوان، وزعم أنه قول المحققين. وهذا القول مردودٌ بالأحاديث الثابتة في إثبات الغول، وبالمشاهدة.

قال حافظ الحكمي رحمته الله: «وأما قول

من قال: إنّ المراد في الحديث نفي وجود الغيلان مطلقًا فليس بشيء؛ لأنّ ذلك مكابرة للأمر المشاهدة المعلومة بالضرورة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وقبله وبعده، من إتيانهم وانصرافهم ومخاطبتهم وتشكلهم، والله أعلم»^(٣).

ثانيها: أنّ الغول كان موجودًا ثم

رفعه الله صلى الله عليه وآله، كما رجحه الطحاوي؛

حيث قال رحمته الله: «وقد ذكرنا في الباب

الذي قبل هذا عنه أنه قال: «لا غول»،

ففي هذا نفيه للغول، فقال قائل: قد

يكون هذا على التضادّ؟ قيل له: ليس

ذلك بحمد الله على التضادّ؛ إذا كان

يحتمل أن يكون الغول كان على ما في

حديث أبي أيوب^(٤) ثمّ رفعه الله تعالى

عن عباده على ما في حديث جابر^(٥)،

وذلك أولى ما جمعت عليه الآثار

وهم سحرة الجن، لهم تلبيس وتخيل وتضليل^(١).

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تظهر العلاقة بينهما من حيث كون كل منهما يتضمن معنى البعد والهلاك، أو معنى ذهاب العقول؛ إلا أن المعنى الشرعي أخص من المعنى اللغوي؛ حيث هو خاص بالغيلان، التي هي من جنس الشياطين.

❁ سبب التسمية:

سمّيت الغول بذلك؛ إما لأنها تتغول؛ أي: تتلون في صور شتى، وإما لأنها تغولهم؛ أي تضلهم في الطريق، وتهلكهم، وهو بمعنى تأخذ من حيث لا يدري^(٢).

❁ الحكم:

من اعتقد في الغول أنها تضر وتهلك، وغلا في وجودها، وزعم أنها من أعظم الأسباب في حصول الهلاك والضلال، فهذا من الشرك الأصغر، وهو وسيلة من وسائل الشرك الأكبر.

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٩٦)

[دار إحياء التراث العربي]، ومعالم السنن للخطابي

(٤/٤٠٢) [المطبعة العلمية، حلب، ط ١،

١٣٥٢هـ]، وشرح السنّة للبيهقي (١٢/١٧٣)

[المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ].

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/٣٩٦)، ومقاييس

اللغة (٤/٤٠٢)، وشرح السنّة للبيهقي (١٢/١٧٣).

(٣) معارج القبول (٣/١١٦٨) [دار ابن الجوزي، ط ٦].

(٤) يأتي ذكره في الأدلة.

(٥) سيأتي ضمن الأدلة أيضًا.

النبي ﷺ قال: «فاذهب فإذا رأيتها فقل: بسم الله أجيبني رسول الله ﷺ». قال: فأخذها فحلفت أن لا تعود فأرسلها. فجاء إلى رسول الله فقال: «ما فعل أسيرك؟» قال: حلفت أن لا تعود. فقال: «كذبت وهي معاودة للكذب» الحديث^(٥).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: «لا غول» ليس معناه نفي الغول عيناً، وإبطالها كوناً، وإنما فيه إبطال ما يتحدثون عنها من تغولها، واختلاف تلونها في الصور المختلفة، وإضلالها الناس عن الطريق، وسائر ما يحكون عنها، مما لا يعلم له حقيقة. يقول: لا تصدقوا بذلك، ولا تخافوها، فإنها لا تقدر على شيء من ذلك، إلا بإذن الله ﷻ»^(٦).

وقال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: «قوله «ولا غول»: ليس معناه نفي الغول كوناً، وإنما أراد أن العرب كانت تقول: إن الغيلان تظهر للناس في الفلوات، في الصور المختلفة، فتضلهم وتهلكهم، ويقال: تغول تغولاً؛ أي: تلون. فأخبر الشرع أنها لا تقدر على شيء، من

المروية عن رسول الله ﷺ في هذا أو فيما أشبهه، وما وجد السبيل إلى ذلك»^(١). وهذا ليس بشيء.

الثالث: وهو الصواب؛ وهو أن الغول: جنس من الشياطين والجن تترأى للناس في الفلاة، فتتغول تغولاً؛ أي: تتلون تلوناً في صور شتى، وتغولهم عن الطريق، وتضلهم، فأبطل النبي ﷺ تأثيرها؛ ولم ينف لعين الغول ووجودها كوناً وأنها معدومة، وإنما أبطل اعتقاد الجاهلية في تصرفها في نفسها، أو أنها لا تستطيع أن تضل أحداً مع ذكر الله تعالى، بل لا تقدر على شيء إلا بإذن الله تعالى^(٢).

❁ الأدلة:

عن جابر بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا غول»^(٣). وفي رواية أخرى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا غول ولا صفر»^(٤).

وعن أبي أيوب الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ أنه كانت له سهوة فيها تَمُر فكانت تجيء العُول فتأخذ منه. قال: فشكا ذلك إلى

(١) شرح مشكل الآثار (٢/٢٥٧) مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/٣٩٦)، ومعالم السنن (٤/٢٣٤)، وشرح السنّة للبغوي (١٢/١٧٣).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٢).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٢).

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٨٨٠) وحسنه، وأحمد (٣٨/٥٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٤٦٩) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٦) معالم السنن (٤/٤٠٢).

الإضلال والإهلاك، إلا بإذن الله ﷻ»^(١). ❁ المصادر والمراجع:

١ - «بلوغ المنى والظفر في بيان «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»»، لابن فهد.

٢ - «الشرك ومظاهره»، لمبارك الملي.

٣ - «فتح الباري»، لابن حجر العسقلاني.

٤ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن.

٥ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٦ - «لطائف المعارف»، لابن رجب.

٧ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

٨ - «مفتاح دار السعادة»، لابن القيم.

٩ - «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير.

❁ الغيـث ❁

يراجع مصطلح (المغيث).

❁ الغير ❁

❁ التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الغين والياء والراء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على صلاح وإصلاح ومنفعة، والآخر على اختلاف شيئين. فالأول: الغيرة، وهي

وقال ابن الأثير ﷻ: «الغول: أحد الغيلان، وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة، تترأى للناس فتغول تغولاً؛ أي: تتلون تلوناً، في صور شتى، وتغولهم؛ أي: تضلهم عن الطريق، وتهلكهم، فنفاه النبي ﷺ، وأبطله»^(٢).

❁ الآثار:

اعتقاد ما كان يعتقد أهل الجاهلية في الغيلان يورث القلق والحزن في القلوب، وينغص على المرء معيشته وأحواله، ولا شك أن هذا ما تحرص عليه الشياطين؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة].

ومن آثار اعتقاد تأثير الغيلان ضعف التوكل على الله ﷻ في قلب المرء المؤمن، وضعف اليقين في قدرة الله تعالى، وأنه الضار النافع وحده، بل قد يذهب ذلك كله، وهذا لا يوجد إلا في قلب المشرك بالله تعالى.

(١) شرح السنة (١٢/١٧٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٩٦).

الحكم:

لفظ الغير من الألفاظ المجملة التي لا تطلق على الله إثباتاً أو نفيًا، وإنما يسأل عن المراد بها، فإن قُصد بها حقٌّ قُبِل المعنى وعُبر عنه باللفظ الشرعي، ويتوقف في اللفظ، وإن أريد به باطلٌ يتوقف في اللفظ ويرد المعنى.

الحقيقة:

حقيقة لفظ الغير اللغوية هي كما تقدمت في التعريف اللغوي تحوّل الشيء وصيرورته خلاف ما كان عليه. وأما عند المعتزلة والكرامية فالغيران: «هما الشيطان، أو هما ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر»^(٥). وأما عند أكثر الصفاتية من الأشعرية فـ«حقيقة الغيرين ما يجوز مفارقة أحدهما الآخر بالزمان، والمكان، والوجود والعدم»^(٦).

أقوال أهل العلم:

أكد العلماء على أن لفظ الغير من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقًا وباطلًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن للناس في لفظ الغير اصطلاحين

مشهورين:

أحدهما: اصطلاح المعتزلة والكرامية ونحوهم ممن يقول: الصفة غير

(٥) بغية المرئاد (٤٢٦).

(٦) الإنصاف للباقلاني (٢٥). وانظر: بغية المرئاد (٤٢٦).

الميرة: بها صلاح العيال. يقال: غرت أهلي غيرة وغيارًا؛ أي: مرثهم، والأصل الآخر: قولنا: هذا الشيء غير ذاك؛ أي هو سواء وخلافه. ومن الباب: الاستثناء بغير، تقول: عشرة غير واحد، ليس هو من العشرة، ومنه قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٧) [الفاحة]^(١).

وقال الفيروزآبادي: «الغيرة بالكسر: الميرة. وغير بمعنى: سوى، وتكون بمعنى لا، ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾ [النحل: ١١٥]؛ أي: جائعًا لا باغيًا، وبمعنى (إلا). وتغيّر عن حاله: تحوّل. وغيره: جعله غير ما كان، وحوله، وبدله. والاسم: الغير»^(٢).

التعريف اصطلاحًا:

إن الغير في اصطلاح المعتزلة والكرامية: «هما الشيطان، أو هما ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر»^(٣). وأما عند الأشعرية فـ«حد الغيرين ما يجوز مفارقة أحدهما الآخر؛ إما بزمان أو بمكان»^(٤).

(١) مقاييس اللغة (٤/٤٠٣ - ٤٠٤) [دار الجيل، ط ٢].

(٢) القاموس المحيط (٤٥٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٨].

(٣) بغية المرئاد (٤٢٦) [ط ٣، ١٥١٥هـ]. وانظر:

جامع العلوم لأحمد نكري (٨/٣) [دار الكتب

العلمية، ط ١].

(٤) الإنصاف فيما يجب اعتقاده للباقلاني (٣٧) [عالم

الكتب، لبنان، ط ١، ١٤٠٧هـ].

الإشكال، فإذا قيل: إن الصفة أو الجزء غيره بأحد الاصطلاحين كان باطلاً، وإذا قيل: إنها غيره بالاصطلاح الآخر، لم يمتنع أن يكون لازماً^(١).

وقال ابن القيم: «وكذلك لفظ الغير فيه إجمال، يراد بالغيرين: ما مفارق أحدهما للآخر ذاتاً أو مكاناً أو زماناً، فصفات القديم سبحانه ليست غيراً له بهذا الاعتبار، ويراد بالغيرين: ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر، وهذا المعنى حق في ذاته وصفاته سبحانه، وإن سمّاها هؤلاء أغياراً^(٢).

قال ابن أبي العز الحنفي: «لفظ الغير، فيه إجمال، فقد يراد به ما ليس هو إياه، وقد يراد به ما جاز مفارقتة له. ولهذا كان أئمة السُّنة رحمهم الله لا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره، ولا أنه ليس غيره؛ لأن إطلاق الإثبات قد يشعر أن ذلك مبين له، وإطلاق النفي قد يشعر بأنه هو هو، إذا كان لفظ الغير فيه إجمال، فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل: فإن أريد به أن هناك ذاتاً مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها = فهذا غير صحيح، وإن أريد به أن الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة = فهذا حق، ولكن ليس في

الموصوف، وهؤلاء فيهم من ينفي الصفات كالمعتزلة، ومنهم من يثبتها كالكرامية، وهم يقولون: إن الغيرين هما الشيطان، أو هما ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر.

والثاني: اصطلاح أكثر الصفاتية من الأشعرية وغيرهم أن الغيرين ما جاز مفارقة أحدهما الآخر بوجود زمان أو مكان، ومن هؤلاء من يقول ما جاز مفارقة أحدهما الآخر، ولهذا يقولون: إن الصفات لا هي الموصوف ولا هي غيره، وكذلك جزء الجملة كالواحد من العشرة واليد من الإنسان قد يقولون فيها ذلك والأولون يقولون الصفة غير الموصوف.

وأما حذاق الصفاتية من الكُلابية وغيرهم، فهم على منهاج الأئمة، كما ذكر الإمام أحمد في الرد على الجهمية، لما سأله عن القرآن: أهو الله أم غير الله؟ لا يقولون الصفة لا هي الموصوف ولا هي غيره، بل لا يقولون الصفة هي الموصوف، ولا يقولون: هي غيره، فيمتنعون عن الإطلاقين ولا ينفون الإطلاقين وهذا شديد، فإن لفظ الغير لما كان فيه إجمال لم يطلق نفيه حتى يتبين المراد، فإن أريد بأنه غير مبين له، فليس هو غيره، وإن أريد أنه ليس هو إياه، أو أنه يمكن العلم به دونه، فنعم هو غيره، وإذا فصل المقال زال

(١) بغية المرئاد (٤٢٦).

(٢) الصواعق المرسلّة (٩٨٢/٣) [دار العاصمة، ط١].

◉ الرد عليهم:

تعلّق المخالفين بلفظ التغير لنفي الصفات الاختيارية عن الله هو تعلّق فاسد قائم على التمويه والتلبيس؛ لما يلي:

أولاً: أن الله أعلم بنفسه وبما يليق به من الصفات من غيره، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة]. وأعلم الخلق به هم رسله ﷺ، فما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسله ﷺ من الأسماء والصفات، يجب الإيمان به، وعدم الاعتراض عليه بالأهواء والآراء؛ لا سيّما أن هذه أمور غيبية لا مجال للعقول فيها.

ثانياً: أن إطلاق التغير على اتصاف الله بالصفات الاختيارية من الاستواء والنزول والمجيء ونحوها هو مجرد تلبيس؛ لأن هذا لا يصدق عليه معنى التغير لا لغة ولا شرعاً.

أما لغة فإن التغير هو الاستحالة والتبدل، وذلك بأن يكون الشيء طاهراً نظيفاً كالماء مثلاً، فتدخل فيه النجاسة فتغيره عمّا كان عليه من النظافة والطهارة فيصير فاسداً كاسداً.

وأما شرعاً فقد جاءت النصوص العديدة بإثبات اتصاف الله بالرضا والمغفرة والغضب وسائر الصفات الاختيارية، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ

الخارج ذات مجردة عن الصفات، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها، وإنما يفرض الذهن ذاتاً وصفة؛ كلاً وحده، ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفة، فإن هذا محال. ولو لم يكن إلا صفة الوجود، فإنها لا تنفك عن الوجود، وإن كان الذهن يفرض ذاتاً ووجوداً، يتصور هذا وحده، وهذا وحده، لكن لا ينفك أحدهما عن الآخر في الخارج^(١).

◉ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: استعمال (التغير) في حق الله ﷻ:

التغير لم يرد في الكتاب والسنة، ولم ينطق به السلف الصالح، وإنما أحدثه أهل الأهواء، وهو لفظ مجمل يحتمل حقاً وباطلاً، ولكن من أطلقه أراد به باطلاً وهو نفي قيام الصفات الاختيارية بالله كالمجيء والاستواء على العرش والنزول والرضا والغضب وسائر الصفات المتعلقة بمشيئته.

فقد اعتبر الأشاعرة قيام الصفات الاختيارية بالله تغييراً في ذاته سبحانه فنفوها، واحتج الفلاسفة بلفظ التغير لنفي علم الله^(٢).

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٩٨/١) مؤسسة الرسالة، ط ١٠١٧هـ.

(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود (١٠٥٦/٣) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ].

يقودون قولهم إلى فرية على الله^(١).

- المسألة الثانية: هل الصفات غير الذات؟

هذه المسألة لم يتكلم بها السلف، ولم يطلقوها على صفات الله تعالى، وإنما أحدثها المتكلمون، وهي لفظ مجمل يحتمل معنى صحيحًا ومعنى باطلاً، ولذا يُستفسر عن مراد قائله؛ فإن أراد به وجود ذات مجردة عن الصفات فهذا باطل، وهو مقصود من يستعمل هذا اللفظ. وإن أراد به أن معنى الذات يختلف عن معنى الصفة فهذا صحيح، ولكن يعبر عنه باللفظ الشرعي.

وعليه فمن سأل: هل الصفة غير الذات؟ يقال له: إن أُريد بالغير: المباين المنفصل فليست الصفة غير الموصوف. وإن أُريد به ما ليس هو عين الشيء، أو ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر فالصفة غير الموصوف. قال ابن تيمية: «ومذهب السلف والأئمة؛ أنهم لا يطلقون لفظ الغير على الصفات، لا نفيًا ولا إثباتًا، فلا يطلقون القول بأنها غيره، ولا بأنها ليست غيره، إذ اللفظ مجمل، فإن أراد المطلق بالغير المباين فليست غيرًا، وإن أراد بالغير ما قد يعلم أحدهما دون الآخر، فهي غير»^(٢).

(١) دره تعارض العقل والنقل (٧٥/٤) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢، ١٤١١هـ].

(٢) دره تعارض العقل والنقل (١٨٧/٢). وانظر: موقف =

رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴿[الفتح: ١٨]﴾، وقال تعالى: ﴿يَعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾﴾ [الفتح]، وقال تعالى: ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣]، وغير ذلك من صفات الله تعالى.

ونفي هذه الصفات بالعقول المجردة، والأهواء المضلة هو في غاية البطلان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والغير والتغير من مادة واحدة، فإذا تغير الشيء صار الثاني غير ما كان، فما لم يزل على صفة واحدة لم يتغير ولا تكون صفاته مغايرة له.

والناس إذا قيل لهم: التغير على الله ممتنع، فهموا من ذلك: الاستحالة والفساد، مثل انقلاب صفات الكمال إلى صفات نقص، أو تفرق الذات ونحو ذلك مما يجب تنزيه الله عنه.

وأما كونه سبحانه يتصرف بقدرته، فيخلق ويستوي ويفعل ما يشاء بنفسه، ويتكلم إذا شاء ونحو هذا، فهذا لا يسمونه تغيرًا.

ولكن حجج النفاة مبناها على ألفاظ مجملة موهمة، كما قال الإمام أحمد: يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويلبسون على جهال الناس بما يشبهون عليهم، حتى يتوهم الجاهل إنهم يعظمون الله، وهم إنما

- المسألة الثالثة: الغير عند الصوفية:

ينفي غلاة الصوفية الكثرة والغيرية عن الوجود، ويرون أن جميع الوجود حقيقة واحدة، فالذات الإلهية وذوات الخلق كلها حقيقة واحدة عندهم، وأن المغايرة بين الحق والخلق هي مغايرة وهمية^(١).

فمما جاء في أورادهم: «يا من ليس كمثلته شيء، أفنِ عني كل شيء غيرك، وخفف عني ثقل كثائف الموجودات، وامحُ عني نقطة الغيرية لأشاهدك ولا أدري غيرك، يا هو يا هو يا هو، لا سواك موجود، لا سواك مقصود، يا وجود الوجود»^(٢).

قال الغزالي: «لا إله إلا الله توحيد العوام! ولا هو إلا هو توحيد الخواص»^(٣).

قال الشيخ عبد الرحمن الوكيل موضعاً هذا الكلام: «فكلمته (لا هو إلا هو)؛ لأنها تثبت وجوداً واحداً، وتنفي الغيرية والكثرة والتعدد، تثبت موجوداً واحداً تنوعت مظاهره، فسميت خلقاً،

= ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (٣/١٠٩٤).

(١) انظر: مصرع التصوف لبرهان الدين البقاعي (٢٤٧) [دار الكتب العلمية].

(٢) الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية (١٦) بواسطة كتاب الكشف عن حقيقة الصوفية لمحمود القاسم (٢٤٢) [دار الصحابة، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٣) هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل (٥٤، ٥٥) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٤، ١٩٨٤م].

وتنفي المغايرة بين من نسميهم الخلق وبين من نسميه الخلاق! وتثبت أن وجود الأول عين وجود الثاني، فكما أنه لا وجود إلا وجوده، فكذلك لا ذات إلا ذاته، أما تلك الكثرة الوهمية في الذوات، فيؤمن بها عمي القلوب»^(٤).

🌀 الرد عليهم:

لا شك أن اعتبار الوجود حقيقة واحدة هو إلحاد بيّن، في دين الله تعالى، ومكابرة مكشوفة لكل ذي بصيرة، لا تحتاج إلى حشد الأدلة وجمع أقوال الأئمة لبيان فسادها؛ لأن تقسيم الوجود إلى خالق ومخلوق أمر مستقر في الفطر ولا ينكره إلا شواذ البشر، ولذا أكتفي بالإشارة إلى بطلان هذا المعتقد من خلال الآتي:

أولاً: أن هذه العقيدة مصادمة لدعوة الرسل القائمة على الدعوة إلى تحقيق التوحيد لله تعالى، وإفراده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وجميع خصائصه سبحانه.

ثانياً: أن القول بوحدة الوجود هو إبطال صريح للخطاب الشرعي الذي لا يكون إلا بين المخاطب والمخاطب وبين الأمر والمأمور ونحو ذلك. قال الله سبحانه: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى:

(٤) المرجع السابق (٥٥).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾

⊗ **مذهب المخالفين:**

يتخذ المتكلمون الألفاظ المجملة قناعاً لتمرير عقائدهم التي خالفوا بها الكتاب والسنة كلفظ الغير؛ لأن بعض السامعين لها يتبادر إلى أذهانهم أن هؤلاء المتكلمين ينزهون الله عما لا يليق به من النقائص والعيوب، كنفى التعدد والتكثّر عن ذات الله، والواقع أنهم يقصدون بها نفي الثابت من صفات الله ﷻ بأهوائهم المنحرفة، وآرائهم الضالّة، ويموّهون على العامة وأشباههم بأن إثباتها لله يلزم الغير، وهو يحتمل حقاً وباطلاً؛ فقد يطلق لفظ الغير ويراد به المباين المنفصل، وهذا هو مقصودهم به، وقد يطلق ويراد به ما ليس هو عين الشيء، أو ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر^(٢).

⊗ **الرد عليهم:**

لفظ الغير لفظ مبتدع مجمل يحتمل صواباً وباطلاً، والواجب الابتعاد عن الألفاظ المجملة المبتدعة التي تحتمل معاني فاسدة، ولزوم الألفاظ الشرعية كما كان يفعل السلف.

فقائل هذا اللفظ المجمل يُسأل عن مراده فيقال له: ماذا تقصد به؟ فإن كنت تقصد أن الصفات هي بائنة عن الله

[النساء: ٥٩]، فهل الأمر والمأمور والناهي والمنهي، المخاطب والمخاطب في تلك النصوص واحد؟ هذا لا يقوله عاقل، فالقول بنفي الغيرية عن الوجود هو إلغاء للشرع بأكمله.

ثالثاً: دلالات النصوص الكثيرة الصريحة على تقسيم الوجود إلى خالق ومخلوق كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرِّيْنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ [البقرة]، وما ثبت من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ»^(١).

ففي هذه النصوص: ربٌّ ومربوب، وخالق ومخلوق، ومعبود وعابد، وهذا يبطل القول بنفي الغيرية عن الوجود.

رابعاً: أن أصحاب هذه العقيدة الفاسدة متناقضون مكابرون للحقيقة، ومعاندون في ادّعاء تلك العقيدة؛ لأنهم يفرقون في واقعهم بين أنفسهم وبين ذويهم من أب وأم، وزوجة وولد وغير ذلك.

(٢) انظر: الإنصاف للباقلاني (٢٥)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٣٣٦) وبغية المرئاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (٤٢٦).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٠٦).

والخلاصة: أن تسمية المتكلمين إثبات الصفات الاختيارية أو غيرها بالتغير والغير للتفكير عنها لا يلتفت إليه، بل الواجب إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ونفي ما نفاه الله سبحانه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

وأن ما اصطالحوا عليه من تسمية ذلك بالغير ما هو إلا تدليس قادهم إليه انحرافهم في باب الصفات عن الجادة السوية، وليس عليه أثارة من علم، وما كان كذلك فهو ساقط لا قيمة له.

المصادر والمراجع:

- ١ - «بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية»، لابن تيمية.
- ٢ - «تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة»، لسليمان بن سحمان.
- ٣ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٢، ٤)، لابن تيمية.
- ٤ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.
- ٥ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.
- ٦ - «الصفدية» (ج ١)، لابن تيمية.

ومنفصلة عنه؛ فهذا باطل لأن صفات الله ليست منفصلة عنه ولا مباينة، وإن كنت تقصد أن ذات الله هي ذات مجردة عن أي صفة ثبوتية، فإن هذا غاية في إنكار وجود الله، وليس من ورائه إلا عدم محض وهو ظاهر البطلان.

وإن كنت تقصد بلفظ الغير: أن الصفات لها معانٍ غير معنى الذات، فهذا صحيح ونفيه عن الله باطل؛ لمصادمته الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ أَلَّوَجِدُ أَلقَهَّارُ﴾ [الزمر]، فالله عَلم للذات المقدسة المسماة بعدة أسماء؛ منها: (الواحد والقَهَّار)، وكل منهما دال على صفة من صفات الكمال؛ وهما: الوجدانية والقهر. ومعنى الواحد يختلف عن معنى القَهَّار، ومعنى القَهَّار يختلف عن معنى الذات وهكذا، وكلها أسماء وأوصاف لذات واحدة.

قال ابن أبي العز الحنفي: «وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها، فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها: فإن كان معنًى صحيحاً قبل، لكن ينبغي التعبير عنه بالألفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة، إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، ونحو ذلك»^(١).

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/٢٦١).

٧ - «الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعطله» (ج٣)، لابن القيم.
٨ - «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (ج٣)، لعبد الرحمن بن صالح المحمود.
٩ - «موقف شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم من الألفاظ المجمله المتعلقة بأبواب التوحيد والقضاء والقدر»، لعبد السميع بن عبد الأول.

٧ - «الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعطله» (ج٣)، لابن القيم.
٨ - «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (ج٣)، لعبد الرحمن بن صالح المحمود.
٩ - «موقف شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم من الألفاظ المجمله المتعلقة بأبواب التوحيد والقضاء والقدر»، لعبد السميع بن عبد الأول.

الغيرة

التعريف لغة:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وهي على معنى ما يمنع من أي شيء يشين الخلق ويخدش الحياء، وهي في ذلك على غاية الكمال والجلال، بلا تكييف ولا تمثيل.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن المعنى الشرعي هنا متعلق بالصفة التي هي لله تعالى، فهو مختص بالغيرة المانعة مما يشين الخلق ويخدش الحياء، ولا يدخل فيها ما يطلق عليه غيره وهو متضمن لمعاني نقص في الغيور.

الحكم:

وجوب إثبات صفة الغيرة لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الأدلة:

عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال: قال

(٢) مقاييس اللغة (٤/٤٠٣) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ]
وانظر: لسان العرب (٥/٣٤)، والقاموس المحيط (٢/١٦٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ].

الغيرة مصدر من الفعل غار، وهي: الحمية والأنفة، يقال رجل غيور وامرأة غيور بلا هاء؛ لأنّ فعولاً يشترك فيه الذكر والأنثى، والمغيار الشديد الغيرة^(١)، قال ابن فارس: «الغين والياء والراء أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على صلاح وإصلاح ومنفعة، والآخر على اختلاف شيئين. فالأول: الغيرة، وهي الميرة بها صلاح العيال. يقال: غرت أهلي غيرةً وغياراً؛ أي: مرّتهم. وغارهم الله تعالى بالغيث يغيرهم ويغورهم؛ أي: أصلح شأنهم ونفعهم. ويقال: ما يغيرك كذا؛ أي: ما ينفكك. ومن هذا الباب: الغيرة؛ غيرة الرجل على أهله، تقول: غرت على أهلي غيرةً. وهذا عندنا من الباب؛ لأنّها

(١) لسان العرب (٥/٣٤) [دار صادر، بيروت، ط١].

سعد بن عباد: لو رأيت رجلاً مع

بؤب البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه: «باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله»^(٥). قاصداً بذلك أن الغيرة وصف ثابت لله تعالى.

وفي أبواب صحيح مسلم: «باب غيرة الله تعالى، وتحريم الفواحش» ومروي تحته ثلاثة أحاديث في إثبات غيرة الله تعالى^(٦).

وقال قوام السنة الأصبهاني: «وجميع آيات الصفات التي في القرآن، والأخبار الصحاح واجب على المسلمين أن يؤمنوا بها مثل: النفس، والبدن، وغيرة الله تعالى...»^(٧).

قال أبو يعلى الفراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد أن روى حديث أبي هريرة وسعد بن عباد رَضِيَ اللهُ عَنْهُما السابقين: «اعلم أن الكلام في هذا الخبر في فصلين:

أحدهما: إطلاق صفة الغيرة عليه.

والثاني: في إطلاق الشخص.

أما الغيرة فغير ممتنع إطلاقها عليه سبحانه؛ لأنه ليس في ذلك ما يحيل صفاته ولا يخرجها عمّا تستحقه؛ لأن

امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «أتعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير منه، والله أغير مني؛ ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله؛ ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله؛ ومن أجل ذلك وعد الله الجنة»^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله فلذلك مدح نفسه»^(٢).

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «يا أمّة محمد: ما أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته تزني، يا أمّة محمد: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»^(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١٦)،

ومسلم (كتاب اللعان، رقم ١٤٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٦٣٧)،

ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٢٢١)،

ومسلم (كتاب الكسوف، رقم ٩٠١).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٢٢٣)،

ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦١).

(٥) صحيح البخاري (٣٨٧/٤) [المكتبة السلفية، ط١].

(٦) صحيح مسلم (٢١١٣/٤) [دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ].

(٧) الحجّة في بيان المحجّة (٢/٤٦٨ - ٤٧٠) [دار

الراية، ط١، ١٤١١هـ].

يأخذ أحكام أسماء الله الحسنى، وقد توسع بعض أهل العلم وأثبت لله اسم الغيور، ومعناه كما قال ابن العربي: «غَيُورٌ، وَهُوَ الَّذِي لَا يُحَرِّمُ سِوَاهُ»^(٥).

ولم يذكره في أسماء الله إلا ابن العربي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مستدلاً بأدلة صفة الغيرة، وأسقطه كل من ألف في الأسماء والصفات^(٦).

وقد قال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مبيِّناً خطأ أن يُشتق من كل فعل اسمٌ لله تبارك وتعالى: «من هنا يعلم غلط بعض المتأخرين وزلقه الفاحش في اشتقاقه له سبحانه من كل فعل أخبر به عن نفسه اسماً مطلقاً، فأدخله في أسمائه الحسنى، فاشتق له اسم الماكر والخادع والفاتن والمضل والكاتب ونحوها من قوله: ﴿وَيَمَكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ومن قوله: ﴿وَهُوَ خَلِدٌ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، ومن قوله: ﴿لَقَدْ فَنَنَّا فِيهِ﴾ [الجن: ١٧]، ومن قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]. وهذا خطأ من وجوه»^(٧)، ثم ذكرها.

الغيرة هي الكراهية للشيء، وذلك جائز في صفاته، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أُنْبَعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]»^(١).

وقال ابن تيمية: «وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الله يوصف بالغيرة، وهي مشتقة من التغير»^(٢).

وقال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «والغيرة من صفات الرب عز وجل والأصل فيها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأعراف: ٣٣] ومن غيرته تعالى لعبده وعليه يحميه مما يضره في آخرته»^(٣).

❁ الأقسام:

صفة الغيرة لله تعالى خاصة وعامة:

فالخاصة: هي أن يأتي المؤمن ما حرم عليه.

والعامة: هي غيرته من الفواحش ما ظهر منها وما بطن^(٤).

❁ المسائل المتعلقة:

لا يجوز تسمية الله بالغيور؛ لأنه لم يرد دليل لا من الكتاب ولا من السنة يدل عليه؛ وأسماء الله توقيفية، وعلى هذا فلا

(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٢/٣٤٧) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ].

(٦) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/٣٤٧)، ومعتمد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتيمي (٢٩٥) [دار إيلاف، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٧) طريق الهجرتين (٤٨٦ - ٤٨٧) [دار ابن القيم، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(١) إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/١٦٥) [دار إيلاف الدولية].

(٢) رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية، ضمن مجموع الرسائل (٢/٤٨) [دار العطاء، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٣) روضة المحيين (٢٩٥) [دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ].

(٤) الاستقامة لابن تيمية (٢/١١) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٣هـ].

ما حرم عليه؛ إذ إن غيرة الله تعالى تقتضي أن يكون كذلك.

٢ - تجنب الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

٣ - غيرة المؤمن لانتهاك محارم الله ﷻ، وتلك الغيرة الممدوحة في الشرع، كما امتدح النبي ﷺ غيرة سعد ﷺ بقوله: «أتعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير منه، والله أغير مني» الحديث^(٣).

الآثار:

١ - ما فطر الله تعالى العباد عليه من بغض الفواحش.

٢ - شرع الله تعالى الحكيم المشتغل على تقرير كل خُلُق كريم، والنهي عن كل فاحشة أو سبيل مفضية إليها.

٣ - العقوبات الواقعة على الأمم التي تظهر فيها الفواحش وتقر، كما حصل لقوم لوط ﷻ، وكما يدل عليه قول النبي ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»^(٤).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠١٩)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٢٣) وصححه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٦).

وقال ﷺ أيضًا: «فإن الفعل أوسع من الاسم، ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالاً لم يتَّسم منها بأسماء الفاعل، كأراد وشاء وأحدث، ولم يسمَّ بالمرید والشائي والمحدث، كما لم يسمَّ نفسه بالصانع والفاعل والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء. وقد أخطأ أقبح خطأ من اشتق له من كل فعل اسمًا وبلغ بأسمائه زيادة على الألف، فسماه الماكر والمخادع والقاتن والكائد ونحو ذلك، وكذلك باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به؛ فإنه يخبر عنه بأنه شيء وموجود ومذكور ومعلوم ومراد ولا يسمَّى بذلك»^(١).

وقال ﷺ: «أنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً أن يشتق له منه اسم مطلق، كما غلط فيه بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنی: المضل القاتن الماكر، تعالى الله عن قوله؛ فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمي بأسمائها»^(٢).

الثمرات:

١ - تعبُّد المؤمن لربه تعالى بتركه كل

(١) مدارج السالكين (٤١٥/٣) [دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ].

(٢) بدائع الفوائد (١/١٦٩) [مكتبة مصطفى نزار الباز، ١٤١٦هـ].

❁ مذهب المخالفين:

خالف في هذه الصفة عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فنوها عن الله تعالى؛ بحجة استلزامها للتشبيه وإضافة النقص إلى الله تعالى؛ لأنها انفعالات نفسية لا تكون إلا للمخلوق، ولذلك أولوها إلى معنى الزجر عن المعاصي، أو ما يغير من حال العاصي بالانتقام منه في الدنيا والآخرة، ونحو ذلك من التأويلات.

قال ابن فورك - في معنى غيرة الله ﷻ -: «المعنى ما أحد أكثر زجرًا عن الفواحش من الله»^(١).

❁ الرد عليهم:

الرد بنفي هذا اللازم الذي ذكروه في إثبات الصفة، فأهل السنة يثبتونها لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجه، ولا مماثلة فيه لشيء من صفات المخلوقين.

وما هذه الإلزامات التي يوردونها على الإثبات إلا تدليس وتلبيس لرد الحق؛ فإنهم أخذوا في مسمى الصفة خصائص المخلوق ثم نفوها جملة عن الخالق، وهذا في غاية التلبيس والإضلال، فإن الخاصة التي أخذوها في الصفة لم تثبت لها لذاتها، وإنما تثبت لها بإضافتها إلى

المخلوق، ومعلوم أن نفي خصائص صفات المخلوقين عن الخالق لا يقتضي نفي أصل الصفة عنه سبحانه، ولا إثبات أصل الصفة له يقتضي إثبات خصائص المخلوق له، كما أن ما نفي عن صفات الرب تعالى من النقائص والتشبيه لا يقتضي نفيه عن صفة المخلوق، ولا ما ثبت لها من الوجوب والقدم والكمال يقتضي ثبوته للمخلوق لإطلاق الصفة على الخالق والمخلوق، فالصفة الثابتة لله مضافة إليه لا يتوهم فيها شيء من خصائص المخلوقين لا في لفظها ولا في ثبوت معناها، وكل من نفي عن الرب تعالى صفة من صفاته لهذا الخيال الباطل لزمه نفي جميع صفات كماله؛ لأنه لا يعقل منها إلا صفة المخلوق، بل ويلزمه نفي ذاته؛ لأنه لا يعقل من الذوات إلا الذوات المخلوقة، ومعلوم أن الرب ﷻ لا يشبهه شيء منها^(٢).

ومن قال: إنَّ الغيرة انفعالات نفسانية؛ يقال له: كل ما سوى الله مخلوق منفعل ونحن وذواتنا منفعلة فكونها انفعالات فينا لغيرنا نعجز عن دفعها: لا يوجب أن يكون الله منفعلاً لها عاجزاً عن دفعها، وكان كل ما يجري في الوجود فإنه بمشيئته وقدرته لا

(٢) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (٨٥) [عالم الكتب]، والرسالة الأكملية ضمن مجموع الفتاوى (١١٩/٦).

(١) نقلًا عن فتح الباري لابن حجر (٢/٣٥١) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

يكون إلا ما يشاء ولا يشاء إلا ما يكون، له الملك وله الحمد. فصفة الغيرة ثابتة لله ﷻ على وجه الكمال الذي ليس فيه أي معنى من معاني النقص، ولا مماثلة لشيء من المخلوقين^(١).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستقامة» (ج ٢)، لابن تيمية.
 - ٢ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ٢)، لقوام السُّنة.
 - ٣ - «رسالة في الصفات الاختيارية»، لابن تيمية، [ضمن مجموع الرسائل (ج ٢)].
 - ٤ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، لعبد الله الغنيمان.
 - ٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في
- الكتاب والسُّنة»، لعلوي السقاف.
- ٦ - «صفة الغيرة لله تعالى: دراسة عقديّة في ضوء عقيدة أهل السُّنة والجماعة»، لمحمد العلي.
- ٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٦)، لابن تيمية.
- ٨ - «مدارج السالكين» (ج ٣)، لابن القيم.
- ٩ - «معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
- ١٠ - «إبطال التّأويلات لأخبار الصفات» (ج ١)، لأبي يعلى.

❁ الغيور ❁

يراجع مصطلح (الغيرة).



(١) الرسالة الأكملية ضمن مجموع الفتاوى (٦/١٢٠).

حرف الفاء

وقال البيهقي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «قال الحليمي في معنى الفاطر: إنه فاتق المرتق من السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَنَقْنَهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقال أبو سليمان [الخطابي]: الفاطر هو الذي فطر الخلق؛ أي: ابتداء خلقهم كقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١]»^(٢).

الفاطر

التعريف لغةً:

الفاطر اسم الفاعل للفعل (فطر)، والفاء والطاء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على فَتَحَ شيءٍ وإبرازه، من ذلك الْفَطْرُ من الصَّوم. وفَطَّرْتُ الشاةَ فَطْرًا، إذا حَلَبْتَهَا، والفِطْرَةُ: الخِلْقَةُ والجِبَلَةُ القابلة لدين الحق، والفِطْرُ: الابتداء والاختراع، وفَطَرَ اللهُ الْخَلْقَ يَفْطُرُهُم: خَلَقَهُمْ وبتأهم، وافتطر الأمر: ابتدعه، وفَطَرَ الشيءَ يَفْطُرُهُ فَطْرًا فانْفَطَرَ، وفَطَرَهُ: شَقَهُ، والفَطْرُ الشَّقُّ، ومنه فَطَرَ البئرَ، وفَطَرَ اللهُ الشجرَ بِالْوَرَقِ وتَفَطَّرَتِ الْأَرْضُ بالنبات، واليدُ والثوبُ: تَشَقَّقَت. وفَطَرَ نابُ البعيرِ: شَقَّ اللَّحْمَ وطلع^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

توافق المعنى الشرعي مع اللغوي من حيث أصل المعنى.

الأسماء الأخرى:

فاطر السماوات والأرض.

الحكم:

ذكر الله ﷻ عن نفسه أنه فاطر السماوات والأرض، فنشبت ذلك من أفعاله سبحانه، وندعوه بذلك كما ثبت في الأحاديث، وهذا الفعل المقيد خاص به سبحانه، لا ينسب ولا يطلق على أحد سواه. وهو بمعنى خالق، كما سبق.

التعريف شرعاً:

هو الذي خلق الخلق وابتدأهم وأبدعهم على غير مثال سابق.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤/٥١٠) [دار الفكر]، والصحاح (٢/٣٤٥)، والمحكم (٩/١٥٣) [دار الكتب العلمية، ط ٢٠٠٠م]، ولسان العرب (٥/٥٥) [دار صادر، ط ١، ١٤١٢هـ]، والقاموس المحيط (١٩٣/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٢) الأسماء والصفات (١/٧٦، ٧٧) [مكتبة السوادي].

● الأدلة:

صراط مستقيم^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو بكر: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت؟ قال: «قُلِ اللَّهُمَّ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه»، قال: فله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك^(٢).

● أقوال أهل العلم:

روى ابن ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه: في قوله: فاطر السماوات والأرض، قال: «بديع السماوات والأرض»^(٣).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، قال: ابتدأتها»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٠٦٧)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٣٩٢) وقال: «حسن صحيح»، وأحمد (٢٢٧/١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، والدارمي (كتاب الاستئذان، رقم ٢٧٣١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ٢٧٥٣).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٠٤/٧) [المكتبة العصرية]، وفي سنده ضعف.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٣١٧٠/١٠).

جاءت الأدلة في وصف الله تعالى بأنه فاطر السماوات والأرض مقيداً في ست آيات، وهي:

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِةَ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١].

وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الزمر: ٤٦].

وقوله: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ غَنِيٌّ غَنِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ وَلَا يُعْمَدُ﴾ [الأنعام: ١٤].

وقوله: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَآلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أِنِّي إِلَهُ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَقْنَاهُ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحَكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [فاطر: ١٧] [الشورى].

أما في السنة: فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت عائشة أم المؤمنين: بأي شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى

أسماء الله الحسنى من التعبيد له والدعاء به على الإطلاق، وإنما يقال: يا فاطر السماوات والأرض، كما جاءت النصوص الشرعية بذلك.

- المسألة الثانية: من صفات الله تعالى الْفَاطِرُ^(٤):

وهي من الصفات الفعلية، فالله فطر الخلق، دلَّ عليها الكتاب والسنة والعقل، ومن ذلك الأدلة التي دلَّت على فاطر السماوات والأرض، وسبق ذكرها، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، وقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيُّمُ﴾ [الروم: ٣٠]، وقوله: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢]، وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١].

ومن السنة ما ورد عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين» الحديث^(٥).

وعن الضحاك رحمته الله قال: «كل شيء في القرآن: فاطر السماوات والأرض؛ فهو خالق السماوات والأرض»^(١).

وقال ابن كثير رحمته الله: «فاطر السماوات والأرض؛ أي: خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تسمية الله صلى الله عليه وسلم بالفاطر:

اسم الفاطر بهذا الإطلاق لم يرد في القرآن أو السنة، وإنما ورد مقيدًا مضافًا إلى السماوات والأرض في ستة مواضع من القرآن قد سبق ذكرها.

وقد ذكر هذا الاسم عدد من العلماء على إطلاقه دون تقييد^(٣)، والحق أنه لم يرد مطلقًا في النصوص وإنما ورد مضافًا كما سبق، وقد جاء في بعض النصوص بصيغة: فطر، كما في قوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١].

وعلى هذا فالفاطر لا يأخذ أحكام

= وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٨٣/١١) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]. وهو عند البيهقي في الأسماء والصفات (٧٨/١) [مكتبة السوادي، ط ١]، وفيه: «أنا فطرتها؛ يريد: استحدثت حفرها».

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣١٧٠/١٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٤٣/٣) [دار طيبة، ط ٢].

(٣) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٢١٣، ٢١٤، ٢٤٨) [دار إيلاف، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٤) انظر: صفات الله صلى الله عليه وسلم للسقاف (١٩٦) [دار الهجرة، ط ١].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧١).

- المسألة الثالثة: أن الله ﷻ فطر الخلق على معرفته:

فالفطر السليمة تشهد له بربوبيته ووحدانيته، فهو أظهر دليل ولا يحتاج إلى دليل، فالنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقرّة لله بالإلهية، محبةً له تعبده لا تشرك به شيئاً ولكن يفسدها من يزين لها من شياطين الإنس والجن بما يوحي بعضهم إلى بعض من الباطل^(١).

والمقصود بالفطرة التي يولد عليها كل مولود كما جاء في الحديث ليست مجرد الخلق فحسب بل «هي السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة، فإن حقيقة الإسلام أن يستسلم لله لا لغيره، وهو معنى: لا إله إلا الله»^(٢).

والرسل ﷺ بُعثوا لتذكير العباد بهذه الفطرة التي فطرهم عليها ربهم ولدعوتهم لأن يعبدوه ويفردوه بالعبادة والإلهية ولا يشركوا معه أحداً. فتوحيد الألوهية هو المقصود والغاية من دعوة الرسل، لا توحيد الربوبية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولهذا لم تدع الرسل قط الأمم إلى الإقرار بالصانع ﷻ وإنما دعوهم إلى عبادته وتوحيده وخاطبهم خطاب من لا شبهة عنده قط

في الإقرار بالله تعالى ولا هو محتاج إلى الاستدلال عليه ولهذا: ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفَى اللَّهِ شَأْنُ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]. وكيف يصح الاستدلال على مدلول هو أظهر من دليله حتى قال بعضهم: كيف أطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء^(٣).

❁ الفروق:

الفرق بين الفطر والفعال:

الفطر إظهار الحادث بإخراجه من العدم إلى الوجود كأنه شق عنه فطره، وأصل الباب الشق ومع الشق الظهور ومن ثم قيل: تَفَطَّرَ الشجر؛ إذا تشقق بالورق، وفطرت الإناء: شققته، وفطر الله الخلق: أظهرهم بإيجاده إياهم كما يظهر الورق إذا تفتت عنه الشجر، ففي الفطر معنى ليس في الفعل، وهو الإظهار بالإخراج إلى الوجود قبل ما لا يستعمل فيه الظهور ولا يستعمل فيه الوجود^(٤).

الفرق بين الخالق وبين الفاطر والرّب:

إن الخلق عبارة عن التّقدير، وهو في حقّ الله تعالى عبارة عن علمه التّأفّذ في جميع الكلّيات والجزئيات، وأمّا كونه فاطراً فهو عبارة عن الإيجاد والإبداع،

(٣) مدارج السالكين (٢/٣٤٧) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ].

(٤) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٤٠٧) [مؤسسة النشر الإسلامي، ط١].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٢٠٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٢٤٥).

فكونه تعالى خالقاً إشارة إلى صفة العلم، وكونه فاطراً إشارة إلى صفة القدرة، وكونه تعالى رباً ومربياً على الأمرين فكان ذلك أكمل^(١).

❁ الآثار:

١ - أن العبد حينما يعتقد أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض، وما اشتملتا عليه من المخلوقات، يستشعر كمال قدرته، وسعة ملكه، وعموم رحمته، وبديع حكمته، وإحاطة علمه، فيزداد لربه محبة وتوكلًا عليه وطلبًا لهديته، ويرأى من كل ما يعبد من دون الله، كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف].

٢ - وكذلك يُسلم وجهه لربه فيخلص عمله له كما قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام]. وكما في دعاء الاستفتاح في الصلاة، ويحمد الله تعالى كما حمد سبحانه نفسه فله الحمد فاطر السماوات والأرض.

كما أنه لا يشك ولا يرتاب في ربه كفعل المشركين الذين جادلوا رسلهم،

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٧/٨) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ].

بل هو على يقين بربوبيته وألوهيته.

٣ - وعلى العبد ألا يتخذ ولياً من دون الله الذي فطره والذي يطعمه ويسقيه، وهو منزّه عن الطعام والشراب، بل يتخذهُ ولياً فهو نعم المولى والولي ونعم النصير، كدأب الرسل عليهم الصلاة والسلام، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠١].

٤ - الاقتداء برسول الله في توسله بفاطر السماوات والأرض، فيتوسل به؛ لأن يهديه الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فإن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ويتوسل به بأن يعيذه من شرور نفسه من رياء وشرك وحقد وحسد وغيرها من الشرور، ومن شر الشيطان وشركه.

❁ مذهب المخالفين:

من المعلوم أن الله فطر عباده على معرفته وعبادته ومحبته والسلامة من الاعتقادات الباطلة، فمعرفته سبحانه مركوزة في النفس الإنسانية، منذ أخذ الله الميثاق والعهد على بني آدم لما أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام، ووجوده سبحانه لا يحتاج إلى دليل، فهو أظهر من الشمس في رابعة النهار، فهو فاطر السماء والأرض، لذلك قالت الرسل

[إبراهيم: ١٠] أيشك في الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده؟ وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول، فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى؟ ثم نبهوا على الدليل بقولهم: فاطر السماوات والأرض.

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية - قدس الله روحه - يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء، وكان كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما^(٣).

المصادر والمراجع:

١ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، للبيهقي.

٢ - «الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في نفي صفات الله ﷻ والرد عليها من كتب شيخ الإسلام» (ج ١ و ٢ و ٣)، لعبد القادر عطا صوفي.

٣ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للتيمي.

٤ - «درء التعارض» (ج ٨)، لابن تيمية.

لأقوامها: أفي الله شك فاطر السماوات والأرض، إلا أن الجهمية ومن سار على نهجهم من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية - متأثرين بالفلاسفة - خالفوا ذلك، ووضعوا أصولًا وسننوا قوانين لإثبات وجود الخالق، مثل دليل حدوث الأجسام والأعراض وغيرها^(١)، وجعلوا النظر في ذلك هو أوجب الواجبات وأولها، ويكفي لبطلانها أنها أصول وقواعد جرّتهم إلى نفي صفات الله تعالى، ولوازم فاسدة، ومخالفة لطريق الرسل وسلف الأمة، فصعّبوا ما هو سهل ومعروف لدى العام والخاص؛ إذ إن «وجوده سبحانه وربوبيته وقدرته أظهر من كل شيء على الإطلاق، فهو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار وأبين للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده، فما ينكره إلا مكابر بلسانه وقلبه وعقله وفطرته وكلها تكذبه»^(٢).

ويقول ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فأما الاستدلال بالصنعة فكثير، وأما الاستدلال بالصانع فله شأن، وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم لأممهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾»

(١) انظر أقوالهم والرد عليها في: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في نفي صفات الله ﷻ والرد عليها من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية (ج ١ و ٢ و ٣) لعبد القادر عطا صوفي [أضواء السلف، ط ٢، ١٤٢٦هـ].

(٢) مفتاح دار السعادة (١/٢١٢). وانظر: شفاء العليل (٢٥٣) [دار الفكر].

(٣) مدارج السالكين (١/٦٠).

الواقدي من طريق أبي جعفر الصادق عن العباس، وجزم به المدائني وابن سعد^(٢).

القول الثاني: أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ، وهذا نقله ابن عبد البر^(٣) عن عبيد الله بن محمد الهاشمي.

القول الثالث: أنها ولدت قبل البعثة بقليل، نحو سنة أو أكثر، وهذا قول الذهبي^(٤) وابن حجر فيما يظهر من سياق كلامه^(٥).

وأما وفاتها فقد توفيت بعد النبي ﷺ بستة أشهر كما في الصحيح^(٦)، في ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان في سنة إحدى عشرة، عن بضع وعشرين سنة^(٧)، قال الذهبي: «عاشت أربعاً أو خمساً وعشرين سنة، وأكثر ما قيل: إنها عاشت تسعاً وعشرين سنة، والأول أصح»^(٨). وقال ابن حجر: «وماتت بعد

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٦/٨) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٣) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/١٨٩٣) [دار الجيل، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/١١٩).

(٥) انظر لهذه الأقوال: الإصابة (٨/٥٤).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

(٧) الطبقات لابن سعد (٨/٢٣)، وتاريخ خليفة بن خياط (٩٦) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٣٩٧هـ]، والبداية والنهاية (٩/٤٨٥، و٤٩٠) [دار هجر، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٨) سير أعلام النبلاء (٢/١٢١).

٥ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤، ١٦)، لابن تيمية.

٨ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.

٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنى»، للتميمي.

١٠ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج ٢)، للحمود.

فاطمة بنت النبي محمد ﷺ

اسمها ونسبها:

فاطمة بنت رسول الله محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، الهاشمية القرشية ﷺ^(١).

مولدها ووفاتها:

اختلف في سنة مولدها على أقوال:

القول الأول: أنها ولدت قبل البعثة، حين كان عمر النبي ﷺ خمساً وثلاثين سنة، عام بناء الكعبة، وهذا القول نقله

(١) طبقات خليفة بن خياط (٣٠) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٧/٢١٦) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ]، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٥/٢٤٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٠هـ]، وسير أعلام النبلاء (٢/١١٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ]، والإصابة في تمييز الصحابة (٨/٥٣).

فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ: أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران^(٥).

- أنها ﷺ بضعة من النبي ﷺ، يغضبه ما يغضبها، ويؤذيه ما يؤذيها، ويريبه ما يريبها، كما ثبت من حديث المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني»^(٦).

وعن المسور بن مخرمة أيضًا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «إنما هي بضعة مني، يربيني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها»^(٧).

قال الذهبي: «ومناقبها غزيرة، وكانت صابرة، دينية، خيرة، صينة، قانعة، شاكرة لله. وقد غضب لها النبي ﷺ لما بلغه أن أبا الحسن هم بما رآه سائغًا من خطبة بنت أبي جهل... فترك علي

النبي ﷺ ستة أشهر، وقد جاوزت العشرين بقليل»^(١). وثبت في الصحيح من حديث عائشة ﷺ أن فاطمة ﷺ «لما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها»^(٢).

❁ فضائلها:

- أنها سيدة نساء أهل الجنة، كما جاء من حديث حذيفة ﷺ أنه قال: قال النبي ﷺ: «إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم عليّ، ويبشرنى بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»^(٣).

وثبت من حديث أم المؤمنين عائشة أن فاطمة ﷺ بنت النبي ﷺ حدثتها أن النبي ﷺ قال لها: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك»^(٤).

وجاء من حديث ابن عباس ﷺ قال: «خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط، قال: تدرون ما هذا؟

(١) تقريب التهذيب (رقم ٨٦٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٨١)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وأحمد (٣٨/٣٥٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٦٩٦٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٢٦/٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٦٢٤).

(٥) أخرجه أحمد (٤٠٩/٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والنسائي في السنن الكبرى (كتاب المناقب، رقم ٨٢٩٧)، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٧٠١٠)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣٥/٧) [دار المعرفة]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٠٨).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧١٤) واللفظ له، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٩).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٢٣٠)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٩).

الخطبة رعاية لها، فما تزوج عليها، ولا تسرى، فلما توفيت تزوج، وتسرى ﷺ»^(١).

- أنها إحدى نساء العالمين الأربع في الفضل، لما جاء من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون»^(٢).

مكانتها:

كانت فاطمة ﷺ عالية القدر رفيعة الدرجة سامية المنزلة، فعن ابن جريج قال: «قال لي غير واحد كانت فاطمة أصغر بنات النبي ﷺ وأحبهن إليه»^(٣). وقال الذهبي: «وقد كان النبي ﷺ يحبها ويكرمها ويسر إليها»^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ميراث فاطمة ﷺ من أبيها ﷺ:

لما توفي النبي ﷺ طلبت فاطمة ﷺ

(١) سير أعلام النبلاء (٢/١١٩، ١٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٧٨) وصححه، وأحمد (٣٨٣/١٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٠٣)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٧٤٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٥٧٣) [مكتبة المعارف، الرياض، ط١].

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/٥٣).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/١١٩).

من أبي بكر الصديق ﷺ أن يعطيها من ميراث أبيها، فأخبرها الصديق ﷺ بأن النبي ﷺ لا يورث، وأن ما تركه صدقة، كما ثبت من حديث عائشة ﷺ: «أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي ﷺ، فيما أفاء الله على رسوله ﷺ، تطلب صدقة النبي ﷺ التي بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا فهو صدقة»

إنما يأكل آل محمد من هذا المال، - يعني: مال الله - ليس لهم أن يزيدوا على المأكل، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقات النبي ﷺ التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ. فتشهد علي ثم قال: إننا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك - وذكر قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقهم - فتكلم أبو بكر فقال: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي»^(٥). وفي رواية: «فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا

(٥) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧١١، ٣٧١٢)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

بكر، وصلّى عليها»^(١).

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم - منهم الذهبي^(٢) وابن كثير - أنها لم تمت حتى جاءها الصديق ﷺ وترصّأها، فرضيت عنه في مرض وفاتها، حيث قال: «ولما مات رسول الله ﷺ سألت من أبي بكر الميراث، فأخبرها أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا فهو صدقة»^(٣). فسألت أن يكون زوجها ناظرًا على هذه الصدقة، فأبى ذلك وقال: إني أعول من كان رسول الله ﷺ يعول، وإني أخشى إن تركت شيئًا مما كان رسول الله ﷺ يفعلهُ أن أضل، ووالله لقراءة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي. فكأنها وجدت في نفسها من ذلك، فلم تزل مغضبة مدة حياتها، فلما مرضت جاءها الصديق، فدخل عليها فجعل يترصّأها، وقال: والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله ومرضاتكم أهل البيت. فرضيت ﷺ»^(٤). وقد رواه ابن سعد فقال: «أخبرنا عبد الله بن نمير،

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢١/٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى (كتاب قسم الفيء والغنمة، رقم ١٢٧٣٥) عن الشعبي مرسلًا، وقال: «هذا مرسل حسن بإسناد صحيح». وانظر: البداية والنهاية (٤٨٩/٩).

حدثنا إسماعيل عن عامر قال: جاء أبو بكر إلى فاطمة حين مرضت، فاستأذن فقال علي: هذا أبو بكر على الباب فإن شئت أن تأذني له. قالت: وذلك أحب إليك؟ قال: نعم. فدخل عليها واعتذر إليها وكلمها فرضيت عنه»^(٥).

قال ابن حجر عقب إيراد هذا الأثر وحكمه عليه: «وبه يزول الإشكال في جواز تماذي فاطمة ﷺ على هجر أبي بكر ﷺ، وقد قال بعض الأئمة: إنما كانت هجرتها انقباضًا عن لقائه والاجتماع به، وليس ذلك من الهجران المحرم؛ لأن شرطه أن يلتقيا فيعرض هذا وهذا، وكأن فاطمة ﷺ لما خرجت غضبي من عند أبي بكر تمادت في اشتغالها بحزنها ثم بمرضها.

وأما سبب غضبها مع احتجاج أبي بكر ﷺ بالحديث المذكور؛ فلاعتقادها تأويل الحديث على خلاف ما تمسك به أبو بكر ﷺ، وكأنها اعتقدت تخصيص العموم في قوله: «لا نورث»، ورأت أن منافع ما خلفه من أرض وعقار لا يمتنع أن تورث عنه، وتمسك أبو بكر بالعموم، واختلفا في أمر محتمل للتأويل، فلمّا صمّم على ذلك انقطعت عن الاجتماع به

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٧/٨) [دار صادر، ط ١]، وقال ابن حجر في فتح الباري (٦/٢٠٢) [دار المعرفة]: «وهو وإن كان مرسلًا فإسناده إلى الشعبي صحيح».

الثالث سَمَّيته حربًا، فجاء النبي ﷺ فقال: «أروني ابني، ما سَمَّيته؟» قلت: حربًا. قال: «بل هو محسن». ثم قال: «سميتهم بأسماء ولد هارون شبر، وشبير، ومشبر»^(٤).

- المسألة الثالثة: أنها من أصحاب الكساء:

وهم النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، لحديث عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: «لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب] في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره، فجللهم بكساء، ثم قال: اللّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير»^(٥).

لذلك، فإن ثبت حديث الشعبي أزال الإشكال، وأخلق بالأمر أن يكون كذلك؛ لما علم من وفور عقلها ودينها^(١). وعلى كل حال ينبغي على المرء، أن يتذكر أن كلاً من أبي بكر وفاطمة ﷺ من المبشرين بالجنة، وعليه فلا يطلق العنان للسان للفدح في واحد منهما.

- المسألة الثانية: زواجها من علي بن أبي طالب ﷺ:

تزوجها علي بن أبي طالب ﷺ في السنة الثانية من الهجرة النبوية الشريفة^(٢)، فأنجبت له الحسن، والحسين، ومُحسناً الذي مات صغيراً، وأم كلثوم الكبرى، وزينب الكبرى، ولم يتزوج علي عليها غيرها حتى مات^(٣).

وروي من حديث علي ﷺ أنه قال: «لما ولد الحسن سَمَّيته حربًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني ابني، ما سَمَّيته؟» قال: قلت: حربًا. قال: «بل هو حسن». فلما ولد الحسين سَمَّيته حربًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني ابني، ما سَمَّيته؟» قال: قلت: حربًا. قال: «بل هو حسين». فلما ولد

(١) فتح الباري لابن حجر (٢٠٢/٦).

(٢) انظر: تقريب التهذيب (رقم ٨٦٥٠).

(٣) انظر: الطبقات لابن سعد (١٤/٣)، والمعارف لابن قتيبة (٢١٠) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٩٢م]، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/١٨٩٤)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٢/٢٤، ٥/٦٩)، والبداية والنهاية (١١/٢٥).

(٤) أخرجه أحمد (١٥٩/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٦٩٥٨)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٧٧٣) وصححه، وصحح إسناده ابن حجر في الإصابة (١٩٢/٦) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٨٧) وقال: غريب من هذا الوجه. وله شاهد عند الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٧١)، وأحمد (٢١٧/٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني أيضًا في تعليقه على جامع الترمذي.

وهذا الحديث وأمثاله مما في معناه، يدل على دخول علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ في مسمى آل البيت، وعلى فضلهم وشرفهم ﷺ.

- المسألة الرابعة: فيما بني علي حديث الكساء من إخراج نساء النبي ﷺ عن أهل البيت:

تشبث الروافض بحديث الكساء؛ لإخراج أمهات المؤمنين عن أهل البيت^(١)، مع أن الحديث لا يدل على حصر مسمى آل البيت فيهم، وإخراج من سواهم عن مسمى آل البيت، كزوجاته وولده ونحوهم ممن يدخلون في مسمى آل البيت بالأدلة الصحيحة، وقد اشدت نكير أهل العلم على من أخرج أمهات المؤمنين عن مسمى آل البيت استناداً إلى هذا الحديث وأمثاله مما يدل على فضل أهل الكساء، وأكدوا على أن آية الأحزاب نص صريح في دخول أمهات المؤمنين في مسمى آل البيت من ثلاث جهات، وهي نزول الآية فيهن، والسياق والسباق فيهن، ودلالة اللغة كذلك عليهن، وهو أن (أل) في ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ للعهد، وهي بيوت النبي ﷺ التي فيها نساءه.

(١) هذا القول وإن لم ينفرد به الروافض إلا أنهم قالوه حقاً وغلاً في أمهات المؤمنين، وجعلوه ديدنهم، وسلبوا للطنن به فيهن، أما غيرهم فقد قالوه اجتهاداً فقط، وهو غير صحيح.

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ﴿٣٣﴾ [الأحزاب]: «وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هاهنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً...، وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ﴿٣٣﴾ نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة، وهكذا روى ابن أبي حاتم... عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ قال: نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة.

وقال عكرمة: من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ.

فإن كان المراد: أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن، ففي هذا نظر؛ فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم^(٢).

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «إن قرينة السياق صريحة في دخولهن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿قُلْ لِرِجَالِكُمْ إِن كُنتُمْ تُرِيدُونَ﴾ [الأحزاب: ٢٨]، ثم قال في نفس خطابه لهن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

(٢) تفسير ابن كثير (٦/٤١٠، ٤١١) [دار طيبة، ط ٢].

لظهور دخولها في مسمى آل البيت، قال الألوسي: «وما أجاب به أم سلمة، وعدم إدخالها في بعض المرات تحت الكساء، ليس لأنها ليست من أهل البيت أصلاً، بل لظهور أنها منهم؛ حيث كانت من الأزواج اللاتي يقتضي سياق الآية وسباقها دخولهن فيهم، بخلاف من أدخلوا تحته - رضي الله تعالى عنهم - فإنه - عليه الصلاة والسلام - لو لم يدخلهم ويقل ما قال، لتوهم عدم دخولهم في الآية لعدم اقتضاء سياقها وسباقها ذلك»^(٤).

وبهذا يظهر جلياً أن استدلالات الروافض كلها استدلالات واهية، وتعلقات هزيلة، ومآخذ هشة تنبئ عن إفلاس القوم عن الحجة والبرهان.

- المسألة الخامسة: في ادعاء العصمة لجميع أهل الكساء:

معلوم أن العصمة لم يحظ بها من البشر إلا الأنبياء ﷺ، ولكن يدعي الروافض أن علياً وفاطمة وابنيهما ﷺ معصومون، واحتجوا لذلك بحديث الكساء المتقدم، وبآية الأحزاب وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وسعوا

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ»، ثم قال بعده: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي يَوْمِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٤]. وقد أجمع جمهور علماء الأصول على أن صورة سبب النزول قطعية الدخول، فلا يصح إخراجها بمخصص... فالحق أنهم داخلات في الآية^(١).

وقال ابن عاشور: «وقد تلقف الشيعة حديث الكساء فغضبوا وصف أهل البيت، وقصروه على فاطمة وزوجها وابنيهما عليهم الرضوان، وزعموا أن أزواج النبي ﷺ لسن من أهل البيت. وهذه مصادمة للقرآن بجعل هذه الآية حشواً بين ما خوطب به أزواج النبي ﷺ، وليس في لفظ حديث الكساء ما يقتضي قصر هذا الوصف على أهل الكساء؛ إذ ليس في قوله: «هؤلاء أهل بيتي» صيغة قصر، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ صِيفِي﴾ [الحجر: ٦٨] ليس معناه ليس لي صيف غيرهم»^(٢).

وقوله في آخر الحديث: «قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير»^(٣) ليس معناه أنها خارجة عن مسمى أهل البيت كما توهمه الروافض، بل كان تركها

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن (٢٣٧/٦) [دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ].

(٢) التحرير والتنوير (١٦/٢٢) [الدار التونسية].

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تفسير الألوسي (١٩٦/١١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ].

والإمام. فقد وقع الاتفاق على انتفاء العصمة المختصة بالنبي ﷺ والإمام عن أزواجه وبناته وغيرهن من النساء، وإذا كان كذلك امتنع أن يكون التطهير المدعو به للأربعة متضمناً للعصمة التي يختص بها النبي ﷺ والإمام عندهم، فلا يكون من دعاء النبي ﷺ له بهذه العصمة؛ لا لعلي ولا لغيره، فإنه دعا بالطهارة لأربعة مشتركين لم يختص بعضهم بدعوة^(١).

ثم ذكر شيخ الإسلام أن كون الروافض في باب القدر قدرية يمتنع معه القول بالعصمة، فيقول: «وأيضاً فالدعاء بالعصمة من الذنوب ممتنع على أصل القدرية، بل وبالتطهير أيضاً؛ فإن الأفعال الاختيارية - التي هي فعل الواجبات وترك المحرمات - عندهم غير مقدورة للرب، ولا يمكنه أن يجعل العبد مطيعاً ولا عاصياً، ولا متطهراً من الذنوب ولا غير متطهر، فامتنع على أصلهم أن يدعو لأحد بأن يجعله فاعلاً للواجبات تاركاً للمحرمات، وإنما المقدور عندهم قدرة تصلح للخير والشر، كالسيف الذي يصلح لقتل المسلم والكافر، والمال الذي يمكن إنفاقه في الطاعة والمعصية، ثم العبد يفعل باختياره؛ إما الخير وإما الشر بتلك

لإثبات هذا غاية السعي، وتعلقوا في سبيل هذا بكل ما هب ودب، وقد تقدم أن حديث الكساء لا يدل على أكثر من بيان فضل هؤلاء، والتنويه بدخولهم في مسمى أهل البيت، والدعاء لهم بأن يكونوا من المطهرين.

وأما ما زاد على هذا القدر، كدعوى العصمة لهم ونحوه، فيحتاج لإثباته إلى دليل آخر صحيح صريح - ولا وجود لمثل هذا في دين الإسلام - وإلا أصبحت دعوى مجردة، وكما قيل: والدعاوي ما لم تقيموا عليها بينات أصحابها أدياء، وأما آية الأحزاب المذكورة فهي بالنظر إلى سياقها وسبب نزولها فهي كذلك لا تتعدى التنصيص على أن نساء النبي ﷺ ومن معهن هم آل البيت، وأن الله فضّلهم على غيرهم، وليس فيها أي إشارة إلى عصمة علي وفاطمة وابنيهما ﷺ، بل إن الآية لا تشير إليهم إشارة صريحة، ولو يأت حديث الكساء وأمثاله مما يدل على دخولهم في مسمى أهل البيت لتوهم أنهم ليسوا من أهل البيت، فضلاً عن دلالتها على عصمتهم. قال ابن تيمية: «وبالجملة فالتطهير الذي أراده الله، والذي دعا به النبي ﷺ، ليس هو العصمة بالاتفاق، فإن أهل السنة عندهم لا معصوم إلا النبي ﷺ، والشيعه يقولون: لا معصوم غير النبي ﷺ

(١) منهاج السنة النبوية (٧/ ٨٣، ٨٤).

«لا نورث، ما تركنا فهو صدقة»^(٢)، تارة يقولون: إنه حديث موضوع وكذب على رسول الله ﷺ قصد به حرمان فاطمة من ميراث أبيها^(٣)، وتارة يزعمون أنه خبر واحد ينقضه القرآن الذي دل على أن الأنبياء يورثون^(٤)، وتارة يعطلون دلالاته بالتأويل الفاسد؛ حيث حرفوا (نورث) إلى يورث، ونصبوا (صدقة) على الحال بدل رفعها، وزعموا أن هذا هو الصواب في ضبط الحديث، ليسلم لهم أن ما تركه النبي ﷺ على جهة صدقة لا يورث، وغيره مما تركه يورث^(٥). وبعضهم جعل (ما) في بعض روايات الحديث: «لا نورث ما تركنا صدقة»^(٦) نافيةً و(صدقة) منصوبة؛ ليصبح المعنى: أنه ﷺ لم يترك صدقة^(٧).

🌀 الرد عليهم:

أولاً: دعوى كون النبي ﷺ يورث

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: مستند الشيعة للنراقي (٩/١٩) [مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط ١، ١٤١٩هـ]، وأضواء على الصحيحين لمحمد صادق النجفي (٣٨٠) [مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٤) انظر: المسائل الصاغانية للمفيد (٩٩) [دار المفيد، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(٥) انظر: الروض المختارة (شرح القوائد الهاشميات للكلميت الأسدي) (٨١) (هامش ٣) [مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣٠٩٣)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

(٧) انظر: البداية والنهاية (١٩٩/٨).

القدرة. وهذا الأصل يبطل حجتهم، والحديث حجة عليهم في إبطال هذا الأصل، حيث دعا النبي ﷺ لهم بالتطهير. فإن قالوا: المراد بذلك أنه يغفر لهم ولا يؤاخذهم، كان ذلك أدل على البطلان من دلالاته على العصمة. فتبين أن الحديث لا حجة لهم فيه بحال على ثبوت العصمة. والعصمة مطلقاً - التي هي فعل المأمور وترك المحذور - ليست مقدورة عندهم لله، ولا يمكنه أن يجعل أحداً فاعلاً لطاعة ولا تاركاً لمعصية، لا لنبي ولا لغيره، فيمتنع عندهم أن من يعلم أنه إذا عاش يطيعه باختيار نفسه لا بإعانة الله وهدايته، وهذا ممّا يبين تناقض قولهم في مسائل العصمة كما تقدم. ولو قدر ثبوت العصمة، فقد قدمنا أنه لا يشترط في الإمام العصمة، ولا إجماع على انتفاء العصمة في غيرهم، وحينئذٍ فتبطل حجتهم بكل طريق^(١).

🌀 موقف المخالفين منه:

- الروافض:

يعتقد الروافض أن النبي ﷺ يورث غيره من الناس، ولكن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما منعوا فاطمة بنت النبي ﷺ من ميراثها، بل واستردّا منها ما أعطاهما أبوها في حياته ﷺ كفدك، وأن حديث:

(١) منهاج السنّة النبوية (٧/٨٣ - ٨٥).

الناس عن الدنيا، فلا يتصور حرص زكريا ﷺ على ماله إلى درجة أنه يأنف من وراثته عصباته له، فيدعو ربه بالحاح أن يرزقه ولدًا يرث ماله.

الرابع: أن وراثته سليمان لداود ﷺ هي وراثته النبوة أيضًا؛ لأنها لو كانت وراثته مال لما حُصَّ بها سليمان ﷺ من بين إخوته، ولما كان في الإخبار بها كبير فائدة؛ لما هو مستقر في جميع الشرائع من أن الولد يرث مال أبيه، ولكن لما كانت وراثته نبوة حسن الإخبار بها^(٥).

الخامس: هب أن الأنبياء ﷺ يورثون، فإن النبي محمدًا ﷺ ليس كذلك؛ لأنه ﷺ قد حُصَّ بخصائص عدة، منها: أنه لا يورث^(٦) كما في الحديث السابق.

وأما قول الله تعالى: ﴿يُؤْتِيكَ اللَّهُ فِي الْأَوْلَادِ الذَّكَرَ الْفَضْلَ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ١١] فالنبي ﷺ مُستثنى منه بنص الحديث السابق الذي احتج به الصديق على المنع من إرث النبي ﷺ.

وأما ضبطهم للحديث على نحو ما سبق فهو تحريف ظاهر لأمر؛ منها:

- أنه مصادم لبعض ألفاظ الحديث

دعوى فاسدة؛ لمصادمتها صريح صحيح السنَّة، وهو قوله: «لا نورث، ما تركنا فهو صدقة»^(١).

ثانيًا: أنه قد وافق الصديق على رواية هذا الحديث عن النبي ﷺ جماعة؛ منهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وأبو هريرة ﷺ^(٢)، وهذا يكشف أكاذيب الروافض، الذين يزعمون أنه خبر واحد^(٣).

ثالثًا: أن احتجاج الروافض على أن الأنبياء يورثون بقوله تعالى: ﴿يَرْثُ وَيَرْثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مریم: ٦] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [النمل: ١٦] فلا يصح لأمر:

الأول: أن الأنبياء لا يورثون مألًا؛ لما صح من حديث أبي بكر الصديق ﷺ وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «لا نورث، ما تركناه صدقة»^(٤).

الثاني: أن زكريا ﷺ كان نجارًا، يأكل من كسب يديه كداود ﷺ، ومثل هذا لا يجمع مألًا، ولا سيما الأنبياء؛ فهم أزهة الناس، ولم يُذكر أنه كان ذا مال.

الثالث: أن الأنبياء ﷺ هم أزهة

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: المصدر نفسه (٣٩٨/٢).

(٣) انظر: المسائل الصاغانية للمفيد (٩٩).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٧).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٥/٢١٢ - ٢١٣)، والبداية

والنهاية (٢/٣٩٨).

(٦) البداية والنهاية (٨/١٩٩).

فاطمة وهم: هو وولده منها ﷺ، مع ما عُرف به علي ﷺ من الشجاعة المتناهية، وعدم الخوف في الله لومة لائم.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج ٤)، لابن عبد البر.
- ٢ - «أسد الغابة في معرفة الصحابة» (ج ٢، ٥، ٧)، لابن الأثير.
- ٣ - «البداية والنهاية» (ج ٩)، لابن كثير.
- ٤ - «تاريخ خليفة بن خياط».
- ٥ - «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (ج ٣٥)، للزمي.
- ٦ - «سير أعلام النبلاء» (ج ٢)، للذهبي.
- ٧ - «الطبقات الكبرى» (ج ٨)، لابن سعد.
- ٨ - «طبقات خليفة بن خياط».
- ٩ - «فتح الباري» (ج ٦)، لابن حجر.
- ١٠ - «المعارف»، لابن قتيبة.

الفأل

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمته الله: «الفاء والألف واللام: الفأل ما يُتفاءل به»^(٤).

والفأل: ضد الطيرة، والجمع فؤول.

(٤) مقاييس اللغة (٤/١٩٦) [دار الجليل، ط ١٤٢٠هـ].

الصحيح: «لا نورث، ما تركنا فهو صدقة»^(١)، فهذا لا يقبل التأويل المذكور لمن تجرد وأنصف ولم يكاثر.

- أنه مصادم لما توارد عليه أهل الحديث، عبر عصورهم المختلفة وأزمنتهم العديدة، من أن لفظ الحديث: «لا نورث» بالنون لا بالتحتانية، و«صدقة» بالرفع لا بالنصب.

- أنه لو كان الأمر كما يدّعيه الروافض في ضبط الحديث، لما صح احتجاج الصديق علي فاطمة رحمته الله حينما التمتست منه من الذي تركه والدها النبي رحمته الله، وهما من أعلم الناس بمدلولات الألفاظ^(٢).

وأما جعلهم (ما) في الحديث نافية فهذا مردود بأمور؛ منها: أول الحديث وهو قوله: «لا نورث»، ومنها: حديث أبي هريرة رحمته الله أن رسول الله رحمته الله قال: «لا يقتسم ورثتي ديناراً ولا درهماً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة»^(٣).

ومما يدل على كذب الروافض في دعوى الإرث، أن علياً رحمته الله لما ولي الأمر لم يُرجع الفدك ولا غيرها إلى ورثة

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/٢٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الوصايا، رقم ٢٧٧٦)،

ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٦٠).

وانظر: البداية والنهاية لابن كثير (٨/١٩٩).

به، ويتبرك به، على معنى الاستبشار، والفرح بما يسمع من الكلام الحسن.

الحكم:

استعمال الفأل مما أذن فيه شرعاً، وهو من الأمور المستحبة؛ لما فيه من حسن ظن بالله ﷻ، وتقوية للعزائم، وفتح لأبواب الخير، وشحد للهمم، ولهذا كان النبي ﷺ يحبه ويعجبه (٤).

الحقيقة:

حقيقة الفأل أن يفعل أمراً، أو يعزم عليه، متوكلاً على الله تعالى، فيسمع الإنسان الكلمة الحسنة، أو يرى شيئاً يستحسنه يرجو منه أن يحصل له غرضه الذي قصد تحصيله، كأن يسمع طالبٌ لحاجته أو ضالته رجلاً يقول: يا واجد، فيقع في قلبه أنه يجد حاجته، رجاءً بالله تعالى، أو يسمع المريض آخر يقول: يا سليم فيقع في قلبه أنه سيشفى بإذن الله تعالى، وهذا معنى ما فسّر به النبي ﷺ الفأل (٥).

الأدلة:

في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه؛

(٤) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٤٠، ٣٤١) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ].

وسياتي تخريج الحديث قريباً.

(٥) انظر: أعلام الحديث (٤/٢١٣٥، ٢١٣٦)، والنهاية في غريب الحديث (٣/٤٠٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣/٦٦، ٦٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٢٥هـ].

يقال: تفاءلت بكذا وتفاءلت على التخفيف والقلب، وقد أولع الناس بترك همزه تخفيفاً. والفأل أن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول يا سالم، أو يكون طالباً فيسمع آخر يقول يا واجد، يقال تفاءلت بكذا (١).

التعريف شرعاً:

الفأل: الكلمة الطيبة أو الحسنة، يسمعها الإنسان، فيتأولها على المعنى الذي يطابق اسمها، إحساناً بالله تعالى الظن (٢).

قال أبو سليمان الخطابي رضي الله عنه: «قد أعلم النبي ﷺ أن الفأل إنما هو أن يسمع الإنسان الكلمة الحسنة، فيفأل بها؛ أي: يتبرك بها، ويتأولها على المعنى الذي يطابق اسمها، واستحب الفأل بالكلمة الحسنة يسمعها من ناحية حسن الظن بالله تعالى» (٣).

سبب التسمية:

سمي الفأل بذلك؛ لأنه مما يتفاءل

(١) انظر: الصحاح (٥/١٧٨٨) [دار العلم للملايين، ط٣]، ولسان العرب (١٠/١٦٦-١٦٧) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ]، وترتيب القاموس المحيط (٣/٤٤١) [دار عالم الكتب، ط٤، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: معالم السنن (٤/٤٠٢) [المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥٢هـ]، وأعلام الحديث (٤/٢١٣٥) [جامعة أم القرى، مكة، ط١، ١٤٠٩هـ]، والنهاية في غريب الحديث (٣/٤٠٦) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) معالم السنن (٤/٤٠٢).

أنه ﷺ سئل: ما الفأل؟ فقال: «الكلمة الصالحة يسميها أحدكم»^(١).

وفيهما أيضًا أن النبي ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة، وأحب الفأل الصالح»^(٢).

ولهما عن النبي ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل». قيل: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة»^(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، مما ينفعها، كما أخبرهم أنه حُبُّ إليه من الدنيا النساء والطيب»^(٦).

✽ الشروط:

قال حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللهُ: «ومن شرط الفأل أن لا يعتمد عليه، وأن لا يكون مقصودًا، بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون على بال»^(٧).

✽ المسائل المتعلقة:

- حكم استفتاح الفأل من المصحف:
لم ينقل عن السلف فيه شيء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأما استفتاح الفأل من المصحف فلم ينقل عن السلف فيه شيء، وقد تنازع فيه المتأخرون، وذكر القاضي أبو يعلى فيه نزاعًا: ذكر عن ابن بطة أنه فعله، وذكر عن غيره أنه كرهه؛ فإن هذا ليس الفأل الذي يحبه رسول الله ﷺ، فإنه كان يحب الفأل ويكره الطيرة، والفأل الذي يحبه هو أن يفعل أمرًا أو يعزم عليه

✽ أقوال أهل العلم:

قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: «وإنما أحبَّ النبي ﷺ الفأل؛ لأن فيه رجاء الخير والعائدة، ورجاء الخير أحسن للإنسان من اليأس، وقطع الرجاء عن الخير»^(٤).

وقال أبو عبد الله الحلبي رَحِمَهُ اللهُ: «وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل؛ لأنَّ التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب ظاهر، والتفاؤل حُسن ظنَّ به، والمؤمن مأمورٌ بحسن الظن بالله تعالى على كل حال»^(٥).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٤)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٦) من حديث أنس، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٣) من حديث أبي هريرة، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٧٦)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٤) واللفظ له.

(٤) شرح السنَّة للبغوي (١٧٥/١٢) [المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ].

(٥) المنهاج في شعب الإيمان (٢/٢٥) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ].

(٦) مفتاح دار السعادة (٣/٣٠٦) [دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٧) معارج القبول (٣/١١٦٤) [دار ابن الجوزي، ط ٦، ١٤٣٠هـ].

والطيرة قد تكون مقصودة ابتداءً، ويتعلق قلب المتطير بها فيما يمضيه أو يرده^(٢).

٤ - الفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد، والطيرة تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك.

٥ - الفأل يبعث على انشراح الصدور، وطمأنينتها، ويفتح باب الرجاء، وأما الطيرة فتبعث على ضيق الصدور وانقباضها، وتورث الحزن والآلام، فهي لا خير فيها.

الآثار:

من آثار التفاؤل: سرور القلوب، المؤيد للأمال، الفاتح باب الرجاء، المسكن للخوف، الرابط للجأش، الباعث على الاستعانة بالله والتوكل عليه والاستبشار المقوي لأمله، السار لنفسه. فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد^(٣).

يذهب الضيق الذي يوحيه الشيطان، ويسببه في قلب العبد، فهو مبعث لتأثير الشيطان في النفس^(٤).

المصادر والمراجع:

١ - «أعلام الحديث»، لأبي سليمان الخطابي.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/٤٠٥)، ومجموع الفتاوى (٢٣/٦٦ - ٦٧)، ومفتاح دار السعادة (٣/٣٠٩)، ومعارض القبول (٣/١١٦٤).

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة (٣/٣١٢).

(٤) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٤٠، ٣٤١).

متوكلاً على الله فيسمع الكلمة الحسنة التي تسره، فهو في كل واحد من محبته للفأل وكرهته للطيرة إنما يسلك مسلك الاستخارة لله والتوكل عليه، والعمل بما شرع من الأسباب، لم يجعل الفأل أمراً له أو باعثاً له على الفعل، ولا الطيرة ناهيةً له عن الفعل^(١).

وخلاصة الأمر: أن التفاؤل بالمصحف أمرٌ غير مشروع وليس من الفأل الذي يعجب النبي ﷺ ويحبه، فتركه هو المتعين المتحتم تأسياً بسلف الأمة وأئمتها، ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

الفروق:

الفرق بين الفأل والطيرة:

١ - الفأل لا يحمل الإنسان على الفعل أو عدمه، بل هو مجرد التفاؤل بالكلمة الطيبة، وانشراح الصدر لما يسمعه من الكلام الحسن، في حين أن التطير يحمل الإنسان على الفعل أو الإمساك عنه.

٢ - الفأل فيه حسن ظنٌ بالله، والعبد مأموراً أن يحسن الظن بالله، والطيرة فيها سوء ظن بالله، والعبد منهى عن سوء الظن بالله.

٣ - الفأل لا يكون مقصوداً، بل يأتي للإنسان من غير أن يكون على بال،

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣/٦٦ - ٦٧).

قال الراغب: «الفتح: إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان؛ أحدهما: يدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه وكفتح القفل، والثاني: يدرك بالبصيرة كفتح الهم وهو إزالة الغم، وذلك ضروب؛ أحدها: في الأمور الدنيوية، كغم يفرج، وفقر يزال، والثاني: فتح المستغلق من العلوم، نحو قولك فلان فتح من العلم بابًا مغلقًا، والاستفتاح طلب الفتح أو الفتح»^(٢).

🌀 التعريف شرعًا:

صفة فعلية لله تعالى على وجه الكمال المطلق، ومنه اشتق اسمه الفتح، ويراد بهذه الصفة:

١ - فتحه الديني الشرعي: وهو ما أنزله على أنبيائه ورسله من الكتاب والحكمة.

٢ - فتحه الكوني القدري: وهو ما يبسطه على عباده من الرزق والعطاء.

٣ - فصله وقضاؤه بين أوليائه وأعدائه في الجزاء الدنيوي، فيحكم بينهم بالحق، فيجعل العاقبة لأوليائه بنصره لهم، ويجعل الخسارة على أعدائه بهلاكهم وإظهار كذبهم.

الصحاح (٤١٢/٢) [دار العلم للملايين، ط ٤]،
القاموس المحيط (٢٩٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٢،
١٤٠٧هـ].

(٢) المفردات في غريب القرآن (٣٧٠) [دار المعرفة، لبنان].

٢ - «الإفصاح عن معاني الصحاح»، لابن هبيرة.

٣ - «التوكل»، لعبد الله الدميحي.

٤ - «الشرك ومظاهره»، لمبارك المليي.

٥ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٦ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٧ - «معارج القبول»، لحافظ حكيمي.

٨ - «مفتاح دار السعادة»، لابن القيم.

٩ - «المنهاج في شعب الإيمان»،

للحليمي.

١٠ - «النهاية في غريب الحديث

والأثر»، لابن الأثير.

🌀 الفتح

يراجع مصطلح (الفتح).

🌀 الفتح

🌀 التعريف لغةً:

الْفَتْحُ: ضد الإغلاق. والفتح: النصر، والحكم. والاستفتاح: الاستنصار. والْفَتْاحُ: الحاكم. وتقول: أَفْتَحْ بيننا؛ أي: احْكَمْ. والْفُتَاةُ بالضم: الحُكْمُ. والله تعالى الفاتح؛ أي: الحاكم^(١).

(١) مقاييس اللغة (٤/٤٩٦) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

٤ - فصله وقضاؤه بين أوليائه وأعدائه في الجزاء الأخروي، بما أنعم على أوليائه من جنته ومزيده، وبما جعله لأعدائه من العذاب المقيم^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

مما تقدم فإن العلاقة بين المعنيين ظاهرة، فالمعنيان متفقان من خلال ما يأتيان فيه من سياق، إلا أن المعنى الشرعي يبلغ الكمال المطلق من الصفة.

الحكم:

وجوب الإيمان بصفة الفتح لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وهي من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته ﷻ.

الحقيقة:

الفتح في صفاته تعالى على معان:

١ - فتحه الديني الشرعي: وهو ما أنزله على أنبيائه ورسله من الكتاب والحكمة، وبه تكون هداية الناس واستقامتهم على الصراط المستقيم، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦].

وقد يكون بهذا الفتح حصول العلم والدلالة دون استجابة ممن فُتح عليه، وهذا يكون بمعنى هداية الدلالة

والإرشاد، وقد يكون به حصول العلم والهدى فيمن فُتح عليه، وهذا بمعنى هداية التوفيق، وهذا أعظم الفتح وأسماء.

٢ - فتحه الكوني القدري: وهو ما يبسطه على عباده من الرزق والعطاء، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤].

٣ - فصله وقضاؤه بين أوليائه وأعدائه في الجزاء الدنيوي، فيحكم بينهم بالحق، فيجعل العاقبة لأوليائه بنصره لهم، وإظهار صدقهم، ويجعل الخسارة على أعدائه بهلاكهم وإظهار كذبهم، وهو أيضًا بمعنى الحكم بين الحق والباطل، فيظهر الحق، ويعلي دلائله، ويزهق الباطل، ويظهر دلائل بطلانه، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [٨٩] [الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [١] [النصر]، وقوله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ [المائدة: ٥٢].

٤ - فصله وقضاؤه بين أوليائه وأعدائه في الجزاء الأخروي، بما أنعم على أوليائه من جنته ومزيده، وبما جعله لأعدائه من العذاب المقيم، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا

(١) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٥٦).

بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتْحُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ [سبأ].

ولذا سمي يوم القيامة يوم الفتح؛ لما يفتح الله ﷻ فيه بين أوليائه وأعدائه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ [السجدة] (١).

❁ الأدلة:

منها قول الله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢].

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [الأعراف].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما - في تفسير قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف: ٨٩] -: «اقض بيننا» (٢). وقال: «الفتاح: القاضي» (٣).

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ

(١) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٥٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٦٤/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وسنده حسن.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، ٢٢٩/٣) [المكتبة السلفية، ط ١، ١٤٠٠هـ] معلقاً بصيغة الجزم، ووصله الطبري في التفسير (٤٠٥/٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، بسند حسن.

بَيْنَنَا﴾ [سبأ: ٢٦]: «أي يقضي بيننا» (٤).

وقال الحلبي: «وهو الحاكم؛ أي: يفتح ما انغلق بين عباده، ويميز الحق من الباطل، ويعلي المحق ويخزي المبطل، وقد يكون ذلك منه في الدنيا والآخرة» (٥). قال ابن القيم:

وكذلك الفتح من أسمائه

والفتح في أوصافه أمران

فتح بحكم وهو شرع إلهنا

والفتح بالأقدار فتح ثان

والرب فتاح بدين كليهما

عدلاً وإحساناً من الرحمن (٦)

وقال الشوكاني: «والفتاح: الحاكم

بين الخلائق، أو الذي يفتح خزائن الرحمة لعباده» (٧).

وقال السعدي: «وفتحه تعالى لعباده

نوعان: فتح العلم، والهدى من الضلال، ومن هو

الباطل، والهدى من الضلال، ومن هو

من المستقيمين على الصراط، ممن هو

منحرف عنه. والنوع الثاني: فتحه

بالجزاء وإيقاع العقوبة على الظالمين،

والنجاة والإكرام للصالحين» (٨).

(٤) تفسير الطبري (١٢/٥٦٤).

(٥) نقلاً عن الأسماء والصفات للبيهقي (١/١٦٤) [مكتبة السوادي، ط ١].

(٦) شرح الكافية الشافية لابن عيسى (٢/٢٣٤) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٦هـ].

(٧) تحفة الذاكرين (٨٥) [دار القلم، ط ١، ١٩٨٤م].

(٨) تفسير السعدي (٣/٦٤) [الرئاسة العامة للإفتاء، ١٤١٠هـ].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الثانية: تسمية الله تعالى

- المسألة الأولى: صفة الفتح لله بخير الفاتحين:

ذهب بعض أهل العلم إلى إثبات (خير الفاتحين) من الأسماء المضافة، قال أبو القاسم التيمي رحمته الله: «ومن أسمائه: خير الفاتحين، وخير الراحمين، وخير الغافرين، وأرحم الراحمين. كل هذه الأسماء ممنوعة لا تكون إلا لله وعجل» (٣).

وذكر ابن تيمية رحمته الله أن من أسماء الله تعالى الفتح، وكذلك جاء مفضلاً في قوله: «وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ» (٨٩) [الأعراف] (٤).

- المسألة الثالثة: تسمية المخلوق

بالتفتح:

القاضي لو سُمِّي فتاحاً على لغة بعض قبائل أهل اليمن، لا بد أن يصحب تسميته ما تليق بعجز المخلوق؛ لأنه قد يتبع حكمه وقضائه هوى أو جهل، أما الخالق فهو الفتح على ما يليق بكماله وجلاله، فحكمه وقضاؤه وفتحته مقرون بعلم كما قال: «وَهُوَ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ» (٦٦) [سبأ].

- المسألة الرابعة: تسمية الله تعالى

بالتفتح:

ذهب بعض أهل العلم إلى تسمية الله تعالى بالفاتح. قال ابن منده رحمته الله:

إن هذا الاسم الجليل يدل على صفة الفتح لله تعالى بالتضمن، وهي صفة فعلية، وقد وردت النصوص من الكتاب والسنة دالة على هذه الصفة؛ منها قوله تعالى: «قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ» (٦٦) [سبأ]، وقوله: «رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ» (٨٩) [الأعراف]، وقوله تعالى: «مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (٢) [فاطر]، وقوله: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنْ اللَّهِ فَاكُولُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ» [النساء]: [١٤١].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه» (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة: «فأنطلق فاتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي وعجل ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الشناء عليه شيئاً لم يفتحني على أحد قبلي» (٢).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٩٤٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧١٢)،

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/١٤٠).

(٤) انظر: المستدرک علی الفتاوی (١/٤٨).

«ومن أسماء الله ﷻ الفاتح والفتاح»^(١).
 بعدًا بين الفريقين: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ
 فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى].

❁ الضروق:

الفرق بين الفاتح والفتاح:

٦ - ما أظهره الله تعالى من الدلائل
 على طريق الحق التي لا تغيب إلا على
 من عميت بصيرته، وختم على سمعه
 وقلبه.
 ٧ - تصديق الله تعالى لرسله وأنبيائه
 وأتباعهم بما يجعله لهم من نور الهداية
 واليقين، وما يظهره من أمارات صدقهم
 باستقامة الصراط الذي اتبعوه، والنصر
 والعاقبة الحسنة التي آلت إليها أمورهم.
 ٨ - زهوق الباطل وانحجار أهله، بما
 أظهره الله تعالى من ضلالهم، واعوجاج
 السبل التي يتبعونها، والهزيمة والعاقبة
 السيئة التي آلت إليها أمورهم، وإن اغتروا
 بزينة تعاقب عليهم فيها ليل أو نهار.
 ٩ - ما يجعله الله تعالى لمن أخلص
 له واتفقاه من علم وهدى، وفتح لما
 أغلق من علم أو رزق.
 ١٠ - ما ينعم الله تعالى به على
 عباده، ويبسطه لهم من رزق، بقسمة
 اقتضتها حكمته وفضله وعدله سبحانه.

❁ الآثار:

- ١ - التعبّد لله تعالى بطلب الهدى
 والتقى، وبذل الأسباب المقتضية لذلك.
- ٢ - التعبّد لله تعالى في طلب الرزق
 منه، ورجاء الخير والبركة بعطائه؛ فهو
 الفتح الذي لا ممسك لعطائه، ولا رادّ
 لفضله.
- ٣ - الحذر من أسباب الحرمان للنعم
 الدينية والدنيوية الواقع بسبب البعد
 عن الله تعالى، ومخالفة أمر أنبيائه
 ورسله.
- ٤ - اليقين بوعد الله تعالى الصادق
 بالنصر والتمكين لمن أطاعه واتفقاه،
 والذل والصغار على من خالف أمره.
- ٥ - ابتغاء المؤمن للدار الآخرة؛ فهي

محل الفتح الأكبر بين المؤمنين
 والكافرين، في مفاصلة أشد ما تكون

(١) كتاب التوحيد (٣٩٢) [دار الفضيلة، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣٣٨/٢) [دار

المعرفة، ط ٢، ١٤٢٧هـ].

❁ مذهب المخالفين:

صفة الفتح من الصفات الفعلية
 الثابتة لله تعالى على وجه الكمال، وقد
 أنكرها الجهمية والمعتزلة وأولها
 الأشاعرة، وقد تقدم التفصيل في عرض
 أقوالهم والرد عليها.

٨ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي عبد القادر السقاف.

٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنی»، للتميمي.

١٠ - «نونية ابن القيم».

١١ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی»، للنجدي.

الفتن

التعريف لغة:

الفتن: جمع فتنة، والفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب؛ إذا أذبتهما بالنار ليطهر الرديء من الجيد^(٢). ثم كثر استعمالها فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه كالكفر والإثم والتحريق والفضيحة والفجور، وغير ذلك من الأمور المكروهة^(٣).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢١١/١٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م]، ومقاييس اللغة (٤/٤٧٢، ٤٧٣) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ]، والصحاح (٢/٤٧٨، ٤٧٩) [دار العلم للملايين، ط ٤]، ولسان العرب (٣١٧/١٣ - ٣٢١) [دار صادر، ط ٣].

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٤١١/٣) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ]، ومفردات ألفاظ القرآن (٢/١٧٥ - ١٧٦) [دار القلم]، وفتح الباري لابن حجر (١/٣) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

وقد فسر بعض الأشاعرة (الفتاح) بأنه خالق الفتح؛ أي: النصر، وقيل: الحاكم، وهو - أي الحكم - إما بالإخبار والقول فيكون صفة كلامية أو بالقضاء والقدر فيرجع إلى صفة القدرة والإرادة^(١).

وهذا تأويل للصفة؛ حيث أرجعها لصفة الإرادة والقدرة والخلق، بناء على أنهم لا يقولون إلا بسبع صفات، ويقال: هذا تأويل لا دليل عليه، بل صفة الفتح هي الله ﷻ ثابتة على ما تليق به سبحانه من غير أن تشبه فتح المخلوقين، مثل ما أن للخالق قدرة وإرادة لا تشبه صفة المخلوق، فالصفات بابها واحد.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم»، لابن عيسى.
- ٣ - «تفسير السعدي».
- ٤ - «تفسير الطبري» (ج ١٢).
- ٥ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السنة الأصبهاني.
- ٦ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.
- ٧ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

(١) كتاب المواقيف الإيجي (٣/٣١٨) [دار الجيل، ط ١، ١٩٩٧م].

التعريف شرعاً:

الفتنة: هي كل أمر يكشفه الامتحان عن سوء، وتكون في الخير والشر^(١).
وقيل: هي «ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر»^(٢).

وقيل: هي كل ما يبث في المجتمع ويؤثر في حياة أبنائه: أمنًا ومعيشة وخُلُقًا وعقيدة^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تتضح العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي للفتنة في كون الفتنة تُظهر المؤمن الصادق من الدَّعي، وتُنبئ عن سوء طويّة من لم يستقر الإيمان في قلبه. وتُخرج الدَّغل من قلوب المؤمنين، فيخرجوا بعد البلاء بقلوب صافية، وأفئدة مؤمنة، كما يحصل عند إدخال الذهب أو الفضة في النار، فيذهب الحَبْث، ويبقى الجيد^(٤).

الأسماء الأخرى:

الابتلاء، المحنة، الاختبار، العذاب، القتل، الشرك، الحيرة، الضلالة.

الحكم:

لقد حذّر النبي ﷺ أمته من الفتن، وأمر بالتعوذ منها، وأخبر أن آخر هذه الأمة سيصيبها بلاء وفتن عظيمة، وليس هنالك عاصم منها إلا الإيمان بالله، واليوم الآخر، ولزوم جماعة المسلمين، وهم أهل السُنّة وإن قَلُوا، والابتعاد عن الفتن والتعوذ منها، فقد قال ﷺ: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن»^(٥).

الحقيقة:

أصل الفتنة: الاختبار، ثمّ استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثمّ أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه، كالكفر والإثم والتَّحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك.

وضابطها: كل ما صدّ عن طاعة الله^(٦).
والمؤمنون يُفتنون أيضًا، وليس القصد من ذلك رمي المؤمنين في الفتنة، وإنما الغاية أن يمحصّ الله المؤمنين بالتجربة والاختبار، فيعلم - وهو العليم الخبير - الصادق منهم والكاذب، حيث يسقط الأدعياء ويبقى الأولياء^(٧).

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/٢).

(٢) التعريفات للجرجاني (١٦٥) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ].

(٣) مجلة البحوث الإسلامية (٢٧٨ - العدد ٧٤ - لسنة ١٤٢٥هـ - ١٤٢٦هـ).

(٤) موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسُنّة لحسين الحازمي (٤٤) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٧).

(٦) انظر: الاعتصام للشاطبي (٤٣٨/١) [دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٧) انظر: دراسة في سورة العنكبوت لأحمد القطان ومحمد الزين (١٤) [مكتبة السندس، ط ٢، ١٤٠٩هـ]، وتفسير الطبري (٣٥٧/١٨) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ].

يذكر التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم، فقلت: أنا، قال: أنت؟ لله أبوك! قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأى قلب أشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرْبَادًا كالكوز مُجَحَّيًّا، لا يعرف معروفًا، ولا يُنكر منكرًا، إلا ما أشرب من هواه»^(٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فكسروا قسيكم، وقطعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم الحجارة، فإن دُخِلَ على أحدكم فليكن كخير ابني آدم»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

وتطلق الفتنة أيضًا على الكفر والغلو في التأويل البعيد، وعلى الفضيحة والبلية والعذاب والقتال والتحول من الحسن إلى القبيح والميل إلى الشيء والإعجاب به، وتكون في الخير والشر كقوله تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْغَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]^(١).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، وقال رضي الله عنه: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾^(٣) [العنكبوت]، وقال رضي الله عنه: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٤) [يونس].

وأما من السُّنَّة النبوية فقد جاءت أحاديث كثيرة في وصف الفتن وشدتها وحث المؤمنين على البعد عنها والاستعاذة من شرورها، ومن هذه الأحاديث: حديث حذيفة رضي الله عنه قال: كنا عند عمر رضي الله عنه، فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل، قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سمع النبي رضي الله عنه

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٤).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٤٢٥٩)، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٣٩٦١)، وأحمد في المسند (٥٠٤/٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٣٦٠) وصححه، وصححه الألباني في الإرواء (٨/١٠٢) [المكتب الإسلامي، ط ٢].

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/٢).

الدار مفتون بشهواته ونفسه الأمانة، وشيطانه المغوي المزين، وقرنائه وما يراه، ويشاهده، مما يعجز صبره عنه، ويتفق مع ذلك ضعف الإيمان واليقين وضعف القلب ومرارة الصبر، وذوق حلاوة العاجل، وميل النفس إلى زهرة الحياة الدنيا، وكون العوض مؤجلاً في دار أخرى غير هذه الدار التي خلق فيها، وفيها نشأ، فهو مكلف بأن يترك شهوته الحاضرة المشاهدة لغيب طلب منه الإيمان به»^(٥).

❁ الأقسام:

تنقسم الفتنة إلى قسمين:

الأول: فتنة الشبهات وتنشأ عن ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهناك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى.

وهذه الفتنة مألها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم. فجميعهم إنما ابتدعوا بسبب فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال. ولا ينجي من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول ﷺ، وتحكيمه في دق الدين وجلّه، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه.

(٥) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (٢/١٦٤).

قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن الجوزي رحمته الله: «من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة، ومن ادعى الصبر وكل إلى نفسه، فإنك إياك أن تغتر بعزمك على ترك الهوى، مع مقاربة الفتنة، فإن الهوى مكاييد! وكم من شجاع في صف الحرب اغتيل، فأتاه ما لم يحتسب»^(٢).

وقال ابن دقيق العيد - عند شرحه لحديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ مِنْ فَتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفْتْنَةِ الْمَمَاتِ»^(٣) -: «فتنة المحيا ما يُعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات، وأعظمها - والعياذ بالله - أمر الخاتمة عند الموت، وفتنة الممات يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت، أضيفت إليه لقربها منه، ويكون المراد بفتنة المحيا على هذا ما قبل ذلك، ويجوز أن يراد بها فتنة القبر»^(٤).

وقال ابن القيم رحمته الله: «فالعبد في هذه

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١٨).

(٢) صيد الخاطر (٢٦) [دار القلم، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣٢)، ومسلم

(كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٨٩).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٢/٣١٩).

الثاني: فتنة الشهوات، وهي فسق

الأعمال، والواقع فيها صاحب دنيا أعمته دنياه.

وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنين في

قوله: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ

مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا

بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾ [التوبة: ٦٩]؛ أي: تمتعوا بنصيبهم من الدنيا

وشهواتها، والخلاق هو النصيب

المقدر، ثم قال: ﴿وَحُضِّمُوا كَالَّذِي

خَاضُوا﴾ فهذا الخوض بالباطل، وهو

الشبهات^(١).

وهناك من يقسم الفتنة إلى خاصة

وعامة:

١ - فالفتنة الخاصة: هي فتنة الرجل

في خاصة نفسه من خير أو شر، كفتنته

في أهله وماله وولده وجاره، وهذه

تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢).

٢ - والفتنة العامة: هي التي تصيب

عامة الأمة فتعمُّ الصالح والطالح،

والذكر والأنثى، والكبير والصغير.

فيصبح الإسلام وأهله في بلاءٍ عظيم،

وتتداعى الأمم عليهم كما تتداعى الأكلة

على قصعتها.

المسائل المتعلقة:

- موقف المسلم تجاه الفتن:

يتلخص موقف المسلم من الفتن في

النقاط التالية:

- الاعتصام بالكتاب والسنة.

- التقوى وملازمة العبادة.

- التعوذ من الفتن وسؤال الله المخرج

منها.

- لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

- الاعتزال عند الفتن وترك الخوض

والقتال فيها.

الفروق:

الفرق بين الفتنة والابتلاء والاختبار:

الفرق بين الفتنة والاختبار: هو «أن

الفتنة أشد الاختبار وأبلغه، ويكون في

الخير والشر ألا تسمع قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا أَمْوَالَكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:

١٥]، وقوله: ﴿...لَأَسْفِنَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [١٦]

لَتَفْنِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن]، فجعل النعمة فتنة

لأنه قصد بها المبالغة في اختبار

المنعم عليه بها كالذهب إذا أريد

المبالغة في تعرف حاله أدخل النار،

والله تعالى لا يختبر العبد لتغيير حاله

في الخير والشر، وإنما المراد بذلك

شدة التكليف.

أما الفرق بين الاختبار والابتلاء: فهو

أن الابتلاء عادة لا يكون إلا بتحميل

المكاره والمشاق. والاختبار يكون بذلك

(١) انظر: إغاثة اللهفان (٢/١٦٥، ١٦٦).

(٢) انظر: البخاري (كتاب الفتن رقم ٧٠٩٦)، ومسلم

(كتاب الإيمان، رقم ١٤٤).

- وبفعل المحبوب، ألا ترى أنه يقال
اختبره بالإنعام عليه، ولا يقال: ابتلاه
بذلك، ولا هو مبتلى بالنعمة، كما قد
يقال: إنه مختبر بها. ويجوز أن يقال:
إن الابتلاء يقتضي استخراج ما عند
المبتلى من الطاعة والمعصية، والاختبار
يقتضي وقوع الخبر بحاله في ذلك،
والخبر العلم الذي يقع بكنه الشيء
وحقيقته فالفرق بينهما بيّن^(١).

❁ الثمرات:

- من ثمرات الفتن والحكم الإلهية
فيها: تميز الصفوف، وتبين الصادق من
الكاذب، وفضح المنافقين، وكشف
أستارهم، كذلك امتحان الخلق،
واختبار صبرهم، وعبوديتهم في السراء
والضراء، وتقوية الإيمان في قلوب
المؤمنين، وتثبيتهم، وتبين الحق
للسالكين، وحصول الهدى والرحمة
لمن سلم منها، وغير ذلك من الثمرات
والفوائد^(٢).

❁ الآثار:

من آثار الفتن وعواقبها:

- انصراف الناس عن العبادة.
- صرف الناس عن العلم والعلماء.
- تصدُّر السُّفهاء.
١- الفروق اللغوية للعسكري (٢١٦، ٢١٧) [مؤسسة
النشر الإسلامي، ط ١، ١٤١٢هـ]، بتصرف.
٢- انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (١٦٢/٢).

- الانتهاء إلى العواقب المُردية
والمآلات السيئة.
- من دخل في الفتن انحط قدره.
- اشتباه الأمور واختلاط الحق
بالباطل.
- التغرير بالناشئة والشباب.
- إضعاف الأخوة الإيمانية والرابطة
الدينية.
- الجرأة على القتل وسفك الدماء.
- إخلال الأمن.
- تجرؤ أهل الانحلال على نشر
باطلهم.
- تسلط الأعداء^(٣).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «إتحاف الجماعة بما جاء في
الفتن والملاحم وأشراف الساعة»،
لحمود التويجري.
٢ - «إتحاف أهل الإيمان بما يعصم
من فتن هذا الزمان»، لعبد الله آل جار الله.
٣ - «إغاثة اللهفان» (ج ٢)، لابن قيم
الجوزية.
٤ - «السنن الواردة في الفتن
وغوائلها»، لأبي عمرو الداني.
٥ - «الضوابط الشرعية لموقف
المسلم في الفتن»، لصالح بن عبد العزيز
آل الشيخ.

(٣) آثار الفتن للبدر (١٢ - ٥٠) [ط ١، ١٤٣١هـ].

والقبر: مدفن الإنسان، يقال: قَبِرَ الميت؛ إذا دفنه، والقبر: حفرة في الأرض يوارى فيها الميت، وجمعه: قبور، والمقبرة، بفتح الباء وضمها: موضع القبور^(٤).

❁ التعريف شرعاً:

فتنة القبر: امتحان الميت واختباره بعد عود الروح إلى جسده وإيقاعه؛ فيسأله الملكان عن ربه ودينه ونبيه، فإن كان صالحاً وفق للإجابة، ثم أكرم وكوفئ بألوان من النعيم، وإن كان سيئاً أهين وجُوزي بألوان من العذاب^(٥).

❁ سبب التسمية:

أصل التسمية وتفسيرها من كلام النبي ﷺ؛ إذ قال: «فأما فتنة القبر، فبي تفتنون، وعني تسألون»^(٦).

وقال أيضاً: «وإنه قد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور مثل - أو قريب من - فتنة المسيح الدجال، يؤتى أحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل...»^(٧)، وعند

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١١٩/٩)، والقاموس المحيط (٥٩٠/١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، ولسان العرب (٦٨/٥) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ].

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١٧٧/١١) [دار المعرفة]، ومعارج القبول (٨٧٢/٢) [دار ابن الجوزي، ط ٦، ١٤٣٠هـ].

(٦) أخرجه أحمد (٢٦٩/٩) [دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ]، وصحح إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١٩٥/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٧) أخرجه البخاري (كتاب الجمعة، رقم ٩٢٢)، ومسلم (كتاب الكسوف، رقم ٩٠٥).

٦ - «القتال في الفتنة: دراسة تأصيلية عقديّة»، لعبد الله بن عبد العزيز السويد.

٧ - «منهاج أهل السنّة والجماعة في التعامل مع الفتن العامة»، لعبد الله بن عمر الدميحي.

٨ - «منهج أهل السنّة والجماعة في التعامل مع الفتن»، لعبد الرحمن القرشي.

٩ - «موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنّة»، للحازمي.

١٠ - «النهاية في الفتن والملاحم»، لابن كثير.

❁ فتنة القبر ❁

❁ التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار؛ من ذلك الفتنة»^(١).

الفتنة: الامتحان والاختبار، يقال: فتنت أفتتن فتناً، تقول: فتنت الذهب؛ إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته، وهو مفتون وفتين^(٢).

القَبْرُ: قال ابن فارس: «القاف والباء والراء أصل صحيح يدل على غموض في شيء وتظان»^(٣).

(١) مقاييس اللغة (٤٧٢/٤) [دار الجيل، ط ١١٤٢٠هـ].
(٢) انظر: الصحاح (٢٥/٧) [دار العلم للملايين، ط ٤]، وتهذيب اللغة (٢١٣/١٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ١]، ومقاييس اللغة (٤٧٢/٤).
(٣) مقاييس اللغة (٤٧٢/٤).

قال تعالى: ﴿يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿٢٧﴾ [إبراهيم]، فهذه الآية نزلت في تثبيت المؤمن عند السؤال كما جاء في الصحيحين وغيرهما^(٥).

وفي حديث البراء بن عازب الطويل قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتبهنا إلى القبر ولما يُلحَد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «استعينوا بالله من عذاب القبر». مرتين أو ثلاثاً، زاد في حديث جرير ها هنا، وقال: «وإنه ليسمع خفق نعالمهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له: يا هذا، من ربك وما دينك ومن نبيك؟».

قال هناد: قال: «ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟». قال: «فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت». زاد في حديث جرير: «فذلك قول الله: ﴿يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ

أحمد بلفظ: «وقد أريتكم تفتنون في قبوركم، يسأل أحدكم: ما كنت تقول؟ وما كنت تعبد؟...»^(١).

❁ الأسماء الأخرى:

فتنة القبر هي سؤال القبر أو سؤال الملكين، وما يذكر من عرض المقعد، وضغطة القبر، وغير ذلك مما يجري في القبر فتبع.

❁ الحقيقة:

حقيقة الإيمان بفتنة القبر أن يعتقد المسلم أنها حق، فُبر الإنسان أو لم يُقبر، وأن جميع الناس يفتنون إلا من جاء النص باستثنائه، من نحو موت المسلم ليلة الجمعة أو يومها^(٢)، وموته مرابطاً^(٣)، وكذا موته شهيداً^(٤)، إلى غير ذلك مما دلَّت عليه النصوص الصحيحة.

❁ الأدلة:

فتنة القبر ثابتة بنص الكتاب والسنة والإجماع.

(١) مسند أحمد (٥٤٣/٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧٤)، وأحمد (٦٢٧/١١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وقال الترمذي: (هذا حديث غريب... وليس إسناده بمتصل)، لكن له شواهد يرتقي بها إلى الحسن، كما ذكر الألباني في أحكام الجنائز (٣٥) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩١٣).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل الجهاد، رقم ١٦٦٣) وصححه، وابن ماجه (كتاب الجهاد، رقم ٢٧٩٩)، وأحمد (٤١٩/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٢١٣).

(٥) انظر: صحيح البخاري (٤٦١/١) [دار ابن كثير، ط ٤، ١٤١٠هـ]، وصحيح مسلم (١٦٢/٨) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٩هـ].

وكان ﷺ يتعوذ من فتنة القبر، يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ...»^(٢).

ودعا ﷺ لبعض الأموات فقال: «ألا إن فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه فتنة القبر وعذاب النار، أنت أهل الوفاء والحق، اللَّهُمَّ فاغفر له وارحمه، فإنك أنت الغفور الرحيم»^(٣).

وأهل السُّنَّة يشبتون هذا المعتقد بالإجماع؛ للدلالة النقل عليه، وهو من العقائد الثابتة بالتواتر.

❖ أقوال أهل العلم:

قال أبو حاتم الرازي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ونؤمن بعذاب القبر... ونؤمن بالمسألة في القبر وبالكرام الكاتين»^(٤).

وقال ابن أبي زيد القيرواني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «... وأن عذاب القبر حق، وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويضغطون، ويُسألون، ويثبَّت اللهُ منطق من أحب تثنيتته»^(٥).

و(٣/٩٠١) [المكتب الإسلامي، ١٤٠٩هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٧٦).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٠٢)، وابن

ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٩٩)، وأحمد (٢٥/

٣٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، وابن

حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠٧٤)، وصححه

الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٨/٢).

(٤) انظر: شرح اعتقاد أهل السُّنَّة للالكائي (١/١٨١).

(٥) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (٨٥).

أَثَابَتْ فِي الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴿٧٧﴾ [إبراهيم]. ثم اتفقا، قال: «فينادي مناد من السماء: أن قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة». قال: «فيأتيه من رَوْحها وطيبها». قال: «ويُفتح له فيها مد بصره». قال: «وإن الكافر». فذكر موته، قال: «وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار». قال: «فيأتيه من حرّها وسمومها». قال: «ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلّاعه». زاد في حديث جرير قال: «ثم يقبض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد، لو ضرب بها جبل لصار ترابًا». قال: «فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، فيصير ترابًا». قال: «ثم تعاد فيه الروح»^(١).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٥٣)، وابن ماجه

(كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٩) مختصرًا، وأحمد (٣٠/

٤٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه ابن القيم في

أعلام الموقعين (١/١٣٧) [دار الكتب العلمية،

ط ١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦١٩)

وقال ابن عبد البر رحمته الله: «وأهل السُّنة والجماعة مصدِّقون بفتنة القبر وعذاب القبر؛ لتوافر الأخبار بذلك عن النبي ﷺ»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: سؤال الأنبياء وغير المكلفين:

الآثار:

من أبرز الآثار المترتبة على نوعية الإجابة عند الفتنة فيما يخص الرجل الصالح أنه يكافأ بألوان من النعيم، منها: أنه يُفرش له من الجنة، ويُلبس من الجنة، يفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من رَوْحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه عمله الصالح على هيئة رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيبشره بالذي يسره ثم يثني عليه خيراً، ويرى مقعده من الجنة، ومقعده من النار لو أنه عصى الله، ويعرض عليه مقعده من الجنة بالغداة والعشي حتى يبعثه الله.

وأما الرجل السوء فيكافأ بألوان من العذاب، منها: أنه يُفرش له من النار، ويفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه عمله الخبيث على هيئة رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيبشره بالذي يسوؤه ثم يوبخه، ويقيض له أعمى أصم أبكم

اختلف العلماء في سؤال الأنبياء وغير المكلفين، والأظهر أن الأنبياء لا يُسألون؛ لأنهم المسؤول عنهم، وأما غير المكلفين؛ فلأن السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول والمرسل^(٢).

ولا يصح ما ورد في استثناء من مات مخضوباً من الفتنة^(٣)، ولا من صلى ركعتين ليلة الجمعة بكيفية معينة^(٤).

- المسألة الثانية: عود الروح إلى الجسد عند السؤال:

مما يتعلق بفتنة القبر عود الروح إلى الجسد عند السؤال، وإجلال الميت، ورجوع العقل إلى صاحبه، وبعثه على ما

(١) الاستذكار (٢/٤٢١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ].

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٢٥٧) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ]، والروح (١٤١) [دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤١٠هـ]، والأسئلة المحيرة حول الدنيا والآخرة (٥٩) [مكتبة ابن سينا]، وشرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (٢١٠) [دار ابن كثير، ط٢، ١٤١٣هـ].

(٣) انظر: الموضوعات لابن الجوزي (٣/٥٦) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(٤) المصدر السابق (٢/١١٨).

(٥) انظر: رسائل الآخرة (٢/٣٨٨ - ٤٢٥).

وعند التعريف بمنكر ونكير .

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام الجنائز»، للألباني .
- ٢ - «الأسئلة المحيرة حول الدنيا والآخرة»، للزرقاني .
- ٣ - «تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي» (ج ٤، ٥)، للمباركفوري .
- ٤ - «التمهيد» (ج ٢٢)، لابن عبد البر .
- ٥ - «التيسير بشرح الجامع الصغير» (ج ٢)، للمناوي .
- ٦ - «رسائل الآخرة» (ج ٢)، للعبدي .
- ٧ - «رسالة في أساس العقيدة»، للسعوي .
- ٨ - «الروح»، لابن القيم .
- ٩ - «شرح الصدور»، للسيوطي .
- ١٠ - «الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني» (ج ١)، للساعاتي .
- ١١ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ١)، للسفاريني .
- ١٢ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤)، لابن تيمية .

١٣ - «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد العثيمين» .

١٤ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكمي .

١٥ - «نظم المتناثر من الحديث المتواتر»، للكتاني .

فيضربه بمرزبة يصير بعدها ترابًا ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ويرى مقعده من النار، ومقعده من الجنة لو أنه أطاع الله، ويعرض عليه مقعده من النار بالغداة والعشي حتى يبعثه الله كما أفادت النصوص .

❁ الحكمة:

لعل الحكمة من فتنة القبر وسؤال الملكين، تنبه الناس إلى ضرورة توحيد الدين في الإسلام، فإن الله لا يقبل غيره، وتوحيد الله في العبادة، فإن الله لا يقبل الشرك، وتوحيد الرسول في المتابعة، فإن الله لا يقبل غير طريقه .

وأما في الآخرة فدفعت العقوبة - أو تخفيفها - عن مستحقها من المسلمين، قال ابن تيمية: «إن الذنوب مطلقًا من جميع المؤمنين هي سبب العذاب، لكن العقوبة بها في الآخرة في جهنم تندفع بنحو عشرة أسباب... السبب الثامن: ما يتلى به المؤمن في قبره من الضغطة وفتنة الملكين»^(١) .

❁ مذهب المخالفين:

المخالفون في فتنة القبر هم المخالفون في عذاب القبر، وقد تقدم الكلام عليهم عند ذكر الطوائف المنكرة لعذاب القبر،

(١) منهاج السُّنة (٦/٢٠٥ - ٢٣٨) [جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦هـ].

الخلقيّة، وفسارة الرّياضة والجوع ونحوها) التي يشترك فيها المؤمن وغيره؛ فهي: «علم يتعرف فيه أخلاق الإنسان من أحواله الظاهرة، من الألوان والأشكال والأعضاء. وبالجملة: الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن»^(٣).

وقيل: هي «الظنّ الصائب، الناشئ عن تثبيت النظر في الظاهر لإدراك الباطن»^(٤).

ومحلّ بحثنا هنا في الفراسة الإيمانيّة لا غيرها.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يدور المعنى اللغوي للفراسة حول: التثبيت وإصابة النظر في الشيء، وهذا التثبيت والتفرس في الأمور الظاهرة قد يستدل به على بعض الأمور الباطنة الخفيّة؛ وهذه حقيقة الفراسة في الاصطلاح. فيظهر بهذا أن بين المعنى اللغوي والشرعي تناسباً وتوافقاً واضحاً.

الأسماء الأخرى:

الفراسة هي: التفرس، والتوسم.

(٣) مفتاح السعادة لطاش كبري زاده (٣٠٩/١) [دار الكتب العلمية، بيروت]، ونقله عنه صاحب أجد العلوم (٣٩٦/٢) [دار الكتب العلمية]. وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (١١٣١/٣) [دار الفكر العربي، مصر].

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٤٧/١).

الفِراسَة

التعريف لغةً:

الفِراسَة: اسمٌ من (التفرُّس) في الشيء وإصابة النُّظر فيه، يُقال: تفرَّست في فلانٍ خيراً، وهو يتفرَّس: يتثبَّت وينظُر ويُرِي الناس أنه فارسٌ، ويُقال: إن فلاناً لفارسٌ بذلك الأمر: إذا كان عالمًا به^(١).

التعريف شرعاً:

الفراسة الإيمانيّة: هي خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده، يثب على القلب كوثوب الأسد على الفريسة؛ فيعلم به صاحبه أحوال بعض النَّاس، بنوع من الكرامات وإصابة الظنّ والحدس.

وسببها: نور يقذفه الله في قلب عبده، يفرِّق به بين الحقِّ والباطل، والحالي والعاقل، والصّادق والكاذب^(٢).

أما فراسة أهل الدنيا التي تنال بالتعلم والتّجارب والخلق والأخلاق (الفراسة

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٩٥٨/٣) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، وتهذيب اللغة (١٢/٤٠٤) [الدار المصرية للتأليف]، ومقاييس اللغة (٤/٤٨٦) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (٧٢٥) [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: النّهاية في غريب الحديث (٤٢٨/٣) [طبعة عيسى البابي الحلبي بمصر]، ومدارج السالكين (١/١٢٩، ٤٨٤/٢) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

الحكم:

والفراسة وما يقع في الخواطر ليست حجة شرعية تعارض بها نصوص الكتاب والسنة، أو تبني عليها الشرائع والأحكام؛ وإنما هي صالحة للاستئناس والاستشهاد بها، لا أنها عمدة وأصل؛ فهي يستدل لها بالكتاب والسنة لا بها.

فالمتفرس - وغيره من البشر ممن ليس بنبي - ليس معصوماً من الغلط، ولا يجب على المسلم قبول توسمه وتفرسه إن لم يدل عليه الكتاب والسنة، بل هو لا يجوز له العمل بما يلقي في قلبه إن لم يعرضه على الكتاب والسنة، فإن وافق ذلك قبله، وإن خالف ذلك رده؛ لأنه لا يتيقن أنه من عند الله تعالى، وقد يكون من دسيسة الشيطان!

الحقيقة:

الفراسة الإيمانية نوع من إلهام الله تعالى لعباده المؤمنين، ومقام رفيع من مقامات السالكين، ونور يهبه الله لمن يشاء منهم، وهداية يهدي بها خواص عباده الطائعين؛ يميزون بها بين الحق والباطل، والصدق والكذب، والإيمان والتفاق، والمحق والمبطل، ويعرفون بها بعض أحوال الناس وما يدور في أنفسهم وخواطرهم.

والمتفرس إنما ينظر بنور الله الذي جعله في قلبه وقذفه في رُوعه؛ فلا تكون

الفراسة صادقة إلا مع قلب تطهر وتصفى وتنزه من الأدناس والذنوب، وتعلق بالله واتبع سبيله وما يحبه ويرضاه، وتفكر في آياته وخلقه؛ فهي من هذا الجانب قد تنال بنوع من الكسب الإيماني، بخلاف فراسة أهل الدنيا التي لا سبيل لتحصيلها إلا بالتعلم والتجارب والدلائل.

الأدلة:

دلّ على ثبوت الفراسة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ﴾ [٧٥] [الحجر]؛ وهم: أصحاب التوسم، بمعنى: التأمل في السمة؛ وهي: العلامة التي يستدل بها على غيرها^(١). قال مجاهد: «المتفرسين»، وقال ابن عباس رضي الله عنه والضحاك: «للناظرين»، وقال قتادة: «للمعتبرين»، وقال مقاتل وغيره: «للمتفكرين» أو «للمتأملين»^(٢). وكل هذه الأقوال تدور حول معنى واحد؛ فلا تنافي بينها؛ فإن الناظر متى نظر في آثار ديار المكذبين ومنازلهم وما آل إليه أمرهم؛ أورثه

(١) انظر: تفسير (٤٣/١٠) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، وتفسير البحر المحيط (٤٤٤/٥) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ]، ومجموع الفتاوى (١١٨/١٧)، والتحرير والتنوير (٦٩/١٤) [دار سخون، ١٩٩٧م].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٩٤/١٤) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ]، والنكت والعيون للماوردي (١٦٧/٣) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وتفسير البيهقي (٤/٣٨٨) [دار طيبة، ط ٤]، وتفسير ابن كثير (٥٤٣/٤) [دار طيبة، ط ٢].

فِرَاسَة وَعِبْرَة وَفِكْرَة»^(١).

العلماء؛ فَإِنَّهُمْ يَنْظُرُونَ بِنُورِ اللَّهِ، إِنَّهُ شَيْءٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَعَلَى أَلْسِنَتِهِمْ»^(٤).

وقال الشافعي: «خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفِرَاسَة، حتى كتبتها وجمعتها»^(٥).

وقال ابن القَيِّم: «الفِرَاسَة الإيمانية سببها نور يقذفه الله في قلب عبده، يفرق به بين الحق والباطل، والصادق والكاذب، وهذه الفِرَاسَة على حسب قوة الإيمان، وكان أبو بكر الصديق أعظم الأمة فِرَاسَة»^(٦).

❁ الأقسام:

تنقسم الفِرَاسَة إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: فِرَاسَة «إيمانية» وسببها: نور يقذفه الله في قلب عبده، يفرق به بين الحق والباطل، والحالي والعاطل، والصادق والكاذب.

وحقيقتها: أنها خاطر يهجم على القلب، ينفي ما يضاده، يثب على القلب كوثوب الأسد على الفريسة

وهذه الفِرَاسَة على حسب قوة الإيمان. فمن كان أقوى إيماناً فهو أحد فِرَاسَة، وأصل هذا النوع من

(٤) أخرجه العسكري، كما ذكر السخاوي في المقاصد الحسنة (٥٩).

(٥) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (٩٦) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٦) مدارج السالكين (٢/٤٥٥).

وقال الله ﷻ عن المنافقين: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]؛ ففي الآية دلالة على ثبوت الفِرَاسَة؛ وهي: التعرف على ما يضمرة المنافقون في قلوبهم من النفاق بما يظهر على وجوههم. وعلق سبحانه معرفتهم بالسِّمَة - الذي يدرك بالبصر - على مشيئته بقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ﴾^(٢).

وأخرج الطبري وغيره، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله ﷻ عبداً يعرفون الناس بالتوسم»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «أتقوا فِرَاسَة

(١) مدارج السالكين (٢/٤٨٣). وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/١١٨).

(٢) انظر: الاستقامة لابن تيمية (١/٣٥٥) - جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٣هـ، والجواب الصحيح (٦/٤٨٦) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ]، والضارم المسلول (٣/٦٧٣) [دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ]، وشرح العقيدة الأصفهانية (١٢٤) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ]، ومجموع الفتاوى (١٤/١١٠، ١٦/٦٨، ١٧/١١٨)، ومنهاج السنة النبوية (٨/٤٧٤) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ]، ومدارج السالكين (٢/٤٨٣).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (١٣/٣٢٦) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٦هـ]، والطبري في تفسيره (١٧/١٢١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والطبراني في المعجم الأوسط (٣/٢٠٧) [دار الحرمين، ط ١]، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٦٨) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٦٩٣).

الفراسة: من الحياة والنور اللذين يهبهما الله تعالى لمن يشاء من عباده، فيحيا القلب بذلك ويستتير، فلا تكاد فراسته تخطئ.

[الثاني:] فراسة الرياضة والجوع، والسهر والتخلي؛ فإن النفس إذا تجردت عن العوائق، صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها. وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدل على إيمان ولا على ولاية، وكثير من الجهال يغتر بها. وللرهبان فيها وقائع معلومة، وهي فراسة لا تكشف عن حق نافع، ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها جزئي من جنس فراسة الولاية، وأصحاب عبارة الرؤيا والأطباء ونحوهم.

وللأطباء فراسة معروفة من حذقهم في صناعتهم. ومن أحب الوقوف عليها فليطالع تاريخهم وأخبارهم، وقريب من نصف الطب فراسة صادقة، يقترن بها تجربة. والله سبحانه أعلم.

[الثالث:] الفراسة الخلقية: وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم، واستدلوا بالخلق على الخلق؛ لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله، كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل، وبكبره وبسعة الصدر، وبعد ما بين جانبه على سعة خلق صاحبه، واحتماله

وبسطته. وبضيقة على ضيقه، وبخمود العين وكلال نظرها على بلادة صاحبها، وضعف حرارة قلبه، وبشدّة بياضها مع إشرابه بحمرة - وهو الشَّكَل - على شجاعته وإقدامه وفطنته، وبتدويرها مع حمرتها وكثرة تقلبها، على خيائته ومكره وخداعه.

ومعظم تعلق الفراسة بالعين؛ فإنها مرآة القلب، وعنوان ما فيه، ثم باللسان، فإنه رسوله وترجمانه. وأصل هذه الفراسة: أن اعتدال الخلقة والصورة، هو من اعتدال المزاج والروح. وعن اعتدالها يكون اعتدال الأخلاق والأفعال، وبحسب انحراف الخلقة والصورة عن الاعتدال، يقع الانحراف في الأخلاق والأعمال^(١).

❖ المسائل المتعلقة:

- بعض المصطلحات الحادثة التي يظن أنها من الفراسة:

الكهانة: فالكهانة ليست من الفراسة؛ لأن الفراسة غالباً لا يدعي صاحبها الغيب، بخلاف الكاهن؛ فإنه يدعي الغيب، ويفتخر بادعائه، بل وربما كثر مريدوه بسبب هذا الادعاء، وهذا بخلاف المتفرس، لا يدعي الغيب، فضلاً أن يفتخر به.

(١) مدارج السالكين (٢/٤٥٣ - ٤٥٦) [دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ] بتصرف.

الكهانة: لها مقدمات غالبًا غير مشروعة، وأما الفراصة فإنها تعتمد على مقدمات مشروعة^(١).

الظن: ليس الظن من الفراصة في شيء؛ لأن الظن يخطئ ويصيب، ويكون مع ظلمة القلب ونوره، ولهذا أمر الله تعالى باجتناّب كثير منه وأخبر أن بعضه إثم، وأما الفراصة فقد أثنى الله على أهلها ومدحهم، وهي لا تحدث إلا لقلب قد تطهر وتصقّى وتنزه من الأدناس وقرب من الله تعالى فأصبح صاحبه ينظر بنور الله الذي جعله في قلبه^(٢).

الكشف: تقدم أن الفراصة هي أمر يقذفه الله في قلب المؤمن وهو خاطر يخطر للإنسان يميز فيه بين الحق والباطل، أما الكشف فيحصل بطريق الرياضة والجوع والسهرة، وهذا قد يحصل للكافر كما يحصل للمؤمن^(٣).

الإلهام: الإلهام يختلف عن الفراصة في أنه موهبة مجردة، لا تنال بكسب البتة، أما الفراصة فهي متعلقة بنوع كسب وتحصيل^(٤).

البراسيكولوجي أو التلبائي: هذان المصطلحان يراد بهما: علم ما وراء

(١) انظر: مغني المرید الجامع لشروح كتاب التوحيد (١٨٦٦/٥).

(٢) انظر: الروح (٢٣٨ - ٢٤٠) [دار الكتب العلمية].

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/٢٢٨، ٤٨٤).

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/٦٩).

الطبيعة أو الاتصال عن بعد أو التأثير على نفوس الآخرين، ويكون ذلك عن طريق انتقال الخواطر والوجدانيات وغيرهما من الخبرات الشعورية من عقل إلى عقل بغير الوسائل الحسية المعروفة؛ أي: اتصال عقلي بين بشريين واستقبال طاقة صادرة من العقل وتحليلها بعقل المرسل إليه، بحيث يدرك الفكرة ويعمل على توفيق حواسه على تلقي مجال كهرومغناطيسي صادر من الآخرين.

وهذه العملية هي نوع من أنواع التخاطر عن بعد، وبعضهم يسميها: الاستشعار عن بعد.

وبعضهم يرى أنه يمكن أن تكتسب هذه العملية عن طريق التدريب وتنمية الخبرات فيها. ثم تطورت هذه النظرية إلى أن أدخل فيها ما يسمى اليوم بالتنويم المغناطيسي أو قراءة الأشياء أو معرفة الأخبار عن الإنسان من ملامسة بعض متعلقاته. وجميع ما تقدم هو في الحقيقة ضرب من ادعاء علم الغيب، فهي تكهن وإن سميت بمسمّ

يات حديثة وأضفي عليها العلم التجريبي تمويهاً.

ولا يوجد علاقة بين الفراصة وهذه المصطلحات، فالفراصة نور من الله يقذفه في قلب المؤمن، أما هذه فهي من

✽ الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على الإيمان بالفراصة، وأنها قد تنال بنوع من الكسب الإيمانيّ: لزوم طاعة الله، وتتبع مرضيه، وتعمير الظاهر باتباع السنّة، والباطن بدوام المراقبة، وكف النفس عن الشهوات والمحرمات.

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستقامة» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٢ - «بدائع الفوائد» (ج ٣)، لابن القيم.
- ٣ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ١٠)، للقرطبي.
- ٤ - «الجواب الصحيح» (ج ٦)، لابن تيمية.
- ٥ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.
- ٦ - «الصارم المسلول» (ج ٣)، لابن تيمية.
- ٧ - «الطرق الحكمية»، لابن القيم.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٤، ١٦، ١٧)، لابن تيمية.
- ٩ - «مدارج السالكين» (ج ١، ٢)، لابن القيم.
- ١٠ - «النهاية في غريب الحديث» (ج ٣)، لابن الأثير.

ظلمات الكهانة وهي مرادفة لها بالمعنى والمبنى وإن اختلفت المسميات^(١).

✽ الفروق:

الفرق بين الفراصة الإيمانيّة والإلهام والتحديث:

الفراصة الإيمانية قد تنال بنوع كسب وتحصيل، وأما الإلهام والتحديث (وهو إلهام خاصّ) فموهبة مجردة لا تنال بكسب ألبتة^(٢).

الفرق بين الفراصة والكرامة:

الكرامة: «أمر خارق للعادة، غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة لها، يظهر على يد عبد ظاهر الصّلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلّ بشرعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصّالح، علم بها ذلك العبد الصّالح أم لم يعلم»^(٣)، فالكرامة أمر خارق للعادة. أما الفراصة فالإلهام، وقد تنال بنوع كسب وتحصيل، وإذا كانت الفراصة إيمانية فهي حينئذٍ كرامة، بخلاف غيرها من أنواع الفراصة فليست كرامة.

(١) انظر: مجلة الدراسات العقدية (العدد السادس ٣٤٢ - ٣٥٣).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/٤٤، ٤٥).

(٣) لوامع الأنوار البهية للسفارييني (٢/٣٩٢) [المكتب الإسلامي، بيروت]. وانظر: التعريفات للجرجاني (٢٣٥) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٥هـ]، والتوقيف على مهمات التعاريف (٦٠١) [دار الفكر، ط ١، ١٤١٠هـ].

الذي يطلق على المخلوق، فإنه لا ينفك عنه معنى الضعف والاحتياج الملازم للمخلوقات عمومًا، كما أن ما يستوعبه المعنى اللغوي في هذه الصفة كالبطر والطرب ونحوه من معاني النقص؛ فإنه لا يدخل في المعنى الشرعي هنا.

❁ الحكم:

وجوب إثبات صفة الفرح لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

❁ الأدلة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «اللهُ أَشَدُّ فرحًا بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهب، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده»^(٤)

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو إسماعيل الصابوني: «وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٠٨)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٤٤)، واللفظ له.

❁ الفرحة ❁

❁ التعريف لغةً:

الفاء والراء والحاء يدل على خلاف الحزن^(١). وقد استعمل الفرحة: بمعنى الرضا والسرور، تقول: فرح به: سرّ، وهو خلاف الحزن، تقول: فرح يفرح فرحًا^(٢).

❁ التعريف شرعًا:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى على وجه الكمال والجلال، تقتضي رضا الله تعالى عن عبده التائب، وقبول توبته، فغايتها إتمام نعمته على التائبين المنيين من صالح أوليائه^(٣)، بلا تشبيه ولا تكييف، وهي دليل على رضاه ومحبته ولطفه بعباده.

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين من حيث الدلالة على الرضا والمحبة، لكن المعنى في حق الله تعالى على غاية الكمال والجلال؛ وفرحه سبحانه عن غنى ورحمة وإحسان، بخلاف الفرحة

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤/٤٩٩) [دار الفكر، ١٣٩٩]، ولسان العرب (٢٥/٥٤١) [دار صادر، ١٤١٤هـ].

(٢) الصحاح (١/٣١٣) [دار العلم للملايين، ١٩٩٠م]، ولسان العرب (٢٥/٥٤١) [دار صادر، ١٣٧٤هـ]، والمصباح المنير للفيومي (٢/٤٦٦).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية لهراس (١٦٦).

بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والفرح والضحك وغيرها»^(١).

وقال البغوي - في كلامه على صفة الأصابع لله تعالى -: «والإصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله ﷻ، وكذلك كل ما جاء في الكتاب والسنة من هذا القبيل من صفات الله تعالى؛ كالنفس والوجه والعين والضحك والفرح»^(٢).

وقال ابن تيمية: «بل هو سبحانه يفرح بتوبة التائب أعظم من فرح الفاقد لراحته عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذا وجدها بعد اليأس، فالله أشد فرحًا بتوبة عبده من هذا براحلته»^(٣).

الآثار:

١ - الإقبال على الله ﷻ بكثرة التوبة والإنابة والاستغفار؛ فما من تائب إلا يفرح ربه بتوبته، ويعطيه عليها أضعاف أضعاف ما رجا بتوبته، ولئن كان الغض والسكوت عن خطأ التائب وستره فضلًا عظيمًا ومنة كبيرة، فكيف بفرح بتلك التوبة وشكره عليها! فسبحان ربنا ما أرحمه وأكرمه!

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٦٥) [دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٩].

(٢) شرح السنة (١/١٥٥) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٣) ثبوت الكمال لله لابن تيمية - ضمن مجموع الفتاوى (٦٦/٥).

٢ - فرح المؤمن بما يفرح به ربه ﷻ، فيفرح بتوبته هو، ويفرح بتوبة غيره، ويفرح بعموم أسباب الخير والفلاح، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَفْضَلُ اللَّهُ وِرْحَمَتَهُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس]، وكما كان النبي ﷺ يفرح بالتائبين والداخِلين في دين الله تعالى.

٣ - كثرة التائبين بما يفتحه الله تعالى عليهم بفرحه بهم من الهدى والخير.

٤ - التوفيق والسداد الذي يجده كل تائب إلى ربه؛ وهو أثر فرح الله تعالى به.

٥ - الحياة الطيبة التي يعيشها كل مؤمن كثير التوبة والإنابة.

٦ - رحمة الله تعالى بعباده بما يسره لهم من كسب الدرجات العلاء، وفتح باب الرجوع والاستدراك لكل خطأ وذنوب يحول دونها أو يضعف الوصول إليها.

مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في هذه الصفة، فلم يشتموها؛ بناء على أصلهم في رد أحاديث الآحاد في باب الاعتقاد، وكذلك دعوى التشبيه والتجسيم وحلول الحوادث التي يجعلونها لازم الصفات الفعلية، وزعموا أن الفرحة لذة تقع في القلب بإرادة المحبوب ونيل المشتهى، والله تعالى منزّه عن ذلك، ولذلك منهم من أوّل

هذه الصفة إلى لازمها وهو الرضا^(١)، ومنهم من أولها بما يفعله بغيره من الفرح، وهو الثمرة الحاصلة^(٢).

والرد عليهم:

بنفي هذا اللازم الذي ذكره في إثبات الصفة، فأهل السُّنة يثبتونها لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجه، ولا مماثلة فيه لشيء من صفات المخلوقين، ويجرونها على ظاهرها دون الخوض في الكيفيات.

وأما هذه الإلزامات التي يوردها المعطلة على الإثبات فما هي إلا تدليس وتلبيس لرد الحق؛ فإنهم أخذوا في مسمى الصفة خصائص المخلوق ثم نفوها جملة عن الخالق، وهذا في غاية التلبيس والإضلال، فإن الخاصية التي أخذوها في الصفة لم تثبت لها لذاتها، وإنما تثبت لها بإضافتها إلى المخلوق، ومعلوم أن نفي خصائص صفات المخلوقين عن الخالق لا يقتضي نفي أصل الصفة عنه سبحانه، ولا إثبات أصل الصفة له يقتضي إثبات خصائص المخلوق له، كما أن ما نفي عن صفات الرب تعالى من النقائص والتشبيه لا

يقتضي نفيه عن صفة المخلوق، ولا ما ثبت لها من الوجوب والقدم والكمال يقتضي ثبوته للمخلوق لإطلاق الصفة على الخالق والمخلوق، فالصفة الثابتة لله مضافة إليه لا يتوهم فيها شيء من خصائص المخلوقين لا في لفظها ولا في ثبوت معناها، وكل من نفي عن الرب تعالى صفة من صفاته لهذا الخيال الباطل لزمه نفي جميع صفات كماله؛ لأنه لا يعقل منها إلا صفة المخلوق، بل ويلزمه نفي ذاته؛ لأنه لا يعقل من الذوات إلا الذوات المخلوقة، ومعلوم أن الرب ﷻ لا يشبهه شيء منها^(٣).

وأما تفسير الصفة بلازمها وذكر ما تدل عليه من المحبة والرضا فليس هذا هو محل الإنكار، ولكن أن يجعل هذا التفسير ردًّا للصفة الثابتة، فهذا هو المردود.

المصادر والمراجع:

- ١ - «ثبوت الكمال لله»، لابن تيمية.
- ٢ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنة الأصبهاني.
- ٣ - «شرح السُّنة»، للبلغوي.
- ٤ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

(١) انظر: أساس التقديس (١١١) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط١]. وانظر ما نقله ابن حجر في الفتح (١٠٩/١١) [دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ].

(٢) انظر ما نقله ابن حجر في الفتح (١٠٩/١١).

(٣) انظر: جلاء الأفهام (٨٥) [عالم الكتب، بيروت]، والرسالة الأكمليّة - ضمن مجموع الفتاوى (٦/١١٩).

الأعلى، وهو المقصود عند الإطلاق، وهو أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة، وسيأتي ذكر الأدلة عليه في موطنه.

❁ الحكم:

الإيمان به واجب.

❁ الحقيقة:

جاءت النصوص الشرعية تبين أن الفرديوس أعلى الجنة وأوسطها وسقفه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة.

❁ المنزلة:

أحد مفردات اليوم الآخر الغيبية المتعلقة بالجنة.

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى في ختام صفات المفليحين من المؤمنين: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون].

وقال ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفرديوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه

٥ - «شرح العقيدة الواسطية»، لمحمد خليل هراس.

٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.

٧ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.

٨ - «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»، لأبي عثمان الصابوني.

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

❁ الفرديوس ❁

❁ التعريف لغةً:

البستان الذي فيه الكرم والأشجار، والجمع: فراديس، ومنه جنة الفرديوس^(١)، وهو عربي كما قال الفراء^(٢).

وحقيقة الفرديوس: أنه البستان الذي يجمع ما يكون في البساتين، وكذلك هو عند أهل كل لغة^(٣).

❁ التعريف شرعاً:

يُطلق الفرديوس على الجنة عموماً، كما أن له معنى خاصاً؛ وهو الفرديوس

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/١١٩) [دار الفكر].

(٢) انظر: الصحاح (٣/٩٥٩) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٣/١٠٤) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، ولسان العرب (٦/١٦٣) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ].

جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام:
واكرب أباه، فقال لها: «ليس علي أبيك
كرب بعد اليوم». فلما مات، قالت: يا
أبتاه، أجب ربًّا دعاه، يا أبتاه، من جنة
الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل
ننعاها. فلما دفن، قالت فاطمة عليها السلام: يا
أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على
رسول الله صلى الله عليه وآله التراب»^(٥).

وقال أنس رضي الله عنه أيضًا: أصيب حارثة
يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى
النبي صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله، قد
عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في
الجنة أصبر وأحتسب، وإن تك الأخرى
ترى ما أصنع، فقال: «ويحك أو هبلت،
أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه
في جنة الفردوس»^(٦).

وقال تعالى في صفات ورثة
الفردوس: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ
﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ
مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنْ أَتْبَعَنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ
﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾
[المؤمنون].

قال ابن تيمية: «فمن لم يتصف بهذه

عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار
الجنة»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن كثير: «قال بعض السلف: لا
يُسَمَّى البستان فردوسًا إلا إذا كان فيه
عنب، فالله أعلم»^(٢).

وقال المباركفوري في معنى «أعلى
الجنة وأوسطها»: «أي: أعدها وأفضلها
وأوسعها وخيرها، ذكره السيوطي، وقال
ابن حبان: المراد بالأوسط: السعة،
وبالأعلى: الفوقية»^(٣).

وقال أبو حاتم ابن حبان: «قوله صلى الله عليه وآله:
«فهو أوسط الجنة» يريد به أن الفردوس
في وسط الجنان في العرض، وقوله:
«وهو أعلى الجنة» يريد به في
الارتفاع»^(٤).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الفردوس ليست
خاصة بالأنبياء:

فهي لهم ولغيرهم من الشهداء
وأصحاب الأوصاف المذكورين في أول
سورة المؤمنين.

قال أنس رضي الله عنه: «لما ثقل النبي صلى الله عليه وآله

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٢٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/٤٦٥) [دار الفكر، ط ١٤٠٦هـ].

(٣) تحفة الأحوذى (٦/٣٢١) [دار المعرفة].

(٤) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (١٠/٤٧٣)

[مؤسسة الرسالة، ط ١٤١٤هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٦٢).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٣٩٨٢).

الصالحة؛ لأنه ﷺ أمر الجميع بالدعاء بالفردوس بعد أن أعلمهم أنه أعدها للمجاهدين، وقيل: فيه جواز الدعاء بما لا يحصل للداعي لما ذكرته والأول أولى^(٤).

وفيما تقدم من نصوص ردّ على «من زعم أن الفردوس الأعلى لا يسكنه أحد خلا الأنبياء»^(٥).

- المسألة الثانية: الفردوس أحد أسماء الجنة:

قال ابن القيم عن الجنة: «ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومسامها واحد باعتبار الذات، فهي مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه... الاسم الثامن: الفردوس، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٦) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (١٧) خَالِدِينَ فِيهَا ﴿١٨﴾ [الكهف]، والفردوس، اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات»^(٦).

الصفات لم يكن من الوارثين؛ لأن ظاهر الآية الحصر، فإن إدخال الفصل بين المبتدأ والخبر يشعر بالحصر»^(١).

وقال في موطن آخر: «أخبر ﷺ أن هؤلاء هم الذين يرثون فردوس الجنة، وذلك يقتضي أنه لا يرثها غيرهم، وقد دل هذا على وجوب هذه الخصال، إذ لو كان فيها ما هو مستحب لكانت جنة الفردوس تورث بدونها؛ لأن الجنة تُنال بفعل الواجبات دون المستحبات؛ ولهذا لم يذكر في هذه الخصال إلا ما هو واجب»^(٢).

وقال ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفتجر أنهار الجنة»^(٣).

وقد وسّع أهل الفردوس ابن حجر إذ قال: «وفي الحديث فضيلة ظاهرة للمجاهدين، وفيه عظم الجنة وعظم الفردوس منها، وفيه إشارة إلى أن درجة المجاهد قد ينالها غير المجاهد، إما بالنية الخالصة أو بما يوازيه من الأعمال

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٣/٦) [دار الفكر].

(٥) صحيح ابن حبان (٤٠٣/١٦).

(٦) التفسير القيم لابن القيم (٢٧٦/٢) [المركز الدولي

للتراث العربي].

(١) الفتاوى الكبرى (٨٥/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٢) مجموع الفتاوى (١٤٢/٢٩) [دار عالم الكتب،

١٤١٢هـ].

(٣) تقدم تخريجه.

- المسألة الرابعة: الفرديوس أشرف الجنان لقربه من العرش:

قال الفضيل بن عياض: «أندرون لم حُسنَت الجنة؟ لأن عرش رب العالمين سقفاها»^(٤).

وقال ابن القيم: «وكل ما كان أقرب إلى العرش كان أنور وأنزه وأشرف مما بُعد عنه؛ ولهذا كانت جنة الفرديوس أعلى الجنان، وأشرفها، وأنورها، وأجلها؛ لقربها من العرش؛ إذ هو سقفاها، وكل ما بُعد عنه كان أظلم وأضيق؛ ولهذا كان أسفل سافلين شر الأمكنة، وأضيقتها، وأبعدها من كل خير»^(٥).

- المسألة الخامسة: هل الفرديوس هي الجنة التي أخرج منها آدم ﷺ؟

ذهب القاضي عياض إلى أن الجنة التي أخرج منها آدم ﷺ هي جنة الفرديوس، مستدلاً بحديث المحاجة بين آدم وموسى ﷺ، وفيه: «قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض»^(٦).

فإنه قال بعد أن ساق الحديث: «فيه

وقال ابن حجر: «أسماء الجنة عشرة أو تزيد: الفرديوس وهو أعلاها، ودار السلام، ودار الخلد، ودار المقامة، وجنة المأوى، والنعيم، والمقام الأمين، وعدن، ومقعد صدق، والحسنى، وكلها في القرآن»^(١).

- المسألة الثالثة: شرطاً نزول الفرديوس هما الإيمان والعمل الصالح:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: إن الذين صدّقوا بالله ورسوله، وأقروا بتوحيد الله، وما أنزل من كتبه، وعملوا بطاعته، كانت لهم بساتين الفرديوس»^(٢).

وفصل ابن عثيمين الشروط فقال: «صارت جنات الفرديوس نزلاً للمؤمنين، لكن بشرطين: الإيمان، والعمل الصالح.

والإيمان محله القلب، والعمل الصالح محله الجوارح، وقد يراد به أيضاً عمل القلب، كالتوكل والخوف والإنابة والمحبة، وما أشبه ذلك.

والصالحات هي التي كانت خالصة لله، وموافقة لشريعة الله»^(٣).

(٤) حادي الأرواح (٥٧)، [دار الكتب العلمية].

(٥) الفوائد (٢٧) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم

٣٤٠٩)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(١) فتح الباري (١١/٤٠٩).

(٢) تفسير الطبري (١٨/١٣٠) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٣) تفسير ابن عثيمين (٦/١١٩).

«أعلى درجة في الجنة، لا ينالها إلا رجل واحد، وأرجو أن أكون أنا هو»^(٤).

وفي رواية لأحمد: «الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة، فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة»^(٥).

ولا تعارض بين الأمرين ولا إشكال؛ لأن الوسيلة كما فسرها الحديث أعلى درجات الجنة؛ أي: أعلى درجات الجنة الفردوس التي أمرنا بسؤالها، قال المناوي: «الوسيلة أعلى درجات الجنة، وهي خاصة به ﷺ فهي أعلى الفردوس، وجمع بين الأحاديث بأن الفردوس أعلى الجنة، وفيه درجات أعلاها الوسيلة، ولا مانع من انقسام الدرجة الواحدة إلى درجات بعضها أعلى من بعض»^(٦).

- المسألة السابعة: منزلة الفردوس من الجنات:

تقدم فيما مضى بيان أن الفردوس

(٤) أخرجه بهذا السياق الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٦١٢)، وقال: هذا حديث غريب، وإسناده ليس بالقوي.

وأصله عند مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٣٨٤)، ولفظه: «سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو».

(٥) أخرجه أحمد (٨٣/٣) [مؤسسة قرطبية]، وقال الهيثمي: (فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف). مجمع الزوائد (٣٣٢/١) [مكتبة القدسي]. لكن له طرق يتقوى بها، كما في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٥٧١).

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣٦٨/١) [المكتبة التجارية الكبرى، ط ١٣٥٦هـ]

حجّة لأهل السنّة أن الجنة التي خرج منها آدم هي جنّة الفردوس، والتي يدخلها الناس في الآخرة، خلافاً لقول المبتدعة: إنها جنة أخرى غيرها»^(١).

ولا شك أن آدم ﷺ أخرج من جنّة السماء إلى الأرض، ولكن أهى جنّة الفردوس التي هي أعلى الجنة أم جنة دونها؟ لا جزم في ذلك؛ لعدم وجود دليل صريح في المسألة.

لكن المعتقد الصحيح قائم على أن الجنة التي أخرج منها آدم ﷺ إلى الأرض هي جنة السماء المذكورة في النصوص، والتي وعدّها الله المؤمنين، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والجنة التي أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة، وأهل السنّة والجماعة هي جنة الخلد»^(٢).

- المسألة السادسة: لا إشكال بين سؤال الفردوس وسؤال الوسيلة:

أمر النبي ﷺ أمته بسؤال الفردوس كما في قوله ﷺ: «إذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة»^(٣)، وكذا سؤال الوسيلة له ﷺ، وهي أعلى درجة في الجنة، كما في قوله ﷺ: «سلوا الله لي الوسيلة»، قالوا: يا رسول الله، وما الوسيلة؟ قال:

(١) إكمال المعلم (٦٧/٨) [دار الوفاء، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٣٤٧/٤).

(٣) تقدم تخريجه.

قال ﷺ: «أتاني جبريل بمثل المرأة البيضاء فيها نكتة سوداء، قلت: يا جبريل: ما هذه؟ قال: هذه الجمعة جعلها الله عيداً لك ولأمتك فأنتم قبل اليهود والنصارى، فيها ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه. قال: قلت: ما هذه النكتة السوداء؟ قال: هذا يوم القيامة تقوم في يوم الجمعة، ونحن ندعوه عندنا المزيّد، قال: قلت ما يوم المزيّد؟ قال: إن الله جعل في الجنة وادياً أبيض، وجعل فيه كثناناً من المسك الأبيض، فإذا كان يوم الجمعة ينزل الله فيه، فوضعت فيه منابر من ذهب للأنبياء، وكراسي من در للشهداء، وينزلن الحور العين من الغرف، فحمدوا الله ومجدوه، قال: ثم يقول الله: اكسوا عبادي، فيكسون، ويقول: أطعموا عبادي، فيطعمون، ويقول: اسقوا عبادي، فيسقون، ويقول: طيبوا عبادي، فيطيبون، ثم يقول: ماذا تريدون؟ فيقولون: ربنا رضوانك، قال: يقول: رضيت عنكم، ثم يأمرهم فينطلقون، وتصعد الحور العين الغرف، وهي من زمردة خضراء ومن ياقوتة حمراء»^(٤).

اسم يطلق على جميع الجنة، وهو بالمعنى الأخص يطلق على درجة في الجنة هي أعلاها وأوسطها، ولما كان عرش الرحمن هو سقفها، وهو أعظم المخلوقات وأفضلها وأشرفها وأعلاها ذاتاً وقدرًا، كانت جنة الفردوس أعلى الجنان وأجلها وأشرفها وأنورها وأفضلها^(١).

- المسألة الثامنة: الفردوس مصدر أنهار الجنة:

لقوله ﷺ: «إذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»^(٢).

ومعنى «تفجر أنهار الجنة»: تُشق وتُجرى أصول الأنهار الأربعة؛ من الماء، واللبن، والخمر، والعسل^(٣).

وقد جاء ذكر هذه الأنهار في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

- المسألة التاسعة: الفردوس محضن الوادي الأفيح:

هذا الوادي غير الأنهار الأربعة،

(١) انظر: الروح لابن القيم (٦٩)، [دار الكتب العلمية]، والفوائد له (٢٧) [دار الكتب العلمية].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: تحفة الأحوذى (٦/٣٢١).

(٤) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٩٠) [دار ابن

الأنير، ط ٢٢]، والبزار (٦٨/١٤) [مكتبة العلوم

والحكم، ط ١٦]، وأبو يعلى في مسنده (٢٨٨/٧)

[دار المأمون للتراث، ط ١٦] واللفظ له، والطبراني

في الأوسط (٢/٣١٤) [دار الحرمين]، وغيرهم، من =

كان كذلك؛ لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل؛ والأوساط محمية محفوظة»^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الفوائد»، لابن القيم.
- ٢ - «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، لابن القيم.
- ٣ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤)، لابن تيمية.
- ٤ - «الروح»، لابن القيم.

الفرق الضالة

يراجع مصطلح (الافتراق).

الفرقة الناجية

التعريف لغة:

الفرقة من مادة (ف - ر - ق)، و«الفاء والراء والقاف أصيل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين، والفرقان: كتاب الله تعالى فَرَّقَ به بين الحق والباطل، والفرقان: الصبح، سُمي بذلك؛ لأنه به يُفَرَّق بين الليل والنهار»^(٣). ويقال: فَرَّقْتُ بين الشيئين أفرق فرقًا وفرقًا، وفرقت الشيء تفريقًا وتفريقًا فانفرك وافترق وتفَرَّق.

والفِرْق: طائفة من الناس، والفريق:

(٢) تحفة الأحوذني (١/٣٢١).

(٣) مقاييس اللغة (٤/٤٩٣) [دار الجليل].

والشاهد منه، قوله ﷺ: «إن الله جعل في الجنة واديًا أفيح، وجعل فيه كثرًا من المسك الأبيض»، وفي رواية الشافعي: قال: «إن ربك اتخذ في الفردوس واديًا أفيح فيه كثر مسك»^(١). فذكر الفردوس بدل الجنة.

الآثار:

التشويق، وإيثار الآخرة والكف عن الدنيا وأطماعها، والحث على الطاعات والاجتهاد في الاتصاف بصفات الواردين لها.

الحكمة:

قال الطيبي: «النكتة في الجمع بين الأعلى والأوسط أنه أراد بأحدهما الحسي وبالأخر المعنوي.

فإن وسط الشيء أفضله وخياره، وإنما

= طرق عن أنس بن مالك ﷺ.

وقال الهيثمي في المجمع (١١/٣٧٩) [دار الفكر، ط ١٤١٣هـ]: «رواه البزار والطبراني في الأوسط بنحوه، وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم»، وصحح إسناده البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٢/٢٦٠) [دار الوطن، ط ١]، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/٢٧٢) [مكتبة المعارف، ط ٥]: «حسن لغيره».

(١) مسند الشافعي (٧٠) [دار الكتب العلمية]، وضعف ابن تيمية إسناده، وأشار ابن القيم إلى أن للحديث طرقًا عديدة. انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/٦١٨) [دار الكتب العلمية]، تهذيب السنن لابن القيم (٢/٣٩١)، وزاد المعاد (١/٣٦٨).

❖ سبب التسمية:

هذا الاسم مأخوذ من إخبار النبي ﷺ - لما ذكر أن أمته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة - أن فرقة واحدة من بين تلك الفرق هي الناجية، فهي لتمسكها بالسُّنة نجت من الضلال في الدنيا، وستنجو من النار في الآخرة.

❖ الأسماء الأخرى:

أهل السُّنة والجماعة، الجماعة، السلف، أهل الحديث، أهل الأثر، السواد الأعظم، الطائفة المنصورة.

❖ الحكم:

يجب التزام منهج الفرقة الناجية، وسلوك سبيلها، والتصديق بوجودها.

❖ الأدلة:

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: **ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»**^(٤). فأخبر أن هناك فرقة ناجية

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنة، ٤٥٩٧)، وأحمد (١٣٤/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ١٦]، والدارمي (كتاب السير، رقم ٢٥٦٠)، وابن أبي عاصم في السُّنة (٧٦/١) [المكتب الإسلامي، ١٦]، وحسنه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (٦٣)، وصحح ابن تيمية المتن في مجموع الفتاوى (٣٤٥/٣)، وله عدة شواهد أشار إليها الألباني في =

الطائفة من الناس، وهم أكثر من الفرق، والفرقة: مصدر الافتراق^(١).

والناجية من مادة (ن - ج - و)، يقال: نجا نجواً ونجاءً ونَجَايةً: خَلَصَ. والناجية والنجاة: الناقة السريعة تنجو بمن يركبها، والنَجْوُ والنَّجَاة: المكان المرتفع الذي تظن أنه نجاؤك، لا يعلوه السيل^(٢).

❖ التعريف شرعاً:

الفرقة الناجية: هي التي تسير على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأكثرهم معرفة بمعانيها، وأشدهم اتباعاً لها؛ تصديقاً وعملاً^(٣).

❖ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى اللغوي عام، والمعنى الشرعي خصّه بأهل السُّنة والجماعة، المتمسكون بالكتاب والسُّنة.

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٩٦/٩) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ]، والصحاح (١٢٦٧/٤) [دار إحياء التراث العربي، ١٦، ١٤١٩هـ]، والقاموس المحيط (٣٧١/٣) [دار الكتب العلمية، ١٦، ١٤١٥هـ].

(٢) ينظر: الصحاح للجوهري (١٩٨٦/٥٤)، وتهذيب اللغة (١٣٥/١١)، والقاموس المحيط (٤٥٢/٤).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٤٧/٣)، والدين الخالص للفتنوجي (٤٤/٣) [دار الكتب العلمية، ١٦، ١٤١٥هـ].

الفرقة الناجية، ثم قد تُقيم بعض الفِرَق على دعواها برهاناً أوهى من بيت العنكبوت.

وبالجملة:

فكلُّ يدَّعي وصلاً ليلى

وليلى لا تقرُّ لهم بذاكا

وكان الأحسن بالناظر في الحديث أن يكتبني بالتفسير النبوي لتلك الفرقة، فقد كفاه ﷺ - معلّم الشرائع الهادي إلى كل خير ﷺ - المؤنة، وعيّن له الفرقة الناجية، بأنها: من كان على ما هو عليه ﷺ وأصحابه، وقد عَرَفَ بحمد الله من له أدنى همة في الدين ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه»^(٤).

وقال عبد الرحمن بن حسن: «الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين، هي التي تمسكت بكتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، وعملوا بما في كتاب الله، وأخلصوا له العبادة، واتبعوا رسوله ﷺ»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- ليس كل الفرق الثنتين والسبعين خارجة عن الملة:

فهم لا يزالون من أهل الإسلام، لم يخرجوا منه إلى الكفر: فالنبي ﷺ لم يخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من

(٤) حديث افتراق الأمة (٧٨، ٧٩) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٥) الدرر السنية (٤٠٢/١١) [ط ٦، ١٤١٣هـ]. وينظر: (٣٥٢/١١).

من بين هذه الفرق الثلاث وسبعين. وفي رواية للترمذي: قال: «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»^(١).

أقوال أهل العلم:

ساق الخطيب البغدادي بسنده عن الإمام أحمد - وذكر حديث النبي ﷺ: «تفترق الأمة على نيف وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة» - فقال: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم»^(٢). ومراده بأهل الحديث: أهل السُنَّة والجماعة.

قال ابن تيمية: «وفيهم الصديقون، والشهداء، والصالحون، ومنهم أعلام الهدى، ومصايح الدجى، أولو المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال، وفيهم أئمة الدين، الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم، وهم الطائفة المنصورة»^(٣).

وقال الصنعاني: «كل فرقة تزعم أنها

= السلسلة الصحيحة (٤٠٥/١) [مكتبة المعارف، ط ١].
(١) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٤١)، والحاكم (كتاب العلم، رقم ٤٤٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٣٣٤، رقم ٢١٢٩) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٢) شرف أصحاب الحديث (٢٥) [دار إحياء السُنَّة].

(٣) العقيدة الواسطية بشرح هراس (٢٦١) [دار الهجرة، ط ٣، ١٤١٥هـ].

أمته - ولم يقل: إنهم يخلدون في النار، فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته، فإن كثيراً من المنتسبين إلى السنة فيهم بدعة من جنس بدع الرافضة والخوارج، وأصحاب الرسول ﷺ - علي ابن أبي طالب وغيره - لم يكفروا الخوارج الذين قاتلوهم»^(٣).

وقال: «وليس قوله: «اثنان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة» بأعظم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء] وأمثال ذلك من النصوص الصريحة بدخول من فعل ذلك النار»^(٤).

وجدير بالتنبيه هنا: أن هذه الفرق ليست على درجة واحدة، بل هم متفاوتون، كما أن من الفرق من صرح أئمة الإسلام بكفرهم، بل نص بعضهم على أنهم خارجون عن الفرق الثنتين والسبعين، كالجهمية مثلاً، لكونهم قالوا بمقالات توجب ذلك.

المصادر والمراجع:

١ - «شرف أصحاب الحديث»، للخطيب البغدادي.

أمته - أمة الإجابة - وقال: «كلها في النار» ولم يقل: إنهم مخلدون في النار، فهو وعيد في حقهم كسائر نصوص الوعيد الواردة في مرتكبي بعض الكبائر، كقوله ﷺ في حديث ابن عباس رضى الله عنه: «كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه في جهنم»^(١)، ولم يقل أحد من أهل السنة: إن المصور خارج من ملة الإسلام بمقتضى هذا الحديث.

ومن باب أولى عدم الحكم على معين ممن انتسب لفرقة من هذه الفرق بالكفر، ما لم يقع في مكفر، وتتوفر فيه شروط التكفير، وتتفي عنه موانعه.

قال ابن تيمية: «ومن قال: إن الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفراً ينقل عن الملة، فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة، وإنما يكفر بعضهم بعضاً ببعض المقالات»^(٢).

وقال أيضاً: «ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفاراً، بل مؤمنين، فيهم ضلال وذنوب، يستحقون به الوعيد، كما يستحقه عصاة المؤمنين، والنبي ﷺ لم يخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من

(٣) منهاج السنة (٥/٢٤١) [جامعة الإمام، ط ٢].

(٤) منهاج السنة (٥/٢٤٩).

(١) أخرجه مسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٢١٧).

٢ - «العقيدة الواسطية»، لابن تيمية

❁ **التعريف شرعاً:**

[بشرح هراس].

٣ - «حديث افتراق الأمة»، للصنعاني.

فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من

خرج بعصيان^(٢).

٤ - «المباحث العقدية في حديث

❁ **الأسماء الأخرى:**

افتراق الأمم»، لأحمد سردار محمد مهر الدين شيخ.

٥ - «درء التعارض»، لابن تيمية.

٦ - «فضل علم السلف على

❁ **الحكم:**

يجب على المسلم أن يحذر من

الخروج عن طاعة الله، ويتعد عن

الوقوع في الفسق، ويجتنب فعل

المنكرات والمعاصي؛ لئلا يكون من

الفاسقين الموعودين بالعذاب يوم

القيامة.

الخلف»، لابن رجب.

٧ - «التحف في مذاهب السلف»،

للسوكاني.

٨ - «لوامع الأنوار»، للسفاريني.

٩ - «وسطية أهل السنة بين الفرق»،

لمحمد باكريم.

❁ الفسق ❁

❁ **التعريف لغة:**

الفسق: هو الخروج عن الطاعة،

وأصله: خروج الشيء من الشيء على

وجه الفساد، ومنه قولهم: فسق الرطب:

إذا خرج عن قشره. وتسمى الفأرة:

الفويسقة؛ لخروجها من جحرها على

الناس. وفسق: جار ومال عن

طاعة الله ﷻ. والتفسيق ضد التعديل،

يقال: فسقه الحاكم؛ أي: حكم بفسقه،

وفسق فسوقاً؛ أي: فجر فجوراً^(١).

ويجب كذلك على المسلم الذي يريد

لنفسه النجاة أن لا يتعجل في إصدار

الحكم على أحد من المسلمين بالفسق،

خاصة إذا افتقر إلى الحجة والبيّنة؛ لأن

عاقبة هذا الأمر وخيمة، يقول النبي ﷺ:

«لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه

بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن

صاحبه كذلك»^(٣).

❁ **الحقيقة:**

الفسق اسم عام يشمل الكفر،

[دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، وتاج العروس (٢٢/٣٠٢ -

٣٠٤) [وزارة الإعلام، الكويت، ط ١٤٠٨هـ].

(٢) المحرر الوجيز (١/١١٢) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠٤٥) واللفظ

له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦١).

(١) انظر: تهذيب اللغة (٨/٣١٥) [دار إحياء التراث

العربي، ط ١، ٢٠٠١م]، ومقاييس اللغة (٤/٥٠٢)

كُفْر»^(٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يرمي رجل رجلاً رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك»^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رحمته الله: «إن الفسق يكون تارةً بترك الفرائض، وتارةً بفعل المحرمات»^(٥).

وقال أيضًا: «لفظ المعصية والفسوق والكفر، إذا أطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيها الكفر والفسوق، كقوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾^(٦) [الجن]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾^(٧) [هود].»^(٦)

وقال ابن حجر رحمته الله: «الفسق هو الخروج عن طاعة الله ورسوله، وهو في عُرف الشرع أشد من العصيان، قال الله تعالى: ﴿وَكُرْهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾^(٨) [الحجرات: ٧]»^(٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٤).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٥١/٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٦) المصدر السابق (٢٥٩/٧).

(٧) فتح الباري (١١٢/١) [دار المعرفة، ط ١٣٧٩هـ].

والكباثر، وبقية المعاصي. وهو في حقيقته: ميلٌ عن القصد، وانحرافٌ عن الاستقامة^(١). ويأتي في الشرع بمعانٍ عدة، ويستحق وصفَ الفسق: كلُّ من نسى حقَّ الله تعالى وأضاع أوامره. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١٦) [الحشر].

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾^(٩) [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(١٨) أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون^(١٩) وأما الذين فسقوا فمأواهم النار^(٢٠) [السجدة].

ومن السنة حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أربع كلهن فاسق، يقتلن في الحل والحرم: الحدأة، والغراب، والفأرة، والكلب العقور»^(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله

(١) تفسير الطبري (٢٩١/١٥) [دار هجر، ط ١].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٨٢٩)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١١٩٨)، واللفظ له.

وقال الألويسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الفسق وهو شرعاً: خروج العقلاء عن الطاعة، فيشمل الكفر ودونه من الكبيرة والصغيرة. واختص في العرف والاستعمال بارتكاب الكبيرة، فلا يطلق على ارتكاب الآخرين إلا نادراً بقرينة»^(١).

❁ الأقسام:

الفسق ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: فسق يخرج عن الإسلام، كفسق إبليس، الذي قال الله تعالى عنه: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، وكان ذلك الفسق منه كفراً، وقال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠] يريد الكفار، دل على ذلك قوله: ﴿كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠].

القسم الثاني: الفسق الذي لا يخرج من الملة، وهو على قسمين:

١ - فسق الاعتقاد: كفسق أهل البدع الذين ينفون كثيراً مما أثبت الله ورسوله، جهلاً وتأويلاً، وتقليداً للشيخ، ويثبتون ما لم يثبت الله ورسوله^(٢).

والفسق أعم من البدعة، حيث يطلق الفسق على البدعة وغيرها؛ ولذا قال ابن الصلاح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كل مبتدع فاسق وليس كل فاسق مبتدعاً، والمراد: المبتدع الذي لا تخرجه بدعته عن الإسلام؛ وهذا لأن البدعة فساد في العقيدة في أصل من أصول الدين، والفسق قد يكون فساداً في العمل مع سلامة العقيدة»^(٣).

٢ - فسق العمل: «كالكذب، وقد سمى الله القاذف من المسلمين فاسقاً، ولم يخرج من الإسلام، قال الله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ فَأَجِدُوهُنَّ مُنَيْنٍ جَلَدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

وفسق العمل أمثلته كثيرة، وإطلاقاته متعددة، كما جاء ذلك في النصوص الشرعية، وأثار أهل العلم، ولعل ما يضبط ذلك ما قاله النووي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وأما الفسق فيحصل بارتكاب الكبيرة، أو الإصرار على الصغيرة»^(٥).

❁ المسائل المتعلقة:

- ما يروى عن الحسن من تسمية الفاسق منافقاً:

الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يقل ما خرج

(٣) فتاوى ابن الصلاح (٢١٩) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٠٧هـ].

(٤) تعظيم قدر الصلاة (٥٢٦/٢) [مكتبة الدار، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٥) فتاوى النووي (٢٦١).

(١) روح المعاني (٢١٢/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٢) انظر: مدارج السالكين (٣٦٩/١).

مع الفسق الأصغر - كما هو مقرر عندهم، ومن ثم فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وأمره إلى الله تعالى، إن شاء غفر له برحمته، وإن شاء عذبه بعدله، ومآله إلى الجنة فيما بعد؛ على هذا دلّت نصوص الكتاب والسنة أجمع عليه سلف الأمة^(٤).

به عن الجماعة، لكنه سمى الفاسق منافقًا، وقصد الفاسق الذي فيه إيمان وفيه نفاق؛ أي: النفاق الأصغر: وهو النفاق العملي الذي لا يُخرج من الإسلام. فإطلاقه كَذَلِكَ لفظ النفاق على الفاسق هو بهذا الاعتبار^(١).

❁ مذهب المخالفين:

خالفت المرجئة والوعيدية (وهم الخوارج والمعتزلة) أهل السنة والجماعة في مسألة الفاسق الملي^(٢). فذهبت الوعيدية إلى القول بتكفير الفاسق الملي، فالمعتزلة جعلت حكمه الديني في منزلة بين المنزلتين، وقالت بتخليده في النار يوم القيامة، أما الخوارج فقالت: هو كافر في الدنيا والآخرة. وأما المرجئة فقد ذهبت إلى أنه كامل الإيمان^(٣).

❁ الرد عليهم:

يقال لهم: إن مرتكب الكبيرة مع أنه فاسق بكبيرته، إلا أنه لا يخرج من الإيمان بالكلية، فيمكن اجتماع الإيمان

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين» (ج ١)، لمحمد آل خضير.
- ٢ - «الإيمان: حقيقته - خوارمه - نواقضه عند أهل السنة والجماعة»، لعبد الله الأثري.
- ٣ - «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (ج ١، ٢).
- ٤ - «الزواج عن اقتراف الكبائر»، لابن حجر الهيتمي.
- ٥ - «الفسق وأحكامه عند أهل السنة والمخالفين»، لريما بنت مقرن الشيخ.
- ٦ - «الفسق والنفاق»، لعبد العزيز العبد اللطيف.
- ٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٧)، لابن تيمية.
- ٨ - «المحرر الوجيز» (ج ١)، لابن عطية.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٥٢٣ - ٥٢٤) (١١/١٤٠).

(٢) وهو من وقع في موجبات الفسق الأصغر غير المكفر.

(٣) انظر: غاية المرام في علم الكلام للأمدي (٣١٢)

[المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة]،

وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٦٦٦)،

٦٩٧ [مكتبة وهبة، ط ٣، ١٤١٦هـ]، والفصل في

الملل والنحل لابن حزم (٣/١٨٨) [دار المعرفة،

ط ٢، ١٣٩٥هـ]، وأصول الدين للبغدادى (٢٤٩)

[مطبعة الدولة، إستانبول، ١٣٤٦هـ]. وانظر أيضًا:

مجموع الفتاوى (١٣/٤٨).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٣/١٥١ - ١٥٢).

- ٩ - «مدارج السالكين» (ج ١)، «أنا ابتدأتها»^(٢)(٣) .
 لابن القيم .
 وعلى هذا فلفظ (فطر) يدور معناه
 على الشق والابتداء والخلق .
 ١٠ - «نواقض الإيمان الاعتقادية»،
 لمحمد الوهبي .

❖ التعريف شرعاً:

القول الراجح في تعريف الفطرة أنها الإسلام، وليس معنى هذا أن الإنسان لما يولد يعرف الإسلام بتفاصيله، بل الفطرة هي القوة العلمية التي تقتضي بذاتها الإسلام ما لم يمنعها مانع، وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقَبول للعقائد الصحيحة^(٤) . والقول بأن الفطرة هي الإسلام هو قول عامة السلف^(٥) .

❖ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

معنى الفطرة في اللغة يدل على الخلق

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/٢٨٣) مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، وفي سنده ضعف .

وهو عند البيهقي قي الأسماء والصفات (١/٧٨) [مكتبة السوادي، ط ١]، وفيه: «أنا فطرتها؛ يريد: استحدثت حفرها» .

(٣) الصحاح (٢/٧٨١) [دار العلم للملايين، ط ٣] . وانظر: العين (٧/٤١٧، ٤١٨)، ولسان العرب (٥/٥٥ - ٥٨) [دار صادر]، والمصباح المنير (٢/٤٧٦، ٤٧٧) [دار القلم] .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤/٢٤٥ - ٢٤٧) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ] .

(٥) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨/٧٢) [وزارة علوم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ]، ودرء التعارض (٨/٣٧٣) [مكتبة ابن تيمية]، وشفاء العليل (٢٨٥) [مكتبة الرياض الحديثة، ط ١، ١٣٢٣هـ]، وأحكام أهل الذمة (٢/٥٣٥) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٨٣م]، وفتح الباري (٣/٢٤٨) [دار الفكر] .

❖ الفَطْر

يراجع مصطلح (الفاطر) .

❖ الفطرة

❖ التعريف لغة:

قال الخليل بن أحمد: «فَطَرَ اللهُ الخلق؛ أي: خَلَقَهُمْ، وابتدأ صِنْعَةَ الأشياء، وهو فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، والفِطْرَةُ التي طُبِعَتْ عليها الخليقة من الدين، فَطَرَهُمُ اللهُ على معرفته بربوبيته، وَأَنْفَطَرَ الثوبُ وَتَفَطَّرَ؛ أي: انشَقَّ، وَتَفَطَّرَتِ الجبال والأَرْضُ: انصدعت»^(١) .

وقال الجوهري: «والفِطْرَةُ بالكسر: الخَلْقَةُ، وقد فَطَرَهُ يَفْطُرُهُ بالضم فَطْرًا؛ أي: خلقه . والفَطْرُ أيضًا: الشق، يقال: فَطَرْتَهُ فانفطر، وَتَفَطَّرَ الشيء: تشقق، والفَطْرُ: الابتداء والاختراع، قال ابن عباس رضي الله عنه: كنت لا أدري ما فاطر السماوات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها؛ أي:

(١) العين (٧/٤١٨) [مكتبة الهلال] .

وابتداء الشيء، والمعنى الشرعي يدل على خلق الناس على وضع معين هو الإسلام، والقبول للعقائد الصحيحة.

❖ الأدلة:

أدلة القول بأن الفطرة هي الإسلام كثيرة؛ منها^(١):

١ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الآية [الروم]»^(٢)، وذكروا عن عكرمة، ومجاهد، والحسن، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة، في قول الله ﷻ: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، قالوا: فطرة الله، دين الله الإسلام.

٢ - قول النبي ﷺ: «خمس من الفطرة»^(٣)؛ يعني: فطرة الإسلام.

٣ - ألفاظ الحديث التي في الصحيح مثل قوله: «على الملة»، و«على هذه الملة»^(٤).

٤ - قوله ﷺ في حديث عياض بن حمار رضي الله عنه: «خلقت عبادي حنفاء كلهم»^(٥).

❖ أقوال أهل العلم:

اختلف العلماء في معنى الفطرة على عدة أقوال، وقد سبق ذكر القول الراجح، ومن هذه الأقوال:

القول الأول: أن الفطرة هي الإقرار بمعرفة الله تعالى، وهي العهد الذي أخذه عليهم في أصلاب آبائهم، حين مسح ظهر آدم فأخرج من ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر، وأشهدهم على أنفسهم: ألسن بربكم، قالوا بلى، فليس أحد إلا وهو يقر بأن له صانعاً ومدبراً وإن سمّاه بغير اسمه، قال ﷻ: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] فكل مولود يولد على ذلك الإقرار^(٦).

القول الثاني: أن الله فطرهم على الإنكار والمعرفة، وعلى الكفر والإيمان^(٧).

(٥) جزء من حديث أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٥).

(٦) انظر: تأويل مختلف الحديث (٧٣ - ٩٥) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١]، والتمهيد لابن عبد البر (١٨/ ٩٠ - ٩١)، ودرء التعارض (٣٥٩/٨ - ٣٦٠)، شفاء العليل (٢٨٣).

(٧) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ٨٨)، وشفاء العليل (٢٩٣)، أحكام أهل الذمة (٥٧٥/٢ - ٥٧٦).

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٧٢/١٨)، ودرء التعارض (٣٦٧/٨ - ٣٧١)، وشفاء العليل (٢٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٨٨٩)، ومسلم (كتاب الطهارة، رقم ٢٥٧).

(٤) الروايتان أخرجهما مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٨).

المسائل المتعلقة:

- دليل الفطرة:

الفطرة دليل من أدلة التوحيد التي غرسها الله ﷻ في بني آدم وخلقهم عليها، فهي توجه العبد إلى أفراد الرب ﷻ بالربوبية والألوهية، إلا أن هذه الفطرة قد تتغير بما يؤثر عليها من التنشئة على الشرك، وما يحيط بها من الشبهات والشهوات.

مذهب المخالفين:

ذهب المعتزلة ونحوهم من المتكلمين إلى أنه لم يولد أحد على الإسلام أصلاً، ولا جعل الله أحداً مسلماً ولا كافراً، ولكن هذا أحدث لنفسه الكفر، وهذا أحدث لنفسه الإسلام؛ بلا نزاع بين القدرية، ولكن هو دعاهما إلى الإسلام، وأزاح علتها، وأعطاهما قدرة متماثلة فيهما، تصلح للإيمان والكفر، ولم يختص المؤمن بسبب يقتضي حصول الإيمان، فإن ذلك عندهم غير مقدور، ولو كان مقدوراً لكان ظلماً، وهذا قول عامة المعتزلة.

الثاني: أنهم يقولون: إن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر المشروط بالعقل، فيستحيل أن تكون المعرفة عندهم ضرورية، أو تكون من فعل الله ﷻ (٤).

الرد عليهم:

يرد عليهم بحديث الفطرة السابق،

(٤) انظر: درة المعارض (٣٧٨/٨)، شفاء العليل (٢٨٨).

القول الثالث: أن الفطرة هي الإسلام لكنها خاصة بالمؤمنين؛ لأنه لو فطر الناس جميعاً على الإسلام لما كفر أحد منهم، وهذا خلاف ما دلّت عليه النصوص من أنه ﷻ خلق أقواماً للنار، وأن غلام الخضر طبع كافراً (١).

القول الرابع: أن الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود، من المعرفة بربه، فكأنه قال: كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه، إذا بلغ مبلغ المعرفة، يريد خلقة مخالفة لخلقة البهائم، التي لا تصل بخلقتها إلى معرفة ذلك، ومثل هذا القول من قال: المراد بالفطرة، أن كل مولود يولد على السلامة خلقة، وطبعاً، وبنية، ليس معها كفر ولا إيمان، ولا معرفة ولا إنكار، ثم يعتقد الكفر أو الإيمان بعد البلوغ (٢).

القول الخامس: الفطرة؛ يعني: البداية التي ابتدأهم عليها، من أنه ابتدأهم للحياة والموت، والسعادة والشقاء، وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ من قبولهم عن آبائهم اعتقادهم (٣).

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢٦/١٤) [دار الكاتب العربي، ١٣٨٧هـ].

(٢) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٦٨/١٨ - ٧٠)، ودرء التعارض (٤٤٢/٨)، وشفاء العليل (٢٨٩ - ٢٩٩)، وأحكام أهل الذمة (٥٦٨/٢ - ٥٦٩).

(٣) انظر: التمهيد (٧٨/١٨)، درء التعارض (٣٨٦/٨)، وشفاء العليل (٢٨٤)، أحكام أهل الذمة (٥٦٩/٢).

لا دليل عليه من النقل أو العقل، بل الأدلة الشرعية السابقة تبطله، والنظر المقصود هو النظر في طريقة الأعراض، والتركيب، ونحو ذلك من الطرق المبتدعة وهو طريق باطل، غير موصل للمقصود. فالرسول ﷺ لم يأمر أحداً بهذه الطرق، ولا علق إيمانه، ومعرفته بالله، بهذه الطرق، بل القرآن وصف بالعلم، والإيمان، من لم يسلك هذه الطرق، ولما ابتدع بعض هذه الطرق من ابتدعها، أنكر ذلك سلف الأمة وأئمتها، ووسموا هؤلاء بالبدعة والضلالة^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام أهل الذمة» (ج ٢)، لابن القيم.
- ٢ - «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، جمع ودراسة»، لآمال العمرو [رسالة دكتوراه].
- ٣ - «إيثار الحق على الخلق»، لابن الوزير.
- ٤ - «التمهيد» (ج ١٨)، لابن عبد البر.
- ٥ - «جامع البيان» (ج ٢٠)، لابن جرير الطبري.
- ٦ - «درء تعارض العقل والنقل»

(ج ٨)، لابن تيمية.

(٥) انظر: المرجع السابق (١٢/٨) بتصرف.

وهو قوله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه...»^(١). والروايات التي وضحت معناه. ويرد عليهم بحديث عياض بن حمار: «خلقت عبادي حنفاء كلهم...»^(٢). وفيه تصريح بأن الله فطرهم على الحنيفية وهي الإسلام.

فيقال لهم أنتم تقولون إنه لا يقدر لا الله، ولا أحد من مخلوقاته على أن يجعلهما يهوديين، أو نصرانيين، أو مجوسيين، بل هما فعلاً بأنفسهما ذلك بلا قدرة من غيرهما^(٣)، وحديث الفطرة يبطل قولكم، ويبين أثر الوالدين، كما أنه يدل على أن معنى الفطرة هي الإسلام.

وأهل السنة متفقون على أن غير الله لا يقدر على جعل الهدى أو الضلال في قلب أحد، فقد اتفقت الأمة على أن المراد في حديث الفطرة دعوة الأبوين ابنهما إلى عقيدتهما، وتربيتهما عليه، ونحو ذلك مما يفعل المعلم، والمربي مع من يعلمه ويربيه، وذكر الأبوين بناء على الغالب^(٤).

وأما قولهم: إن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر المشروط بالعقل، فهو قول

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/٣٧٩).

(٤) انظر: المرجع السابق (٨/٣٧٩).

٧ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٨ - «العقيدة والفطرة في الإسلام»، لصابر طعيمة.

٩ - «الفطرة: حقيقتها ومذاهب الناس فيها»، لعلي القرني.

١٠ - «الفطرة والعقيدة الإسلامية»، لحافظ الجعبري، [رسالة ماجستير].

الفقه الأكبر

يراجع مصطلح (العقيدة).

الفناء

التعريف لغة:

قال الخليل: «الفناء نقيضُ البقاء، والفعل فَنَى يَفْنَى فَنَاءً فهو فَانٍ، والفِئَاءُ: سعةُ أمام الدار»^(١).

وقال الأزهري: «فَنَى الرجل يَفْنَى؛ إذا هَرِمَ وأشرف على الموت»^(٢).

فالفناء هو الاضمحلال والتلاشي والعدم، وقد يطلق على ما تلاشت قواه وأوصافه مع بقاء عينه، كما يقال: شيخ فَانٌ^(٣).

(١) العين (٣٧٦/٨) [دار مكتبة الهلال]. وانظر: تهذيب اللغة (٤٧٨/١٥) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ولسان العرب (١٦٤/١٥) [دار صادر].

(٢) تهذيب اللغة (٤٧٨/١٥).

(٣) انظر: مدارج السالكين (١٥٤/١) [دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ].

التعريف اصطلاحاً:

الفناء مصطلح صوفي، يعرف بأنه: «عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت، وهو بالاستغراق في عظمة الباري، ومشاهدة الحق»^(٤). وقيل: هو الغيبة عن الأشياء، بأن لا ترى شيئاً إلا الله، ولا تعلم إلا الله، وتكون ناسياً لنفسك، ولكل الأشياء سوى الله^(٥). ويقول شيخ الإسلام: «ما يسمّيه بعض الصوفية الفناء، وهو استغراق القلب في الحق حتى لا يشعر بغيره»^(٦). ويقول الإمام ابن القيم: «ولكن القوم اصطلاحوا على وضع هذه اللفظة لتجريد شهود الحقيقة الكونية والغيبة عن شهود الكائنات»^(٧). هذا معنى الفناء الغالب عند الإطلاق، ويتبين أكثر عند ذكر أقسامه.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاح:

العلاقة بينهما واضحة؛ فالفناء عند

(٤) التعريفات (٢١٧) [عالم الكتب، ١٦، ١٤٠٧هـ].

وانظر: التوقيف (٥٦٥) [دار الفكر، دمشق، ١٦، ١٤١٠هـ].

والمعجم الصوفي للمحفي (١٩٦) [دار

الرشاد، ١٦، ١٤١٧هـ]. المعجم الفلسفي لجميل

صليبا (١٦٧/٢) [دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م].

(٥) انظر: المعجم الصوفي (١٩٦)، واصطلاحات

الصوفية للقاشاني (٢١٢) [دار الحكمة، ١٦، ١٤١٥هـ].

والمعجم الكلمات الصوفية للنقشبندي

(١٩١) [مؤسسة الانتشار العربي، ١٦، المعجم

الفلسفي لصليبا (١٦٧/٢).

(٦) بغية المراتد (٢٢٦) [مكتبة العلوم والحكم، ١٦، ١٤٠٨هـ].

(٧) مدارج السالكين (١٥٤/١، ١٥٥) [دار الكتاب

العربي، ١٣٩٢هـ].

القسم الأول: الفناء عن عبادة ما سوى الله، والاستعانة به، بحيث لا يعبد إلا الله ولا يستعين إلا بالله، وهذا هو دين الإسلام.

القسم الثاني: الفناء عن شهود ما سوى الله، بحيث يغيب بمشهوده عن شهوده، وهؤلاء ليس مرادهم فناء وجود ما سوى الله في الخارج، بل فناؤه عن شهودهم وحسبهم، وهؤلاء إذا لم يتركوا واجباً لم يضرهم، وإن تركوا مستحباً مشتغلين عنه بما هو أفضل منه لم ينقلوا عن مقامهم، وإن اشتغلوا عما تركوه من المستحب بما ليس مثله، فانتقلهم إلى ذلك الأفضل أفضل إذا أمكن، وإن تركوا واجباً أو فعلوا محرماً مع إمكان العلم والقدرة فهم مؤاخذون على ذلك، وإن كان مع سقوط التمييز لسبب يعذرون به مثل زوال عقل بسبب غير محذور فلا ذم عليهم. وهذا النوع هو الذي يظنه الصوفية غاية السالكين، مع أنه ليس غاية محمودة بل هو فناء الناقصين.

القسم الثالث: وهو فناء الكافرين، وهو جعل وجود الأشياء هو عين وجود الحق، أو وجود نفسه عين وجود الله ﷻ، وهذا كفر محض ^(٣).

الصوفية اضمحلل الشعور بالنفس وتلاشيه أمام شهود الله، فقد أخذ من المعنى اللغوي الاضمحلل والتلاشي.

❁ الأسماء الأخرى:

يستخدم الصوفية مصطلحات أخرى للتعبير عن معنى الفناء، كلفظ المحو والجمع والاصطلام والسكر، وهذه المصطلحات تشترك معاً في غيبة المتصف بها عن شهود أو وجود ما سوى الله، وقد يفرق بعض الصوفية بينها من حيث السبب الباعث لغيبة الشخص عن ما سوى الله، ومن حيث درجة هذه الغيبة، وحال المتصف بها. يقول شيخ الإسلام مبيناً تقارب هذه الألفاظ: «أن يفنى عن شهود ما سوى الله، وهذا الذي يسميه كثير من الصوفية حال الاصطلام والفناء والجمع ونحو ذلك» ^(١). وقال عن السكر: «وكذلك ما يرد على القلوب مما يسمونه السكر والفناء، ونحو ذلك من الأمور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها» ^(٢)، فهي ألفاظ متقاربة المعنى.

❁ الأقسام:

الفناء مصطلح يحتمل عدة معان؛ منها ما هو صحيح، ومنها ما هو نقص، ومنها ما هو كفر.

(٣) انظر: الاستقامة (٢/١٤٢، ١٤٣) [مكتبة ابن تيمية]، ومجموع الفتاوى (٢/٢٦٨ - ٢٧٠) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ]، ومدارج السالكين (١/١٤٩ - ١٥٥)، (٣/٣٧٨ - ٣٨٠)، بتصرف.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/٣٧٠). وانظر المرجع نفسه (١٠/٥٩٤)، وشفاء العليل (١٥).
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/١٠).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية»، لآمال العمرو [رسالة دكتوراه].
- ٢ - «الاستقامة» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٣ - «الفناء عند الصوفية وموقف السلف منه»، لسعيد أبو بكر زكريا [رسالة ماجستير].
- ٤ - «مجموع الفتاوى» (ج ٢)، لابن تيمية.
- ٥ - «مدارج السالكين» (ج ١)، لابن القيم.
- ٦ - «اصطلاحات الصوفية»، للقاشاني.
- ٧ - «معجم الكلمات الصوفية»، لأحمد النقشبندي.
- ٨ - «موسوعة مصطلحات جامع العلوم»، لمجموعة من المؤلفين.

❁ الفوقية ❁

يراجع مصطلح (العلو).



حرف القاف

يقال: قَبْر الميت إذا دفنه، والقبر: حفرة في الأرض يوارى فيها الميت، وجمعه: قبور، والمقبرة، بفتح الباء وضمها: موضع القبور^(٢).

التعريف شرعاً:

القبر: هو مكان دفن الأموات في الأرض، وأول منازل الآخرة، وفيه الحياة البرزخية، والميت فيه إما معذب وإمّا مُنعم^(٣).

الأسماء الأخرى:

من الأسماء التي تطلق على القبر: الضريح، ومنها: الرَّمْس، ومنها: الكُدَى، ومنها: اللَّحْد، ومنها: التربة، ومنها: الجَدَث^(٤).

الحكم:

أجمع العلماء على وجوب إيجاد

القائم

يراجع مصطلح (القيوم).

القابض

يراجع مصطلح (القبض والبسط).

قابل التوب

يراجع مصطلح (التواب).

القادر

يراجع مصطلح (القدرة).

القاهر

يراجع مصطلح (القهر).

القبر

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «القاف والباء والراء أصل صحيح يدل على غموض في شيء وتطامن»^(١). والقبر: مدفن الإنسان،

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١١٩/٩) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، والقاموس المحيط (٤٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ]، ولسان العرب (٦٨/٥) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ].

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٤) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٤٥١/١١) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٤) انظر: المخصص لابن سيده (٧٨/٢) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ]، والنهاية في غريب الحديث (١٥٦/٤)، والمصباح المنير (٧٣/١) [المكتبة العلمية].

(١) مقاييس اللغة (٤٧/٥) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ].

وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار، ولا تبكي، وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ، قال: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه». قال: وقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أظنع منه»^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الإمام مالك: «لم يبلغني في عمق قبر الميت شيء موقوف عليه، وأحب إلي أن لا يكون عميقًا جدًا، ولا قريبًا من أعلى الأرض جدًا»^(٥).

وقال الإمام الشافعي: «وأحب أن لا يزداد في القبر تراب من غيره، وليس بأن يكون فيه تراب من غيره بأس، إذا زيد فيه تراب من غيره ارتفع جدًا، وإنما أحب أن يشخص على وجه الأرض شبرًا أو نحوه»^(٦).

[١٤٢١هـ]، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (١٤٢ - ١٤٣) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٤٠هـ].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الزهد، رقم ٢٣٠٨) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٧)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (١/٥٠٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الرقاق، رقم ٧٩٤٢) وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٦٨٤) [المكتب الإسلامي].

(٥) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف (٥/٤٥٤).
(٦) الأم للشافعي (١/٣١٦) [دار المعرفة، ط١٤١٠هـ].

المقابر في بلاد المسلمين ودفن أمواتهم فيها، قال ابن المنذر: «لم يختلف من أحفظ عنه من أهل العلم أن دفن الموتى واجب لازم على الناس، لا يسعهم ترك ذلك عند الإمكان، ووجود السبيل إليه، ومن قام به سقط فرض ذلك عن سائر المسلمين»^(١).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَّا نَهُ فَاقْبَرَهُ﴾^(٢) [عبس]، وقال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾^(٣) [يس].

ومن السنّة: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الذي لدغته الحية، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: «اذهبوا فادفنوا صاحبكم»^(٤).

وحديث هشام بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد: «احضروا، وأوسعوا، وأحسنوا، وادفنوا الاثنين والثلاثة في القبر، وقدموا أكثرهم قرآنًا»^(٥). وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا

(١) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف (٥/٤٥٠) [دار طيبة، ط١، ١٤٤٠هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٣٦).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢١٥)، والترمذي (أبواب الجهاد، رقم ١٧١٣) وقال: حسن صحيح، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠١٠)، وأحمد (١٨٣/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١،

المرتبة الثانية: أن يسأل الله ﷻ به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة باتفاق المسلمين.

الثالثة: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد؛ فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه، فهذا أيضًا من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين، وهي محرمة، وما علمت في ذلك نزاعًا بين أئمة المسلمين^(٣).

- المسألة الثانية: البناء على القبر:

لقد جاءت الشريعة الغراء بسد كل طريق موصل إلى الشرك والغلو في الصالحين والأموات، ومن ذلك أنها نهت عن رفع القبور، وتجسيصها، والبناء عليها، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أعيادًا وغير ذلك من صور تعظيم القبور؛ لأن هذه الأمور تعد ذريعة من ذرائع الشرك ووسيلة من وسائله؛ ولهذا جاءت الشريعة الإسلامية بالتحذير والنهي عن فعلها؛ لكونها وسيلة مفضية إلى عبادة المقبورين من دون الله تعالى. وقد أمر الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا الهياج الأسدي بإزالة كل قبر شاهق، فقال: ألا أبعثك على ما بعثني عليه

وقال ابن القيم: «وكانت قبور أصحابه لا مشرفة، ولا لاطئة، وهكذا كان قبره الكريم، وقبر صاحبيه، فقبره رضي الله عنه مُسْتَمَّ مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء لا مبني ولا مطين، وهكذا كان قبر صاحبيه»^(١).

○ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الدعاء عند القبر:

إن الدعاء عند القبور غير مشروع سواء كان القبر قبر النبي رضي الله عنه أو غيره، وليست محلًا للإجابة، وإنما المشروع زيارتها والسلام على الموتى والدعاء لهم، وذكر الآخرة والموت، كما دلَّت النصوص على ذلك.

ولم يكن في الصحابة والتابعين والأئمة من يقول: إن الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين، ولا إن دعاء الإنسان عند قبور الأنبياء والصالحين أفضل من دعائه في غير تلك البقعة^(٢).

والأمور المبتدعة عند القبور مراتب:

المرتبة الأولى: أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به - كما يفعله كثير من الناس - فهو من جنس عباد الأصنام، وشرك أكبر يخرج صاحبه من الإسلام.

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٥٠٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/١١٥ - ١١٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى (١/٢٢).

[ط ١، ١٤١٨هـ]. وانظر: إغاثة اللهفان (١/٢١٧،

٢١٨) [دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩٥هـ].

عليها، وأن توطأ»^(٤). وفي رواية قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يكتب على القبر شيء»^(٥). فالكتابة على القبر من الأمور المحدثثة التي لم يكن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم يفعلوها، بل هي من الوسائل والذرائع التي يستدرج بها الشيطان الناس لتعظيم القبور واتخاذها أوثاناً تُعبد من دون الله تعالى.

وأما تعليم القبر بعلامة من حجر ونحوه، فجائز عند جمهور العلماء؛ لحديث المطلب عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه قال: لما مات عثمان بن مظعون، أتى النبي ﷺ بحجر فوضعه عند رأسه، وقال: «أتعلم بها قبر أخي، وأدفن إليه من مات من أهلي»^(٦).

- المسألة الرابعة: دفن الميت في المسجد:

لا يجوز أن تُجعل المساجد أماكن

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٢٦)، والترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٥٢) وقال: حسن صحيح، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٢٧)، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٩) وصححه، وصححه الألباني أيضاً في الإرواء (٢/٣٠٨) [المكتب الإسلامي، ط ٢].

(٥) أخرجه ابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٥٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٨٤٣).

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٠٦)، ومن طريقه البيهقي في الكبرى (كتاب الجنائز، رقم ٦٧٤٤)، وحسنه النووي في الخلاصة (٢/١٠١٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٠٦٠) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٥هـ].

رسول الله ﷺ؟ «أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»^(١). قال الشوكاني: «اعلم أنه قد اتفق الناس، سابقهم ولحقهم، وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضوان الله عنهم إلى هذا الوقت: أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله ﷺ لفاعلها، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين»^(٢).

- المسألة الثالثة: الكتابة على القبر^(٣):

الكتابة على القبر منهي عنها، سواء كتابة الآيات أو الأسماء أو تاريخ الوفاة ونحو ذلك؛ لما جاء عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى النبي ﷺ أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها، وأن يبنى

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٦٩).

(٢) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (٨) [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ٤، ١٤٠٨هـ]. وانظر: المدونة (١/٢٦٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ]، والمغني (٢/٣٧٨)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/٦٢٦، ٦٢٧) [دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل للرعيني المالكي [دار الفكر، ط ٣، ١٤١٢هـ]، والمجموع شرح المذهب (٥/٢٨٢، ٢٩٨)، والمغني (٢/٣٧٦)، وإغاثة اللهفان (١/١٩٦)، ونيل الأوطار (٤/١٠٤) [دار الحديث، ط ١، ١٤١٣هـ]، والمدخل (مدخل الشرع الشريف على المذاهب) (٣/٢٧٢) [دار التراث، القاهرة]، والدرر السنية في الأجوبة النجدية (٥/١٣٦ - ١٣٧) [ط ٦، ١٤١٧هـ]، ومجموع فتاوى ابن باز (٤/٣٣٧).

وأَسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها. وقد تواترت النصوص عن النبي عليه الصلاة والسلام بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه.

وإذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركاً بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دينٍ لم يأذن به الله تعالى. ولم يكن في الصحابة والتابعين والأئمة من يتحرى الصلاة عند القبر، ولم يقل أحدٌ منهم: إن الصلاة عند القبر أفضل من الصلاة في غيرها^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأحاديث الواردة في القبور وأحاديث الدفن وتوابعه جمعاً وتخريجاً ودراسة»، لصالح العيسى.
- ٢ - «أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية»، لعبد الله السحيباني.
- ٣ - «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية.
- ٤ - «بدع القبور: أنواعها وأحكامها»، لصالح بن مقبل العصيمي.
- ٥ - «بدع القبور وحكمها»، لمحمد درامن.

- ٦ - «شرح الصدور ببيان بدع الجنائز والقبور»، لعبد الله بن محمد الحمادي.

دفنٍ للأموات، لقول النبي ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(١).

قال الزين العراقي: «فلو بنى مسجداً بقصد أن يدفن في بعضه دخل في اللعنة، بل يحرم الدفن في المسجد، وإن شرط أن يدفن فيه لم يصح الشرط لمخالفته لمقتضى وقفه مسجداً»^(٢). وإذا دُفن المسلم في المسجد فإنه ينبش ويدفن في المقبرة.

قال ابن تيمية: «لا يجوز دفن ميت في مسجد، فإن كان المسجد قبل الدفن عُثِر؛ إما بتسوية القبر وإما بنبشه إن كان جديداً. وإن كان المسجد بني بعد القبر: فإما أن يزال المسجد وإما أن تزال صورة القبر فالمسجد الذي على القبر لا يصلح فيه فرض ولا نفل فإنه منهي عنه»^(٣).

- المسألة الخامسة: الصلاة عند القبر:

أجمع الأئمة من أهل السنة والجماعة على أن الصلاة عند القبور منهي عنها^(٤)، وقد لعن النبي ﷺ من اتخذ القبور مساجد. فمن أعظم المحدثات

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣١).
 (٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٢٧٤/٥).
 (٣) مجموع الفتاوى (١٩٥/٢٢).
 (٤) انظر: الأوسط لابن المنذر (١٨٤/٢، ١٨٥).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١١٥/٢٧ - ١١٧)، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/١٨٥).

٧ - «شرح الصدور بتحريم رفع القبور»، للشوكاني.

٨ - «شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور»، لمرعي الكرمي.

٩ - «عمارة القبور»، لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي.

١٠ - «من بدع القبور»، لمحمد بن عبد الله الحميدي.

القبض

يراجع مصطلح (القبض والبسط).

القبض والبسط

التعريف لغةً:

القبض: القاف والباء والضاد أصل واحد يدل على شيء مأخوذ وتجمع في شيء، تقول: قبضت الشيء قَبْضًا؛ أي: أخذته، ومنه المَقْبِض من القوس والسيف: حيث يُقْبَضُ عليه بجمع الكَفِّ (١).

ويُطلق ويراد به الإمساك عن البذل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، يقال: قبض الله عنه الرزق، إذا ضيقه، وهو عكس البسط. ويطلق على الإمامة، فيقال: قبض الله

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/٣٨٢) [دار الكتب العلمية، ط١]، والصحاح (٣/١١٠٠) [دار العلم للملايين، ط٤].

روحه، إذا أماته (٢).

والبسط: الباء والسين والطاء أصل واحد، هو امتداد الشيء في عرض أو غير عرض، ويقال: مكان بسيط؛ أي: واسع. ويقال: بسط الشيء: نشره ومدّه، وبسط يده: مدها منثورة وأرسلها (٣).

التعريف شرعاً:

إن الله ﷻ يقبض الأرزاق والأرواح، فيطوي برّه ومعروفه عمن يريد، ويضيق ويقتّر، أو يحرم فيفقر، ويبسط الأرزاق والقلوب، فينشر فضله على عباده، يرزق ويوسع، ويجود ويفضل ويمكّن ويحول، ويعطي أكثر مما يحتاج إليه، وكل ذلك تبع لحكمته ورحمته، وتدبيره وتصريفه وهو الحكيم الخبير (٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٨/٣٤٩ - ٣٥١) [الدار المصرية]، والصحاح (٣/١١٠٠، ١١٠١)، مفردات ألفاظ القرآن (٦٥٢) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والمعجم الوسيط (٢/٧١١) [دار الدعوة، ط٢].

(٣) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١/١٣٠ و ١٣٢)، والصحاح (٣/١١١٦).

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٤٠) [دار المأمون، ط٥، ١٤٠٦هـ]، وشأن الدعاء (٥٧، ٥٨) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والمنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/٢٠٣) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (١/١٦٨) [مكتبة السوادبي، ط١]، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٣٦٠) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٩٥) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

❁ الحقيقة:

يوصف الله ﷻ بالبسط والقبض، فهو ﷻ يبسط ويوسع لمن يشاء من عباده في رزقه وكسبه وماله وتجارته وزراعته وصحته وعافيته وعلمه ومعرفته وعمره وحياته وأولاده وذريته وغير ذلك من النعم، ويقبض ويضيق أو يحرم من شاء منهم من بعض ذلك أو كله، لما يرى سبحانه في ذلك من المصلحة لهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٢٦) [الحجر]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ نُنزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧) [الشورى].

وكذلك جاء ذكر البسط والقبض وصفاً لليدين الثابتين لله ﷻ، والقبض والبسط من صفات اليد الحقيقية، فهو سبحانه موصوف باليدين حقيقة، ويبسطهما ويقبضهما حقيقة، على وجه يليق به ﷻ.

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٥) [البقرة]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠) [الإسراء].

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يمين الله ملأى لا

واضحة؛ فإن البسط معناه المد والتوسعة، والقبض معناه الأخذ والجمع، والله ﷻ يقبض ويبسط، فيوسع لمن يشاء، ويقبض عمن يشاء، ويبسط يده ويقبضها إذا شاء، وهذا المعنى المتعلق بالله تعالى مختص به سبحانه.

❁ الحكم:

يجب الإيمان بهاتين الصفتين لدلالة الكتاب والسنة عليهما، ويجب إثباتهما لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

والبسط والقبض إذا ذكرا معاً فهما من صفات الأفعال المتقابلة التي لا ينبغي أن يُثنى على الله بها إلا مقرونة مع الأخرى؛ لأن المدح المحض والكمال المطلق في اجتماع الوصفين، ففي اقترانهما واجتماعهما دلالة على كمال ربوبية الله تعالى وانفراده سبحانه بالملك التام والتصرف الكامل والتدبير الشامل^(١).

وكذلك يجب إثبات صفة القبض والبسط لليدين الثابتين لله ﷻ، كما يليق به ﷻ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

(١) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٥٨) [مركز صالح الثقافي بعنيزة، ط٢، ١٤١٢هـ].

الحديث^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الحرمين أبو الحسن الكرجي: «فلنعتقد أن الله أسماء وصفات قديمة غير مخلوقة، جاء بها كتابه، وأخبر بها الرسول أصحابه فيما رواه الثقات، وصححه النقاد الأثبات، ودل القرآن المبين والحديث الصحيح المتين على ثبوتها، وهي أن الله تعالى أول لم يزل، وآخر لا يزال... إلى سائر أسمائه وصفاته من النفس والوجه والعين والكرهية والسخط والقبض والبسط»^(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ووصف نفسه ببسط اليدين، فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، ووصف بعض خلقه ببسط اليد في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وليس اليد كاليد، ولا البسط كالبسط»^(٥).

يغيضها، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماء والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه»، قال: «وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القبض، يرفع ويخفض»^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال الناس: يا رسول الله، غلا السعر فسعّر لنا، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله هو المُسَعِّرُ القابض الباسط الرزاق، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال»^(٢).

وعن عبيد بن رافع الزرقني قال: لما كان يوم أحد انكفأ المشركون، قال رسول الله ﷺ: «استووا حتى أثنى على ربي ﷻ»، فصاروا خلفه صفوفًا فقال: «اللَّهُمَّ لك الحمد كله، اللَّهُمَّ لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، اللَّهُمَّ ابسط علينا بركتك ورحمتك وفضلك ورزقك»

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٦/٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والبخاري في الأدب المفرد (٢٤٣/١) [دار البشائر، ط٣]، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٣٧٠)، قال الهيثمي في المجمع (١٢٢/٦) [مكتبة القدسي]: رجال أحمد رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (رقم ٥٣٨) [مكتبة الدليل، ط٤، ٤١٨هـ].

(٤) نقله عن ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٨١/٤).

(٥) التدمرية (٢٩، ٣٠) [مكتبة العبيكان، ط٨، ١٤٢٤هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١٩)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٩٣) واللفظ له.

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب البيوع، رقم ٣٤٥١)، والترمذي (أبواب البيوع، رقم ١٣١٤) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب التجارات، رقم ٢٢٠٠)، وأحمد (٤٦/٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب البيوع، رقم ٢٥٨٧)، وابن حبان (كتاب البيوع، رقم ٤٩٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٨٤٦).

على وجه الاقتران والمقابلة، فلا يطلق منها على الله إلا مقترناً بمقابله، ولم ترد في الوحي إلا كذلك.

فالقابض الباسط من أسماء الله المزدوجة التي تجري مجرى الاسم الواحد، ولا تطلق على الله بمفردها، بل لا بدّ أن تكون مقرونة بمقابلها؛ لأن الكمال المطلق في اقتران كل منهما بما يقابله^(٤)، والضابط في ذلك: ما كان دالاً على المدح والكمال المطلق فهو يمكن أن يستقل وحده دون اقتران، وأما ما كان دالاً على غير المدح المحض، فهذا لا بدّ أن يكون مقروناً بما يقابله؛ وذلك لأن في اجتماع الاسمين والوصفين المتقابلين دلالة على كمال ربوبية الله تعالى وشموليتها^(٥).

قال الزجاج: «القابض الباسط: الأدب في هذين الاسمين أن يذكرهما معاً؛ لأن تمام القدرة بذكرهما معاً، ألا ترى أنك إذا قلت إلى فلان: قبض أمري وبسطه؛ دلاً بمجموعها أنك تريد أن جميع أمرك إليه، وتقول ليس إليك من أمري بسط ولا قبض، ولا حل ولا

وقال ابن القيم: «ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع وروداً متنوعاً متصرفاً فيه، مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك والطي والقبض والبسط، وأنه مسح ظهر آدم بيده، ثم قال له ويدها مقبوضتان: اختر. فقال: اخترت يميني، وكلتا يديه يمين مباركة^(١)»^(٢).

وقال في نونيته المشهورة:

«هذا ومن أسمائه ما ليس يُفـ

رَدُّ بل يقال إذا أتى بقران

وهي التي تدعى بمزدوجاتها

إفرادها خطر على الإنسان

إذ ذاك موهمٌ نوعٍ نقصٍ جَلَّ رَبُّ

بُ العرشِ عن عيبٍ وعن نقصان

كالمانع المعطي وكالضار الذي

هو نافع وكماله الأمان

ونظير هذا القابض المقرون باسـ

م الباسط اللفظان مقترنان^(٣)

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: القابض الباسط من

الأسماء المقترنة:

القابض الباسط من الأسماء الواردة

- (١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣٦٨) وحسنه، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٦٧)، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٤) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٠٩).
- (٢) مختصر الصواعق المرسله (٢/١٧١).
- (٣) الكافية الشافية (٣/٧٤١، ٧٤٢) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٨هـ].

- (٤) انظر: الكافية الشافية لابن القيم (٣/٧٤١، ٧٤٢). والحجة في بيان المحجة للتمي (١/١٢٦).
- (٥) انظر: بدائع الفوائد (١/٢٩٤، ٢٩٥) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ]، ومعارج القبول (١/١٤٧) [دار ابن الجوزي، ط ٦، ١٤٣٠هـ]، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتمي (٢٦٤ و ٤١١ - ٤١٦) [دار إيلاف، ط ١، ١٤١٧هـ].

«ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوعًا متصرفًا فيه، مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك والطي والقبض والبسط»^(٤).

الآثار:

١ - كل ما نشاهد في العالم من البسط والسعة والكثرة لأناس ومن الضيق والفقر والقلة لآخرين فهذا كله من آثار صفة البسط والقبض لله تعالى، فمن بسط الله له في ماله أو علمه أو مكانته عليه أن يشكر الله تعالى، وأن يحسن التصرف فيها، وأن ينفق مما آتاه الله في سبل الخير والبر، وأن يحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليه، ومن ضيق عليه في شيء من ذلك فعليه أن يصبر ويحتسب وأن يلجأ إلى الله وحده، فيطلب منه سبحانه المدد والعون والسعة والبركة، فهو سبحانه يبسط ويقبض، ولا باسط لما قبض، ولا قابض لما بسط، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع^(٥).

٢ - لا شك أن الله تعالى بيده مقاليد الأمور كلها، فهو القابض الباسط الخافض الرافع، ولكن ذلك لا يعني

عقد، أراد: ليس إليك منه»^(١).

- المسألة الثانية: البسط والقبض من صفات اليد الحقيقية ولوازمها:

جاء ذكر القبض والبسط مع ذكر اليد في نصوص كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح قال له - ويده مقبوضتان - اختر أيهما شئت. قال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته» الحديث^(٣).

فالبسط والقبض والأخذ والإمساك والطي، والإصبع، واليمين هذه كلها من صفات اليد الحقيقية. قال ابن القيم:

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٤٠). وانظر: شأن الدعاء للخطابي، والأسماء والصفات للبيهقي، والكافية الشافية لابن القيم، والحق الواضح المبين للسعدي.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٩).

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) مختصر الصواعق المرسله (١٧١/٢) [مكتبة الرياض الحديثة، ط ١٣٤٩هـ].

(٥) انظر: فقه أسماء الله الحسنى لعبد الرزاق البدر (٢٩٦) [مطابع الحميضي، ط ١، ١٤٢٩هـ].

٥ - التعبد لله تعالى بطلب الرزق؛
فبيده وحده القبض والبسط.

٦ - التعبد لله تعالى بطلب الهداية
والاستقامة والثبات على الحق.

٧ - إحكام أمر الخلق وقيامه على
غاية الإحكام والإتقان؛ لأن قبض أمره
وبسطه بيد الله تعالى.

٨ - ما في الخلائق من تفاوت في
الرزق ورغد العيش؛ حكمة وفضلاً
وعدلاً من الله تعالى، بما يكون فيه
مصلحة لهم في معاشهم ومعادهم.

٩ - ما في العباد من فوارق والإيمان
والكفر، والطاعة والمعصية؛ بما
يجعله الله تعالى في القلوب من بسط
وقبض، فييسط بالإيمان والتقوى منها ما
يشاء، ويقبض منها عن ذلك ما يشاء،
وهو العليم الحكيم.

❁ مذهب المخالفين:

هناك من أنكر الصفات الفعلية كلها،
فأنكر صفة البسط والقبض لله ﷻ من
حيث الجملة، وكذلك هناك من أنكر
صفة اليد لله تعالى، فأنكر أيضاً وصف
اليدين بالبسط والقبض، والذين أنكروها
هم الجهمية، والمعتزلة، والمتأخرون من
الأشاعرة، والماتريدية^(٣)، والآيات

التكاسل والقيود والتخلف عن الجد
والعمل وترك الأسباب؛ لأن الله تعالى
خلق الأسباب وخلق مسبباتها وأمر
العباد بفعلها.

وقد جاء بيان ذلك في نصوص كثيرة؛
منها ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه
قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من
سرّه أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في
أثره؛ فليصل رَحِمَهُ»^(١).

فبسط الرزق وإكثاره وتوسعته بيد الله
وحده، وصلة الرحم سبب من الأسباب
التي يبذلها العبد، فالأسباب المشروعة
مأمور بها شرعاً وعقلاً، وتركها ظلم
على النفس، وقدم في العقل، وطعن
في الدين، ونسبة إلى الشرع ما ليس
فيه، وتعلق القلوب بالأسباب وحدها
دون خالق الأسباب ومسبباتها قدح في
التوحيد، فالواجب على المسلم أن
يجعل تعلقه بالله تعالى في جميع أموره
مع فعل الأسباب المشروعة^(٢).

٣ - تعظيم قدر الله تعالى؛ فالأرض
جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه.

٤ - الخضوع التام لله تعالى؛ فما من
شيء إلا بيده قبضه وبسطه.

(٣) انظر من كتب أهل الشُّنَّة: نقض الدارمي على
المريسي (٦٣ - ١٢٧) [أضواء السلف، ١٦،
١٤١٩هـ]، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية
والمشبهة لابن قتيبة (٤٠ - ٤٣) [دار الراجعية، ١٦، =

(١) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٠٦٧)،
ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٥٧).
(٢) انظر: الحق الواضح للسعدي (٢٥٩)، وفقه
أسماء الله الحسنى لعبد الرزاق البدر (٢٩٧، ٢٩٨).

٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

١٠ - «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، للدارمي.

❖ القبول ❖

❖ التعريف لغة:

القبول هو: تلقي الشيء ومواجهته والإقبال عليه ولزومه والأخذ به راضياً به مستحسنًا له.

قال ابن فارس: «القاف والباء واللام: أصل واحد صحيح تدل كلمه كلها على مواجهة الشيء للشيء، ويتفرع بعد ذلك... والقيلة سميت قبلة؛ لإقبال الناس عليها في صلاتهم، وهي مقبلة عليهم أيضًا... والقبيل: الكفيل؛ يقال: قبل به قبالة، وذلك أنه يقبل على الشيء يضمنه»^(١).

والقبول: التلقي. قال الجوهري: «والقابلة من النساء معروفة. يقال: قبلت القابلة المرأة تقبلها قبالة؛ إذا قبلت الولد؛ أي: تلقتة عند الولادة، وكذلك قبل الرجل الدلو من المستقي قبولاً، فهو

القرآنية والأحاديث النبوية قد جاءت بإثبات القبض والبسط وإثبات اليمين ووصفهما بالقبض والبسط وغيرها من الصفات، فيجب إثبات هذه هذه الله تعالى كما يليق بالله ﷻ.

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.
- ٢ - «التدمرية»، لابن تيمية.
- ٣ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.
- ٤ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٥ - «فقه أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٦ - «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ج ٣)، لابن القيم.
- ٧ - «مختصر الصواعق المرسله» (ج ٢)، للموصلي.
- ٨ - «معارج القبول»، لحافظ بن أحمد الحكمي.

= ١٤١٢هـ]. وانظر من كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٢٢٨، ٢٢٩) [مكتبة وهبة، ط ٢]، والكشاف للزمخشري (٢٦٥/٢ - ٢٦٧ و٣٢٠/٥ - ٣٢٣) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٨هـ]، ومن كتب الأشاعرة: المواقف في علم الكلام للإيجي (٢٩٨) [دار الجيل، ط ١، ١٩٩٧م]، ومن كتب الماتريدية: مدارك التنزيل للنسفي (١/ ٢٩١ و٦٢/٤).

(١) مقياس اللغة (٥١/٥، ٥٢) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ]. وانظر: تهذيب اللغة (١٦٢/٩) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط، ١٣٨٤هـ].

قابل . والقبيل والقبول: القابلة»^(١) .

وقال الفيروزآبادي: «وقَبِلَ على الشيء وأقبل: لزمه وأخذ فيه... والقبول: الحُسن والشارة»^(٢) .

التعريف شرعاً:

الرضا بدين الله تعالى، والتسليم له وتلقي ذلك بانسراح الصدر؛ فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى: رضي كل الرضا ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلم له تسليمًا ولو كان مخالفاً لمراد نفسه أو هواها^(٣) .

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

تبيّن من خلال التعريف الشرعي السابق للقبول أن معناه أخص من المعنى اللغوي؛ فإنّ المعنى الشرعي مخصوص بتلقي دين الله الذي بعث به محمد ﷺ والرضى به، في حين أن المعنى اللغوي أعمّ في التلقي ومواجهة الشيء للشيء .

الأسماء الأخرى:

من الأسماء المقاربة للقبول إما بالتضمن أو الالتزام: الطاعة، الرضا، الانقياد، التسليم، الإذعان، الالتزام، الاستماع.

(١) الصحاح (١٧٩٦/٥) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٢) القاموس المحيط (١٠٤٥، ١٠٤٦) [مؤسسة الرسالة، ٧٧، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: مدارج السالكين (٤٥٦/٢)، وجامع العلوم

والحكم (١٠٢/٢ - ١٠٣).

الحكم:

قبول دين الإسلام وما جاء فيه من أخبار وأحكام فرض واجب على جميع الثقلين الإنس والجن؛ لأنه الدين الذي ارتضاه الله لخلقه ديناً، وخلقهم لأجل تحقيقه والسير على منهاجه كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤) [الذاريات]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٥) [آل عمران]. فمن لم يقبل دين الله وما جاء

فيه فإنه كافر بالله العظيم، وهو في الآخرة من الخاسرين، كما أوضح الله ذلك في كتابه وسُنَّة نبيّه الكريم، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٦) [آل عمران]، وقال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»^(٧).

الحقيقة:

حقيقة القبول هو: حقيقة الالتزام والتدين بالإسلام والإيمان الصادق، فإن الإيمان الصادق هو الذي يستلزم الإذعان

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

بروح الوحي، وتمهدت طبيعته، وانقلبت النفس الأمانة مطمئنة راضية وادعة، وتلقى أحكام الرب تعالى بصدر واسع منشرح مسلم: فقد رضي كل الرضا بهذا القضاء الديني المحبوب لله ولرسوله^(٣).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا بِمَا نُرَىٰ كَافِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴿٤٧﴾ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الروم].

وقال ﷺ: ﴿يَقُولُونَ ءَأَمَنَا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فِرْقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ ﴿٤٩﴾ أُولَئِكَ قُلُوبُهُمْ مَرْضٌ أَمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يَخَافُ الْظَالِمِينَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ رَبَّهُ فَقَالَ اللَّهُ لِيُذِقَهُ لِقَاءَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

ومن السنة حديث أبي موسى

(٣) مدارج السالكين (٢/٢٤١، ٢٤٢) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ].

التمام والقبول والتسليم لحكم الله ورسوله ﷺ، والإيمان الكاذب بخلاف ذلك^(١).

و ضد القبول: الرد، والإباء، وترك الالتزام، والامتناع. ولذلك أسباب متعددة، مثل: التكذيب، الاستكبار، الحسد وغيرها^(٢).

❁ المنزلة:

القبول لدين الإسلام والانقياد له والرضا به «هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان؛ فيجب على العبد أن يكون راضياً به بلا حرج ولا منازعة ولا معارضة ولا اعتراض. قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، فأقسم: أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله، وحتى يرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه، وحتى يسلموا لحكمه تسليماً. وهذا حقيقة الرضا بحكمه. فالتحكيم: في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج: في مقام الإيمان، والتسليم: في مقام الإحسان.

ومتى خالط القلب بشاشة الإيمان، واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين، وحيي

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٤٨٤) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: شرح العمدة لابن تيمية (٥٢/٢)، والدرر السنينة في الأجوبة النجدية (٢/٣٦٠).

الرسالة، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ،
وعلينا التسليم»^(٣).

وقال الشافعي رحمه الله: «وإذا ثبت عن رسول الله الشيء فهو اللازم لجميع من عرفه، لا يقويه ولا يوهنه شيء غيره؛ بل الفرض الذي على الناس اتباعه، ولم يجعل الله لأحد معه أمراً يخالف أمره»^(٤).

وقال ابن بطة العكبري رحمه الله: «اعلموا رحمكم الله أن من صفات المؤمنين من أهل الحق تصديق الآثار الصحيحة، وتلقيها بالقبول، وترك الاعتراض عليها بالقياس ومواضعة القول بالآراء والأهواء، فإن الإيمان تصديق والمؤمن هو المصدق. قال الله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ ﴿١٥﴾ [النساء]. فمن علامات المؤمنين أن يصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ مما نقلته العلماء ورواه الثقات من أهل النقل الذين هم الحجة فيما رووه من الحلال والحرام والسُنن

الأشعري رحمه الله عن النبي ﷺ قال: «إن مثل ما بعثني الله به ﷻ من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١).

وعن عثمان رضي الله عنه قال: توفي الله ﷻ نبيه ﷺ قبل أن نسأله عن نجاة هذا الأمر. قال أبو بكر: قد سألته عن ذلك. قال: فقلت إليه فقلت له: بأبي أنت وأمي أنت أحق بها. قال أبو بكر: قلت يا رسول الله ما نجاة هذا الأمر؟ فقال رسول الله ﷺ: «من قبل مني الكلمة التي عرضت على عمي فردّها عليّ فهي له نجاة»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن شهاب الزهري رحمه الله: «من الله

(٣) أخرجه البخاري تعليقاً (كتاب التوحيد، ص ١٤٣٨). وقال: «قال الزهري»، وما جزم به البخاري في صحيحه من الموقوفات فهو صحيح عنده ولو لم يكن على شرطه في الصحيح. انظر: هدي الساري (٢٤)، وقد وصله الحافظ في تليق التعليق (٥/٣٦٥).

(٤) الرسالة (٣٦٠) [دار التراث، ط ٣، ١٤٢٦هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٧٩)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠١/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٦هـ]، والبراز (٥٦/١) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، قال الهيثمي: وفيه رجل لم يُسم. مجمع الزوائد (١٤/١) [مكتبة القدسي]، لكن المرفوع منه له شواهد، كما ذكر محققو المسند. والله أعلم.

والآثار، ولا يقال فيما صح عن رسول الله ﷺ كيف؟ ولم لا؟ بل يتبعون ولا يبتدعون، ويسلمون ولا يعارضون، ويتيقنون ولا يشكّون ولا يرتابون»^(١).

✽ الشروط:

يتبين من تعريف القبول أن من شروطه ما يلي:

١ - الإخلاص والصدق.

٢ - الالتزام والانقياد.

٣ - الرضا والتسليم.

٤ - الحب والإيثار.

وإذا اجتمعت هذه الشروط حصل القول المنجي، والشهادة النافعة، والطاعة الصادقة^(٢).

✽ المسائل المتعلقة:

- قبول الله تعالى لأعمال عباده:

القبول يكون من العبد، فيقبل دين الله سبحانه ويستقيم عليه حتى يلقاه، وجزاء قبوله هذا قبول الله ﷻ له ولعمله؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٣) [التوبة].

قال العلامة عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللهُ: «القبول: قبول الله تعالى للعبادة، وقبول

العبد الدين وهو الانقياد»^(٣).

وإذا لم يحقق العبد قبول الإيمان بشروطه من الإخلاص والصدق والرضا والانقياد والطاعة لم يتحقق له قبول الرب سبحانه لعمله، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾^(٤) [التوبة].

✽ الفروق:

الفرق بين شرط القبول وشرط الانقياد: «الانقياد هو الاتباع بالأفعال، والقبول إظهار صحة معنى ذلك بالقول، ويلزم منهما جميعاً الاتباع، ولكن الانقياد هو الاستسلام والإذعان، وعدم التعقب لشيء من أحكام الله»^(٤).

وكلمة (الرضا) تجمع بين هذين الشرطين (القبول والانقياد) لشهادة أن (لا إله إلا الله)، بل الرضا أعلى منهما وأشمل^(٥).

✽ الثمرات:

من ثمرات القبول لدين الله سبحانه وأحكامه:

١ - الإتيان بلازم هذا القبول من

(٣) فتاوى ورسائل الشيخ عبد الرزاق عفيفي - قسم العقيدة (١/٣٥٨).

(٤) الشهاداتتان معناهما وما تستلزمه كل منهما لابن جبرين (٨١) [دار طيبة، ط١، ١٤١٠هـ].

(٥) انظر: ظاهرة الإرجاء (٢/٥٦٢).

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٣/٩١) [دار الراجعية، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: الدرر السننية في الأجوبة النجدية (٣/٢٩٦، ٢٩٧).

❁ مذهب المخالفين:

المخالفون في القبول للدين الحق
صنفان:

الصنف الأول: المخالفون مخالفة كلية. وهؤلاء هم: جميع الكفار والمشركين ممن لم يقبلوا دين الإسلام ولم يدخلوا فيه، أو دخلوا فيه ثم نقضوه وارتدوا عنه.

الصنف الثاني: المخالفون مخالفة جزئية لا تخرجهم عن أصل الإسلام. وهؤلاء قسمان:

الأول: أتباع الشبهات، وهم: أهل الأهواء والبدع غير المكفرة؛ المقدمون لأهوائهم وعقولهم أو آراء متبوعهم على نصوص القرآن والسنة، الخارجون بذلك عن طريقة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة.

الثاني: أتباع الشهوات، من العصاة أهل الكبائر الذين تغلبهم شهواتهم ونزغات نفوسهم على محاب الله ورسوله ﷺ.

وأدلة القرآن والسنة متكاثرة في دعوة هؤلاء وهؤلاء إلى قبول الحق والانقياد له والثبات عليه، وقد تقدم بعضها.

❁ المصادر والمراجع:

١ - «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية»

(ج ٣)، لابن بطنة.

الانقياد والعمل والتمسك بشعائر الإسلام وأحكامه، وبالتالي الترقى إلى مرتبة الإيمان ثم مرتبة الإحسان.

٢ - الفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة؛ لأن من يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.

٣ - قبول الله ﷻ للعبد ولعمله ورضاه عنه وإثابته له أحسن الثواب وأعظم الجزاء.

٤ - محبة الله ﷻ لعبده المثمرة محبة أهل السماء وأهل الأرض له، ووضع القبول له كما جاء في الحديث: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبهه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»^(١).

٥ - القبول لكل شيء من أحكام الدين ثابت في القرآن والسنة وعدم تقديم آراء الرجال عليها تحقيقاً لكمال الانقياد والتعظيم والأدب مع الله ﷻ، ومع رسوله ﷺ ومع كتابه العظيم القرآن الكريم^(٢).

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٩)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٣٧).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/٤٨٨).

- ٢ - «الدرر السننية في الأجوبة النجدية» (ج ٢).
- ٣ - «شروط لا إله إلا الله»، لعواد المعتق.
- ٤ - «الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما»، لابن جبرين.
- ٥ - «عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك»، للفوزان.
- ٦ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن.
- ٧ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ٨ - «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (ج ٧)، لابن باز.
- ٩ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.

١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، لحافظ الحكمي.

❖ القدر ❖

القدر لغة:

قال ابن فارس: «القاف والذال والراء أصلٌ صحيح يدل على مَبْلَغِ الشَّيْءِ وَكُنْهِهِ ونهايته. فالقدر: مَبْلَغُ كل شيء. يقال: قَدَرَهُ كَذَا؛ أي: مَبْلَغُهُ. وكذلك القَدَرُ. وَقَدَرْتُ الشَّيْءَ أَقْدَرُهُ وَأَقْدَرُهُ من التقدير، وَقَدَّرْتُهُ أَقْدَرُهُ. والقَدَرُ: قضاء الله تعالى

الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو القَدَرُ أيضًا»^(١).

والقدر محركة: القضاء والحكم ومبلغ الشيء. وَقَدَرَ اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ عَلَيْهِ يَقْدِرُهُ وَيَقْدِرُهُ قَدْرًا وَقَدْرًا وَقَدَّرَهُ عَلَيْهِ وله. واستقدر الله خيرًا: سأله أن يقدر له به. وَقَدَرَ الرَّزْقَ: قَسَمَهُ. والقَدَرُ: الغنى واليسار والقوة كالقُدْرَةَ والمَقْدَرَةَ. والتقدير: التروية والتفكير في تسوية أمر. وتقدر: تهيأ. وَقَدَرْتُ الثوب فانقدر: جاء على المقدار. ويقال: قَدَرَ فلانًا عَظْمَهُ، ويقال: قَدَرَ الأمر: دبره وفكر في تسويته، وَقَدَرَ الشيء بالشيء: قاسه به وجعله على مقداره، وَقَدَرَ اللهُ الأمر على فلان: جعله له وحكم به عليه، وَقَدَرَ الرزق عليه: ضَيَّقَهُ^(٢).

❖ التعريف شرعًا:

القدر: هو الإيمان بأنه لا يقع شيء في الوجود الا بعلم الله الأزلي، وكتابته السابقة ومشيتته لما وقع، وخلقه له، خيرًا أو شرًا، حلوا أو مرًا. وقد فسره زيد بن أسلم وأحمد بن حنبل رحمهما الله بأن القدر هو: «قدرة الله ﷻ»^(٣).

(١) مقاييس اللغة (٥١/٥) [دار الجيل].

(٢) انظر: القاموس المحيط (٤٦٠) [مؤسسة الرسالة] والمعجم الوسيط (٧١٨/٢) [دار الدعوة].

(٣) انظر: الإبانة لابن بطة (٢٢٢/٢) (٢٦٢) [دار الراجية، الرياض، ط ٢٨، ١٤٢٨هـ]، والقدر للفريابي =

❁ الأسماء الأخرى:

القضاء .

❁ الحكم:

الإيمان بأن القدر ركن من أركان الإيمان لا يصح الإيمان إلا به، وقد دلت الأدلة من القرآن والسنة على ذلك^(١).

❁ الحقيقة:

حقيقة القدر: هي الإيمان بخلق الله تعالى لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون^(٢).

أهميته:

الإيمان بالقدر من أهم ما يجب معرفته على المكلف النبيل، فضلاً عن الفاضل الجليل؛ فهو من أسنى المقاصد، والإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين المبين وختامه، فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساس الإحسان، التي يرجع إليها، ويدور في جميع تصاريفه عليها، فالبقدر والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين، ألا له الخلق والأمر^(٣).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ

﴿٤٩﴾ [القمر]، وقال: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ ﴿٣٨﴾ [الأحزاب].

وقال النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام: «عندما سأله عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره، وشره»^(٤).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»^(٥).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء»^(٦).

وعن طاوس رضي الله عنه أنه قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ، يقولون كل شيء بقدر، قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر، حتى

= (١٤٤) [أضواء السلف، ١، ١٤١٨هـ]، ومسائل ابن هانئ (٢/١٥٥). ولوامع الأنوار (١/٣٤٨).

(١) انظر: شفاء العليل (٣) [دار الكتب العلمية، ط ٣].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/٤٤٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ].

(٣) انظر: شفاء العليل (٣).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٣).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١٨).

عن القدر؟ فقال: «ما جرى ذباب بين اثنين إلا بقدر»^(٥).

وقال مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أضل من كذب بالقدر، لو لم يكن عليهم فيه حجة إلا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكْرًا كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنًا﴾ [التغابن: ٢١]، لكنى به حجة»^(٦).

المراتب:

دلّت النصوص الشرعية على أنه لا يصح الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بأربع مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، وعلمه محيط بهم وبكل شأن من شؤونهم والأدلة على ذلك كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْتَفُونَ مَا فِي الْأَرْضِ مَا اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ وَلَا حِصَّةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آذَنٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة]، وقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا

العجز والكيس، أو الكيس والعجز»^(١).
وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: بشهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت، وحتى يؤمن بالقدر كله»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «القدر: نظام التوحيد، فمن وحّد الله تعالى وآمن بالقدر، فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن وحّد الله تعالى وكذّب بالقدر، فإن تكذيبه بالقدر نقض للتوحيد»^(٣).

وقال الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من كفر بالقدر فقد كفر بالإسلام... إن الله تعالى خلق خلقًا، فخلقهم بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم أرزاقهم بقدر، والبلاء والعافية بقدر»^(٤).

وسأل رجل عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٥).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب القدر، رقم ٢١٤٥)، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٨١)، وأحمد (١٥٢/٢) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وابن حبان (كتاب الإيمان، رقم ١٧٨)، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٩٠) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٥٨٤).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٤٢٢/٢) [دار ابن القيم، ط١]، والفريابي في القدر (١٦٠) [أضواء السلف، ط١]، والعقيلي في الضعفاء (٤/١٤٥) [دار المكتبة العلمية، ط١].

(٤) الشريعة للأجري (٨٨٢/٢)، والقدر للفريابي (٢٢٠).

(٥) الشريعة للأجري (٩٢٨/٢)، والقدر للفريابي (٢٣٠).

(٦) الشريعة للأجري (٩٢٨/٢)، والقدر للفريابي (٢٣٠)، والإبانة لابن بطة (٣٨٠/٣).

الشقاوة فيسرون لعمل أهل الشقاوة» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنَسِرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنَسِرُهُ لِّلْعُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ [الليل] (١).

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، والأدلة على هذه المرتبة من كتاب الله ﷻ كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذُكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر].

المرتبة الرابعة: أن الله خالق كل شيء، فما من شيء في الوجود إلا والله ﷻ خالقه وموجده، سواء في ذلك الذوات والأعيان والمعاني والأفعال، فلا يخرج شيء في الوجود من أن يكون مخلوقاً لله تعالى، وهذا ما دلَّت عليه النصوص العديدة في القرآن والسنة وكلام السلف الصالح، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى

حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنعام].

المرتبة الثانية: الإيمان بأن الله ﷻ قد كتب مقادير الخلائق، وأنه ﷻ كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [يونس]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج].

وعن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مبخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة»، قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل السعادة. فقال: اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٩٤٩)،

ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٧).

وركن من أركان الإيمان، وهو من علم الغيب الذي علّمنا الله إياه، وقد ذكره النبي ﷺ وذكره الخلفاء الراشدون وكثير من الصحابة ومن بعدهم من أهل العلم وألّفوا فيه، فمن تكلم به على الإثبات والتسليم لله ﷻ والإقرار لله بالقدرة والعلم والحكمة فهذا متوافق مع كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ.

أما من خاض فيه بالإنكار أو بالتنكير في السؤال: لم كان هكذا؟ ولم قدر هذا؟ أو لم لم يفعل ذلك؟ أو كيف هدى هؤلاء وأضل هؤلاء؟ أو لماذا هدى هؤلاء وأضل هؤلاء؟

فهذه المعاني هي التي لا يجوز الخوض فيها، والتي يحمل عليها ما ورد من الأحاديث وكلام السلف من النهي، كحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن نفرًا كانوا جلوسًا بباب النبي ﷺ فقال بعضهم: ألم يقل كذا وكذا، وقال بعضهم ألم يقل الله كذا وكذا، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فخرج كأنما فُقي في وجهه حب الرمان فقال: «بهذا أمرتم أو بهذا بُعثتم أن تضربوا كتاب الله ببعضه ببعض، إنما ضلّت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم مما ها هنا في شيء انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به والذي نُهيتم عنه فانتهوا»^(٢).

كُلِّ شَيْءٍ وَكَيْلٌ ﴿١٦﴾ [الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾ [الفرقان]. فهذا العموم في النصوص لا يخرج منه شيء في الوجود فكل شيء هو خالقه ﷻ وكل شيء هو ربه ﷻ.

ومن السنّة حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إن الله يصنع كل صانع وصنعه»^(١)، وتلا بعضهم عند ذلك: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات].

فهذه المراتب الأربع التي لا يصح إيمان أحد بالقدر ما لم يؤمن بها، ومن أنكر واحدة منها فهو خارج عن مذهب أهل السنّة والجماعة؛ فإن أنكر العلم والكتابة فقد كفر كما سبق كلام أهل العلم في ذلك، ومن أنكر المشيئة وخلق الأعمال فقد ابتدع وضل.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم الخوض في القدر:

إن القدر هو عقيدة من عقائد الإسلام

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٦٦/٢) [دار أطلس الخضراء، ط١، ١٤٢٥هـ]، وابن منده في التوحيد (٢٦٧/١) [الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٩هـ]، والحاكم في المستدرک (كتاب الإيمان، رقم ٨٦) وصححه، والبيهقي في القضاء والقدر (١/٣٤٤) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ]، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ١٦٣٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ٨٥)، وأحمد =

وعن الضحاك بن عثمان، قال: «وافيت الموسم، فلقيت جماعة في مسجد الخيف، ذكرهم، قال: ورأيت طاوسًا اليماني فسمعتة يقول لرجل: إن القدر سر الله، فلا تدخلن فيه»^(٣).

فهذه المسألة مرتبطة بالمسألة قبلها، فإن المقصود بقول أهل العلم «القدر سر الله ﷻ» أن ما قدره الله ﷻ على العباد من هداية وضلال وغنى وفقر وصحة ومرض وحياة وموت وبلاء وعافية؛ كل ذلك لله ﷻ فيه علم وإرادة وحكمة، قد يبدو لنا منها شيء ويخفى علينا منها أشياء، فمن رغب وحاول فهم مسوغات ذلك والحكمة منه فإنه سيثبه ويتحير ولا يصل فيها إلى غاية محمودة بل قد يوصله ذلك إلى الضلال والانحراف عن الدين والإيمان، فأسلم شيء له في ذلك هو التسليم والانقياد وعدم البحث والتنقير، وعلى هذا جاء كلام أهل العلم.

قال الطحاوي ﷻ: «وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك مَلَكٌ مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسُلِّمَ الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر

فلا شك أن ضرب كتاب الله بعضه ببعض من الاختلاف في الكتاب والجدال المحرم، خاصة وأنها مسائل علمية عقدية تحتاج منا التسليم والإيمان وليس الجدال والخصام، فما عرفه المسلم آمن به وما لم يعرف يسلم للشارع به ويوكل علمه إلى عالمه.

قال الشيخ ابن باز ﷻ بعد أن بين أن الخوض في القدر إنما يكون وفق السُّنة: «وعلى كل مسلم أن يؤمن بالقدر وأن يحذر الخوض في ذلك بغير علم، كما خاض المبتدعة فضلوا، وإنما الواجب على كل مسلم أن يؤمن بالقدر وأن يسلم لله بذلك، ويعلم بأن الله قدر الأشياء وعلمها وأحصاها، وأن العبد له إرادة وله مشيئة وله اختيار لكنه لا يخرج بذلك عن قدرة الله ﷻ»^(١).

- المسألة الثانية: معنى قول بعض العلماء: «القدر سر الله»:

ورد هذا القول عن بعض الصحابة والتابعين، ومن ذلك ما روي أن رجلاً قال لعلي بن أبي طالب ﷺ: يا أبا الحسن ما تقول في القدر؟ قال: «سر الله فلا تكلفه»^(٢).

= (٤٣٤/١١) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٤/١) [دار العربية، ط ٢]: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٢٨/٣٧٣).

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (٢/٨٤٤) [دار الوطن، ط ٢]. وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق

(٤٢/٥١٣) [دار الفكر] من طريق آخر.

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة رقم (١٩٩٣)، والآجري في الشريعة رقم (٥٣٥).

عن الحق من مذهب نفاة القدر؛ وذلك لأن مذهب الجبرية يقتضي إسقاط الأمر والنهي، ولغلوه وشدة انحرافه لم يُرمَ به أحد من السلف، بخلاف نفي القدر، فقد رمي به كثير من أهل العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقدرية المحتجون بالقدر على المعاصي شر من القدرية المكذبين بالقدر، وهم أعداء الملل، وأكثر ما أوقع الناس بالتكذيب بالقدر احتجاج هؤلاء به»^(٣).

- المسألة الرابعة: رمي بعض أهل السُّنة بالقدر:

أ - ليس كل من رمي بالقدر من أهل السُّنة يكون قدرياً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا اتهم بمذهب القدر غير واحد، ولم يكونوا قدرية، بل كانوا لا يقبلون الاحتجاج على المعاصي بالقدر؛ كما قيل للإمام أحمد: كان ابن أبي ذئب قدرياً. فقال: الناس كل من شدد عليهم المعاصي، قالوا: هذا قدري. وقد قيل: إنه بهذا السبب نُسب إلى الحسن القدر؛ لكونه كان شديد الإنكار للمعاصي، ناهياً عنها»^(٤).

ب - القدر الذي رمي به بعض أهل السُّنة، وقال به بعض المنتسبين إلى

عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب، كان من الكافرين». قال ابن أبي العز في الشرح: «أصل القدر سر الله في خلقه، وهو كونه أوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأمات وأحيا، وأضل وهدى»^(١).

وقال الشيخ صالح الفوزان: «ولا يجوز للمسلم أن يدخل في تفاصيل القدر ويفتح على نفسه باب الشكوك والأوهام، بل يكفيه أن يؤمن بالقدر كما أخبر الله ﷺ وكما أخبر رسوله ﷺ أن كل شيء بقضاء الله وقدره، ولا يدخل في التفاصيل والأسئلة: لماذا كذا ولماذا كذا؛ لأنه لن يصل إلى نتيجة؛ لأن الأمر كما يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «القدر سر الله»؛ سر لا يعلمه إلا الله ﷻ. فالواجب علينا: أن نؤمن به، ولا ندخل في تفاصيله، بل نكتفي بالإيمان به على ما جاء في الدليل من كتاب الله وسنة رسوله»^(٢).

- المسألة الثالثة: مذهب الجبر أشد بدعة وأكثر انحرافاً من نفي القدر:

مذهب الجبرية أشد انحرافاً، وأبعد

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/٢٢٥) [وزارة الشؤون الإسلامية، ١، ١٤١٨هـ]

(٢) إعانة المستفيد للفوزان (٢/٢٥٤) [مؤسسة الرسالة،

٣، ١٤٢٣هـ].

(٣) انظر: منهاج السُّنة (٣/٢٤). وانظر: (٣/٧٦، ٨٢).

(٤) منهاج السُّنة (٣/٢٤).

كما أنه قد جاء في نصوص الشرع التفريق بينهما كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب]، وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم].

إلا أن من يتتبع استخدام الشارع للفظين يجد أن الاستخدام الأعم والأغلب هو لكلمة (القدر) وما تفرع عنها، وكذلك هو في كلام أهل العلم من الصحابة ومن جاء بعدهم، والمؤلفون من أهل العلم غالباً إذا سموا الباب المتعلق بهذا يقولون: باب القدر، أو كتاب القدر وما ورد فيه، وهذا أكثر من أن يحصى، وإذا جمع بينهما في الكلام يقدم القضاء على القدر فيقال: «القضاء والقدر»، ولم نقف عليه في قول أحد: «القدر والقضاء».

وأهل العلم لهم في بيان الفرق بينهما مع وجود التلازم بينهما قولان:

القول الأول: منهم من جعل القدر هو ما تعلق بالتقدير السابق، والقضاء هو ما يقع من ذلك التقدير.

قال الراغب في المفردات: «والقضاء من الله تعالى أخص من القدر؛ لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع، وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعد للكيل والقضاء بمنزلة الكيل، وقال: القدر ما لم يكن قضاء فمرجو أن

العلم؛ خصوصاً من أهل البصرة، وأن الله لم يخلق أفعال العباد، والحقيقة أن قولهم هو قول المعتزلة في القدر، وإلا لزم إضافة قول آخر لنفاة القدر، ليس هو قول الغلاة، ولا هو قول المعتزلة، وهذا غير معروف عند أصحاب المقالات.

❁ الفروق:

الفرق بين القضاء والقدر:

القضاء والقدر جاءا مقترنين في نصوص عديدة؛ منها ما رواه ابن بطه بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما أرسلني في حاجة قط فلم تنهياً إلا قال: «لو قضى كان أو قدر كان»^(١).

وجاء كذلك في كلام بعض الأئمة كما في قول الأوزاعي رضي الله عنه: «ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ولا من السنة، فأهاب أن أقول ذلك، ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل، فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٢).

(١) الإبانة لابن بطه (٨٨/٤) [دار الراجعية، ط٢].

وأخرجه أيضاً أحمد (١٠٢/٢١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن أبي عاصم في السنة (١٥٦/١) [المكتب الإسلامي، ط١]، وضعفه العقيلي في الضعفاء (٣٠٥/٣) [دار المكتبة العلمية، ط١].

وأخرجه البيهقي في القضاء والقدر (٢٠٠) [مكتبة العبيكان، ط١]، والضياء في المختارة (٢٠٦/٥) [دار خضر، ط٣]، من طريق آخر.

(٢) السنة للخلال (٢٤٤/٣) [دار الراجعية، ١٤١٠هـ].

أمر الله ﷻ ووفق ما بينه رسول الله ﷺ
يحق للمسلم إيمانه بالله وبربوبيته وتدبيره
لخلقه وأن الأمور كلها بيده ﷻ .

٢ - إذا علم المسلم ذلك وآمن به
وعلم مع ذلك عظيم رحمة الله بخلقه،
مع جوده وكرمه وغناه عن خلقه ومحبته
لهدايتهم ومحبته سبحانه لنجاتهم
وفوزهم، كل ذلك يغرس في نفس
المؤمن الثقة بما عند الله ﷻ أكثر من
الثقة بما في يده، وأنَّ نَظَرَ الله ﷻ لعبده
خير من نظره لنفسه .

٣ - أن الإيمان بالقدر يدفع للتوكل
على الله ﷻ، ومن توكل على الله فهو
كافيه وهو حسبه .

٤ - أن الإيمان بالقدر يدفع المسلم
إلى العمل والجد في طلب ما ينفعه،
لهذا قال ﷻ: «أحرص على ما ينفعك
واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء
فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا،
ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل»^(٤) .

٥ - أن الإيمان بالقدر وأن ما قُدر له
سيأتيه يحقق للمسلم الرضا، فلا يندفع
وراء المطلوب اندفاع الشَّره، ولا ييأس
من الحصول على المطلوب ما دام أنه
يسلك في سبيل الحصول عليه طريقاً
مرضياً لله ﷻ .

٦ - أن الإيمان بالقدر يقوي قلب

يدفعه الله، فإذا قضى فلا مدفع له .
ويشهد لذلك قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا
(١١)﴾ [مريم]، ﴿كَانَ عَلَى رَيْكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا
(٧١)﴾ [مريم]، ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [هود]؛
أي: فصل تنبيهاً أنه صار بحيث لا
يمكن تلافيه^(١) .

وقال الخطابي: «والقدر اسم لما صدر
مقدراً عن فعل القادر، والقضاء معناه
الخلق كقوله ﷻ: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ
فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت]؛ أي خلقهن .

وجماع القول في هذا الباب أنهما
أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن
أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة
البناء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام
هدم البناء ونقضه^(٢) .

ومنهم من قلب ذلك، فقد نقل ابن
حجر عن الكرماني أنه قال: «المراد
بالقدر: حكم الله، وقالوا - أي
العلماء -: القضاء هو الحكم الكلي
الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات
ذلك الحكم وتفصيله»^(٣) .

الآثار:

للإيمان بالقدر آثار عديدة، نذكر منها:

١ - أن الإيمان بالقدر وفق ما

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب (٤٠٧) [دار
المعرفة].

(٢) معالم السنن (٤/٣٢٣) [المطبعة العلمية، حلب،
ط١].

(٣) فتح الباري (١١/٤٧٧) .

(٤) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٦٤) .

المؤمن ويهبه إقداماً من غير تهور؛ لأنه يعلم أن أجله ورزقه مكتوب ليس له منه بد.

الطائفة الثانية: الجبرية، وهم الجهمية، ومن وافقهم، قابلوا القدرية النفاة، فنفوا عن العباد القدرة والاختيار والمشية، وقالوا: إن الله أجبر العباد على المعاصي، وأضافوا الأفعال كلها خيراً وشرّاً إلى الله تعالى^(١).

ومذهبهما باطل بنص القرآن والسنة والإجماع:

فالقرآن الكريم أثبت لله تعالى المشية التامة، والقدرة النافذة، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الله خالق أفعال العباد، وخالق حركاتهم وسكناتهم، كما أثبت للعباد مشية وقدرة تامة مؤثرة في حصول المقدور، لكنها لا تخرج عن قدرة الله تعالى وخلقته ومشيته.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدْرِ﴾ [القمر].

(١) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل لعبد الجبار المعتزلي (٣/٨)، ورسائل الشريف المرتضى - المجموعة الثالثة - (١٢) [منشورات دار القرآن إيران، ط ٣، ١٤١١هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٤٥٩ - ٤٦٠) [مجمع الملك فهد للطباعة، ط ١٤٢٥هـ].

٧ - أن الإيمان بالقدر له أثر عظيم في تخفيف أثر المصيبة على المسلم؛ لأنه يعلم أن ما أصابه لن يخطئه وأن كل ذلك من الله ﷻ، فإذا صبر حصل له أجر الصابرين الذي ذكره الله ﷻ في قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [١٥٦] أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة].

كما أنه إذا أصابته نعمة علم أنها من عند الله فلا يبطر ولا يختال، بل يشكر الله ﷻ حتى يزيده، كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

❖ مذهب المخالفين:

خالف في القدر طائفتان من أهل الأهواء والبدع، كل منهما على طرفي نقيض:

الطائفة الأولى: القدرية، وهم على مرتبتين: أحدهما: القدرية الغلاة، نفاة العلم والكتابة، الذين ظهروا في آخر زمن الصحابة، وهؤلاء كفرهم أئمة السلف؛ لإنكارهم العلم.

الثاني: القدرية النفاة، وهم المعتزلة ومن وافقهم، الذين نفوا الخلق والمشية

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز»^(١).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «إن الله خلق كل صانع وصنعتة، إن الله خلق صانع الخزم وصنعتة»^(٢).

وأمثال ذلك ممّا فيه إبطال مذهب القدريّة النفاة.

ومما يبطل مذهب الجبرية: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِلشَّرِّ﴾ [المائدة: ٣٦] لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقَ أَوْ يَتَّخِرْ [المدثر]. وأمثال ذلك مما يدل على أن للعباد مشيئة وقدرة، لكنها لا تخرج عن قدرة الله تعالى.

وأما من السنّة فقوله ﷺ لأشج بن عبد القيس: «إن فيك خلّتين يحبهما الله: الحلم والأناة». قال: يا رسول الله أنا أتخلق بهما، أم الله جبلني عليهما؟ قال: بل الله جبلك عليهما. قال: الحمد لله الذي جبلني على خلّتين يحبهما الله ورسوله»^(٣).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٤٦) [دار المعارف]، وسنده صحيح. وتقدم تخريجه مرفوعاً.

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٢٢٥)، وأحمد (٣٩٠/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١٦]، قال الهيثمي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والثوري، والزيدي، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم نهوا أن يقال: إن الله جبر العباد، وقالوا: إن هذا بدعة في الشرع، وهو مُفهمٌ للمعنى الفاسد. قال الأوزاعي وغيره: إن السنّة جاءت بجبل، ولم تأت بجبر»^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الانتصار في الرد على المعتزلة»، للعمري.
- ٢ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٣ - «الإبانة»، ابن بطة العكبري.
- ٤ - «القدر»، لعبد الله بن وهب القرشي.
- ٥ - «القدر»، الفريابي.
- ٦ - «القضاء والقدر»، للبيهقي.
- ٧ - «القضاء والقدر»، لعمر سليمان الأشقر.
- ٨ - «القضاء والقدر في ضوء الكتاب

(فيه هند بنت الوازع، ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات). مجمع الزوائد (٢/٩) [مكتبة القدسي]. لكن له شاهد عند أحمد (٣٦١/٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٧٢٠٣). وشاهد آخر عند البخاري في الأدب المفرد (٢٠٥) [دار البشائر، ط ٣]، وقد صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢١٩) [دار الصديق، ط ٤].

(٤) مجموع الفتاوى (١٦/١٤١). وانظر: السنّة للخلال (٥٤٩/٣) [دار الراجية، ط ١، ١٤١٠هـ]، والإبانة لابن بطة (٢٥٧/٣) [دار الراجية، ط ١، ١٤١٥هـ] فقد أسندنا القول بذلك إلى بعض أولئك الأعلام.

والسنة ومذاهب الناس فيه»، لعبد الرحمن المحمود.

التعريف شرعاً:

صفة ذاتية لله تعالى بأنه على كل شيء قدير، تام القدرة، لا يمتنع عليه شيء، ولا يعجزه شيء مهما كان، ولا يلبس قدرته عجز بوجه من الوجوه، وكل شيء في هذا الوجود كائن بقدرته ومشيتته^(٢).

٩ - «جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح الإيمان بالقدر»، لثامر محمد محمود.

١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

القدرة

التعريف لغة:

القدرة من الفعل الثلاثي (قَدَرَ) الدال على التمكن من فعل الشيء، يقال: قَدَرَ يَقْدِرُ فهو قادر وقدير ومقتدر؛ أي: ذو قدرة، وهي الإطاقة والقوة، وضده العجز، ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَلْسِنَةٍ قَدَرُهُ وَعَلَىٰ أَلْمَقَاتِرِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]؛ أي: طاقته. ويدل أيضاً على مبلغ الشيء ومنتهاه، فالقَدْرُ: مبلغ كل شيء، وقَدَّرَ يُقَدِّرُ تقديرًا فهو قادر ومقَدِّر: قضاء الله تعالى للأشياء على مبالغها ومنتهائها الذي أَرَادَهَا لَهَا تَعَالَىٰ^(١). والقَدْرُ والقُدْرَةُ: الغنى واليسار والقوة. وذو قُدْرَةٍ وذو مَقْدِرَةٍ؛ أي: يسار. ومعناه أنه يَبْلُغُ بيساره وِغْنَاءَهُ من الأمور المَبْلُغِ

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة ظاهرة، لكن المعنى الشرعي الذي هو وصف لله تعالى هو على أكمل ما يكون عليه المعنى، دون أي نقص بوجه من الوجوه.

الحكم:

وجوب إثبات القدرة التامة لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، ونفي أي معنى من معاني العجز عنه ﷻ^(٤).

الحقيقة:

القدرة صفة من صفات الله ﷻ الذاتية، فإن الله هو القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، ولا يفوته مطلوب، له

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٨/٩ - ١٩) [الدار المصرية]، والصاحح (٧٨٦/٢ - ٧٨٧) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٨٧٦ - ٨٧٧) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٦٥٧ - ٦٥٩) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والمعجم الوسيط (٧١٨/٢ - ٧١٩) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢].

(٢) مقاييس اللغة (٦٣/٥)، والقاموس المحيط (٥٩١).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/١٠٥)، وشأن الدعاء للخطابي (٨٦)، والأسماء والصفات للبيهقي (١١٣)، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٦٩).

(٤) انظر: معارج القبول (١/١٢٩)، وشرح العقيدة الواسطية للهراس (١٤٠، ١٤١).

قدرة، يقول: يخلق ما يشاء، ويميت من يشاء، ويغني من أراد، ويفقر من يشاء ويعزّز من يشاء، ويذلّ من يشاء، لا يتعدّر عليه شيء أراد؛ لأنه ذو القدرة التامة التي لا يعجزه معها شيء»^(٣).

وقال البيهقي: «باب ما جاء في إثبات القدرة»، ثم ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك^(٤).

وقال أبو القاسم التيمي: «أثبت الله العزة والعظمة والقدرة والكبر والقوة لنفسه في كتابه»^(٥).

وقال الشيخ محمد خليل هراس بعد ذكره لآيات في صفات الله ﷻ: «هذه الآيات تضمنت إثبات صفات العفو، والقدرة، والمغفرة، والرحمة والعزة»^(٦).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: من أسماء الله الحسنى (القادر):

ومعناه: الذي يقدر على إيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، الذي لا يعجزه شيء، يفعل ما يريد بمقتضى حكمته، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون. ويدخل فيه تقدير الله ﷻ لجميع شؤون هذا الكون؛ ومنه قوله

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٤١٥).

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (١/٣١٤).

(٥) الحجة في بيان المحجة (٢/١٩٦). وانظر: مجموع

الفتاوى لابن تيمية (٦/٨٨).

(٦) شرح العقيدة الواسطية (١٤٠).

القدرة الشاملة، وهذه القدرة لا يتطرق إليها عجز ولا تعب ولا إعياء ولا لغوب.

ويدخل تحت هذا المعنى تقدير الله ﷻ لجميع شؤون هذا الخلق، فكل شيء بقضائه وقدره، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدَرًا نَّقِيرًا﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمr].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا﴾ [الكهف].

وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه أنه شكأ إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثاً وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»^(١).

ما جاء في دعاء الاستخارة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري - في تفسير قوله

تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن]: «يقول: وهو على كل شيء ذو

(١) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٨٢).

تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعَمَ الْقَدِيرُونَ﴾ (٢٣) [المرسلات] (١).

كما ورد في أغلب طرق حديث تعيين الأسماء الحسنى المشهور، سوى طريق عبد الملك الصنعاني، وأورد هذا الاسم معظم من اعتنى بجمع أسماء الله الحسنى وشرحها، ولم يسقطه سوى: الزجاج، والخطابي، وصديق حسن خان (٣).

وقد ورد هذا الاسم في اثني عشر موضعاً من القرآن الكريم، خمس منها بصيغة الجمع، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، كما ورد هذا الاسم في جميع طرق حديث تعيين الأسماء المشهور، وأورده معظم من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها، ولم يسقطه سوى: جعفر الصادق، وابن حزم، والسعدي (٢).

- المسألة الثالثة: من أسماء الله الحسنى (المقتدر):

المُقتدر بوزن (مُفتعل) اسم فاعل للفعل (اقتدر)، يدل على التمكن من فعل الشيء، والمقتدر في أسماء الله مبالغة في وصف الله ﷻ بالقدرة، ومعناه: التام القدرة، المظهر قدرته، فهو صيغة مبالغة من القادر، وأبلغ من القدير؛ لأن الاقتدار أبلغ وأعم، فهو يقتضي الإطلاق، فهو سبحانه المقتدر الذي يقدر على إيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، الذي لا يعجزه شيء.

- المسألة الثانية: من أسماء الله الحسنى (القدير):

القدير بوزن (فعليل) صيغة مبالغة من القدرة، الدالة على التمكن من فعل الشيء، وهو اسم من أسماء الله ﷻ الحسنى، ومعناه: القادر التام القدرة، فهو صيغة مبالغة من القادر، وقد ورد هذا الاسم في خمسة وأربعين موضعاً من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة].

وقد ورد اسم المقتدر في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ (٢٥) [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (٥٥) [القمر]، كما ورد في طرق حديث تعيين الأسماء المشهور ما عدا طريق عبد الملك الصنعاني، وقد أورد هذا

(١) انظر: شأن الدعاء (٨٥) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١١٢/٢، ١١٣) [مكتبة الذهبي، ط ٢، ١٤١٧هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢١٧) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٢) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتيمي (٨٠ - ٨٤، ١٦٠) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٣) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتيمي (٨٠ - ٨٤).

الآثار لا تعد ولا تحصى في الآفاق وفي الأنفس، فوجود هذه المخلوقات التي لا تحصى، بتعدد أشكالها وتنوع أصنافها برهان ساطع وآية ظاهرة على كمال قدرة الله ﷻ وإحاطتها بكل شيء.

٢ - تقوية الاستعانة بالله ﷻ لدى العبد، وحسن التوكل عليه، وتمام الالتجاء إليه؛ لأنه لا قادر ولا قدير ولا مقتدر على الحقيقة إلا هو ﷻ.

٣ - الرضا بما قضاه الله ﷻ وقدره على العبد، والصبر على ما يصيب العبد من مكاره، والقناعة بما آتاه الله ﷻ، وسلامة صدره من أمراض القلوب كالحقد والحسد وحب الانتقام، لعلمه أن كل ذلك إنما هو بقضاء الله وقدره.

٤ - تقوية عزيمة العبد وإرادته في الحرص على الخير وطلبه، والبعد عن الشر والفرار منه، والأخذ بأسباب ذلك كله؛ أنها من قضاء الله وقدره.

٥ - حسن رجاء الله ﷻ ودوام سؤاله، والإكثار من دعائه والالتجاء إليه؛ وتعلقه بخالق الأسباب؛ لأن الأمور كلها بيده ﷻ، فوجب تعلق القلب والفكر بخالق القدر لا بالمقدور.

٦ - البعد عن الظلم والبغي وعن سائر ما يغضب الله ﷻ ويسخطه؛ لأن الإيمان بقدرة الله ﷻ وانتقامه لحرماته أن تنتهك، وانتقامه للمظلومين ممن

الاسم أغلب أهل العلم الذين اعتنوا بجمع الأسماء الحسنى وشرحها، ولم يسقطه من جمعه سوى: ابن تيمية، وابن القيم، والسعدي^(١).

❁ الفروق:

الفرق بين (القادر) و(القدير) و(المقتدر):

هذه الأسماء الثلاثة ثابتة لله ﷻ وهي متقاربة في المعنى، والفرق بينها من جهة ما تدلّ عليه كل صيغة منها، فالقادر: اسم فاعل من: قَدَرَ، يَقْدِرُ، والقدير: بوزن (فعليل)، وهو للمبالغة، والمقتدر: بوزن (مفتعل) من الفعل: اقتدر وهو أبلغ؛ جرياً على قواعد اللغة، من أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، والزيادة هنا اقتضت المبالغة والأبلغ.

❁ الثمرات:

إن للإيمان بقدرة الله ﷻ آثاراً عظيمة، وثماراً مباركة على العبد في دنياه وآخرته، ومنها:

١ - شهود آثار قدرته تبارك وتعالى في كل شيء في هذا الكون، فكل الكائنات مقهورة خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته ومشيتته، وهو وحده ﷻ المدبّر لها والمتصرّف فيها كما يشاء، وهذه

(١) انظر: معتقد هل السنّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتيمي (٧٩ - ٨٤).

بالفاعل ولا تتعدى إلى مفعول، وقد ذكر الله ﷻ في حقه النوعين، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤].

والناس في هذين النوعين على ثلاثة مذاهب:

١ - من لا يثبت له فعلاً قائماً به ﷻ لا لازماً ولا متعدياً، فاللازم منتف، والمتعدي كالخلق، فإنهم يقولون الخلق هو المخلوق أو معنى غير المخلوق، وهذا مذهب الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الأشاعرة.

٢ - من يثبت له ﷻ الفعل المتعدي دون اللازم، وهو مذهب الأشاعرة ومن وافقهم.

٣ - من يثبت النوعين كما دلّ عليه القرآن والسنة، وهو قول السلف أهل السنة والجماعة.

ومقتضى مذهب من ينفي عنه النوعين أو أحدهما أنه ﷻ ليس على كل شيء قدير كما أخبر عن نفسه، وحالهم كما وصفهم الله ﷻ أنهم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، فما عرفوه حق معرفته، وما عظموه حق تعظيمه، وما وصفوه حق وصفه الذي أثبت له نفسه تبارك وتعالى.

وقد اختلف الناس أيضاً في تفسير

ظلمهم يوجب أن يرتدع العبد في أن يقع في شيء من ذلك.

٧ - الإيمان بأن ما أودع الله ﷻ من القدرة والقوة في الإنسان إنما هي منه ﷻ ومن إنعامه وفضله، وهذا الشعور يدفع العبد إلى أن يُسخر ما أودع الله فيه من هذه القدرة في طاعة الله ﷻ وفي طريق الخير والإصلاح، ويحذر من توجيه ذلك في معصية الله تعالى وطريق الشر والإفساد، وألا يغتر بقدرته المقيدة، وأن يتبرأ من الحول والقوة إلا بالله ﷻ، فلا حول ولا قوة للعبد إلا به.

٨ - الذل والافتقار للعليم القدير، وإنزال الحوائج به وحده، واليقين بوعد الله الصادق، فمهما كان من قدرة عدو، أو غرور ظالم، فأمر الله سبحانه فوق كل شيء، وقدرته نافذة في كل شيء.

٩ - خشية الله تعالى، والخوف منه، بأنه القادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

❁ مذهب المخالفين:

كون الله ﷻ قادراً؛ أي: ذا قدرة، فله القدرة الشاملة الكاملة، ومعنى قدرة الله تعالى: تمكنه ﷻ من الفعل، والفعل نوعان: لازم ومتعدّ.

فالأفعال اللازمة هي التي تقوم

يقال: قد تجتمع الحركة والسكون في الشيء، فهل يمكن في الخارج أن يجتمع السواد والبياض في محل واحد، كما تجتمع الحركة والسكون؟ فيقال: هذا غير ممكن^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٣ - «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم»، لابن عيسى.
- ٤ - «تفسير الطبري».
- ٥ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنة الأصبهاني.
- ٦ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.
- ٧ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٨ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنة»، للسقاف.
- ٩ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.
- ١٠ - «معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

❏ قدرة الله ❏

يراجع مصطلح (القدرة).

(١) مجمع فتاوى ابن تيمية (٨/٨).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة]، مع تصديقهم بخبره، والخلاف وقع فيما يدخل تحت مقدور الله ﷻ مما يكون قادرًا عليه: من الممتنع والمعدوم، وأفعال العباد، وأفعال نفسه، وقد حرر شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الخلاف، وبيّن الحق فيه فقال في المسألة الأولى: وهي دخول الممتنع لذاته في مقدور الله ﷻ: «والناس في هذا على ثلاثة أقوال:

طائفة تقول: هذا عام يدخل فيه الممتنع لذاته من الجمع بين الضدين، وكذلك يدخل في المقدور، كما قال ذلك طائفة منهم ابن حزم.

وطائفة تقول: هذا عام مخصوص يخص منه الممتنع لذاته، فإنه وإن كان شيئًا، فإنه لا يدخل في المقدور، كما ذكر ذلك ابن عطية وغيره، وكلا القولين خطأ.

والصواب: هو القول الثالث الذي عليه عامة النظائر، وهو: أن الممتنع لذاته ليس شيئًا البتة، وإن كانوا متنازعين في المعدوم، فإن الممتنع لذاته لا يمكن تحققه في الخارج، ولا يتصوره الذهن ثابتًا في الخارج، ولكن يقدر اجتماعهما في الذهن، ثم يحكم على ذلك بأنه ممتنع في الخارج؛ إذ كان يمتنع تحققه في الأعيان، وتصوره في الأذهان، إلا على وجه التمثيل بأن

التعريف اصطلاحاً:

القدم: من الأوصاف التي يصح الإخبار بها عن الله تعالى إذا احتيج إلى ذلك، والمراد منه: الوجود الأزلي، الذي لا بداية له، وهو بمعنى: الأولية.

وتسمية الله بالأول هو الوارد في النصوص الشرعية^(٤).

الأسماء الأخرى:

الأول، الأزلي.

الحكم:

لم يرد في الكتاب ولا السنة وصف الله تعالى بالقدم، وإن كان المعنى المقرر في الاصطلاح مستخدماً في باب الإخبار^(٥).

لكن في الدلائل الشرعية من الوصف ما هو أبلغ وأدق في المعنى، وهو وصفه تعالى بالأولية، فهو دال على القدم، وعلى نفي سبقه بالعدم.

لكن ورد وصف بعض صفاته بالقدم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد

القدس

يراجع مصطلح (القدوس).

القدم

التعريف لغة:

القديم: العتيق، ضد الجديد أو الحديث، وهو (فعليل) من الفعل الثلاثي: (قدم) الدال على السبق، يقال: قدم قداماً وقدمته فهو قديم وأقدم ومتقدماً؛ إذا مضى على وجوده زمن طويل، وجمعه: قدماء وقدامى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَمَرَ فَدْرَنَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس]، وأكثر ما يستعمل القديم باعتبار الزمان، وقد يستعمل في التقدم في المرتبة والشرف^(١).

والقدم: نقيض الحدوث: قدم يقدم قداماً وقداماً وتقدم وهو قديم^(٢)، ويقال: شيء قديم، إذا كان زمانه سائلاً^(٣).

(١) انظر: تهذيب اللغة (٤٥/٩ - ٤٩) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٨٧٨) [دار الفكر]، ط ٢، ١٤١٨هـ، والصحاح (٢٠٠٦/٥ - ٢٠٠٧) [دار العلم للملايين]، ط ٤، ١٩٩٠م، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٦٠، ٦٦١) [دار القلم]، ط ٢، ١٤١٨هـ، المعجم الوسيط (٧٢٦/٢، ٧٢٧) [دار إحياء التراث العربي].

(٢) لسان العرب (١٢/٤٦٥).

(٣) مقاييس اللغة (٥/٦٥).

(٤) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٣٦/١) [مكتبة السوادي]، ط ١، ١٤١٣هـ، والاعتقاد للبيهقي، ط ٦٨، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٠٠/٩ - ٣٠١)، وبدائع الفوائد لابن القيم (١/١٦٢)، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٣٨/١).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٠٠/٩)، وبدائع الفوائد (١/١٦٢)، ولوامع الأنوار البهية (٣٨/١).

توقيفياً؛ كالقديم، والشيء، والموجود،
والقائم بنفسه»^(٣).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم تسمية الله

بالقديم:

اسم القديم لا يصح إطلاقه في
حق الله ﷻ، وهناك العديد من الأسماء
الحسنى التي سمى الله ﷻ بها نفسه
وهي تتضمن معنى القديم وزيادة، وتدل
على معاني لا يدل عليها اسم القديم،
ومن ذلك:

- المسألة الثانية: اسم الله ﷻ
(الأول).

قال شيخ الإسلام في أثناء الردّ على
أهل الكلام الذين يطلقون اسم (القديم)
على الله ﷻ: «والصواب أن القديم ما
تقدم على غيره في اللغة التي جاء بها
القرآن، وأما كونه كان معدوماً، أو لم
يكن معدوماً، فهذا لا يُشترط في تسميته
قديمًا، والله أحق أن يكون قديمًا؛ لأنه
متقدم على كل شيء؛ لكن لما كان لفظ
القديم فيه نواح لا تدل مطلقاً على
المتقدم على غيره، كان اسم (الأول)
أحسن منه، فجاء في أسمائه الحسنى
التي في الكتاب والسنة أنه "الأول"،
وفرق بين الأسماء التي يُدعى بها وبين
ما يُخبر به من الألفاظ لأجل الحاجة

(٣) بدائع الفوائد (١/١٦٢).

قال: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه
الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان
الرجيم»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

بيّن أهل العلم أن القدم يوصف
به الله ﷻ على وجه الإخبار. قال أبو
العباس ابن تيمية: «والناس متنازعون
هل يسمى الله بما صح معناه في اللغة
والعقل والشرع وإن لم يرد بإطلاقه نصٌّ
ولا إجماع، أم لا يطلق إلا ما أطلق
نص أو إجماع، على قولين مشهورين.
وعامة النظار يطلقون ما لا نص في
إطلاقه ولا إجماع كلفظ القديم والذات
ونحو ذلك، ومن الناس من يفصل بين
الأسماء التي يدعى بها وبين ما يخبر به
عنه للحاجة وأما إذا احتيج إلى الإخبار
عنه مثل أن يقال: ليس هو بقديم ولا
موجود ولا ذات قائمة بنفسها ونحو
ذلك. فقليل في تحقيق الإثبات: بل هو
سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة
بنفسها»^(٢).

وقال ابن القيم: «ما يطلق عليه في
باب الأسماء والصفات توقيفي، وما
يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٦٤)، وحسنه
النووي في الخلاصة (١/٣١٤) [مؤسسة الرسالة،
ط ١٠]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (رقم
١٦٠٦) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٢) مجموع الفتاوى (٩/٣٠٠، ٣٠١).

إلى بيان معانيها»^(١).

وإن كان يصح الإخبار به عنه»^(٣).

❁ المصادر والمراجع:

فالصحيح الذي عليه أهل السُّنة والجماعة عدم صحة تسمية الله ﷻ بالقديم؛ لأن هذا الاسم لم يرد في كتاب الله ﷻ ولا فيما صح من سُنَّة رسول الله ﷺ، ولا قال به أحد من السلف المعترين.

وقال أيضًا: «وأما كون القديم الأزلي واحدًا، فهذا اللفظ لا يوجد لا في كتاب الله، ولا في سُنَّة نبيه؛ بل ولا جاء اسم (القديم) في أسماء الله تعالى، وإن كان من أسمائه (الأول). والأقوال نوعان: فما كان منصوصًا في الكتاب والسُّنة، وجب الإقرار به على كل مسلم، وما لم يكن له أصل في النص والإجماع، لم يجب قبوله ولا رده حتى يعرف معناه»^(٢).

وقال السفاريني: «لا يصح إطلاق القديم على الله باعتبار أنه من أسمائه،

(١) بيان تلبس الجهمية (١٧١/٥، ١٧٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١، ١٤٢٦هـ]. وانظر: الصفدية (٢/٨٥) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، ودرء تعارض العقل والنقل (٢/٣٩١)، (٤/١٣٩ - ١٤٠) [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ]، ورسالة في العقل والروح، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٢/٤٦ - ٤٧) [دار إحياء التراث العربي]، وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٥٧) [مكتبة لينة، ط ١، ١٤١٢هـ]، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٢/١١٧) [مكتبة الخانجي].

(٢) منهاج السُّنة النبوية (٢/١٢٣) [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ].

- ١ - «التوحيد» (ج ٢)، لابن منده.
- ٢ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج ١)، للحليمي.
- ٣ - «الفصل في الملل والنحل» (ج ٢)، لابن حزم.
- ٤ - «منهاج السُّنة النبوية» (ج ٢)، لابن تيمية.
- ٥ - «بيان تلبس الجهمية» (ج ٥)، لابن تيمية.
- ٦ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
- ٧ - «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.
- ٨ - «الصفدية» (ج ٢)، لابن تيمية.
- ٩ - «الجوائز والصلوات من جمع الأسماء والصفات»، لصديق خان.
- ١٠ - «معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتيمي.

- ١١ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.
- ١٢ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للتيمي.
- ١٣ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ٢)، لابن أبي العز.

١٤ - «مجموع الفتاوى» (ج ١)، لابن تيمية.

١٥ - «منهج ودراسة الأسماء والصفات»، لمحمد الأمين الشنقيطي.

القَدَم

التعريف لغة:

القدم هي الرَّجُل، وسميت بذلك؛ لأنها تتقدم وتسبق^(١).

قال ابن فارس: «الراء والجيم واللام معظم بابه يدلُّ على العضو الذي هو رِجْلُ كل ذي رِجْلٍ»^(٢).

وفي تهذيب اللغة: «الرَّجْلُ: القَدَم، وهو خلاف اليد، ورجل القوس: سِيتها السفلى»^(٣).

قال الليث: «القدم من لدن الرسغ: ما يطاءً عليه الإنسان»^(٤).

التعريف شرعاً:

القدم صفة ذاتية خبرية ثابتة لله تعالى على وجه الكمال المطلق اللائق بجلاله وعظمته، بلا تكييف ولا تمثيل^(٥).

(١) مقاييس اللغة (٦٦/٥).

(٢) مقاييس اللغة (٤٩٢/٢) [دار الجيل].

(٣) تهذيب اللغة (٢٣/١١) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(٤) تهذيب اللغة (١٩٢/٣).

(٥) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢٠٢/١)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٣٢/٢) [دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٤٢٤هـ].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين باعتبار القدر المشترك المتصور في الذهن لمن تثبت له القدم، أما كيفية ما نشبته الله تعالى فلا ندركه، مع يقيننا بأنه على غاية الكمال والجمال.

الأسماء الأخرى:

الرَّجُل.

الحكم:

وجوب إثبات صفة القدم لله تعالى تليق بجلالته وعظمته، على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه^(٦).

الحقيقة:

إثبات الصفة على الوجه اللائق بالله ﷻ بلا تكييف، ولا تأويل، ولا تحريف.

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تحتاج الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم؟ قال الله للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من

(٦) انظر: كتاب الصفات للدارقطني (٤٠) [ط ١، ١٤٠٢هـ]، والإبانة لابن بطنة (٣/٣٣٠، ٣٣١)

[ط ٢، ١٤١٨هـ]، وإبطال التأويلات للقاضي أبي

يعلى (١/١٩٥) [دار إيلاف، ط ١، ١٤١٦هـ].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:
«الكرسي موضع القدمين، وله أطيظ
كأطيظ الرَّحْلِ»^(٥).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام:
«هذه أحاديث صحاح، حملها أصحاب
الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض،
وهي عندنا حق لا شك فيها، ولكن إذا
قيل: كيف وضع قدمه؟ وكيف ضحك؟
قلنا: لا يُفسَّر هذا، ولا سمعنا أحداً
يفسره»^(٦)، أي: لا يُفسر تفسير الجهمية
والمعتزلة والأشاعرة، وليس المقصود
نفي المعنى.

وروى ابن بطة بسنده عن إسحاق بن
منصور الكوسج قال: قلت لأحمد -
يعني: الإمام أحمد بن حنبل - اشتكت
النار إلى ربها حتى يضع قدمه فيها،
أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد:
«صحيح»^(٧).

وقال المروزي: سألت أبا عبد الله:

أشاء من عبادي. وقال للنار: إنما أنت
عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي.
ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا
تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله،
تقول: قط قط قط، فهناك تمتلئ ويزوى
بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه
أحداً...»^(١).

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«يلقى في النار، وتقول: هل من مزيد.
حتى يضع قدمه فتقول قط قط»^(٢).

وعنه رضي الله عنه أيضاً أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال:
«لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟
حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى
قدمه، فتقول: قط قط وعزتك، ويزوى
بعضها إلى بعض»^(٣).

وروى ابن بطة بسنده عن إسحاق بن
منصور الكوسج قال: قلت لأحمد
- يعني: الإمام أحمد بن حنبل - اشتكت
النار إلى ربها حتى يضع قدمه فيها،
أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد:
«صحيح»^(٤).

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في السُّنَّة (٣٠٢/١) [دار
ابن القيم، ط١]، وابن أبي شيبه في كتاب العرش
(٤٣٥) [مكتبة الرشد، ط١]، وابن جرير في التفسير
(٣٩٨/٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه
الألباني في مختصر العلو (١٢٤) [المكتب
الإسلامي، ط٢].

(٦) كتاب الصفات للدارقطني (٤٠) تحقيق: عبد الله
الغنيان [ط١، ١٤٠٢هـ].

(٧) الإبانة لابن بطة (٣٣٠/٣) تحقيق: د. عثمان عبد الله
[ط٢، ١٤١٨هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٨٥٠)،
ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم
٢٨٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٨٤٨)،
ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم
٢٨٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأيمان والنذور، رقم
٦٦٦١)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،
رقم ٢٨٤٨).

(٤) الإبانة لابن بطة (٣٣٠/٣).

«يضع قدمه»؟ فقال: «نمرها كما

جاءت»^(١).

- المسألة الأولى: الرَّجُل والقدم

بمعنى واحد:

تقدمت الإشارة إلى أن صفة القدم وردت بلفظ الرَّجُل، وهما بمعنى واحد.

وفي القاموس المحيط: «الرَّجُل بالكسر:

القَدَم، أو من أصل الفخذ إلى

القدم»^(٥). قال ابن العثيمين: «أما

الرجل والقدم، فمعناهما واحد، وسميت

رِجْل الإنسان قَدَمًا؛ لأنها تتقدم في

المشي، فإن الإنسان لا يستطيع أن

يمشي برجله إلا إذا قَدَمها»^(٦).

وقال الغنيمان - بعد ذكر روايات صفة

القدم والرَّجُل -: «ففي مجموع هذه

الروايات البيان الواضح بأن القدم

والرجل - وكلاهما عبارة عن شيء

واحد - صفة لله تعالى حقيقة على ما

يليق بعظمته»^(٧).

- المسألة الثانية: الكرسي موضع

القدمين:

ورد في الآثار عن السلف أن الكرسي

موضع القدمين لله تعالى، فعن ابن

عباس رضي الله عنه قال: «الكرسي موضع

وقال القاضي أبو يعلى الفراء: «اعلم

أنه غير ممتنع حمل هذا الخبر على

ظاهره، وأن المراد به (قدم) هو صفة لله

تعالى وكذلك (الرجل)»^(٢).

وقال ابن خزيمة: «باب ذكر إثبات

الرَّجُل لله تعالى، وإن رغمت أنوف المعطلة

الجهمية الذين يكفرون بصفات خالقنا تعالى

التي أثبتها لنفسه في محكم تنزيله وعلى

لسان نبيه المصطفى، قال الله تعالى - يذكر

ما يدعو بعض الكفار من دون الله -:

﴿أَلَمْ يَأْتِ الْبَشَرِ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ

بِهَا أَمْ لَهُمْ آعِينَ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ

يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ [الأعراف:

١٩٥]. فأعلمنا ربنا تعالى أن من لا رجل له

ولا يد ولا عين ولا سمع فهو كالأنعام

بل هو أضل»^(٣).

وقال ابن عثيمين: «إن لله تعالى رجلًا

وقدمًا حقيقية، لا تماثل أرجل

المخلوقين، ويسمي أهل السنَّة مثل هذه

الصفة: الصفة الذاتية الخبرية؛ لأنها لم

تعلم إلا بالخبر»^(٤).

ابن الجوزي، ط ٤، ٤٤٢٤هـ.

(٥) القاموس المحيط للفيروزآبادي (١٢٩٧) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٦) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (٣١/٢).

(٧) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان

(١٣٣) [ط ١، ١٤٠٢هـ].

(١) الإبانة لابن بطة (٣/٣٣١).

(٢) إبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى (١/١٩٥) تحقيق: أبي عبد الله محمد الحمود [دار إيلاف، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٣) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب تعالى (١/٢٠٢).

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (٣٢/٢) [دار

وأولوا حديث وضع الجبار قدمه على النار بأنه قدم جبار معين مخلوق^(٥)، أو أن المراد بذلك أهل النار؛ لأنه تقدم في علم الله أنهم من أهلها^(٦)، أو أنه خلق من خلق الله سمًا قدمًا^(٧)، ونحو ذلك من التأويلات التي تخرج بالكلام عن الوضوح والبيان إلى أبعد ما يكون الاغتراب والغموض!

وقد ردّ عليهم أهل العلم في مؤلفات كثيرة، بينوا فيها بطلان هذه التأويلات وبعدها عن الصواب، ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: «وقد غلط في هذا الحديث المعطلة الذين أولوا قوله: (قدمه) بنوع من الخلق، كما قالوا: الذين تقدّم في علمه أنهم أهل النار. حتى قالوا في قوله: «رجله»: كما يقال: رجل من جراد. وغلطهم من وجوه:

فإن النبي ﷺ قال: «حتى يضع»، ولم يقل: حتى يلقي، كما قال في قوله: «لا يزال يلقي فيها».

الثاني: أن قوله: «قدمه» لا يفهم منه

(٥) مشكل الحديث لابن فورك (٤٥) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ]، وأصول الدين للبغدادي (٧٦)، والإرشاد للجويني (١٦٣) [مكتبة الخانجي، ١٣٦٩هـ]، وغاية المرام للآمدي (١٤١) [المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ].

(٦) مشكل الحديث لابن فورك (٤٤)، والإرشاد للجويني (١٦٣).

(٧) مشكل الحديث (٤٥).

القدميين، والعرش لا يقدر أحد قدره^(١).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «الكرسي موضع القدمين، وله أطيط كأطيط الرجل»^(٢).

وقال يحيى بن معين: «شهدت زكريا بن عدي، سأل وكيعًا، فقال: يا أبا سفيان، هذه الأحاديث يعني مثل: الكرسي موضع القدمين ونحو هذا؟ فقال وكيع: أدركنا إسماعيل بن أبي خالد، وسفيان، ومسعرًا يحدثون بهذه الأحاديث ولا يفسرون شيئًا»^(٣).

❁ مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فأنكروا إثبات صفة القدمين لله تعالى؛ بحجة أن هذا يستلزم التشبيه والتجسيم والتركيب^(٤)،

(١) أخرجه الدارمي في النقض على المرسي (٤١٢/١) [مكتبة الرشد، ط١]، وعبد الله بن أحمد في السنّة (١/٣٠١) [دار ابن القيم، ط١]، وابن أبي شيبة في كتاب العرش (٤٣٨) [مكتبة الرشد، ط١]، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢٤٨/١) [مكتبة الرشد، ط٥]، وغيرهم، وقال الذهبي في كتاب العلو (٧٦) [أضواء السلف، ط١]: «رجاله ثقات»، وصححه الألباني في مختصره (١٠٢) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (١٩٧/٢)، والصفات للدارقطني (٦٩/١).

(٤) ينظر: أساس التقديس (١٨٦) [مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٦هـ]، وأصول الدين للبغدادي (٧٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٤٦هـ]، وينظر: الحجة لقوام السنّة (٥٥٠/٢)، والصواعق المرسلّة (٢٢٦/١).

- هذا، لا حقيقة ولا مجازًا، كما تدلّ عليه الإضافة.
- الثالث: أن أولئك المؤخرين إن كانوا من أصاغر المعدّبين فلا وجه لانزوائها واكتفائها بهم، فإنّ ذلك إنما يكون بأمر عظيم، وإن كانوا من أكابر المجرمين فهم في الدرك الأسفل، وفي أول المعدّبين لا في أواخرهم.
- الرابع: أن قوله: «فينزوي بعضها إلى بعض» دليل على أنها تنضمّ على من فيها، فتضيق بهم من غير أن يلقي فيها شيء.
- الخامس: أن قوله: «لا يزال يلقي فيها، وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها قدمه» جعل الوضع الغاية التي إليها ينتهي الإلقاء، ويكون عندها الانزواء، فيقتضي ذلك أن تكون الغاية أعظم ممّا قبلها.
- ٢ - «الحجة في بيان المحجّة»، لقوام السنّة الأصبهاني.
- ٣ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.
- ٤ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (ج ١)، لعبد الله الغنيمان.
- ٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنّة»، لعلوي السقاف.
- ٦ - «الصواعق المرسلّة» (ج ١)، لابن القيم.
- ٧ - «العلو للعلي الغفار»، للذهبي.
- ٨ - «كتاب التوحيد»، لابن خزيمة.
- ٩ - «كتاب الصفات»، للدارقطني.
- ١٠ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنّة»، لمحمد أمان الجامي.

❏ القدّوس ❏

❏ التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «القاف والبدال والسين أصلٌ صحيح، وأظنه من الكلام الشرعيّ الإسلاميّ، وهو يدلُّ على الطهر»^(٢).

والقدّوس: على وزن (فَعُول) من صيغ المبالغة، مأخوذ من القدّس، وهو الطهارة والنزاهة، ومنه قوله تعالى عن الملائكة: ﴿وَلَمَّا نَسَبْنَا لِكُلِّ مَلَكَةٍ مُّسْكِبَةً وَقَدِّسْنَا

وليس في قول المعطّلة معنى للفظ «قدمه» إلا وقد اشترك فيه الأول والآخر، والأوّل أحقّ به من الآخر»^(١).

❏ المصادر والمراجع:

١ - «الأسماء والصفات» (ج ٢)، للبيهقي.

(١) جامع المسائل لابن تيمية (٢/٢٣٩) [دار عالم الفوائد ط ١، ١٤٢٢هـ]. وانظر: نقض الدارمي على المريسي (١٩٥) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ]، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/١٥٧)، وشرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (٢/٣٣).

(٢) مقاييس اللغة (٥/٦٣).

وقد فسّر بعض أهل العلم اسم القدّوس بالمبارك، وهو قريب من المعنى الأول؛ لأن طهارته وتنزهه عن العيوب والنقائص سبب لكونه مباركاً^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تتضح العلاقة بين المعنى اللغوي لاسم القدّوس ومعناه الشرعي من خلال تطابق المعنى اللغوي الذي تدل عليه الكلمة مع معناه الشرعي، فكلاهما دالٌّ على الطهارة والنزاهة.

الحكم:

وجوب إثبات القدّوس اسماً لله تعالى، وما تضمنه من صفة القدسية وصفاً ذاتياً لله تعالى على وجه الكمال، وتنزيهه سبحانه عن كل ما لا يليق به.

الحقيقة:

القدّوس: اسم من أسماء الله الحسنى الدالة على أنه المنزه من كل شر ونقص وعب، الطاهر من كل عيب، ومن كل

[١٤١٢هـ]، وبيان تلبس الجهمية (٢/٥٣٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١، ١٤٢٦هـ]، وتفسير ابن كثير (٨/١١٥) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٠٨) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (١٩٤) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٤) ورد هذا التفسير عن مجاهد وقتادة. انظر: تفسير الطبري (٣٠٢/٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، وتفسير ابن كثير (٨/٧٩).

لكّ [البقرة: ٣٠]؛ أي: ننزهك عن كل ما لا يليق بك، ومنه: الأرض المقدسة: الطاهرة، وبيت المقدس: المُطَهَّر، وروح القدس: جبريل ﷺ؛ أي: الروح الطاهرة، والتقدّيس: التطهير، يقال: تقدّس له إذا تطهّر، وقدّس له: نزّهه.

قال الليث: «القدّسُ تنزيه الله، وهو القدّوسُ المقدّسُ المتقدّسُ»^(١).

وقيل: القدّس: البركة، والأرض المقدسة: المباركة، وهو قريب من الأول؛ لأن طهارته سبب لحصول البركة فيه^(٢).

التعريف شرعاً:

القدّوس: اسم من أسماء الله الحسنى الدالة على تنزيه الله ﷻ عن كل نقص وعب يصاد كماله وينافي عظّمته وجلاله؛ لأنه سبحانه المتّصف بصفات الكمال والعظمة والجلال التي لا نقص فيها ولا عيب بحال من الأحوال، وهو سبحانه المقدّس؛ أي: المنزه والمترفع عن الأنداد والأضداد والأشياء والأمثال والشركاء بحال من الأحوال^(٣).

(١) تهذيب اللغة (٣/١٦٤) [الدار المصرية للتأليف].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٨/٣٩٦، ٣٩٧)، والصحاح للجوهري (٣/٩٦٠، ٩٦١) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٦٦٠) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والمعجم الوسيط (٢/٧٢٥، ٧٢٦) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) انظر: شأن الدعاء (٤٠) [دار الشقافة، ط٣،

❁ أقوال أهل العلم:

قال قتادة: «القدّوس؛ أي: المبارك»^(٣).

وقال ابن جرير الطبري: «القدّوس: وهو الطاهر من كلّ ما يضيف إليه المشركون به، ويصفونه به مما ليس من صفاته المباركة»^(٤).

وقال ابن القيم: «القدّوس: المنزّه من كلّ شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير: هو الطاهر من كلّ عيب، المنزه عما لا يليق به، وهذا قول أهل اللغة، وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة»^(٥).

وقال ابن كثير - في تفسير ﴿الْمَلِكِ﴾: «هو المُنَزَّه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال»^(٦).

وقال السعدي: «﴿الْقُدُّوسُ أَسْلَمٌ﴾؛ أي: المقدس السالم من كلّ عيب وآفة ونقص، المعظم الممجّد؛ لأنّ القدّوس يدلّ على التنزيه عن كلّ نقص، والتعظيم لله في أوصافه وجلاله»^(٧).

وأورد هذا الاسم كلّ من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى والتصنيف في شرحها.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٢٠٣).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/٣٧١)، والحجة (١/١٢٣).

(٥) شفاء العليل (١٧٩).

(٦) تفسير ابن كثير (٨/١١٥).

(٧) تفسير السعدي (٨٥٤).

ما يضيف إليه المشركون به. كما أنه سبحانه هو المعظم الممجّد؛ لأنّ القدّوس يدلّ على التنزيه عن كلّ نقص، والتعظيم لله في أوصافه وجلاله.

❁ الأدلّة:

ورد هذا الاسم في موضعين من القرآن الكريم، هما قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول في ركوعه وسجوده: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(١).

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من اشتكى منكم شيئاً أو اشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء تقدّس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض...» الحديث^(٢).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٧).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٩٢)، وقال المنذري في مختصر سنن أبي داود (٢/٦٠٧) [مكتبة المعارف، ط١]: [في إسناده زياد بن محمد الأنصاري، قال أبو حاتم: منكر الحديث، وقال البخاري والنسائي: منكر الحديث]، وضعفه الألباني جداً في ضعيف الترغيب والترهيب (رقم ٢٠١٣).

وانظر: معتقد هل السنّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٨٠ - ٨٤، ١٦١) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩]، وأسماء الله الحسنى للغصن (٣٣١) [دار الوطن، ط١، ١٤١٧هـ].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اسم الجلال (القدوس) يدل على الذات العلية وعلى صفة القدسية، وهي الطهارة والتنزيه:

فالله ﷻ مقدّس في ذاته منزّه عن كل نقص وعيب؛ لأنه متصف بكل أنواع الكمال، وهو المستحق للتقديس والعظمة والجلال، ولذلك قالت الملائكة: ﴿وَنَحْنُ سُبِّحٌ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

ويدلُّ على صفة الفعل وهي التقديس، فالله ﷻ يُقدِّس من شاء من خلقه، فالتقديس صفة فعل كما ورد في حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف يُقدِّس الله أمةً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم»^(١).

- المسألة الثانية: يتضمن اسم القدوس نفي النقائص والعيوب عن الله ﷻ، وتنزيهه ﷻ عن كل ما لا يليق بكماله وعظمته وجلاله، وذلك يكون بأمرين:

الأول: نفي النقص عنه ﷻ المنافي لكماله، فإذا نفينا عنه ﷻ السنّة والنوم فإنما ذلك لأنه مناف لكمال حياته وقيوميته، وإذا نفينا عنه الظلم؛ لأنه مناف لكمال عدله، وهكذا في جميع ما

(١) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠١٠)، وحسن إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ١٨٣) [دار العربية، ط ٢٢]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٥٩٨).

ينفي عن الله ﷻ من النقائص والعيوب فإنها منافية لمقابلها من صفات الكمال ونعوت العظمة والجلال.

الثاني: نفي أن يكون لله ﷻ مماثل أو مشابه في جميع أوصاف الكمال الثابتة له، فإنه ﷻ لا مثل له ولا شبيه ولا كفو ولا ند ولا سمّي له، فهو سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

- المسألة الثالثة: كان النبي ﷺ يكثر من ذكر هذا الاسم في ركوعه وسجوده:

فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في سجوده وركوعه: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(٢)، كما كان ﷻ يختم بهذا الاسم صلاته بالليل كما جاء في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في الوتر ﴿سَبِّحْ أَسْمَاءَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فإذا سلّم قال: ﴿سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾، ثلاث مرات»^{(٣)(٤)}.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٣٠)، والنسائي (كتاب قسام الليل وتطوع النهار، رقم ١٦٩٩)، وعبد الله بن أحمد في زوائد على المسند (٨٠/٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٦هـ]، وابن حبان (كتاب الصلاة، رقم ٢٤٥٠)، وصححه النووي في الخلاصة (١/ ٥٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والألباني في صحيح أبي داود (رقم ١٢٨٤) [مؤسسة غراس، ط ١].

(٤) انظر حول هذه المسائل: تفسير أسماء الله الحسنی =

الآثار:

٩ - ما جعله الله تعالى من العاقبة

لرسله وأوليائه، والحسرة والخسران على أعدائه.

١٠ - أن اسم الجلال القدوس على

المسلم أن ينزه نفسه عن المعاصي والذنوب، ويطلب المعونة من ربه أن يحفظه في سمعه وبصره وبدنه من جميع النقائص والعيوب.

مذهب المخالفين:

اسم الجلال القدّوس من الأسماء الحسنى الدالة على التنزيه العام لله ﷻ عن جميع صفات النقص، وقد استند العديد من الفرق المبتدعة على دلالة هذا الاسم ونحوه على التنزيه من أجل نفي ما يستحقه الله ﷻ مما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ من صفات الكمال ونعوت العظمة والجلال التي جاءت في نصوص الكتاب والسنة، فإن أهل السنة والجماعة عندما قالوا بموجب هذا الاسم من تقديس الله ﷻ وتنزيهه عن جميع النقائص والعيوب، ليس معنى ذلك تعطيل الله ﷻ عن صفات كماله ونفي معاني أسمائه الحسنى كما ظنه المعطلة من جهمية ومعتزلة وأشاعرة وماتريديّة ومن وافقهم؛ بل معناه تنزيه الله ﷻ عن مشابهة خلقه في شيء من صفاتهم؛ فإن تنزيه أهل السنة والجماعة تنزيه بلا تعطيل، كما أن إثباتهم

١ - حمد الله تعالى والثناء عليه بكمالهِ في ذاته وصفاته، وتنزيهه تعالى عن كل عيب ونقص.

٢ - سلامة الإيمان وكمالهِ في أسماء الله تعالى وصفاته بإثبات جميع الأسماء والصفات على وجه الكمال الذي لا يتطرق إليه أي معنى من معاني النقص، فتكون السلامة من التحريف المسمّى عند أهله تأويلاً.

٣ - التعبد لله تعالى بأسمائه وصفاته على الوجه الأكمل، الباعث عليه كمال الصفات وطهارتها من أي نقص.

٤ - صدق اليقين وجميل التوكل على الله تعالى.

٥ - عظيم خلق الله تعالى ووقوعه على غاية الكمال والإتقان.

٦ - الحكمة التامة والعظمة الكاملة في قضاء الله تعالى وتقديره الدال على كمال صفاته وأفعاله.

٧ - كمال شرع الله تعالى وطهارته من كل نقص وعيب.

٨ - الدلائل الظاهرة في الآيات الأفقية والنفسية الدالة على ألوهية الله تعالى ووحدانيته.

= للسعدى (٢٠٨، ٢٠٩)، وفقه الأسماء الحسنى (١٩٤) - (١٩٥) [دار التوحيد، ط١]، والنفي في باب الصفات (١٠٧-١١٢) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ].

٧ - «النفى في باب الصفات»،
لأرزقي سعيداني.

٨ - «أسماء الله الحسنى»، للغصن.

٩ - «الأسماء والصفات» (ج ١)،
للبيهقي.

١٠ - «الحجة في بيان المحجة»،
للتيمي.

١١ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

١٢ - «صفات الله ﷻ الواردة في
الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.

❖ القدير ❖

يراجع مصطلح (القدرة).

❖ القديم ❖

يراجع مصطلح (القدم).

❖ القرآن ❖

❖ التعريف لغةً:

القرآن: مصدر للفعل قرأ يقرأ قراءةً
وقرآنًا؛ أي: تلا وجمع وضمَّ بعضه إلى
بعض، سُمي القرآن بذلك؛ لأنه يجمع
السُّور فيضمها^(٢).

❖ التعريف شرعاً:

القرآن: كلام الله حقيقة، حروفه

إثبات بلا تمثيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١)
[الشورى].

فإن تنزيه الله ﷻ وتعظيمه يجب أن
يكون وفق دلائل الكتاب والسنة على
ضوء فهم سلف الأمة وأئمتها، ولا
يجوز بحال أن ينبني على الأهواء
المجردة، أو الظنون الفاسدة، أو
الأفيسة العقلية الكاسدة، كما هو الشأن
عند أرباب البدع المعطلين لصفات
الرب ﷻ زعمًا منهم أن هذا من باب
التقديس والتنزيه؛ ولهذا وقعوا في أنواع
من الباطل وصنوف من الضلال^(١).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٢ - «بيان تلبيس الجهمية»
(ج ٢)، لابن تيمية.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»،
للسعدي.
- ٤ - «معتقد أهل السنة والجماعة في
أسماء الله الحسنى»، للتيمي.
- ٥ - «فقه الأسماء الحسنى»،
لعبد الرزاق البدر.
- ٦ - «النهج الأسمى في شرح
أسماء الله الحسنى»، للحمود النجدي.

(٢) انظر: الصحاح (٦٦/١) [دار العلم للملايين،
٤ط]، والقاموس المحيط (٦٢) [مؤسسة الرسالة،
٥ط، ١٤١٦هـ].

(١) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى
(١١٢، ١١١/١) [مكتبة الذهبي، ٢ط، ١٤١٧هـ]،
النفى في باب الصفات (٢٠٥ - ٢٢٢).

ومعانيه، مُنزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود^(١).
والموعظة إلى غير ذلك من أسمائه الكثيرة^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يجب على المسلم أن يؤمن بالقرآن الكريم إيماناً تفصيلياً، إقراراً واتباعاً، في الظاهر والباطن، والسّر والعلن، فيعتقد: أن القرآن كلام الله تعالى، ووحيه الذي أنزله على نبيه ﷺ، تكلم به ربنا سبحانه حقيقة بحروفه ومعانيه؛ فمنه بدأ وإليه يعود، وسمعه منه جبريل ﷺ حقيقة، ثم نزل به على نبينا ﷺ؛ فسمعه منه مباشرة حقيقة في اليقظة، منجماً ومفرقاً حسب الوقائع والأحداث.

ويعتقد المسلم أيضاً: أن القرآن الكريم كلام الله تعالى كيفما تصرف؛ مقروءاً ومسموعاً ومكتوباً ومحفوظاً في الصدور؛ فالألسن والأصوات والأسماع والأنامل والأقلام والصدور مخلوقة، والقرآن المتلوّ والمسموع والمكتوب والمحفوظ كلام الله غير مخلوق.

الحقيقة:

القرآن كلام الله تعالى، ووحيه الذي أنزله على نبيه ﷺ، تكلم به ربنا سبحانه حقيقة - بحروفه ومعانيه -؛ فمنه بدأ وإليه يعود، وسمعه منه جبريل ﷺ حقيقة، ثم

عرفنا أن المعنى اللغوي للقرآن مأخوذ من القراءة والتلاوة التي تجمع وتضم بعضها إلى بعض، فكذلك القرآن شرعاً؛ إذ هو كلام الله يتلى ويقرأ في سور مجموعة ومضمومة.

سبب التسمية:

سُمي القرآن بذلك؛ لأنه يجمع السور والآي والحروف، وجمع فيه القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد^(٢).

وقيل: «تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله؛ لكونه جامعاً لثمره كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم»^(٣).

الأسماء الأخرى:

القرآن هو: الفرقان، والكتاب، والهدى، والنور، والتنزيل، والشفاء،

(١) انظر: لمعة الاعتقاد (١٨) [وزارة الشؤون الإسلامية، ٢، ١٤٢٠هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧/١٢)، والجواب الصحيح (٣٣٩/٤)، والدرر السنية (٣٠/١) [٦، ١٤١٧هـ]، وفتاوى اللجنة الدائمة (٢١/٣) [المجموعة الثانية].

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٦٠٤/١) [جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ]، وتفسير البغوي (١/١٩٨) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، وتفسير البحر المحيط (٣٢/٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (٦٦٩) [دار العلم والدار الشامية، ١٤١٢هـ].

(٤) انظر في أسماء القرآن: مجموع الفتاوى (١/١٤)، والهدى والبيان في أسماء القرآن لصالح بن إبراهيم البليهي.

قبله انقضت بانقضاء زمانها ولم يبق إلا تذكراها، وهو كل يوم براهينه في مزيد، ومعجزاته في تجديد، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿٤٦﴾ [فُصِّلَتْ] (١).

ومما يدلُّ على علو منزلته أيضًا: أن الله ﷻ عَظَّمَ مِنْ عَظْمِهِ، وجعلهم أهله وخاصته، وأن من إجلاله إجلالهم، فمن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ، فَلَهُ أَجْرَانِ» (٢).

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ». قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: «هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته» (٣).

قال ابن الأثير: «أي: حفظة القرآن العاملون به هم أولياء الله، والمختصون به اختصاص أهل الإنسان به» (٤).

(١) معارج القبول للحكمي (٣/١١٢١) [دار ابن القيم بالدمشق، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٣٧)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٩٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ٢١٥)، وأحمد (٢٩٦/١٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب فضائل القرآن، رقم ٢٠٤٦)، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٩/١) [دار العربية، ط ٢]، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٤٣٢) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٨٣) [المكتبة العلمية، ط ١٣٩٩هـ].

نزل به على نبينا ﷺ؛ فسمعه منه مباشرة حقيقة في اليقظة، منجمًا ومفرقًا حسب الوقائع والأحداث. وهو خاتم الكتب المنزلة من عند الله تعالى، وأعظمها وأشرفها وأهداها، والمهيمن عليها، والناسخ لها ولشرائعها، والجامع لأصولها ومحاسنها، والباقي والخالد إلى قيام الساعة؛ فلا يأتي كتاب بعده يغيّر شيئًا من أحكامه وشرائعه، فلم يبق كتاب يُتَعَبَدُ اللهُ بِهِ سِوَاهُ؛ فليس لأحد من الإنس أو الجنّ الخروج عن شيء من أحكامه، ولا اتباع غير سبيله؛ وإلا ضلَّ وغوى.

﴿المنزلة﴾

جعل الله للقرآن الكريم منزلة رفيعة، ومكانة عالية، فهو من أركان الإيمان الستة، التي لا يقبل إيمان العبد حتى يأتي بها، فالقرآن نور للقلوب، به تزكوا النفوس وتفرح، وتنشرح الصدور، فيه آيات زكيات، ومعاني بينات، تخرج المغموم من غمه، والمهموم من همه، وتبعد عن الصدر ضيقه.

ومما يدلُّ على علو منزلته: أنه أعظم معجزات النبي ﷺ فهو «معجزة خالدة أبد الأبدين، ودهر الداهرين، لا تفنى عجائبه، ولا يدرك غاية إعجازه ولا يندرس بمرور الأعصار، ولا يمل مع التكرار؛ بل يُجَلَّى مع ذلك ويتجلَّى، ويعلو على غيره ولا يُعلَى، وكلّ معجزة

❁ الأدلة:

قال ﷺ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ بِالْحَقِّ مَصَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨]، والآيات في هذا المعنى أكثر من أن تحصى.

وعن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إنني أوتيت الكتاب ومثله معه»^(١).

ولمَّا أتى عمر بن الخطاب النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ فغضب فقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده؛ لقد جئتكم بها بيضاء نقية. لا تسألوهم عن شيء؛ فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو يباطل فتصدقوا به! والذي نفسي بيده؛ لو أن موسى رضي الله عنه كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن أبي زمنين: «ومن قول أهل السنة: أن القرآن كلام الله وتنزيله، ليس بخالق ولا مخلوق، منه تبارك وتعالى بدأ، وإليه يعود»^(٣).

وقال القاضي عياض: «وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) إلى آخر: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(١)، أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد رضي الله عنه وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفًا قاصدًا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفًا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدًا لكل هذا أنه كافر»^(٤).

وقال ابن قدامة المقدسي: «ومن كلام الله سبحانه: القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبلة المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب

بمصر]، والدارمي في سننه (كتاب العلم، رقم ٤٤٩)، قال الهيثمي: فيه مجالد بن سعيد، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما. مجمع الزوائد (١/١٧٤) [مكتبة القدسي].

لكن له شواهد، حسنه بها الألباني في إرواء الغليل (٣٤/٦) [المكتبة الإسلامي ببيروت، ط ٢].

(٣) أصول السنة (٨٢) [مكتبة الغرباء، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٣٠٤/٢) [دار الفكر، ١٤٠٩هـ].

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، رقم ٤٦٠٤) واللفظ له، والترمذي (أبواب العلم، رقم ٢٦٦٤) وحسنه، وابن ماجه (المقدمة، رقم ١٢)، وأحمد (٤١٠/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (٥٧/١) [المكتبة الإسلامي، ط ٣].

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٧/٣) [مؤسسة قرطبة

قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]. وهذه الآيات صريحة الدلالة على نزول جبريل ﷺ بالقرآن من عند الله تعالى على نبينا محمد ﷺ، وأن جبريل ﷺ سمعه من الله تعالى؛ لأنه إذا كان قد «نزل به من الله؛ علم أنه سمعه منه ولم يؤلفه هو، وهذا بيان من الله: أن القرآن الذي هو باللسان العربي المبين سمعه روح القدس من الله، ونزل به منه»^(٢).

وثبت في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجمر السلسلة على الصفا؛ فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم»؛ قال: «فيقولون: يا جبريل؛ ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق. فيقولون: الحق الحق»^(٣). وفيه دلالة على سماع جبريل ﷺ

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/١٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، ١٤١/٩) [دار طوق النجاة، ط١] معلقاً مجزوماً، دون قوله: (صلصلة كجر السلسلة على الصفا).

وأخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٣٨)، وابن حبان في صحيحه (كتاب الوحي، رقم ٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٩٣) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤٤١هـ].

العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين ﷺ، بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. وهو سور مُحَكَّمات، وآيات بيّنات، وحروف وكلمات، من قرأه فأعربه فله بكلّ حرف عشر حسنات. له أوّل وآخر وأجزاء وأبعاض. متلوّ بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموع بالأذان، مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٦﴾ [فُصِّلَتْ]﴾^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: نزول القرآن:

أنزل القرآن الكريم - لفظاً ومعنى - على نبيّنا محمد ﷺ بأمر الله تعالى، وسمّعه ﷺ من جبريل ﷺ حقيقة بلا واسطة، في اليقظة، لا مناماً - على صور وهيئات وكيفيات معروفة -، منجماً ومفرّقاً حسب الوقائع والأحداث - بخلاف الكتب السماوية السابقة التي نزلت جملة واحدة -.

ونزول القرآن ثابت بنص الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٧﴾ عَلَى

(١) لمعة الاعتقاد مع شرحه: الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد للجبرين (١٧٦، ١٨١، ١٨٢) [دار طيبة، ط١، ١٤٤١هـ].

ذا فضل وشرف - في الأجر والثواب، وفي المعاني والمدلولات، وهذا دليل على تفاضله في ذاته ونفسه وألفاظه؛ فبعض سور القرآن وآياته أفضل وأشرف من بعض سورة وآياته الأخرى، لا من حيث أجر وثواب القراءة فحسب؛ بل من حيث نفسه وذاته وكونه كلاماً لله تعالى. فسورة الفاتحة والإخلاص وآية الكرسي وآخر سورة الحشر - وما تضمنته من الدلالات على وحدانية الله وصفاته - أفضل من سورة المسد وآية الدين ونحوهما - مما لا يوجد فيها هذا -، في نفسها وفي أجر قراءتها. وكلام الله تعالى الذي يُثني على نفسه به ويذكر فيه أوصافه وتوحيده؛ أفضل من كلامه الذي يذمُّ به أعداءه ويذكر أوصافهم^(٣).

وهذا التفاضل لا «باعتبار نسبته للمتكلِّم؛ فإنه سبحانه واحد؛ ولكن باعتبار معانيه التي يتكلَّم بها، وباعتبار ألفاظه المبيَّنة لمعانيه»^(٤).

والقول بالتفاضل قول أكثر السلف

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١٠/١) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، والتذكُّر للقرطبي (٤٦) [دار البيان بدمشق، ط ٣، ١٤٠٧هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/١٠ وما بعدها، ٥٧)، وشفاء العليل (٧٤٤/٢) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وفضائل القرآن الكريم، لعبد السلام الجار الله (٤١٧، ٤٤٢)، والقرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفهم (٦٦٩/٢).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/١٢٩). وانظر منه: (٥٧/١٧، ١٣٧).

الوحي (وهو القرآن) من الله تعالى بلا واسطة.

والدليل على نزول القرآن على النبي ﷺ مفرقاً حسب الوقائع والأحداث، واختصاصه بذلك دون سائر الكتب السماوية السابقة قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ - أي: كما نزلت الكتب السماوية قبله؛ كالتوراة والإنجيل والزبور -^(١) ﴿كَذَلِكَ لِنُنشِئَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان]، وقال ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾؛ يعني: القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]: «وهذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة. وقال في القرآن: (نزل)؛ لأنه نزل مفرقاً منجماً على الوقائع، بحسب ما يحتاج العباد إليه في معادهم ومعاشهم، وأما الكتب المتقدمة فكانت تنزل جملة واحدة؛ ولهذا قال: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾»^(٢).

- المسألة الثانية: تفاضل القرآن:

القرآن الكريم الذي هو كلام الله ﷻ يتفاضل بعضه على بعض - وإن كان كلُّه

(١) راجع: تفسير البغوي (٨٣/٦) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ]، الجامع لأحكام القرآن (٢٨/١٣) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، وتفسير ابن كثير (١٠٩/٦) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٤٣٤). وانظر منه: (١/٥٠١، ٩٢/٦)، الجامع لأحكام القرآن (٥/٤).

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴿٥٥﴾ [الزُّمَرُ]، وقوله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بِغَتَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزُّمَرُ]؛ وفيهما دلالة واضحة على أن فيما أنزل الله تعالى حسن وأحسن^(٣)؛ وهذا دال على تفاضل القرآن الكريم.

وثبت في أحاديث كثيرة إثبات فضل بعض السور على البعض، وأن بعضها أعظم ما في القرآن؛ ومن ذلك قوله ﷺ لأبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد»، ثم قال: «يسر الله الرحمن الرحيم» هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته^(٤).

وقوله ﷺ لأبي بن كعب رضي الله عنه: «يا أبا المنذر؛ أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟»، فلما ذكر له آية الكرسي؛ ضرب على صدره وقال: «والله ليهنك العلم أبا المنذر»^(٥).

وقوله ﷺ عن سورة الإخلاص: «والذي نفسي بيده؛ إنها لتعدل ثلث القرآن»^(٦).

(٣) المرجع السابق (١٢/١٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٤٧٤).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨١٠).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠١٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، =

والخلف من العلماء - بل نقل ابن تيمية اتفاق السلف عليه -؛ منهم: إسحاق بن راهويه، والحلي، وأبو المظفر السمعاني، وغيرهم، وانتصر له شيخ الإسلام ابن تيمية واختاره تلميذه ابن القيم^(١).

وقد دلَّ على تفاضل القرآن الكريم أدلة كثيرة من الكتاب والسنة؛ منها قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخْهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]؛ ففي الآية إخبار بأن الله تعالى «يأتي بخير منها أو مثلها» وهذا بيان من الله لكون تلك الآية قد يأتي بمثلها تارة، أو خير منها أخرى؛ فدلَّ ذلك على أن الآيات تتماثل تارة وتفاضل أخرى^(٢).

ومنها قوله ﷺ: ﴿...فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾ [١٧]

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٠٣/٢) [دار هجر، ط ١]، وصحيح ابن حبان (٥١/٣، ٥٦) [الإحسان، مؤسسة الرسالة، ط ٢]، والتمهيد لابن عبد البر (٢٣١/١٩) [مؤسسة قرطبة، مصورة عن الطبعة المغربية]، والاستذكار له (٥١٢/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ]، وتفسير البغوي (١٣٥/١) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ]، والجامع لأحكام القرآن (١٠٩/١)، والتذكار للقرطبي (٤٥)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٩٣/٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ]، ومجموع الفتاوى (٤٦/١٧، ٥٣، ١٠٣، ٢٠٩)، وتفسير ابن كثير (١٠٥/١) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، والإتقان في علوم القرآن (١١٧/٤)، والتحبير للسيوطي (٣٠٥) [دار العلوم بالرياض، ط ١، ١٤٠٢هـ]، وإتمام الدرابة لقراء النقاية له (٢٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ]، وفضائل القرآن الكريم (٣٩٢) وما بعدها، و(٣٩٩) وما بعدها.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/١٧).

- فالكلّ كلام الله تعالى -؛ بل إنّ «التفضيل بين الشئيين فرع كون كلّ منهما له كمال، ثم ينظر أيهما أكمل»^(٤)؛ فليس في إثبات التفاضل إثبات النقص للمفضول بوجه من الوجوه.

وبالجملة: «فالمثبت للتفاضل معتصم بالكتاب والسنة والآثار، ومعه من المعقولات الصريحة التي تبين صحة قوله وفساد قول منازعه ما لا يتوجه إليها طعن صحيح! وأما النافي فليس معه آية من كتاب الله، ولا حديث عن رسول الله ﷺ، ولا قول أحد من سلف الأمة؛ وإنما معه مجرد رأي يزعم أنّ عقله دل عليه، ومنزعه يبيّن أنّ العقل إنما دلّ على نقيضه، وأن خطأه معلوم بصريح المعقول، كما هو معلوم بصحيح المنقول!»^(٥).

- المسألة الثالثة: إعجاز القرآن:

القرآن الكريم هو أعظم معجزات النبي ﷺ، وأبهر آياته، وأبين الحجج الواضحات وأدّلها على نبوته وصدقته وصحة رسالته. ويدل على هذا أن المشركين لما تعنتوا وطلبوا آيات حسية تدل على صدق النبي ﷺ لم يجبهم الله تعالى إلى ذلك، وأنكر عليهم عدم اكتفاءهم بأعظم آياته وهو القرآن الكريم؛ فقال ﷻ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ

وقوله ﷺ عن سورتَي الفلق والناس: «أُنزل (أو: أنزلت) عليّ آيات لم يُر مثلهن قط: المعوذتين»^(١).

إلى غير ذلك من الأحاديث. وهي تدلّ دلالة صريحة على تفاضل القرآن الكريم، وأنّ بعضه أفضل من بعض. وهذا أبّي - وغيره من الصحابة - لم يستشكل السؤال عن كون بعض القرآن أعظم من بعض! بل شهد النبي ﷺ بالعلم لمن عرف فضل بعضه على بعض، وعرف أفضل الآيات»^(٢).

وإذا ثبت تفضيل بعض القرآن بأحكام توجب تشريفه - كما في سورة الفاتحة وغيرها -؛ فهذا يدلّ على أنه أفضل في نفسه، ومن أعاد التفاضل إلى مجرد كثرة الثواب أو قلّته، من غير أن يكون الكلام في نفسه أفضل؛ كان بمنزلة من جعل عمليين مساويين، وثواب أحدهما أضعاف ثواب الآخر، مع أنّ العملين في أنفسهما لم يختص أحدهما بمزية! وهذا خلاف ما علم من سنة الله تعالى في شرعه وخلقه، وخلاف ما تدل عليه الدلائل العقلية مع الشرعية»^(٣).

ولا يلزم من التفضيل نقص المفضول

= ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨١١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨١٤)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى (١٨٣/١٧) بتصرف يسير.

(٣) انظر: المرجع السابق (١٢/١٧، ٢١٠).

(٤) المرجع السابق (١٧/١٤٦).

(٥) المرجع السابق (١٧/٨٠) بتصرف يسير.

والقرآن معجز في نفسه، لا يستطيع أحد - كائناً من كان - الإتيان بمثله ولا يقوى على معارضته؛ فليس إعجاز القرآن بأمر خارج عنه^(٤).

والقرآن في نفسه معجز ولو لم يتحد به كسائر المعجزات؛ فهو دالٌّ على وجود الله تعالى، وربوبيته ووحدانيته سبحانه، والمبدأ والمعاد، وإثبات حياته وقدرته وإرادته، وعلمه بالكليات والجزئيات، وعلى نبوة محمد ﷺ وصدقه وصحة رسالته، وعلى كمال الشَّرع وإحكامه وعدله وصدق أخباره.

ووجوه إعجاز القرآن التي لأجلها كان القرآن معجزاً للثقلين كثيرة متنوعة لا تحصى، «وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجازه هو حجة على إعجازه! ولا تناقض في ذلك؛ بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له»^(٥)؛ فمن هذه الوجوه: فصاحته وبلاغته ووجازته وجزالته وحلاوته وطلاوته - التي لا تجارى ولا تدانى - في دلالة اللَّفْظ على المعنى، ونظمه وأسلوبه، واشتماله على العلوم الكثيرة والمعاني العزيزة النَّافعة في الدُّنيا والآخرة - التي هي أكمل من معاني كلِّ كتاب نزل على نبيٍّ مرسل -،

عَلَيْهِ ءَأَيَّتُ مِنْ رَبِّيهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٥﴾ أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ [العنكبوت]؛ فدلَّ هذا على أنَّ القرآن أعظم الآيات، وأبين المعجزات والحجج الواضحات. فهو الحجة الباقية على الآباد، الذي لا تنقضي عجائبه^(١).

وليس في مقدور أحد - كائناً من كان - أن يأتي بهذا القرآن إلا رب العالمين ﷺ؛ فهو كلامه سبحانه، وهو لا يشبهه شيء من خلقه^(٢).

ولذا تحدَّى الله تعالى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله؛ فقال ﷺ: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء]، فعجزوا عن ذلك، مع توافر دواعي أعداء رسول الله ﷺ - الفصحاء البلغاء - على معارضته وإبطال قوله، وشدة عدواتهم للدعوة ونبيها ﷺ^(٣).

(١) انظر: معارج القبول لحافظ الحكيم (٣/١١٢١).

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/٤٢٥) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ].

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/٢٠١، ٤/٤٦١)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/٥٠) [دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط ١، ١٤١٧هـ]، وشرح صحيح مسلم للنووي (٢/١٨٨)، وفتح الباري لابن حجر (٩/٦) [دار المعرفة ببيروت، ١٣٧٩هـ].

(٤) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٦/٧٧) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

(٥) الجواب الصحيح لابن تيمية (٥/٤٢٩) بتصرف يسير. وانظر منه: (٥/٤١١).

وإخباره بالغيبيات الماضية والآتية، وعدم تناقضه، وغير ذلك كثير؛ «لفظه آية، ونظمه آية، وإخباره بالغيوب آية، وأمره ونهيه آية، ووعدته ووعدته آية، وجلالته وعظمته وسلطانه على القلوب آية، وإذا ترجم بغير العربي كانت معانيه آية! كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم»^(١)، والإعجاز واقع بجميع هذه الوجوه وغيرها، لا بكل واحد على انفراده؛ فهو مشتمل على الجميع وزيادة!

ويمكن جمع وجوه إعجاز القرآن في أربعة أوجه: الإعجاز البياني (الفصاحة والبلاغة والنظم والأسلوب)، والإعجاز العلمي (الآيات الكونية)، والإعجاز التشريعي (العقيدة والشريعة والأخلاق)، والإعجاز الغيبي (الماضي والحاضر والمستقبل). والله أعلم.

والإعجاز والتحدّي بالنظم والبلاغة والفصاحة والأسلوب خاصّ بالقرآن الكريم دون غيره من الكتب السماوية السابقة؛ فالكتب السابقة لم تنزل على أنها معجزة للأنبياء السابقين تبرهن على صدقهم وصحة رسالتهم، ولم يقع بها التحدي، وإن كانت لا تخلو من بعض وجوه الإعجاز - كالأخبار بالغيبيات، واشتمالها على التشريعات المحكمة

العادلة - . والله أعلم^(٢).
- المسألة الرابعة: الاستشفاق بالقرآن:
 التوسّل إلى الله تعالى بالقرآن الكريم (الاستشفاق) لنيل العبد شفاعته ورجائه يوم القيامة أو مغفرته أو رحمته، أو لطلب أمر دنيوي: مشروع، سواء كان هذا الاستشفاق بدعاء الله تعالى بالقرآن نفسه، فيقول مثلاً: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنْ تَدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، أو بدعاء الله بتلاوة القرآن الكريم وحفظه والتعبّد به، كأن يقول الداعي مثلاً:

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٤٣/١٢)، وبيان إعجاز القرآن للخطابي (٢١) [ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف، ط ٣]، والجامع لأحكام القرآن (٧٢/١)، والجواب الصحيح (٤٢٧/١)، ٤٠٩، ٤٢٣، ٤٢٩، وشرح العقيدة الأصفهانية (٢٠٨) [مكتبة الرشد بالرياض، ط ١، ١٤١٥هـ]، وبدائع الفوائد (١٥٤٧/٤) [دار عالم الفوائد، ط ١]، وتفسير ابن كثير (٢٠/١) - فضائل القرآن، ١٦٠، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٣، ٥٣٥/٣، ٢٦٨/٤، ٣١٠، ٤٦١، ٦٠٣، ٢٨٦/٦] [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، والبداية والنهاية (٩٩/٢)، ٧٧/٦، ٢٨٨، وفتح الباري لابن حجر (٥٨٢/٦)، ٦/٩، والإتقان في علوم القرآن للسبوطي (١٨٧٣/٥) [طبعة مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٦هـ]، ومُعْتَرَكُ الأقران له (٣/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ]، ومعارج القبول لحافظ الحكمي (١٠٩٩/٣)، ومباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم (١٢١) [دار المسلم بالرياض، ط ٢، ١٤١٦هـ]، والأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد لسعود العريفي (٥٢٢) [دار عالم الفوائد، ط ١]، والقرآن الكريم ومنزله بين السلف ومخالفهم لمحمد هشام طاهري (٣٨٩/١)، ٣٩٥، ٤٠٧، ٦٤٥، ٦٥٠] [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٦هـ]، وفضائل القرآن الكريم لعبد السلام الجار الله (٣٢٩) [دار التسمية، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(١) الثبوت لابن تيمية (١٢٠) [المطبعة السلفية بالقاهرة، ط ١، ١٣٨٦هـ].

بقدرتك»^(٣)، وعَلَّمَ ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها أن تقول كلَّ صباح ومساءً: «يا حي يا قيوم؛ برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً»^(٤). والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وأما الدليل على جواز دعاء الله أن يجعل القرآن شفيعاً للعبد فظاهر؛ إذ عموم أدلة فضل الدعاء دالة على ذلك، وليس في هذا تعد أو مجاوزة للشرع؛ بل هو دعاء مشروع لا إشكال فيه؛ لأنه ثبت بالحديث الصحيح أن القرآن يأتي شفيعاً لأصحابه يوم القيامة^(٥)؛ فلا إشكال في دعاء الله تعالى أن يأتي شفيعاً لقارئه الداعي، وقد حث ربنا على دعائه فقال ﷺ: «وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ»^(٦) [غافر].

- المسألة الخامسة: الاستشفاء

بالقرآن:

الاستشفاء بالقرآن أمر مشروع حث

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بحفظي لكتابك، وتلاوتي له آناء الليل وأطراف النهار أن تغفر لي، أو بدعاء الله أن يجعل القرآن شفيعاً للعبد يوم القيامة، فيقول مثلاً: اللَّهُمَّ اجعل القرآن شفيعاً لي يوم القيامة؛ فكلَّ هذا جائز لا حرج فيه، ودلَّ على جوازه الكتاب والسنة^(١):

أما الدليل على جواز الاستشفاء بدعاء الله تعالى بالقرآن نفسه على أنه كلام الله وصفة من صفاته فقول الله تعالى: «وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا» [الأعراف: ١٨٠]، والقول في الصفات كالقول في الأسماء والذات، وذكر سبحانه عن نبيِّه وعبده سليمان بن داود ﷺ أنه قال: «وَأَدْخَلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ» [النمل: ١٩]، فسأل الله برحمته، وهي من صفاته ﷺ.

وثبت في الصحيحين، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان يقول: «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت، الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»^(٢)، وفي حديث دعاء الاستخارة المشهور الذي علَّمه ﷺ لأصحابه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بعلمك، وأستقدرك

(١) انظر أدلة التوسل المشروع عموماً في كتاب: التوسل: أنواعه وأحكامه للألباني (٢٩ - ٤٢) [مكتبة المعارف بالرياض، ط١، ١٤٢١هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٨٣) واللفظ له، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٨٢).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٣٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم في المستدرک (كتاب الدعاء، رقم ٢٠٠٠) وصححه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٢٧).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨٠٤)، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

عليه الشرع الحكيم، والاستشفاء: هو طلب الشفاء. (١)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل، كنت أنفث عليه بهن، وأمسح بيده نفسه لبركتها» (٢).

والقرآن جعله الله شفاءً للمؤمنين، يستشفون به من أمراض القلوب والأبدان، فما من مرض حسي أو معنوي إلا وفي القرآن وسيلة دالة على الوقاية منه.

وإذا كان التداوي بتلك العقاقير الطبية قد جعل الله فيها الشفاء، فكيف بالقرآن العظيم الذي هو كلام رب العالمين، الذي لا يعلم عظيم فضله ولا حقيقة كنهه إلا الله تعالى (٣).

وهناك شروط لا بد أن تتوفر في الرقية من أجل أن تكون مشروعاً؛ وهي:

- ١ - أن تكون باللسان العربي بأن تكون مفهومة معلومة، وليس من جنس الطلاسم.

- ٢ - أن تكون بالقرآن الكريم، أو بأسماء الله وصفاته، أو بما صح من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

والاستشفاء يكون من مرض حسي أو معنوي.

والأدلة على أن القرآن فيه شفاء ورحمة كثيرة جداً، فمن القرآن قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكَمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧] وقوله تعالى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢] وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤]، والآيات في ذلك كثيرة جداً.

ومن السنة المطهرة: ما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «إن ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقرؤهم، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك، فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعلاً، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء. فجعل يقرأ بأمر القرآن، ويجمع بزاقه ويتفل، فبرأ، فأتوا بالشاء، فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه، فضحك وقال: «وما أدراك أنها رقية؟ خذوها، واضربوا

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٣٦)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٠١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٣٥).

(٣) انظر: (العين والرقية والاستشفاء من القرآن والسنة). لعطية محمد سالم (٧٤، ٧٥).

٣ - أن لا يعتقد أنها تؤثر بذاتها، بل بإذن الله تعالى^(١).

أما قول النبي ﷺ: «إن الرقى والتائم والتولة شرك»^(٢) فمحمول على الرقى الشركية والبدعية، التي لم تتوفر فيها الشروط الثلاثة آنفة الذكر، كيف والنبي ﷺ قد قال: «لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»^(٣). وقد رقى هو نفسه ﷺ ورقى.

قال الخطابي: «فأما الرقى، فالمنهي عنه هو ما كان بغير لسان العرب فلا يدري ما هو، فلعله قد يدخله سحر أو كفر، فأما إذا كان مفهوم المعنى وكان فيه ذكر الله تعالى فإنه مستحب متبرك به والله أعلم»^(٤).

أما حكم كتابة بعض الآيات من القرآن ثم محوها بالماء وشربها وغسل البدن بها، فقد اختلف السلف في ذلك؛ فأجازه طائفة، منهم: ابن عباس،

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٩/٦١)، وفتح الباري لابن حجر (١٠/٢٤٠)، وشرح مسلم للنووي (٣/٨٨)، ومعالم السنن (٤/٢٢٦)، وفتح المجيد (١٤٧ - ١٤٨)، ومعارج القبول (٢/٦٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٨٣)، وابن ماجه (كتاب الطب، رقم ٣٥٣٠)، وأحمد (٦/١١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الرقى والتائم، رقم ٦٠٩٠)، والحاكم (كتاب الطب، رقم ٧٥٠٥) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣١).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٠٠).

(٤) معالم السنن (٤/٢٢٦).

ومجاهد، وأبو قلابة، والأوزاعي، وأحمد بن حنبل، والقاضي عياض، وابن تيمية، وابن القيم. وكرهه طائفة، منهم: النخعي، وابن سيرين، وابن العربي^(٥).

وسئلت اللجنة الدائمة عن حكم ذلك، فأجابت بما ملخصه: أن هذا العمل لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن صحابته الكرام، فالأولى تركه^(٦). وهذا هو الأولى والله أعلم.

- المسألة السادسة: نسخ القرآن للكتب السابقة:

الكتب السماوية السابقة كلها منسوخة بالقرآن الكريم المنزل على محمد ﷺ، فهو المهيم على كل الكتب قبله، بمعنى: أنه مؤتمن وشاهد ورقيب، وحاكم وقاضي، ودالّ ومصدق، فالقرآن الكريم أمين على كل كتاب قبله، في أصله المُنزل، يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما فيها من التحريف والتبديل، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل، فصارت له الهيمنة عليها من كل وجه. ثم ميز الله ﷻ

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٦٠)، ومجموع الفتاوى (١٢/٥٩٩)، وزاد المعاد (٤/١٥٧)، وعارضة الأحوذى (٨/٢٢٢)، وأحكام الرقى والتائم لفهد السحيمي (٦٦ - ٦٨).

(٦) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/٢٤٦ - السؤال الأول من الفتوى رقم ١٢٥٧).

المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهذا ما دل عليه الدليل، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة]، «فالقُرْآنُ كتبه الله في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض، وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السُّنَّة والحديث أن كلَّ كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، وقد دل القرآن على أن الرب تعالى كتب في أم الكتاب ما يفعله وما يقوله فكتب في اللوح أفعاله وكلامه»^(٣).

«وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر] أنه أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزله بعد ذلك منجماً مفرقاً بحسب الحوادث، فإن كونه مكتوباً في اللوح المحفوظ، لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله، سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك، وإذا كان قد أنزله مكتوباً إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر فقد كتبه كله قبل أن ينزله، والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما

القرآن الكريم عن سائر الكتب بأن تعهد بحفظه وجعله معجزاً بلفظه ومعناه^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهكذا القرآن فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً، وبيّن الأدلة والبراهين على ذلك وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم. وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين وبيّن عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبيّن ما حُرّف منها وبُدّل وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبيّن أيضاً ما كتموه مما أمر الله ببيانه وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب ما حُرّف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات حاكم في الأموريات»^(٢).

- المسألة السابعة: قَدَمَ الْقُرْآنُ وَكُتَابَتُهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ:

القرآن الكريم مكتوبٌ كله في اللوح

(١) انظر: الصواعق المرسلّة لابن القيم (٢/٤٠٠) [دار العاصمة، ط ١، ١٤٠٨هـ]. ولطائف المعارف لابن رجب (١٦٧ - ١٦٨، ٣٠٩) [دار ابن كثير].

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/٤٤).

(٣) شفاء العليل (٤١) [دار المعرفة، ١٣٩٨هـ] بتصرف.

لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وهو سبحانه قد قدر مقادير الخلائق، وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها كما ثبت ذلك في صريح الكتاب والسنة وآثار السلف، ثم إنه يأمر الملائكة بكتابتها بعد ما يعملونها؛ فيقابل به الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتأخرة عنه فلا يكون بينهما تفاوت، هكذا قال ابن عباس وغيره من السلف، وهو حق، فإذا كان ما يخلقه بائناً منه قد كتبه قبل أن يخلقه فكيف يستبعد أن يكتب كلامه الذي يرسل به ملائكته قبل أن يرسلهم به»^(١).

- المسألة الثامنة: رفع القرآن:

يُرفع القرآن في آخر الزمان، من صدور الرجال ومن المصاحف، في وقت لا يدرى فيه ما صيام ولا صلاة ولا نيك ولا صدقة، فعن حذيفة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدْرَس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نيك، ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله ﷻ في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، لا إله إلا الله، فنحن نقولها»^(٢).

فلا يبقى في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف، فحين يعرض الناس عن العمل بالقرآن إعراضاً كلياً يرفعه الله تعالى عنهم تكريماً له؛ لأن القرآن أشرف من أن يبقى بين يدي أناس هجره وأعرضوا عنه فلا يقدرون قدره^(٣).

- المسألة التاسعة: حكم القول

بتحريف القرآن أو تفضيل غيره عليه:

القول بتحريف القرآن أو نقصانه أو الزيادة عليه، أو تفضيل غيره عليه، قول باطل، بل هو كفر مخرج من ملة الإسلام، فإن الله تعالى تكفل بحفظ هذا القرآن فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر]، فقد ضمن الله تعالى في هذه الآية حفظ ما نزله من الذكر على عبده ورسوله ﷺ، وقد حقق الله وعده بأن وفق أصحاب رسول الله ﷺ لحفظ القرآن، بجمعه وكتابته وحفظه في صدورهم، وتلقاه التابعون عنهم فكان القرآن بذلك محفوظاً بحفظه ﷺ، فمن زعم أنه قد أسقط شيء من القرآن أو غير عمّا جاء عن الرسول ﷺ؛ فإنه كافر^(٤).

وصححه، وصححه البوصيري في المصباح (٤/ ١٩٤) [دار العربية، ط ٢]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٨٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٨)، والبدية والنهاية لابن كثير (١٩/ ٤٤)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٨/ ٣٦٥) [دار الوطن، ١٤١٣هـ].

(٤) انظر: الصارم المسلول (٥٨٦). وانظر: الفصل في =

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٦ - ١٢٧) بتصرف.

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٤٩)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٤٦٠)

٣ - الرد على افتراءات الكفار والملحدين والمشككين الذين يزعمون أن القرآن كلام النبي ﷺ أو كلام جبريل ﷺ؛ ففي نزوله بيان أنه كلام الله تعالى، بلّغه عنه نبينا ﷺ كما سمعه من جبريل ﷺ، لفظاً ومعنى - لا حكاية للفظ ولا تعبيراً عن المعنى -، دون زيادة أو نقصان، لم يكتف منه شيئاً؛ فليس هو كلامه ﷺ ولا كلام جبريل الأمين ﷺ.

٤ - أن في الإيمان بالقرآن الكريم وأنه من عند الله تعالى أعظم دافع للتقرب إلى الله تعالى بالتعبّد به، تلاوة وعملاً وانقياداً لأوامره وأحكامه.

✽ مذهب المخالفين:

خالف الجهمية والمعتزلة^(٢) في هذا المعتقد الحق؛ فقالوا بخلق القرآن وكذا وجميع الكتب السماوية السابقة، وأن كلام الله بائن عنه، فمنهم من يقول: خلقه الله في اللوح المحفوظ، ومنهم من يقول: بل خلقه في جبريل ﷺ، ومنهم من يقول: خلقه في النبي ﷺ!

والقول بخلق القرآن هو قول: الحلولية وغلاة الصوفية، والخوارج، وبعض المرجئة، وبعض الروافض المتقدمين، وأجمع عليه المتأخرون

وكذلك من اعتقد أن هناك ديناً أفضل من القرآن، أو هدياً أكمل من هديه، أو حكماً أحسن من الحكم الذي أتى به من عند ربه ﷻ، فقد كفر؛ لأنه كذب ما جاء في كتاب الله؛ فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة]^(١).

✽ الثمرات:

الثمرات المترتبة على الإيمان بالقرآن الكريم هي:

١ - إثبات كلام الله تعالى بالوحي، وأنه ﷻ يتكلم حقيقة متى شاء كيف شاء بما شاء، وأنه يسمع من شاء من خلقه كلامه كما سمعه جبريل ﷺ منه بلا واسطة.

٢ - الإيمان بالقرآن وأنه منزل من عند الله يثمر عنه إثبات علو الله تعالى على خلقه؛ كما دلّت عليه آيات القرآن الكريم، والسنة المتواترة الصحيحة، والفترة السوية، وصريح المعقول، وأجمعت عليه جميع الملل من اليهود والنصارى والمسلمين.

= الأهواء والملل والنحل لابن حزم (١٣٩/٤).

(١) انظر: المفيد في مهمات التوحيد (٨١) [دار

الإعلام، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: المغني للقاضي عبد الجبار (٣/٧، ٨٤)، وشرح الأصول الخمسة له (٥٢٨، ٥٣٥)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (١٩١، ٥٨٢) [دار إحياء التراث العربي، ط٣].

منهم، وهو قول الماتريديّة، وهو حقيقة قول الفلاسفة والكلاليّة والأشاعرة^(١).

وأول من ابتدع القول بخلق القرآن ونفي الصفات عمومًا وتعطيلها هو: الجعد بن درهم، في أوائل المائة الثانية - وعنه أخذه الجهم بن صفوان -؛ فكان يقول: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا؛ فضحّى به أمير العراق والمشرق بواسط خالد بن عبد الله القسري، والجهم قتله سلم بن أحوز أمير خراسان!

وأصل هذا القول مأخوذ عن المشركين والصابئة، عبدة الكواكب والنجوم - من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب -، الذين يزعمون أن الرب ليس له صفة ثبوتية أصلًا! وهم

(١) انظر للحلوليّة وغلّة الصوفيّة: اصطلاحات الصوفيّة لابن عربي (٩) [دائرة المعارف العثمانية بالهند، ط ١، ١٣٦٧هـ]، والإسرا إلى مقام الأسرى له (٦٨) [دائرة المعارف العثمانية بالهند، ط ١، ١٣٦٧هـ]. وللخوارج والمرجئة والزوافض: مقالات الإسلاميين (٤٠، ١٥٣، ٥٨٢)، وبحار الأنوار للمجلسي (٩٢/١١٧) [دار إحياء التراث، ط ٣، ١٤٠٣هـ]. وللماتريديّة: التوحيد لأبي منصور الماتريدي (٥٨) [دار المشرق ببيروت]، وأصول الدّين للبزدي (٦٢) [طبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ١]. وللفلاسفة: مجموع الفتاوى (٤٢/١٢، ١٦٣)، والجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح (٣/٣١١) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ]. وللكلاليّة والأشاعرة: الإنصاف للباقلاني (٧١، ٩٣، ١٠٨) [عالم الكتب ببيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ]، والإرشاد للجويني (١٠٩) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤٠٥هـ]، ومقالات الإسلاميين (٥٨٤).

ينكرون في الحقيقة أن يكون إبراهيم خليلًا وموسى كليّمًا^(٢)!

ويردّ عليهم: بأن إجماع السلف من الصحابة ومن بعدهم منعقد على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، لا خلاف بينهم في ذلك^(٣)، وقد تضمّن القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على أن القرآن كلام الله، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، وكذلك دلت سنة النبي ﷺ على ذلك، فعن جابر رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف، فقال: «ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»^(٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤٣٧/٢، ٦٩/٦، ٦٦/١٠، ١٣/١٧٧)، والفتاوى الكبرى (٦/٣٧٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ]، ومنهاج السنّة النبوية (١/٣٠٩، ٥/٣٩٢، ٣٩٩)، والنبوات (١٠١) [المطبعة السلفية بمصر، ١٣٨٦هـ]، وجامع الرسائل لابن تيمية (٢/٢٣٧)، ومدارج السالكين (١/٩١، ٢/٢٩٢) [دار الكتاب العربي، ط ٢]، والصّواعق المرسلّة (٣/١١٥٣) [دار العاصمة، ط ٣]، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/٣٩٥)، وشرح نونية ابن القيم لابن عيسى (١/٥١) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٦هـ]، وشرح نونية ابن القيم لهراس (١/٢٥) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/٣٧)، وعقيدة السلف للصابوني (١٦٥)، والشريعة للأجري (١/٤٨٩)، وشرح أصول الاعتقاد لللكاني (٢/٣٠٠ - ٣٤٤).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٣٤)، =

المصادر والمراجع:

القرب

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «القاف والراء والباء أصل صحيح يدل على خلاف البعد»^(١).

القرب نقيض البعد، والتقرب عكس التّئائي والابتعاد، وقرب الشيء بالضم يقرب قُربًا وقُربانًا؛ أي: دنا؛ في الزمان أو المكان أو في النسبة أو في الحظوة أو في الرعاية أو في القدرة^(٢)، وقال الجوهري: «قُرب الشيء بالضم يَقْرُبُ قُربًا؛ أي: دنا»^(٣).

التعريف شرعًا:

القرب صفة من صفات الله ﷻ الخيرية الاختيارية الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع. يقرب ممن شاء من خلقه كيف شاء^(٤).

الأسماء الأخرى:

التقرب، الدنو.

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والسنة عليها، ويجب إثباتها لله

١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.

٢ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ٢، ١٣)، للقرطبي.

٣ - «الجواب الصحيح» (ج ٢، ٤)، لابن تيمية.

٤ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للتميمي.

٥ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، ابن تيمية.

٦ - «شرح الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العزّ الحنفي.

٧ - «فضائل القرآن الكريم»، لعبد السلام الجار الله.

٨ - «القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفهم» (ج ١)، لمحمد هشام طاهري.

٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ٥، ١٢)، لابن تيمية.

١٠ - «معارج القبول» (ج ١، ٣)، لحافظ الحكمي.

(١) مقاييس اللغة (٣٧٩/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٦٦٣، ٦٦٤) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، لسان العرب (٦/١٨٧) [دار صادر، ط ١].

(٣) الصحاح (١/١٩٨) [دار العلم للملايين، ط ٤].

= والترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٩٢٥) وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٢٠١)، وأحمد (٣٧٠/٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١٦]، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٣٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٤٧).

عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم: أن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء»^(٣).

ويؤب الإمام الحافظ ابن منده في كتاب التوحيد باباً بعنوان: «ذكر صفة جاءت عن النبي ﷺ على معنى القرب والبعد من الله ﷻ، وذكر خبر آخر يدل على الدنو من الله ﷻ». وذكر فيه جملة من الأحاديث الواردة في هذا المعنى^(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده؛ فهذا يثبت من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستواءه على العرش. وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر»^(٥).

❁ الأقسام:

إن قرب الله ﷻ من عباده على قسمين:

أ - القرب صفة فعلية اختيارية من جنس النزول والدنو، فهي تقوم به ﷻ.

ب - القرب الخاص بالداعين والعبادين، فهو سبحانه قريب منهم

تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل.

❁ الأدلة:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨١) [البقرة]. وقال تعالى: ﴿فَاسْتَعِزُّوهُ ثُمَّ تُؤْبَأْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (٦١) [هود]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ (٥٠) [سبأ].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم» الحديث^(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ فأكثرُوا الدعاء»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الحافظ زكريا بن يحيى الساجي الشافعي: «القول في السنَّة التي رأيت

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٢).

(٤) نقله عنه الذهبي في العلو للعلي الغفاري (١٥٠) [المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط ٢، ١٣٨٨هـ].

(٥) كتاب التوحيد (٣/١٢٥ - ١٢٧) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط ١، ١٤١٣هـ].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/٤٦٦) [طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٠٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم ٢٧٠٤).

بإثابته وإجابة دعائهم^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: القريب اسم من أسماء الله:

وقد ورد ذكر هذا الاسم في القرآن الكريم والأحاديث النبوية بصيغة الاسم في مواضع عديدة، وذكره أكثر أهل العلم الذين اعتنوا بأسماء الله الحسنى وصنفوا فيها^(٢).

- المسألة الثانية: الأقرب أفعال تفضيل من القرب:

وقد ورد هذا اللفظ في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فذكر الحديث، وفيه: «والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم»^(٣).

وقد أثبت ابن الوزير^(٤) اسم (الأقرب) لله تعالى، وكل من ذكر أسماء الله تعالى الحسنى لم يذكر

(١) مجموع الفتاوى (٤٦٦/٥).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٦٣٠/٥)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكليات من أصول التفسير، والحق الواضح المبين للسعدي (٢٤٥) [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط ٢، ١٤١٢هـ]، وشرح أسماء الله الحسنى للقطاني (١١٨) [مؤسسة الجريسي، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة لعالم عبد الله فالح (٣٣٤) [مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (١٨٦) [دار إيلاف الدولية، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٤) أخرجه بهذا اللفظ: مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٠٤).

(الأقرب) ضمن أسماء الله إلا ابن الوزير كما سبق، وعلموا ذلك أن من ضوابط أسماء الله الحسنى كون أسماء الله توقيفية؛ أي: يجب الوقوف في أسماء الله على القرآن والسنة، فلا يسمى الله إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، لا نزيد على ذلك ولا نقص منه، وما وضعه بعض العلماء من أسماء أخذت من أوصاف وأفعال الله هي عبارة عن اجتهادات منهم، لم يسم الله بها نفسه، ولم يسمه بها نبيه ﷺ، وإنما وضعوها اشتقاقاً من فعله ووصفه، وهذا مخالف لكون الأسماء الحسنى توقيفية على النص.

- المسألة الثالثة: يختلف معنى القرب في النصوص الشرعية باختلاف السياق:

لا بدّ من النظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه وما يبين معناه من القرآن والدلالات، وهذا أصل عظيم ونافع جدّاً في فهم الكتاب والسنة والاستدلال بهما، فالنصوص الدالة على قرب العبد من ربه أو قرب الرب من بعض خلقه لا بدّ من النظر فيها أيضاً من هذا الجانب؛ لأنه قد يراد بها القرب الذاتي وقد يراد بها غير ذلك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا يلزم من جواز القرب عليه أن يكون كل موضع ذكر فيه قربه يراد به قربه بنفسه، بل يبقى هذا من

وليس ذلك مقصوراً على الميت ولا على زمان الاحتضار وتلقي الملكين، ولأن الله ذكره بصيغة الجمع، فلا شك أن المراد به قرب جنوده من الملائكة^(٢).

«وهذا التفسير ليس صرفاً للكلام عن ظاهره لمن تدبره، أما الآية الأولى فإن القرب مقيد فيها بما يدل على ذلك، حيث قال: ﴿...وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِينٌ ﴿١٨﴾ [ق]، ففي قوله: (إِذْ يَتَلَقَّى) دليل على أن المراد به قرب الملكين المتلقين.

وأما الآية الثانية: فإن القرب فيها مقيد بحال الاحتضار، والذي يحضر الميت عند موته هم الملائكة، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ (١٦) [الأنعام]، ثم إن في قوله: دليلاً بيناً على أنهم الملائكة؛ إذ يدل على أن هذا القريب في نفس المكان ولكن لا نبصره، وهذا يعين أن يكون المراد قرب الملائكة لاستحالة ذلك في حق الله تعالى^(٣).

الأمر الجائز، وينظر في النص الوارد؛ فإن دل على هذا حمل عليه، وإن دل على هذا حمل عليه، وهذا كما تقدم في لفظ الإتيان والمجيء^(١). فالإتيان والمجيء قد يراد به إتيان الرب تعالى ومجيئه سبحانه، وقد يراد به إتيان عذاب الله أو آياته، فكذلك الشأن في النصوص الواردة في القرب، فقد يراد بها قرب الملائكة، وقد يراد بها قرب العبد من ربه أو قرب الرب ﷻ من بعض عباده، فلا بد من الانتباه لذلك. ومن ذلك القرب الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِينٌ ﴿١٨﴾ [ق]، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُمُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة] فالمراد به قرب الملائكة؛ لأن السلف فسروا القرب في هاتين الآيتين على معنى قرب الملائكة، ولأن الله تعالى ذكر العلم ثم ذكر القرب فلا يصح تفسيره بالعلم، ولأنه مقيد بزمان تلقي الملكين وبزمان الاحتضار والله ﷻ قادر على كل شيء، وهو سبحانه عالم بالظاهر والباطن في جميع الأحوال

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/٦).

(٣) انظر: بيان تليس الجهمية (٢٥/٦ - ٣٦)، ومجموع

فتاوى ابن تيمية (٥/٤٩٤ - ١٩/٦ - ٢٠)، ومختصر

الصواعق (٢/٢٦٧ - ٢٦٩) [مكتبة الرياض الحديثة]، =

(١) إشار الحق على الخلق (١٦٠) [دار الكتب العلمية،

- المسألة الرابعة: صفة القرب لا

تنافي علو الله ﷻ:

إثبات صفة القرب لله تعالى لا يُنافي ما هو معلوم من علوه تعالى فوق عرشه، فسبحان من هو عليّ في دنوه قريب في علوه، والذي يُسهّل عليك فهم هذا: معرفة عظمة الربّ؛ وإحاطته بخلقه، وأن السماوات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سبحانه يقبض السماوات بيده والأرض بيده الأخرى؛ ثم يهزهنّ، فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظّمته أن يكون فوق عرشه؛ ويقرب من خلقه كيف شاء وهو على العرش؟ فإن الله ﷻ ليس كمثله شيء، ولا يجوز أن تقاس ذاته على ذوات خلقه، أو فعله على أفعالهم، وهذا القياس الباطل هو الذي أوقع العديد من أهل البدع في نفي صفة القرب عن الله ﷻ؛ وذلك أنهم لم يفهموا من القرب إلا ما هو اللائق بالمخلوق مما يقتضي الحلول والمماسّة، فزعموا أن الله ﷻ منزّه عن ذلك فنفوا قربه ﷻ من خلقه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأصل هذا أن قربه ودنوه من بعض مخلوقاته لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش بل هو فوق العرش، ويقرب من خلقه كيف شاء،

كما قال ذلك من قاله من السلف، وهذا كقربه إلى موسى لما كلمه من الشجرة»^(١).

- المسألة الخامسة: معنى القرب

الوارد في حديث: «إذا تقرب العبد إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا»^(٢):

فسّر جماعة من أئمة السلف قرب الله تعالى من عباده بالإثابة والأجر، وليس هذا تأويلًا منهم لظاهر النص.

قال إسحاق بن راهويه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «من تقرب إلى الله شبرًا بالعمل تقرب الله إليه بالثواب باعًا»^(٣).

و«لا يكون ظاهر الخطاب هو المعنى الممتنع بل ظاهره هو المعنى الحق، ومن المعلوم أنه ليس ظاهر الخطاب أن العبد يتقرب إلى الله بحركة بدنه شبرًا وذراعًا ومشيًا وهرولة، لكن قد يقال: عدم ظهور هذا هو للقريئة الحسية العقلية، وهو أن العبد يعلم أن تقربه ليس على هذا الوجه، وذلك لا يمنع أن يكون ظاهر اللفظ متروكًا، يقال: هذه القريئة الحسية الظاهرة لكل أحد هي أبلغ من القريئة اللفظية»^(٤).

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی (٦٥) [دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٥/٤٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٣٦)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥).

(٤) مسائل الإمام أحمد وإسحاق للكرمانی (٣٤٥).

= ط ١٣٤٩هـ]، وعلو الله على خلقه لموسى الدويش (٢٦٩ - ٢٧٧) [مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٤٢٣هـ].

❖ الثمرات:

بقرب الله ﷻ منه يحمله على البعد عن كل ما يسخط الله ﷻ ويغضبه؛ لأنه ﷻ قريب منه مطلع عليه يعلم كل صغيرة وكبيرة تصدر منه، ولا يخفى عليه شيء من حاله في سرّه وعلانته؛ فيحمل ذلك كله العبد على تعظيم الله ﷻ والخوف من أليم عقابه وسرعة انتقامه^(٢).

❖ مذهب المخالفين:

القرب من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية. فالفلاسفة يؤوّلون قرب العبد من الرب بمعنى إزالة النقائص والعيوب عن نفسه وتكميلها بالصفات الحسنة الكريمة حتى تبقى مقاربة للرب مشابهة له من جهة المعنى، ويزعمون أن الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة، فهؤلاء لا يثبتون القرب الحقيقي - وهو القرب المعلوم المعقول -^(٣) مع دلالة النصوص الشرعية عليه فهو قول باطل.

وكثير من أهل الكلام يزعمون أن الله ليس على العرش وأن العبد لا يتقرب

قرب الله ﷻ من الداعين والمحسنين وعباده الصالحين الذي دلّت عليه نصوص القرب تظهر آثاره من لطفه بهم، وتوفيقه لهم، وعنايته بهم، ونصره وتأييده لهم، وإجابة دعواتهم، وجزيل ثوابه وعطائه لهم؛ إذ قربه تعالى يقتضي إطفاه ﷻ، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، ولهذا يقرن باسمه القريب اسمه المجيب^(١).

❖ الآثار:

- إيمان العبد وبقينه بقرب الله ﷻ منه وما يترتب على هذا القرب من المحاسن والمكارم يحمله على سلوك سبيل هؤلاء الداعين المحسنين أهل الصراط المستقيم حتى يظفر بهذه المنح الإلهية والعطايا الربانية.

- ومن آثاره أيضاً: محبته سبحانه والأنس به؛ لأن الإيمان بقربه سبحانه القرب الخاص المستلزم للرحمة، وإجابة الدعوة، واللطف بعبده يثمر المحبة والطمأنينة والأنس به سبحانه، وطلب العون منه وحده، وحسن رجائه، وعدم اليأس من رحمته، والتضرع إليه في جميع الأحوال.

- كما أن إيمان العبد وبقينه

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٨٥)،

(١٨٦) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢،

١٤٢٣هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٥١ - ٢٥٣)

[دار التوحيد، ط ١].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٦ و ١٢).

(١) بيان تلبس الجهمية (٦/١٠٣) [مجمع الملك فهد

لطباعة المصحف الشريف، ط ١، ١٤٢٦هـ].

إلى ذات الله تعالى، وإنما هو يتقرب ببدنه وروحه إلى الأماكن المفضلة.

ومنهم من يجعل هذا التقرب إلى ثواب الله وإحسانه وليس إليه سبحانه^(١)، وهذا أيضًا باطل؛ لأن ثواب الله وإحسانه يصل إليهم ويصلون إليه، ويباشروهم ويباشرونه بدخوله فيهم ودخولهم فيه بالأكل والشرب، فإذا كانوا يكونون في نفس جنته ونعيمه وثوابه فكيف يجعل أعظم الغايات قربهم من إحسانه؟ ولا سيما المقربون؛ فهم فوق أصحاب اليمين الأبرار الذين كتابهم في عليين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْنَا ۚ كَتَبَ مَرْفُومٌ ۙ (٢٠) يَشْهَدُ الْمُقْرُونُ ۚ (٢١) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۚ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۚ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۚ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ۚ (٢٥) خَتَمَهُمْ مِنْكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۚ (٢٦) وَمَرْجَأُهُمْ مِنَ النَّعِيمِ ۚ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرُونُونَ ۚ (٢٨)﴾ [المطففين]: فقد أخبر الله ﷻ أن الأبرار في نفس النعيم، وأنهم يسقون من الشراب الذي وصفه الله تعالى بما وصفه به في الآيات المذكورة، وأنهم يجلسون على الأرائك ينظرون. فكيف يقال: إن المقربين الذين هم أعلى من هؤلاء، بحيث يشربونها صرفًا ويمزج لهؤلاء، إنما تقربهم هو مجرد النعيم الذي أولئك فيه؟ هذا مما يعلم فساده بأدنى تأمل^(٢).

والقول الحق: إنما هو قول أهل السنة والجماعة الذين يثبتون أن الله على العرش، وأن حملة العرش أقرب إليه ممن دونهم، وأن ملائكة السماء العليا أقرب إليه من ملائكة السماء الثانية، وأن النبي ﷺ لما عرج به إلى السماء صار يزداد قربًا إلى ربه بعروجه وصعوده، وكان عروجه إلى الله لا إلى مجرد خلق من خلقه، وأن روح المصلي تقرب إلى الله في السجود وإن كان بدنه على الأرض متواضعًا^(٣)، وهذا الذي دللت عليه نصوص الكتاب والسنة، فيجب ثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة القرآن الكريم والأحاديث النبوية على ذلك.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات» (ج ٢)، للبيهقي.
- ٢ - «بدائع الفوائد» (ج ٣)، لابن القيم.
- ٣ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٦)، لابن تيمية.
- ٤ - «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة.

(٢) انظر: المرجع السابق (١٢/٦، ١٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٦)، وعلو الله على خلقه للدويش (٢٦٨ - ٢٦٩) [مكتبة العلوم والحكم،

بالمدينة المنورة، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

(١) انظر: المرجع السابق (٧/٦ و ١٢).

٥ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي .
٦ - «شرح أسماء الله الحسنی في ضوء الكتاب والسنة»، لسعيد بن علي القحطاني .

❖ القرين ❖

❖ التعريف لغةً:

القرين: هو المصاحب، يقال: اقترن الشيء بغيره؛ أي: صاحبه. قال ابن فارس: «القاف والراء والنون أصلان صحيحان، أحدهما يدلُّ على جمع شيء إلى شيء، والآخر شيءٌ يَنبَأُ بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ. فالأول: قارنُ بين الشيئين»^(١).

وقال الراغب: «الاقتران كالازدواج في كونه اجتماع شيئين أو أشياء في معنى من المعاني، قال: ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف]، يقال: فلان قِرْن فلان في الولادة، وقريته وقرنه في الجلادة وفي القوة وفي غيرها من الأحوال»^(٢).

❖ التعريف شرعاً:

قرين الإنسان: «مصاحبه من الملائكة والشياطين، فقريته من الملائكة يأمره بالخير ويحثه عليه، وقريته من الشياطين يأمره بالشر ويحثه عليه»^(٣).

❖ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى الشرعي خصص المعنى اللغوي

٧ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف .

٨ - «علو الله على خلقه»، لموسى بن سليمان الدويش .

٩ - «العلو للعلي الغفار»، للذهبي .

١٠ - «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات»، لمحمد الأمين الشنقيطي .

١١ - «تفسير أسماء الله الحسنی»، للزجاج .

١٢ - «كتاب النعوت الأسماء والصفات»، للنسائي .

١٣ - «كتاب التوحيد» (ج ٣)، لابن منده .

١٤ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤ و ٥ و ٦)، لابن تيمية .

١٥ - «مختصر الصواعق المرسله» (ج ٢)، للموصلي .

❖ القريب ❖

يراجع مصطلح (القرب).

(١) مقاييس اللغة (٨٨٣) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٢) المفردات (٦٦٧) [دار القلم، ط ٣، ١٤٢٣هـ].

(٣) النهاية في غريب الحديث (٤٤٧/٢) [دار المعرفة، ط ٢، ١٤٢٧هـ].

للقرين من كل مصاحب بالمصاحب الخفي من الملائكة والشياطين.

سبب التسمية:

أن القرين يصاحب الإنسان ويرافقه ويقارنه ويلازمه.

الحكم:

يجب الإيمان بوجود قرين مع كل إنسان للأدلة الواردة في ذلك، منها حديث: «...وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة»^(١).

الحقيقة:

وجود داع حقيقي من الملائكة والجن مع كل البشر يدعوهم إلى الخير أو الشر.

الأدلة:

الأدلة على وجود القرين مع الإنسان كثيرة؛ منها^(٢) قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف]، وقوله تعالى: ﴿وَقِصْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرَيْنُوا لَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ۖ أَلَبِيًا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عِنْدِي مَتَاعٍ لِلْحَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ [الذرى ٢٥] جَعَلَ

(١) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨١٤).

(٢) انظر مجموعة من الأدلة على ذلك في: غرائب وعجائب الجن (أكام المرجان للشبلي) (٤٠) [مكتبة القرآن، ٢٠٠١م]، وعالم الجن والشياطين (٦٥) [قصر الكتاب، ١٩٧٨م].

مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءآخَرَ فَالْقِيَاءُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ [ق]، قال جمع من المفسرين: المراد بالقرين الأول: الملك الموكل به، والقرين الثاني: الشيطان الموكل به^(٣).

ومن السنة قول النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن، قالوا: وإياك؟ يا رسول الله! قال: وإيائي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم»^(٤)، فلا يأمرني إلا بخير»، وفي رواية: «وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة»^(٥). وفي رواية أخرى من حديث عائشة رضي الله عنها: فقلت: يا رسول الله! أو معي شيطان؟ قال: «نعم»، قلت: ومع كل إنسان؟ قال: «نعم»^(٦).

(٣) تفسير الطبري (٢٠١/١٣، ٢٠٣) [دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ]، والجامع لأحكام القرآن (١٩/٤٤٧) [مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ]، وتفسير ابن كثير (١٣/١٩١، ١٩٢) [دار عالم الكتب، ١٤٢٥هـ].

(٤) فأسلم: روي بضم الميم وفتحها، والمعنى بضم الميم؛ أي: أنا أسلم من شره، والمعنى بالفتح: أسلم هو من كفره فصار مسلماً، وفسره البعض بأنه استسلم وخضع وانقاد. انظر: فتح الباري لابن رجب (١/١٢٣) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٢هـ]، وشرح النووي على مسلم (١٧/١٥٥) [دار المعرفة، ط ٢، ١٤٢٧هـ].

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨١٥).

❖ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «كل إنسان معه قرينه من الملائكة، وقرينه من الجن، وهو نفسه لا يرى ذلك، ولا يراه من حوله»^(١).

وقال ابن كثير: «القرين من الملائكة غير القرين بحفظ الإنسان، وإنما هو موكل به ليهديه، ويرشده بإذن ربه إلى سبيل الخير، وطريق الرشاد كما أنه قد وكل به القرين من الشياطين لا يألوه جهدًا في الخبال والإضلال، والمعصوم من عصمه الله ﷻ»^(٢).

وقال ابن باز: «ثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أن كل إنسان معه قرين من الملائكة وقرين من الشياطين»^(٣).

❖ الأقسام:

القرين على قسمين:

- ١ - قرين السوء وهو الشيطان يأمر الإنسان بالشر ويحثه عليه.
- ٢ - قرين الخير وهو الملك يأمره بالخير ويحثه عليه^(٤).

❖ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: قد يخبر القرين الجني صاحبه الكاهن ببعض الأخبار التي لم يطلع عليها الحاضر:

ينال الجني علمه باستراق السمع أو المجيء من أماكن الأخرى؛ إذ هم سريعو التنقل^(٥)، فيخبر بها الكاهن فيكذب معه مائة كذبة كما في حديث: «يا رسول الله، إن الكهان كانوا يحدثوننا بالشيء فنجده حقًا، قال: «تلك الكلمة الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه ويزيد فيها مائة كذبة»^(٦).

- المسألة الثانية: ملازمة القرين صاحبه:

لقول النبي ﷺ: «وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة»^(٧)، ولقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف].

- المسألة الثالثة: هل القرين يتشكل بصورة الميت فيما يسمى بتحضير الأرواح؟

فيقال: نعم، ودعوى تحضير الأرواح والسحر وجهان لعملة واحدة، ويفسر ما يفعله مدعي إحضار الأرواح بأحد تفسيرين؛ إما هو يسحر أعين الناس

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية (٤/٢٨٨) [ط٢]، ١٤١٩هـ.

(٢) البداية والنهاية (١/٥٢) [دار الفكر، عام ١٤٠٧هـ].

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣/٣٠٢) [التراسة العامة للبحوث والإفتاء، ط١، ١٤٢٧هـ].

(٤) النهاية في غريب الحديث (٢/٤٤٧)، وفتاوى نور على الدرب (١/٢٢٣) [التراسة العامة للبحوث والإفتاء، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٥) فتاوى نور على الدرب (١/٢٢٣).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٢١٣)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٨).

(٧) تقدم تخريجه.

أيضاً: «وكان ابن عُيينة يرويه: «فأسلم» بالضم، ويقول: إن الشيطان لا يسلم، لكن قوله في الرواية الأخرى: «فلا يأمرني إلا بخير» دل على أنه لم يبق يأمره بالشر، وهذا إسلامه، وإن كان ذلك كناية عن خضوعه وذلته لا عن إيمانه بالله»^(٤).

❁ الفرق:

الفرق بين المس والقرين:

القرين هو الداعي الخفي المصاحب للإنسان الأمر بالشر أو الخير، وأما المس فهو تسلط الجن على الإنسان فيحرك جوارحه بإرادة الجن دون إرادة الإنسان^(٥).

❁ الآثار:

على الإنسان آثار قرينه السوء؛ إذ هو الداعي الخفي إلى الشر، ويكون لقرينه من الملائكة آثاره الطيبة؛ إذ هو الداعي الخفي إلى الخير^(٦)، كما قال النبي ﷺ: «إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة»

(٣) منهاج السنّة (٨/ ٢٧١).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧/ ٥٢٣).

(٥) انظر: الفرقان لابن تيمية (٧٧) [مكتبة المعارف،

١٤٠٤هـ]، والرد على المنطقيين (٤٧) [إدارة

ترجمان السنّة، ٢، ١٣٩٦هـ]، وفتاوى نور على

الدرب (١/ ٢٢٣، ٢٣٣)، والأدلة الشرعية في إثبات

صرع الشيطان للإنسان والرد على المنكرين (٢)

[بحث في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، العدد ٢،

٢٠٠١م].

(٦) انظر: فتاوى نور على الدرب (١/ ٢٢٣ - ٢٢٥).

فيوهمهم أن روح الميت حضر ويتكلم ويؤرى، وإما يستعين بالجن فيتشكل قرين الميت بشكل الميت ويتكلم باسم الميت، وثبت تشكل الجن بأشكال الإنس^(١)، كما في غزوة بدر وغيرها من الوقائع، إلا أنه لا سلطان لأحد على الأرواح بعد موتها، كما يعلم ذلك من قوله ﷺ: ﴿وَسَعَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء]، فالروح محكومة بأمر الله لا يستطيع أحد إحضارها، ولم يستحضرها الأنبياء والرسل مع كونهم أفضل البشر؛ فليس بإمكان أحد أن يسيطر على الروح وأن يستحضرها!.

- المسألة الرابعة: معنى قول

النبي ﷺ: «أعاني عليه فأسلم»:

اختلف العلماء في الفعل (أسلم)؛ أهو ماضٍ أم مضارع، فبتقديره فعلاً ماضياً يكون المعنى إن قرينه أسلم؛ أي: دخل في الإسلام، وبتقديره مضارعاً يكون المعنى: فأنا أسلم؛ أي أن الله تعالى أعانه عليه فَيَسْلَمُ النبي ﷺ من شره، وأن القرين ما صار مسلماً^(٢).

قال ابن تيمية: «والمراد في أصح القولين: استسلم وانقاد»^(٣)، وقال

(١) انظر: آكام المرجان في أحكام الجان (٤)، وفتاوى نور على الدرب (١/ ٢٣٠).

(٢) انظر: فتح الباري لابن رجب (١/ ١٢٣)، وشرح

صحيح مسلم للنووي (١٧/ ١٥٥) وآكام المرجان في

أحكام الجان (١/ ٥١ - ٥٢).

المسلمين في وجود الجن، وهذا كافٍ في الردّ على من أنكر وجودهم.

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأدلة الشرعية في إثبات صرع الشيطان للإنسان والرد على المنكرين»، لصالح الرقب.
- ٢ - «تفسير القرآن العظيم» (ج ١٣)، لابن كثير.

- ٣ - «جامع البيان» (ج ١٣)، للطبري.
- ٤ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ١٩)، للقرطبي.
- ٥ - «الرد على المنطقيين»، لابن تيمية.
- ٦ - «عالم الجن والشياطين»، للأشقر.
- ٧ - «غرائب وعجائب الجن»، للشبلي.
- ٨ - «فتاوى نور على الدرب» (ج ١)، لابن باز.

- ٩ - «فتح الباري» (ج ١)، ابن رجب.
- ١٠ - «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، ابن تيمية.

❖ القصاص ❖

❖ التعريف لغةً:

القاف والصاد أصل صحيح يدلّ على تتبّع الشيء، ومن ذلك قولهم: اقتصصت الأثر؛ إذا تتبعتّه، ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك أنّه يُفعل به

فأما لمة الشيطان فإيعادٌ بالشر وتكذيبٌ بالحق، وأما لمة الملك فإيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم قرأ: ﴿الشَّيْطَانُ يَدْعُوكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨] ^(١).

❖ الحكمة:

الحكمة من وجود القرين هو الابتلاء من الله ﷻ لعبده والإحسان إليه؛ حيث جعل معه داعياً خفياً يرغبه في الشر ويحثه عليه، كما أنه جعل معه داعياً خفياً يرغبه في الخير ويحثه عليه.

❖ مذهب المخالفين:

أنكرت الفلاسفة وجود قرين وذلك تبعاً لإنكارهم وجود الجن ^(٢).

❖ الردّ عليهم:

القرين ثابت بالقرآن والسنة والإجماع، ولم يخالف أحد من طوائف

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٢٩٨٨) وحسنه، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٩٩٧)، وضعفه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي. وأخرجه الطبري في التفسير (٥٧٤/٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري، وذكر أن له حكم الرفع، وصححه الألباني أيضاً. انظر: تراجع العلامة الألباني (رقم ٦٠٤) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/١٩) [مجمع الملك فهد، ١٤١٥هـ]. وانظر: أكام المرجان (١٨)، وروح المعاني للألوسي (١٤٢/١٦).

مثلُ فعلِهِ بالأوّل، فكأنّه اقتصَّ أثره^(١).

❁ الحقيقة:

ليبان عدل الله بين خلقه فإنه سبحانه جعل الاقتصاص بين الخلائق يوم القيامة، ولا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال ذرة أتى بها الله تعالى، وكفى به سبحانه حسيباً.

❁ المنزلة:

أحد مفردات يوم القيامة الكائنة في العرصات بعد البعث وقبل دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّمُونَ﴾ [الزمر] عن الزبير بن العوام، قال: لما نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مِيتٌ وَإِيَّاهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [٢٠] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّمُونَ﴾ [الزمر]، قال الزبير: أي رسول الله ﷺ، أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: «نعم، ليكررن عليكم، حتى يؤدي إلي كل ذي حق حقه»، فقال الزبير: والله إن الأمر لشديد^(٢).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٣٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد (١/٣٤٦، ٣٥٣) [دار الفكر، ط ١، ١٤١١هـ] واللفظ له، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٢٩٨١) وصححه، وصحح إسناده أحمد شاكر في حاشيته على المسند (٣/٣، ٢١) [دار المعارف، ط ١٤٣٧هـ]، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٤٠).

❁ التعريف شرعاً:

الاقتراع للمظلوم من الظالم بقدر مظلّمته إيّاه، فإن وقت وإلا طرح عليه من سيئاته بقدر ما بقي منها، وأما الدواب فبأن يفعل المعتدي عليه منها بالمعتدي جنس ما فعل به.

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

التعريف الاصطلاحي لم يخرج عن اللغوي، إلا أنه اقتصاص مخصوص بقيود معينة.

❁ سبب التسمية:

موافقة لما يحدث يوم القيامة بين الناس من المقاصة بالحسنات والسيئات؛ إذ لا دينار ولا درهم، جراء المظالم التي كانت بينهم في الدنيا في الأموال والأعراض ونحو ذلك، وما يحدث بين الحيوانات من المقاصة بجنس العمل جراء اعتداء بعضها على بعض.

❁ الحكم:

الإيمان به واجب؛ لدلالة النصوص عليه.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٧/٥) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ]، تهذيب اللغة (٨/٢١٠) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢٠٠١م]، والتعريفات ص ٢٢٥ [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤١٣هـ]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٤/١١٣) [دار الفكر].

وقال ﷺ: «ما من رجل تكون له إيل، أو بقر، أو غنم لا يؤدي حقها، إلا أتى بها يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمنه تطؤه بأخفافها، وتنطحه بقرونها، كلما جازت أخرها رُدَّت عليه أولها حتى يقضى بين الناس»^(١).

وقال ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»^(٢).

وقال ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرح عليه»^(٣).

أقوال أهل العلم:

قال الإمام البرهاري رحمته الله: «والإيمان بالقصاص يوم القيامة بين الخلق كلهم؛ بني آدم، والسباع، والهوام، حتى للذرة من الذرة، حتى يأخذ الله ﷻ لبعضهم من بعض؛ لأهل الجنة من أهل النار، وأهل النار من أهل الجنة، وأهل الجنة بعضهم من بعض، وأهل النار بعضهم من بعض»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: إن أمة محمد ﷺ تتقدم الأمم المقضي لهم يوم القيامة:

لقوله ﷺ: «نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة، المقضي لهم

قبل الخلائق»^(٤).

- المسألة الثانية: إن الدماء أول شيء يقع فيه القصاص يوم القيامة:

لقوله ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»^(٥).

- المسألة الثالثة: إن القصاص بين العباد يوم القيامة يكون بالحسنات والسيئات، ويسقط بالتحلل من المظالم في الدنيا:

لقوله ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرح عليه»^(٦).

- المسألة الرابعة: إن القصاص بين المؤمنين يكون على القنطرة وقبل الاستقرار في الجنة؛ قال ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقِّوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا»^(٧).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٦٠)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٩٠).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٨٢).

(٣) شرح الشُّنَّة (٨٦) [مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤، ١٤١٤هـ].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٥٦).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٣)، ومسلم (كتاب القسامة، رقم ١٦٧٨)، واللفظ له.

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٤).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٥).

بها في الآخرة في جهنم تندفع بنحو عشرة أسباب... السبب العاشر: ما ثبت في الصحيحين أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على فنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»^(٥).

❁ الحكمة:

من حكم القصاص إظهار عدل الله تعالى بين خلقه يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿وَنُضِعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مُنْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبًا﴾^(٤٧) [الأنبياء].

❁ مذهب المخالفين:

ذهب طائفة إلى إنكار حشر غير الثقلين من الدواب؛ لكونها ليست مكلفة ولا أهلاً للكرامة، والحديث الوارد في ذلك كناية عن العدل التام^(٦).

ولا حجة لهم في ذلك؛ لأن القصاص بين غير الثقلين قصاص مقابلة^(٧) لا قصاص تكليف؛ ولأن القرآن قد دل على

- المسألة الخامسة: إن القصاص بين الحيوان وغيرها من الدواب قصاص مقابلة؛ إظهاراً لعدل الله تعالى؛ قال ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»^(١).

وقد علق الإمام النووي على الحديث بقوله: «وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف؛ إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة»^(٢).

وقال ابن حجر الهيتمي: «فهذا من الدليل على القصاص بين البهائم، وبينها وبين بني آدم، حتى الإنسان لو ضرب دابة بغير حق أو جوعها، أو عطشها، أو كلفها فوق طاقتها فإنها تقتص منه يوم القيامة بنظير ما ظلمها أو جوعها، ويدل لذلك حديث الهرة»^(٣)»^(٤).

❁ الثمرات:

القصاص من الأمور التي تسقط بها العقوبة الأخروية بالنار، قال شيخ الإسلام: «إن الذنوب مطلقاً من جميع المؤمنين هي سبب العذاب، لكن العقوبة

(٥) منهاج السنّة النبوية (٣/ ١٧٩ - ١٨٦) [جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٦) انظر: روح المعاني (٢٩/ ٥٢) [دار إحياء التراث، ط ٤، ١٤٠٥هـ]، ومجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٨)، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة (٣١٥) [دار قباء].

(٧) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/ ١٣٧) [دار الكتب العلمية].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/ ١٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٣١٨)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٤٣).

(٤) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٦٨٩) [مكتبة النشر، ١٤٢٠هـ].

القلم: الذي يكتب به، واحد الأقلام وقلام، والمقلمة: وعاء الأقلام، وتطلق الأقلام على السهام والقذاح والأزلام، التي تجال بين القوم في القمار، أو القرعة^(٢).

التعريف شرعاً:

القلم: هو قلم القدر السابق، وهو الذي خلقه الله تعالى عند كتابة المقادير وأمره بكتابة مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ، وهو القلم المُقسَم به في القرآن^(٣).

قال ابن جرير الطبري رحمته الله: «وأما القلم فهو القلم المعروف، غير أن الذي أقسم به ربنا من الأقلام: القلم الذي خلقه الله تعالى ذكره، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة»^(٤).

الحكم:

يجب الإيمان بالقلم، وأن الله خلقه وأمره بكتابة مقادير الخلائق، إلى قيام الساعة.

قال أبو عمرو الداني رحمته الله: «ومن قولهم: إن الإيمان باللوح المحفوظ

(٢) انظر: الصحاح (٢٠١٤/٦) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ]، ولسان العرب (٢٩٠/١١) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ].

(٣) انظر: التبيان في أقسام القرآن (٣٠٢) [دار عالم الفوائد، ط ١٦]، وشرح الطحاوي لابن أبي العز (٢/٣٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١٣، ١٤١٩هـ].

(٤) تفسير الطبري (٢٢/٢٩) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٣هـ].

حشر غير الثقلين، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَلُوهُنَّ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [التكوير]، ودلت السنة الصحيحة على حشرها والمقاصة بينها في غير ما حديث كما تقدم؛ وعليه فلا يجوز صرف النصوص عن ظاهرها وإلا كان تحريفًا لها.

المصادر والمراجع:

- ١ - «التذكرة»، للقرطبي.
- ٢ - «الزواجر عن اقتراف الكبائر»، الهيثمي.
- ٣ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.
- ٤ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٥ - «منهاج السنة النبوية»، لابن تيمية.

القضاء والقدر

يراجع مصطلح (القدر).

القلم

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمته الله: «القاف واللام والميم أصل صحيح يدل على تسوية شيء عند بريه وإصلاحه؛ من ذلك قَلَمْتُ الظفر وقَلَمْتُهُ، ومن هذا الباب سُمِّي القلم قلمًا؛ قالوا: سُمِّي به؛ لأنه يُقلم منه، كما يُقلم من الظفر»^(١).

(١) مقاييس اللغة (١٥/٥، ١٦) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

وقال القاضي عياض رحمته الله: «وكتب الله ولوحه وقلمه وصحيفته التي ذكر الحديث من غيبه، وسر علمه الذي يلزمن الإيمان والتصديق به، وكيفية صفة ذلك في علم الله رحمته الله، لا يحاط بشيء من علمه إلا بما شاء»^(٥).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «فهذا القلم خلقه الله لما أمره بالتقدير المكتوب، قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان مخلوقاً قبل خلق السماوات والأرض، وهو أول ما خلق من هذا العالم، وخلق بعد العرش، كما دلّت عليه النصوص، وهو قول جمهور السلف»^(٦).

المسائل المتعلقة:

- أيهما خلق أولاً العرش أم القلم؟
اختلف أهل العلم في أيهما خلق أولاً: أهو القلم أم العرش؟ على قولين مشهورين:

القول الأول: أنه القلم؛ كما ذهب إليه بعض أهل العلم، بدليل عبادة بن الصامت رضي الله عنه السابق.

القول الثاني: أنه العرش، وهو قول جمهور السلف، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وغيرهم^(٧).

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/١٣٣) [دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٩هـ].

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨/٢١٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ط٢، ١٤٢٥هـ].

(٧) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨/٢١٣)، =

وبالقلم واجب، على ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج]»^(١).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿تَوَّابًا وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾ [القلم].

قال ابن القيم رحمته الله: «وقد قال غير واحد من أهل التفسير: إنه القلم الذي أقسم الله تعالى به»^(٢).

ومن السُّنَّة: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول ما خلق الله القلم. فقال: اكتب. قال: ربّ وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»^(٣).

أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي رحمته الله: «ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن، ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»^(٤).

(١) الرسالة الوافية (٦١).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (٣٠٥).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٠٠)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣١٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٧٨/٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٠١٨).

(٤) الطحاوية مع شرح ابن أبي العز (٢/٣٤٤ - ٣٤٦).

الأول، موافقة للفلاسفة الملاحدة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «والمقصود هنا أن كثيراً من كلام الله ورسوله، يتكلم به من يسلك مسلكهم، ويريد مرادهم، لا مراد الله ورسوله، كما يوجد في كلام صاحب الكتب المضنون بها وغيره، مثل ما ذكره في اللوح المحفوظ؛ حيث جعله النفس الفلكية، ولفظ القلم حيث جعله العقل الأول^(٤). وسلك في هذه الأمور ونحوها مسالك ابن سينا^(٥)».

وهذا القول معلوم البطلان بدلالة الشرع والعقل، وقد تقدم بيان المفهوم الشرعي للقلم من كلام أهل العلم والدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن المسلمين يعلمون بالاضطرار أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد بالقلم ما تريده الفلاسفة بلفظ العقل^(٦)».

المصادر والمراجع:

- ١ - «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج ٨)، للقاضي عياض.
- ٢ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

(٤) انظر: فيصل التفرقة - ضمن القصور العوالي - (١٣٤/١).
 (٥) مجموع الفتاوى (١/٢٤٥).
 (٦) بغية المراتد (٢٨٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط ٣، ١٤٢٢هـ].

واستدل أصحاب القول الثاني من السُّنة: بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض»^(١).

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء»^(٢). ووجهها حديث عبادة بن جيهين^(٣):

أحدهما: إما أن يكون قوله: «إن أول ما خلق الله القلم» إلى آخره جملة واحدة وهو مروى بالنصب، وهو الصحيح كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: اكتب.

الثاني: وإن كان جملتين وهو مروى بالرفع؛ أي: «أول ما خلق الله القلم» فيتعين حملة على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، ليتفق الحديثان.

مذهب المخالفين:

خالف فلاسفة المتصوفة في المفهوم الشرعي للقلم، فقالوا: هو العقل

= وشفاء العليل (١/٥٥) [دار العبيكان، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/٣٤٥).
 (١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣١٩١).
 (٢) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٣).
 (٣) انظر: التبيين في أقسام القرآن (٣٠٤، ٣٠٥)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/٣٤٥).

دخول الجنة، للمقاصة فيما بينهم، وهي
تمة الصراط، وقيل: صراط ثان^(٣).

الحكم:

الإيمان بوجود القنطرة التي يحبس
عليه بعض المؤمنين بعد جواز الصراط
وقبل دخول الجنة، لدلالة النصوص على
ذلك.

الحقيقة:

يُخَلِّصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ
عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ
لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي
الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هَذَبُوا وَنَقَوْا أُذُنَ لَهُمْ فِي
دُخُولِ الْجَنَّةِ.

الأدلة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُخَلِّصُ الْمُؤْمِنُونَ
مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ
وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ
كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هَذَبُوا
وَنَقَوْا أُذُنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي
نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لِأَحَدِهِمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ
فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»^(٤).

ولا يصح حديث: «إن الله تعالى

(٣) انظر: التذكرة في أحوال الموتى والآخرة (٣٩٢)
[دار قباء للنشر]، وفتح الباري لابن حجر (٥/
١١٥، ٤٠٦/١١) [دار الريان، ط ١، ١٤٠٧هـ]،
ولوامع الأنوار (١٩٠/٢) [المكتب الإسلامي، ط ٣،
١٤١١هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٥).

٣ - «الحجة في بيان المحجة»، لأبي
القاسم التيمي.

٤ - «الرد على المنطقيين»، لابن
تيمية.

٥ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٦ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن
عثيمين.

٧ - «العقيدة الواسطية»، لابن تيمية.

٨ - «العقيدة الطحاوية مع شرحها»،
لابن أبي العز الحنفي.

٩ - «معارج القبول»، لحافظ بن
أحمد حكيمي.

١٠ - «المباحث العقيدية المتعلقة
باللوح المحفوظ والقلم»، لعادل بن
حجي.

القنطرة

التعريف لغةً:

القنطرة: الجسر، وما ارتفع من
البنيان^(١). وقيل: ما يبنى على الماء
للعبور عليه^(٢).

التعريف شرعاً:

القنطرة: المكان الذي يحبس عليه
بعض المؤمنين بعد جواز الصراط وقبل

(١) انظر: لسان العرب (١١٨/٥) [دار صادر، ط ٣].

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤٠٨/١)،
والقاموس المحيط (٥٩٩)، والمصباح المنير (٢/
٥٠٨)، ومختار الصحاح (٥٦٠).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: القصاص على

القنطرة خاص بالمؤمنين:

دل حديث أبي سعيد رضي الله عنه المتقدم ذكره على أن القصاص على القنطرة خاص بالمؤمنين، وهذا من إكرام الله تعالى لأهل الجنة، فلا يشاركهم فيه أحد من الكافرين؛ ولأن القصاص بين الكفار، أو بين الكفار والمؤمنين قد سبق عبور الصراط في العرصات.

والحبس على القنطرة ليس بعام؛ بل خاصّ ببعض المؤمنين الناجين من الصراط، ممن عليهم حقوق وتبعات لإخوانهم، فهؤلاء يحبسون، حتى إذا هذبوا ونقوا دخلوا الجنة، وأما من لا مظلمة عليه لأحد، فظاهر الحديث الآنف أنه لا يوقف، ويؤكد دخول أقوام الجنة بغير حساب^(٦).

- المسألة الثانية: موضع القنطرة:

ذكر بعض أهل العلم أنه يظهر من النصوص أن القنطرة على طرف الصراط من قبل الجنة، وقيل: إنها موضع بين الصراط والجنة^(٧).

(٦) انظر: فتح الباري (١١٦/٥)، وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٣٣٦/٣) [الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١، ١٤١١هـ].

(٧) انظر: فتح الباري (٩٦/٥، ٣٩٩/١١).

يجلس يوم القيامة على القنطرة التي بين الجنة والنار^(١). ولا ما في معناه، ولا حديث: «إن لجهم سبع قناطر»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإذا عبروا وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»^(٣).

وقال ابن القيم: «حتى إذا أهل الإيمان جاوزوا الصراط حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيهدبون وينقون»^(٤).

وقال ابن أبي العز: «ثبت في الصحيحين أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»^(٥).

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٢٢١/٣) [المكتبة العلمية، ١٦]، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (١٢٧/١) [المكتبة السلفية، ١٦]، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٩٥٠/١٢): «منكر».

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٧/٧) [مطبعة الوطن العربي، ١٦]، وأبو نعيم في الحلية (٥/١٣١) [دار الكتاب العربي، ٤، ١٤٠٥هـ]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٠/١٠) [دار الفكر، ١٤١٣هـ]: «وفيه كلثوم بن زياد ويكر بن سهل الدمياطي، وكلاهما وثق وفيه ضعف، وبقيّة رجاله رجال الصحيح».

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (٢٨٤).

(٤) إغاثة اللهفان (٥٦/١).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٢٧١/٢). وانظر: ولوامع الأنوار للسفاريني (١٩٠/٢).

❁ الآثار:

أطلق على كل طاعة في طريق الدين قنوتًا، قال ابن فارس: «القاف والنون والتاء أصل صحيح، يدل على طاعةٍ وخير في دين، لا يعدو هذا الباب، والأصل فيه الطاعة»^(٢).

ويطلق القنوت على معان كثيرة؛ كطول القيام في الصلاة، والسكوت فيها، والإقبال عليها، والخشوع فيها، قال الله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة]، كما يطلق على الدعاء في الصلاة، وإقامة الطاعة، وغير ذلك من المعان الكثيرة^(٣).

❁ التعريف شرعًا:

القنوت: هو «دوام الطاعة في خضوع وخشوع»^(٤).

وقد تعددت عبارات العلماء في المراد بالقنوت في الشرع - تبعًا لتعدد معانيه في اللغة - على أقوال؛ أهمها ما يلي:

قال الراغب الأصفهاني: «القنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع»^(٥).

وقال الطبري: «إن أصل القنوت: الطاعة»^(٦).

(٢) مقاييس اللغة (٣١/٥) [دار الجليل، ط ١، ١٤١١هـ].

وانظر: لسان العرب (٧٣/٢) [دار الفكر، ط ١].

(٣) انظر: لسان العرب (٧٣/٢).

(٤) تفسير السعدي (١٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٥) المفردات، للراغب الأصفهاني (٦٨٤).

(٦) تفسير الطبري (٥٧١/٢) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].

وللحبس على القنطرة وحصول المقاصة بين المؤمنين عدة فوائد؛ منها: إظهار عدل الله تعالى، وتطهير قلوب أهل الجنة من موجبات الغل، وتطهير النفوس الخبيثة قبل دخولها الجنة، وإسقاط العقوبات الأخروية بالنار^(١).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «إغاثة اللهفان»، لابن القيم.
- ٢ - «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة»، للقرطبي.
- ٣ - «رسائل الآخرة» (ج ٣)، للعبدي.
- ٤ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٥ - «شرح العقيدة الواسطية»، لهراس.
- ٦ - «فتح الباري» (ج ٥)، لابن حجر.
- ٧ - «لوامع الأنوار» (ج ٢)، للسفاريني.

❁ القنوت ❁

❁ التعريف لغةً:

القنوت مصدر قنت يقنت قنوتًا، ومعناه: الطاعة والخير في الدين، ثم

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٩٣/٥) قول أبي نصره [دار

الكتب العلمية، ط ١]، والفتح (٤٠٧/١١)، والحسنة

والسيئة (٩٩) [مكتبة المدني]، ومنهاج السنّة (٦/

٢٠٥ - ٢٣٨) [جامعة الإمام، ط ١]، ورسائل الآخرة

(٥٧/٣).

والخضوع والإذلال له سبحانه، فحقيقته تدور حول معنى: الخشوع، والخضوع، والإنابة، والطمأنينة.

والقانت لله تعالى هو الخاضع له بالطاعة، المذعن له بالعبودية، والمنيب إليه بالتوبة^(٣).

والقنوت: لا يكون إلا اجتهاداً في الطاعة، واطمئنان القلب بالإيمان.

وقد تعددت معاني القنوت بتعدد سياقاتها في القرآن الكريم، فمرة يرد بمعنى السكوت، ومرة بمعنى الطاعة والعبادة، ومرة بمعنى الانقياد، وبكل واحد من هذه المعاني فُسر قول الله ﷻ: ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنَاتِينَ﴾ [البقرة].

✽ المنزلة:

يعدُّ القنوت من أرفع أحوال العبودية وأسمائها، فلا يتصف به إلا من اطمأن قلبه بالإيمان، واجتهد في تحقيق طاعة الرحمن، ومما يدل على علو منزلة القنوت أن صاحبه يخشع قلبه إذا ذكر الله، ويصبر على ما أصابه من نوائب الدهر ونكباته، ويداوم على إقامة الصلاة وعلى الإنفاق مما رزقه الله، ثم عاقبته الحميدة أن يكون من أصحاب الجنة الخالدين فيها.

وقال ابن كثير: «القنوت هو: الطاعة في سكون»^(١).

وهذه التعاريف كلها متقاربة، تدل على أن المراد بالقنوت: دوام الطاعة مع الخضوع لله تعالى.

ويدخل في ذلك كل طاعة داوم عليها العبد، من صلاة، ودعاء، وخشوع، ونحو ذلك من أنواع الطاعة.

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان القنوت في اللغة يطلق على معان كثيرة، ترجع في أصلها إلى الطاعة، أطلق في الشرع على هذا الأصل لا سيما إذا اقترن بالخشوع والخضوع ونحوهما، مما يدل على الذل والانكسار لله تعالى.

✽ الحكم:

لزوم القنوت لله بدوام الطاعة له سبحانه في سكون وخشوع وطمأنينة هو من أعظم الواجبات، وأجلّ القربات التي يسعى له كل طائع لله راغب في ثوابه، فالقنوت من أعمال القلب التي تدخل في باب الإيمان، فلا يصرف إلا لله تعالى^(٢).

✽ الحقيقة:

حقيقة القنوت: هي طاعة الله تعالى،

(٣) انظر: تفسير الطبري (٦٢٨/١٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦٤٨، ٦٤٩) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٣هـ]، ومدارج السالكين لابن القيم (٣/٢) [دار الكتب العلمية ط١، ١٤٠٣هـ]، وشفاء العليل (١٨٣).

(١) تفسير ابن كثير (٥٣٦/٣).

(٢) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٥) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَنِينٌ ﴿١٦﴾﴾ [الروم]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَنِينٌ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة]، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل]. وغيرها من الآيات.

ومن السنة حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصلاة طول القنوت»^(١).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: ما يعدل الجهاد في سبيل الله ويعتق? قال: «لا تستطيعونه»، قال: فأعادوا عليه مرتين، أو ثلاثاً كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه»، وقال في الثالثة: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام، ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال القرطبي: «قيل: إن أصل القنوت في اللغة الدوام على الشيء، ومن حيث كان أصل القنوت في اللغة الدوام على

الشيء، جاز أن يسمى مديم الطاعة قانتاً، وكذلك من أطال القيام والقراءة والدعاء في الصلاة، أو أطال الخشوع والسكوت، كل هؤلاء فاعلون للقنوت»^(٣).

- وقال ابن حجر: «ذكر ابن العربي أن القنوت ورد لعشرة معان؛ فنظمها شيخنا الحافظ زين الدين العراقي، فيما أنشدنا لنفسه إجازة غير مرة:

ولفظ القنوت أعدد معانيه تجد
مزيداً على عشر معاني مرضية
دعاء خشوع والعبادة طاعه
إقامتها إقراره بالعبودية
سكوت صلاة والقيام وطوله
كذاك دوام الطاعة الرابع النيّة»^(٤).

الأقسام:

يقسم العلماء القنوت إلى نوعين:

١ - قنوت خاص:

وهو طاعة الله تعالى، وهو قنوت اختيار، ولذا كان خاصاً بالمؤمنين دون غيرهم، قال الله تعالى في وصف خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل]، وقال في حق مريم: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْغَابِطِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التحریم]، وقال تعالى

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤/١٨٥).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٢/٤٣٥) [دار الريان

للتراث، ط ٢٠١٤هـ].

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٧٨).

٥ - أنه سبب لدفع كيد الشيطان؛ لتعلق القانت بربه ولجوئه إليه^(٢).

❖ المصادر والمراجع:

١ - «إصلاح القلوب»، لعبد الهادي حسين وهبي.

٢ - «أعمال القلوب: حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة ومخالفاتهم»، لسهل العتيبي.

٣ - «أعمال القلوب وأثرها في الإيمان»، لمحمد دوكوري.

٤ - «تفسير الطبري» (ج ٢).

٥ - «تفسير القرآن»، لابن عثيمين.

٦ - «تفسير ابن كثير» (ج ٣).

٧ - «جامع الرسائل»، لابن تيمية [رسالة في قنوت الأشياء].

٨ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ٤)، للقرطبي.

٩ - «فتح الباري»، لابن حجر.

١٠ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

❖ القنوط ❖

يراجع مصطلح (اليأس والقنوط).

❖ القهار ❖

يراجع مصطلح (القهر).

في وصف عباده المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٦) الصَّكِرِينَ وَالصَّكِرَاتِ وَالْقَنِينِ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَفْرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيْتُ إِيَّانَا أَلَيْلَ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]، وهذا النوع كثير في القرآن الكثير.

٢ - قنوت عام:

وهو إخضاع وإذلال، وهو قنوت إكراه، قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنُوتٌ﴾ (٢٦) [الروم]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنُوتٌ﴾ [البقرة: ١١٦] أي: خاضعون أذلاء^(١).

❖ الآثار:

من آثار القنوت:

١ - أنه يدل على الصلاح والاستقامة على أمر الله تعالى.

٢ - أنه سبب لرضوان الله، ودخول الجنة.

٣ - أنه يورث السعادة في الدنيا والآخرة.

٤ - أن بالقنوت لله ولزوم طاعته تنال محبة الرب تعالى.

(٢) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (٣/١٨٧) [دار الوسيلة، ط الرابعة].

(١) انظر: مدارج السالكين (١/١٢٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ]، وتفسير السعدي (٦٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن المعنى الشرعي المتعلق بالله تعالى هو على غاية الكمال والجلال والإطلاق، بخلاف ما قد يكون للمخلوقين من قهر، فهو مقيد بمعنى دون معنى.

الحكم:

يجب الإيمان بأن الله تعالى متصف بالقهر، وأنه **عَلِيٌّ** القاهر للجبابرة، وهو الواحد القهار **عَلِيٌّ**.

الحقيقة:

القهر صفة لله ذاتية فعلية تدل على خضوع جميع الكائنات لمراده **عَلِيٌّ**، فهو المدبّر لها وحده، يحملهم على وفق مراده واختياره طوعاً وكرهاً، من غير أن يقدر أحد على ردّ تدبيره، أو الخروج عن تقديره **عَلِيٌّ**. ويدخل في هذا ما ذكره بعض أهل العلم في معنى هذا الاسم، أنه **عَلِيٌّ** يقهر مخلوقاته بالموت والإفناء. ويقهر الجبابرة والعتاة من خلقه بالعقوبة، والمعاندين بما أقام من الآيات والدلائل على وحدانيته. فهو وحده سبحانه الذي خضعت له الرقاب، وعنت له الوجوه، ودانت له الخلائق وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه، وعظمته وعلوه وقدرته على الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه. وكونه **عَلِيٌّ** القاهر يستلزم مجموعة من الصفات

القهر

التعريف لغة:

القهر: الغلبة. قهره قهراً: غلبه^(١).

قال الليث: «القَهْرُ الغلبة والأخذ من فوق، والله القاهر القَهَّار، قَهَّرَ خَلْقَهُ بقدرته وسلطانه فصرّفهم على ما أراد طوعاً أو كرهاً»^(٢).

وقال ابن فارس: «القاف والهاء والراء كلمةٌ صحيحةٌ تدلُّ على غَلْبَةٍ وعلُوٍّ. يقال: قَهَّرَهُ يَقْهَرُهُ قَهْرًا. والقاهر: الغالب»^(٣).

وقال الزجاج: «القهر في وضع العربية الرياضة والتذليل، يقال: قهر فلان الناقة؛ إذا راضها وذللها»^(٤).

التعريف شرعاً:

صفة ذاتية فعلية لله تعالى تدل على أنه **عَلِيٌّ** نافذ أمره في جميع خلقه، فيحيي ويميت، ويعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويفعل ما يشاء، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه^(٥)، وبأنه تعالى يقهر الجبابرة من عتاة خلقه^(٦).

(١) الصحاح (٢/٣٦٥)، القاموس المحيط (٦٠١).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢/٢٣٥).

(٣) مقاييس اللغة (٥/٣٥).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى (٣٨).

(٥) الحجة في بيان المحجة (١/١٥٠)، الحق الواضح

المبين للسعدي (٤٠).

(٦) شأن الدعاء للخطابي (٥٣).

قال ابن القيم:

«وَكذلك القَهَّارُ مِنْ أوصافِهِ
فَالخَلْقُ مَقهورُونَ بِالسُّلْطَانِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا عَزِيزًا قَادِرًا
مَا كَانَ مِنْ قَهْرٍ وَمِنْ سُلْطَانٍ»^(٤)

قال السعدي: «القهار: لجميع العالم

العلوي، والسفلي، القهار لكل شيء الذي خضعت له المخلوقات وذلت لعزته وقوته، وكمال اقتداره، وهو الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات أو دانت لقدرته ومشيئته، مواد وعناصر العالم العلوي والسفلي»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اسم الله تعالى

القهار:

من أسماء الله الحسنى الدالة على صفة القهر والمتضمنة لها: اسمه تعالى (القَهَّار)، القهار (فعال) صيغة مبالغة من القهر، مشتق من الثلاثي: قَهَرَ الدال على الغلبة والعلو والتذليل، يقال: قَهَرَ يَقْهَرُ قَهْرًا، فهو قاهر؛ أي: غالب، وقهار مبالغة منه تقتضي تكثير القهر، وقَهْر الرجل: عُلبٌ^(٦).

(٤) إكافية الشافية (شرح ابن عيسى - ٢/٢٣٢).

(٥) الحق الواضح المبين (٤٠).

(٦) انظر: تهذيب اللغة (٥/٣٩٤ - ٣٩٥) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٨٦٥) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٢/٨٠١) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن =

الأخرى التي تدل عليها صفة القهر، وهي كمال حياته وعزته وقدرته وقوته، وجميع الصفات التي لا يتم الفعل إلا بها الدالة على ربوبيته، كالخلق والإحياء والإماتة والنصرة والغلبة والملك ونحو ذلك^(١).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَيْبِيُّ﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم].

أقوال أهل العلم:

قال قوام السُّنَّة الأصبهاني: «ومن أسمائه تعالى: القاهر والقهار، ومعناه: يحييهم إذا شاء، ويميتهم إذا شاء، ويمرضهم إذا شاء، ويصحبهم إذا شاء، ويفقرهم إذا شاء، ويغنيهم إذا شاء، ولا يقدر أحد منهم - إذا حكم عليه بحكم - أن يزيل ما حكم الله به»^(٢).

قال أبو سليمان الخطابي: «هو الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر الخلق كلهم بالموت»^(٣).

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/١٥٠)، والحق الواضح المبين للسعدي (٤٠).

(٢) الحجة (١/١٥٠).

(٣) شأن الدعاء (٥٣).

والقهار: اسم من أسماء الله الحسنی، الدال على خضوع جميع الكائنات لمراده ﷻ، فهو المدبر لها وحده، يحملهم على مراده طوعاً وكرهاً من غير أن يقدر أحد على ردّ تدييره، أو الخروج عن تقديره ﷻ، فهو سبحانه وحده الذي يقهر ولا يقهر بحال^(١).

ورد هذا الاسم في ستة مواضع من القرآن الكريم، ومنها: قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ﴾ [الرعد]. كما ورد في بعض طرق حديث تعيين الأسماء المشهور. وقد أورد هذا الاسم أغلب من اعتنى بجمع الأسماء الحسنی والتصنيف في شرحها ما عدا جعفر الصادق وسفيان بن عيينة، والزجاجي، وصديق حسن خان^(٢).

- المسألة الثانية: اقتران اسم الله تعالى (القهار) باسمه (الواحد):

إن الله ﷻ هو الواحد القهار، ولم يرد اسم الله ﷻ: (القهار) في القرآن الكريم إلا مقروناً باسم: (الواحد)؛ لأن القهار لا يكون إلا واحداً، لا كفاء له

= (٦٨٧) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٧٧٠/٢) [دار إحياء التراث العربي].

(١) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (٢٠٢/١) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩]، وفقه الأسماء الحسنی (٢٥٤) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩]، وشرح أسماء الله الحسنی (١٣٦) [دار الإيمان، دار القمة].

(٢) معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنی للتميمي (٨٠-٨٤) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ].

ولا سمي ولا ند ولا مثيل، كما اقترن باسم: (الواحد)؛ للدلالة على أن الله هو وحده المستحق للعبادة والألوهية، وما سواه من الآلهة المزعومة فإنما هي مخلوقات عاجزة مقهورة، لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا، فكيف تقهر غيرها، وبهذا جادل نبي الله يوسف ﷺ صاحبيه في السجن فقال: ﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف]. فحقيقتها أنها ليس لها من الألوهية سوى الاسم الذي أعطي لها زورا وبهتانا، دون حجة ولا برهان: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٤٠].

وبهذا يتبين التلازم بين التوحيد والإيمان باسم الله (القهار)، وأن من لازم الإقرار بتفرده بالقهر أن يفرد وحده بالعبادة، وبه يُعلم فساد الشرك بجميع صورته، إذ كيف يسوّى المصنوع من تراب برب الأرباب؟ وكيف تسوّى المخلوقات المقهورة بالله الواحد القهار؟

- المسألة الثالثة: اسم الله تعالى

(القاهر):

من أسماء الله الحسنی الدالة على صفة القهر والتمتضمنة لها: اسمه تعالى (القاهر)، وقد ورد هذا الاسم في موضعين من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾

القاهر مع المبالغة والزيادة، مما يقتضي تكثيراً في القهر.

❁ الثمرات:

١ - الخضوع والتذلل لله تعالى بامثال أمره واجتناب نهيه؛ فهو القهار الذي خضع له ما في السماوات والأرض.

٢ - زيادة الإيمان واليقين في قلوب المؤمنين حين تتعلق بالقهار الذي خضع له كل شيء، وببده تصريف كل شيء، ولا يكون شيء إلا بإذنه.

٣ - الرضا بما يقضي الله ويقدر؛ إذ إنه بحكمته وقهره يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويصل ويقطع، ويحيي ويميت، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه.

٤ - من آثار تعبد المسلم لله ﷻ بهذا الاسم خضوعه الكامل لله ﷻ توحيداً له في اسمه القاهر، وعدم الخوف أو الخضوع لمن سواه من المخلوقين الضعاف المقهورين.

٥ - ومنها الاستعلاء على الأعداء بعزة الإسلام ثقةً و يقيناً في ربه القاهر، مع ضرورة الأخذ بأسباب القوة والعزة التي تمكن من قهر هؤلاء الأعداء.

❁ الآثار:

١ - الحكمة البالغة في شأن الخلق وتسيير أموره وتصريف شؤونه؛ فالله خالقه وقاهره، فكل الخلق مقهور بأمره.

[الأنعام: ١٨]، كما ورد في بعض طرق حديث تعيين الأسماء الحسنی المشهور. وهذا الاسم قد ذكره معظم من اعتنى بجمع الأسماء الحسنی وشرحها، وأسقطه كل من: الزجاج، والخطابي، والزجاجي، وابن العربي، وابن سعدي^(١).

- المسألة الرابعة: حكم تسمية المخلوق بالقاهر أو القهار:

لا يجوز تسمية المخلوق بالقاهر أو القهار؛ قال ابن القيم رحمته الله: «ومما يُمنع تسمية الإنسان به: أسماء الربّ تبارك وتعالى، فلا يجوز التسمية بالأحد والصمد؛ ولا بالخالق ولا بالرازق، وكذلك سائر الأسماء المختصة بالربّ تبارك وتعالى، ولا تجوز تسمية الملوك بالقاهر والظاهر، كما لا يجوز تسميتهم بالجبار والمتكبر؛ والأول والآخر والباطن وعلام الغيوب»^(٢).

❁ الفروق:

الفرق بين اسم الله (القاهر)، واسمه (القهار):

القاهر اسم فاعل من القهر، والقهار بوزن (فعال) وهي صيغة مبالغة من اسم الفاعل (قاهر)، فهو يدل على نفس معنى

(١) معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنی للتيمي (٨٠ - ٨٤) [أضواء السلف، ١، ١٤١٩هـ].

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (١٢٥) [دار البيان، ١، ١٣٩١هـ].

القوة

التعريف لغةً:

القوة: تدلُّ على الشدة وهي خلاف الضعف، والقوي: خلاف الضعيف، وأصل ذلك من القُوَى، وهي جَمْعُ: قوة، من قُوَى الحبل؛ أي: الطاقة من الحبل، والمُقْوِي: الذي أصحابه وإبله أقوىاء. والمُقْوِي: الذي يُقْوِي وَتَرَهُ، إذا لم يُجِدْ إغارته فتراكبت قواه. ورجلٌ شديد القُوَى؛ أي: شديد أسْرِ الخَلْق^(١)، والقوة تستعمل أحياناً بنفس معنى القدرة التي هي ضد العجز، وأحياناً بمعنى الشدة التي هي ضد الضعف^(٢).

التعريف شرعاً:

صفة ذاتية لله تعالى بأنه تعالى القوي القادر الكامل القدرة على كل شيء، فلا يعجزه شيء مهما كان^(٣).

٢ - افتقار جميع المخلوقات لخالقها وباريها، فكلها ذالة لقهره وقوته وقدرته.

٣ - عقوبة الله تعالى للظالمين وانتقامه منهم؛ فهو القهار الذي لا يفلت من قهره أي ظالم، فهو يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، للبيهقي.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٣ - «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم» (ج ٢)، لابن عيسى.
- ٤ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للتمي.
- ٥ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.
- ٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي (٥٣).
- ٧ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.
- ٨ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.
- ٩ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.
- ١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتمي.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣٦/٥، ٣٧) [دار الجيل]، والصاح (٣١٩/٦) [دار العلم للملايين، ط ٤]، والقاموس المحيط (١٧١٠) [مؤسسة الرسالة].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣٦٧/٩، ٣٦٨) [الدار المصرية]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٦٩٣، ٦٩٤) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٧٧٤، ٧٧٥) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (١١٧/١) [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ]، وشأن الدعاء (٧٧) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، وتفسير أسماء الحسنى للزجاج (٥٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشعري:

قال أبو العباس ابن تيمية: «فقد سمى الله ورسوله ﷺ صفات الله تعالى علماً وقدرة وقوة، وقد قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤] ومعلوم أنه ليس العلم كالعلم ولا القوة كالقوة، ونظائر هذا كثيرة»^(٢).

وقال ابن القيم:

«وهو القوي بقوة هي وصفه

وعليك يقدر يا أبا السلطان»^(٣)

وقال السعدي - عند ذكره لبعض الأسماء الحسنى وهي: العزيز، القوي، المتين، القدير -: «هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة»^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اسم الله (القوي):

من أسماء الله الحسنى الدالة على صفة القوة اسمه تعالى (القوي)، والقوي بوزن (فعليل) صفة مشبهة من القوة^(٥).

(٢) منهاج السنّة النبوية لابن تيمية (٥٩/٢).

(٣) متن القصيدة النونية (١٧٣) [مكتبة ابن تيمية، القاهرة ط ٢، ١٤١٧هـ].

(٤) الحق الواضح المبين للسعدي (٤٤).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٣٦٧/٩، ٣٦٨) [الدار المصرية، ومقاييس اللغة (٨٦٦) [دار الفكر، ط ٢،

١٤١٨هـ]، والصحاح (٢٤٦٩/٦، ٢٤٧٠)،

ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٦٩٣، ٦٩٤)، =

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، إلا أن المعنى المتعلق بالله تعالى هو على غاية الكمال؛ فلا يجتمع معه أي عجز، بخلاف ما إذا أضيفت القوة لغير الله تعالى، فإنها قوة متناهية، ومقيدة في حال دون حال^(١).

الحكم:

وجوب الإيمان بصفة القوة لله تعالى، وأنها على غاية الكمال وتمام الاقتدار، فلا يعجزه تعالى شيء في الأرض ولا في السماء.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتِ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات].

(١) انظر: شأن الدعاء (٧٧).

والقوي معناه: الموصوف بالقوة ﷻ،
التام القوة، الذي لا يستولي عليه العجز
أو الضعف بحال من الأحوال، ولا يغلبه
غالب، ولا يرد تقديره رادّ، ينفذ أمره
ويمضي قضاؤه في خلقه، له مطلق الأمر
والمشيئة في مملكته، والمخلوق وإن
وُصِف بالقوة، فإن قوته متناهية، وعن
بعض الأمور قاصرة^(١).

كما أن هذا الاسم ورد في معظم
طرق حديث تعيين الأسماء المشهور،
سوى طريق عبد العزيز بن الحصين^(٥).

كما أن أغلب من اعتنى بجمع
الأسماء الحسنى وشرحها قد ذكره، ولم
يسقطه سوى سفيان بن عيينة،
والحليمي، والبيهقي.

وشواهد قوته ﷻ وقدرته تتجلى في
مظاهر عدة، لعل أبرزها ما نشهده في
هذا الكون من العظمة والسعة والانتان
التي تدل على عظمة خالقه وصانعه،
وعظيم قوته وقدرته، وقيام السماوات
والأرض وما فيهما بأمره وحفظه خير
دليل على قوته وقدرته التي لا يعجزه
فيها شيء، فهو ﷻ فعّال لما يريد، لا
يقع شيء في هذا العالم من حركة أو
سكون، أو خفض أو رفع، أو عز أو

قال الطبري في تفسير قوله تعالى:
﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٥٢)
[الأنفال] «إن الله قوي لا يغلبه غالب،
ولا يرد قضاءه رادّ، يُنفذ أمره، ويمضي
قضاءه في خلقه»^(٢).

وقال ابن القيم: «القوي من أسمائه،
ومعناه: الموصوف بالقوة»^(٣).

وقال أيضًا:

«وهو القوي بقوة هي وصفه

وعليك يقدر يا أبا السلطان»^(٤).

وقد ورد هذا الاسم في تسعة
مواضع من القرآن الكريم؛ منها قوله
تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٥٢)

= والمعجم الوسيط (٢/٧٧٤، ٧٧٥).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/١٩) [مؤسسة الرسالة،
ط ١، ١٤٢٠هـ]، وشأن الدعاء (٧٧)، واشتقاق
أسماء الله (١٤٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ]،
والأسماء والصفات للبيهقي (١/١١٧)، وفقه الأسماء
الحسنى (١٥٥) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩].

(٢) تفسير الطبري (١٣/١٩).

(٣) مدارج السالكين (١/٢٨) [دار الكتاب العربي،
ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٤) متن الفريدة النونية (١٧٣).

(٥) أخرج طريقه الحاكم في المستدرک (كتاب الإيمان،
رقم ٤٢).

وقد تقدم الكلام عن هذا الحديث في مصطلح
(الأسماء الحسنى)، وبيان أن هذه الأسماء مدرجة
في الحديث، ولا تصح مرفوعة. والله أعلم.

وانظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله
الحسنى للتميمي (٨٠ - ٨٤، ١٦١) [أضواء
السلف، ط ١، ١٤١٩هـ]، وأسماء الله الحسنى
للغصن (٣٤٢) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٧هـ].

ذل، أو عطاء أو منع، إلا بإذنه. ومن شواهد قوته نصره لأنبيائه وتأييده لأوليائه، وإهلاكه للظالمين، وانتقامه من المجرمين أعداء الأنبياء والصالحين، وما أحلّه بهم من أنواع العذاب والعقوبة.

- المسألة الثانية: تسمية الله تعالى بالأقوى:

الثمرات:

لهذه الصفة العديد من الآثار التعبدية التي يحسن من العبد الالتفات إليها والالتزام بها، ومنها:

١ - التعبد لله تعالى بقوته، فيتوكل المؤمن عليه ويلتجئ إليه، ويستعذ به، ويدعوه وحده لا شريك له.

٢ - قوة المؤمن من يقينه بقوة ربه ومولاه.

٣ - اليقين بوعد الله الصادق بأنه سبحانه ناصر عباده المؤمنين، وخاذل كل من يعاديه ويعادي أوليائه.

٤ - الافتقار إلى الله تعالى، وإظهار الضعف والتذلل والانكسار بين يديه.

٥ - البراءة من كل قوة إلا بالله تعالى، ودوام ذكر الله تعالى به (لا حول ولا قوة إلا بالله).

٦ - طمأنينة المؤمن وطيب حياته؛ إذ إنه يأوي إلى القوي العزيز، فلا راد لأمره ولا معقب لحكمه، ولا غالب لمن ينصره.

عَدُّ بعض أهل العلم من أسماء الله الحسنى الدالة على صفة القوة اسمه تعالى (الأقوى)، وهو أفعل تفضيل من القوة، والقوة تدل على شدة وخلاف ضعف^(١)، ولم يذكر اسم (الأقوى) إلا ابن الوزير^(٢)، وهو ممن يتوسع في عدّ الأسماء الحسنى، ومن المتقرر أن أسماء الله توقيفية؛ فلا يصح تسمية الله بما لم يرد في النصوص الشرعية، ولم يرد اسم (الأقوى) في النصوص بهذه الصورة، ولعله مأخوذ عند من أطلقه من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فُصِّلَتْ: ١٥].

الفروق:

الفرق بين القوة والقدرة:

أولاً: «القدرة يقابلها العجز، والقوة

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣٦/٥) [دار الفكر]، وتهذيب اللغة (٢٧٤/٩، ٢٧٥) [دار إحياء التراث العربي]، ط ١. ولسان العرب (٢٠٦/١٥) [دار صادر، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٢) إشار الحق على الخلق (١٥٩) [دار الكتب العلمية، ط ٢].

(٣) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٢٠٤ - ٢٠٥) [دار ابن الجوزي، ط ٥، ١٤١٩هـ].

- ٧ - تحقيق الخوف من الله تعالى عبادة له؛ فهو القوي الشديد بطشه، والأليم أخذه.
- ٨ - أن في معرفة قوة الله ﷻ القوة التامة والكاملة تحمل العبد على تعظيم الله ﷻ وإجلاله، فالأمور كلها بيده، ولا يعجزه شيء ﷻ.

الآثار:

- ١ - قيام الكون كله بالعدل والحكمة والإتقان، فخالقه القوي ذو القدرة الكاملة، والمشيتة النافذة على كل شيء.
- ٢ - العاقبة الحسنة التي يحظى بها الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم؛ فالله معهم، وهو ناصرهم ومؤيدهم، وقد قال سبحانه: ﴿إِنْ يَصْرُوكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠].
- ٣ - عاقبة السوء والعذاب التي ينتهي إليها أعداء الرسل، فمن يحارب القوي العزيز فلن يجد إلا الهلاك والدمار، وقد قال تعالى: ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَصْرُوكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكُفْرَانَ إِلَّا فِي عُرُورٍ﴾ [الملك].

القوي

يراجع مصطلح (القوة).

القياس (١)

التعريف لغة:

يقول ابن فارس: «القاف والواو

(١) تفصيل القول في القياس وأحكامه وشروطه وأركانه وحجتيه وصوره... إلخ، ميسوط في كتب أصول الفقه وفي كتب المنطق، وإنما نذكر هنا ما يتعلق بالاعتقاد من ذلك.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، للبيهقي.

والسين أصلٌ واحدٌ يدلُّ على: تقدير شيءٍ بشيءٍ، ثم يُصَرَّفُ فتقلبُ واوُه ياءً، والمعنى في جميعه واحد.

وتقلب الواو لبعض العِلَل ياءً فيقال: بيني وبينه قيسٌ رُمحٌ؛ أي: قَدَرُه، ومنه القياسُ، وهو تَقديرُ الشَّيءِ بالشيءِ، والمقدار مِقْيَاسٌ. تقول: قَايسَتُ الأمرينِ مُقَايسَةً وَقْيَاسًا^(١).

«وَقِسْتُ الشيءَ بغيره وعلى غيره أقيسُ قَيْسًا وَقْيَاسًا فانقاس؛ إذا قَدَرْتَه على مثاله»^(٢).

التعريف اصطلاحًا:

تعريف القياس اصطلاحًا يختلف باختلاف أنواعه، وهو على نوعين:

١ - قياس التمثيل، ويسمى: القياس الفقهي، كما يسمى: قياس الشاهد على الغائب.

وتعريفه: حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما^(٣).

٢ - قياس الشمول، ويسمى: القياس المنطقي.

ويعرفونه بأنه: قول مؤلف من قضايا، إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر^(٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية موضحًا معنى القياسين: «قياس الشمول هو: انتقال الذهن من المعين إلى المعنى العام المشترك الكلي المتناول له ولغيره، والحكم عليه بما يلزم المشترك الكلي، بأن ينتقل من ذلك الكلي اللازم إلى الملزوم الأول - وهو المعين - فهو انتقال من خاص إلى عام، ثم انتقال من ذلك العام إلى الخاص، من جزئي إلى كلي، ثم من ذلك الكلي إلى الجزئي الأول، فيحكم عليه بذلك الكلي.

وأما قياس التمثيل، فهو: انتقال الذهن من حكم معين إلى حكم معين؛ لاشتراكهما في ذلك المعنى المشترك الكلي؛ لأن ذلك الحكم يلزم ذلك المشترك الكلي»^(٥).

وكلا القياسين من التمثيل والشمول يستعملان على وجهين:

الوجه الأول: قياس المساواة، وهو:

(٤) انظر: التعريفات للجرجاني (٢٣٢) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ]، والتوقيف على مهمات التعاريف للنماوي (٥٩٥) [دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١٠هـ]، وإيضاح المبهم من معاني السلم (١٢) [مطبعة البابي الحلبي، ١٣٤٢هـ]، والمعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية (١٤٩) [المطابع الأميرية، ط١، ١٤٠٢هـ]، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/ ٢٠٧) [الشركة العالمية للكتاب، ١٤١٤هـ].

(٥) الرد على المنطقيين (١١٩، ١٢٠) [دار المعرفة].

(١) مقاييس اللغة (٤٠/٥) [دار الجيل، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) لسان العرب (١٨٦/٦) [دار صادر، ط١].

(٣) روضة الناظر (٢٧٥) - جامعة الإمام، ط٤، ١٣٩٩هـ]. وانظر: قواطع الأدلة للسمعاني (٧٠/٢)

[دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ]، والبرهان للجويني

(٤٨٧/٢) [دار الوفاء، ط٤]، ومعيار العلم في

المنطق للغزالي (١٠٥) [المطبعة الغربية بمصر، ط٢،

١٣٤٦]، وطرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة

والأصوليين (٢٨٥) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢١هـ].

أ - قياس المساواة. ب - وقياس الأولى.

القسم الثاني: أن يكون فيما بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فلا يجوز استعمال قياس المساواة، وإنما يجوز في ذلك قياس الأولى.

وفيما يلي تفصيل ذلك وبيان أدلته وأمثله وأقوال العلماء في كل قسم منه:

القسم الأول: أن يكون فيما بين صفات الله تعالى نفسها، وأفعاله.

أي: يكون في اعتبار شيء من صفات الله تعالى أو أفعاله - مما ينكره المخالف - بصفات أو أفعال أخرى مما يقر به المخالف.

والحكم في هذا القسم أنه يجوز استعمال القياسين:

أ - قياس المساواة.
ب - وقياس الأولى.

الأمثلة:

أ - مثال استعمال قياس المساواة في ذلك:

- قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم]

فقياس النظير على النظير؛ ودلّ بفعله المتحقق بالمشاهدة من إخراج وإحياء على بعث الأموات الذي استبعده وأنكره؛ إذ الفعل الموعود نظير

أن يكون الغائب مماثلاً أو مقارباً للشاهد.

الوجه الثاني: قياس الأولى، وهو أن يكون الغائب أولى بالحكم من الشاهد^(١).

والتحقيق أن حقيقة القياسين (قياس التمثيل وقياس الشمول) راجعة إلى معنى واحد، فحقيقتهما سواء، واختلافهما إنما هو في صورة الاستدلال، «وذلك أن قياس الشمول مبناه على اشتراك الأفراد في الحكم العام وشموله لها، وقياس التمثيل مبناه على اشتراك الاثنين في الحكم الذي يعمهما ومآل الأمرين واحد»^(٢).

❁ الحكم:

حكم استعمال القياس في العقيدة والتوحيد.

استعمال القياس فيما يتعلق بالله وصفاته على قسمين^(٣):

القسم الأول: أن يكون فيما بين صفات الله تعالى نفسها، فيجوز استعمال القياسين:

(١) انظر: درة التعارض (٢٩/١)، و(١٥٤/٧)، ١٥٥، ٣٢٢ - ٣٢٤، ٣٦٢، (٣٦٣) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٢٩٦) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وشرح العقيدة الأصفهانية (٧٤)، وآثار المثل الأعلى لعيسى السعدي [بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى].

(٢) الرد على المنطقيين (٣٣٦٤ - ٣٣٦٥). وانظر: درة تعارض العقل والنقل (١٢٦/٦).

(٣) انظر: آثار المثل الأعلى لعيسى السعدي.

الفعل المشاهد^(١).

الأدلة:

١ - انتفاء القياس في حقه تعالى مبني على أصل عظيم، وهو أن الله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]

والقياس - أي: قياس المساواة، تمثيلاً كان أو شمولاً - مبني على نوع تماثل بين الأصل والفرع.

فلما نفي التماثل فيما بينه تعالى وبين خلقه كان ذلك دليلاً على منع القياس في حقه تعالى، بل إن ذلك من الشرك بالله؛ لأنه يتضمن التسوية بين الله ومخلوقاته^(٣).

فإذا حكموا على القدر المشترك - الذي هو الحد الأوسط - بحكم يتناوله والمخلوقات، كانوا بين أمرين: إما أن يجعلوه كالمخلوقات، أو يجعلوا المخلوقات مثله، وهذا من أبطل الباطل^(٤).

٢ - أن استعمال القياس قائم على إثبات قضية كلية تعمّ المقيس والمقيس عليه، وهي ما يسمى: (العلة) في قياس التمثيل، و(الحد الأوسط) في قياس الشمول.

وهذه القضية الكلية التي ينبنى عليها القياس لا يمكن إثباتها بيقين في باب

ب - ومثال استعمال قياس الأولى في ذلك:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران]، فقياس القدرة على خلق عيسى على القدرة على خلق آدم؛ لأنّ من قدر على الخلق من غير أب ولا أم فقد رتبته على الخلق بأمر من غير أب من باب أولى^(٢).

القسم الثاني: أن يكون فيما بين صفات الخالق والمخلوق.

فلذلك حالتان:

الحالة الأولى: إن كان من باب قياس المساواة: فهو ممتنع ومحرم، بل هو من التمثيل والشرك بالله، سواء كان قياس تمثيل أو قياس شمول.

وعلى هذا تحمل أقوال السلف في المنع من القياس في العقيدة والتوحيد، وسيأتي بعضها.

(١) انظر: أعلام الموقعين (١/١٤٣، ١٤٤، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٦) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٦].

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/٥٥) [دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٩هـ]، ولأمثلة أخرى انظر: درء التعارض (١/٣٢ - ٣٨) و(٧/٣٦٢ وما بعدها)، وشرح الأصفهانية (١١٧) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ]، وبيان تلبيس الجهمية (٢/٥٣٥) [مطبعة الحكومة، ط ١، ١٣٩٢هـ]، وإعلام الموقعين (١/١٣٠) [دار الجيل، ١٩٧٣م]، ومفتاح دار السعادة (٢/٧٦، ٧٧) [دار الكتب العلمية]، وآثار المثل الأعلى لعيسى السعدي.

(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/١٢٥) [دار الراجية، ط ٢، ١٤١٩هـ]، ومجموع الفتاوى (١٣/١٦٤)، وبيان تلبيس الجهمية (٢/٥٣٦).

(٤) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (٧٤، ٧٥).

التوحيد، وذلك للعلم بوجود الفارق بين المقيس والمقيس عليه، فبطل القياس.

❁ أقوال أهل العلم:

مما ورد عن أهل العلم في المنع من استعمال قياس المساواة في حق الله تعالى ما يلي:

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في رده على المريسي: «أولم تسمع أيها المريسي قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وكما ليس كمثلته شيء ليس كسمعه سمع، ولا كبصره بصر، ولا لهما عند الخلق قياس ولا مثال ولا شبيه، فكيف تقيسهما أنت بشبه ما تعرف من نفسك، وقد عبت على غيرك»^(١).

وللقاضي أبي يوسف - صاحب أبي حنيفة - رحمهما الله كلام نفيس حول ذم القياس في الاعتقاد، يقول فيه: «ليس التوحيد بالقياس، ألم تسمع إلى قول الله ﷻ في الآيات التي يصف بها نفسه أنه عالم قادر قوي مالك، ولم يقل: إني قادر عالم لعلة كذا أقدر، ولسبب كذا أعلم، ولهذا المعنى أملك، فلذلك لا يجوز القياس في التوحيد، ولا يعرف إلا بأسمائه، ولا يوصف إلا بصفاته... فقد أمرنا الله أن نوحده،

(١) نقض الدارمي على المريسي (٣٠٨/١) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٨هـ].

وليس التوحيد بالقياس؛ لأن القياس يكون في شيء له شبه ومثل، والله لا شبه له ولا مثل، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون]، ثم قال: وكيف يدرك التوحيد بالقياس، وهو خالق الخلق بخلاف الخلق، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، تبارك وتعالى، ولو توسع على الأمة التماس التوحيد ابتغاء الإيمان برأيه وقياسه وهواه إذا لضلوا»^(٢).

وقال الإمام ابن عبد البر: «لا خلاف بين فقهاء الأمصار وسائر أهل السنة وهم أهل الفقه والحديث في نفي القياس في التوحيد»^(٣).

وقال: «والقياس غير جائز في صفات الباري تعالى؛ لأنه ليس كمثلته شيء»^(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في ذكر عقيدة أهل السنة: «ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمى له، ولا كفوله، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه ﷻ»^(٥).

الحالة الثانية: إن كان من باب قياس الأولى فهو جائز.

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٢٢ - ١٢٥).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٧٦/٢) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].

(٤) التمهيد لابن عبد البر (١٩/٢٣٢) [طبعة وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ].

(٥) العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/١٣٠).

❁ الأدلة:

فيما بين المخلوق والخالق تتبين بأمرين:

الأول: أن كل كمال مطلق ممدوح لنفسه ثبت للممكن أو المحدث المخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالخالق أولى به.

والكمال المطلق هو الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وهو ما كان كمالاً للموجود غير مستلزم للعدم، وهو الكمال الذي يستحقه الموجود من جهة وجوده.

ويحترز بذلك عن الكمال النسبي، فإنه مستلزم للنقص، وهو ما كان كمالاً للمخلوق، ولكنه نقص بالنسبة إلى الخالق لاستلزامه نقصاً، فهو كمال من وجه دون وجه، كالأكل والشرب مثلاً، فإن الصحيح الذي يشتهي الأكل والشرب من الحيوان أكمل من المريض الذي لا يشتهي الأكل والشرب؛ لأن قوامه بالأكل والشرب، فهذا الكمال للمخلوق في الحقيقة ليس كمالاً مطلقاً، بل هو كمال نسبي؛ لأنه يستلزم نقصاً، كاستلزامه لحاجة المخلوق للأكل والشرب، وهو مستلزم لخروج شيء منه كالفضلات، وهذا نقص يتنزه الله عنه، فلا يثبت له مثل هذا الكمال النسبي؛ لأنه نقص في الحقيقة^(١). وقد تقدم مثال ذلك من النصوص.

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

❁ الحقيقة:

من أنواع القياس:

- ١ - قياس التمثيل: حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما.
 - ٢ - قياس الشمول: وهو انتقال الذهن من المعين إلى المعنى العام المشترك الكلي المتناول له ولغيره.
- ويستخدم في القياس قياس المساواة، وهو: أن يكون الغائب مماثلاً أو مقارباً للشاهد.
- وكل هذا لا يستخدم في حق الله تعالى.

ويستخدم القياس بمعنى: قياس الأولى.

وحقيقة قياس الأولى (المثل الأعلى)

(١) انظر: الرسالة الأكملية ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨٧/٦، ١٣٧).

كل ذم (٣).

ولا يدخل في ذلك ما كان نقصاً في حق المخلوق لكونه من خصائص الربوبية، كالتعالي والتكبر والثناء على النفس وأمر الناس بعبادته ودعائه والرغبة إليه ونحو ذلك مما هو من خصائص الربوبية، هذا كمال محمود من الرب تبارك وتعالى، وهو نقص مذموم من المخلوق، فهذه كلها صفات كمال لا يستحقها إلا هو، فما لا يستحقه إلا هو كيف يكون كمالاً من غيره وهو معدوم لغيره؟! فمن ادّعاها كان مفترياً منازعاً للربوبية في خواصها، ذلك أن الكمال المختص بالربوبية ليس لغيره فيه نصيب، فهذا تحقيق اتصافه بالكمال الذي لا نصيب لغيره فيه، ومثل هذا الكمال لا يكون لغيره، فادّعاؤه منازعة للربوبية، وفرية على الله (٤).

ومثال ذلك: أن المشركين كانوا يرون البنات نقصاً، ومع ذلك يزعمون أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم، فكان الجواب عليهم بأنهم إذا كانوا ينزهون أنفسهم عن البنات ويرونها نقصاً، فالله تعالى أولى بالتنزه عنها، كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ

وإثبات الصفة للخالق بطريق قياس الأولى إنما يكون مع التفاوت الذي لا يضبطه العقل، كما لا يضبط التفاوت بين الخالق وبين المخلوق، بل إذا كان العقل يدرك من التفاضل الذي بين مخلوق ومخلوقٍ ما لا ينحصر قدره، وهو يعلم أن فضل الله على كل مخلوقٍ أعظم من فضل مخلوقٍ على مخلوقٍ، كان هذا ممّا يبيّن له أن ما يثبت للربّ أعظم من كلّ ما يثبت لكلّ ما سواه بما لا يدرك قدره (١).

الثاني: أن كل نقص وعيب في نفسه إذا وجب نفيه عن شيء ما من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات فإنه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الأولى.

والمقصود بما كان نقصاً وعيباً في نفسه: ما لا كمال فيه، وهو ما تضمن سلب الكمال عن ذلك المخلوق؛ أي: ما تنزّه عنه الموجود لكمال وجوده (٢).

وبناء على ذلك فالخالق أحق بالأمر الوجودية من كل موجود، وأما الأمور العدمية فالممكن المحدث بها أحق، فهو سبحانه أحق بكل حمد وأبعد عن

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤٥/٩).

(٢) انظر: درء التعارض (١/٢٩ - ٣٠) (٣٠/٧)، ١٥٤،

١٥٥، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٦٢، ٣٦٣، مجموع

الفتاوى (١/٤٨) (٣/٣٠، ٢٩٧) (٩/١٤٥) (١٢/

٣٥٠)، وشرح الأصفهانية (٧٤).

(٣) انظر: درء التعارض (١/٣٠) (٧/١٥٤، ١٥٥).

(٤) انظر: الرسالة الأكملية ضمن مجموع الفتاوى لابن

تيمية (٦/١٣٦ - ١٣٨).

الآدميين، وأحقّ بالكلام منهم، وهو تعالى منزّه عن مماثلة الناقصين، المعدوم والموات^(٢).

✽ الأركان:

قياس التمثيل (القياس الفقهي) له أربعة أركان:

- ١ - الأصل.
- ٢ - الفرع.
- ٣ - الجامع بينهما (العلة).
- ٤ - الحكم^(٣).

وتوضيح ذلك ما ذكره ابن القيم في سياقه لأدلة القياس وأمثلته بقوله: «ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام]، فهذا قياسٌ جلّي، يقول سبحانه: إن شئت أذهبتم واستخلفت غيركم، كما أذهبت من قبلكم واستخلفتكم، فذكر أركان القياس الأربعة:

علة الحكم، وهي: عموم مشيئته وكمالها.

(٢) انظر: إقامة الدليل على بطلان التحليل لابن تيمية ضمن الفتاوى الكبرى (٦/٤٥٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٣) انظر: المستصفي للغزالي (١/٢٨٠، ٣٢٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ]، وروضة الناظر (٣١٥)، الإبهاج للسبكي (٣/٣٧) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٤هـ].

ظَلَّ وَجْهَهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَهَيْمَةٍ ﴿٥٨﴾ يَنْوَرِي مِنْ الْفَوْزِ مِنْ سُوءٍ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمِسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ [النحل] إلى قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم]، فهذا احتجاج عليهم بقياس الأولى^(١).

مثال آخر في النفي: أن الله عاب الأصنام بأنها لا تسمع ولا ترجع القول، فقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [٨٩] [طه]. وهذه الحجّة من باب قياس الأولى، وهي من جنس الأمثال التي ضربها الله في كتابه، فإنّ الله تعالى عاب الأصنام بأنها لا ترجع قولًا، وأنها لا تملك ضرًّا ولا نفعًا، وهذا من المعلوم ببداية العقول أنّ كون الشيء لا يقدر على التكلّم صفة نقص، وأنّ المتكلّم أكمل من العاجز عن الكلام، وكلّما تنزّه المخلوق عنه من صفة نقص فالله تعالى أحقّ بتنزيهه عنه، وكلّما ثبت لشيء من صفة كمال فالله تعالى أحقّ باتصافه بذلك، فالله أحقّ بتنزيهه عن كونه لا يتكلّم من الأحياء

(١) انظر: درة التعارض (٧/٣٦٢، ٣٦٣).

والحكم، وهو: إذهابه بهم وإتيانه بغيرهم.

والأصل، وهو: من كان من قبل. والفرع: وهم المخاطبون^(١).

المسائل المتعلقة:

- المثل الأعلى:

جاء ذكر المثل الأعلى في موضعين من كتاب الله تعالى، قال ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم: ٢٧]. وللسلف ثلاثة أقوال في المثل الأعلى:

القول الأول: أن المراد بالمثل الأعلى: تنزيه الرب عن وجود المثل. عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ قال: «يقول: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^(٢).

وعلى هذا القول يحتمل تحريم قياس المساواة بين الخالق والمخلوق، تمثيلاً كان أو شمولاً.

القول الثاني: أن المثل هو الصفة، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩]، فالمثل الأعلى يراد به: الصفة العليا^(٣).

(١) انظر: إعلام الموقعين (١/١٣٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/١١) [دار الفكر، ١٣٠٥هـ]، وسنده حسن.

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/٧٣، ٤٨١) [دار المعرفة، ط٢]، وتفسير القرطبي (٩/٣٢٤) و(١٠/١١٩) و(١٤/٢٢) [دار الكتب المصرية، ط٢]، وزاد

وعلى هذا القول يحتمل جواز قياس الأولى فيما بين صفات الخالق والمخلوق؛ أي: الاستدلال بصفات المخلوق على صفات الخالق عن طريق قياس الأولى، سواءً أكانت صورته تمثيلاً أو شمولاً، فكل ما ثبت للمخلوق من صفات الكمال المطلق فإن الخالق أولى به، وكل ما تنزه عنه المخلوق من صفات النقص فإن الخالق أولى بالتنزه عنه^(٤).

القول الثالث: أن المثل الأعلى كلمة التوحيد^(٥).

وهذه الأقوال لا منافاة بينها، فكلها ثابتة في معنى الآيتين.

الآثار:

لقد كان للقياس الفاسد في مجال الاعتقاد آثاراً بالغة السوء، ومن ذلك:

- نشوء عقيدة التمثيل، وبزوغ فرق الممثلة، فإن قياس التمثيل والشمول المساوي مندرج ضمن تمثيل الله بخلقه.

المسير لابن الجوزي (٤/٥٩٩) و(٦/٢٩٨) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٧هـ]، وتفسير ابن كثير (٢/٥٧٣) [مكتبة دار التراث بالقاهرة].

(٤) انظر: درة المعارض (١/٢٩، ٣٠)، (٧/٣٦٢)، والرّسالة التدمرية (٥٠) [مكتبة العبيكان، ط١]، وتفسير السّعدي (٦/١٢٣) [المؤسسة السّعيدية بالرياض].

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/١٤/١٢٥)، (١١/٢١/٣٨)، وتفسير البغوي (٣/٧٣)، وتفسير القرطبي (١٠/١١٩).

ملكه تام، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يخفى عليه خافية^(٢).

وكذا قاس المعتزلة الخالق على المخلوق، فزعموا أن ما حَسَنَ وَقَبِحَ من المخلوقين حسن وقبح من الخالق، وأن الظلم الذي ينزه الله عنه هو نظير الظلم الذي يقع من الآدميين، فكانوا مشبهة في الأفعال، معطلة في الصفات^(٣).

قال ابن تيمية مبيِّناً الآثار السيئة لاستعمال القياس الفاسد في الاعتقاد: «ولهذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية لم يصلوا بها إلى اليقين، بل تناقضت أدلتهم، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها»^(٤).

❖ مذهب المخالفين:

لقد كان منشأ الغلط عند كثير من النفاة للصفات هو استعمالهم للمقاييس الباطلة - من قياس المساواة، تمثيلاً أو

- نشوء طوائف التعطيل، فإن أساس التعطيل قياس الله على خلقه، فإن المعطلة قاسوا صفات الله على صفات خلقه ابتداءً، فوقعوا في التمثيل أولاً، ثم فرّوا منه إلى التعطيل^(١).

- ضعف خشية الله وتعظيمه، فإن من قاس الله بخلقته وشبَّهه بهم قلَّتْ هيبة الله في نفسه، ولهذا كان أصحاب القياس الفاسد من الفلاسفة ونحوهم من أبعد الناس عن تحقيق مراتب الزهد والورع، والأدب مع الله.

- كما نشأ عن القياس الفاسد كثيرٌ من العقائد الباطلة، كالاستشفاع بالأولياء والصالحين وأصحاب القبور، ودعائهم مع الله، وذلك بالقياس الفاسد على ملوك الدنيا الذين يتم التقرب إليهم بالوسطاء بدون إذنهم، فقاسوا الله تعالى على ذلك، وفساد هذا القياس من جهة أن ملوك الدنيا في ملكهم قصور، فهم يقبلون الشفاعة لحاجتهم للشافع بنوع من الحاجة، وفي علمهم قصور، فلا يعلمون حال المستشفع، والله تعالى

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧/٥، ٢٠٩)، ودرء التعارض (١٩/٧)، ومدارج السالكين (٣/٣٦٠) [دار الكتاب العربي، ط ٢]، والصواعق المرسله (٢٤٤/١). وانظر مثال ذلك القياس في: المختصر في أصول الدين لعبد الجبار - ضمن رسائل العدل والتوحيد (١٨٣/١) [دار الهلال]، والتمهيد في أصول الدين للنسفي (٣٧) [المكتبة الأزهرية]، وأساس التقديس للرازي (١٠٣ - ١١٠) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٢) انظر: التوسل والوسيلة لابن تيمية (١١) [المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٩١/٨)، وشرح العقيدة الأصبهانية (١٩٩)، ومفتاح دار السعادة (١٠٦/٢، ١١٣) [دار الكتب العلمية]، والصواعق المرسله (١٤٩٣/٤، ١٥٤٤). وانظر في الجواب على تمثيلهم وقياسهم هذا: منهاج السنة النبوية (١٥١/٣) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٠٦هـ]، ومفتاح دار السعادة (٥٢/٢ - ٥٥، ١١٣)، وكذلك: الملل والنحل للشهرستاني (١٩) [مؤسسة الحلبي].

(٤) درء التعارض (٢٩/١).

وقد يستعملونه على وجه قياس الشمول، فيقولون: المخلوق متصف بالصفات، وكل متصف بالصفات جسم، والنتيجة: المخلوق جسم، والله ليس بجسم؛ لأنه لا يتصف بالصفات.

فوجه غلطهم في هذا القياس أنهم أدخلوا الخالق والمخلوق في قضية كلية استوى فيها الأصل والفرع، وهذه القضية الكلية هي زعمهم أن كل ما كان متصفاً بالصفات فإنه جسم، فهم في الحقيقة قد مثلوا قبل أن يعطلوا، فكانوا أولى بلقب الممثلة، «ولهذا قال بعض أهل العلم: إن كل معطل مشبه، ولا يستقيم له التعطيل إلا بعد التشبيه»^(٤).

ثم إن هذه القضية التي زعموها كلية (كل متصف بالصفات جسم) جعلوها عامة للخالق والمخلوق، وهم لا يستطيعون أن يثبتوا عمومها إلا بقياس التمثيل أو قياس الشمول، وقياس التمثيل أو الشمول لا يمكن الاعتماد عليه فيما بين الخالق والمخلوق كما سبق، لثبوت الفارق، فبطل قياسهم من أصله^(٥).

وعامة أقوال النفاة للصفات - من مختلف الفرق - مبنية على قياسهم الفاسد للخالق بالمخلوق، وهو نوع من أنواع التشبيه.

شمولاً - فيما يتعلق بالله تعالى . فترى بعضهم يصرح بأننا لو وصفنا الله بالاستواء على العرش لكان يعلو عليه مثل علو الملك على السرير^(١).

ويقرر نفاة الصفات أنه لو كان متصفاً بصفة العلم مثلاً لوجب أن يكون علمه في القلب وأن يكون له قلب كأحدنا^(٢)، تعالى الله .

فهم يقررون أنه لو كان الله متصفاً بالصفات أو ببعض الصفات لكان جسماً، قياساً على المخلوق، والله ليس بجسم، فوجب نفي الصفات عنه^(٣).

وكل هذا من قياس التمثيل، فإنهم قاسوا الخالق على المخلوق بجامع الاتصاف بالصفة، والحكم هو: ثبوت الصفة للجسم (المخلوق)، وانتفاء الصفة عما ليس بجسم (الخالق) بزعمهم.

(١) انظر: التمهيد في أصول الدين للنسفي (٣٧)، وأساس التقديس (١١٠) [دار الجيل، ط١، ١٤١٣هـ].

(٢) انظر: المختصر في أصول الدين لعبد الجبار المعتزلي - ضمن رسائل العدل والتوحيد (١٨٣/١) [دار الهلال].

(٣) انظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار (٣٤٧ - ٣٤٨) [الدار التونسية]، وشرح الأصول الخمسة له (٦٦) [مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ]، ومعالم أصول الدين للرازي (٤٨، ٤٩) [مركز الكتاب للنشر، ط١، ٢٠٠٠م]، وغاية المرام للأمدى (١٣٧، ١٣٨) [المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٩٠هـ]، وشرح المقاصد للتفتازاني (٦٧/٢) [دار المعارف النعمانية، ط١، ١٤٠١هـ]، والمسامرة شرح المسامرة (٥٤) [المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٤) الصواعق المرسله (٢٤٤/١) [دار العاصمة، ط٣].

(٥) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (٧٤، ٧٥)، والتحفه المهدية (١٣٠) [دار الوطن، ط١، ١٤١٤هـ].

- قال الإمام ابن بطة العكبري رحمته الله - عمن نفى صفة اليدين لله فراراً من التشبيه -: «قالوا: (لا نقول إن لله يدين؛ لأن اليدين لا تكون إلا بالأصابع وكف وساعدين وراحة ومفاصل)، ففرّوا بزعمهم من التشبيه، ففيه وقعوا، وإليه صاروا، وكل ما زعموا من ذلك فإنما هو من صفات المخلوقين، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»^(١).
- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما ما يفعله طوائف من أهل الكلام من إدخال الخالق والمخلوقات تحت قياس أو تمثيل يتساويان فيه فهذا من الشرك والعدل بالله، وهو من الظلم، وهو ضرب الأمثال لله، وهو من القياس والكلام الذي ذمه السلف وعابوه»^(٢).
- ٥ - «درء التعارض»، لابن تيمية.
٦ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.
٧ - «الصواعق المرسلّة»، لابن القيم.
٨ - «القياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة»، لأحمد بن شاكر الحذيفي.
٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
١٠ - «نظرية القياس الأرسطي: عرضاً ونقداً»، لمحمد سعيد صباح.

❏ قيام الحجّة ❏

❁ التعريف لغة:

القيام: من قام يقوم قياماً، يقال: قام الأمر، اعتدل واستقام^(٣).

الحجّة: بمعنى البرهان والدليل، وقيل: الحجّة ما دافع به الخصم. حجّه يحجّه حجّاً، فهو محجوج وحجيج؛ أي: غلبه على حجته، وهو رجل محجاج؛ أي: جدل. وفي الحديث: «فحجّ آدم موسى»^(٤)؛ أي: غلبه بالحجّة. وفي حديث الدجال: «إن يخرج وأنا فيكم

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «آثار المثل الأعلى»، لعيسى السعدي [بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى].
٢ - «إعلام الموقعين»، لابن القيم.
٣ - «بيان تلبيس الجهمية»، لابن تيمية.

٤ - «الحجّة في بيان المحجّة»، لقوام السّنة الأصبهاني.

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٣٥/٥) [دار الجليل]، ولسان العرب (٤٩٦/١٢) [دار صادر، ط ١]، والقاموس المحيط (١٤٨٧) [مؤسسة الرسالة]، والمصباح المنير للفيومي (٥٢٠/٢)، والمعجم الوسيط (٢/٧٦٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧٣٦)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٣/٣١٤) [دار ابن القيم، ط ١، ١٤٠٦هـ].
(٢) بيان تلبيس الجهمية (٢/٥٣٦).

فأنا حجيجه»^(١)؛ أي: محاجه ومغالبه بإظهار الحجة عليه^(٢).

التعريف اصطلاحًا:

يراد بقيام الحجة: مخالفة الحق بعد ثبوت الحجة عليه وظهور الدليل^(٣).

وقد نبّه أهل العلم على أن قيام الحجة يكون بفهم الحجة أو بلوغها المعبر.

ويراد ببلوغ الحجة: بلوغ الدليل والبرهان الشرعي للمكلف بلوغًا يستبين معه المقصود، وتنقطع به المعذرة.

ويراد بفهم الحجة:

١ - الفهم اللغوي بأن يكون من أهل اللغة واللسان، فهذا شرط في بلوغ الحجة.

٢ - فهم احتجاج وهو التفقه المؤثر في السلوك، وهو الذي يؤدي إلى الامتثال والانقياد^(٤).

الحكم:

لا يعذب الله العبد إلا بعد قيام الحجة عليه وعدم اتباعه لها.

وممن يعذر لعدم قيام الحجة التي يكفر مخالفتها:

- من لم يسمع النص المعين، أو الباب من أبواب الدين، فلا يؤاخذ بمخالفة ما جاء فيه.

- من قامت عليه بعض الحجة، فعلم بعضها دون بعض، كأن يبلغه بعض القرآن دون بعض، فإنه لا يحاسب إلا على ما قامت عليه فيه الحجة، دون ما لم يبلغه منها.

- وكذا من سمع الحجة، ولم تثبت عنده، كأن يسمعها من طريق لا يجب عليه أن يصدقها.

- من بلغته الحجة واعتقد خلافها لنوع من التأويل السائغ الذي يعذر به وإن كان مخطئًا.

- وأما من لم يبلغه الإسلام أصلًا فإنه لا عذاب عليه، وهؤلاء هم أهل الفترة ومن في حكمهم، وقد صح النقل في أنهم يمتحنون يوم القيامة^(٥).

قال ابن القيم رحمته الله: «إن العذاب يستحق بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

والثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها، فالأول كفر إعراض،

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٧).

(٢) لسان العرب (٢/٢٢٨).

(٣) انظر: مختصر العلو للذهبي (١٧٧) [المكتب الإسلامي، ط١]، وتيسير العزيز الحميد (٦٧٧).

(٤) انظر: الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه لعبد الرزاق طاهر معاش (٢٢٩) [دار الوطن، ط١، ١٤١٧هـ].

(٥) ينظر: الفصل لابن حزم (٤/١٠٥) [شركة عكاظ، ط١، ١٤٠٢هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٢٣١، ٢٣١، ١٢/٤٩٣، ٤٩٤، ١٧/٣٠٨) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/٣٠٩ - ٣١٠) [مطبعة المدني].

والثاني كفر عناد، وأما الجهل مع عدم قيام الحجّة، وعدم التمكن من معرفتها، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل»^(١).

❁ الحقيقة:

قيام الحجّة الرسالية التي يأثم من خالفها إنما يكون بأن تبلغ المكلف بلوغاً بيّناً، فيسمعها، ويفهم المراد بها، ممن يحسن إقامتها، ويكون سالماً من الشبهات التي قد يعذر بها.

قال ابن تيمية في ذلك: «... وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها: قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان...»^(٢).

وقال ابن حزم رحمته الله: «وكل ما قلناه فيه إنه يفسق فاعله أو يكفر بعد قيام الحجّة، فهو ما لم تقم الحجّة عليه، معذور مأجور وإن كان مخطئاً، وصفة قيام الحجّة عليه أن تبلغه فلا يكون عنده

(١) طريق الهجرة (٤١٤) [دار ابن القيم، ط ٢، ١٤١٤هـ]. وانظر: مدارج السالكين (١/١٨٨) [مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٥هـ]

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣/٣٤٦)، و(٣/٢٣١)، (٥٩/٢٠).

شيء يقاومها، وبالله التوفيق»^(٣).

ويقول ابن سحمان: «الذي يظهر لي - والله أعلم - أنها لا تقوم الحجّة إلا بمن يحسن إقامتها، وأما من لا يحسن إقامتها كالجاهل الذي لا يعرف أحكام دينه ولا ما ذكره العلماء في ذلك؛ فإنه لا تقوم به الحجّة»^(٤).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال: ﴿يَمَعَشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَّا يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتَّبِعُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُزِدُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ نَحْيَهُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [١٣] ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَىٰ بَطْلٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ [الأنعام: ١٣].

وقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي

(٣) الإحكام لابن حزم (١/٦٧) [دار الحديث، ط ١، ١٤٠٤هـ].

(٤) منهاج الحق والاتباع (٦٨) [مكتبة المنار، ط ١، ١٣٤٠هـ].

أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «الحجة على العباد إنما تقوم بشيئين:

- ١ - بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله.
- ٢ - والقدرة على العمل به.

فأما العاجز عن العلم كالمجنون، أو العاجز عن العمل، فلا أمر عليه ولا نهي، وإذا انقطع العلم ببعض الدين، أو حصل العجز عن بعضه، كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلاً، وهذه أوقات الفترات»^(٤).

وقال ابن القيم رحمته الله: «إن العذاب يستحق بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

والثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها، فالأول كفر إعراض،

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٨/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (ذكر الأخبار عن وصف قوم يحتجون على الله يوم القيامة) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، واللفظ له والطبراني في الكبير (٢٨٧/١) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وصححه عبد الحق الإشبيلي وابن القيم. انظر: طريق الهجرتين (٣٩٧، ٣٩٨) [دار السلفية، ط٢]، وصححه الألباني أيضاً في السلسلة الصحيحة (٤١٩/٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٥٩/٢٠). وانظر منه: (٧١/١٩).

- ما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله: إذا مات فحرّقه، ثم أذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه عذاباً لا يعذبه أحدًا من العالمين، فلما مات الرجل، فعلوا ما أمرهم، فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، فإذا هو قائم بين يديه، ثم قال: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم فغفر الله له»^(٢).

وعن الأسود بن سريع رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربعةٌ يحتجون يوم القيامة: رجل أصم، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام، وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبر، وأما الهرم فيقول: ربي لقد جاء الإسلام وما أعقل، وأما الذي مات في الفترة، فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ موثيقهم ليطيعه، فيرسل إليهم أن أدخلوا النار، قال: فوالذي نفسي بيده لو

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٧٨)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٦)، واللفظ له.

والثاني كفر عناد، وأما الجهل مع عدم قيام الحجة، وعدم التمكن من معرفتها، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل»^(١).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: «وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبة عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما؛ لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، ولم يكفر ويقاتل؟ سبحانه هذا بهتان عظيم»^(٢).

وقال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمته الله: «وليس المراد بقيام الحجة أن يفهمها الإنسان فهماً جلياً كما يفهمها من هداه الله ووقفه، وانقاد لأمره، فإن الكفار قد قامت عليهم حجة الله مع إخباره بأنه جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه»^(٣).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا رحمته الله: «من لم يفهم الدعوة لم تقم عليه الحجة»^(٤).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا رحمته الله: «من لم يفهم الدعوة لم تقم عليه الحجة»^(٥).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا رحمته الله: «من لم يفهم الدعوة لم تقم عليه الحجة»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: هل يشترط فهم الحجة لاعتبار قيامها على الشخص؟
اختلف أهل العلم في اشتراط فهم

(١) طريق المهجرتين (٤١٤) [دار ابن القيم، ط ٢، ١٤١٤هـ]. وانظر: مدارج السالكين (١/١٨٨) [مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٥هـ].

(٢) فتاوى ومسائل محمد بن عبد الوهاب ضمن مجموع مؤلفاته (١١/١) [مطابع الرياض، ط ١].

(٣) مجموع الرسائل والمسائل النجدية (٤/٦٣٨) [دار

العاصمة، الرياض، ١٤١٢هـ].

(٤) طريق المهجرتين (٤١٤) [المطبعة السلفية، ١٣٧٥هـ].

(٥) مجموعة الرسائل النجدية (٥/٥١٤).

القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف بعد ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يقدر بالعقل، ولا بالروية والقلب والفكر، ولا نكفر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهاء الخبر إليه به»^(٢).

وعليه؛ فالجاهل معذور بجهله حتى يبلغه العلم.

قال الإمام البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كل من لم يعرف الله بكلامه أنه غير مخلوق، فإنه يُعَلَّم ويردُّ جهله إلى الكتاب والسنة، فمن أبى بعد العلم به، كان معاندًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة]، ولقوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَهُ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء]»^(٣).

وقال الإمام الطبري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتابه (التبصير في معالم الدين) - بعد أن ذكر بعض نصوص الصفات -: «فإن هذه المعاني التي وصفت ونظائرها مما وصف الله بها نفسه، ورسوله مما لا

الصرف والعطف فلا يكفر حتى يعرف؛ وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه فإن حجة الله هو القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة، ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان]. وقيام الحجة نوع، وبلوغها نوع، وقد قامت عليهم، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها»^(١).

- المسألة الثانية: العذر بالجهل:

مسألة بلوغ الحجة واشتراطها للتكليف مرتبطة بمسألة العذر بالجهل، فإن من لم تقم عليه الحجة كان جاهلاً، والجاهل غير مكلف لعدم بلوغ الحجة إياه.

سئل الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن صفات الله وما يؤمن به، فقال: «الله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته، ولا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها، وضح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (الرسائل الشخصية) (٧/ ٢٤٤، ٢٤٥)، [المركز الإسلامي للطباعة والنشر، مصر].

(٢) مختصر العلو للذهبي (١٧٧) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠١هـ]. وانظر: إثبات صفة العلو لابن قدامة (١٢٤) [الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٣) خلق أفعال العباد (٦١) [مكتبة التراث الإسلامي].

يثبت حقيقة علمه بالفكر والروية، ولا يكفر بالجهل أحد إلا بعد انتهائها إليه»^(١).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «من دعا غير الله، وحج إلى غير الله فهو مشرك، والذي فعله كفر، لكن قد لا يكون عالمًا بأن هذا شرك محرم، كما أن كثيرًا من الناس دخلوا في الإسلام من التتار وغيرهم، وعندهم أصنام لهم وهم يتقربون إليها ويعظمونها، ولا يعلمون أن ذلك محرم في دين الإسلام، ويتقربون إلى النار أيضًا، ولا يعلمون أن ذلك محرم، فكثير من أنواع الشرك قد يخفى على بعض من دخل في الإسلام ولا يعلم أنه شرك»^(٢).

فترى في كلام الشيخ أن الجهل وعدم بلوغ الحجّة هو مما يعذر به، حتى في الشرك، ولذا قال في موضع آخر - بعدما تكلم على من اجتهد فأخطأ: «... بخلاف ما لم يشرع جنسه مثل الشرك، فإن هذا لا ثواب فيه، وإن كان الله لا يعاقب صاحبه إلا بعد بلوغ الرسالة، كما

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء]. لكنه وإن كان لا يعذب فإن هذا لا يثاب... وإذا نهاهم الرسول عنها فلم ينتهوا عوقبوا، فالعقاب عليها مشروط بتبليغ الرسول، وأما بطلانها في نفسها فلأنها غير مأمور بها...»^(٣).

وأصرح منه قوله رحمته الله: «فإننا بعد معرفة ما جاء به الرسول نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن تدعو أحدًا من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا لغير ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وإن ذلك من الشرك الذي حرمه الله تعالى ورسوله، لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بأثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه»^(٤).

ولكن يشار هنا إلى أن من الجهل ما لا يعذر المكلف به، وهو ما أمكن المكلف دفعه، وترك ذلك تقصيرًا منه.

قال ابن تيمية: «إن بيان الحكم سبب

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (١٩٥) [مطابع الفرزدق، ط ١، ١٤٠٨هـ]. وانظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٨٠) [مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤١٣هـ].

(٢) الرد على الأحنائي (٦١، ٦٢) [مطبوعات دار الإفتاء] باختصار سير. وانظر: الرد على البكري (٢٥٨) [الدار العلمية، ط ٢]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٠٦/١١، ٤٠٠/١٢)، ومجموعة الرسائل له (٣٨٢/٤) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١٢هـ].

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣١/٢٠، ٣٣).

(٤) الرد على البكري (٣٧٦). وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧٢/١، ٤١٢/١١، ٤١٣، ٢٣/١٩، ٢١٩)، ومنهاج السنة (١١١/٥ - ١١٣).

من الكفر، ومع ذلك عذرهم بهذا الجهل قائلاً: «وهؤلاء الأجناس وإن كانوا قد كثروا في هذا الزمان، فقلقة دعاة العلم والإيمان، وفتور آثار الرسالة في أكثر البلدان، وأكثر هؤلاء ليس عندهم من آثار الرسالة وميراث النبوة ما يعرفون به الهدى، وكثير منهم لم يبلغهم ذلك، وفي أوقات الفترات، وأمكنة الفترات، يثاب الرجل على ما معه من الإيمان القليل، ويغفر الله فيه لمن لم تقم الحجة عليه، ما لا يغفر به لمن قامت الحجة عليه، كما في الحديث المعروف: «يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه الصلاة، ولا صياماً، ولا حجاً، ولا عمرة، إلا الشيخ الكبير، والعجوز الكبيرة، ويقولون: أدركنا آباءنا وهم يقولون لا إله إلا الله، فليل لحذيفة بن اليمان: ما تغني عنهم لا إله إلا الله؟ فقال: تنجيهم من النار»^{(٣)(٤)}.

وقال ابن القيم: «إن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على

لزوال الشبهة المانعة من لحوق العقاب، فإن العذر الحاصل بالاعتقاد ليس المقصود بقاءه، بل المطلوب زواله حسب الإمكان، ولولا هذا لما وجب بيان العلم، ولكان ترك الناس على جهلهم خيراً لهم، ولكان ترك دلائل المسائل المشتبهة خيراً من بيانها»^(١).

وقال ابن القيم: «فإن حجة الله قامت على العبد بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وبلوغ ذلك إليه، وتمكنه من العلم به، سواء علم أو جهل، فكل من تمكن من معرفة ما أمر الله به ونهى عنه، فقدر عنه ولم يعرفه، فقد قامت عليه الحجة، والله سبحانه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه»^(٢).

- المسألة الثالثة: قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة:

وذلك أن الزمان الذي يخفى فيه العلم، ويطغى فيه الجهل، وتكثر فيه الشبهات فإن موجب العذر بالجهل يقوى، وقيام الحجة فيه يقل ويخفى، فلا يحمل على زمن ظهور العلم وانتشاره، وما قيل في الزمان يقال في المكان.

وقد أشار ابن تيمية إلى أهل زمانه وما كان عليه الكثير من الوقوع في أنواع

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/٢٧٩). وانظر منه: (١٦/٢٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/٢٣٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٤٩)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٤٦٠) وصححه، وصححه البوصيري في المصباح (٤/١٩٤) [دار العربية، ط٢]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٨٧).

(٤) الفتاوى لابن تيمية (٣٥/١٦٥).

عُرِّف وجوبها وعُلِّم ذلك، ولم يُحَكِّمْ بكفره لأنه معذور، فإن لم يكن ممن يجهل ذلك كالناشئ من المسلمين في الأمصار والقرى، لم يعذر ولم يقبل منه ادعاء الجهل، وحكم بكفره؛ لأن أدلة الوجوب ظاهرة في الكتاب والسنة، والمسلمون يفعلونها على الدوام، فلا يخفى وجوبها على من هذا حاله، ولا يجحدها إلا تكذيباً لله تعالى، ورسوله وإجماع الأمة، وهو يصير مرتدّاً عن الإسلام، ولا أعلم في هذا خلافاً»^(٣).

وقال ابن تيمية: «إن الأمكنة والأزمنة التي تفتت فيها النبوة، لا يكون حكم من خفيت عليه آثار النبوة حتى أنكروا ما جاءت به خطأ، كما يكون حكمه في الأمكنة والأزمنة التي ظهرت فيها آثار النبوة»^(٤).

ويقول أيضاً: «لا يكفر العلماء من استحل شيئاً من المحرمات لقرب عهده بالإسلام، أو لنشأته ببادية بعيدة، فإن حكم الكفر لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة، وكثير من هؤلاء قد لا يكون قد بلغته النصوص المخالفة لما يراه، ولا يعلم أن الرسول بعث بذلك»^(٥).

شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب، ولم يحضر ترجمان يترجم له»^(١).

- المسألة الرابعة: قيام الحجة والعذر بالجهل يختلف باختلاف المسائل والأحوال:

فمن المسائل ما يكون خفياً دقيقاً، ومنها ما يكون مشهوراً شائعاً، فالعذر في الأولى أقوى من العذر في الثانية.

كما أن من الناس من يكون حديث عهد بإسلام، أو يكون ضعيف الفهم، أو أعجمي اللسان، فمثل هذا قد يعذر بجهله بما لا يعذر به من لم يكن كذلك.

قال الإمام الشافعي: «إن من العلم ما لا يسع بالغاً غير مغلوب على عقله جهله، مثل الصلوات الخمس، وأن لله على الناس صوم شهر رمضان، وحج البيت إذا استطاعوه، وزكاة في أموالهم، وأنه حرم عليهم الزنا والقتل، والسرقة والخمر، وما كان في معنى هذا»^(٢).

وقال الموفق ابن قدامة - في أثناء كلامه على تارك الصلاة -: «فإن كان جاحداً لوجوبها نُظر فيه؛ فإن كان جاهلاً به، وهو ممن يجهل ذلك كالحديث الإسلام، والناشئ ببادية،

(٣) المغني (٢/٤٤٢) [مكتبة الرياض الحديثة]. وانظر: نواقض الإيمان القولية والعملية (٦٥، ٧٣).

(٤) بغية المراتد (٣١١).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٨/٥٠١). وانظر: (١١/٤٠٧).

(١) طريق الهجرتين (٤١٤).

(٢) الرسالة (٣٥٧) [دار الكتب العلمية].

❁ الفروق:

الفرق بين الكافر الأصلي، والمسلم الذي وقع في أمر مُكْفَرٍ:

في تقرير الكلام على بلوغ الحجة لا بدَّ من التفريق بين حالتين:

الأولى: حالة الكافر الأصلي، الذي لم يدخل في الإسلام أصلاً، ولم تبلغه الحجة الرسالية.

فمثل هذا ينظر في حكمه من ناحية أحكام الدنيا، وأحكام الآخرة، أما في أحكام الدنيا فإنه يعامل معاملة الكفار، ويحكم عليه بحكمهم في الموارث ونحو ذلك، وأما في أحكام الآخرة، فإذا كانت الحجة الرسالية لم تبلغه، فإنه يعذر بجهله، ويكون له حكم أهل الفترة، وهم الذين يمتحنون في الآخرة.

قال ابن تيمية: «أخبر الله تعالى عن هود أنه قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْرَقُونَ﴾ [هود]، فجعلهم مفترين قبل أن يحكم بحكم يخالفونه، لكونهم جعلوا مع الله إلهاً آخر، فاسم المشرك ثبت قبل الرسالة، فإنه يشرك بربه ويعدل به، ويجعل معه آلهة أخرى، ويجعل له أنداداً قبل الرسول وأما التعذيب فلا»^(١).

وقال ابن القيم: «الواجب على العبد

أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر، وأن الله ﷻ لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول، هذا في الجملة، والتعيين موكول إلى علم الله وحكمه، هذا في أحكام الثواب والعقاب، وأما في أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر الأمر، فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا لهم حكم أوليائهم»^(٢).

الحالة الثانية: حال المسلم المقر بالشهادتين، والذي قد وقع في أمر مكفر جهلاً.

فمثل هذا الأصل فيه أنه معذور بجهله، فله أحكام أهل الإسلام في الدنيا والآخرة، كما سبق من حديث الذي أمر أهله أن يحرقوه.

وقد أخطأ من حمل الحال الثانية على الأولى، وجعل أقوال أهل العلم المتوجهة للحال الأولى مقولةً في الحال الثانية^(٣).

الفرق بين قيام الحجة، وفهم الحجة: المعتبر في التكليف أن تقوم الحجة على المكلف، ويفهمها الفهم الذي يدرك به معناها والمراد بها، ولا يشترط أن يفهمها الفهم الدقيق الذي يدركه علماء الدين حتى تقوم عليه الحجة.

(٢) المرجع السابق. وانظر: مدارج السالكين (٣/٤٨٩).

(٣) انظر: نواقض الإيمان الاعتقادية (١/٢٤٦ - ٢٧٦)،

ونواقض الإيمان القولية والعملية (٦٨ - ٧٠).

(١) مجموع الفتاوى (٣٧/٢٠، ٣٨).

وينبغي أن يعلم أن مراد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن نحا نحوه من تلاميذه من عدم اشتراط فهم الحجة في قيام الحجة على العبد هو: فهم التفقه المؤثر في السلوك والمؤدي إلى الامتثال وليس مرادهم فهم لسان المتكلم ولغته، فإن اشتراط فهم لسان المبلغ محل اتفاق عند سائر علماء أهل السنة والجماعة. وهذا يدل على أن الشيخ ابن عبد الوهاب رحمته الله يقصد عدم اشتراط الفهم المفصل للحجة لا المجمل، حيث قال رحمته الله في رسالة أخرى له: «وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبة عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما؛ لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، ولم يكفر ويقاقل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم»^(٤).

ومما يؤكد أن الشيخ يقصد نفي الفهم المفصل للحجة ما قاله تلميذه الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمته الله: «وليس المراد بقيام الحجة أن يفهمها الإنسان فهماً جلياً كما يفهمها من هداه الله ووقفه، وانقاد لأمره، فإن الكفار قد

قال محمد بن عبد الوهاب: «وأصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وفهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان]. وقيام الحجة وبلوغها نوع، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها نوع آخر، فإن أشكل عليكم ذلك، فانظروا قوله رحمته الله في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم»^(١)، مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم وقد بلغتهم الحجة، ولكن لم يفهموها»^(٢).

وقال أيضاً: «من المعلوم أن قيام الحجة ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم أبي بكر رضي الله عنه، بل إذا بلغه كلام الله ورسوله، وخلا من شيء يعذر به فهو كافر، كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن، مع قول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الإسراء: ٤٦]، وقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال]»^(٣).

كلام الشيخ عبد الله أبي بطين في الدرر السنية (٨/ ٢١٣، ٢١٤)، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٥١٥) [دار العاصمة، ط ٣، ١٤١٢هـ].

(٤) فتاوى ومسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ضمن مجموع مؤلفاته (١/ ١١).

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠٥٧)، ومسلم، (كتاب الزكاة، رقم ١٠٦٦).

(٢) مجموعة مؤلفات ابن عبد الوهاب (٣/ ١٢، ١٣).

(٣) الدرر السنية (٨/ ٧٩) [ط ٦، ١٤١٧هـ]. وانظر:

قامت عليهم حجة الله مع إخباره بأنه جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه»^(١).

❖ القِيَامَةُ الصَّغْرَى ❖

يراجع مصطلح (الموت).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.
- ٢ - «الإحكام»، لابن حزم.
- ٣ - «الجواب الصحيح»، لابن تيمية.
- ٤ - «خلق أفعال العباد»، للبخاري.
- ٥ - «الدرر السنية في الفتاوى النجدية».
- ٦ - «ضوابط التكفير»، لعبد الله القرني.

❖ القِيَامَةُ الكُبْرَى ❖

يراجع مصطلح (يوم القيامة).

❖ القِيَمُ ❖

يراجع مصطلح (القيوم).

❖ القِيَوْمُ ❖

❖ التعريف لغةً:

القِيَوْمُ: (فيعول) من القيام، والقيام يأتي على ضرب؛ هي: قيام بالشخص؛ إما بتسخير أو اختيار، وقيام للشيء على سبيل المراعاة والحفظ له، وقيام هو من العزم على الشيء، وقيام بالشيء إدامته.

وأقرب تلك المعاني تعلقًا باسم الجلال (القِيَوْمُ): القيام للشيء على سبيل المراعاة والحفظ له ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

والمعنى الثاني الذي له تعلق بمدلول هذا الاسم: أنه الدائم الذي لا يزول^(٢).

- ٧ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.
- ٨ - «الفصل في الملل والنحل»، لابن حزم.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١٠ - «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية».
- ١١ - «مجموعة مؤلفات ابن عبد الوهاب».
- ١٢ - «منهاج الحق والاتباع»، لسليمان بن سحمان.
- ١٣ - «نواقض الإيمان الاعتقادية»، لعبد العزيز الوهبي.
- ١٤ - «نواقض الإيمان القولية والعملية»، لعبد العزيز العبد اللطيف.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣٥٧/٩ - ٣٦٠) [الدار

المصرية]، ومقاييس اللغة (٨٦٩) [دار الفكر، ط ٢، ٢٠٠٤].

(١) مجموع الرسائل والمسائل النجدية (٤/٦٣٨).

وقال النووي: «قال ابن عباس: القَيُّوم الذي لا يزول»^(٣). وقال غيره: هو القائم على كل شيء. ومعناه: مدبّر أمر خلقه، وهما سائغان في تفسير الآية والحديث»^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، إلا أن المعنى المتعلق بوصف الله تعالى هو على غاية الكمال والجلال، وليس لمخلوق مثله، فلا أحد قائم بنفسه بحيث ترتفع عنه كل حاجة لغيره إلا الله تعالى، ولا أحد قائم بشؤون الخلق وتدبيرهم، وكلُّ مفقّر إليه إلا الله وَعَلَى.

الحكم:

اسم الله تعالى: القيووم من أسمائه الثابتة بنص الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم دون استثناء.

الحقيقة:

القيوم هو الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بجميع الموجودات، فأوجدها وأبقاها، وأمدها بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقائها»^(٥).

(٣) ذكره الدارمي في النقص على المريسي (٣٥٤/١) [مكتبة الرشد، ط١]، وفي سننه محمد بن السائب الكلبي، وهو متهم بالكذب.

(٤) شرح النووي على مسلم، حديث رقم (٧٦٩).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٣١٣/١).

والقيّام بوزن (فَيْعَال)، و(فَيْعَال) من صيغ المبالغة من جنس (فَعَّال)، مبالغة من القِيَام، يقال: قام يقوم قِيَامًا فهو قائم وقِيَام.

والقِيَام والقَوَام: اسم لما يقوم به الشيء؛ أي: يثبت، ويُسند به، ومنه قوله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: ١٦١]؛ أي: ثابتًا مقومًا لأُمور معاشهم ومعادهم»^(١).

والقيِّم، (فَيْعِل) من القِيَام، وهو من أبنية المبالغة، وأصله: (قَيِّوم)، مثل: صَيَّب أصله: (صَيَّبُ) اجتمعت الواو والياء وسُبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء»^(٢).

التعريف شرعًا:

القيوم: هو القائم بنفسه، الغني عن كل من سواه، فلم يحتاج إلى أحدٍ سواه؛ لكمال غناه وَعَلَى.

وهو سبحانه القائم بأُمور خلقه، المدبّر شؤونهم، فكلُّ ما سواه محتاجٌ إليه بالذات.

= [١٤١٨هـ]، والصحاح (٢٠١٦/٥ - ٢٠١٨) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٩٠ - ٦٩٣) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٧٦٧/٢ - ٧٦٨) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(١) انظر: تهذيب اللغة (٣٥٧/٩ - ٣٦٠)، ومقاييس اللغة (٨٦٩)، والصحاح (٢٠١٦/٥ - ٢٠١٨)، مفردات ألفاظ القرآن (٦٩٠ - ٦٩٣)، والمعجم الوسيط (٧٦٧/٢، ٧٦٨).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣٥٧/٩ - ٣٦٠)، والنهاية في غريب الحديث (٢٢٧/٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تهجد من الليل قال: «اللَّهُمَّ ربنا لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض...»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال مجاهد: «القيوم: القائم على كل شيء»^(٣).

وقال أبو العباس ابن تيمية: «اسمه (القيوم) يتضمن أنه لا يزول، فلا ينقص بعد كماله، ويتضمن أنه لم يزل ولا يزال دائماً باقياً أزلياً أبدياً موصوفاً بصفات الكمال، من غير حدوث نقصٍ أو تغييرٍ بفسادٍ واستحالةٍ ونحو ذلك مما يعترى ما يزول من الموجودات»^(٤).

وقال ابن القيم موضحاً ما يتضمنه اسم الله تعالى (القيوم) من معنى:

هذا وَمِنْ أوصافِهِ الْقَيُّومُ وَالـ

قَيُّومٌ فِي أوصافِهِ أَمْرَانِ

إِحْدَاهُمَا الْقَيُّومُ قَامَ بِنَفْسِهِ

وَالْكَوْنُ قَامَ بِهِ هُمَا الْأَمْرَانِ

فالأول استغناؤه عن غيره

والفقر من كل إليه الثاني

والوصف بالقيوم ذو شأن كذا

موصوفه أيضاً عظيم الشأن^(٥).

ثم إن اسم الله (القيوم) يقترب بصفة الحياة له صلى الله عليه وسلم، فلم يذكر اسم القيوم في القرآن إلا مقروناً باسمه الحي؛ ذلك لأن الحياة متضمنة جميع صفات الكمال، والقيوم متضمن كمال الغنى والقدرة ودوام ذلك بلا انتهاء.

قال ابن القيم - في هذين الاسمين (الحي القيوم) -: «عليهما مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما مرجع معانيها جميعها، فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفي كمال الحياة وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة»^(١).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ

الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، وآل عمران: ٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَعَنْتَ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ

الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

(١) بدائع الفوائد (٢/٤١٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٤٢)، ومسلم

(كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٦٩).

(٣) تفسير الطبري (٥/٣٨٨).

(٤) جامع الرسائل لابن تيمية (١/٣٥).

(٥) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة =

وقال محمد الأمين الشنقيطي: «والقيوم صيغة مبالغة؛ لأنه ﷺ هو القائم بتدبير شؤون جميع الخلق، وهو القائم على كل نفس بما كسبت. وقيل: القيوم الدائم الذي لا يزول»^(١).

والأرض ومن فيهن، أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق» الحديث^(٣).
والحديث واحد، فيحتمل أن يكون رواية بالمعنى؛ للدلالة على وصف الله تعالى بالقيومية، والله تعالى أعلم.

- المسألة الثانية: ما يتضمّن اسم الله

(القيوم) من الدلالات والأحكام:

إن اسم الجلال: (القيوم) يتضمن العديد من الدلالات والأحكام التي أطال أهل العلم المفسرين لهذا الاسم بيانها لعظم هذا الاسم وجلالة شأنه، ومن ذلك:

- دلالة هذا الاسم على كمال صفة القيام التي يتصف بها المولى ﷺ، قيامه ﷺ بنفسه الذي هو من لوازم ذاته، وقيامه بغيره من جميع خلقه الذين لا قيام لهم إلا به ﷺ.

- كما أن هذا الاسم متضمن لجملة من صفات الكمال الأخرى، فهو دالٌّ على كمال غناه وقدرته، فإنه القائم بنفسه؛ لا يحتاج إلى من يُقيمه بوجهٍ من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه.

وهو المقيم لغيره؛ فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وكل ما سواه من هذا العالم العلوي والسفلي فهو تحت تدبيره وحفظه وهذا من كمال قدرته وعزّته.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: القيام، والقيّم:

استدل لاسم (القيام) ببعض روايات حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي فيه الدعاء المشهور الذي كان يدعو به النبي ﷺ في صلاة الليل، وفيه: أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل يقول: «اللَّهُمَّ لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد قيام السماوات والأرض، ولك الحمد أنت ربُّ السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق» الحديث^(٢).

واستدل لاسم (القيّم) بروايات أخرى للحديث آنف الذكر، وفيه: أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل يقول: «اللَّهُمَّ لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيام السماوات والأرض، ولك الحمد أنت ربُّ السماوات

= الإمام ابن القيم لابن عيسى (٢/٢٣٦).

(١) أضواء البيان (٤/٥١٨).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: مسلم (كتاب صلاة المسافرين

وقصرها، رقم ٧٦٩).

(٣) تقدم تخريجه.

- المسألة الثالثة: اقتران (القيوم) باسم (الحي):

بما أن اسم الجلال (القيوم) لم يرد في النصوص إلا مقترناً باسم الجلال (الحي)، فقد أشار أهل العلم إلى بعض أسرار هذا الاقتران، ومن ذلك:

- أن العديد من أهل العلم - منهم ابن تيمية وابن القيم - نصوا على أن اسمي: (الحي القيوم) هما الاسم الأعظم الذي قال فيه النبي ﷺ: «لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»^(١).

وقوله ﷺ: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ﴾ وَ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة]، وفتحة سورة آل عمران: ﴿الْعَلَمُ﴾ [آل لآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي الْقِيَوْمُ] [آل عمران]^(٢).

- ولجلالة هذين الاسمين اعتبرهما أهل العلم أنهما يجمعان أصل معاني بقية أسماء الله الحسنى، وذلك من جهة أنهما مقتضيان للعديد من الصفات؛ فالحي دالٌّ على صفة الحياة المتضمنة لجميع الصفات الذاتية كالعلم والإرادة والقدرة والعزة والعظمة والكبرياء وغيرها، والقيوم متضمن لجميع صفات الأفعال.

- كما أشار أهل العلم إلى عظيم أثر الدعاء بهذين الاسمين، في دفع ما ينتاب الإنسان من همٍّ وكرهٍ وشدة، كما جاءت الإشارة إلى أن بعضهم اعتبرهما الاسم الأعظم الذي وردت الإشارة إليه في النصوص السابقة، وما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»^(٣).

- المسألة الرابعة: الكلام على اسم (القائم):

بعض أهل العلم ممن اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها أثبتوا اسم (القائم)، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿أَمَّا هُوَ فَايَمُّ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٢٤) وقال: حديث غريب، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٣٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ]، وحسنه الألباني بشاهده في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٢٧) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٥هـ].

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٥)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٤٤)، والنسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٠٠)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٨)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٨٩٣)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٨٥٦) وصححه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٣/٥) [مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٦)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٤٧٨) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٥)، وأحمد (٥٨٤/٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ]، وسنده ضعيف، لكن له شاهد يرتقي به إلى الحسن. انظر: صحيح أبي داود للألباني (٢٣٤/٥).

٥ - انتظام أمر العالم، وقيامه على غاية الإحكام والإنقان، فالذي أقامه هو الذي خلقه فسواه.

٦ - إجابة الله تعالى لدعوة من دعاه، وخاصة إذا كانت دعوة اضطرار وافتقار.

٧ - ما يكون للرسول وأتباعهم من نصر وتمكين وحسن عاقبة.

٨ - ما يكون على أعداء الله من هزيمة وسوء عاقبة، فمهما كان للمبطل من صولة وجولة وقيام، فإنه بإقامة الله تعالى ذلك اختباراً، ثم يجعل دائرة السوء تدور عليهم.

٩ - ظهور آثار قيوميته سبحانه لكل شيء من المخلوقات جامدها، ومتحركها، فاجرها، وتقيها، وآثار قيوميته سبحانه بأوليائه وبمن أحبه تظهر في حفظه ولطفه ورعايته بعباده المتقين، وهذا يقتضي محبة الله ﷻ، والركون إليه، والتعلق به وحده، والسكون إليه، والرضا بتدبيره، وحمده وإجلاله وتعظيمه.

١٠ - التبرؤ من الحول والقوة والافتقار التام لله ﷻ وإنزال جميع الحوائج به، وإخلاص الاستعانة والاستغاثة والاعتصام به، وقطع التعلق بالمخلوق الضعيف المربوب لله تعالى المفتقر إلى ربه ﷻ الفقر الذاتي التام.

لكن الصحيح الذي عليه المحققون من أهل العلم أن القائم لا يثبت اسماً في حق الله ﷻ؛ لأنه من باب الأفعال وليس من باب الأسماء، قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في أثناء تفصيله الكلام على تعيين عدد من العلماء لأسماء الله الحسنى: «وبعضها خطأ محض كالأبد والناظر والسامع والقائم والسريع، فهذه وإن ورد عدادها في بعض الأحاديث فلا يصح ذلك أصلاً»^(١).

الآثار:

١ - إثبات صفات الكمال لله ﷻ، ونفي كل صفات النقص عنه سبحانه.

٢ - التعبد لله تعالى بأنه القائم على كل شؤون خلقه، فترفع إليه يد المسألة، وتنزل به المطالب والحاجات.

٣ - الافتقار والتذلل بين يدي الله تعالى؛ إذ أنه لا قيام لأحد من الخلق إلا به ﷻ، فكل مفتقر إليه، وهو الغني سبحانه عن سواه.

٤ - يقين المؤمن بوعد الله الصادق بأن العاقبة للمؤمنين، وأن من اتبع هداه فلا يضل ولا يشقى؛ إذ إن قيام هذا العالم كله بأمر الله تعالى، ولا يكون شيء إلا بإذنه.

(١) تيسير العزيز الحميد (٥٤٥) [دار الفكر، ١٤١٢هـ].
وانظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٢٣٧ - ٢٣٨) [أضواء السلف، ١٠، ١٤١٩هـ].

❁ المصادر والمراجع:

- ٩ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.
- ١٠ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.
- ١١ - «فصل في اسمه تعالى القيوم»، ضمن جامع المسائل (ج ٥)، لابن تيمية.
- ١٢ - «فصل في معنى اسمه (الحي للزجاج (٥٦)).
- ١٣ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.
- ١ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، للبيهقي.
- ٢ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ١)، لابن القيم.
- ٣ - «بدائع الفوائد» (ج ٢)، لابن القيم.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، لتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (ج ٢)، لابن عيسى.
- ٥ - «جامع الرسائل» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٦ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السنة الأصبهاني.
- ٧ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

❁ القيومية ❁

يراجع مصطلح (القيوم).



حرف الكاف

التعريف شرعاً:

الكافي: اسم للربّ تعالى، وهو بمعنى الحسيب، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزُّمَر: ٣٦] (٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

كلاهما دالّ على أن الكافي هو القائم بالأمر الذي يُستغنى به عن غيره، فالله ﷻ هو كاف عباده بكل ما يحتاجون إليه، القائم بأمرهم المستغنون به عن غيره.

الحكم:

لم يثبت أن الكافي من أسماء الله ﷻ، لكن يخبر عن الله ﷻ أنه هو الكافي، فلا تسوغ تسمية الله ﷻ بالكافي، أو دعاؤه به، أو التعبيد به فيقال: عبد الكافي؛ لعدم ثبوت النص في كونه اسماً لله ﷻ.

الحقيقة:

كفاية الله لخلقه عامة وخاصة (٤):

فالكفاية العامة: تشمل جميع الخلق،

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٥٤/١٠) و(١٥٨/٢٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ].

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٢٤)، [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ]، =

الكافي

التعريف لغة:

قال ابن فارس كَلَّفَهُ: «الكاف والفاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على الحَسْب، الذي لا مستزاد فيه؛ يقال: كفاك الشيء يكفيك، وقد كفى كفاية؛ إذا قام بالأمر» (١).

والكافي: اسم فاعل من كفى يكفي فهو كافٍ؛ إذا قام بالأمر، وكفاك هذا الأمر؛ أي: حسبك، وكثيراً ما يفسر الكافي بالحسيب، والحسيب بالكافي لتقارب معناه، فالكافي هو الذي يُستغنى به عن غيره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء]، واكتفى بالشيء؛ إذا استغنى به (٢).

(١) مقاييس اللغة (١٨٨/٥) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣٨٤/١٠)، (٣٨٥) [الدار المصرية]، والصحاح (٢٤٧٥/٦) [دار العلم للملايين، ط ٤]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٧١٩) [دار القلم، ط ٢]، والمعجم الوسيط (٢/٧٩٣) [دار الدعوة، ط ٢].

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «وأما الحسب: وهو الكافي فهو الله وحده»^(٢)، وقال أيضًا: «والحسب: الكافي؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾»^(٣).

وقال ابن القيم في نونيته^(٤):

«وهو الحسيب حماية وكفاية

والحسب كافي العبد كل أوان»

قال السعدي في شرحه لها: «فالحسيب: هو الكافي للعباد جميع ما أهمهم من أمر دينهم، وديناهم، من حصول المنافع، ودفع المضار، والحسيب بالمعنى الأخص: هو الكافي لعبده المتقي المتوكل عليه، كفاية خاصة، يصلح بها دينه وديناه»^(٥).

وقال الشيخ محمد خليل هراس رحمته الله: «فجعل الكفاية: وهي بمعنى الحسب لله وحده، فكفاية الله لعبده بحسب ما قام به من متابعة الرسول ظاهرًا وباطنًا، وقيامه بعبودية الله تعالى»^(٦).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥٤/١٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (١٥٨/٢٦).

(٤) الكافية الشافية (١٨١/٤) [دار عالم الفوائد، ط ١٤٢٨هـ].

(٥) الحق الواضح المبين للسعدي (٢٥٢/٣).

(٦) شرح القصيدة التونية (١٠٥/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٤هـ].

فهو رحمته الله كافي الخلق كلهم، لا يحتاجون معه إلى شيء آخر، يدبر مصالحهم، ويوصل إليهم أقواتهم، وينيلهم مقاصدهم، وحاجاتهم.

والكفاية الخاصة: لأوليائه وأهل

طاعته، الذين قاموا بحق العبودية، فيكون لهم من كفاية الله وكلاءته وحمايته بقدر ما حققوا من معاني عبوديته؛ كما قال رحمته الله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقال رحمته الله: ﴿فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ٢٧]، وقال رحمته الله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَا الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ١٥].

ومن السنة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»^(١).

= والحق الواضح المبين للسعدي - ضمن المجموعة الكاملة له (٢٥٢/٣) [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ١٤١٢هـ]، وعقيدتنا عقيدة القرآن والسنة لمحمد خليل هراس (١٥٠) [دار الكتاب والسنة، ط ١٤٢٧هـ].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٥).

☆ الفروق:

الفرق بين الكافي والحسب:

الكافي أعم من الحسب؛ فالكافي عام لجميع الخلائق الإنس والجن، مؤمنهم وكافرهم، وسائر الخلائق من الدواب، وغيرها، وأما الحسب فهو أخص؛ إذ إنه للمؤمنين والمتوكلين على الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] (١).

☆ الآثار:

- إن الكافي عباده رزقًا ومعاشًا وقوتًا، وحفظًا وكلاءة، ونصرًا وعزًا هو الله تبارك شأنه، فهو الذي يُكتفى بمعونته عن سواه.

- إذا علم أن الله تعالى هو الكافي لجميع عباده في معاشهم ومعادهم، أوجب ألا يكون الرجاء إلا منه، والرغبة إلا إليه (٢).

- ومن آثاره أن يورث التوكل على الله تعالى، والاعتماد عليه، وعدم الالتفات إلى أحد من المخلوقين؛ لأنه هو وحده الكافي عباده بما يشاء.

(١) انظر: توضيح الكافية الشافية (١٢٦، ١٢٧). وانظر: جامع الأصول لابن الأثير (١٧٩/٤)، وشرح النونية لهراس (١٠٤/٢).

(٢) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١٩١/١) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩]، والأسماء والصفات للبيهقي (٥٠/١) [مكتبة السوادى، ط ١، ١٤١٣هـ].

☆ المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله الحسنى»، للغصن.
- ٢ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، للبيهقي.
- ٣ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٥ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ٢)، للأصبهاني.
- ٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٧ - «شرح أسماء الله الحسنى»، للقحطاني.
- ٨ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
- ١٠ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج ١)، للحليمي.
- ١١ - «عقيدتنا عقيدة القرآن والسنة»، لمحمد هراس.

☆ الكبر

يراجع مصطلح (الكبير).

☆ الكبير

☆ التعريف لغةً:

الكبير: بوزن (فعليل) صيغة مبالغة،

وقال السعدي: «الكبير الذي له الكبرياء في ذاته وصفاته، وله الكبرياء في قلوب أهل السماء والأرض»^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي واضحة وجليّة؛ إذ إن المعنى الشرعي لاسم الجلال الكبير مأخوذ من المعنى اللغوي مباشرة الذي يدور حول معاني الكبرياء والعظمة.

الحكم:

يجب إثبات ما أثبتته الله لنفسه، وما أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء، ومن ذلك اسم الله الكبير؛ لدلالة النصوص على ذلك.

الحقيقة:

معاني الكبرياء والعظمة التي يدل عليها اسم الكبير نوعان:

الأول: يرجع إلى صفاته سبحانه، وأن له جميع معاني العظمة والجلال، وصفات الكمال والجمال، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١) [الرّمز]، فله ﷻ الكبرياء والعظمة الوصفان اللذان لا يقدر قدرهما أحد،

مأخوذ من الكِبَر وهو خلاف الصُّعُر، والكِبَر من: كَبُرَ يَكْبُرُ؛ أي: عَظُمَ من العظمة، فهو كبير وكُبَارٌ وكُبَّارٌ، وجمعه: كِبَارٌ، ومنه الكبرياء، ويقال: ورثوا المجد كابرًا عن كابر؛ أي: كبيرًا عن كبير في الشرف والعزّ.

ويقال: أَكْبَرْتُ الشيء؛ إذا استعظمته ورأيتَه كبيرًا.

وكَبَّرَ يُكَبِّرُ تكبيرًا: قال: الله أكبر. والتكبير: التعظيم، والتكَبُّر والاستكبار: التعظُّم.

وكَبُرَ الشيء: معظمه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١١) [النور].

التعريف شرعًا:

الكبير: اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة له، يأتي بمعنى: العظيم والجليل. وهو مشتق من الكبرياء، فهو ﷻ له الكبرياء في ذاته، وصفاته وله الكبرياء في قلوب أهل السماء والأرض، فهو الذي كَبُرَ وعلا في ذاته.

وهو الكبير في أوصافه وأفعاله تبارك وتعالى، فلا سميُّ له ولا شبيهه، ولا كفوٌّ ولا نظير^(١).

(١) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٥٥) [مؤسسة الرسالة، ٢، ١٤٠٦هـ]، الحجة في بيان المحجة (١٢٩/١) [دار الراهية، ١٦، ١٤١١هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٢٥) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) تفسير السعدي (٤١٤، ٦٥١).

وَأَلْفَيْهِ وَالشَّهَادَةَ الْكَبِيرُ الْمَتَعَالِ ﴿٦﴾ [الرعد]، واقترن في أربعة مواضع باسم (العلي)، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢، ولقمان: ٣٠].

كما ورد في السُّنَّة النبوية الصحيحة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ؛ كَأَنَّهُ سَلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانَ، فَإِذَا فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: ﴿الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ]، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضهم فوق بعض» وذكر الحديث (٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال البيهقي - عند سرده للأسماء الحسنى -: «ومنها: الكبير، قال الله جل ثناؤه: ﴿عَلِيُّ الْكَبِيرُ وَالشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الْمَتَعَالِ﴾ [الرعد]» (٤).

وقال ابن تيمية: «بل جميع الأسماء الحسنى هي مما وصف به نفسه كقوله: الغفور الرحيم، والعلي العظيم، الكبير المتعال» (٥).

وقال السعدي: «الكبير الذي له

ولا يبلغ كنههما عبد من العباد، وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في ركوعه وسجوده: «سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة» (١).

الثاني: أنه لا يستحق أحد التعظيم والتكبير والإجلال والتمجيد غير الله، ومن تعظيمه تعالى وتكبيره أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ومن تعظيمه وإجلاله أن يخضع لأوامره وشرعه وحكمه، ولا يُعترض على شيء من خلقه أو شرعه، وتعظيم ما عظمه من الأمكنة والأزمنة والأشخاص والأعمال، والعبادة مبناها على تعظيم الباري وتكبيره، ولهذا شرعت التكبيرات في الصلاة في افتتاحها وفي تنقلاتها، وشرع التكبير في الصيام والفطر، وفي الحج والجهاد، وبهذا تبين مكانة التكبير وجلالة قدره، وعظم منزلته (٢).

❁ الأدلة:

ورد هذا الاسم في خمسة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿عَلِيُّمُ

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ٨٧٣) واللفظ له، والنسائي (كتاب التطبيق، رقم ١٠٤٩)، وأحمد (٤٠٥/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه النووي في الخلاصة (٣٩٦/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ٨١٧) [مؤسسة غراس، ط ١].

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنى (١٥١، ١٥٢) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٠٠).

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (٩٩/١).

(٥) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣٢٨/٦).

أشرف، فلما كان التكبير أبلغ من التعظيم صرَّح بلفظه وتضمَّن ذلك التعظيم^(٣).

- المسألة الثانية: هل (الأكبر) من

أسماء الله ﷻ؟

عدَّ ابن حزم^(٤)، والقرطبي^(٥)، وابن الوزير^(٦) اسم (الأكبر) من أسماء الله تعالى، ولم يأت دليل صحيح يُلحق اسم (الأكبر) بأسماء الله الحسنی، ومن عده فيها استدلل له بالحديث الذي رواه أبو داود عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «الله أكبر الأكبر، حسبي الله ونعم الوكيل، الله أكبر الأكبر»^(٧).

ولم يرد (الأكبر) في حديث الأسماء، وفي جمع جعفر الصادق، وسفيان بن عيينة، والخطابي، وابن منده، والحلي، والبيهقي، والأصبهاني، وابن العربي، وابن القيم، وابن حجر، والسعدي، والعثيمين، وغيرهم ممن عد

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/٢٥٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ]. وانظر: نفس المصدر (١٦/٦١١، ٦١٢).

(٤) المحلي (٦/٢٨٢).

(٥) ذكر ذلك التميمي في معتقد أهل السنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنی (٢٢٠)، ولم نجده في كتاب الأسنی.

(٦) إثثار الحق على الخلق (١٦٠).

(٧) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥٠٨)، والنسائي في السنن الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ٩٨٤٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/١٣٦) [مكتبة الرشد، ط١]، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٢/٩٥) [مؤسسة غراس، ط١].

الكبرياء في ذاته وصفاته، وله الكبرياء في قلوب أهل السماء والأرض»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: هل اسم (الكبير)

مرادف لاسم (العظيم)؟

تفسير بعض أهل العلم اسمَ الجلال (الكبير) بالعظيم لا يلزم منه أنه مرادف له؛ لأن الكبرياء الذي يدلُّ عليه اسم الجلال الكبير أكمل من العظمة؛ لأنه يتضمنها ويزيد عليها في المعنى، وفي تقرير ذلك يقول ابن تيمية: «وفي قوله: (الله أكبر) إثبات عظمته، فإن الكبرياء تتضمن العظمة ولكن الكبرياء أكمل؛ ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الصلاة والأذان بقول: (الله أكبر) فإن ذلك أكمل من قول: (الله أعظم)، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما عذبت»^(٢)، فجعل العظمة كالإزار، والكبرياء كالرداء، ومعلوم أن الرداء

(١) تفسير السعدي (٤١٤، ٦٥١).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب اللباس، رقم ٤٠٩٠)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤١٧٤)، وأحمد (١٤/٤٧٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٢٨)، بلفظ: (فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٣١١). وقد جاء الحديث عند مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٢٠) بلفظ: «العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبت».

الأسماء، وعلّة ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنه لم يثبت دليل يدل على أن (الأكبر) اسم من أسماء الله تعالى إلا ما سبق من حديث زيد بن أرقم، وهو حديث ضعيف.

الوجه الثاني: أنه لا يصح أن يؤخذ اسم (الأكبر) من الكبير أو المتكبر وهما اسمان ثابتان لله تعالى؛ لأن أسماء الله تعالى توقيفية.

- المسألة الثالثة: صفة الكبير:

الكبير صفة ذاتية خبرية ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة، وقد جاء بيان ذلك وإثباته في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة^(١).

وإن الله ﷻ له جميع معاني العظمة والجلال والكبرياء، فهو سبحانه أكبر وأعظم وأجل وأعلى من كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله، وأن كل شيء مهما كبر وعظم فهو صغير وحقير وذليل أمام كبرياء الله وعظمته ومجده وجلاله، ومن علم ذلك وأيقن ذل لربه، وانكسر بين يديه، وصرف له أنواع العبادة كلها، واعتقد أنه المستحق لها دون سواه، وعلم أن من صرف شيئاً من العبادة لغيره سبحانه فهو لم يقدر ربه العظيم حق

قدره^(٢)، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر].

الآثار:

- على المسلم أن يعتقد بأن الله ﷻ أكبر من كل شيء، وأعظم وأجل من كل شيء، وأنه ما من شيء مهما كبر فإنه يصغر عند كبرياء الله وعظمته، وعليه أن يعلم أن كبرياء الرب وعظمته وجلاله وكماله وسائر أوصافه ونعوته لا يمكن أن تحيط به العقول، أو تدركه الأبصار والأفكار، فالله أعظم وأكبر من ذلك، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ لَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكُوتِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء].

- من علم أن الله ﷻ هو الكبير الذي ليس شيء أكبر منه ذل لربه وانكسر بين يديه، وصرف له جميع أنواع العبادة، وأنه وحده تبارك وتعالى المستحق لذلك كله دون سواه، وأن كل من أشرك بالله ﷻ شيئاً أو شبهه بشيء من خلقه فما قدر الله حق قدره ولا عظمه حق تعظيمه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنی للبدر (١٥١ - ١٥٣) [مطابع الحميضي، ط١، ١٤٢٩هـ]، وأسماء الله الحسنی لماهر المقدم (١٦٦ - ١٦٨) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط٤، ١٤٣١هـ].

(١) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٢٨٦) [دار الهجرة الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٤٤) [مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

والكِبْر: الإثم وهو من الكبيرة واحدة الكبائر، كالخِطء من الخطيئة، والكِبْر: الإثم الكبير، والكِبْرَة كالكِبْر، والتاء للمبالغة، والكبيرة: الفعلة القبيحة من الذنوب^(٢).

التعريف شرعاً:

كل ما استوجبت حدًّا في الدنيا، أو حدًّا في الآخرة، أو تُوعَدُ عليها بعقاب خاص في الدنيا، أو عقاب خاص في الآخرة، ففي الدنيا: كالجلد، والقتل، والرجم، والقطع، ونحوها، وأما في الآخرة: فكاللعنة، والغضب، ودخول النار، والحرمان من دخول الجنة، ونحوها، وهذا التعريف هو المتلقى من الشرع، وهو المأثور عن أئمة السلف رحمهم الله^(٣).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَجَبَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [٢٧]. [الشورى].

وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧﴾ [الزُّمَر].

المصادر والمراجع:

- ١ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.
- ٢ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للأصبهاني.
- ٣ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٠، ١٦)، لابن تيمية.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٥ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد التميمي.
- ٦ - «أسماء الله الحسنى»، للغصن.
- ٧ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٨ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٩ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ١٠ - «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.
- ١١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

الكبيرة

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر. يقال: هو كبير، وكَبَّار، وكَبَّار»^(١).

(٢) انظر: لسان العرب (١٢٩/٥) [دار صادر، ط ١]، والقاموس المحيط (٤٩٢) [مؤسسة الرسالة].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٥٠/١١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٥٢٥/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١٣، ١٤١٩هـ].

(١) مقاييس اللغة (١٥٣/٥) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

«الكبائر: كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب»^(٤).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «الكبائر: هي ما فيها حد في الدنيا، أو في الآخرة؛ كالزنا، والسرقة، والقذف، التي فيها حدود في الدنيا، وكالذنوب التي فيها حدود في الآخرة، وهو الوعيد الخاص؛ مثل الذنب الذي فيه غضب الله، ولعنته، أو جهنم، ومنع الجنة، كالسحر، واليمين الغموس، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وشرب الخمر، ونحو ذلك، هكذا روي عن ابن عباس، وسفيان بن عيينة، وأحمد بن حنبل، وغيرهم من العلماء»^(٥).

وقال الذهبي رحمته الله: «والذي يتجه ويقوم عليه الدليل: أن من ارتكب حوباً من هذه العظائم، مما فيه حد في الدنيا؛ كالقتل، والزنا، والسرقة، أو جاء فيه وعيد في الآخرة؛ من عذاب، وغضب، وتهديد، ولعن فاعله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه كبيرة، ولا بدّ مع تسليم ذلك أن بعض الكبائر أكبر من بعض»^(٦).

وقال السعدي رحمته الله: «وأحسن ما حدث به الكبائر أن الكبيرة ما فيه حد

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»^(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، فقال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور»^(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه. قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟! قال: نعم؛ يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»^(٣).

❖ أقوال أهل العلم:

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٦/٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وسنده حسن.
(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٥٨/١١).
(٦) الكبائر وتبيين المحارم (١٠) [دار الكتاب العربي، ط ١٤٢٥هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الحدود، رقم ٦٨٥٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٩).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٧٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٧).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٧٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩٠)، واللفظ له.

قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، فقال: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور»^(٣)، وفي الصحيحين عنه ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: الإشراف بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»^(٤)»^(٥).

وقال محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «وقوله: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ يدلُّ على عدم المساواة، وأن بعض المعاصي كبائر، وبعضها صغائر، والمعروف عند أهل العلم: أنه لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار»^(٦).

- المسألة الثانية: مرتكب الكبيرة:

وهو ما يسمَّى بالفاسق المَلِي، وهو الذي لم يَقم بواجب الإيمان، فأقدم على ارتكاب المحرمات، وأخل بفعل الواجبات، فهو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان، فلا يعطى اسم الإيمان المطلق، ولا يسلب عنه مطلق الإيمان، وهو تحت المشيئة يوم القيامة إن مات مصرًّا على الكبائر،

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) الداء والدواء (٢٨٩ - ٢٩١) [دار عالم الفوائد، ١٦].

(٦) أضواء البيان (٧/٢١٣) [دار عالم الفوائد].

في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو نفي إيمان، أو ترتيب لعنة أو غضب عليه»^(١).

◉ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: انقسام الذنوب إلى

كبائر وصغائر:

دل القرآن والسنة على أن الذنوب منها كبائر ومنها صغائر، فالأدلة السابقة من القرآن والسنة دلَّت على ذلك.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه»^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد دلَّ القرآن، والسنة، وإجماع الصحابة، والتابعين بعدهم، والأئمة على أن من الذنوب كبائر، وصغائر، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَجَتَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكُفَّرْ عَنْكُمْ سِئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢]، وفي الصحيحين عنه أنه

(١) تفسير السعدي (١٨٩) [دار السلام، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الاستئذان، رقم ٦٢٤٣)،

ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٧).

كما دلَّ على ذلك القرآن والسُّنة، وأجمع عليه أئمة السُّنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَافَتَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، فسمَّاهم مؤمنين، وجعلهم إخوة مع الاقتتال، وبغى بعضهم على بعض^(١).

ومن السُّنة عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقينه بمثلها مغفرة»^(٤).

وقال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً﴾ [النساء: ٩٢]، ولو أعتق مذنباً جزءاً عتقه بإجماع العلماء^(٢).

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله: «ومن لقي الله بذنب يجب له به النار، تائباً غير مصرٍّ عليه فإن الله ﷻ يتوب عليه، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ومن لقيه، وقد أقيم عليه حد ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارة له، كما جاء الخبر عن رسول الله ﷺ، ومن لقيه مصرراً غير تائب من الذنوب، التي استوجبت بها العقوبة، فأمره إلى الله ﷻ، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له»^(٥).

يقول ابن تيمية - في بيان عقيدة أهل السُّنة والجماعة -: «ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقوله المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً﴾ [النساء: ٩٢]، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾»^(٣).

وقال أبو عثمان الصابوني رحمته الله: «ويعتقد أهل السُّنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة، صغائر كانت أو كبائر، فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد على الإخلاص، فإن أمره إلى الله ﷻ إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة يوم القيامة سالمًا غانمًا، غير مبتلى بالنار، ولا

- المسألة الثالثة: المصّرُّ على الكبيرة:

وهو المستمرُّ عليها، والمداوم عليها إلى أن يموت دون توبة منها: وهذا حكمه عند أهل السُّنة والجماعة كحكم مرتكبي الكبيرة، سواء بسواء.

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٧).

(٥) أصول السُّنة ضمن شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة للالكائي (١/١٨٨) [مؤسسة الحرمين، ط ٨، ١٤٢٤هـ].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٦٧١).

(٢) انظر: المرجع السابق (٧/٦٧١).

(٣) المرجع السابق (٣/١٥١).

«اعلم أن جماعة من الأئمة أنكروا أن
في الذنوب صغيرة، وقالوا: بل سائر
المعاصي كبائر، منهم: الأستاذ أبو بكر
إسحاق الإسفرائيني، والقاضي أبو بكر
الباقلاني، والجويني في الإرشاد، وابن
القشيري في المرشد، بل حكاه ابن
فورك عن الأشاعرة، واختاره في
تفسيره؛ فقال: معاصي الله ﷻ عندنا
كلها كبائر، وإنما يقال لبعضها صغيرة
وكبيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها، ثم
أول الآية الآتية: ﴿إِنْ جَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا
نُهْنُونَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء]
بما ينبو عنه ظاهرها»^(٣).

وقد تقدم تقرير أن الذنوب منقسمة
إلى كبائر وصغائر، بما يبطل مذهب
القوم من أصله.

ثانيًا: خالف في حكم واسم مرتكب
الكبيرة ثلاثة من طوائف أهل الأهواء
والبدع:

الأولى: الخوارج ومن وافقهم قالوا:
إن مرتكب الكبيرة كافر كفرًا مخرجًا من
الملة، فاستحلوا دمه، وماله، وعرضه،
وقالوا: حكمه في الآخرة خالد مخلد
في نار جهنم، فخالقوا أهل السنة في
الاسم والحكم.

معاقب على ما ارتكبه من الذنوب
واكتسبه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة
من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه،
وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم
يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى
نعيم دار القرار»^(١).

وليس المصير على الكبائر المعترف
بحرماتها مستحلًا لها؛ إذ الاستحلال
معناه أن يعتقد حل ما حرمه الله، فتكفير
المصير على الكبيرة بدعوى أنه مستحل
لها هو عين مذهب النجدات من أكبر
فرق الخوارج.

قال ابن حزم رحمه الله: «وقالوا: من
كذب كذبة صغيرة، أو عمل ذنبًا صغيرًا،
أو أصرَّ على ذلك فهو كافر مشرك،
وكذلك في الكبائر»^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

أولًا: خالف بعض الطوائف
- كالأشاعرة ومن وافقهم - في تقسيم
الذنوب إلى صغائر وكبائر، وجعلوا
الكل كبائر، وقالوا: إن تقسيمها إلى
كبائر وصغائر إنما يقال بالإضافة إلى ما
هو أكبر منها.

قال ابن حجر الهيتمي الأشعري:

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٨٢) [دار
المنهاج، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥٣/٥) [دار
الجيل، ط٢، ١٤١٥هـ].

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (٨/١) [المكتبة
العصرية، ط٢، ١٤٢٠هـ].

الثانية: المعتزلة ومن وافقهم قالوا: إن مرتكب الكبيرة له اسم بين الاسمين، فلا هو مؤمن، ولا هو كافر، وإنما يسمى فاسقًا، كما أن له حكمًا بين الحكمين، فلا يكون حكمه حكم الكافر، ولا يكون حكمه حكم المؤمن، بل هو في منزلة بين المنزلتين، فلم يستحلوا، دمه، ولا ماله، ولا عرضه، لكن وافقوا الخوارج في حكمه في الآخرة، وأنه إن مات على الكبائر، دون توبة منها: فهو مخلد في نار جهنم^(١).

الثالثة: وهم المرجئة بجميع أصنافهم، قالوا: إن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، وإن ارتكب المعاصي، وفرط في الواجبات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الناس في الفاسق من أهل الملة، مثل الزاني، والسارق، والشارب، ونحوهم ثلاثة أقسام: طرفان، ووسط:

أحد الطرفين: أنه ليس بمؤمن بوجه من الوجوه، ولا يدخل في عموم الأحكام المتعلقة باسم الإيمان.

ثم من هؤلاء من يقول: هو كافر؛ كاليهودي، والنصراني، وهو قول الخوارج.

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (٧٩٦) [مكتبة وهبة، ط ٣، ١٤١٦هـ]، والمنية والأمل لابن المرتضى المعتزلي (١٣) [ط ٢، ١٤٠٧هـ].

ومنهم من يقول: نُنزله منزلةً بين المنزلتين، وهي منزلة الفاسق، وليس هو بمؤمن، ولا كافر، وهم المعتزلة.

وهؤلاء يقولون: إن أهل الكبائر يخلدون في النار، وإن أحدًا منهم لا يخرج منها، وهذا من مقالات أهل البدع، التي دل الكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة، والتابعين لهم بإحسان على خلافها.

الطرف الثاني: قول من يقول: إيمانهم باق، كما لم ينقص؛ بناء على أن الإيمان هو مجرد التصديق والاعتقاد الجازم، وهو لم يتغير، وإنما نقصت شرائع الإسلام، وهذا قول المرجئة، والجهمية، ومن سلك سبيلهم، وهو أيضًا قول مخالف للكتاب والسنة، وإجماع السابقين، والتابعين لهم بإحسان^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الكبائر وتبيين المحارم»، الذهبي.
- ٢ - «الزواجر عن اقتراف الكبائر»، للهيتمي.
- ٣ - «الذخائر لشرح منظومة الكبائر»، للسفاريني.

٤ - «السنة»، لعبد الله بن أحمد.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٦٧٠، ٦٧١).

الخبرية الاختيارية ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، وقد جاء بيان ذلك وإثباته في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة^(٤).

❁ الأسماء الأخرى:

الْخَطُّ.

❁ الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

❁ الحقيقة:

الكتابة المضافة إلى الله تعالى الواردة في النصوص على أنواع:

١ - أمر الله تعالى القلم بالكتابة: عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»^(٥).

(٤) انظر: صفات الله الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٢٨٩) [دار الهجرة، الرياض، ٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٤٥) [مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، رقم ٤٧٠٠)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣١٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٧٨/٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٠١٨).

٥ - «السنة»، لأبي بكر الخلال.

٦ - «مجموع الفتاوى» (ج٧)، لابن تيمية.

٧ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

٨ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٩ - «كتاب الإيمان»، للقاضي أبي يعلى.

١٠ - «آراء المرجئة في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية»، لعبد الله بن محمد السند.

❁ الكتابة (صفة لله تعالى) ❁

❁ التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الكاف والتاء والباء أصل صحيح يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكتاب والكتابة»^(١).

والكتابة اسم، وهي صناعة كالنجارة والخطارة^(٢).

تقول: كتبت الغلام تكتيباً؛ إذا علمته الكتابة^(٣).

❁ التعريف شرعاً:

الكتابة صفة من الصفات الفعلية

(١) مفاتيح اللغة (٤٣٤/٢) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: المصباح المنير (٥٢٤/٢).

(٣) انظر: تاج العروس (١٠٣/٤).

يحببه الله ومنه ما لا يحبه الله ﷻ، منه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

● الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقال ﷻ: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ [مريم: ٧٩]، وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

وعن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين، ختم بهما سورة البقرة، لا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان»^(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله كتب كتابًا

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٨٨٢)، وأحمد (٣٠/٣٦٣) [مؤسسة الرسالة، ١٦]، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٤٣٠)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٧٨٢)، والحاكم (كتاب فضائل القرآن، رقم ٢٠٦٥) و(كتاب التفسير، رقم ٣٠٣١) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٨/٢) [مكتبة المعارف، ط ٥].

٢ - كتابة الله التوراة بيده سبحانه: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم! أنت أبونا خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة. فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟»، فقال النبي ﷺ: «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى» ثلاثًا. وفي رواية عند مسلم بلفظ: «كتب لك التوراة بيده»^(١).

٣ - إذا قضى الله أمرًا فإنما يقول له كن فيكون: قال الله تعالى: ﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، وقال سبحانه: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧].

وكتابة الله تعالى على قسمين:

الأول: كتابة شرعية دينية، وهذا لا يلزم منها وقوع المكتوب، فقد يقع وقد لا يقع، والله ﷻ يرضاها ويحب وقوعها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

والثاني: كتابة كونية قدرية، وهذا يلزم منها وقوع المكتوب، ومنه ما

(١) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش»^(١).

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم! أنت أبونا خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة. فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟»، فقال النبي ﷺ: «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى» ثلاثاً، وفي رواية عند الإمام مسلم بلفظ: «كتب لك التوراة بيده»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال كعب الأخبار: لم يخلق الله بيده غير ثلاث: خلق آدم ﷺ بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، ثم قال لها: تكلمي. قالت: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ» ﴿١﴾ [المؤمنون]^(٣).

وقال حكيم بن جابر: «أخبرت أن

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٥٤)، واللفظ له، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الدارمي في رده على بشر الميرسي (٩٩)، (١٠٠)، رقم (٤٦) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ]، والآجري في الشريعة (٣/١١٨٥) رقم (٧٥٩) [دار الوطن، الرياض، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وصحح الألباني إسناده في مختصر العلو (١٣٠) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ] ضمن كلامه على الأثر رقم (١٠٤).

ربكم ﷻ لم يمس إلا ثلاثة أشياء: غرس الجنة بيده، وخلق آدم ﷺ بيده، وكتب التوراة بيده»^(٤).

وقال ميسرة: «إن الله لم يمس شيئاً من خلقه غير ثلاث: خلق آدم ﷺ بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده»^(٥).

وقال ابن أبي عاصم: «باب في ذكر قول ربنا ﷻ: سبقت رحمتي غضبي، وكتب ذلك بيده على نفسه»^(٦).

وقال الآجري: «باب الإيمان بأن الله ﷻ خلق آدم ﷺ بيده، وخط التوراة لموسى بيده»^(٧).

وقال ابن منده: «بيان آخر يدل على أن الله ﷻ خط التوراة بيده»^(٨).

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (٣/١١٨٣) رقم (٧٥٧)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في السُّنة (١/٢٩٥) رقم (٥٧٠) [دار ابن القيم، الدمام، ط ١، ١٤٠٦]، وأبو بكر النجاد في الرد على من يقول القرآن مخلوق (٦٧) رقم (٩٨) [مكتبة الصحابة الإسلامية، الكويت، ١٤٠٠هـ]؛ وذكره الذهبي في العلو للعلو الغفار (١٢٥) رقم (٣٣١) [أضواء السلف، ط ١، ١٩٩٥م]، وصححه الذهبي في الأربعين في صفات رب العالمين (٨٠) رقم (٧٧) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط ١، ١٤١٣هـ]؛ والألباني في مختصر العلو (١٣٠) رقم (١٠٤).

(٥) أخرجه الدارمي في رده على الميرسي (٩٨)، (٩٩) رقم (٤٥)، وقال الألباني في مختصر العلو (١٣٠): «رجاله ثقات».

(٦) كتاب السُّنة (١/٢٧٠) [المكتب الإسلامي، ط ١].

(٧) كتاب الشريعة (٣/١١٧٧).

(٨) كتاب التوحيد لابن منده (٣/٩٤) [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ١، ١٤١٣هـ].

[النساء]، وقال تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَفُّونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة].

والثاني: كتابة كونية قدرية، وهذه يلزم منها وقوع المكتوب، ومنه ما يحبه الله ومنه ما لا يحبه الله ﷻ، ومن الأمثلة على الكتابة الكونية قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام: ١٢].

- المسألة الثانية: كتابة الله التوراة

بيده:

ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «احتج آدم وموسى» في رواية عند الإمام مسلم بلفظ: «كتب لك التوراة بيده»^(٣). قال الآجري: «باب الإيمان بأن الله ﷻ خلق آدم عليه السلام بيده، وخط التوراة لموسى بيده»^(٤)، وقال ابن منده: «بيان آخر يدل على أن الله ﷻ خط التوراة بيده»^(٥).

وقال ابن تيمية: «وأما قوله: «إن الله كتب التوراة بيده» فهذا قد روي في الصحيحين، فمن أنكر ذلك فهو مخطئ

وقال ابن تيمية: «وأما قوله: «إن الله كتب التوراة بيده» فهذا قد روي في الصحيحين، فمن أنكر ذلك فهو مخطئ ضال، وإذا أنكره بعد معرفة الحديث الصحيح يستحق العقوبة»^(١).

وقال ابن القيم: «ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع وروداً متنوعاً متصرفاً فيه مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك والطي والقبض والبسط والمصافحة والحثيات والنضح باليد والخلق باليدين والمباشرة بهما، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: كتابة الله تعالى على قسمين:

الأول: كتابة شرعية دينية، وهذه لا يلزم منها وقوع المكتوب، فقد يقع وقد لا يقع، والله ﷻ يرضاهما ويحب وقوعها، ومن الأمثلة على ذلك، فرضية الصلاة والصيام والقصاص، وغيرها من الأحكام الشرعية التي أمر الله بها عباده وكتبها عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾

(١) مجموع الفتاوى (٥٣٣/١٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٢) مختصر الصواعق المرسله (١٧١/٢) [مكتبة الرياض الحديثة، ط ١٣٤٩هـ].

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) كتاب الشريعة (١١٧٧/٣).

(٥) كتاب التوحيد لابن منده (٩٤/٣).

ضال، وإذا أنكره بعد معرفة الحديث الصحيح يستحق العقوبة»^(١).

- المسألة الثالثة: ذكر في الأسماء الحسنى: الكاتب:

وقد ذكره القرطبي، وابن الوزير اليماني^(٢)، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُزُونَ﴾ [الأنبياء].

والصحيح أن هذا الاسم ليس من أسماء الله الحسنى، وإنما هو من صفات الأفعال، وليس كل ما يطلق على الله صفة وفعلاً يشتق له منه اسم^(٣).

- المسألة الرابعة: الكتابة في باب القدر:

الكتابة في باب القدر هي المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر، قال ابن القيم: «مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر، وهي أربع مراتب:

المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها.

المرتبة الثالثة: مشيئته لها.

الرابعة: خلقه لها»^(٤). فالقدر له أربع مراتب، والكتابة هي المرتبة الثانية منها، فنؤمن أن الله سبحانه كتب في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج]، فهذه الآية تدل دلالة واضحة على أن الله ﷻ علمه محيط بكل ما في السماء والأرض، وأنه لا يخفى عليه منها خافية، من ظواهر الأمور وبواطنها، خفيها وجليها، متقدمها ومتأخرها. وذلك العلم المحيط بما في السماء والأرض قد أثبتته الله في كتاب، وهو اللوح المحفوظ، فالآية جمعت في الدلالة على المرتبتين: العلم والكتابة^(٥)، والله أعلم.

- المسألة الخامسة: حكم تعليق الآيات القرآنية المكتوبة للاستشفاء بها:

إنّ كتابة القرآن الكريم وتعليق المكتوب منه على المريض من باب الاستشفاء به - وهو ما يسمى بالتمائم - من المسائل المختلف فيها عند أهل

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٥٣٣).

(٢) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/١٩٦) [دار الصحابة، ط١]، وإيثار الحق على الخلق (١٦٠) [دار الكتب العلمية، ط٢].

(٣) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله للتيمي (٢٣٩) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

(٤) شفاء العليل (٥٥) [دار الكتب العلمية، ط٢].

(٥) انظر: المسائل العقدية المتعلقة بآدم ﷺ (٢/١٠٧٦ - ١٠٧٨) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط١، ١٤٣١هـ].

والعلم، فمنهم من منعه ومنهم من أجازته، والمنع هو الأولى، وذلك لما يلي:

أ - عموم النهي الوارد في تحريم التمام؛ كحديث ابن مسعود رضي الله عنه؛

ب - لو كان هذا العمل مشروعاً لبيّنه النبي صلى الله عليه وآله لأمته؛ إذ البيان لا يؤخر عن وقت الحاجة، والمتبع للسنة النبوية يرى أن جميع الأحاديث الواردة في الأذكار والدعوات وردت بلفظ من قال كذا أو من قرأ كذا، ولم يرد في حديث واحد من كتب كذا أو علق كذا.

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إن الرقى والتمام والتولة شرك»^(١).

قال ابن العربي عن تعليق القرآن من باب الرقية والاستشفاء به: «ليس من السنة، وإنما السنة فيه الذكر دون التعليق»^(٤).

وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله أقبل إليه رهط، فبايع تسعة، وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة، وتركت هذا؟ قال: «إن عليه تميمة» فأدخل يده فقطعها فبايعه، وقال: «من علق تميمة؛ فقد أشرك»^(٢).

ج - سداً للذريعة؛ فإنه يفضي إلى تعليق غير القرآن، ولأنه يفضي إلى إهانة المعلق والذهاب به إلى أماكن يجب إبعادها عنها مثل الحمامات ونحوها.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من تعلّق تميمة، فلا أتم الله له، ومن تعلّق ودعة فلا ودع الله له»^(٣).

فالصحيح من قولي أهل العلم هو عدم جواز تعليق التمام من القرآن الكريم وغيره من الأذكار الصحيحة^(٥)، والله تعالى أعلم بالصواب.

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٨٣)، وابن ماجه (كتاب الطب، رقم ٣٥٣٠)، وأحمد (٦/١١٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الرقى والتمام، رقم ٦٠٩٠)، والحاكم (كتاب الطب، رقم ٧٥٠٥) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣١).

- المسألة السادسة: حكم كتابة القرآن وغسل الكتابة وشرب الغسالة استشفاءً:

إن كتابة القرآن في جلد أو لوح

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦٣٦/٢٨، ٦٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الطب، رقم ٧٥١٣)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠٣/٥) [مكتبة القدسي]: [رجال أحمد ثقات]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٤٩٢).

(٤) عازضة الأحوذى (٢٢٢/٨) [دار الكتب العلمية].

(٥) انظر للتفصيل: أحكام الرقى والتمام (٢٤٣ - ٢٥٣) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٣) أخرجه أحمد (٦٢٣/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الرقى والتمام، رقم ٦٠٨٦)، والحاكم (كتاب الطب، رقم ٧٥٠١) وصححه، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٢٦٦).

ترك ذلك، والله أعلم بالصواب.

❁ مذهب المخالفين:

الكتابة صفة من الصفات الفعلية الاختيارية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلائية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية.

ومن ذلك ما جاء في تعليق أحدهم على صحيح البخاري^(٣) قوله: «خط لك بيده»: أنزل عليك كتابه التوراة». وهذا من المعلق تأويل وتحريف للكلم عن مواضعه، فليس الخط في لغة العرب بمعنى الإنزال ولا هو من معانيه، والواجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما ثبتت في النصوص وبما تقتضيه لغتها العربية من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل.

وإنكار المعطلة لخط الله وكتابته بيده هو فرع عن إنكارهم لصفة اليد

ونحوهما ثم غسل المكتوب وشرب الغسالة من باب الاستشفاء بالقرآن الكريم من المسائل المختلف فيها عند أهل العلم^(١)، والأولى ترك ذلك؛ فقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة أن «كتابة سورة أو آيات من القرآن في لوح أو طبق أو قرطاس وغسله بماء أو زعفران أو غيرهما وشرب تلك الغسالة رجاء البركة أو استفادة علم أو كسب مال أو صحة وعافية ونحو ذلك فلم يثبت عن النبي ﷺ أنه فعله لنفسه أو غيره، ولا أنه أذن فيه لأحد من أصحابه أو رخص فيه لأمته مع وجود الدواعي التي تدعو إلى ذلك، ولم يثبت في أثر صحيح فيما علمنا عن أحد من الصحابة ﷺ أنه فعل ذلك أو رخص فيه، وعلى هذا فالأولى تركه، وأن يستغن عنه بما ثبت في الشريعة من الرقية بالقرآن وأسماء الله الحسنى، وما صح من الأذكار والأدعية النبوية ونحوها مما يعرف معناه ولا شائبة للشرك فيه، وليتقرب إلى الله تعالى بما شرع، رجاء التوبة، وأن يفرج الله كربته ويكشف غمته ويرزقه العلم النافع ففي ذلك الكفاية، ومن استغنى بما شرع الله أغناه الله عما سواه»^(٢). فالأولى

(٢٦٠) [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط٣، ١٤١٩هـ].

(٣) صحيح البخاري (٢٤٣٩/٦) [دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ] والمعلق هو: (مصطفى ديب البغا). وانظر أيضاً في أقوال المخالفين: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للبعيني (٢٤٤/٢٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ]، ومنحة الباري بشرح صحيح البخاري لذكريا الأنصاري (٥٣٩/٩) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ].

(١) انظر للتفصيل: التبرك أنواعه وأحكامه (٢٣٢ - ٢٣٥) [مكتبة الرشد، الرياض، ط٥، ١٤٢١هـ]، وأحكام الرقى والتمايم (٦٦ - ٦٩).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١/٢٤٥ - ٢٤٦ و٢٥٩).

المريسي الجهمي العنيد فيما افترى
على الله في التوحيد»، للدارمي.

❖ الكتابة (من مراتب القدر) ❖

❖ التعريف لغة:

قال ابن فارس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الكاف والتاء
والباء أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على جمع
شيءٍ إلى شيءٍ. من ذلك الكتابُ
والكتابة. يقال: كتبت الكتابَ أكتبه
كُتِبًا»^(١).

يقال: كتبت البغلة؛ إذا جمعت
شفرى رحمها بحلقة، والكُتِبَ: الحُرْزُ،
ومن الباب: الكتاب، وهو الفرض،
ويقال للحكم: الكتاب، ويقال للقدر:
الكتاب. والكاتبُ عند العرب العالم،
والمُكاتبُ: العبد، يكاتب سيده على
نفسه، وأصله من الكتاب^(٢).

❖ التعريف شرعاً:

الكتابة: هي كتابة الله عَلَيْكَ لكل شيء
في اللوح المحفوظ، مما هو من أفعاله
وكلامه، ومما هو كائن من خلقه إلى
يوم القيامة^(٣).

❖ الأسماء الأخرى:

الكتاب، والقدر، والتقدير، والذكر.

الثابتة لله عَلَيْكَ. والصحيح أنه يجب
إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله
وعظمته، لدلالة الكتاب والسُّنة ولوجود
أقوال السلف في ذلك، فهي كغيرها من
الصفات الثابتة لله تعالى، والله تعالى
أعلم.

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام الرقى والتمايم»، لفهد السحيمي.
- ٢ - «التبرك أنواعه وأحكامه»، لناصر الجديع.
- ٣ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٤ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (ج ٢)، لعبد الله بن محمد الغنيمان.
- ٥ - «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء».
- ٦ - «كتاب التوحيد» (ج ٣)، لابن منده.
- ٧ - «كتاب السُّنة» (ج ١)، لابن أبي عاصم الشيباني.
- ٨ - «كتاب الشريعة» (ج ٣)، لأبي بكر الأجري.
- ٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٢)، لابن تيمية.
- ١٠ - «مختصر الصواعق المرسله» (ج ٢)، للموصللي.
- ١١ - «نقض عثمان بن سعيد على

(١) مقاييس اللغة (١٢٨/٥) [دار الجبل].

(٢) انظر: لسان العرب (٦٩٨/١) [دار صادر، ط ١]، ومختار الصحاح (٥٨٦) [مكتبة لبنان، ١٤١٥].

(٣) انظر: شفاء العليل (٧٧) [دار الكتب العلمية، ط ٣].

الحكم:

يجب الإيمان بكتابة الله تعالى لكل شيء في اللوح المحفوظ، والكتابة أحد مراتب الإيمان بالقدر، التي من لم يؤمن بواحدة منها لم يكن مؤمناً بالقدر^(١).

الحقيقة:

أن الله تبارك وتعالى هو العليم بكل شيء وبكل ما كان وما سيكون ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولكمال علمه وأن كل شيء بيده وفي تصرفه وتدبيره كتب في اللوح المحفوظ عنده كل ما كان وما سيكون، فيقع كل ما هو مكتوب كما كتب لا يختلف في قليل ولا كثير، وهذه حقيقة القدر: أن كل شيء إنما يصدر عن قدر سابق مكتوب.

الأهمية:

الكتابة علامة على إبرام الأمر نهائياً والفراغ منه؛ فإن الكتابة تأتي بمعنى القضاء المبرم؛ الذي لا عودة فيه قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة].

والفائدة في كتابة القدر السابق؛ مع تنزهه تعالى عن الخطأ والنسيان كما قال

تعالى: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه]، هو هذا المعنى؛ أي: التأكيد والإبرام للقدر السابق؛ فالكتابة علامة على نفاذ الأمور المقدرة وإمضائها على النحو المكتوب من غير تبديل؛ والفراغ منها؛ كما قال النبي ﷺ: «رفعت الأقلام، وجفّت الصحف»^(٢).

الأدلة:

قد دلت الأدلة الشرعية على أن الله ﷻ قد كتب المقادير كلها وأن كل ما يقع في الكون من صغير أو كبير فهو مكتوب في اللوح المحفوظ، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل]، وقوله

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرفائق والورع، رقم ٢٥١٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٤٨٧/٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في تحقيقه للمشكاة (رقم ٥٣٠٢) [المكتب الإسلامي، ط ٣].

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤٨/٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ]، وشفاء العليل (٧٧)، وشرح الواسطية لابن عثيمين (١٩٧/٢) [دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٤٢٤هـ].

تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٢٢﴾ [الحديد].

ومن السنة حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: إني عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه قوم من بني تميم، فقال: «اقبلوا البشري يا بني تميم»، قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: «اقبلوا البشري يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم»، قالوا: قبلنا، جئناك لتتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان، قال: «قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر، قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض»^(١).

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، يا بُنَيَّ إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من مات على غير هذا فليس مني»^(٣).

وعن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعد وقعدنا حوله ومعه مخضرة فنكس فجعل ينكت بمخضرته ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة، إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة» قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا، وندع العمل؟ فقال: «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، فقال: «اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرضه على الماء»^(٢).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك،

﴿وَصَدَقَ بِالْحَسَنِ﴾ ﴿٦﴾ ﴿فَسَيَسِّرُهُ لِيُيسِّرَ﴾ ﴿٧﴾
﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ ﴿٨﴾ ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِ﴾ ﴿٩﴾

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، رقم ٤٧٠٠) واللفظ له، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣١٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٧٨/٣٧) مؤسسة الرسالة، ط ١، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٠١٨).

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣١٩١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٣).

فَسَيَسِيرُهُ لِلْعَسْرَى ﴿١٠﴾ [الليل] (١).

❁ أقوال أهل العلم:

عن أبي الحارث قال: «سمعت أبا عبد الله، وسئل عن القدر، قيل له: إنهم يقولون: إن الله ﷻ لا يضل أحداً هو أعدل من أن يضل أحداً، ثم يعذبه على ذلك، فقال: أليس قال الله ﷻ: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [المدر: ٣١]، فالله ﷻ قدر الطاعة والمعاصي، وقدر الخير والشر، ومن كتب سعيداً فهو سعيد، ومن كتب شقيماً فهو شقي» (٢).

وقال الآجري: «إن الأنبياء إنما بعثوا مبشرين ومنذرين، وحجة على الخلق، فمن شاء الله تعالى له الإيمان آمن، ومن لم يشأ له الإيمان لم يؤمن، قد فرغ الله تعالى من كل شيء، قد كتب الطاعة لقوم، وكتب المعصية على قوم، ويرحم أقواماً بعد معصيتهم إياه، ويتوب عليهم، وقوم لا يرحمهم، ولا يتوب عليهم: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء] (٣).

وقال ابن القيم: «وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، وقد دلّ القرآن على أن

الرب تعالى كتب في أم الكتاب ما يفعل، وما يقوله فكتب في اللوح أفعاله وكلامه» (٤).

❁ الأقسام:

قد دلت النصوص الشرعية على أن كتابة القدر على نوعين: عامة وخاصة، وأن الخاصة تتعدد مرات عديدة وتفصيل ذلك على النحو التالي:

أولاً: العامة: وهي كتابة المقادير كلها في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض:

جاءت الأدلة الشرعية الكثيرة تدل على أن الله ﷻ قد كتب المقادير كلها ابتداءً في اللوح المحفوظ عند ما خلق الله ﷻ القلم قبل خلق السماوات والأرض، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، قال ابن جرير رحمه الله في الآية: «ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كل ما في السماوات السبع والأرضين السبع، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة، على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا، فمجازي المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته، ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن علمه بذلك

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٩٤٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٧).

(٢) السنة للخلال (٣/٥٣٧) [دار الولاية ط ١، ١٤١٠هـ].

(٣) الشريعة للأجري (٢/٧٣٠) [دار الوطن، ط ٢].

(٤) شفاء العليل (٧٧).

ثانياً: الكتابة الخاصة:

كتب الله ﷻ من تلك الكتابة الأولى كتابات خاصة مأخوذة من الكتابة الأولى، قال ابن القيم بعد أن ذكر التقادير المتعددة: «وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق»^(٧)، وقد دلت النصوص على أربعة منها:

١ - الكتابة قبل خلق آدم ﷺ بأربعين سنة:

كتب الله ﷻ على بني آدم كتابة خاصة وذلك قبل خلق أبينا آدم بأربعين سنة، دل على ذلك حديث محاجة آدم وموسى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى رضي الله عنهما عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض، فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجياً، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق، قال موسى: بأربعين عاماً، قال آدم: فهل وجدت فيها: وعصى آدم ربه فغوى، قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال

(٧) شفاء العليل (٤٣).

في كتاب، وهو أم الكتاب الذي كتب فيه ربنا جل ثناؤه قبل أن يخلق خلقه ما هو كائن إلى يوم القيامة»^(١).

ومن السنة حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»^(٢).

قال النووي رحمته الله: «قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير، فإن ذلك أزلي لا أول له»^(٣)، وقوله: «وعرشه على الماء»؛ أي: قبل خلق السماوات والأرض والله أعلم»^(٤).

وعباد بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»^(٥).

وحديث عمران بن حصين رضي الله عنه المتقدم^(٦)، فهذه الأحاديث ونحوها تدل على أن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ.

(١) تفسير ابن جرير (٦٨١/١٨) [مؤسسة الرسالة ط١].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) يعني: أن ذلك مرتبط بعلم الله ﷻ وعلمه أزلي.

(٤) شرح مسلم للنووي (٢٠٣/١٦).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ [الدخان]، قال ابن جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هي ليلة القدر، يقضي فيها أمر السنة كلها من يموت، ومن يولد، ومن يعزّز، ومن يذل، وسائر أمور السنة.

وروي بسنده عن ربيعة بن كلثوم، قال: كنت عند الحسن، فقال له رجل: يا أبا سعيد، ليلة القدر في كلِّ رمضان؟ قال: إي والله، إنها لفي كلِّ رمضان، وإنها الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله كلَّ أجل وأمل ورزق إلى مثلها.

وروي عن مجاهد أنه قال: في ليلة القدر كل أمر يكون في السنة إلى السنة: الحياة والموت، يقدر فيها المعاش والمصائب كلها^(٣).

وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها. وهكذا روي عن ابن عمر، وأبي مالك، ومجاهد، والضحاك، وغير واحد من السلف»^(٤).

(٣) تفسير ابن جرير (٩/٢٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٧/٢٤٦).

رسول الله ﷺ: «فحجَّ آدم موسى»^(١).

فالحديث صريح بأن هذا التقدير وهذه الكتابة بعد الكتابة الأولى التي في اللوح المحفوظ ولا حاجة للنص عليها لو لم تكن لاحقة للكتابة الأولى.

٢ - كتابة أعمال الإنسان وهو في بطن أمه:

جاءت أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ منها حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغاً مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة»^(٢).

٣ - الكتابة الحولية:

وهي أن الله ﷻ يكتب أعمال السنة كاملة في كل ليلة قدر من السنة، دل

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠٩)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٣).

٤ - نسخ المقادير من قبل الحفظة من اللوح المحفوظ، وهو التقدير اليومي.

قال حافظ الحكمي: «التقدير اليومي وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدّرت لها فيما سبق»^(١).

قد وكل الله ﷻ حفظة على بني آدم يكتبون أعمالهم وقد وردت أدلة تدل على أن الحفظة تنسخ أعمال بني آدم من اللوح المحفوظ وتطابقها على أفعالهم فيجدونها متطابقة، قال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول ما خلق الله تعالى القلم فأخذه بيمينه، وكلتا يديه يمين. قال: فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول؛ برٌّ أو فجور، رطب أو يابس، فأحصاه عنده في الذكر، فقال: أقرؤوا إن شئتم: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [١٦] فهل تكون النسخة إلا من شيء قد فرغ منه»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِنَّا كُنَّا

(١) معارج القبول (٣/٩٣٧).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنّة (٤٩/١) [المكتب الإسلامي، ط ١]، والفريابي في القدر (٢٣١) [أضواء السلف، ط ١]، والآجري في الشريعة (٢/٧٥٩) [دار الوطن، ط ٢]، وحسنه الألباني في ظلال الجنة (٥٠/١).

نَسْتَنْسِخُ﴾ قَالَ: «الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم، فإنما يعمل الإنسان على ما استنسخ الملك من أم الكتاب»^(٣). وفي رواية عنه أنه قال في الآية: «كتب الله أعمال بني آدم وما هم عاملون إلى يوم القيامة. قال: والملائكة يستنسخون ما يعمل بنو آدم يوماً بيوم فذلك قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾»^(٤).

قال ابن بطة رحمته الله في بيان أن الكتبة ينسخون أعمال العباد عن اللوح المحفوظ: «وفي كتابة المقادير الأزلية جاء قوله تعالى: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [١] [القلم]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٢] فدلت الآية الأولى على أن الله تعالى أقسم بالقلم الذي سطر المقادير في الأزل، ودلت الآية الثانية على أن الملائكة الموكلين بحفظ أعمال العباد اليومي وكتابتها كانوا يستنسخون من الكتاب السابق الذي كتبه القلم في أم الكتاب أزلًا، فيكون عمل الرجل اليومي مطابقًا لما يستنسخ من اللوح المحفوظ، كما فسره بذلك حبر الأمة عبد الله بن

(٣) أخرجه البيهقي في القضاء والقدر (١٢٥) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤٢١هـ]، وسنده ضعيف.

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنّة (٣/٥٩٥) [دار طيبة، ط ٨، ١٤٢٣هـ]، وسنده ضعيف جدًا.

عباس عليه السلام (١) «(٢)» .

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المحو والإثبات:

الله تعالى هو العليم بكل شيء لا تخفى عليه خافية، ولا يقع شيء في ملكه إلا بعلمه وإرادته ومشيئته، وقد كتب عليه السلام مقادير الخلائق وما يقع منهم وما يقع عليهم، وقد سبق بيان الأدلة في ذلك، وهذا أمر متفق عليه بين أهل السنة لا خلاف فيه، وإنما اختلفوا فيما في اللوح المحفوظ وما في أيدي الملائكة من الصحف مما أطلعهم الله عليه، أيقع فيه محو، أم أنه قد ختم عليه فلا يقع فيه محو ولا تبديل ولا تغيير؟ وأساس الخلاف يرجع إلى الاختلاف في فهم قول الله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣٩) [الرعد]، وقد ذكر أهل العلم أقوالاً عديدة في معنى الآية، بلغت عند بعضهم كالقرطبي رحمته الله إلى ثمانية عشر قولاً، والذي يهمننا من ذلك هنا الأقوال المرتبطة بالمحو والإثبات مما كتب من المقادير، وهي ترجع إلى خمسة أقوال:

القول الأول: أنه لا محو ولا إثبات ولا تغيير لشيء من المكتوب، وإنما

(١) كما أخرجه أبو عبيد في النسخ والممنسوخ (١٦) [مكتبة الرشد، ١٤١٨]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٦٩٣) ورجال سند أبي عبيد ثقات.

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٣/١٥٤) [دار الراجعية].

معنى الآية في أمور أخرى خارجة عن تلك المعاني السابقة، قال ابن عطية رحمته الله: «وتخبط الناس في معنى هذه الألفاظ، والذي يتخلص به مشكلها: أن نعتقد أن الأشياء التي قدرها الله تعالى في الأزل وعلمها بحال ما لا يصح فيها محو ولا تبديل، وهي التي ثبتت في (أُمُّ الْكِتَابِ) وسبق بها القضاء، وهذا مروى عن ابن عباس وغيره من أهل العلم، وأما الأشياء التي قد أخبر الله تعالى أنه يبدل فيها وينقل كعفو الذنوب بعد تقريرها، وكنسخ آية بعد تلاوتها واستقرار حكمها ففيها يقع المحو والتثبيت فيما يقيد الحفظه ونحو ذلك، وأما إذا رد الأمر للقضاء والقدر فقد محا الله ما محا وثبت ما ثبت. وجاءت العبارة مستقلة بمجيء الحوادث، وهذه الأمور فيما يستأنف من الزمان» (٣).

ومن قال بهذا القول اختلفوا في بيان ما يقع فيه المحو والإثبات ومما ذكروا في ذلك:

١ - أن الله ينسخ ما يشاء من أحكام كتابه، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه. وقال بهذا ابن عباس وقتادة وابن زيد وابن جريج ومال إليه شارح الطحاوية.

٢ - أنه يمحو من قد حان أجله،

(٣) المحرر الوجيز (٣/٣١٧) [دار الكتب العلمية، ط ١].

ويثبت من لم يجئ أجله إلى أجله. وقال به الحسن البصري ومجاهد وهو الذي رجحه ابن جرير.

٣ - وقيل إن معنى الآية: يغفر ما يشاء من ذنوب عباده، فهذا المحو، ويترك ما يشاء فلا يغفر وهذا الإثبات، وعزاه ابن جرير لسعيد بن جبير.

القول الثاني: أن المحو والإثبات فيما يتعلق بالمقادير واقع في جميع المقدورات المكتوبات؛ لأن الأمر يعود لمشيئة الله ﷻ وإرادته ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وممن نسب له هذا عمر بن الخطاب ﷺ، فقد روى ابن جرير بسنده عن أبي عثمان النهدي قال: «سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول، وهو يطوف بالكعبة: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ كَتَبْتَنِي فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ فَأَثْبِتْنِي فِيهَا، وَإِنْ كُنْتُ كَتَبْتَنِي عَلَيَّ الذَّنْبَ وَالسَّقْوَةَ فَاْمُحْنِي وَأَثْبِتْنِي فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتَثْبِتُ، وَعِنْدَكَ أُمَّ الْكِتَابِ»^(١)، ومثله روي عن ابن مسعود ﷺ وكعب الأحبار وأبي وائل شقيق بن سلمة والضحاك والكلبي^(٢).

القول الرابع: أن المحو والإثبات في كل شيء إلا الشقاء والسعادة والموت والحياة فإنه قد فرغ منها فلا محو ولا إثبات فيها، وهو القول الأشهر عن ابن عباس وهو قول مجاهد.

القول الخامس: أن الله يمحو ما يشاء ويثبت من الكتب والصحف التي بأيدي الملائكة، أما ما في أم الكتاب فلا يُعَيَّرُ منه شيء. وعزاه ابن جرير هذا القول لابن عباس ﷺ وعكرمة^(٤).

وقد قال بمضمون هذا القول الأخير شيخ الإسلام ابن تيمية في موضوع الأجل، فقد قال: «إن الله ﷻ يكتب للعبد أجلاً في صحف الملائكة، فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، وإن

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير (٤٧٨/١٦) مؤسسة الرسالة، ط ١.

(٤) تفسير ابن جرير (٤٣٢/١٦). وانظر: تفسير ابن كثير (٤٧٢/٤)، وتفسير القرطبي (٣٢٩/٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٠١/٢)، وشرح الطحاوية (١٤٤/١).

القول الثالث: أن المحو والإثبات في كل شيء إلا الشقاء والسعادة فلا محو

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٨٢/١٦) مؤسسة الرسالة، ط ١، وابن بطة في الإبانة (١٣١/٤) [دار الراجعية، ط ١].

(٢) انظر أقوالهم في تفسير ابن جرير (٤٣٢/١٦).

عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب... وهذا معنى ما روي عن عمر أنه قال: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ كَتَبْتَنِي شَقِيًّا فَاْمَحْنِي وَاكْتَبْنِي سَعِيدًا فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتَثْبِتُ. وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ عَالَمٌ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ؛ فَهُوَ يَعْلَمُ مَا كَتَبَهُ لَهُ وَمَا يَزِيدُهُ إِيَّاهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَالْمَلَائِكَةُ لَا عِلْمَ لَهُمْ إِلَّا مَا عَلَّمَهُمُ اللَّهُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَبَعْدَ كَوْنِهَا؛ فَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنْ الْمَحْوُ وَالْإِثْبَاتُ فِي صَحْفِ الْمَلَائِكَةِ، وَأَمَّا عِلْمُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فَلَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَبْدُو لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِهِ فَلَا مَحْوَ فِيهِ وَلَا إِثْبَاتَ. وَأَمَّا اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ فَهَلْ فِيهِ مَحْوٌ وَإِثْبَاتٌ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ^(١).

ونحو هذا قال ابن حجر: «وَأَنَّ الَّذِي يَجُوزُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ وَالتَّبْدِيلُ مَا يَبْدُو لِلنَّاسِ مِنْ عَمَلِ الْعَامِلِ، وَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَتَعَلَّقَ ذَلِكَ بِمَا فِي عِلْمِ الْحَفِظَةِ وَالْمَوْكَلِّينَ بِالْأَدْمِيِّ فَيَقَعُ فِيهِ الْمَحْوُ وَالْإِثْبَاتُ كَالزِّيَادَةِ فِي الْعَمْرِ وَالنَّقْصِ، وَأَمَّا مَا فِي عِلْمِ اللَّهِ فَلَا مَحْوَ فِيهِ وَلَا إِثْبَاتَ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ»^(٢).

- المسألة الثانية: إثبات الكتابة فعلاً من أفعال الله ﷻ:

الكتابة فعل من أفعال الله ﷻ، ثبت (١) مجموع الفتاوى (١٤/٤٩٠). (٢) فتح الباري (١١/٤٨٨). وانظر: تفسير السعدي (٤١٩).

ذلك بالأحاديث الصحيحة، ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي ﷺ: «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى». وفي حديث ابن أبي عمر وابن عبدة، قال أحدهما: «خط»، وقال الآخر: «كتب لك التوراة بيده»^(٣).

وفي تقرير هذا جاء كلام أهل العلم؛ قال ابن خزيمة رحمته الله «نقول: لله يدان مبسوطتان، ينفق كيف يشاء، بهما خلق الله آدم عليه السلام، وبيده كتب التوراة لموسى عليه السلام، ويدها قديمتان لم تزالا باقيتين، وأيدي المخلوقين مخلوقة»^(٤).

وقال الآجري: «باب الإيمان بأن الله ﷻ خلق آدم عليه السلام بيده، وخط التوراة لموسى بيده...»^(٥).

وقال ابن تيمية: «وأما قوله: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ» فهذا قد روي في الصحيحين، فمن أنكر ذلك فهو مخطئ

(٣) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢)، واللفظ له.
(٤) كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/١٩٥) [مكتبة الرشيد، ط ٥، ١٩٩٤م].
(٥) كتاب الشريعة (٣/١١٧٧).

ضال، وإذا أنكره بعد معرفة الحديث الصحيح يستحق العقوبة»^(١).

❁ مذهب المخالفين:

الإيمان بالقدر هو الإيمان بأربع مراتب:

الأولى: العلم، الثانية: الكتابة، الثالثة: المشيئة، الرابعة: خلق الأعمال.

وكان غلاة القدرية المتقدمون ينكرون العلم والكتابة، ومنهم: معبد الجهني. الذي كان أول من نفى القدر من المسلمين في البصرة في أواخر عهد الصحابة بعد موت الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

وهذا المذهب قد انقرض وورثه المعتزلة بعد أن تخفف إنكارهم للقدر بالإقرار بالعلم والكتابة وإنكار المشيئة وخلق الأعمال.

❁ الرد عليهم:

إن أنكار العلم وكتابة المقادير هو إنكار لعشرات النصوص من الكتاب والسنة التي جاء فيها تقرير ذلك صريحًا واطئًا لا لبس فيه ولا غموض، وقد سبق ذكر العديد من تلك النصوص الدالة على ذلك، وهي تتضمن الرد على هذه الطائفة من غلاة القدرية، كما أن كل من

أقرّ بعلم الله عز وجل بكل شيء وأن الله تعالى يعلم ما كان وما سيكون، فيجب أن يقر بالكتابة؛ لثبوتها بالنص؛ لأن الكتابة هي توثيق للمعلوم وتأكيد لوقوعه، فإنكارها لا مسوغ له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولكن لما اشتهر الكلام في القدر، ودخل فيه كثير من أهل النظر والعباد، صار جمهور القدرية يقرون بتقدم العلم، وإنما ينكرون عموم المشيئة والخلق. وعن عمرو بن عبيد في إنكار الكتاب المتقدم روايتان. وقول أولئك - يعني: منكري العلم والكتابة - كقرهم عليه مالك، والشافعي، وأحمد وغيرهم»^(٢).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «إتحاف ذوي الألباب»، لمرعي الكرمي.
- ٢ - «الاحتجاج بالقدر»، لابن تيمية.
- ٣ - «إرشاد ذوي العرفان لما للعمير من الزيادة والنقصان»، لمرعي الكرمي.
- ٤ - «القضاء والقدر»، للبيهقي.
- ٥ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٦ - «التكليف في ضوء القضاء والقدر»، لأحمد علي عبد العال.
- ٧ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

(٢) الإبانة لابن بطة (٢/٢٦١) [دار الراجعية، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٥٣٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

٨ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٩ - «القضاء والقدر في الإسلام»،

لفاروق أحمد الدسوقي.

١٠ - «القضاء والقدر»، لعبد الرحمن

المحمود.

الكتب السماوية

التعريف لغة:

الكتب: جمع كتاب؛ وهو: اسم للصَّحيفة وما يُكتب فيها؛ فيطلق الكتاب على المكتوب. والكاف والتاء والياء أصل صحيح يدلّ على جمع شيء إلى شيء، ومنه: الكتاب والكتابة. والكتاب: الفَرَض والحُكْم والقَدْر^(١).

السَّماويّة: نسبة إلى السماء التي نزلت منها هذه الكتب من عند الله ﷻ. وكل عالٍ مُطلٌّ تسمّيه العرب سماء؛ فالسّين والميم والواو أصل يدلُّ على العُلُو^(٢).

التعريف شرعاً:

الكتب السَّماوية: هي الكتب التي أنزلها الله ﷻ على رسله عليهم الصلاة والسلام، بوحي منه ﷻ؛ لتكون لهم ولأقوامهم هدى ونوراً ورحمة وموعظة وشرعاً، ويصلوا بها إلى سعادة الدنيا

(١) انظر: الصحاح (٢٠٨/١) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومقاييس اللغة (١٥٨/٥) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٦٥) [مؤسسة الرسالة، ط٥].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٩٨/٣).

والآخرة^(٣).

سبب التسمية:

سُمّي الوحي الذي أنزله الله ﷻ على رسله الكرام ﷺ بالكتب؛ إما على معنى الجمع؛ بمعنى: أن هذا الوحي المنزّل عليهم مجموع ومكتوب في كتاب، وإما على معنى الفرض والإلزام؛ بمعنى: أن ما فيها من أحكام وشرائع مفروض على أقوامهم الذين بعثوا فيهم.

الأسماء الأخرى:

الكتب هي: الكتب السماوية، والكتب الإلهية، والكتب المنزلة، ووحي الله تعالى إلى أنبيائه ورسله.

الحكم:

يجب على المسلم أن يعتقد أن الإيمان بالكتب السَّماوية المنزلة من عند الله تعالى على أنبيائه ورسله أصل وركن عظيم من أصول الإيمان والاعتقاد، معلوم من الدين بالضرورة، اتفق على وجوبه جميع الأنبياء والمرسلين من لدن أبي البشر آدم ﷺ إلى خاتمهم محمّد ﷺ، ولا يتحقّق إيمان العبد إلا بالإيمان به؛ فمن جحد شيئاً منها كفر.

والإيمان بتلك الكتب يتضمّن عدّة

أمور:

أولها: التصديق الجازم بأن جميعها

(٣) رسائل في العقيدة لابن عثيمين (٢٣).

الكتب المنزلة من عند الله تعالى، وأعظمها وأشرفها وأهداها، والمهيمن علينا، والناسخ لها ولشرائعها، والجامع لأصولها ومحاسنها، والباقي والخالد إلى قيام الساعة.

فالإيمان بالكتب السابقة هو الإقرار بها بالقلب واللسان، أما القرآن فيتضمن الإقرار والاتباع.

الثامن: أن كتب أهل الكتاب السابقة للقرآن الكريم (وهي: التوراة والزبور والإنجيل) قد نالتها أيدي التحريف والتبديل والتغيير والكتمان؛ فلم يسلم منها شيء؛ فلا تجوز نسبة كل ما فيها إلى هؤلاء الرسل، وليست هي كتبهم الصحيحة المنزلة من قبل الله تعالى؛ فالإيمان بها يعني: الإيمان بأصولها التي أنزلها الله تعالى.

أما القرآن الكريم فقد تكفل الله تعالى بحفظه؛ فما بين الدفتين - مما هو مكتوب في المصحف - هو القرآن الكريم بغير ما ارتياب ولا شك^(٢).

وحي منزل من عند الله تعالى على أنبيائه ورسله، وحق وصدق بغير شك ولا ارتياب، وأن الله تكلم بها حقيقة؛ فهي كلام الله غير مخلوقة لا كلام غيره.

والثاني: اعتقاد أن جميع الكتب دعت إلى عبادة الله وحده ونبذ الشرك به سبحانه.

الثالث: الإيمان بكل ما فيها من الشرائع، وتصديق ما صحَّ من أخبارها - كأخبار القرآن - وما لم يبذل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: أن جميع هذه الكتب يصدق بعضها بعضاً لا يكذبها؛ فلا تناقض بينها ولا تعارض؛ لأنها كلها من عند الله تعالى.

الخامس: أن نسخ الكتب بعضها ببعض حق؛ كما نسخ الإنجيل بعض شرائع التوراة، وكما نسخ القرآن كثيراً من شرائع التوراة والإنجيل. كما أن نسخ بعض آيات القرآن أو تخصيص عامها أو تفصيل مجملها بالكتاب والسنة حق.

السادس: الإيمان بما سمى الله تعالى لنا من الكتب السابقة إجمالاً في الإجمالي وتفصيلاً في التفصيلي^(١).

السابع: أن القرآن الكريم هو خاتم

(١) تفسير السعدي (٦١٧) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣٤/١٤)، والجواب الصحيح له (٦٤/٥) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]، وتفسير ابن كثير (١/٤٤٨، ٥٠١، ٣/١٢٩) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/٤٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٧هـ]، ومعارج القبول (٢/٦٧١) [دار ابن القيم بالدمام، ط١، ١٤١٠هـ]، وعقيدة أهل السنة والجماعة لابن عثيمين (٢٢) [الرياسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ١٤١٠هـ]، والرُّسُل =

الحقيقة:

ورُسُلِهِ ﴿البقرة: ٢٨٥﴾، ومما يدل على منزلة هذه الكتب أن الله أمر المؤمنين بأن يؤمنوا بها فقال سبحانه: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن بَرِّهِمْ وَلَا نَكْفُرُ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

أنزلت الكتب السماوية من عند الله تعالى كلها لغاية واحدة، وهدف واحد، وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له، ولتكون منهج حياة للبشر الذين يعيشون في هذه الأرض، تقودهم بما فيها من هداية إلى كل خير، ولتكون روحاً ونوراً تحيي نفوسهم، وتكشف ظلماتها؛ لكي يحظى الناس بسعادة الدنيا والآخرة^(١).

المنزلة:

ومما يدل على منزلتها أيضاً أن الله أهلك الأمم بسبب تكذيبهم بها، كما أخبر الله عن صالح بقوله: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَصَحَّحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ﴾ [الأعراف: ٧٦]، كذلك من أنكر شيئاً مما أنزل الله فهو كافر كما قال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

الكتب السماوية ذات منزلة عظيمة، فالإيمان بها يعدُّ أصل من أصول العقيدة، وركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان أحد إلا إذا آمن بالكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله ﷺ. وقد أثنى الله ﷻ على الرسل الذين يبلغون عن الله كتبه ورسالاته فقال:

﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشُونَ وَلَا يَخْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، كما أخبر سبحانه أن الرسول والمؤمنون آمنوا بما أنزل من عند الله من كتب، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَأَلْكَتِبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رُسُلِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]. وقال الله ﷻ: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن بَرِّهِمْ وَلَا نَكْفُرُ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

= والرَّسَالَاتِ لِلأَشْفَرِ (٢٢٩) [دار الفنايس، ط ١٢، ١٤٢٣هـ]، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (١٤٩/٢) [الترناسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ط ٢، ١٤١٢هـ]، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لخبذة من العلماء (١٢٧) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالسعودية، ١٤٢١هـ].

(١) انظر: الرسل والرسالات (٢٣٥).

بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَخُنُّ لَهٗ مُسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ عند جميع العلماء^(٤). [البقرة]. والآيات في هذا الباب كثيرة.

وثبت في حديث جبريل عليه السلام المشهور، أنه قال: «فأخبرني عن الإيمان؛ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).

وثبت في حديث دعاء النوم، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنزِّلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ؛ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ» الحديث^(٢)، وقد علّمه صلى الله عليه وآله وسلم لابنته فاطمة عليها السلام^(٣).

وقال ابن كثير رحمته الله: «أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم مفصلاً، وبما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً، ونصّ على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا يفرّقوا بين أحد منهم؛ بل يؤمنوا بهم كلهم»^(٦).

❖ الأقسام:

وقد ذكر الله تعالى منها في القرآن الكريم خمسة كتب؛ وهي: صحف إبراهيم، والتوراة، وصحف موسى، والزبور، والإنجيل، ثم ختمت الكتب السماوية المنزلة بأفضلها وأشرفها وهو سادسها؛ وهو: القرآن الكريم. فلو كانت صحف موسى هي نفسها التوراة، فتكون خمسا.

❖ أقوال أهل العلم:

أما صحف إبراهيم: فهي الكتب التي

(٤) الشرح والإبانة (الإبانة الصغرى) (٢٣٢، ٢٣٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/٢٧١). وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/١٣٤).

(٦) تفسير ابن كثير (١/٤٤٨).

قال ابن بطة رحمته الله: «وكذلك وجوب الإيمان والتصديق بجميع ما جاءت به الرسل من عند الله، وبجميع ما قال الله عز وجل فهو حق لازم، فلو أن رجلاً آمن بجميع ما جاءت به الرسل إلا شيئاً واحداً كان برد ذلك الشيء كافراً

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا لفظه.

وأخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) كما جاء في بعض روايات الحديث عند مسلم.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المفاضلة بين الكتب السماوية:

الكتب السماوية كلها من كلام الله تعالى، تكلم بها على الحقيقة، وكلام الله ﷻ يتفاضل بعضه على بعض - وإن كان كله ذا فضل وشرف -، وهذا التفاضل لا «باعتبار نسبه للمتكلم؛ فإنه سبحانه واحد؛ ولكن باعتبار معانيه التي يتكلم بها، وباعتبار ألفاظه المبينة لمعانيه»^(١).

قال تعالى: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ومن هذه الكتب: القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، وأعظمها التوراة والإنجيل والقرآن، وأعظم الثلاثة وناسخها وأفضلها هو القرآن.

ولم يتكفل الله ﷻ بحفظ شيء من هذه الكتب عدا القرآن^(٢). قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقال ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا

أنزلها الله ﷻ على نبيه وخليله إبراهيم ﷺ بوحي منه ﷻ. وقد نزلت عليه جملة واحدة في أول ليلة من شهر رمضان.

والتوراة: هي اسم كتاب الله ﷻ الذي أنزله على نبيه وكليمه موسى ﷺ، وألقاه إليه مكتوباً في الألواح؛ ليكون لبني إسرائيل هدى ونوراً. وقد نزلت عليه جملة واحدة لست مضمين من رمضان. واختلف؛ أهي صحف موسى أم غيرها؟

والزبور: هو اسم كتاب الله ﷻ الذي أنزله على نبيه داود ﷺ، بوحي منه ﷻ. وقد نزل عليه جملة واحدة لثمان عشرة خلت من رمضان.

والإنجيل: هو اسم كتاب الله ﷻ الذي أنزله على نبيه وعبده عيسى ﷺ؛ ليكون لبني إسرائيل هدى ونوراً وموعظة للمتقين. وقد نزل عليه جملة واحدة لثلاث عشرة خلت من رمضان.

والقرآن الكريم: هو كلام الله ﷻ المنزل على رسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل ﷺ، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته. وقد نزل جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان، ثم نزل على نبينا محمد ﷺ منجماً ومفرقاً حسب الوقائع والأحداث.

(١) مجموع الفتاوى (١٧/١٢٩). وانظر: (١٧/٥٧)، (١٣٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/١١ وما بعدها)، وفضائل القرآن الكريم (٣٠١، ٤٣٥)، والإيمان حقيقته: خوارمه - نواقضه - عند أهل السنة والجماعة (١٣٥) [مدار الوطن، ط١، ١٤٢٤هـ].

ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»^(٣).

قال ابن كثير: «وقد علم بالضرورة لذوي الألباب: أنّ الله لم ينزل كتاباً من السماء - فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه - أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ؛ وهو: القرآن»^(٤).

- المسألة الثانية: أصولها واحدة:

أصول الكتب السماوية واحدة، فهي تتفق في وحدة المصدر، فمصدرها واحد؛ فهي منزلة من عند الله، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۗ مِنَ قَبْلِ هَذِهِ لِنَاسٍ لَّنْزَلْنَا وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤].

كما أنها تتفق في الغاية، فهي كلها تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى دين الإسلام؛ فالإسلام هو دين جميع الرسل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَإِيسَاءُ﴾ [آل عمران: ١٩].

كما أنها تتفق في مسائل الاعتقاد:

(٣) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨٠٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٤٣/٦) [دار طيبة، ط ٢].

إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، «فأخبر أنه أحسن الحديث، فدلّ على أنه أحسن من سائر الأحاديث المنزلة من عند الله وغير المنزلة»^(١). وقال النبي ﷺ لأبي بن كعب رضي الله عنه: «تحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؟ قال: نعم يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «كيف تقرأ في الصلاة؟ قال: فقرأ أم القرآن، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، وإنما سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته»^(٢).

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم

(١) مجموع الفتاوى (١١/١٧).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٨٧٥) وقال: «حديث حسن صحيح»، وأحمد (٣١١/١٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٠١٩) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٤٥٣) [مكتبة المعارف، ط ٥].

وكشف أسرارهم وهتك أستارهم^(٣).

- المسألة الرابعة: نسخ الكتب السابقة:

الكتب السماوية السابقة كلها منسوخة بالقرآن الكريم المنزل على محمد ﷺ، فهو المهيمن على كل الكتب قبله، بمعنى: أنه مؤتمن وشاهد ورقيب، وحاكم وقاضي، ودال ومصدق، فالقرآن الكريم أمين على كل كتاب قبله، في أصله المنزل، يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما فيها من التحريف والتبديل، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل، فصارت له الهيمنة عليها من كل وجه. ثم ميز الله ﷻ القرآن الكريم عن سائر الكتب بأن تعهد بحفظه وجعله معجز بلفظه ومعناه^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهكذا القرآن فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر وزاد ذلك بيانا وتفصيلا، وبيّن الأدلة والبراهين على ذلك، وقرّر نبوة الأنبياء

فالكتب اشتملت على الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالغيب، والإيمان بالرسول، والبعث والنشور، والإيمان باليوم الآخر إلى غير ذلك.

كما تتفق في الدعوة إلى العدل والقسط ومكارم الأخلاق ومحاربة الفساد والانحراف وغير ذلك^(١).

- المسألة الثالثة: حكم القراءة في الكتب السابقة:

ومن المسائل أيضًا: حكم النظر والاطلاع على الكتب المحرفة الموجودة بين أيدي اليهود والنصارى اليوم؛ فيقال: لا يجوز النظر في كتب أهل الكتاب عمومًا؛ لأنّ النبي ﷺ غضب حين رأى مع عمر كتابًا أصابه من بعض أهل الكتاب، وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟!» الحديث^(٢)، حتى وإن كانت مشتملة على الحق والباطل؛ لما في ذلك من ضرر فساد العقائد. اللهم إلا لمن كان متضلعا بعلم الكتاب والسنة، مع شدة التثبت وصلابة الدين والفتنة والذكاء؛ وكان ذلك للرد عليهم

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/٥٢٥)، وكشاف القناع للبهوتي (١/٤٣٤) [دار الفكر، ١٤٠٢هـ]، ومطالب أولي النهى للرحياني (١/٦٠٧) [المكتب الإسلامي بيروت، ١٩٦١م]، وفتاوى اللجنة الدائمة (٣/٤٣٣).

(٤) انظر: الصواعق المرسلّة (٢/٤٠٠) [دار العاصمة، ١٦٧، ١٦٨، ٣٠٩] [دار ابن كثير].

(١) انظر: رسائل في العقيدة للحمّد (٢٨٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٣٨٧) [مؤسسة قرطبة بمصر]، والدارمي في سننه (كتاب العلم، رقم ٤٤٩)، قال الهيثمي: فيه مجالد بن سعيد، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما. مجمع الزوائد (١/١٧٤) [مكتبة القدسي].

لكن له شواهد، حسنه بها الألباني في إرواء الغليل (٦/٣٤) [المكتب الإسلامي بيروت، ط ٢].

ولم يحفظوا ما استحفظوه؛ بل خانوا الأمانة وضيعوا تلك الكتب عمداً؛ فانطمست آثارها ومعالمها بما أوقعوه فيها من التحريف: بالتبديل، والزيادة والنقص، والكتمان والإهمال والنسيان، إضافة إلى لي اللسان بها؛ ليلبسوا على السامع اللفظ المنزل بغيره؛ فاختلط فيها الحق بالباطل؛ فلا تجوز نسبتها إلى هؤلاء الرسل، وليست هي كتبهم الصحيحة المنزلة من قبل الله تعالى؛ بل هي مليئة بالحكايات والتواريخ، ومواعظ متأخريهم، وكلام الكفرة والكهنة!

ويعتقد المسلم: أن أكثر هذا التحريف قد وقع في معاني تلك الكتب وشرائعها - عند ترجمتها، أو تفسيرها وشرحها وتأويلها -، عمداً أو خطأ، ووقع أيضاً في بعض ألفاظها وحروفها أو كثير منها زيادة ونقصاً.

إلا أنه لا يزال فيها كثير من بقايا الوحي الإلهي المنزّل على أنبياء الله ﷺ (كمثل بقاء آية الرّجم، وصفة النبي ﷺ إلى بعثته الشريفة)، ويعرف هذا بموافقتها لأصول الشرع، وما جاء في القرآن والسنة الصحيحة^(٢).

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣/١٣٠) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ٢٠٢٨هـ]، وتفسير الرازي (٣/٥٥٨) [دار إحياء التراث العربي ببيروت]، والجواب الصحيح لابن تيمية (٢/٣٨٠، ٣٨٨، ٤١٨، ١٢٣/٥)، ومجموع الفتاوى له (١٣/١٠٣ - ١٠٤)، ودرء تعارض العقل والنقل (٥/٧٨) =

كلهم ورسالة المرسلين وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين، وبيّن عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبيّن ما حرف منها وبدل وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضاً ما كتموه مما أمر الله ببيانه وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب ما حرف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله ونسخ ما نسخته، فهو شاهد في الخبريات حاكم في الأموريات^(١).

- المسألة الخامسة: تحريفها:

الكتب السماوية المتقدمة على القرآن (السالم من التحريف والتبديل)، والتي أنزلها الله على رسله ﷺ قد فقدت واندثرت من زمن مبكر من تاريخ هؤلاء الرسل الكرام، ولا يعلم عنها شيء، ويتعذر الحصول عليها، وما وصل منها اليوم مما هو بين أيدي أهل الكتاب - من اليهود والنصارى - (كالتوراة والزبور والإنجيل) قد وكل الله حفظها - بعد موت الأنبياء - إلى أهلها من الربانيين والأخبار والرهبان؛ فلم يمثّلوا الأمر

(١) مجموع الفتاوى (١٧/٤٤).

- المسألة السادسة: حكم سبّها:

- الثمرات:

من المسائل المتعلقة بالكتب السماوية: حكم سبّ أو لعن الكتب السماوية المتقدمة (كالتوراة والإنجيل والزبور)؛ فيقال: «ليس لأحد أن يسب أو يلعن هذه الكتب، بل من أطلق سبّها أو لعنها فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. وإن كان يعرف أنها منزلة من عند الله، وأنه يجب الإيمان بها؛ فهذا يقتل بشتمه لها، ولا تقبل توبته في أظهر قولي العلماء. وأما إن لعن دين اليهود والنصارى الذي هم عليه في هذا الزمان فلا بأس به في ذلك؛ فإنهم ملعونون هم ودينهم، وكذلك إن سبّ هذه الكتب التي عندهم بما يبيّن أنّ قصده ذكر تحريفها؛ مثل أن يقال: نسخ هذه الكتب مبدّلة لا يجوز العمل بما فيها، ومن عمل اليوم بشرائعها المبدّلة والمنسوخة فهو كافر؛ فهذا الكلام ونحوه حقّ لا شيء على قائله. والله أعلم»^(١).

من أبرز الثمرات المترتبة على الإيمان بالكتب:

١ - العلم برحمة الله تعالى، وعنايته بعباده ولطفه بهم؛ حيث أنزل لكلّ أمة كتاباً يهديهم به إلى صراطه المستقيم، ويبينّ لهم به سبيله القويم، ويرشدهم فيه إلى ما يحبّه ويرضاه وما يبغضه ولا يرضاه؛ لعدم استقلال العقل البشريّ بمعرفة ذلك مع عظم الحاجة إليه^(٢).

٢ - ظهور حكمة الله تعالى في شرعه؛ حيث شرع في هذه الكتب لكلّ أمة ما يناسب حالها؛ أمّا القرآن الكريم الخاتم فهو مناسب لجميع بني الإنسان، في مختلف العصور والأزمان، إلى قيام الساعة^(٣).

٣ - شكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة، والمنة الكبرى بإنزال الكتب^(٤).

٤ - إثبات كلام الله تعالى بالوحي، وأنه ﷻ يتكلّم حقيقة متى شاء كيف شاء بما شاء، وأنه يسمع من شاء من خلقه كلامه كما سمعه جبريل ﷺ منه بلا واسطة، وكما سمعه موسى ﷺ أيضًا.

(٢) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد لصالح الفوزان (١٤٩/٢). وانظر: مجموع الفتاوى (٩٦/١٩).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٣٠/٣).

(٤) انظر: عقيدة أهل السنّة والجماعة لابن عثيمين (٤٥)، وشرح الأصول الثلاثة له (٩٥).

= [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ]، وإغاثة اللهفان (٣٥١/٢) [دار المعرفة ببيروت، ط ٢، ١٣٩٥هـ]، وهداية الحيارى (١١٤)، وتفسير ابن كثير (٦٥/٢) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٥٢٣/١٣) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، وأضواء البيان للشنقيطي (١٢٠/٢) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٦هـ]، وتعليق محقق كتاب تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل لصالح بن الحسين الجعفري (١/٢٨٣) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٩هـ].

(١) مجموع الفتاوى (٢٠٠/٣٥)، بتصرّف وزيادات. وانظر: نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز العبد اللطيف (١٩٩) [مدار الوطن، ط ٣، ١٤٢٧هـ].

١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، لحافظ الحكمي .

ونثبت له هذه الصّفة من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تكيف ولا تعطيل .

٦ - ومن الثمرات المترتبة على نزول الكتب على الأنبياء: إثبات علوّ الله تعالى على خلقه؛ كما دلّت عليه آيات القرآن الكريم، والسُّنّة المتواترة الصّحيحة، والفترة السويّة، وصريح المعقول، وأجمعت عليه جميع الملل من اليهود والنصارى والمسلمين .

الكرام الكاتبون

التعريف لغةً:

الكرام: من (كُرّم)، قال ابن فارس: «الكاف والراء والميم أصل صحيح، له بابان؛ أحدهما: شرف في الشيء في نفسه أو شرف في خُلق من الأخلاق والكرم في الخُلق يقال: هو الصّفيح عن ذنب المذنب»^(١). والكرم: اسم للأخلاق والأفعال المحمودة، ولا يقال إلا في المحاسن الكبيرة^(٢).

الكاتبون: من الكتابة، وهو ضم الشيء إلى الشيء؛ قال ابن فارس: «كتب: الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكتاب والكتابة. يقال: كتبت الكتاب أكتبه كتبًا»^(٣).

التعريف شرعًا:

ملكاً موكلاً بمراقبة العبد وحفظ عمله وإحصائه وكتابته، لا يفارقه حتى الموت^(٤). والوصف بالكرم وصف به

(١) ينظر: مقاييس اللغة (١٧١/٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٧٠٧) [دار القلم، ط ١٤١٢هـ].

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (١٥٨/٥).

(٤) ينظر: نهاية المبتدئين (٥٣) [مكتبة الرشد، ط ١، =

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد»، لصالح الفوزان.
- ٢ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنّة»، لنخبة من العلماء.
- ٣ - «تفسير القرآن العظيم» (ج ١)، لابن كثير.
- ٤ - «الجواب الصحيح» (ج ٢، ٥)، لابن تيمية.
- ٥ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٥)، لابن تيمية.
- ٦ - «رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه»، لابن القيم.
- ٧ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ٢)، لابن أبي العز.
- ٨ - «عقيدة أهل السُّنّة والجماعة»، لابن عثيمين.
- ٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٣، ١٤)، لابن تيمية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: من صفاتهما:

وصف الله هذين الملكين بأن كل واحد منهما: (رقيب عتيد)، والرقيب: هو الحافظ للشيء، كما تقول: حفظت عليك ما تعمل. ورَقَبَ الشيءَ يَرْقُبُهُ، وراقبته مُراقِبَةً وراقباً: حَرَسَهُ. ورقيب القوم: حارسهم. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] أي: حارس، وقيل: حافظ لأعماله يحصيها عليه، وقيل: الرقيب هو المتتبع للأمور، وقيل: الشاهد. والترقب: الانتظار، ومنه قوله ﷺ: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه]، معناه: لم تنتظر قولِي. وارْتَقَبَهُ: انتظره ورصده^(٤). والعتيد: على وزن (فعليل)، من: عتَدَ بمعنى: هيأ، والتاء مبدلة من الدال

غيرهما من الملائكة، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنثِقُ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤] وقال ﷺ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [١٥] كِرَامٍ بَرَرُوا [١٦] [عبس].

الحكم:

الإيمان بالكرام الكاتبين يدخل ضمن الإيمان بالملائكة الذي هو من أصول الإيمان، وقد أجمع أهل السنة على الإيمان بهما، قال الطحاوي رحمته الله: «ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين»^(١). وقال ابن حمدان رحمته الله: «الرقيب والعتيد ملكان موكلان بالعبد تؤمن بهما، ونصدق بأنهما يكتبان أفعاله... ولا يفارقانه بحال، وقيل: بل عند الخلاء»^(٢).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [١٦] كِرَامًا كَتِيبِينَ [١٧] يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ [١٨] [الانفطار]، وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنَ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [٧] مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِنْدٌ [١٨] [ق].

= [١٣٢٥هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (٥٥٩ - ٥٦١) مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٣هـ.

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٥٥٧).

(٢) نهاية المبتدئين في أصول الدين (٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٨٦)، ومسلم

(كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦٣٢).

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٣٦١)، ولسان العرب

(١/٤٢٤) [دار صادر]، وتفسير القرطبي (١٩/٤٣٩)

[مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ].

والآخر عن شماالك^(٤). ويشهد لهذا القول حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قام أحدكم - أو قال: الرجل - في صلاته يقبل الله عليه بوجهه، فلا يبزقن أحدكم في قبلته ولا يبزقن عن يمينه، فإن كاتب الحسنات عن يمينه؛ ولكن ليبزقن عن يساره^(٥). وروي عن مجاهد وعكرمة والحسن البصري وغيرهم من السلف^(٦) أنهما اثنان، قال السفاريني رحمته الله: «المشهور أنهما اثنان لكل واحد»^(٧).

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عدد الملائكة الكتبة أربعة، يتعاقبون بالليل والنهار، فقال: «جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل، وحافظين في النهار، يحفظان عليه عمله، ويكتبان أثره»^(٨).

أما مكانهما؛ فقليل: إنهما على الكتفين، وقيل: على الذقن، وقيل: في الفم يمينه ويساره. قال السفاريني: «وقال [غير] واحد وهو المشهور: إن

(٤) المرجع السابق. وينظر: بقية أقوال السلف في الموضوع نفسه.

(٥) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١٧٦/١) [مكتبة الدار، ط ١، ١٤٠٦هـ]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥١/٣).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (١٥٩/٢٦).

(٧) لواعم الأنوار البهية (٤٤٩/١) [المكتب الإسلامي، دار أسامة].

(٨) أخرجه الطبري في التفسير (٣٤٤/٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وسنده ضعيف.

الأولى؛ إذ أصله: عديد؛ أي: مُعَدَّد، وأَعْتَدَهُ إعتادًا؛ أي: أعدّه ليوم. والعتيد الشيء الحاضر المهيأ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا﴾ [يوسف: ٣١]؛ أي: هيأت وأعدت. وقيل: العتيد: الحاضر الذي لا يغيب، وقيل: أنه الحافظ المعد إما للحفظ وإما للشهادة^(١). وورقيب وعتيد وصفان للملكين، يدل عليه ظاهر الآية، حيث قال صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [١٨] ولم يقل: رقيب وعتيد، بل كلا الملكين رقيب عتيد، فهو وصف لهما^(٢).

- المسألة الثانية: عدد الملائكة الكاتبين ومكانهم:

ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا يَلْقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [٧] مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [١٨]، [ق] يدل على أنهما اثنان، واحد على اليمين، والآخر على الشمال، وهذا مروى عن جماعة من السلف وأئمة التفسير: فعن مجاهد رحمته الله قال: «ملك عن يمينه، وآخر عن يساره»^(٣). وقال الحسن البصري رحمته الله: «يا ابن آدم... وُكِّلَ بِكَ ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك،

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٥٤٥)، ولسان العرب (٢٧٩/٣) والجامع لأحكام القرآن (٤٣٩/١٩).

(٢) ينظر: شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (٤٢٦) [مدار الوطن، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٣) تفسير الطبري (١٥٩/٢٦) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].

أحد الملكين على عاتق الإنسان الأيمن، وهو كاتب الحسنات، والآخر على عاتقه الأيسر^(١).

- المسألة الثالثة: نوع أعمال العباد التي يكتبها الملكان:

اختلف العلماء في عمل العبد الجائر الذي لا ثواب ولا عقاب عليه؛ أتكتبه الحفظة عليه أم لا؟ فقال بعضهم: إنهم يكتبون الطاعات والمعاصي والمباحات بأسرها، حتى الأنين في المرض، بدليل قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلِنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، وهذا ظاهر قوله ﷺ: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق]؛ لأن قوله: ﴿مِنْ قَوْلٍ﴾ نكرة في سياق النفي زيدت قبلها لفظة من، فهي نص صريح في العموم^(٢).

وقال بعض العلماء: لا يكتب من الأعمال إلا ما فيه ثواب أو عقاب، وهو مروى عن جماعة من السلف، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن هذه الآية: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق]، فقال: «إنما يكتب الخير والشر،

لا يكتب يا غلام أسرج الفرس، ويا غلام اسقني الماء، إنما يكتب الخير والشر»^(٣). وعن مجاهد رضي الله عنه، قال: «مع كل إنسان ملكان: ملك عن يمينه، وملك عن يساره؛ فأما الذي عن يمينه، فيكتب الخير، وأما الذي عن يساره فيكتب الشر»^(٤). وكان عكرمة رضي الله عنه يقول: «إنما ذلك في الخير والشر يكتبان عليه»^(٥). وقال الحسن البصري رضي الله عنه: «فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك؛ وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك»^(٦). وكلهم «مجمعون على أنه لا جزاء إلا فيما فيه ثواب أو عقاب، فالذين يقولون: لا يكتب إلا ما فيه ثواب أو عقاب، والذين يقولون: يكتب الجميع متفقون على إسقاط ما لا ثواب فيه ولا عقاب، إلا أن بعضهم يقولون: لا يكتب أصلاً، وبعضهم يقولون: يكتب أولاً ثم يمحي»^(٧).

- المسألة الرابعة: أعمال العباد التي يطلع عليها الملكان:

ورد في السنة ما يدل على علم

(٣) علقه البخاري في الصحيح (كتاب التوحيد، ٩/ ١٦٠) [دار طوق النجاة، ط١] بصيغة الجزم، ووصله الحاكم في المستدرک (كتاب التفسير، رقم ٣٧٣٠)، وصححه.

(٤) تفسير الطبري (١٥٩/٢٦).

(٥) تفسير ابن كثير (٣٩٨/٧) [دار طيبة، ط٤].

(٦) تفسير الطبري (١٥٩/٢٦).

(٧) ينظر: أضواء البيان (٦٩٠/٧).

(١) لوامع الأنوار البهية (١/٤٥٠).

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ابن نيمية (٤٩/٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ]، وأضواء البيان (٦٩٠/٧) [عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ].

الكتابة بفعل القلب بل وبهمّة وإرادته^(١):
 فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﻋَزَّوَجَلَّ: إذا همّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاعتبها سيئة، وإذا همّ بحسنة فلم يعملها فاعتبها حسنة، فإن عملها فاعتبها عشرًا»^(٢)، والهم من أعمال القلب. وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن قوله ﷻ: «إذا همّ العبد بالحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة» الحديث. فإذا كان الهم سرًّا بين العبد وبين ربه فكيف تطلع الملائكة عليه؟ فأجاب ﷻ: «الحمد لله. قد روي عن سفيان بن عيينة في جواب هذه المسألة قال: إنه إذا همّ بحسنة: شم الملك رائحة طيبة. وإذا همّ بسيئة: شم رائحة خبيثة. والتحقيق أن الله قادر أن يعلم الملائكة بما في نفس العبد كيف شاء، كما هو قادر على أن يطلع بعض البشر على ما في نفس الإنسان، فإذا كان بعض البشر قد يجعل الله له من الكشف ما يعلم به أحيانًا ما في قلب الإنسان فالملك الموكل بالعبد أولى بأن يعرفه الله ذلك»^(٣).

- المسألة الخامسة: وقت كتابة الملكين لأعمال العباد:
 ظاهر الأدلة يفيد أن العبد غير محاسب إلا بعد البلوغ، كما في قوله ﷻ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل»^(٤)، فبعد بلوغ العبد سن التكليف يجري عليه القلم فيحفظ عليه عمله، قال السفاريني: «إن الطفل تكتب له الحسنات، ولا تكتب عليه السيئات إلا بعد البلوغ»^(٥)، ويؤيده الحديث الوارد في حج الصبي: «فرفعت إليه امرأة صبيًّا فقالت: ألهذا حج؟ قال: نعم ولك أجر»^(٦).

- المسألة السادسة: مبادرة الملك إلى كتابة الحسنات:

يكتب الملك الذي عن اليمين ما يعمله العبد من حسنات فور عمله إياها. أما الملك الذي عن الشمال، فلا يكتب على الفور، بل يرفع القلم لعل العبد يستغفر أو يتوب، فإن لم يفعل كتبها

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الحدود، رقم ٤٤٠٢)، والترمذي (أبواب الحدود، رقم ١٤٢٣) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الطلاق، رقم ٢٠٤٢)، وأحمد (٣٧٢/٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ١٠٠٣)، والحاكم (كتاب الصلاة، رقم ٩٤٩) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٥١٢).

(٥) ينظر لوامع الأنوار البهية (١/٤٥١).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٣٦).

(١) ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (١٧٥) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٠١)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٢٨)، واللفظ له.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٢٥٣).

دل عليه قوله **جَلَّ**: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤١﴾ قَالُوا لَوْ نَفَعْنَاكَ مِنَ الْمَضَلِّينَ ﴿٤٢﴾ وَلَوْ نَفَعْنَاكَ نَطْعُومَ الْيَسْكِينِ ﴿٤٣﴾ وَكُنَّا نَحْوُكَ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَكُذِّبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٤٥﴾ حَتَّىٰ أَتَنَّا آلَيْهِنَّ ﴿٤٦﴾ [المدثر]. كما أن قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الطارق] يدل على العموم، فكل نفس من الأنفس مطلقاً معها من الملائكة من لا يفارقها لا مشارك لها في ذاتها^(٥). ومما يشهد له قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الانفطار]، وقوله **وَكَلَّا**: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنُنِي لَرِّي أُوْتِيَ كِتَابِيَّةً ﴿٥٠﴾﴾ [الحاقة]، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿٥١﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرُورًا ﴿٥٢﴾﴾ [الانشقاق]، فأخبر **جَلَّ** أن لهم كتاباً وأن عليهم حفظة.

الآثار:

١ - أن يحرص العبد كل الحرص على أن يتعد عن المعاصي والذنوب إذا علم أن الله قد وكل به ملكاً يكتب أقواله وأفعاله.

٢ - إذا علم العبد أن أعماله تحصى عليه وتكتب في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد يوم القيامة كان ذلك

عليه. فعن أبي أمامة **رَضِيَ** عن النبي **صَلَّى** قال: «إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات - وفي رواية: سبع ساعات - عن العبد المسلم المخطئ المسيء، فإن ندم واستغفر منها ألقاها عنه، وإلا كتبت واحدة»^(١). وعن إبراهيم التيمي قال: «صاحب اليمين أمير أو أمين على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: أمسك لعله يتوب»^(٢). قال السفاريني **رَضِيَ**: «إن كاتب الحسنات له إمارة على كاتب السيئات، فلا يمكنه من كتبها إلا بعد مضي ست ساعات من غير توبة من المكلف، أو استغفار، أو فعل مكفر لها. مع مبادرته بكتب الحسنات فوراً»^(٣).

- المسألة السابعة: كتابة الملكين لأعمال الكفار:

ذهب بعضهم إلى أن الملكين يوجدان مع كل كافر أيضاً، وأنهما يكتبان ما له وما عليه، باعتبار أن القول الراجح أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة^(٤)، كما

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢١٧/٨) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥٤/١٢) [الدار السلفية]، وقال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما وثقوا. مجمع الزوائد (٢٠٨/١٠) [مكتبة القدسي].

وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٠٩).

(٢) تفسير الطبري (١٥٩/٢٦).

(٣) لوامع الأنوار البهية (٤٥٠/١).

(٤) ينظر: لوامع الأنوار البهية (٤٥١/١).

(٥) ينظر: تفسير الرازي (١٢٨/٣١) [دار إحياء التراث

العربي، ط ٣]، ونظم الدرر للبقاعي (٣٨٥/٨) [دار

الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

وَلَا كِبِيرَةً إِلَّا أَحْصَنَاهَا ﴿ [الكهف: ٤٩]،
وفي قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ
وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾
[الزخرف]، وغيرها من الآيات.

🌟 المصادر والمراجع:

- ١ - «الجامع لشعب الإيمان» (ج ١)،
للبهقي.
- ٢ - «المنهاج في شعب الإيمان»
(ج ١)، للحلي.
- ٣ - «الحياتك في أخبار الملائك»،
للسيوطي.
- ٤ - «شرح العقيدة السفارينية»، لابن
عثيمين.
- ٥ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن
أبي العز.
- ٦ - «عالم الملائكة الأبرار»، لعمر
الأشقر.
- ٧ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ١)،
للسفاريني.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤، ٧)،
ابن تيمية.
- ٩ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكمي.
- ١٠ - «معتقد فرق المسلمين واليهود
والنصارى والفلاسفة والوثنيين في
الملائكة المقربين»، لمحمد العقيل.
- ١١ - «نهاية المبتدئين في أصول
الدين»، لابن حمدان.

أزجر له عن القبائح، قال الرازي: «إذا
علم (المكلف) أن الملائكة موكلون به
يحصون عليه أعماله ويكتبونها في
صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في
مواقف القيامة كان ذلك أزجر له عن
القبائح»^(١).

٣ - أن المكلف إذا علم أنه يدون
عليه ما عمل، فإنه يحرص على
الاستكثار من الأعمال الصالحة، وفعل
القربات.

🌟 الحكمة:

قال الرازي: «واتفقوا على أن
المقصود من حضور هؤلاء الحفظة ضبط
الأعمال»^(٢)، فالله تبارك وتعالى لا
حاجة له لكتب الأعمال، فهو الذي خلق
الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه،
وإنما أمر بكتابة الحفظة للأعمال لإقامة
الحجة على العبد يوم القيامة، كما
أوضحه بقوله: ﴿...وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ
بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ [الإسراء].

وقال ﷺ: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَطُوقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ
إِنَّا كُنَّا نَسْتَسْمِعُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾
[الجاثية]، وفي قوله ﷺ: ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ
فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ
يَوَيْلَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً

(١) تفسير الرازي (١٥/١٣).

(٢) تفسير الرازي (١٥/١٣).

❁ الأسماء الأخرى:

من أسماء الكرامة: الآية، والمعجزة. لكن العلماء اصطَلحوا على تسمية آية النبي بالمعجزة، وآية الولي بالكرامة. قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «اسم (المعجزة) يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين، كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، ويسمونها: الآيات. لكن كثيراً من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل (المعجزة) للنبي، و(الكرامة) للولي، وجماعهما: الأمر الخارق للعادة»^(٦).

❁ الحكم:

يجب الإيمان بوقوع كرامات لبعض أولياء الله، ممن ظاهره الصلاح وسلامته الاعتقاد، واتباع الحق، كما جاءت به نصوص الكتاب والسنة.

❁ الأدلة:

من الأدلة على وقوع كرامات الأولياء ما يأتي:

قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَيْثٌ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّيْسَتْ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى

(٦) مجموع الفتاوى (١١/٣١١، ٣١٢).

❁ كرامات الأولياء

❁ التعريف لغة:

الكرامة: مأخوذة من الكرم، وهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر من الإنسان^(١). والأولياء: جمع ولي، والولي من الولاء، وهو القرب والدنو، وقيل: الولي ضد العدو، مشتق من الولاية: التي هي ضد العداوة^(٢)، وأصل الولاية: المحبة والقرب^(٣). وقيل: الولي مشتق من الولاء وهو القرب، كما أن العدو من العدو وهو البعد^(٤).

❁ التعريف اصطلاحاً:

«الكرامة هي أمر خارق للعادة، غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم»^(٥).

(١) المصباح المنير (٤٣٢) [مؤسسة الرسالة]، وبصائر ذوي التمييز (٣٤٣/٤) [المكتبة العلمية].

(٢) ينظر: الصحاح (١٢٦٩) [دار الحديث، ١٤٣٠هـ]، والقاموس المحيط (١٧٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].

(٣) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (١١) [دار المنهاج، ط ٢، ١٤٣١هـ]، والصحاح (١٢٦٩).

(٤) مجموع الفتاوى (١١/٦٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ].

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/٣٩٢) [المكتب الإسلامي].

ولا يدعيها، وتظهر بلا طلبه تشريقاً له ظاهراً، ولا يعلم من ظهرت منه هو أو غيره أنه ولي الله تعالى غالباً بذلك، وقيل: بلى. ولا يلزم من صحة الكرامات صدق من يدعيها بدون بيّنة أو قرائن حالية تفيد الجزم بذلك، وإن مشى على الماء أو في الهواء أو سخرت له الجن والسباع، حتى تنظر خاتمته وموافقته للشرع في الأمر والنهي^(٢).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «وكرامات الأولياء حق باتفاق أئمة الإسلام والسنة والجماعة، وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة، والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم، وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم. لكن كثيراً ممن يدعيها، أو تدعى له يكون كذاباً أو ملبوساً عليه، وأيضاً فإنها لا تدل على عصمة صاحبها، ولا على وجوب اتباعه في كل ما يقوله؛ بل قد تصدر بعض الخوارق من الكشف وغيره عن الكفار والسحرة بمؤاخذاتهم للشياطين، كما ثبت عن الدجال أنه يقول للسماء: أمطري فتمطر، وللأرض أنبتي فتنبت، وأنه يقتل واحداً ثم يحييه، وأنه يخرج خلفه كنوز الذهب والفضة. ولهذا اتفق أئمة الدين على أن الرجل لو

جَمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ [البقرة]، وقال سبحانه: ﴿كَلِمًا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُا أَنَّى لِيَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ [آل عمران]، وقال رحمته الله: ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ مِجْنَعِ النَّخْلَةِ سَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا حِينًا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم]، وما جاء في القرآن في قصة أصحاب الكهف وغيرها من الآيات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم، فإنه عمر بن الخطاب»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن حمدان رحمته الله: «كرامات الأولياء حق وتوجد في زمن النبوة وأشراط الساعة وغيرهما، ولا تدل على صدق من ظهرت على يده فيما يخبر به عن الله تعالى، أو عن نفسه، ولا على ولايته؛ لجواز سلبها، وأن تكون استدراجاً له، ومكرراً به. وتعم الرجال والنساء. والولي يسترها غالباً ويسرها، ولا يساكنها، ولا يقطع هو بكرامته بها،

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٦٩)، وأخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٨)، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) نهاية المتبتئين في أصول الدين (٦٠، ٦١) [الرشد، ط١، ١٤٢٤هـ].

لا لنقص ولايته؛ ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة»^(٣).

- المسألة الثانية: ليس كل من يظهر على يديه شيء من الخوارق يكون من أولياء الله:

قد تقع بعض الخوارق لبعض المشركين والمنافقين، والفسقة والعصاة، بل إن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يكن هذا دليلاً على ولايته، فإن الخوارق تقع على يد الكافر والملحد والفاستق كما تقع على يد المؤمن، وكرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى، أما الأحوال الشيطانية فسببها ما نهى الله عنه ورسوله، من القول على الله بغير علم، والشرك والظلم والفواحش قد حرمها الله تعالى ورسوله، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «قد علم أن الكفار والمنافقين - من المشركين وأهل الكتاب - لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية، كالكهان، والسحرة، وعباد المشركين، وأهل الكتاب. فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص ولياً لله، وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله؛ فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله، مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم باطنًا

طار في الهواء، ومشى على الماء؛ لم يثبت له ولاية بل ولا إسلام حتى ينظر وقوفه عند الأمر والنهي، الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم»^(١).

❁ الأقسام:

الكرامات نوعان:

١ - مكاشفات: أي: اطلاع على بعض المغيبات الجزئية بالإلهام أو المنام. وليس هذا من علم الغيب إطلاقاً.

٢ - تأثيرات: أي: إذا دعا الله تعالى لشفاء سقم وهلاك شخص؛ فقد يستجاب له مثلاً. وليس هذا من التصرف في الكون في شيء^(٢).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الكرامات تقع بحسب الحاجة:

قال ابن تيمية رحمته الله: «مما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان، أو المحتاج، أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها،

(١) المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية (١/١٢٠) [ط ١٤١٨هـ].

(٢) اللآلئ البهية في تقريب شرح العقيدة الطحاوية (٥٤٣) [دار الصديق، ط ١، ١٤٣١هـ].

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٢٣٠).

البحر، وقلب العصا حية، وإحياء الموتى، وخلق الطير من الطين، والإتيان بالقرآن، وانشقاق القمر. وهذه الآيات الكبرى مختصة بالأنبياء ﷺ لا يشاركهم فيها أحد. أما الآيات الصغرى فقد يقع نوعها لبعض الصالحين؛ لكنها لا تماثل معجزات الأنبياء بقدرها، وكيفيتها؛ بل معجزات الأنبياء فوق ذلك، مثل تكثير الطعام، فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين، لكن لم يوجد كما وجد للنبي ﷺ أنه أطعم الجيش من شيء يسير^(٣). فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم، لكن لا يماثلون في قدره، وكنار الخليل؛ فإن أبا مسلم الخولاني، وغيره صارت النار عليهم بردًا وسلامًا، لكن لم تكن مثل نار إبراهيم في عظمتها كما وصفوها، فهو مشارك للخليل في جنس الآية؛ كما هو مشارك في جنس الإيمان محبة الله وتوحيده. ومعلوم أن الذي امتاز به الخليل من هذا، لا يماثله فيه أبو مسلم، وأمثاله^(٤).

وظاهرًا؛ بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة، أو يعتقد أن لأولياء الله طريقًا إلى الله غير طريق الأنبياء ﷺ، أو يقول: إن الأنبياء ضيقوا الطريق، أو هم قدوة العامة دون الخاصة، ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية. فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الإيمان؛ فضلًا عن ولاية الله ﷻ، فمن احتج بما يصدر عن أحدهم من خرق عادة على ولايتهم: كان أضل من اليهود والنصارى^(١).

الفروق:

الفرق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء:

آيات الأنبياء اشتهرت بتسميتها معجزات؛ إلا أن الآيات أدل على المقصود من لفظ المعجزات؛ ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودًا في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان^(٢). ومن الفروق بين الكرامة والمعجزة ما يلي:

١ - أن كرامات الأولياء لا تبلغ مبلغ معجزات الأنبياء ﷺ في جنسها وعظمتها، وذلك أن معجزات الأنبياء تنقسم إلى قسمين: معجزات كبرى، مثل: خروج الدابة من صخرة، وانفلاق

٢ - أن معجزات الأنبياء لا يقدر عليها جن ولا إنس، يقول ابن تيمية رحمته الله: «وآيات الأنبياء لا يقدر

(٣) كما في حديث جابر رضي الله عنه عند البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤١٠٢)، ومسلم (كتاب الأشربة، رقم ٢٠٣٩).

(٤) ينظر: النبوات لابن تيمية (٢/٨٠٢، ٨٠٣) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٦٨، ٦٩).

(٢) الجواب الصحيح لابن تيمية (٤١٢/٥).

تيمية ﷺ: «أما كرامات الأولياء: فهي أيضًا من آيات الأنبياء؛ فإنها إنما تكون لمن يشهد لهم بالرسالة، فهي دليل على صدق الشاهد لهم بالنبوة»^(٤).

الفرق بين الكرامات وخوارق أولياء الشيطان: الكرامة تظهر على يد عبد صالح، قائم بحقوق الله تعالى متبع لنبيه الصادق، واقفًا عند الأمر والنهي؛ وذلك أن كرامات الأولياء لا يكون سببها إلا الإيمان والتقوى، أما ما يظهر على يد ظاهر الفسق فهي خوارق شيطانية، سببها الكفر والفسوق والعصيان^(٥).

الحكمة:

تقع الكرامة للمؤمن تثبيتًا له على الحق، ودافعًا له إلى الاجتهاد في طاعة الله تعالى، وحثًا له على اتباع سنة نبيه محمد ﷺ، ظاهرًا وباطنًا، وتكريمًا له، وإظهارًا للحق الذي قام به، وغير ذلك مما فيه خير وصلاح للمؤمن.

مذهب المخالفين:

ذهبت الأشاعرة والماتريدية إلى إثبات الكرامات لعباد الله الصالحين؛ فما جاز وقوعه لنبي جاز وقوعه لولي، بل

عليها جنّ ولا إنس، وآيات الأنبياء آيات لجنسها، فحيث كانت آية الله، تدلّ على مثل ما أخبرت به الأنبياء، وإن شئت قلت: هي آيات الله، يُدلّ بها على صدق الأنبياء تارة، وعلى غير ذلك تارة^(١).

٣ - إن معجزات الأنبياء مستلزمة للنبوة، ودالة على صدق النبي المخبر بها. فدلالتها على النبوة قطعية، والنبي يعلم أنه نبي، في حين أن دلالة الكرامة على الولاية ظنية، فقد يعلم من ظهرت على يديه الكرامة أنه ولي، وقد لا يعلم؛ لاحتمال أن تكون استدراجًا له^(٢). قال ابن تيمية ﷺ: «والتحقيق: أن آيات الأنبياء مستلزمة للنبوة، ولصدق الخبر بالنبوة، فلا يوجد إلا مع الشهادة للرسول بأنه رسول، لا يوجد مع التكذيب بذلك، ولا مع عدم ذلك البتة، وليست من جنس ما يقدر عليه؛ لا الإنس، ولا الجنّ؛ فإنّ ما يقدر عليه الإنس والجنّ يفعلونه، فلا يكون مختصًا بالأنبياء»^(٣).

٤ - أن كرامات الأولياء من آيات الأنبياء؛ وذلك أن الولي لم تحصل له هذه الكرامة إلا باتباعه للنبي، ولولا اتباعه للنبي لما حصلت له. قال ابن

(١) النبوات (٨٠١/٢)، وينظر منه (٥٠٢/١).

(٢) الفتاوى الحديثية (٣٠٥) مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٣، ١٤٠٩هـ.

(٣) النبوات (٨٠٠/٢).

(٤) النبوات (٨٠١/٢، ٨٠٢)، وينظر منه (٦٠٣/١).

(٥) ينظر: النبوات (٥٠١/١)، والفرقان بين أولياء

الرحمن وأولياء الشيطان (٢٥٨).

يكذبون بما شهدوه، ويصدقون بما غاب عنهم، ويكذبون بما تواتر عندهم أعظم مما تواتر غيره»^(٥).

وقال: «يقال المراتب ثلاثة: آيات الأنبياء، ثم كرامات الصالحين، ثم خوارق الكفار والفجار؛ كالسحرة والكهان، وما يحصل لبعض المشركين، وأهل الكتاب، والضلال من المسلمين. أما الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها، فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء فهذه الأمور هي مؤكدة لآيات الأنبياء، وهي أيضًا من معجزاتهم بمنزلة ما تقدمهم من الإرهاص. ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين، فلا تبلغ كرامات أحدٍ قط إلى مثل معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم»^(٦).

المصادر والمراجع:

١ - «أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي»، لعبد الرحمن دمشقية.

٢ - «بحث في الاستدلال على ثبوت كرامات الأولياء»، للشوكاني.

٣ - «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (ج ٥)، لابن تيمية.

(٥) النبوات (١/١٣٣).

(٦) النبوات (١/١٤١ - ١٤٣).

الخارق للعادة يقع من النبي والولي والساحر والفرق عندهم هو في دعوى النبوة من النبي، ودعوى الصلاح من الولي^(١). وذهب ابن حزم^(٢)، وبعض المعتزلة إلى منع وقوع خرق العادة لغير الأنبياء^(٣)، قال ابن تيمية: «قالت طائفة: لا تخرق العادة إلا لنبي، وكذبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان، وبكرامات الصالحين، وهذه طريقة أكثر المعتزلة، وغيرهم كابن حزم»^(٤).

والقول الراجح هو ما يشهد له الدليل من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، ويؤكداه الواقع والحوادث، على جواز وقوع الكرامات على أيدي الصالحين، ولكنها لا تصل إلى معجزات الأنبياء ﷺ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والمنازع لهم - أي: للمعتزلة - يقول: هي موجودة مشهودة لمن شهدها، متواترة عند كثير من الناس، أعظم مما تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء. وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء، فكيف

(١) ينظر: الكامل من أصول الدين (٢/٧٧٤ - ٧٧٨) [دار السلام، ط١]، وتبصرة الأدلة في أصول الدين (١/٥٣٦ - ٥٣٨) [مكتبة الجفان والجابي، ط١، ١٩٩٠م].

(٢) ينظر: الكامل في الاستقصاء (٣٥٤ - ٣٧٦) [وزارة الأوقاف المصرية، ١٤٢٠هـ].

(٣) ينظر: الدررة فيما يجب اعتقاده (١٩٤، ١٩٥) [مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٤) النبوات (١/١٢٩، ١٣٠).

٤ - «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» إليه^(٣)، وهو موضع قدمي الله ﷺ^(٤).
(ج ٩)، للالكائي.

٥ - «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، لابن تيمية.

٦ - «قطر الولي على حديث الولي»، للشوكاني.

٧ - «كرامات الأولياء: دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة»، لعبد الله العنقري.

٨ - «اللآلئ البهية في تقريب شرح العقيدة الطحاوية»، لمحمد بن عبد الرحمن الخميس.

٩ - «المستدرک على مجموع الفتاوى» (ج ١)، لابن تيمية.

١٠ - «النبوات» (ج ١، ٢)، لابن تيمية.

١١ - «نهاية المبتدئين في أصول الدين»، لابن حمدان.

الحكم:

يجب الإيمان بأن الكرسي من أعظم المخلوقات، بين يدي العرش، وهو موضع القدمين لله ﷺ^(٥).

الحقيقة:

دلّ قول الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة]، على أن الكرسي يسع السماوات والأرض على عظمتها وعظمة من فيها، وهي إشارة إلى سعته وعظمته وعلوه، وذلك دليل على علو الله وعظمته^(٦).

الأدلة:

ورد الكرسي في آية واحدة من كتاب الله تعالى، وهي قوله سبحانه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة].

وعن أبي ذر قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت رسول الله ﷺ وحده

الكرسي

التعريف لغةً:

هو الشيء الذي يُعتمد ويُجلس عليه^(١)، ويطلق على السرير^(٢).

التعريف شرعاً:

الكرسي: بين يدي العرش كالمرقاة

(١) انظر: تهذيب اللغة (٣٢/١٠) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ط ١].

(٢) انظر: القاموس المحيط (٧٣٥).

(٣) البداية والنهاية (١٥/١)، وشرح الطحاوية (٣١٣).
(٤) انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين (٢٩٢)، ومجموع الفتاوى (٥٤/٥)، ومختصر الصواعق (١/٢٨٨)، شرح العقيدة الطحاوية (٣١٣)، والقول المفيد شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين (٣٧٨/٣) [دار ابن الجوزي، ط ١].

(٥) البداية والنهاية (١٥/١)، وشرح الطحاوية (٣١٣)، القول المفيد لابن عثيمين (٣٧٨/٣).

(٦) انظر: مختصر الصواعق المرسل (٢٨٨/١)، تفسير السعدي (١١٠) [مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ].

فجلست إليه، فقلت: يا رسول الله أيما آية أنزلت عليك أفضل؟ قال: «آية الكرسي، ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة»^(١).

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره»^(٢).

العرش، والعرش أعظم منه»^(٤).
وقال ابن تيمية: «الكرسي ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع جمهور السلف»^(٥).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «وإنما هو: الكرسي - كما قال غير واحد من السلف - بين يدي العرش كالمراقبة إليه»^(٦).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الكرسي موضع القدمين:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الكرسي موضع القدمين، جاء ذلك عن ابن عباس وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الكرسي موضع القدمين»، وهذا التفسير هو المحفوظ عن ابن عباس. وعن أبي موسى الأشعري قال: «الكرسي موضع القدمين»^(٧)، ومثل هذا له حكم الرفع؛ لأنه لا مجال للاجتهاد فيه. فأهل السنة والجماعة عامتهم على أن الكرسي

أقوال أهل العلم:

قال ابن أبي زمنين: «ومن قول أهل السنة: أن الكرسي بين يدي العرش، وأنه موضع القدمين»^(٣).

وقال القرطبي: «والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي

(١) أخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش (٤٣٢) [مكتبة الرشد، ط١]، وابن بطة في الإبانة (١٨١/٧) [دار الراية، ط١]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٩٩/٢) [مكتبة السوادي، ط١]، ونقل ابن حجر نقل عن ابن حبان، وقال: (وله شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور في التفسير بسند صحيح عنه). فتح الباري (٤١١/١٣) [دار المعرفة]، وصححه الألباني أيضًا بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٩).

(٢) أخرجه الدارمي في النقض على المريسي (٤١٢/١) [مكتبة الرشد، ط١]، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/٣٠١) [دار ابن القيم، ط١]، وابن أبي شيبة في كتاب العرش (٤٣٨) [مكتبة الرشد، ط١]، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢٤٨/١) [مكتبة الرشد، ط٥]، وغيرهم، وقال الذهبي في كتاب العلو (٧٦) [أضواء السلف، ط١]: «رجاله ثقات»، وصححه الألباني في مختصره (١٠٢) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٤) تفسير القرطبي (٢٧٦/٣).
(٥) مجموع الفتاوى (٥٨٤/١، ٥٥٥/٥).
(٦) شرح العقيدة الطحاوية (٣١٣).
(٧) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٣٠٢/١) [دار ابن القيم، ط١]، وابن أبي شيبة في كتاب العرش (٤٣٥) [مكتبة الرشد، ط١]، وابن جرير في التفسير (٣٩٨/٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في مختصر العلو (١٢٤) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٣) أصول السنة (٢٩٢).

موضع قدمي الله تعالى^(١).

الآثار:

٢ - الكرسي هو العرش، وهذا مروى عن الحسن البصري^(٣). وقد روي فيه حديث عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل الله فيه - يعني: يوم القيامة - على كرسيه يئط به كما يئط الرجل من تضايقه كسعة ما بين السماء والأرض» الحديث^(٤).

٣ - الكرسي: هو قدرته التي يمسك بها السماوات والأرض.

٤ - الكرسي هو: الفلك الثامن، أو ما يسمونه بفلك البروج. وبه قال بعض المتكلمين.

والصحيح أن هذه الأقوال باطلة غير صحيحة، والذي دلَّت عليه النصوص الشرعية، وأقاويل السلف أن الكرسي جسم عظيم، مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه، وهو موضع القدمين لله تبارك وتعالى.

وأما تأويله بالعلم، فالأثر فيه ضعيف، وما ثبت عن ابن عباس من أن الكرسي موضع القدمين يردُّ هذا القول،

إن العبد إذا علم أن الله ﷻ هذه المخلوقات العظيمة، ومنها الكرسي الذي وسع السماوات والأرض، فإنه يجعله يعظم الله تعالى خالق هذه الكائنات، وهو سبحانه العالي على كل شيء وهو بكل شيء محيط، فيدفعه ذلك لعبادته وإخلاص الدين له محبة وخوفًا ورجاء.

مذهب المخالفين:

تعددت آراء المخالفين في حقيقة الكرسي، ومن ذلك:

١ - الكرسي بمعنى العلم، وهو قول الجهمية، فقد أولوا العرش بمعنى العلم، واستدلوا لذلك بما روي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة]، قال: «كرسيه علمه»^(٢).

قال ابن منده: «لم يتابع عليه جعفر، وليس هو بالقوي في سعيد بن جبير»، وضعفه الدارمي في النقض على المريسي (٤١١/١) [مكتبة الرشد، ط١]، وابن الأنباري والذهبي، كما في العلو (١١٧) [أضواء السلف، ط١].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/٣).
(٤) أخرجه الدارمي في سننه (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٤٢)، والحاكم في المستدرک (كتاب التفسير، رقم ٣٣٨٥) وصححه، وتعبه الذهبي في التلخيص، فبين أن أحد رواه ضعيف، وقال الألباني: منكر. السلسلة الضعيفة (رقم ٦٣٣٣).

(١) انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين (٩٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٨٤/٦)، وشرح العقيدة الطحاوية (٣٧١)، والقول المفيد لابن عثيمين (١/٤٤٣، ٥٤٩، ٥٣٦/٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٩٧/٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/٥٠٧) [دار ابن القيم، ط١]، وابن منده في الرد على الجهمية (٢١) [المكتبة الأثرية]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٠٨/١) [مكتبة السوادي، ط١].

عن الحسن، بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أنه غيره^(٤). ثم إن الأدلة الصحيحة تردّه، فإنها قد غايرت بين الكرسي والعرش كما في حديث أبي ذر وغيره.

وأما القول الثالث والرابع فهما مصادمان للنصوص الشرعية الواردة، ومخالفان لما عليه السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إعانة المستفيد»، لل فوزان.
- ٢ - «بيان تلبيس الجهمية»، لابن تيمية.
- ٢ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
- ٣ - «الرسالة العرشية»، لابن تيمية.
- ٤ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
- ٥ - «العرش»، لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة.
- ٦ - «القول المفيد»، لابن عثيمين.

(٤) البداية والنهاية (١٣/١).

(٥) انظر: الرد على المريسي للدارمي (٧١)، والتنبيه والرد على أهل البدع للملطي (١٠٤)، وتفسير القرطبي (١/٢٧٦)، ومجموع الفتاوى (٦٠/٥، ٥٨٤/٦، ٥٨٥)، وتفسير ابن كثير (١/٦٨١، ٦٨٠)، وشرح العقيدة الطحاوية (٣٦٨، ٣٦٩)، وموسوعة الألباني في العقيدة (٧/٧٠٥)، وكتاب التوحيد مع القول المفيد (٢/٥٤٩، ١/٤٤٣)، والقول المفيد (١/٥٤٩)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/٤٥).

ويؤيد وهنه أن علم الله تعالى وسع كل شيء، وليس كما يفهم من تأويلهم للآية، قال ابن تيمية: «وأما تسمية العلم كرسيًا فهذا لا يعرف في اللغة، ولكن بعضهم تكلف له من قولهم كراس. والكراس غير الكرسي»^(١)، وقال: «الكرسي ثابت بالكتاب والسنة وإجماع جمهور السلف. وقد نقل عن بعضهم: أن (كرسيه): علمه، وهو قول ضعيف؛ فإن علم الله وسع كل شيء كما قال: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].»

والله يعلم نفسه ويعلم ما كان وما لم يكن، فلو قيل: وسع علمه السماوات والأرض، لم يكن هذا المعنى مناسبًا؛ لا سيما وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمْ﴾؛ أي: لا يثقله ولا يكرثه، وهذا يناسب القدرة لا العلم والآثار الماثورة تقتضي ذلك^(٢).

قال أبو منصور الأزهري: «والذي روي عن ابن عباس في الكرسي أنه العلم فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار»^(٣).

ومن أوله بالعرش، فإن الحديث الوارد ضعيف، والأثر عن الحسن غير ثابت، قال ابن كثير: «وهذا لا يصح

(١) بيان تلبيس الجهمية (٨/٣٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٥٨٤).

(٣) تهذيب اللغة (١٠/٥٤).

❁ التعريف شرعاً:

صفة ذاتية لله ﷻ، بأنه تعالى جواد كريم، واسع العطاء، كثير النعم ومبتدؤها، عظيم القدر، كثير العفو والمغفرة، عزيز، كامل الأسماء والصفات والأفعال^(٣).

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن الكرم المضاف إلى الله تعالى هو على غاية ما يدل عليه اللفظ من كمال معنى، فيشمل كل معنى من معاني الكمال المتعلقة به، بخلاف الكرم المضاف إلى المخلوق، فهو مقيد بحدود ما هو عليه، وفيه من النقص ما هو راجع إلى نقص المخلوق.

❁ الأسماء الأخرى:

الجود.

❁ الحكم:

وجوب إثبات صفة الكرم لله تعالى على غاية الجلال والكمال، وبكل ما يدل عليه الوصف من تنوع في معاني الكمال^(٤).

٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ - «الصواعق المرسلّة»، لابن القيم.

٩ - «السنة»، لعبد الله بن أحمد.

١٠ - «الرد على الجهمية»، لابن منده.

١١ - «الرد على بشر المريسي»،

للدارمي.

❁ الكَرَم ❁

❁ التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان؛ أحدهما: شرف في الشيء في نفسه أو شرف في خُلق من الأخلاق، والكرم في الخُلق، يقال: هو الصّفيح عن ذنب المذنب»^(١).

والكَرْمُ: ضدُّ اللُّؤْمِ، يقال: كَرُمَ كرامةً وكَرَمًا وكَرَمَةً فهو كَرِيمٌ وكَرِيمَةٌ وكِرْمَةٌ ومُكْرَمٌ ومُكْرَمَةٌ ومُكْرَامٌ ومُكْرَامَةٌ، الجمع: كُرْمَاءٌ وكِرَامٌ وكِرَائِمٌ. وأكْرَمَهُ وكَرَمَهُ: عَظَّمَهُ ونَزَّهَهُ. والكريمُ: الصّفوفُ، والجواد، وكثير الخير. وأَرْضٌ مَكْرَمَةٌ وكَرَمٌ: كَرِيمَةٌ طَيِّبَةٌ. ورزقٌ كَرِيمٌ: كثير. وقول كريم: سَهْلٌ لَيِّنٌ، والكريم: اسم جامع لكل ما يحمد^(٢).

(٣) الحجّة (١/١١٩)، وتفسير السعدي (٥/٢٩٩)،

واشتقاق أسماء الله تعالى للزجاجي (١٦٧)، ولسان العرب (١٢/٥١٠).

(٤) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٧١)، والأسماء والصفات للبيهقي (١/١٤٥)، ومجموع الفتاوى (١٦/٤٤٨).

(١) مقاييس اللغة (٥/١٧١، ١٧٢). وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/٢٩٥) [مكتبة ابن تيمية ط٢].

(٢) القاموس المحيط (١٤٨٩)، والصحاح (٥/٢٩٧)، ولسان العرب (١٢/٥١٠)، ومقاييس اللغة (٥/١٧١)، والحجّة في بيان الحجّة (١/١١٩).

❖ الحقيقة:

إن وصف الله ﷻ بالكرم دال على أنه ﷻ جواد كثير الخير، صفوح، فيكون معنى كرمه ما يصدر عنه من الإفضال والإنعام على خلقه^(١).

❖ الأدلة:

والكَرَمُ صفة ذاتية ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَعَمَّهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ (١٥) [الفجر]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَزِيزٌ كَرِيمٌ﴾ (٤١) [النمل]، وقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦) [الانفطار]، وقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق].

ومن السنة حديث عوف بن مالك ﷺ في الدعاء على الجنازة: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نُزُلَهُ، ووسع مدخله»^(٢). وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد. حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط بعزتك وكرمك»^(٣).

❖ أقوال أهل العلم:

قال الخطابي - في سياق ذكر اسم الله الكريم -: «ومن كرم الله تعالى أنه يبدأ بالنعمة قبل استحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة، ويغفر الذنب، ويعفو عن المسيء إن من كرم عفوه أن العبد إذا تاب عن السيئة محاها عنه وكتب له مكانها حسنة»^(٤).

وقال البيهقي: «ولا شك في كثرة المنافع التي من الله ﷻ بها على عباده ابتداءً منه وتفضلاً، فهو باسم الكريم أحق»^(٥).

وقال ابن تيمية - في إثبات صفات الكمال لله تعالى بقياس الأولى -: «وكذلك إذا قيل: الكريم المحسن، إما أن يكون كرمه وإحسانه من نفسه، وإما أن يكون من غيره. ومن جعل غيره كريماً محسناً فهو أولى أن يكون كريماً محسناً وذلك من لوازم نفسه»^(٦).

❖ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تسمية الله تعالى بالأكرم:

الأكرم اسم تفضيل على وزن (أفعل)، مشتق من صفة (الكرم)، دال على الحصر والمبالغة في الكرم،

(١) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ١١٢، ١٣١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٦٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٨٤)، ومسلم

(كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٨).

(٤) شأن الدعاء (٧١).

(٥) الأسماء والصفات (١/ ١٤٥).

(٦) مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٤٨).

وقال ابن تيمية: «وهو سبحانه أخير أنه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف لها فدل على أنه الأكرم وحده بخلاف ما لو قال: (وربك أكرم)؛ فإنه لا يدل على الحصر، وقوله: ﴿الْأَكْرَمُ﴾^(٤) يدل على الحصر ولم يقل: (الأكرم من كذا)، بل أطلق الاسم؛ لبيان أنه الأكرم مطلقاً غير مقيد، فدل على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه»^(٤).

وقال ابن القيم في قول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾^(٥) [العلق]: «ثم أعاد الأمر بالقراءة مخبراً عن نفسه بأنه الأكرم، وهو الأفعال من الكرم، وهو كثرة الخير، ولا أحد أولى بذلك منه سبحانه، فإن الخير كله بيديه، والخير كله منه، والنعم كلها هو موليتها، والكمال كله، والمجد كله له، فهو الأكرم حقاً»^(٥).

واسمه تعالى (الأكرم) يقتضي أنه أحق بجميع صفات الكمال، قال ابن تيمية: «فإن قوله: الأكرم، يقتضي أنه أفضل من غيره في الكرم، والكرم اسم جامع لجميع المحاسن، فيقتضي أنه أحق بجميع المحامد، والمحامد هي

[دار الوطن، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٢٩٥/١٦) مكتبة ابن تيمية ط ٢.

(٥) مفتاح دار السعادة (٥٨/١) [دار الكتب العلمية].

وانظر: تفسير السعدي (٩٣٠) [مؤسسة الرسالة،

ط ١]، وأضواء البيان (١٧/٩) [دار الفكر،

١٤١٥هـ].

والأكرم هو الأحسن والأنفس والأوسع والأعظم والأشرف، والأعلى من غيره في كل وصف كمال.

والأكرم بصيغة التفضيل والتعريف اسم من أسماء الله الحسنى دال على اتصاف الله بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه.

وقد دلت النصوص الشرعية على ثبوت اسم الله (الأكرم)، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾^(٦) [العلق]. وجاء عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنهما كانا يقولان بين الصفا والمروة: «رب اغفر وارحم، إنك أنت الأعز الأكرم»^(٦). وهذا مما لا مجال فيه للرأي فيكون له حكم المرفوع^(٦).

قال أبو سليمان الخطابي: «والأكرم هو أكرم الأكرمين، لا يوازيه كريم، ولا يعادله فيه نظير، وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم»^(٦).

(١) أخرجهما ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الحج، رقم ١٥٥٦٥، ١٥٥٧٠)، والبيهقي في الكبرى (كتاب الحج، رقم ٩٣٥١، ٩٣٥٢). وأخرج أثر ابن مسعود فقط: الطبراني في الدعاء (٢٧١، ٢٧٢) [دار الكتب العلمية ط ١، ١٤١٣هـ]. وقد صحح العراقي أثر ابن مسعود في تخريجه لإحياء علوم الدين (٣٢١/١) [دار المعرفة]، وصحح الألباني الأثرين كليهما في مناسك الحج والعمرة (٢٧) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٢٤٨، ٢٤٩) [دار الهجرة، ط ٣، ١٤٢٦هـ].

(٣) شأن الدعاء (١٠٣، ١٠٤) [دار الثقافة العربية،

ط ٣، ١٤١٢هـ]. وانظر: تفسير السمعاني (٢٥٦/٦)

جميع من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها^(٥).

❁ الفروق:

الفرق بين اسم الله (الأكرم) واسمه (الكريم):

لأهل العلم في وجود فرق بينهما قولان:

القول الأول: أن بينهما فرقاً، «فالأكرم: الوصف الذاتي، والكريم: الوصف الفعلي»^(٦)، ومعنى ذلك: أن اسم (الأكرم) يدل على شرف الله تعالى في ذاته وجلاله وصفاته، ووصفه بجميع المحامد، ونفي النقائص عنه، وهذا المعنى لا يقتضي مفعولاً، وعلى هذا يكون من أسماء الذات^(٧). وأما اسم (الكريم) فيدل على أنه جواد كثير الخير، صفوح، فيكون معنى كرمه ما يصدر عنه من الإفضال والإنعام على خلقه، فلا بدّ له من متعلق يصفح عنه وينعم عليه، وعلى هذا يكون من أسماء الأفعال^(٨).

وزيادة عد الأسماء في هذا الحديث مدرجة، كما ذكر أهل العلم، وتقدم نقل أقوالهم في مصطلح (الأسماء الحسنى).

(٥) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٨٠ - ٨٤، ١٦٣) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩]، وأسماء الله الحسنى للغصن (٣٣٥) [دار الوطن، ط ١].

(٦) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١١٢/١)، (١٣١) [دار الصحابة، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٧) انظر: المرجع السابق (١١٢/١، ١٣١).

(٨) انظر: المرجع السابق (١١٢/١، ١٣١).

صفات الكمال، فيقتضي أنه أحق بالإحسان إلى الخلق والرحمة، وأحق بالحكمة، وأحق بالقدرة، والعلم والحياة، وغير ذلك^(١).

- المسألة الثانية: اسم الله الكريم:

الكريم على وزن (فعليل) صفة مشبهة من الثلاثي (كَرُمَ)، وهذا الأصل يدل على شرف الشيء في نفسه أو في خلق من الأخلاق، وهو ضد اللؤم، وهو اسم جامع للمحاسن والمحامد كلها، فهو الأسماء الدالة على معاني عديدة لا على معنى مفرد فقط، وكلها تدور على وصف الله ﷻ بما لا يحصى من جلائل المعاني وكرائم الأوصاف^(٢).

قال القرطبي: «فالكريم من له كرم، وكثر خيره وعم نفعه، وقيل: الكريم الصفوح، وقيل: الكريم العزيز، وهذه الأوجه الثلاثة يجوز وصف الله ﷻ بها»^(٣).

وقد دلّ النصّ على ثبوت اسم الكريم لله تعالى، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار]. كما ورد هذا الاسم في جميع طرق حديث الأسماء المشهور، سوى طريق عبد الملك الصنعاني^(٤)، وعند

(١) مجموع الفتاوى (٣٦٠/١٦).

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنى (١٨٧).

(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١١٢/١).

(٤) أخرج طريقه ابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٦١).

وصفًا، ومن كل خير فعلاً، فهو (الأكرم) في ذاته، وأوصافه، وأفعاله»^(٦).

الآثار:

١ - تعظيم الله تعالى وإجلاله؛ فهو الكريم الذي له العزة والعلو، والعظمة والكبرياء.

٢ - حمد الله تعالى وشكره؛ فكل نعمة فهي من جوده وكرمه وسعة عطائه.

٣ - الالتجاء إلى الله تعالى، وإنزال الرجاء به؛ فهو الكريم الذي لا ينفد عطاؤه، ولا تعد نعمه وآلؤه.

٤ - عدم اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى وفضله؛ فهو الكريم الذي يبتدئ النعم قبل استحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة.

٥ - افتقار العبد في طاعته لربه ﷻ وعدم إعجابه بعمله ومنته به على ربه، فالله كريم غني عن طاعة كل مطيع.

٦ - اتصاف العبد بالكرم؛ فهو وصف يحبه الله تعالى، وصف به نفسه وتسمى به.

٧ - ما أنزله الله تعالى على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام من كتب وشرائع، يكون بها أطيب الحياة، وأسعد النعم، وخاصة ما أنزله الله تعالى على

قال القرطبي: «إن الأكرم الوصف الذاتي، والكريم الوصف الفعلي، وهما مشتقان من الكرم، وإن اختلفا في الصيغة»^(١).

القول الثاني: ليس بينهما فرق، فكلا الاسمين من الكرم، «والكرم اسم جامع لجميع المحاسن»^(٢)، «والمحامد لا يراد به مجرد الإعطاء بل الإعطاء من تمام معناه؛ فإن الإحسان إلى الغير تمام والمحاسن والكرم كثرة الخير ويسرته»^(٣). قال الخطابي في معنى (الأكرم): «وقد يكون (الأكرم) بمعنى الكريم كما جاء الأعز والأطول بمعنى: العزيز والطويل»^(٤).

فكل المعاني التي يدل عليها اسم الكريم يدل عليها كذلك اسم الأكرم، إلا أن اسم الأكرم يدل على أن له منها الكمال من كل وجه، فإن كل المعاني التي يدل عليه اسم الكريم كذلك يدل عليها اسم الأكرم، فيكون معنى الأكرم هو الأكمل والأفضل في الشرف والكمال والجود والعطاء والصفح»^(٥).

وقال ابن القيم: «اسم (الأكرم) الذي فيه كل خير وكل كمال، فله كل كمال

(١) انظر: المرجع السابق (١/١١٢، ١٣١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/٣٦٠).

(٣) المرجع السابق (١٦/٢٩٣).

(٤) شأن الدعاء (١٠٣)، وكذا قاله البيهقي في الاعتقاد (٣٩).

(٥) الفروق للعسكري (١٤٣).

(٦) مفتاح دار السعادة (٢/٢٤١) [دار ابن عفان، ط١،

نبيه محمد ﷺ من كتاب كريم، وشرع محكم يسير .

أسماء الله الحسنى»، لزيد بن محمد شحاتة .

الْكُرْه

التعريف لغةً:

الكره: خلاف المحبة والرضا. قال ابن فارس: «الكاف والراء والهاء أصلٌ صحيحٌ واحد، يدلُّ على خلاف الرضا والمحبة. يقال: كرهتُ الشيءَ أكرهه كرهاً»^(١).

التعريف شرعاً:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى مقتضاها إبعاد المكروه ومعاداته وعدم الرضا عنه^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن المعنى المتعلق بوصف الله ﷻ هو على غاية الكمال والجلال؛ فما يكرهه الله ﷻ فهو مكروه على الحقيقة، بخلاف ما يضاف إلى المخلوق من كره؛ فليس كل ما يكرهه يلزم أن يكون مكروهاً على الحقيقة، بل كثير من المخلوقين يكرهون أشياء يجتمع فيها أكمل أسباب المحبة، ككراهة الكفار والمنافقين لله ﷻ ورسوله ﷺ.

(١) مقاييس اللغة (٥/١٧٢).

(٢) انظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٤/٢٧٢).

٨ - ما أسبغه الله تعالى من نعم، وما سخره في السماوات والأرض، مما فيه أظهر الدلالة على جوده وكرمه.

٩ - إجابة الله تعالى دعوة من دعاه، وخاصة حال الاضطرار والافتقار؛ فهو الكريم الذي لا يخيب من رجاءه، ولا يرد من سأله.

١٠ - إمهال الله تعالى لمن خالف أمره، وعدم معاجلته له بالعقوبة.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السنّة الأصبهاني.
- ٣ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٤ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنّة»، لعلوي السقاف.
- ٥ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٦ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدى.
- ٧ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.
- ٨ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٩ - «معتقد أهل السنّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
- ١٠ - «المنهاج الأسنى في شرح

❁ الأسماء الأخرى:

البغض، المقت.

❁ الحكم:

وجوب الإيمان باتصاف الله تعالى بهذه الصفة، وأنه سبحانه متصف بها على وجه الكمال.

❁ الحقيقة:

صفة الكره من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى تقتضي عدم الرضا عن المكروه، وإبعاده من رحمته، وتعرضه لعذابه وعقابه.

ولما كانت صفة الكره من الصفات المنقسمة التي تقبل المدح وتقبل الذم، جاء وصف الله تعالى بها مقيداً بما يدل على المدح والكمال المطلق.

فالكره من الله تعالى واقع على ما هو مكروه على الحقيقة، ولا يأتي الوصف إلا في سياق دال على هذا المعنى، وهذا كمال في الموصوف، بخلاف ما لو لم يتصف بذلك، فنفي الكراهة مطلقاً حتى مع قيام سببها ليس من مقامات المدح، وهذا مثل القول في الرضا والغضب، فالذي يوصف بالرضا والغضب أكمل ممن لا يوصف بهما، أو لا يوصف إلا بأحدهما؛ فوضع الشيء في موضعه هو محل التمدح والكمال^(١).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإسراء].

وعن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله حَرَّمَ عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^(٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن بطّة: «باب الإيمان بأن الله ﷻ يغضب ويرضى ويحب ويكره»^(٤)، وذكر الرد على النفاة بذكر الأدلة على هذه الصفات.

وقال ابن تيمية: «ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير

(٢) أخرجه البخاري (كتاب في الاستقراض وأداء الديون، رقم ٢٤٠٨)، ومسلم (كتاب الأفضية، رقم ٥٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٨)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٦).

(٤) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٣/١٢٨).

(١) الرسالة الأكملية - ضمن مجموع الفتاوى (٦/٩٢).

الكوني وأمره الشرعي، فليس كل ما خلقه وأراده كونًا يكون أحبه ورضيه، بل قد أخبر ﷺ عن أشياء مما خلق يكرهها ويبغضها، فيجب اتباع شرعه في بغضها، أما خلقه لها فهو لحكمة أرادها.

٦ - قيام شرع الله تعالى على غاية الجمال والجلال، وخلوّه من كل شر ومكروه لذاته، بل الأخذ به سبب السعادة في الدنيا والآخرة.

٧ - العاقبة الحسنة والتمكين والقبول الذي وعده الله تعالى لمن أحبهم، والخسارة والعذاب والبغض على من كرههم الله تعالى.

٨ - انعدام الهداية والتوفيق للمناققين وأمثالهم؛ إذ كره الله تعالى حالهم وشركهم ورياءهم، وما بهم من سوء ظاهر وباطن.

❁ مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في إثبات هذه الصفة، وهذا بناء على ما أصّلوه في نفي الصفات.

فمخالفة الجهمية بناء على أصلهم الفاسد في أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه^(٣).

تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل» وذكر أمثلة على هذه الصفات بالاستدلال عليها من القرآن، وذكر من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أُبْعَاثَهُمْ﴾^(١).

وقال ابن القيم: «والغيرة عند المعطلة النفاة من الكيفيات النفسية، كالحياء والفرح والغضب والسخط والمقت والكراهية، فيستحيل وصفه عندهم بذلك، ومعلوم أنّ هذه الصفات من صفات الكمال المحمودة عقلاً وشرعاً وعرفاً وفطرة، وأضدادها مذمومة عقلاً وشرعاً وعرفاً وفطرة»^(٢).

❁ الآثار:

١ - التعبّد لله تعالى بتحصيل أسباب محبته، واجتناب أسباب بغضه وكرهه.

٢ - الحذر من كره الله تعالى وبغضه للعبد؛ فبذلك ينقطع التوفيق، ويكون الهلاك والخسران.

٣ - محبة المؤمن لما يحبه ربه، وبغضه لما يبغضه.

٤ - التدبر في حكمة الله تعالى في شرعه، فما يكرهه تعالى، فقد قامت به معاني الكره والبغضاء على الحقيقة، وهذا يوجب على العباد أن يبغضوه.

٥ - عدم المعارضة بين أمر الله تعالى

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٢١) [دار التراث]، والملل والنحل للشهرستاني (٩٨/١) [دار المعرفة]، ط٢].

(١) العقيدة الواسطية (ضمن مجموع الفتاوى ٣/١٣٣).

(٢) الصواعق المرسلّة (٤/١٤٩٧).

الباطلة التي يجعلها النفاة مانعة لإثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه، وأثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات.

- فالله تعالى أثبت لنفسه صفات، وأثبتها لخلقه، كالعلم، والقدرة، والإرادة، والعظمة إلخ، ولم يلزم من هذا الإثبات أي معنى للتشبيه الذي يزعمه هؤلاء النفاة، بل المتقرر شرعاً وعقلاً ما أخبر به تعالى عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

- فأهل السنّة والجماعة في إثباتهم لجميع ما أثبتته الله تعالى لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ يقررون هذا الأصل الجامع لكل الصفات، المانع من أي ظن كاذب أو لازم باطل، ومنها صفة الكره.

وكذلك فإن إثبات الصفات الفعلية لا يلزم منه أن تكون ذاته محلاً لحوادث مخلوقة، فهو لم يزل ولا يزال فعلاً لما يريد، والنصوص الدالة على تعدد أفعاله وتنوعها لا تكاد تحصى، وليس في شيء منها ما يدل على أن شيئاً من المخلوقات يحل في ذاته.

فثبت فعله سبحانه بمشيئته واختياره بثبوت الدليل الشرعي عليه، ولا نرد دلالة الدليل باللوازم الباطلة.

- بل إن نفي المشيئة والاختيار في أفعاله تعالى هو النقص الذي يجب أن

ومخالفة المعتزلة بناء على أصلهم في نفي الصفات؛ لاستلزامها التشبيه، ولأن تعدد الصفات يلزم منه تعدد القدماء^(١)، فيثبتون الكره باعتبار أثره، وهو المعنى المتعلق بمن كرهه الله.

ومخالفة الأشاعرة بناء على أصلهم في نفي الصفات الفعلية؛ لأن إثباتها يستلزم حلول الحوادث في ذات الله تعالى، فأولوها إلى صفة الإرادة التي يثبتونها ضمن الصفات العقلية السبع التي يثبتونها، فتكون الصفة عندهم بمعنى إرادة العقوبة، أو عدم إرادة المحبة أو الخير ونحو ذلك، فتكون هذه الصفة عندهم متعلقة بوصف قديم لا يتجدد، وهو الإرادة^(٢).

ولذلك أولوا الكراهة بما يجعله الله تعالى من الكراهة في الشيء المكروه^(٣)، أو بمعنى عدم الإرادة^(٤)، ونحو ذلك.

❁ الرد عليهم:

- بنفي ما أحدثوه من لوازم باطلة، فأثبات الصفات لا يلزم منه تعدد القدماء، ولا التشبيه، ولا أيّاً من اللوازم

(١) شرح الأصول الخمسة (١٦٢) [مكتبة وهبة، ط٣].

(٢) انظر: الإرشاد للجويني (١٠٢) [مؤسسة الكتب

الثقافية، ط١، ١٤٠٥]، والمواقف للإيجي (٢٩١)

[مكتبة المتنبّي].

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/٢٦٣).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٦/٦٤).

٨ - «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

الكروبيون

يراجع مصطلح (حملة العرش).

الكريم

يراجع مصطلح (الكرم).

الكشف

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الكاف والشين والفاء أصل صحيح يدل على سُروُّ الشيء عن الشيء كالثوب يسرى عن البدن»^(٢).

والكشف في اللغة بمعنى الإظهار، وهو رفع الشيء عما يواريه ويغطيه. يقال: كشف الشيء يكشفه كشفًا، ومنه قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ الْأَافِقَةُ﴾^(٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ^(٥٨) [النجم]؛ أي: لا يكشفُ الساعةَ إلا ربُّ العالمين^(٣).

التعريف اصطلاحًا:

قال الجرجاني: «الكشف

(٢) مقاييس اللغة (٥/١٨١) [دار الجليل، ط٢].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٠/١٨) [دار إحياء التراث العربي، ط١]، ولسان العرب (٩/٣٠٠) [دار صادر، ط١].

ينزه عنه، فإثبات الكمال والحمد له أنه يخلق ما يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويعفو عن من يشاء، ويفعل ما يريد، وأنه لم يزل ولا يزال فعالاً لما يريد.

- فمسألة الصفات الاختيارية هي من تمام حمده، فمن لم يقر بها لم يمكنه الإقرار بأن الله محمود البتة، ولا أنه رب العالمين؛ فإن الحمد ضد الذم والحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له، والذم هو الإخبار بمساوئ المذموم مع البغض له.

والله تعالى يحمد نفسه بأفعاله، فإذا لم يكن له فعل يقوم به باختياره امتنع ذلك كله^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية»، لابن بطة.
- ٢ - «جامع الرسائل»، لابن تيمية.
- ٣ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.
- ٤ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.
- ٥ - «الصواعق المرسله»، لابن القيم.
- ٦ - «العقيدة الواسطية»، لابن تيمية.
- ٧ - «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين».

(١) انظر: رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية، ضمن جامع الرسائل (٢/٥٧) [دار العطاء، ط١].

المحادثة^(٦)، الإلهام^(٧)، الإشراق^(٨).

❁ الحقيقة:

ترجع حقيقة الكشف عند الصوفية إلى الاطلاع على علم الغيب، ومعرفة الشرع. ولهذا أدخلوا في الكشف:

١ - الاطلاع على أسرار الملكوت وحقائق الوجود^(٩)، حتى يصل غلاتهم إلى القول بأن الولي يدرك بالكشف العوالم غير المتناهية، ويطلع على أخبار الماضي والمستقبل^(١٠).

ويرى الغزالي أنه كلما ارتفعت الحجب بين القلب وبين اللوح المحفوظ رأى القلب الأشياء في اللوح المحفوظ! وتفجر العلم منه إلى القلب! فاستغنى عن الاقتباس بطريق الحواس، فللقلب عنده بابان، باب مفتوح على عالم المحسوس، وباب مفتوح على عالم الملكوت؛ أي: اللوح المحفوظ، وأنه يصل إلى الاطلاع على اللوح المحفوظ،

(٦) انظر: التعريفات (٢٦٢)، واصطلاحات الصوفية لابن عربي (١٥٢) ضمن معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام.

(٧) انظر: التعريفات (٥١).

(٨) انظر: أصول الفلسفة الإشراقية عند السهروردي لمحمد أبو ريان [مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١، ١٩٥٩م]، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/ ٢٣١) [الشركة العالمية للكتاب، ط ١٤١٤هـ].

(٩) شفاء السائل لابن خلدون (٥١).

(١٠) تحفة السفر إلى حضرة البررة لابن عربي (١٣)، عن: جنابة التأويل الفاسد لمحمد أحمد لوح (٤٩٠، ٤٩١) [دار ابن عفان، ط ١، ١٤٠٨هـ].

في... الاصطلاح: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية، وجودًا وشهودًا^(١).

❁ الأسماء الأخرى:

جاءت عدة ألفاظ عند الصوفية تقارب معنى الكشف، ومن ذلك: الخواطر^(٢)، المطالعة^(٣)، الواردات^(٤)، التجلي^(٥)،

(١) التعريفات (٢٣٧) [دار الكتاب العربي، ط ١]. وانظر: شفاء السائل لابن خلدون (٥١) كلية الإلهيات، ١٩٥٨م] ومدارج السالكين (٢٢١/٣) [دار الكتاب العربي، ط ٢]، وشرح الألفاظ المشكلة الجارية في كلام الصوفية، للسراج الطوسي ضمن مجموع معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام، للجبوري (٣٨)، وشرح ألفاظ واصطلاحات تدور بين الصوفية لعلماء الدين القرشي ضمن نفس المجموع (١٧٢) [دار نينوى، ط ٢، ١٣٢٩هـ].

(٢) انظر: التعريفات (١٢٩)، وتفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها للقشيري (١٠٥) ضمن مجموع: معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام، واصطلاحات الصوفية لابن عربي (١٥٠) ضمن نفس المجموع.

(٣) انظر: شفاء السائل لابن خلدون (٥١)، واصطلاحات الصوفية لابن عربي (١٠٥) ضمن مجموع معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام.

(٤) انظر: التعريفات (٣٢٢)، واصطلاحات الصوفية لابن عربي (١١٥٠) ضمن مجموع معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام.

(٥) انظر: شرح الألفاظ المشكلة الجارية في كلام الصوفية ضمن مجموع معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام (٥٣)، والمصطلح الصوفي للجلابي الهجويري ضمن نفس المجموع (١٣١)، واصطلاحات الصوفية لابن عربي ضمن نفس المجموع (١٥٢)، والتعريفات (٧٣).

على منزلة الوحي، فهم يرون أن العمدة في الاعتقاد ما يكشف لهم، فإذا كشف لهم أمر نظروا للكتاب والسنة، فما وافقه أثبتوه، وما خالفه حرّفوه.

وبلغ بهم الحال أن ذموا من يأخذ العلم من الكتاب والسنة، دون اعتماد طريق الكشف، وتنقّصوا أهل الحديث من أجل ذلك؛ لأن أهل الحديث يأخذون علمهم عن ميّت عن ميّت، وأما هم فيأخذونه - بزعمهم - عن الحي الذي لا يموت^(١).

ولأهمية الكشف عندهم يجعلونه طريقاً للمريد في أول سلوكه لطريق التصوف، حتى يزعمون أن المبتدئ يتعرض من أول طريقه للمكاشفات والمشاهدات، وأنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائداً!^(٧)

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو العباس القرطبي: «ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق يلزم منه هذ الأحكام الشرعية، فقالوا: هذه

(٦) انظر: إحياء علوم الدين (٣/١٠٤)، وتلبس إبليس لابن الجوزي (٣٩٢) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ]، وإيقاظ الوسنان للسوسني (١٠٥، ١٠٦) [المطبعة الثعالبية، ط١٣٣٢هـ]، والإنسان الكامل للجلي (٧، ٨).

(٧) المتخذ من الضلال (١٠٧) [دار الأندلس، ط٧].

وعليه فهو يرى أن علوم الأولياء تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت، في حين أن علوم العلماء من أبواب الحواس^(١).

٢ - معرفة الحلال والحرام من غير تعلم.

فيرون صحة أن يكتسب المرء المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد^(٢). ومن أجل هذا زعم بعض أئمة الصوفية أنهم ألفوا بعض كتبهم - الضلالية أو الكفرية - من كَشَفٍ كُشِفَ لهم، لا من طريق النظر والفكر، كما زعمه ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية^(٣)، والجيلي في كتابه الإنسان الكامل^(٤)، وغيرهما.

والكشف يحصل عند الصوفية لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب، بل يحصل - كما يزعمون - بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها، والارتياض بالذكر والمجاهدات، وتفريغ القلب من شواغله^(٥).

❁ المنزلة:

لقد أنزل الصوفية الكشف منزلةً مقدّمةً

(١) إحياء علوم الدين (٣/٢١ - ٢٢) [دار المعرفة].

وانظر: جامع كرامات الأولياء للشعراني (٢/٣٢٥).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٢٣).

(٣) انظر: الفتوحات المكية (١/١٣٦ - ٣/٤٥٦) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٤٠٥].

(٤) انظر: الإنسان الكامل (٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ].

(٥) انظر: إحياء علوم الدين (٣/١٩).

السلف والخلف: على ألا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه، ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل الكرام، فمن قال: إن هناك طريقًا آخر يعرف بها أمره ونهيه غير الرسل بحيث يستغنى عن الرسل فهو كافر يقتل ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب، ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا ﷺ الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسوله فلا نبي بعده، ولا رسول»^(١).

وقد بين الإمام ابن أبي العز حال هؤلاء، فقال: «والرهبان وهم جهال المتصوفة المعترضون على حقائق الإيمان والشرع يعترضون على الشريعة بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية، المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه ﷺ، والتعويض عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان وحظوظ النفس»، وذكر أنهم يقولون: «إذا تعارض الذوق والكشف وظاهر الشرع قدمنا الذوق والكشف»^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/٢١٧ - ٢١٩) [دار ابن كثير، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢٢٢) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٣٩١هـ]، وقد تقدم نقل بعض أقوالهم في ذلك.

الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأغنياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم، قالوا: وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار، وخلوها عن الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع والكليات، كما اتفق للخضر، فإنه استغنى بما تجلى له من تلك العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم.

قلتُ [القائل القرطبي]: وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب؛ لأنه إنكار ما علم من الشرائع، فإن الله تعالى قد أجرى سُنَّتَهُ، وأنفذ حكمته، فإن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسوله السفراء بينه وبين خلقه، وهم المبلغون عنه رسالاته وكلامه، المبينون شرائعه وأحكامه، اختارهم لذلك، وخصهم بما هنالك، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنَ النَّاسِ ابْنُ اللَّهِ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]...

وعلى الجملة، فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري، وإجماع

الزمان والمكان، ويدرك به العوالم غير المتناهية، ويطلع به على أخبار الماضي والمستقبل.

٥ - كَشَفٌ خَفِيٌّ، وهو أن ينكشف الله تعالى بالصفات، إما بالجلال أو الجمال، على حسب المقامات والحالات، ويسمى كَشَفًا صِفَاتِيًّا^(٢).

الحكم:

الحكم على ما ادعاه الصوفية - أو غيرهم - من الكشوفات يتضح من خلال ما يلي:

أولاً: لا ريب أن الأصل في معرفة الحقائق والشرائع عند أهل الحق - أهل السنة والجماعة - هو كتاب الله، وسُنَّةُ مصطفىه ﷺ، وما أجمع عليه سلف الأمة، فهو ما أمر الله عباده المؤمنين بالرد إليه عند الاختلاف، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لِنُزَعِمَنَّ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء، ٥٩]، فما أتت به الرسل عن الله فهو الحق الذي ضمنت لنا عصمته، وأما ما لم تأت به ففيه حق وباطل، فكان الواجب رده إلى الحق الذي لا باطل فيه^(٣).

«من ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد فهذا كافر ملحد، وإذا قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا: إن محمداً رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب، فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض، فكانوا كفاراً بذلك، وكذلك هذا الذي يقول إن محمداً بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض، فهو كافر، وهو أكفر من أولئك؛ لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة»^(١).

الأقسام:

ذكر بعض أهل التصوف أن للكشف خمسة أقسام:

- ١ - كشف عقلي، وبه تدرك المعقولات.
- ٢ - كشف قلبي، وتدرک به أنوار مختلفة.
- ٣ - كشف سري، وتدرک به أسرار المخلوقات، وحكم خلقها.
- ٤ - كشف روحي، وبه يرتفع حجاب

(٢) تحفة السفارة إلى حضرة البررة لابن عربي (١٣)، عن: جناية التأويل الفاسد لمحمد أحمد لوح (٤٩٠ - ٤٩١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٥/١٩) [مكتبة ابن تيمية، ط٢].

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢٦٦/١١).

والله تعالى قد قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ
أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾
[العنكبوت: ٥١]

فتبين أن الاكتفاء حاصل بالكتاب فهو
الأصل والمرجع في الاستدلال، فمن
جعل الكشف أصلاً مستقلاً في معرفة
الغيب أو الحلال والحرام فقد ابتدع في
الدين، ولم يحقق هذا الاكتفاء.

فالميزان هو الشرع، وكل ما سواه
- من الكشوف والمنامات والإلهامات
المزعومة - يجب أن تُردَّ إليه، فما وافقه
قبل، وما خالفه رُد.

ثانياً: أن الكشوفات والإلهامات - من
حيث الأصل - لا يمتنع وقوعها، فقد
تقع للبعض، فإنه ليس من الممتنع وجود
العلم بثبوت الصانع وصدق رسوله
إلهاماً^(١).

وهذا إنما يكون لمن صدق إيمانه،
ومتابعته للرسالة، فإن المؤمن يتبين له ما
لا يتبين لغيره، ولا سيما في الفتن،
وينكشف له حال الكذاب الوضاع
على الله ورسوله، وكلما قوي الإيمان
في القلب قوي انكشاف الأمور له،
وعرف حقائقها من بواطنها، وكلما
ضعف الإيمان ضعف الكشف^(٢).

(١) انظر: درء التعارض (٤٦/٨) [دار الكتب العلمية،
١٤١٧هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٥/٢٠، ٤٦).

فالكشف الصحيح: هو أن يعرف
المؤمن الحق الذي بعث الله به رسله،
وأُنزل به كتبه، معاينة لقلبه، ويجرد إرادة
القلب له، وما خالف ذلك فغرور
قبيح^(٣).

ثالثاً: أن هذه الكشوف إذا وقعت
فإنها لا تكون دليلاً من أدلة الشرع، فلا
يجوز الحكم بمقتضاها في أحكام
الشرعية وأخبارها، فضلاً عن جعلها
حاكمة على الشريعة أو مستغنى بها عن
الكتاب والسنة، وإنما هي بشارة
وتأنيس، كحال الرؤى، فلا بد أن
تعرض على الكتاب والسنة، وألا يُعتمد
منها إلا ما كان موافقاً للشرع^(٤).

ولهذا جاء في الصحيح عن أبي هريرة
سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يبق
من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما
المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة»^(٥).

فغاية ما تفيده الرؤيا التبشير أو
التحذير، أو الاستئناس بها إذا وافقت
حكماً ثابتاً بالشرع الصحيح المعصوم.

وأما الاحتجاج فقد اتفق أهل العلم
على أن الرؤيا لا تصلح له^(٦).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢٢٢/٣، ٢٢٣، ٢٢٦).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٥/١١، ٢٠٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٦٩٩٠).

(٦) انظر: التنكيل للمعلمي (٢/٢٤١ - ٢٤٣) [المكتب

الإسلامي، ط٢]، والمنهج السلفي للقوسي (٢٥٩،

٢٦٠).

والحاصل أن ضلال المتصوفة في باب الكشف هو فيما يلي:

١ - طريقة تحصيل الكشف، حيث زعموا أن الكشف لا يحصل إلا برياضات شاقّة، بطرق مبتدعة في الدين، وأذكار ما أنزل الله بها من سلطان^(٣).

٢ - حجّيّة الكشف ومنزلته، حيث جعلوه هو الأصل في معرفة الحقائق وأحكام الشرع، وجعلوا أدلة الكتاب والسنة تابعة له، بل حرّفوها من أجله، وزعم بعضهم أنه قد تلقّاه من النبي ﷺ، مع أن الرسالة انقطعت بموته ﷺ، وأنه قد يستغني بالكشف عن نصوص الشرع^(٤)، وتبع ذلك تزهيد كثير منهم في الوحي، وزعموا أن «من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم، ولا يتعين له موقف»^(٥).

ولا شك أن «هذا الكلام مضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول شيء من الأمور العلمية، بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة والنور والمكاشفة»^(٦).

٣ - ومن أكبر ضلالهم في هذا

ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (٢/٦٥٥، ٦٦٨).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٣/٢١ - ٢٣).

(٤) المرجع السابق (٣/٢١ - ٢٢).

(٥) المرجع السابق (٣/١٠٤).

(٦) درء التعارض (٥/٣٤٨).

رابعاً: وبهذا يقال: ليس النزاع مع المخالف في أصل وقوع الكشوفات، وإنما في منزلتها التي زعموها لها، حيث جعلوها حاكمة على الكتاب والسنة، مملية على أصحابها ما هو من أبطل الباطل، وأكفر الكفر، كعقيدة وحدة الوجود والعياذ بالله.

ولا أدلُّ على ذلك من حال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو مُحدّثُ هذه الأمة، ومع ذلك فقد كان يشاور الصحابة ويشاورونه، ويراجعهم ويراجعون، ويحتج عليهم بالكتاب والسنة، ويرجعون جميعاً إليهما، ويردون ما اختلفوا فيه إلى ما أمر الله بالرد إليه من الرد إلى الله سبحانه، وإلى رسوله ﷺ، فحقُّ على الولي - وإن بلغ في الولاية إلى أعلى مقام وأرفع مكان - أن يكون متقيداً بالكتاب والسنة، وازناً لأفعاله وأقواله بميزان الشريعة المطهرة، واقفاً على الحد الذي رسم فيها، غير زائغ عنها في شيء من أموره، وإذا ورد عليه وارد يخالف الشريعة رده، واعتقد أنه من الشيطان^(١).

فطريقة الكشف عند الصوفية باب من أبواب البدعة، بل إنها قد تصل بسالكها إلى الزندقة والإلحاد^(٢).

(١) قطر الولي للشوكاني (٢٥٠، ٢٥١) بتصرف يسير.

وانظر: مدارج السالكين (١/٤٩٤، ٤٩٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٢٦٦)،

بالإلهام عن أحد رواة الحديث وهو ابن وهب، فقد قال بعد روايته: «تفسير مُحَدَّثُونَ: مُلْهَمُونَ»^(٣). وهذا التفسير هو الثابت عن أكثر أهل العلم^(٤).

ومع ذلك فلم يكن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحكم في أمر من شرع الله بمجرد ما يلقي في قلبه، بل كان يعرضه على الكتاب والسنة، فإن وافق ما يقع له من كشف وإلهام ما في الوحي قِبَلَهُ، وإن خالفه رَدَّهُ^(٥).

- المسألة الثانية: الجواب عن حديث: «فإنه ينظر بنور الله»:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله»^(٦). وهذا الحديث ضعيف؛ ضعفه جمع من أهل العلم^(٧)، فلا يصح الاعتماد عليه في

(٣) في رواية مسلم السابقة.

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٧/٥٠).

(٥) انظر منهاج السنة (٨/٧٠)، وبغية المراتد (٣٨٧، ٣٨٨)، ودرء تعارض العقل والنقل (٥/٣٤٩).

(٦) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣١٢٧) وقال: «حَدِيثٌ غَرِيبٌ». وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٨٢١)، وستأتي الإشارة أيضًا إلى من ضعفه من أهل العلم. وقد روي من غير حديث أبي سعيد، وكلها ضعيفة لا تثبت، كما بين الألباني في السلسلة الضعيفة (الموضع السابق).

(٧) ممن ضعفه: ابن الجوزي في الموضوعات (٢/٣٣٢، ٣٣٣) [دار الكتب العلمية، ١، ١٤١٥هـ]، والصغاني في الموضوعات له (٥١) [دار المأمون، ٢، ١٤٠٥هـ]، والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤/٢٩٩، رقم ١٨٢١).

الباب: ضلالهم في كثير من العقائد التي زعموا أنهم تلقوها عن طريق الكشف، كالقول بوحدة الوجود، أو أن للولي منزلة تفوق منزلة النبي.

٤ - الغلو في قدره واستمراره، حيث جعلوا في مقدرة الولي أن يطلع ويدرك بالكشف العوالم غير المتناهية، ويطلع به على أخبار الماضي والمستقبل^(١)، وجعلوه أمرًا مستمرًا لمن زعموا فيهم الولاية، والحق أنه أمر عارض للمؤمنين، وليس مستمرًا، بل يحصل في بعض الأحوال، كأن يكون فيه نصره للدين، أو إغاثة كربة لمضطر ونحو ذلك.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «إن يكن في أمتي محدثون فعمر»:

الإلهام هو المقصود بالتحديث الذي جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَّمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ»^(٢). والتحديث المذكور هنا قد جاء تفسيره

(١) تحفة السفر إلى حضرة البررة لابن عربي (١٣).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٨)، واللفظ له.

وأخرجه البخاري أيضًا (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٦٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ونفيها، فأى حاجة للأنبياء بعدها، وبطلان ذلك اللازم معلوم الفساد، بل هو من الكفر والإلحاد^(٢).

٤ - الاضطراب والاختلاف في الدين، حيث إن ما يدعى من كشوفات باطلة تختلف من شخص إلى شخص، فكلُّ يحلل ويحرم، ويثبت وينفي بحسب ما يدعيه كشفًا.

٥ - أن في الركون إلى الكشف فتحًا للباب لمن أراد أن يتدع في الدين، ويغير من شريعة رب العالمين، ويبطل ما ثبت في الشرع، أو يزيد فيه، ويدعي أن ذلك كشف قد كشف له، وهذا ما وقع بالفعل، حيث أتى الغلاة بكثير من العقائد الكفرية المناقضة لما قرره الأنبياء، وادّعوا أنها من طريق الكشف، كعقيدة الاتحاد والحلول ووحدة الوجود.

المصادر والمراجع:

- ١ - «التعريفات»، للجرجاني.
- ٢ - «جناية التأويل الفاسد»، لمحمد أحمد لوح.
- ٣ - «قطر الولي على حديث الولي»، للشوكاني.
- ٤ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٠)، لابن تيمية.
- ٥ - «مدارج السالكين» (ج ١)، لابن القيم.

إثبات مصدر للتشريع، ويبقى النظر فيما يبدو للمؤمن من كشوف وإلهامات بحسب ما تقدم، فما وافق الشرع قبل، وما لم يوافقه ردّ وطُرح^(١).

الآثار:

من الآثار الفاسدة للاعتماد على الكشف في أحكام الشريعة والعقيدة ما يلي:

١ - مخالفة الأمر الرباني، والظن في أصل دين الإسلام، المقتضي للرجوع إلى الكتاب والسنة في الاحتجاج الشرعي، والاستسلام لأمر الله، وهو ما ثبت بالتواتر والإجماع، وعلم بالضرورة من الدين، وذلك بالنظر لما يدعيه الغلاة من أن الكشف يصل بصاحبه إلى الاستغناء عن الوحي، حتى جعلوا الكشف مقدمًا على الوحي، والوحي تابع له عندهم.

٢ - مناقضة ما ثبت بالضرورة من الدين من تفرد الله بالعلم بالغيب؛ إذ يدعي أصحاب الكشف أنهم ينظرون في عالم الملكوت، واللوح المحفوظ، وهذا مما اختص الله بعلمه.

٣ - أن القول بالكشف يستلزم الاستغناء عن رسل الله، ذلك أن الكشف عندهم كاف في إثبات الأحكام

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٧٣/١٠) (١٣/٦٨، ٦٩)، والروح لابن القيم (٢٣٨) [دار الكتب العلمية، ط ١٣٩٥هـ]، ومدارج السالكين (١/١٢٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٢٦٦).

٦ - «المصادر العامة للتلقي عند

الصوفية»، لصادق سليم.

٧ - «معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام»، لنظلة الجبوري.

٨ - «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد»، لعثمان علي حسن.

٩ - «موقف ابن تيمية من الأشاعرة»، لعبد الرحمن المحمود.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان المعنى اللغوي لكلمة الكفر هو التغطية والستر، جاء المعنى الشرعي مستقى منه، فالكافر إنما سمي كافرًا؛ لأن الكفر غطى إيمان قلبه.

الكفر

الأسماء الأخرى:

من الألفاظ الشرعية التي عبر بها عن الكفر: الشرك، والظلم، والفسق.

الحكم:

يجب على المسلم اجتناب الكفر، وكلّ سبب يؤدي إليه. وحكم من وقع في الكفر الأصغر: أن صاحبه يبقى في دائرة الإسلام لا يخرج منها، وإذا لقي الله ﷻ بتلك الذنوب، فإنه يكون مستحقًا للعقوبة، إلا أن يعفو الله عنه، بخلاف من وقع في الكفر الأكبر: فإن

التعريف لغة:

الكفر لغة: الستر والتغطية. قال ابن فارس: «الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية. يقال لمن غطى درعه بثوب: قد كفر درعه. والمكفر: الرجل المتغطي بسلاحه»^(١).

وقال ابن الأثير: «وأصل الكفر: تغطية الشيء تغطية تستهلكه»^(٢). ولذلك قيل للزارع: كافر؛ لأنه يغطي البذر بالتراب^(٣). وكل شيء غطى شيئًا فقد كفره^(٤).

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٣٩/٧)، (٣٣٥/١٢).

[مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ].

وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٣٨/١) [دار

عالم الكتب، ط ٧، ١٤١٩هـ]، ومفردات ألفاظ

القرآن (٣٠٤/٢) [دار القلم]، والفصل في الملل

والأهواء والنحل (١١٨/٣) [دار المعرفة، ط ٢]،

والفروق للقرافي (١١٥/٤) [عالم الكتب]، ومختصر

الصواعق (٥٩٦) [دار الحديث، ط ١].

(١) مقاييس اللغة (١٩١/٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٨٧/٤) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٣٨/٧) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(٤) العين للفراهيدي (٣٥٧/٥) [مكتبة الهلال].

بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٨﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتِ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وهذه الآيات السابقة المراد منها: الكفر الأكبر.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ﴾ [المائدة]، وهذه الآية دخل فيها الكفر الأصغر، قال عطاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسيرها: «كفر دون كفر»^(٣).

وأدلة السُّنَّة على إطلاق لفظ الكفر وأن المراد به الكفر الأكبر كثيرة، منها حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لا يرث المؤمن الكافر، ولا يرث الكافر المؤمن»^(٤). وحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها الله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يجزى بها»^(٥).

ومن أدلة السُّنَّة على الكفر الأصغر: حديث جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن

فاعله خارج عن الإسلام، وإذا مات على كفره أدخله الله النار خالدًا مخلدًا فيها. والكفر حكم شرعي ينطبق على من كفره الله ورسوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ الحقيقة:

الكفر يكون بكل ما يناقض الإيمان، من اعتقاد أو قول أو عمل، فإن نقض أصل الإيمان كان هذا هو الكفر الأكبر، كالنفاق والجحود والاستهزاء والتكذيب ونحو ذلك، أو نقض كمال الإيمان الواجب فهذا هو الكفر الأصغر، كقتال المسلم لأخيه المسلم دون حق، والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت، ومن انتسب إلى غير أبيه ونحو ذلك مما سمَّاه الشرع كفرًا وليس بالأكبر^(١).

قال ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفرًا في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صوابًا في العقل تجب في الشرع معرفته»^(٢).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ

(٣) أخرجه الطبري تفسيره (٤٦٤/٨) [دار هجر، ط ١].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٨٣) واللفظ له، ومسلم (كتاب الفرائض، رقم ١٦١٤).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨٠٨).

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٣٥٠)، و(١٢/٣٣٥)، واقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٣٨).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٤٢) [جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٣٩٩هـ].

النبى ﷺ قال: «لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض»^(١). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقوله: «يضرب بعضكم رقاب بعض» تفسير الكفار في هذا الموضع، وهؤلاء يسمون كفارًا تسمية مقيدة، ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل: كافر ومؤمن»^(٢).

وقال أيضًا: «الكفر جحد ما علم أن الرسول ﷺ جاء به، سواء كان من المسائل التي يسمونها علمية أو عملية، فمن جحد ما جاء به الرسول ﷺ بعد معرفته بأنه جاء به فهو كافر في دق الدين وجله»^(٦).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «حدّ الكفر الجامع لجميع أجناسه وأنواعه وأفراده: هو جحد ما جاء به الرسول ﷺ أو جحد بعضه»^(٧).

❁ أقوال أهل العلم:

❁ الأقسام:

ينقسم الكفر إلى قسمين:
- القسم الأول: الكفر الأكبر: هو الذي يناقض أصل الإيمان، فيخرج صاحبه من الإسلام بالكلية، ويخلد في النار إن مات عليه، ولا تنفع فيه شفاعة الشافعين، وهو خمسة أنواع:

١ - كفر التكذيب: وهو اعتقاد كذب

الرسول ﷺ، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهراً أو باطنًا فقد كفر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

(٥) مدارج السالكين (١/٣٤٤) [دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ].

(٦) مختصر الصواعق (٦٢٠).

(٧) الإرشاد إلى معرفة الأحكام (٢٠٣، ٢٠٤) [مكتبة

المعارف، الرياض، ط ١٤٠٠هـ].

قال ابن حزم: «وهو - أي: الكفر - في الدين صفة من جحد شيئًا مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه، ببلوغه الحق إليه بقلبه دون لسانه، أو: بلسانه دون قلبه، أو: بهما معًا، أو: عمل عملاً جاء النص بأنه مُخرج له بذلك عن اسم الإيمان»^(٣).

وقال أبو نصر المروزي: «إذ الكفر لا يكون إلا جحودًا بالقلب أو تكذيبًا بالقلب أو باللسان، أو إباء أو امتناعًا باستكبار واستنكاف»^(٤).

وقال ابن القيم: «فأما الكفر فنوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر، فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار، والأصغر

(١) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١٢١)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٥).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٣٨).

(٣) التبصير في معالم الدين (١٦٢) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٤) تعظيم قدر الصلاة (٢/٧٤٩).

لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ [العنكبوت].

٢ - كُفْرُ الْإِبَاءِ وَالِاسْتِكْبَارِ: وذلك بأن يكون عالمًا بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكبارًا وعنادًا، قال ﷺ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة].

٣ - كُفْرُ الشُّكِّ، ويقال له كفر الظن: وهو ألا يجزم بصدق الرسول ولا بكذبه، بل يشك في أمره. قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ حَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف].

٤ - كُفْرُ الْإِعْرَاضِ: وهو الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف].

٥ - كُفْرُ النِّفَاقِ: وهو أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون] (١).

- القسم الثاني: الكفر الأصغر: وهو الذي لا يخرج من الملة، وصاحبه مستحق للوعيد والعذاب في النار دون الخلود فيها، وقد تقدمت صورته والأدلة عليه.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: شعب الكفر:

إن للكفر شعبًا وخصالًا كما أن للإيمان شعبًا، فالمعاصي والذنوب كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان. وشعب الكفر متفاوتة؛ منها ما يوجب الخروج من الإسلام، ومنها ما هو دون ذلك.

فقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، وكذلك الكذب، والحكم بغير ما أنزل الله، والمعاصي كلها من شعب الكفر. وشعب الكفر قسمان: قولية وفعلية. فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختياريًا وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف (٢).

وأهل السنَّة والجماعة يعتقدون أن العبد يجتمع فيه بعض شعب الإيمان، وبعض شعب الكفر أو النفاق التي لا تنافي أصل الإيمان وحقيقته (٣)، قال الله

(٢) الصلاة وأحكام تاركها (٥٥، ٥٦) [مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥٠/٧)، وتفسير القرآن =

(١) انظر: مدارج السالكين (٣٤٦/١، ٣٤٧)، والدرر السنية (٧٠/٢، ٧١) [ط٦، ١٤١٧هـ].

فإذا كان المتأول المخطئ في تلك لا يحكم بكفره إلا بعد البيان له واستتابته، كما فعل الصحابة في الطائفة الذين استحلوا الخمر، ففي غير ذلك أولى وأحرى، وعلى هذا يخرج الحديث الصحيح في الذي قال: «إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني في اليم، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحدًا من العالمين»^(١)، وقد غفر الله لهذا مع ما حصل له من الشك في قدرة الله وإعادته إذا حرقوه؛ لأنه كان جاهلاً^(٢).

- المسألة الثالثة: الكفر يكون بالفعل كما يكون بالقول والاعتقاد:

قرّر علماء أهل السنة أن الكفر بعد الإسلام يقع بالفعل كالذبح لغير الله أو السجود لصنم كما يكون بالقول أو الاعتقاد.

وزعم البعض أنه لا يكفر إلا من اعتقد الكفر، أمّا من تلفّظ به أو عمل ما هو كفر صراحة فلا يكفر؛ إذ الكفر هو الاعتقاد فقط، وهذا هو مذهب المرجئة. والصحيح: أن من وقع في كفر عملاً أو قولاً ثم أقيمت عليه الحجة وبيّن له أنّ هذا كفر يخرج من الملة، فأصر على فعله طائعاً غير مكره، متعمداً غير مخطئ ولا متأول فإنه يكفر ولو كان

تعالى: ﴿هُم لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

- المسألة الثانية: لا يلزم من التكفير ثبوت أحكام الردة:

ليس كل من قيل فيه: هو كافر، يجب أن تجري عليه أحكام المرتد ردة ظاهرة؛ لأن من لم يظهر الكفر يعامل معاملة المنافقين فتجربى عليه أحكام الإسلام في الظاهر، فقد ثبت أن الناس كانوا على عهد النبي ﷺ ثلاثة أصناف: مؤمن، وكافر مظهر للكفر، ومنافق مظهر للإسلام مبطن للكفر. ومع هذا فإنه لما كان يموت أحد المنافقين، كانت تجري عليه أحكام المسلمين، فكان معصوم الدم، وإذا مات يرثه المسلمون، حتى تقوم السنة الشرعية على أحدهم بما يوجب عقوبته. وكذلك لما خرجت الخوارج زمن علي رضي الله عنه لم يحكموا بكفرهم ولا قاتلوهم حتى بدؤوهم بالقتال.

وفي المقابل صار البعض يظن أنه لا يطلق كفر أحد من أهل الأهواء؛ وإن كانوا قد أتوا من الإلحاد وأقوال أهل التعطيل والاتحاد. والتحقيق في هذا: أن القول قد يكون كفراً كمقالات الجهمية، وقد يقول القول وهو متأول.

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٧٨)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٦١٧/٧ - ٦١٩).

= العظيم (١٦٠/٢) [دار طبية، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وتفسير السعدي (١٥٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

قال ابن بطال: «وليس المراد بالكفر حقيقة الكفر التي يخلد صاحبها في النار»^(٧).

- المسألة الخامسة: ضابط بلد

الكفر:

بلد الكفر: هو كل بلد تقام فيه شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام، كالأذان، والصلاة جماعة، والأعياد، والجمعة على وجه عام شامل.

والبلد الذي تقام فيه شعائر الإسلام على وجه محصور كبلاد الكفار التي فيها أقليات مسلمة فإنها لا تكون بلاد إسلام بما تقيمه الأقليات المسلمة فيها من شعائر الإسلام^(٨).

- المسألة السادسة: الكفار الأصليون

ثلاثة أصناف:

١ - أهل الكتاب.

٢ - من لهم شبهة كتاب.

٣ - من ليس لهم كتاب.

ولكل صنف أحكام تخصه.

وينقسم الكفار الأصليون في أحكام

الدنيا باعتبار مسألتهم وحربهم إلى:

أهل الحرب، وأهل الذمة^(٩).

(٧) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري (٥٥/١٢).

(٨) انظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (١٢٩)،

(١٣٠) [دار الثريا، ط ٤، ١٤٢٤هـ].

(٩) انظر: روضة الطالبين للنووي (١٢١٧) [دار ابن حزم

بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ]، والمغني لابن قدامة (٩/

٥٤٦ فما بعدها) [دار هجر، ط ١، ١٤٠٦هـ].

الدافع لذلك الشهوة أو أيّ غرض دنيوي^(١).

- المسألة الرابعة: إطلاق الكفر على

المعاصي:

جاء في الشرع جواز إطلاق الكفر على المعاصي، والمراد به: الكفر العملي، وذلك لقصد الزجر^(٢). كما في قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(٣)، وقوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٤). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقوله: «يضرب بعضكم رقاب بعض» تفسير الكفار في هذا الموضع، وهؤلاء يسمون كفاراً تسمية مقيدة، ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل: كافر ومؤمن»^(٥).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر»^(٦).

(١) انظر: روضة الطالبين للنووي (٦٤/١٠) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١٢هـ]، ومجموع الفتاوى (٧/٢٢٠)، والصارم المسلول (٥٢٣، ٥٢٤)، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٦٥٩/١) [دار العاصمة، ط ١، ١٣٤٩هـ].

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٥٤١/٦) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٤).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٢٣٨/١).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الفرائض، رقم ٦٧٦٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٢).

الفروق:

١ - الفرق بين الكفر الأكبر والكفر

الأصغر:

الكفر الأصغر يظل صاحبه في دائرة الإسلام لا يخرج منها، وإذا لقي الله ﷻ بتلك الذنوب، فإنه يكون مستحقاً للعقوبة، إلا أن يعفو الله عنه، بخلاف الكفر الأكبر، فإن فاعله خارج عن الإسلام، وإذا مات على كفره أدخله الله النار خالدًا مخلدًا فيها.

٢ - الفرق بين الكفر والشرك:

- الكفر والشرك قد يعبر بهما جميعاً في معنى واحد، كما في قوله ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»^(١)، ولذا قال بعض العلماء أنهما كالإسلام والإيمان يعبر بأحدهما عن الآخر.

- كل شرك فهو كفر، وليس كل كفر شركاً؛ لأن المعرض عن الدين والمستهزئ به يوصف بالكفر لا بالشرك^(٢).

٣ - الفرق بين الكفر والنفاق:

إن النفاق هو اعتقاد الكفر باطنًا وإظهار الإيمان، بخلاف الكفر فإن

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٢).

(٢) انظر: الفروق للعسكري (٢٣٠)، ومجموع فتاوى

ابن باز (٣٣/١ - ٣٤) [دار الوطن، ط ١،

١٤١٦هـ]، وتيسير العزيز الحميد (٥٦)، وكتاب

مصراع الشرك والخرافة لخلد الحاج (١٨١).

الكافر يعتقد الكفر ويظهره، ولذلك كان المنافق أشد جرمًا من الكافر؛ لأنه يتحقق فيه الكفر مع زيادة مخادعة المؤمنين بإظهار الإسلام^(٣).

مذهب المخالفين:

ذهب بعض أهل العلم إلى حصر الكفر في الجحود^(٤)، وهذا فيه نظر.

وذلك لدلالة النصوص الشرعية التي تفيد أن الكفر يمكن أن يكون من غير جهة الجحود.

فقد يكون من جهة العناد، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا عَيْنِدَا﴾ [المدثر]، وهذا ككفر أبي طالب وأضرابه من أهل العناد مع علمهم أن ما جاء به محمد ﷺ حق.

وقد يكون من جهة الكبر والإباء، ككفر إبليس، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة].

وقد يكون الكفر من جهة النفاق والزندقة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وقد يكون من جهة الكره لما أنزل الله، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ [٨] ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ

(٣) انظر: مدارج السالكين (٣٣٨/١) فما بعدها.

(٤) انظر: شرح الطحاوية (٣١٣) [وزارة الشؤون

الإسلامية والأوقاف، ط ١، ١٤١٨هـ].

اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ [محمد].

مع موافقة وموالاته وانقياد لا يكفي مجرد التصديق^(١).

وقد يكون الكفر من جهة الطعن بالدين والاستهزاء به، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ نَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٥﴾ لَا تَعْدِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿التوبة﴾.

المصادر والمراجع:

- ١ - «اقتضاء الصراط المستقيم» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٢ - «التكفير وضوابطه»، لإبراهيم الرحيلي.

- ٣ - «الدرر السننية في الأجوبة النجدية» (ج ١، ٢).

- ٤ - «الصلاة وأحكام تاركها»، لابن القيم.

- ٥ - «الفروق» (ج ٤)، للقرافي.
- ٦ - «الكفر مفهومه وأنواعه والغلاة فيه»، لسارة بنت فراج العقلاء.

- ٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٧)، لابن تيمية.

- ٨ - «مدارج السالكين» (ج ١)، لابن القيم.

- ٩ - «نواقض الإيمان القولية والعملية»، لعبد العزيز العبد اللطيف.

- ١٠ - «نواقض الإيمان الاعتقادية»، لمحمد الوهبي.

الكفيل

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمته الله: «الكاف والفاء

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٢٩٢).

وقد يكون من جهة التولي والإعراض عن الدين، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأحاف].

وقد يكون الكفر من جهة الشك والظن بالله ظن الجاهلية، كما قال تعالى عن الكفار: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكِّ وَمَا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦﴾﴾ [إبراهيم]، وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْ مِمَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَقِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية].

قال ابن تيمية: «المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب؛ بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق لكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ولا أوافقك لكان كفره أعظم؛ فلما كان الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب فقط، علم أن الإيمان ليس هو التصديق فقط، بل إذا كان الكفر، يكون تكديماً، ويكون مخالفة ومعاداة وامتناعاً بلا تكذيب، فلا بد أن يكون الإيمان تصديقاً

القائم بجميع شؤون عباده فهو المتكفل بذلك الضامن له والعائل لهم، وهو مما ألزم به نفسه تفضلاً وتكرماً منه ﷺ.

الحكم:

لم يثبت أن الكفيل من أسماء الله ﷻ، لكن يخبر عن الله ﷻ أنه هو الكفيل، فلا تسوغ تسمية الله ﷻ بالكفيل، أو دعاؤه به، أو التعبيد به فيقال: عبد الكفيل، لعدم ثبوت النص في كونه اسماً لله ﷻ.

الحقيقة:

إن الله ﷻ لما كان هو المتكفل بجميع شؤون خلقه إنما ذلك لفضله وكرمه وعظيم إحسانه، ولعجز العباد عن القيام بأمرهم من غير توفيق الله ﷻ وعونه وتيسيره لأسباب ذلك.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: اتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى» الحديث (٤).

واللام أصل صحيح يدل على تضمن الشيء للشيء، من ذلك الكفيل: كساء يدار حول سنام البعير، وإنما سمي بذلك لما ذكرناه من أنه يدور على السنام، أو العجز، فكأنه قد ضمَّنه (١).

والكفيل: الضامن، يقال: كفَّل يكفُل كِفْلاً وكفالة، والكافل: العائل، من يكفل إنساناً يعوله، قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]، وأكفلته المال: ضمنته إياه، وكفله وتكفل بالشيء: ألزم نفسه به وتحملته (٢).

التعريف شرعاً:

الكفيل: بمعنى الوكيل أو الشهيد، وهو القائم بأمر الخلاق، الراعي لهم، المتكفل بأقواتهم وأرزاقهم وجميع شؤونهم (٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي للكفيل ومعناه الشرعي ظاهرة، فإن الله ﷻ هو

(١) مقاييس اللغة (١٨٨/٥) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٠/٢٥٠ - ٢٥٣) [الدار المصرية]، والصحاح (٥/١٨١٠) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٧١٧) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٣٦١) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/٣٤١) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وتفسير البغوي (٥/٣٩) [دار طيبة، ط ٢]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٣٨) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

❁ أقوال أهل العلم:

❁ الفرق:

الفرق بين الكفيل والوكيل:

كلاهما من أسماء الجلال الدالة على القيام بأمر الخلق والتكفل بمصالحهم ومعاشهم وجميع شؤونهم، المدبر لجميع أمورهم، لكن بينهما فرق من جهة العموم والخصوص، فالوكيل أعم من الكفيل؛ لأن كل كفيل وكيل، وليس العكس^(٥).

❁ الآثار:

آثار الإيمان بتكفل الله ﷻ بجميع أمور خلقه يرتبط ارتباطًا وثيقًا بأنه ﷻ هو الوكيل الذي يتوكل عليه ولا يتوكل على أحد سواه.

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله الحسنى»، للغصن.
- ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٣ - «إيثار الحق على الخلق»، لابن الوزير.
- ٤ - «التوحيد»، لابن منده.
- ٥ - «الجوائز والصلوات من جمع الأسماء والصفات»، لصديق خان.
- ٦ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ٧ - «فقه الأسماء الحسنى»،

لعبد الرزاق البدر.

(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٨٨٢).

قال مجاهد بن جبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: وكيلاً»^(١).

وقال ابن جرير الطبري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدم عليه على أنفسكم: راعياً، يرعى الموفى منكم بعهد الله، الذي عاهد على الوفاء به والناقض»^(٢).

وقال الحلبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الكفيل؛ ومعناه: المتقبل للكفايات، وليس ذلك بعقد وكفالة ككفالة الواحد من الناس، وإنما هو على معنى أنه لما خلق المحتاج وألزمه الحاجة، وقدر له البقاء الذي لا يكون إلا مع إزالة العلة وإقامة الكفاية، لم يخله من إيصال ما علّق بقاؤه به إليه، وإداره في الأوقات والأحوال عليه، وقد فعل ذلك ربنا جل ثناؤه؛ إذ ليس في وسع مرتزق أن يرزق نفسه، وإنما الله تعالى يرزق الجماعة من الناس والدواب، والأجنة في بطون أمهاتها، والطيور التي تغدو خماصاً، وتروح بطاناً، والهوام والحشرات والسباع في الفلوات»^(٣).

وقال البيهقي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: شهيداً بالوفاء»^(٤).

(١) تفسير الطبري (٣٤١/١٤).

(٢) المرجع السابق (٣٣٨/١٤).

(٣) المنهاج في شعب الإيمان (٢٠٤/١) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩].

(٤) تفسير البيهقي (٣٩/٥).

- ٨ - «المستدرک علی مجموع الفتاوی»، لابن تیمیة.
- ٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنی»، للتمیمی.
- ١٠ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی»، لحمود النجدي.

❁ التعريف شرعاً:

الكنف المضاف إلى الله ﷻ هو طرفه وناحيته وجانبه، وهو صفة من الصفات الذاتية الخيرية ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته^(٣).

❁ الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة؛ لدلالة الحديث النبوي عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل^(٤).

❁ الحقيقة:

حقيقة الكنف المضاف إلى الله تعالى وهو ناحيته وطرفه وجانبه، وبه يستر الله ﷻ عبده المؤمن يوم القيامة حتى لا يفتضح أمام الخلق، ولذلك

(٣) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٣٠١) [دار الهجرة، ط ٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٥٤) [مكتبة العيكان، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٨٤/٤، ١٨٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، ومعارج القبول للحكمي (١/٤٧١، ٤٧٢) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط ٨].

❁ كمال الإيمان ❁

يراجع مصطلح (الإيمان).

❁ الكَنَفُ ❁

❁ التعريف لغةً:

الكَنَفُ: بفتح الكاف والنون بعدها فاء. قال ابن فارس: «الكاف والنون والفاء أصل صحيح واحد يدل على ستر، من ذلك الكنيف، هو الساتر. وزعم ناس أن الترس يسمى كنيفاً؛ لأنه ساتر. وكل حظيرة ساترة عند العرب: كنيف، ومن الباب: كنف فلاناً وأكنفته. وكنفا الطائر: جناحه؛ لأنها يسترانه. ويقال: حضرت للإبل حظيرة، وكنفت لها وكنفتها أكنفها»^(١). وقال الجوهري: «كَنَفْتُ الشيءَ أَكْنُفُهُ؛ أي: حطته وصنته. والكَنَفُ بالتحريك الجانب، وكنفا الطائر: جناحه، وكنفة الإبل: ناحيتها»^(٢).

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٢٦) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) الصحاح (٤/١٤٢٤) [دار العلم للملايين، ط ٤].

القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك، ولا تبلغه صفة الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، وما وصف به نفسه من كلام، ونزول، وخلوة بعبده يوم القيامة، ووضع كنفه عليه»^(٤).

وقال إبراهيم الحربي: «قوله: «يفضع عليه كنفه» يقول: ناحيته. قال إبراهيم: أخبرني أبو نصر، عن الأصمعي: يقال: نزل في كنف بني فلان؛ أي: ناحيتهم»^(٥).

الآثار:

إن الله ﷻ يعرف المؤمن بذنوبه يوم القيامة ولكنه ﷻ بمنه وكرمه يضع كنفه على المؤمن ويستره من الخلق حتى لا يفتضح أمامهم، وفي ذلك إكرام من الله للمؤمن وستر عليه، وكذلك فيه حث وترغيب ودعوة للناس على ستر عيوب الآخرين وعدم تشهيرها بين الناس.

مذهب المخالفين:

الكنف صفة ذاتية خبرية، ووضع الله كنفه يوم القيامة على عبده المؤمن وستره

(٤) بيان تليس الجهمية (٣/٧١٠، ٧١١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٥) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للنعيمان (٢/٣٨٣ - ٣٨٤).

فسره كثير من السلف بالستر^(١)، وهذا من معناه ومن لازمه.

الأدلة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى فيه نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأَشهاد: ﴿هَتُوَلَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود]^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال أبو وائل شقيق بن سلمة: «نشر الله تعالى كنفه على المسلم يوم القيامة هكذا، وتعطف بيده وكفمه»^(٣).

قال أحمد بن حنبل: «لا نتعدى

(١) انظر: خلق أفعال العباد (١٣٤) [دار ابن القيم، ط ١، ١٤٢٣هـ]، وتهذيب اللغة (١٠/٢٧٤) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ورياض الصالحين (١٦٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٢٢هـ]، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/٣٨٣، ٣٨٤) [دار العاصمة، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٤١)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٨).

(٣) المجموع المغني في غريب القرآن والحديث (٣/٧٩) [جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٦هـ].

الكتاب والسُّنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٥ - «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» (ج ٣)، لمحمد بن أبي بكر المدني.

٦ - «معارج القبول» (ج ١) لحافظ بن أحمد الحكمي.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤)، لابن تيمية.

٨ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

٩ - «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افتري على الله في التوحيد»، للدارمي.

الكهانة

التعريف لغة:

الكاهن معروف، يقال: كَهَنَ له يَكْهُنُ كِهَانَةً^(٢)، وَتَكَهَّنَ تَكْهِنًا: قضى له بالغيب، والكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار، والكاهن أيضًا في كلام العرب الذي يقوم بأمر الرجل، ويسعى في حاجته، والقيام بأسبابه. والعرب تسمي كل من يتعاطى علمًا دقيقًا: كاهنًا، ومنهم من كان يسمى المنجم

عليه وخلوّه به وكلامه إياه هذا كله من الصفات الفعلية الاختيارية، فهذا من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية. ومنهم من يؤولها بالإنعام والرحمة^(١)؛ فرارًا من إثبات هذه الصفة بدعوى التقديس والتنزيه، والنبي ﷺ الذي أخبرنا عن ذلك ووصف الله ﷻ بهذه الصفة أكثر الناس تنزيهًا وتقديسًا لله ﷻ، وفيه إكرام من الله ﷻ لعبده المؤمن وستر عليه وعفو عنه، وهذا كله مدح وكمال لله ﷻ، ولا يلزم من إثباتها شيء من النقص لله ﷻ، ولذا يجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظّمته، لدلالة السُّنة النبوية على ذلك.

المصادر والمراجع:

١ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٣)، لابن تيمية.

٢ - «خلق أفعال العباد»، للبخاري.

٣ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، لعبد الله بن محمد الغنيمان.

٤ - «صفات الله ﷻ الواردة في

(٢) انظر: العين للفراهيدي (٣/٣٧٩) [مكتبة الهلال]، والصحاح (٦/٢١٩١) [دار العلم للملايين، ط ٣].

(١) انظر: من كتب الأشاعرة: أساس التقديس للرازي (١٣٤) [مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ].

والطبيب: كاهناً^(١).

قراءة الكف، حروف أبي جاد.

التعريف شرعاً:

الحكم:

الكهانة الإخبار ببعض ما غاب عن الناس بالاستناد إلى معونة الجن، قال الخطابي: «الكاهنُ هو الذي يدَّعي مطالعة علم الغيب، ويخبر الناس عن الكوائن»^(٢). وقال ابن الأثير: «الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار»^(٣). وقال ابن تيمية في معنى الكهانة: إنها «الإخبار ببعض الغائبات عن الجن»^(٤). وقال ابن حجر: «والكهانة - بفتح الكاف ويجوز كسرهما - ادعاء علم الغيب، كالإخبار بما سيقع في الأرض، مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة، فيلقيه في أذن الكاهن»^(٥).

ورد في السُّنة قوله ﷺ: «من أتى كاهناً أو عرافاً، فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»^(٦)، وهذا الحديث يبيِّن بجلاء حكم الكهانة وأنها محرمة، فإذا كان قد أطلق الكفر على من يأتي الكاهن ويصدقه، فالكاهن نفسه أولى بذلك الحكم.

وقد اختلف الفقهاء في الكاهن والعراف؛ أيلحقون بالسحرة الذين يقتلون أم يعزِّرون فقط؟ والصحيح أن حكمهم حكم السحرة الذين يقتلون^(٧). قال ابن عثيمين في حكمهم: «إن حَكَمْنَا بكفرهم، فحكمهم في الدنيا أنهم يستتابون، فإن تابوا، وإلا قتلوا كفاراً. وإن حَكَمْنَا بعدم كفرهم - إما لكون السحر لا يصل إلى الكفر، أو قلنا: إنهم لا يكفرون؛ لأن المسألة فيها

الأسماء الأخرى:

العرافة، التنجيم، الضرب بالحصي، الخط في الأرض، قراءة الفنجان،

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، باب في الكاهن، رقم ٣٩٠٤)، والترمذي (أبواب الطهارة، رقم ١٣٥)، وابن ماجه (كتاب الطهارة وسننها، رقم ٦٣٩)، وأحمد (٣٣١/١٥) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ] واللفظ له، والدارمي (كتاب الطهارة، رقم ١١٧٦)، ونقل المناوي عن العراقي تصحيحه، كما في فيض القدير (٢٣/٦) [المكتبة التجارية الكبرى، ١٤١٧هـ]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٢٤٣٣) [مكتبة المعارف، ١٤١٧هـ].

(٧) انظر في حكم الكاهن في: المغني (٩/٣٥ - ٣٧)، والفروع (٦/١٦٨) [دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ]، والإنصاف (١٠/٣٥٢، ٣٥٣)، وحاشية ابن عابدين (٤/٢٤٠) [دار الفكر، ١٤٣٨هـ].

(١) انظر: لسان العرب (١٣/٢٦٢ - ٢٦٣) [دار صادر]، القاموس (١٥٨٥) [مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ].

(٢) معالم السنن للخطابي (٤/٢١١) [دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ]. وانظر: المفردات للراغب (٧٢٨) [دار القلم، ١٤١٢هـ].

(٣) النهاية في الغريب (٤/٢١٤) [المكتبة الإسلامية].

(٤) النبوات (١٣) [المطبعة السلفية].

(٥) فتح الباري (١٠/٢٢٧) [دار الفكر].

أنزل على محمد»^(٢).

وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام وإن منا رجالاً يأتون الكهان، قال: فلا تأتهم»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الخطابي: «الكاهن هو الذي يدعي مطالعة علم الغيب، ويخبر الناس عن الكوائن»^(٤).

وقال البغوي: «الكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل»^(٥).

وقال ابن الأثير: «الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار»^(٦).

وقال ابن تيمية في معنى الكهانة: إنها «الإخبار ببعض الغائبات عن الجن»^(٧).

❁ الأقسام:

الكهانة ثلاثة أضرب:

أحدها: يكون للإنسان ولياً من الجن

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣٧).

(٤) معالم السنن للخطابي (٢١١/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ]. وانظر: المفردات للراغب (٧٢٨).

(٥) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (٤٠٦/١).

(٦) النهاية في غريب الحديث (٢١٤/٤).

(٧) النبوات (١٣).

خلاف - فإنه يجب قتلهم لدفع مفسدتهم ومضرتهم، حتى وإن قلنا بعدم كفرهم؛ لأن أسباب القتل ليست مختصة بالكفر فقط، بل للقتل أسباب متعددة ومتنوعة، قال رضي الله عنه: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ» [المائدة: ٣٣]، فكل من أفسد على الناس أمور دينهم أو دنياهم فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل، ولا سيما إذا كانت هذه الأمور تصل إلى الإخراج من الإسلام»^(١).

❁ الحقيقة:

الكاهن قيل: إنه لفظ عام، يدخل فيه كل من يدعي علم الغيب، ويخبر الناس عن الكوائن في مستقبل الزمان، من طريق الجن أو غيرهم، ويدخل في ذلك العراف، والمنجم، والذي يضرب بالحصى أو يخط في الأرض، وقد يختص العراف بمن يدعي معرفة الأمور الماضية، والكاهن من يدعي علم الغيب من حيث معرفة الكوائن في مستقبل الزمان.

❁ الأدلة:

قال النبي ﷺ: «من أتى كاهناً أو عرافاً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما

(١) القول المفيد شرح كتاب التوحيد (١/٥٤٩، ٥٥٠).

ويعتبر قوله، فهذا كفر؛ لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن.

القسم الثالث: أن يسأله ليخبره هل هو صادق أو كاذب لا لأجل أن يأخذ بقوله، فهذا لا بأس به ولا يدخل في الحديث. وقد سأل النبي ﷺ ابن صياد فقال: «إني قد خبأت لك خبيئاً، قال: هو الدخ، فقال: اخسأ فلن تعدو قدرك»^(٢). فالنبي ﷺ سأل عن شيء أضمره له فأخبره به لأجل أن يخبره.

القسم الرابع: أن يسأله لينظر عجزه وكذبه فيمتحنه في أمور، وهذا قد يكون واجباً أو مطلوباً، وإبطال قول الكهنة لا شك أنه أمر مطلوب، وقد يكون واجباً، فصار السؤال هنا ليس على إطلاقه بل يفصل فيه هذا التفصيل على حسب ما دلّت عليه الأدلة الشرعية الأخرى»^(٣).

- المسألة الثانية: واجب ولاية الأمر

نحو الكهان:

المقصد الأعظم للإمامة في الإسلام إقامة أمر الله ﷻ في الأرض على الوجه الذي شرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعظم ذلك وأوجبه حماية جناب التوحيد من كل ما يחדشه أو يدنس فضلاً عن ما ينقصه أو يبطله.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٤)،

ومسلم (كتاب الفتن وأشراف الساعة، رقم ٢٩٣٠).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٥٢٣، ٥٢٤).

يخبره بما يسترقه من السماء، وهذا القسم باطل من حين بعث النبي ﷺ.

الثاني: أن يخبره الجني بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض، وما خفي عنه مما قرب أو بعد.

الثالث: المنجمون، لكن الكذب فيه أغلب. ومن هذا الفن: العرافة، وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفته بها.

وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر، والطرق وهو الضرب بالحصى أو الخط في الرمل، والنجوم، وأسباب معتادة^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم سؤال

العراف:

«سؤال العراف ونحوه ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أن يسأل سؤالاً مجرداً فهذا حرام لقوله ﷺ: «من أتى عرافاً...» فإثبات العقوبة على سؤاله يدل على تحريمه؛ إذ لا عقوبة إلا على محرم.

القسم الثاني: أن يسأله فيصدقه

(١) انظر: مشارق الأنوار للقاظمي عياض (٢/٧٦) [دار

التراث]، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٤/٢٢٣)

[دار الفكر، ١٤٠١هـ]، نيل الأوطار للشوكاني (٧/

٣٦٨) [دار الجيل، ١٩٧٣م]. والنهية لابن الأثير

(٣/١٢١)، وسنن أبي داود (٤/١٦) [دار إحياء

السنة].

ولما كان خطر العرافة والكهانة

الإنكار»^(٤).
فهذا ما قرّره أهل العلم في بيان
واجب ولاة أمور المسلمين نحو الكهنة
والعرافين من الأخذ على أيديهم
وقمعهم وحماية أديان الناس وأبدانهم
من شرورهم وغوائلهم وخداعهم
ومكرهم.

- المسألة الثالثة: حكم عمل

القائف:

عمل القائف ليس من الكهانة في
شيء، والقائف هو الذي يتتبع الآثار
ويعرفها، ويعرف شبه الرجل بأخيه
وأبيه، ويعرف الأنساب بالنظر إلى
الأشخاص، ومعرفة بذلك ليست من
قبل ادعاء الغيب؛ لأنه يستدل على ذلك
بعلامات وأمارات تدل على ما يخبر
به، ففعله هذا من جنس قولهم: البعرة
تدل على البعير، والأثر يدل على
المسير.

وليس من معرفة الغيب؛ لأن الله
تعالى أعطاهم القدرة على معرفة تلك
الأمر بواسطة الحواس التي جعلها الله
فيهم، كما أنه تعالى جعل لبعض
الحيوانات كالكلاب قدرة على التعرف
على الجناة ومعرفة ما معهم عن طريق
الحواس التي أودعها الله فيها^(٥).

عظيمًا وشرها مستطيرًا وضررها كبيرًا فإن
واجب الولاية نحوها إبطالها وإنكارها
والأخذ على أيدي أهلها أخذًا يقمعها
ويردعها ويستأصل شأفتها.

قال ابن أبي العز الحنفي رحمته الله:

«فهؤلاء - أي: الكهان ومن في حكمهم
- يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم
وأمثالهم عن الكذب والتلبيس، وقد
يكون في هؤلاء من يستحق القتل، كمن
يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات أو
يطلب تغيير شيء من الشريعة ونحو
ذلك»^(١).

ويقول أيضًا: «الواجب على ولي
الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء
المنجمين والكهان والعرافين»^(٢).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «ويجب على
ولي الأمر وكل قادر السعي في إزالة
ذلك - أي: أعمال التنجيم والسحر
والكهانة - ومنعهم من الجلوس في
الحوانيت أو الطرقات أو دخولهم على
الناس في منازلهم لذلك»^(٣).

وقال ابن باز رحمته الله: «فالواجب على
ولاية الأمور وأهل الحسبة وغيرهم ممن
لهم قدرة وسلطان إنكار إتيان الكهان
والعرافين والإنكار عليهم أشد

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٧٦٨).

(٢) المصدر السابق (٢/٧٦٧).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/١٩٥).

(٤) حكم السحر والكهانة وما يتعلق بها (٥، ٦).

(٥) علم الغيب في الشريعة الإسلامية (٣٦٠) لأحمد

الغنيما.

- المسألة الرابعة: حكم التنويم المغناطيسي:

من ضروب الكهانة في العصر الحديث ما يعرف باسم التنويم المغناطيسي، وهو الوصول بالمنوّم إلى مرحلة وسطى بين النوم واليقظة، وفي هذه الحالة يمكن للمعالج أن يستخرج من المريض خفايا لا شعورية تعينه على علاجه^(١).

وقد ورد سؤال إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن حكم التنويم المغناطيسي، فأجابت اللجنة بأن: «التنويم المغناطيسي ضرب من ضروب الكهانة باستخدام جنّي حتى يسلطه المنوّم على المنوّم فيتكلم بلسانه ويكسبه قوة على بعض الأعمال بالسيطرة عليه إن صدق مع المنوّم وكان طوعاً له مقابل ما يتقرب به المنوّم إليه، ويجعل ذلك الجنّي المنوّم طوع إرادة المنوّم بما يطلبه من الأعمال والأخبار بمساعدة الجنّي له إن صدق ذلك الجنّي مع المنوم، وعلى ذلك يكون استغلال التنويم المغناطيسي واتخاذهِ وسيلة للدلالة على مكان سرقة أو ضالة أو علاج مريض أو القيام بأي عمل آخر بواسطة المنوم غير جائز، بل هو شرك لما تقدم، ولأنه التجاء إلى غير الله فيما

هو وراء الأسباب العادية التي جعلها سبحانه إلى المخلوقات وأباحها لهم^(٢).

- المسألة الخامسة: معرفة الكسوف وأحوال الطقس ليس من الكهانة:

سئل ابن عثيمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هل من الكهانة ما يخبر به الآن عن أحوال الطقس في أربع وعشرين ساعة أو ما أشبه ذلك؟ فأجاب بقوله: «لا؛ لأنه يستند إلى أمور حسية وهي تكيف الجو؛ لأن الجو يتكيف على صفة معينة تعرف بالموازن الدقيقة عندهم فيكون صالحاً لأن يمطر أو لا يمطر، ونظير ذلك في العلم البدائي إذا رأينا السماء وتجمع الغيوم والرعد والبرق وثقل السحاب نقول: يوشك أن ينزل المطر، فالمهم أن ما استند إلى شيء محسوس فليس من علم الغيب، وإن كان بعض العامة يظنون أن هذه الأمور من علم الغيب ويقولون إن التصديق بها تصديق بالكهانة، والشيء الذي يدرك بالحس إنكاره قبيح كما قال السفاريني:

فكل معلوم بحسٍّ أو حِجَا

فنكره جهل قبيح بالهجا

فالذي يُعلم بالحس لا يمكن إنكاره، ولو أن أحداً أنكره مستنداً بذلك إلى الشرع لكان ذلك طعنًا في الشرع^(٣).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء (١/٥٩٤).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٥٣١، ٥٣٢).

(١) فلسفة الماكرو بيوتيك لنجاح الظهار (١٧٣).

وقال الغنيمان: «وأما الإخبار عما يسمى بالطقس؛ أحوال الجو من أمطار أو رياح أو غيوم أو صحو أو غير ذلك فهي توقعات معينة على مقدمات مستفادة من مراصد الأحوال الجوية التي تتأثر بالرطوبة واليبوسة ونحو ذلك، ولهذا كثيراً ما يكون الأمر على خلاف ما قالوا»^(١).

والفرق بين معرفة الأمور بالكهانة ومعرفتها بالحساب أن ما يعلم بالحساب كسير الشمس والقمر والخسوف والكسوف ليس من ادعاء علم الغيب كما توهمه بعض الناس، فهو مثل العلم بأوقات الفصول التي قدرها الله ﷻ في هذا الكون ومكن بعض عباده من العلم بذلك.

وقال ابن عثيمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وليس من الكهانة في شيء من يخبر من أمور تدرك بالحساب فإن الأمور التي تدرك بالحساب ليست من الكهانة في شيء كما لو أخبر عن كسوف الشمس أو خسوف القمر فهذا ليس من الكهانة لأنه يدرك بالحساب»^(٤).

وأما حكم العمل بما يقولون وتصديقهم في ذلك، فيقول ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «والعلم بوقت الكسوف والخسوف وإن كان ممكناً لكن هذا المخبر المعين قد يكون عالمًا بذلك وقد لا يكون، وقد يكون ثقة في خبره وقد لا يكون، وخبر المجهول الذي

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وأما ما يعلم بالحساب فهو مثل العلم بأوقات الفصول كأول الربيع والصيف والخريف والشتاء لمحاذاة الشمس أوائل البروج التي يقولون فيها: إن الشمس نزلت في برج كذا أي حاذته»^(٢).

وقال أيضًا: «والهلال يستسرّ آخر الشهر إما ليلة أو ليلتين كما يستسرّ ليلة تسع وعشرين وثلاثين، والشمس لا تكسف إلا وقت استساراه وللشمس

(٣) المصدر السابق (٢٤/٢٥٦).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٥٣١).

(١) شرح كتاب التوحيد صحيح البخاري (١/١١٢).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٤/٢٥٧).

يوثق بعلمه وصدقه ولا يعرف كذبه موقوف، ولو أخبر مخبر بوقت الصلاة وهو مجهول لم يقبل خبره، ولكن إذا تواطأ خبر أهل الحساب على ذلك فلا يكادون يخطؤون، ومع هذا فلا يترتب على خبرهم علم شرعي، فإن صلاة الكسوف والخسوف لا تصلى إلا إذا شاهدنا ذلك، وإذا جَوَّز الإنسان صدق المخبر بذلك أو غلب عليه ظنه فنوى أن يصلي الكسوف والخسوف عند ذلك واستعد لذلك الوقت لرواية ذلك كان هذا حثًا من باب المسارعة إلى طاعة الله وعبادته»^(١).

هذه الأنواع، فسائرهما يدخل فيه بطريق العموم المعنوي^(٣).

القول الثالث: أن الكاهن اسم يعم العراف وغيره. قال القاضي عياض وهو يبين أنواع الكهانة: «ومن هذا الفن العرافة، وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها بها، وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة، وهذا الفن هو العيافة بالياء، وكلها ينطلق عليها اسم الكهانة عندهم»^(٤).

❁ الآثار:

١ - الوقوع فيما حذر منه الرسول ﷺ وهو الكفر.

٢ - ضعف الإيمان، والتعلق بغير الله، بالتعلق بالكهنة والمشعوذين.

٣ - انتشار الدجل، والخرافة في المجتمع المسلم.

٤ - إفساد العلاقات الاجتماعية بين الناس بسبب الأكاذيب والتهم الباطلة التي يزورها الكهان.

٥ - الكهانة حدس وتخمين، وليست طريقًا شرعيًا، ولا سببًا حقيقيًا، فلن يحصل المرء على مراده من الكاهن.

❁ الفروق:

الفرق بين العراف والكاهن:

في الفرق بينهما أقوال:

القول الأول: أن الكاهن يدعي معرفة الأخبار عن الكائنات في المستقبل، والعراف يتعاطى معرفة الشيء المسروق، ومكان الضالة ونحوهما مما هو في الماضي^(٢).

القول الثاني: أن العراف اسم عام للكاهن، والمنجم، والرَّمَّال، ونحوهم، ممن يتكلم في تقدم المعرفة بهذه الطرق، ولو قيل إنه في اللغة اسم لبعض

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٣/٣٥)، (١٩٣)، وفتح الباري (٢١٦/١٠) [دار الفكر].
(٤) [كمال المعلم (١٥٣/٧) دار الوفاء، مصر، ط١].

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٥٨/٢٤).
(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٢٢/٥)، ومغني المحتاج (١٢٠/٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام الكهانة وسؤال العرافين»، لإبراهيم أباحسين.
- ٢ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٣ - «حكم السحر والكهانة»، لعبد العزيز بن باز.
- ٤ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ٥ - «القول المفيد»، لابن عثيمين.
- ٦ - «الكهانة وموقف الإسلام منها»، لفهد السفياني [رسالة دكتوراه].
- ٧ - «موقف ابن تيمية من السحر والكهانة»، لخيرية القحطاني [رسالة دكتوراه].
- ٨ - «موقف الإسلام من السحر»، لحياة با أخضر.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

التعريف شرعاً:

نهر أعطيه النبي ﷺ شاطئاه عليه دُرٌّ مجوّف آيته كعدد النجوم (٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى الشرعي لم يخرج عن الحقيقة اللغوية، إلا أنه نهر خاص بالنبي ﷺ في الجنة.

سبب التسمية:

سمي الكوثر بذلك لما عليه من الخير الكثير، كما أبانته النصوص الآتية.

الحكم:

الاعتقاد الجازم بوجوده الآن في الجنة، والتصديق بما ورد من صفاته، كما أخبرت به نصوص الكتاب والسنة.

الحقيقة:

أخبر الله ﷻ أنه أعطى نبيه ﷺ الكوثر، فقال: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْرَسْ (٢) إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣) [الكوثر]، وثبت عن أبي عبيدة بن عبد الله بن

الكوثر

التعريف لغةً:

الكوثر من مادة (ك - ث - ر)، والكاف والثاء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف القلّة، من ذلك الشيء الكثير، وقد كَثُرَ. ثم يُزاد فيه للزيادة في التّعنت، فيقال: الكوثر، وهو (فَوَعَلٌ) من الكثرة (١)، ومعناه: الخير الكثير (٢).

(١) العربي، ط ١، ٢٠٠١م، والنهاية في الغريب (٤/ ٣٨٢) [دار الفكر]، والمصباح المنير (٢/ ٥٢٦) [المكتبة العلمية].

(٢) كما سيأتي ذكره في الأدلة، وراجع تفسير الطبري (٧١٩/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وتفسير ابن كثير (٨/ ٥٠٢)، فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧٣٢)، وروح المعاني (٣٠/ ٢٤٤) [دار إحياء التراث، ط ٤، ١٤٠٥هـ].

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ١٦٠) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ١٠٢) [دار إحياء التراث].

«نهر وعدنيه ربي ﷺ في الجنة، عليه حوض»^(٢).

وقال ﷺ: «بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر، حافتاه قباب الدرّ المجوّف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبه - أو طيبه - مسك أذفر»^(٣).

ولما سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر؟ قال: «هو نهر أعطانيه الله ﷺ في الجنة، ترابه المسك، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجُزر»، قال أبو بكر: يا رسول الله، إنها لناعمة، فقال: «أكلها أنعم منها»^(٤).

❖ أقوال أهل العلم:

سئل عطاء وهو يطوف بالبيت عن قوله: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١» [الكوثر] قال: «حوض أعطيه رسول الله ﷺ»^(٥).

قال ابن كثير: «روي عن أنس، وأبي العالية، ومجاهد، وغير واحد من السلف: أن الكوثر: نهر في الجنة.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٨١).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب صفة الجنة، رقم ٢٥٤٢) وحسنه، وأحمد (١٣٢/٢١) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٩٧٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٥١٤).

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦٤٨/٢٤).

مسعود أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن الكوثر، فقال: «سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾، قالت: نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه دُرٌّ مجوّف آنيته كعدد النجوم»^(١).

❖ المنزلة:

أحد مفردات الجنة التي يكرم الله بها ساكنيها.

❖ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ [١] فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝٢﴾ [٢] إِنَّكَ شَانِئٌكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر].

وقال أنس رضي الله عنه: «بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت علي أنفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر] ثم قال: «أندرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال:

«فإنه نهر وعدنيه ربي ﷺ، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك» وفي لفظ:

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٩٦٥).

وقال عطاء: هو حوض في الجنة»^(١).
وقال ابن أبي العز: «الذي يتخلص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- موضع الكوثر:

ورد في الآثار المروية في تفسير الآيات أن الكوثر في الجنة، وهو الذي قرره أهل العلم^(٣).

- المسألة الثانية: الفرق بين الحوض والكوثر.

أوضح أهل العلم أن الكوثر نهر داخل الجنة، كما جاء مصرحاً في بعض الأحاديث، وماؤه يصب في الحوض خارج الجنة، فالكوثر هو مادة الحوض، كما جاء في حديث أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «والذي نفس محمد بيده لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب»^(٤) فيه ميزابان من الجنة، من

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥٠٢/٨)، وراجع: تفسير الطبري (٧١٩/١٢)، وروح المعاني (٢٤٤/٣٠).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢٨٠). وانظر: معارج القبول لحافظ الحكمي (٨٧١/٢).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٧١٩/١٢)، وتفسير ابن كثير (٥٠٢/٨)، فتح الباري (٤٦٦/١١، ٤٦٧).

(٤) الشخب: السيلان. انظر: النهاية (٤٥٠/٢).

شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل»^(٥)، ومن هذا الباب يطلق على الحوض كوثر؛ لكونه يمد منه، وبهذا يتبين أن الحوض مغاير للكوثر، ولكنه وثيق الصلة به، والله أعلم^(٦).

قال ابن أبي العز رحمته الله في بيان ذلك: «والذي يتخلص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع»^(٧).

مذهب المخالفين:

نسب بعض أهل العلم إلى المعتزلة إنكار الشفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، ووجود حوض الكوثر، وأنكروا ما ورد في هذا الباب من الآثار والأخبار^(٨).

وهذا المذهب باطل، فقد جاءت نصوص الكتاب والسنة دالة على إثبات الكوثر للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما قرره أهل العلم من السلف الصالح ومن

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٠٠).

(٦) انظر: فتح الباري (٤٦٦/١١، ٤٦٧)، وراجع تفسير ابن كثير (٤٩٨/٤).

(٧) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢٨٠، ٢٨١).

(٨) انظر: التبصير في الدين للإسفرائيني (٦٦).

تبعهم بإحسان^(١).

فارس: «الكاف والواو والنون أصل يدل على الإخبار عن حدوث شيء، إما في زمان ماضٍ أو زمان راهن. يقولون: كان الشيء يكون كونًا؛ إذا وقع وحضر»^(٣).

والكون: الحدث، والكائنة: الأمر الحادث. وكونه فتكون: أحدثه فحدث. وكون الله الشيء: أحدثه وأوجده بأن أخرجه من العدم إلى الوجود^(٤).

والشرعي: منسوب إلى (الشرع)، قال ابن فارس: «الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه، من ذلك: الشريعة، وهي مورد الشاربة الماء. ويقال: أشرعت طريقًا؛ إذا أنفذته وفتحته»^(٥). والشرع: نهج الطريق الواضح^(٦). وشرع لهم يشرع شرعًا؛ أي: سن^(٧). والشريعة والشرعة: ما سن الله من الدين وأمر به^(٨).

التعريف شرعًا:

الكوني: هو كل ما له تعلق بربوبية الله

المصادر والمراجع:

- ١ - «التذكرة»، للقرطبي.
- ٢ - «تفسير ابن كثير».
- ٣ - «تفسير الطبري».
- ٤ - «الذيل على جزء بقي بن مخلد في الحوض والكوتر»، لابن بشكوال.
- ٥ - «روح المعاني»، للألوسي.
- ٦ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
- ٧ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.
- ٨ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ٩ - «ما روي في الحوض والكوتر»، لبقّي بن مخلد.
- ١٠ - «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

الكوني والشرعي

التعريف لغةً:

الكوني: منسوب إلى (الكون)، وهو مصدر للفعل (كان). يقال: كان يكون كونًا؛ أي: وجد واستقر^(٢). قال ابن

- (٣) مقاييس اللغة (١٤٨/٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].
- (٤) تهذيب اللغة (٢٠٥/١٠) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م]، ولسان العرب (١٣/٣٦٣ - ٣٦٥) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ]، وتاج العروس (٣٦/٧١) [وزارة الإعلام بالكويت، ط ١٤٠٨هـ].
- (٥) مقاييس اللغة (٢٦٢/٣).
- (٦) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٥٣٢/١) [دار القلم].
- (٧) الصحاح (١٢٣٦/٣) [دار العلم، ط ٤، ١٩٩٠م].
- والقاموس المحيط (٧٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٨، ١٤٢٦هـ].
- (٨) لسان العرب (١٧٦/٨).

- (١) انظر: ما روي في الحوض والكوتر لبقّي بن مخلد، والذيل على جزء بقي بن مخلد في الحوض والكوتر لابن بشكوال.
- (٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢١١/٤) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

تعالى وخلقه وقضائه وقدره وفعله .

والشرعي: هو كل ما له تعلق بإلهيته وأمره ودينه .

فالله تعالى هو المختص بالخلق وبالأمر الكوني والشرعي^(١) .

❁ الأسماء الأخرى:

من الأسماء المرادفة للفظ (الكوني والشرعي): الخلق والأمر، الخلق والديني .

❁ الحكم:

يجب الإيمان بما وقع كوناً، ومحبة الأمر الشرعي والانقياد له وأنه جميعه من الله تعالى وتابع لحكمته، فكل ما قضاه الله كوناً، أو تعبد به خلقه شرعاً فإنه لحكمة، وعلى وفق الحكمة، سواء علمنا منها ما نعلم، أو تقاصرت عقولنا عن ذلك، وإفراده سبحانه بالخلق وبالأمر الكوني والشرعي، من مقتضى وحدانيته في ربوبيته .

❁ الحقيقة:

المراد بالكوني هو إحداث الشيء وإيجاده بأن يُخرج من العدم إلى الوجود، وهذا خاص بالله تعالى^(٢)، وهو صادر عن علمه الشامل وقدرته المطلقة . والكوني مطابق للمشيئة، والمقصود به:

أن كل ما يحصل في هذا الكون فهو بمشيئة الله وقدره وخلقه . وهذا لا يخرج عنه شيء مهما صغر ودق . وأما الشرعي فهو النهج الواضح والدين القويم الذي سنّه الله تعالى وأمر به^(٣)، والناس في الأخذ به متفاوتون^(٤) .

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، قال السعدي رحمته الله: «أي: له الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات علويها وسفليها، أعيانها وأوصافها وأفعالها والأمر المتضمن للشرائع والنبوات، فالخلق: يتضمن أحكامه الكونية القدرية، والأمر: يتضمن أحكامه الدينية الشرعية، وشم أحكام الجزاء، وذلك يكون في دار البقاء»^(٥) .

وقال تعالى: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا﴾ [التحریم: ١٢]، «فكُتِبَ كلماته التي يأمر بها وينهى ويحل ويحرّم، وكلماته التي يخلق بها ويكوّن»^(٦) .

ومن السنّة قول النبي صلى الله عليه وآله: «إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها حين شاء»^(٧) .

(٣) لسان العرب (١٧٦/٨) .

(٤) وانظر: طريق الهجرتين (١/٣٧ - ٣٩) [دار السلفية، ط ٢، ١٣٩٤هـ] .

(٥) تفسير السعدي (٢٩١) [مؤسسة الرسالة، ط ١] .

(٦) شفاء العليل (٢٨٢) .

(٧) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٧١) .

(١) انظر: شفاء العليل (٢٨٠) [دار المعرفة، ١٣٩٨هـ] .

(٢) تهذيب اللغة (١٠/٢٠٥)، ولسان العرب لابن منظور

(١٣/٣٦٣ - ٣٦٥)، وتاج العروس (٣٦/٧١) .

وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر: هي التي كَوَّنَ بها الكائنات فلا يخرج بر ولا فاجر عن تكوينه ومشيئته وقدرته .

وأما كلماته الدينية: وهي كتبه المنزلة وما فيها من أمره ونهيه فأطاعها الأبرار وعصاها الفجار . وأولياء الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية، وجعله الديني، وإذنه الديني، وإرادته الدينية .

وأما كلماته الكونية التي لا يجاوزها بر ولا فاجر؛ فإنه يدخل تحتها جميع الخلق حتى إبليس وجنوده وجميع الكفار وسائر من يدخل النار، فالخلق وإن اجتمعوا في شمول الخلق والمشية والقدرة والقدر لهم، فقد افترقوا في الأمر والنهي والمحبة والرضا والغضب . وأولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور وتركوا المحذور وصبروا على المقدور فأحبهم وأحبوه ورضي عنهم ورضوا عنه . وأعداؤه أولياء الشياطين وإن كانوا تحت قدرته فهو يبغضهم ويغضب عليهم ويلعنهم ويعاديهم»^(٧) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»^(١) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ قال: «فهو فضلي أوتيته من أشياء»^(٢) .
وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله ﻻ إذا أراد رحمة أمة من عباده، قبض نبيها قلبها، فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها»^(٣) الحديث .

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن عيينة رضي الله عنه: «فرّق الله بين الخلق والأمر، فمن جمع بينهما فقد كفر»^(٤)،^(٥) .

وقال ابن تيمية رحمته الله: «وأما لفظ (الكلمات)، فقال في الكلمات الكونية: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتُمْ﴾ [التحريم: ١٢]، وكان النبي ﷺ يقول: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»^(٦) الحديث .

(١) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٦٤) .

(٢) أخرجه البخاري (كتاب مواقيت الصلاة، رقم ٥٥٧) .

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٨) .

(٤) ومراده ﷺ: أن من جعل الأمر من جملة ما خلقه فقد كفر .

(٥) أورده القرطبي في تفسيره (٧/٢٢١) [دار الكتب المصرية، ٢، ١٣٨٤هـ] .

(٦) أخرجه أحمد (٢٤/٢٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط١،

١٤٢١هـ]، وذكر الهيثمي في المجمع (١٠/١٢٧) [مكتبة القدسي]: أن رجال بعض أسانيد رجال الصحيح . وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ٨٤٠) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ] .

(٧) مجموع الفتاوى (١٣/٢٧٠، ٢٧١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ] .

١ - الأقسام:

ورد في الشرع ألفاظ عديدة تنقسم إلى معنيين؛ الكوني والشرعي، وهذه الألفاظ هي:

١ - القضاء:

ودليل القضاء الكوني قوله تعالى:

﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَعَوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢].

ودليل القضاء الشرعي، قوله تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: أمر.

٢ - الأمر:

قال تعالى في الأمر الكوني: ﴿إِنَّمَا

أَمْرُهُ إِذْ أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وأما الأمر الديني

فمثل قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا

الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

٣ - التحريم:

ودليل التحريم الكوني قوله تعالى:

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢].

وقوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ

سَنَةً يَتِيهُونَ فِيهَا﴾ [المائدة: ٢٦]. وأما

التحريم الشرعي فدليله قوله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَأُمَّهَاتُ أُمَّهَاتِكُمْ

وَأَخَوَاتِكُمْ وَأَخَوَاتُ أَخَوَاتِكُمْ

وَأَخَوَاتُ أَخَوَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].

٤ - الكلمات:

فالكلمات الكونية مثل قوله تعالى:

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا

وقال ﷻ أيضًا: «والله تعالى له الخلق والأمر، والبعث، والإرادة، والأمر، والإذن، والكتاب، والتحريم، والقضاء، والكلام ينقسم إلى: خَلْقِي، وأمري، وكوني، وديني»^(١).

وقال ابن القيم ﷻ: «فما كان من كوني فهو متعلق بربوبيته وخلقته، وما كان من الديني فهو متعلق بالهيته وشرعه، وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والأمر، فالخلق قضاؤه وقدره وفعله والأمر شرعه ودينه، فهو الذي خلق وشرع وأمر وأحكامه جارية على خلقه قدرًا وشرعًا.

ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري، وأما حكمه الديني الشرعي فيعصيه الفجار والفساق والأمران غير متلازمين؛ فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عبادة وإيمانهم وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي في ما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور، وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي»^(٢).

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/١٤٩) [دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ].

(٢) شفاء العليل (٢٨٠).

في الإرادة الدينية: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:
١٨٥]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ
لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [٢٦] وَاللَّهُ
يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ
يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا [٢٧]
يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ
ضَعِيفًا [٢٨]﴾ [النساء].

٨ - البعث:

فالبعث الكوني دليله قوله تعالى:
﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا
أُولَىٰ بِأَبْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥]. وقوله
تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي
الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣١]. وأما البعث
الشرعي فدليله قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي
بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾
[الجمعة: ٢].

٩ - الإرسال:

الإرسال الكوني دليله قوله تعالى:
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ
تُوزِّعُهُمْ أَرَا﴾ [مريم: ٨٢] وقوله تعالى:
﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ
رَحْمَتِهِ﴾ [الفرقان: ٤٨]. وأما الإرسال
الشرعي فدليله قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا
مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾
[النساء: ٦٤].

أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [١٣٢]﴾ [يونس]. ومنه قوله:
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]. وأما
الكلمات الشرعية فدليلها قوله تعالى:
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَامٍ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ
بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ
دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

٥ - الإذن:

الإذن الكوني مثل قوله في السحرة:
﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ
اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]. ودليل الإذن
الشرعي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا
وَحَلَلًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَدَّبَ لَكُمْ﴾ [يونس: ٥٩].

٦ - الكتاب:

ودليل الكتاب الكوني قوله تعالى:
﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾
[المجادلة: ٢١]. وقوله: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا
إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].
ودليل الكتاب الشرعي قوله تعالى:
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣].

٧ - الإرادة:

فدليل الإرادة الكونية، قوله تعالى:
﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ
لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرَهُ
ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وقال تعالى

١٠ - الجعل:

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة: ١١].

المسائل المتعلقة:

- التسوية بين الإرادة والمشئنة:

منشأ الضلال الذي وقعت فيه القدرية والجبرية يكمن في التسوية بين المشئنة الكونية والإرادة الشرعية، حيث ظنوا أن المشئنة والإرادة (الكونية) مستلزمة للمحبة والرضا.

فالقدرية زعموا أن الكفر والفسوق والعصيان لا يمكن إدخالهم تحت إرادة الله وتقديره؛ لأن الأمر عندهم يستلزم الإرادة، فكل ما أمر به فقد أراده، والله تعالى لم يأمر بالكفر والفسوق والعصيان، فهو غير مرید لها؛ لأن الله لا يحبها ولا يرضاها.

أما الجبرية؛ فزعموا أن الكفر والفسوق والعصيان مرادة له محبوبة له، وقد جبرهم عليها ولا خيار لهم في تركها؛ لأن الأمر عندهم لا يستلزم الإرادة، وإذا كان الله تعالى لم يأمر بالكفر والفسوق والعصيان إلا أنه أراد ذلك وقدره وشاءه^(٢).

(١) انظر: الجواب الصحيح (١/١٤٩ - ١٥٤)، وشفاء العليل (٢٨٠ - ٢٨٣).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٣٣٦، ٤٣١) [مكتبة وهبة، ط ٣، ١٤١٦هـ]، والمحيط بالتكليف له (٣٤٠) [المؤسسة المصرية العامة للتأليف]، والملل والنحل =

أما الجعل الكوني فدليله قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ [٨] وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [٩] [يسر]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةً﴾ [النحل: ٧٢]. وأما الجعل الشرعي فدليله قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحَيْرَةٍ وَلَا مِنْ مَجْرٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]؛ أي: ما شرع ذلك ولا أمر به وإلا فهو مخلوق له واقع بقدره ومشئته.

١١ - الإيتاء:

أما الإيتاء الكوني فدليله قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٤٧]. وأما الإيتاء الشرعي فكقوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣].

١٢ - الآيات:

أما الآيات الكونية فدليلها قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَصْرُبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]، وقوله: ﴿سَأْتِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. وأما الآيات الشرعية فدليلها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]، وقوله تعالى:

وإيمان، وفقر وغنى، ومعصية وطاعة، وسعادة وشقاوة، أما الشرعي المتعلق بالأمر والنهي، وهو ما طلب الله من العباد تطبيقه والعمل به من الأحكام الشرعية، وهذا لا يستلزم الوقوع إذ قد يقع وقد لا يقع. فقد أمر الله أبا جهل بالإيمان ولم يؤمن^(٢).

ولا تلازم بين الأمرين الكوني والشرعي؛ بل قد يتعلق كل منهما بما لا يتعلق به الآخر، فبينهما عموم وخصوص من وجه. فالأمر الكوني أعم من جهة تعلقه بما لا يحبه الله ويرضاه من الكفر والمعاصي، وأخص من جهة أنه لا يتعلق بمثل إيمان الكافر وطاعة الفاسق. والأمر الشرعي أعم من جهة تعلقه بكل مأمور به واقعاً كان أو غير واقع، وأخص من جهة أن الواقع بالأمر الكوني قد يكون غير مأمور به. والحاصل أن النوعين قد يجتمعان معاً في مثل إيمان المؤمن، وطاعة المطيع.

وينفرد الأمر الكوني في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي. وينفرد الأمر الشرعي في مثل إيمان الكافر، وطاعة العاصي^(٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/٤٤٠، ٤٧٦)، وشفاء العليل (٤٧، ٤٨)، وشرح الطحاوية (٦٩).
(٣) مراتب القضاء والقدر للديبختي (٦٩) بتصرف. وانظر: شفاء العليل (٢٨٠).

ومذهب أهل السنة قائم على التفريق بين المشيئة والمحبة والرضا، إذ إن النصوص دالة على أن كل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وإرادته، وهذا يشمل الطاعات والمعاصي، ثم إن النصوص دللت على أن الله لا يحب الكفر ولا المعاصي ولا الفساد، وقد اتفقت الأمة على أن الله يكره المنهيات دون المأمورات، ويحب المأمورات دون المنهيات، فالطاعات يريد بها الله من العباد الإرادة المتضمنة لمحبهته لها، ورضاه بها، إذا وقعت وإن لم يفعلها، والمعاصي يبغضها ويكره من يفعلها من العباد وإن شاء أن يخلقها هو لحكمة اقتضت ذلك، ولا يلزم إذا كرهها للعبد لكونها تضر بالعبد أن يكره أن يخلقها هو لما له فيه من الحكمة^(١).

❁ الفرق:

الفرق بين الكوني والشرعي:

- الكوني يكون فيما يحبه الله، وفيما لا يحبه، أما الشرعي فلا يكون إلا فيما يحبه الله خاصة.

- الكوني لا بد أن يقع، فكل ما في هذا الكون، وكل ما يكون ويوجد، فإن الله أراده كوناً وقدرًا من خير وشر، وصحة وعافية، وعز وإذلال، وكفر

= للشهرستاني (٨٧/١) [مؤسسة الحلبي]، والفرق بين الفرق للبغدادي (٢١١).

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٣/١٥٦ - ١٦٣).

❁ مذهب المخالفين:

ضلّ في هذا الباب طائفتان؛ هما: القدريّة والجبريّة.

فالقدريّة أثبتوا الإرادة الشرعيّة وأنكروا الإرادة الكونية، وزعموا أن الله لا يحب الكفر والفسوق والعصيان، فلا يدخل تحت إرادة الله وتقديره؛ لأن الأمر عندهم يستلزم الإرادة، فكل ما أمر به فقد أراده، والله تعالى لم يأمر بالكفر والفسوق والعصيان، فهو غير مرید لها؛ لأن الله لا يحبها ولا يرضاها^(١).

أما الجبريّة فأثبتوا الإرادة الكونية وأنكروا الإرادة الشرعيّة وزعموا أن الكفر والفسوق والعصيان مرادة له محبوبه له، وقد جبرهم عليها ولا خيار لهم في تركها؛ لأن الأمر عندهم لا يستلزم الإرادة، وإذا كان الله تعالى لم يأمر بالكفر والفسوق والعصيان إلا أنه أراد ذلك وقدره وشاءه^(٢).

المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضا، فالمعاصي داخله تحت مشيئة الله الكونية؛ إذ لا يحصل في ملكه شيء خارج عن إرادته، لكنها غير داخله تحت إرادته الشرعية ومحبته، وهذا جائز عقلاً وحسّاً - والله المثل الأعلى - لهذا نجد أن المريض يشرب من الدواء بإرادته وهو لا يحبه، كذلك ما يحصل في الكون فهو بإرادة الله الكونية، وإن كان بعضه قد لا يحبه سبحانه، ولكنه أذن به ومكّن العبد من فعله لحكمة ترجع إليه سبحانه، وهو قادر على منعه من ذلك إذا لم يردّه إرادة كونية، فحصول المعاصي مراد الله كوناً وغير مراد شرعاً. فتعذيب العصاة على معاصيهم ليس ظلماً لهم، وإن كانت مقدرة عليهم؛ لأنهم يعذبون على أعمالهم التي عملوها باختيارهم وإرادتهم بعد قيام الحجة عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب وتحذيرهم منها^(٣).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «الإرادة الكونية والإرادة الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية»، لنوال علي الزهراني.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٢٢/٨)، ومنهاج السنة (١٥٦/٣، ١٥٧، ١٨٠)، وشفاء الليل (٤٤) وما بعدها، وشرح الطحاوية (٧١، ٧٢، ٢٢٨، ٢٢٩) لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط ١، ١٤١٨هـ، والقضاء والقدر للمحمود (٣٤٧) وما بعدها [دار الوطن، ط ٢]، ومراتب القضاء والقدر للديخي (٦١) وما بعدها.

❁ الرد عليهم:

ما ذهبوا إليه مخالف للنصوص الشرعية التي دلّت على الفرق بين المشيئة والمحبة وقد تقدم ذكر بعضها، ومذهب السلف قائم على التفريق بين الإرادتين وعدم التسوية بينهما، وأنه لا تلازم بين

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٣٣٦، ٤٣١)، والمحيط بالتكليف (٣٤٠).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (٨٧/١)، والفرق بين الفرق للبغدادي (٢١١).

فيطلق الكيد على المكر، والاجتهاد، والاحتتيال، كاده يكيده كيداً ومكيدة، وكذلك المكيدة، وربما سميت الحرب كيداً^(٢).

❁ التعريف شرعاً:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى في مقابل كيد الكائدين، وردّ مكر الماكرين. وحقيقتها إظهار أمر وإخفاء خلافه ليتوصل به إلى مراده.

وصفة الكيد: هي كيد سبحانه بأهل الكيد مقابلة لهم بفعلهم، وجزاء لهم بجنس عملهم^(٣).

وهي بمعنى التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم، وهي في محلها صفة كمال يحمد عليها^(٤).

ولذلك فوصف الله تعالى بها جاء مقيداً بما يفيد الكمال والعظمة، والعدل والحكمة.

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن المعنى المتعلق بوصف الله تعالى هو على جهة الكمال الذي لا يعتره نقص

(٢) انظر: الصحاح (٥٩/٢)، ولسان العرب (٣/٣٨٢).

القاموس المحيط (٤٠٣).

(٣) انظر: إغاثة اللفهان لابن القيم (١/٣٨٨)، ٢/

(١١٤). وراجع: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/

١٢٩).

(٤) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (١/٣٣٥).

٢ - «إيثار الحق على الخلق»، لابن الوزير.

٣ - «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٤ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٥ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

٦ - «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، لابن تيمية.

٧ - «القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه»، لعبد الرحمن المحمود.

٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٨)، لابن تيمية.

٩ - «مراتب القضاء والقدر»، لسليمان الديخي.

١٠ - «منهاج السنة النبوية» (ج ٣)، لابن تيمية.

❁ الكيد

❁ التعريف لغةً:

الكاف والياء والذال أصل صحيح يدل على معالجة لشيء بشدة ثم يتسع الباب، وكله راجع إلى هذا الأصل، قال أهل اللغة: الكيد المعالجة، هذا هو الأصل في الباب، ثم سمو المكر كيداً^(١).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/١٤٩).

الغير بطريق خفي، فإن كان ذلك الغير يستحق ذلك الشر كان كيدًا حسنًا، وإلا كان كيدًا سيئًا.

والله سبحانه إنما يمكر ويكيد ويستهزئ بمن يستوجب ذلك فيأخذه من حيث لا يحتسب^(٢).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ آخِيهِ ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ آخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ⑩ وأكيد كيدًا ⑪ [الطارق]، وقال تعالى: ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ⑫ [الأعراف: ١٨٣].

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «وهكذا وصف نفسه بالمكر والكيد، كما وصف عبده بذلك، ﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ⑩ وأكيد كيدًا ⑪ [الطارق]، وليس المكر كالمكر ولا الكيد كالكيد»^(٣).

وقال ابن القيم: «وكذلك المكر ينقسم إلى محمود ومذموم، فإن حقيقته إظهار أمر وإخفاء خلافه ليتوصل به إلى مراده. فمن الم محمود: مكره تعالى بأهل

بوجه من الوجوه، ولذلك لا يأتي إلا مقيدًا بما يفيد المدح والحمد، بخلاف ما قد يوصف به المخلوق من الكيد، فإنه قد يكون تعددًا وظلمًا.

❁ الحكم:

وجوب إثبات ما أضافه الله تعالى إلى نفسه من صفة الكيد على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وأن يؤتى بذلك مقيدًا كما ورد في النصوص الشرعية، بما يفيد الكمال، ويزيل إيهام النقص.

❁ الحقيقة:

إن الله ﷻ يوصف بالكيد على وجه الكمال، فإنه ﷻ عادل في عباده، وموقعه بأهله، ومن يستحقه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ⑩ وأكيد كيدًا ⑪ [الطارق]^(١).

ولما كانت صفة الكيد - من حيث الإطلاق - من الصفات المنقسمة التي تقبل المدح وتقبل الذم، جاء وصف الله تعالى بها مقيدًا بما يدل على المدح والكمال المطلق.

فالكيد حين يتعلق بمن يستحق الكيد وفي المواقف الموجبة له يعد مدحًا لدى كل عاقل.

وذلك أن الكيد إيصال الشيء إلى

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى (١٢٩/٦).

(٣) التدمرية (٢٦). وانظر: غريب الحديث للحري (١/

٩٤) [جامعة أم القرى، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(١) انظر: إغاثة اللفهان لابن القيم (١١٤/٢).

المكر مقابلة لهم بفعلهم وجزاء لهم، وكذلك الكيد ينقسم إلى نوعين، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (١٨٢) [الأعراف] (١).

وقال ابن كثير: «ولهذا قال تعالى: ﴿فَدَأَىٰ فُؤَادَهُم بِأُورِثَتِهِمْ قَبْلَ وَعَاةِ أَخِيهِ ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاةِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه الله ويرضاه، لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة» (٢).

الآثار:

١ - التعبد لله تعالى بالخوف منه، وعدم أمن مكره وكيده، مع رجائه وحسن الظن به.

٢ - التجاء المؤمن إلى ربه ﷻ في رد كيد الكائدين، وصرف أذى المبطلين.

٣ - الحذر من الكيد المؤدي إلى إحقاق باطل، أو إبطال حق؛ فمن كاد للباطل يكيد الله عليه للحق.

٤ - يقين المؤمنين بنصر الله تعالى؛ فهو جاعل العاقبة للمتقين، وهو لا يهدي كيد الخائنين.

٥ - قيام ما خلق الله تعالى بالعدل والحكمة؛ فمن كاد ظلمًا وعدوانًا لا يدوم له كيد وإن فرح به زمنيًا؛ فالله تعالى لا يهدي كيد الخائنين، وكيده

الحق هو الغالب على كل كيد. ٦ - ما يكون لرسول الله وأنبيائه وأوليائه من النصر والعاقبة الحسنة، مع قلة ذات يد لديهم؛ لكنه نصر الله تعالى الذي يكيد لهم ويمكر لهم.

٧ - ما يقع على الظالمين من العقوبة والعذاب، فهم وإن فرحوا بكيدهم واعتدائهم زمانًا إلا أن المال القريب هلاك وخسران، فهم يكيدون كيدًا، والله يكيد كيدًا، والله غالب على أمره.

مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في إثبات هذه الصفة، وهذا بناء على ما أصلوه في نفي الصفات.

فمخالفة الجهمية بناء على أصلهم الفاسد في أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه (٣).

ومخالفة المعتزلة بناء على أصلهم في نفي الصفات؛ لاستلزامها التشبيه، ولأن تعدد الصفات يلزم منه تعدد القدماء (٤)، فيثبتون الكيد باعتبار أثره، ويؤوّلونه بإنزال العقوبة (٥).

(٣) الفرق بين الفرق للبيضاوي (٢٢١) [دار التراث]، والملل والنحل للشهرستاني (٩٨/١) [دار المعرفة]، ط ٢.

(٤) شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (١٦٢) [مكتبة وهبة، ط ٣، ١٤١٦هـ].

(٥) انظر: تنزيه القرآن عن المطاعن لعبد الجبار (٣٥٨).

(١) إغاثة اللهفان (١/٣٨٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٠١).

ولجميع ما أثبتته الله تعالى لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ يقررون هذا الأصل الجامع لكل الصفات، المانع من أي ظن كاذب أو لازم باطل، ومنها صفة الكيد.

وكذلك فإن إثبات الصفات الفعلية لا يلزم منه أن تكون ذاته محلاً لحوادث مخلوقة، فهو لم يزل ولا يزال فعلاً لما يريد، والنصوص الدالة على تعدد أفعاله وتنوعها لا تكاد تحصى، وليس في شيء منها ما يدل على أن شيئاً من المخلوقات يحل في ذاته.

فثبت فعله سبحانه بمشيئته واختياره بثبوت الدليل الشرعي عليه، ولا نرد دلالة الدليل باللوازم الباطلة.

بل إن نفي المشيئة والاختيار في أفعاله تعالى هو النقص الذي يجب أن ينزه عنه، فإثبات الكمال والحمد له أنه يخلق ما يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويعفو عن من يشاء، ويفعل ما يريد، وأنه لم يزل ولا يزال فعلاً لما يريد.

فمسألة الصفات الاختيارية هي من تمام حمده، فمن لم يقر بها لم يمكنه الإقرار بأن الله محمود ألبتة، ولا أنه رب العالمين؛ فإن الحمد ضد الذم والحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له، والذم هو الإخبار بمساوئ المذموم مع البغض له.

والله تعالى يحمد نفسه بأفعاله، فإذا

ومخالفة الأشاعرة مبنية على أصلهم في نفي الصفات الفعلية؛ لأن إثباتها يستلزم حلول الحوادث في ذات الله تعالى، وكذلك توهم النقص في إثبات هذه الصفة نظراً لجانب النقص الذي يحتمله إثباتها، فألوها إلى صفة الإرادة التي يثبتونها ضمن الصفات العقلية السبع التي يثبتونها، فتكون الصفة عندهم بمعنى إرادة العقوبة، أو بمعنى الكيد الواقع على المكيد^(١).

الرد عليهم:

- بنفي ما أحدثوه من لوازم باطلة، فإثبات الصفات لا يلزم منه تعدد القدماء، ولا التشبيه، ولا أي من اللوازم الباطلة التي يجعلها النفاة مانعة لإثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه، وأثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات.

فالله تعالى أثبت لنفسه صفات، وأثبتها لخلقها، كالعلم، والقدرة، والإرادة، والعظمة إلخ، ومن ذلك صفة الكيد، ولم يلزم من هذا الإثبات أي معنى للتشبيه والتنقص الذي يزعمه هؤلاء النفاة، بل المتقرر شرعاً وعقلاً ما أخبر به تعالى عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

فأهل السنة والجماعة في إثباتهم

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٥/٤١٩).

لم يكن له فعل يقوم به باختياره امتنع ذلك كله^(١).

٣ - «الرسالة التدمرية»، لابن تيمية.
٤ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

المصادر والمراجع:

١ - «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، لابن القيم.
٢ - «إغاثة اللهفان»، لابن القيم.
٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.
٦ - «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.



(١) انظر: رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية، ضمن جامع الرسائل (٥٧/٢) [دار العطاء، ط١].

حرف اللام

التعريف شرعاً:

لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله،
أو لا معبود يستحق العبادة إلا الله
تعالى.

قال الطبري: «فإنه لا إله إلا هو.
يقول: لا معبود يستحق عليك إخلاص
العبادة له إلا الله»^(٣).

وقال الشوكاني: «قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ أي: لا معبود بحق
إلا هو»^(٤).

وقال سليمان بن عبد الله: «ومعنى
(لا إله إلا الله)؛ أي: لا معبود بحق إلا إله
واحد، وهو الله وحده لا شريك له»^(٥).

الأسماء الأخرى:

(لا إله إلا الله) أسماء عديدة جاءت
بها نصوص الكتاب والسنة النبوية، فهي
تسمى بكلمة الإخلاص، وكلمة التقوى،
وكلمة الحق، والكلمة الباقية، وكلمة
السواء، وشهادة التوحيد، والقول

[١٩٩٣م]، وتهذيب اللغة (٦/٤٢٢) [الدار المصرية،
ط ١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (٦/٢٢٢٣) [دار العلم
للملايين، ط ٤].

(٣) تفسير الطبري (١٢/٣٢).

(٤) فتح القدير (١/٤٦٦) [دار الوفاء، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٥) تيسير العزيز الحميد (١/١٧٧) [دار الصميعي، ط ١].

لا إله إلا الله

التعريف لغةً:

شهادة التوحيد وكلمة الإخلاص
(لا إله إلا الله) مشتملة على جزأين في
المعنى، النفي في قول: (لا إله)،
والإثبات في قول: (إلا الله)، وبيان كل
منهما من جهة اللغة والشرع في غاية
الأهمية.

الإله: هو الله تعالى؛ قال ابن
فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الهمزة واللام والهاء أصل
واحد: وهو التعبد، فالإله: الله تعالى،
وسمّي بذلك؛ لأنه معبود، ويقال: تأله
الرجل: إذا تعبّد»^(١).

الله: مشتق من (إلاه) على وزن
(فعال)، يقال: إله يألّه إلهةً وألوهيةً
وألهانية، فهو إلاه، بمعنى مألوه؛ فعال
بمعنى مفعول؛ أي: معبود، والتألّه:
التعبّد، فلما دخلت عليه الألف واللام
حُذفت الهمزة تخفيفاً؛ لكثرتة في
الكلام، وقُطعت الهمزة في النداء
للزومها تفخيماً لهذا الاسم^(٢).

(١) مقاييس اللغة (١/١٢٧) [دار الجبل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: العين (٤/٩٠) [مكتبة الهلال، ط ١].

الثابت، إلى غير ذلك من الأسماء.

الحكم:

شهادة (لا إله إلا الله) هي أصل الإيمان، وهي ركن من أركان الإسلام، وقاعدة الدين، ومبنى العقيدة الإسلامية، فبقولها يدخل العبد الإسلام فيعصم دمه، وماله، وبجحدها أو الامتناع من قولها يكون العبد كافرًا خارجًا عن ملة الإسلام، وهي أول واجب على المكلف، وأول ما دعت إليه الرسل كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢١].

قال ابن تيمية رحمته الله: «وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين، وعلماء المسلمين؛ فإنهم مجمعون على ما علم بالاضطرار من دين الرسول: أن كل كافر فإنه يدعى إلى الشهادتين، سواء كان معطلًا، أو مشرکًا، أو كتابيًا، وبذلك يصير الكافر مسلمًا، ولا يصير مسلمًا بدون ذلك»^(١).

الحقيقة:

حقيقة كلمة التوحيد (لا إله إلا الله):
النفي والإثبات:

١ - نفي في قول: لا إله.

٢ - إثبات في قول: إلا الله.

و(لا إله): نفت الألوهية عن كل من

(١) درة التعارض (٧/٨) [جامعة الإمام، ط ٢٢].

سوى الله سبحانه من مَلَكٍ مقربٍ أو نبي مرسل، فضلًا عن غيرهم، فليسوا بإله ولا لهم من العبادة شيء.

و(إلا الله): تثبت الألوهية لله وحده لا شريك له، فهو الإله الحق، وما اتخذ من دونه من آلهة فكلها باطلة كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَكْفُرُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

وتتمثل حقيقة لا إله إلا الله في إخلاص العبادة لله سبحانه وحده لا شريك له والبراءة من عبادة ما سواه، والقرآن الكريم والسنة النبوية حافلان بالنصوص التي تقرر هذه الحقيقة.

قال السعدي رحمته الله: «وحقيقة تفسير التوحيد العلم والاعتراف بتفرد الرب بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادة له، وذلك يرجع إلى أمرين:

الأول: نفي الألوهية كلها عن غير الله بأن يعلم ويعتقد أنه لا يستحق الإلهية ولا شيئًا من العبودية أحد من الخلق، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا غيرهما، وأنه ليس لأحد من الخلق في ذلك حظ ولا نصيب.

والأمر الثاني: إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له، وتفرد به معاني الألوهية كلها، وهي نعوت الكمال كلها، ولا يكفي هذا الاعتقاد وحده

وحتى يحققه العبد بإخلاص الدين كله لله فيقوم بالإسلام والإيمان والإحسان، وبحقوق الله وحقوق خلقه قاصداً بذلك وجه الله وطالباً رضوانه وثوابه، ويعلم أن من تمام تفسيرها وتحقيقها البراءة من عبادة غير الله، وأن اتخاذ أنداد يحبهم كحب الله أو يطيعهم كطاعة الله أو يعمل لهم كما يعمل الله ينافي معنى (لا إله إلا الله) أشد المنافاة، فتبين بذلك أنه لا بد من اعتقاد وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، ومن الإقرار بذلك اعتقاداً ونطقاً، ولا بد من القيام بعبودية الله وحده طاعة لله وانقياداً، ولا بد من البراءة مما ينافي ذلك عقداً وقولاً وفعلاً، ولا يتم ذلك إلا بمحبة القائمين بتوحيد الله ومولاتهم ونصرتهم، وبغض أهل الشرك ومعاداتهم، ولا تغني في هذا المقام الألفاظ المجردة، ولا الدعاوي الخالية من الحقيقة، بل لا بد أن يتطابق العلم والاعتقاد والقول والعمل، فإن هذه الأشياء متلازمة متى تخلف واحد منها تخلفت البقية، والله أعلم^(١).

المنزلة:

كلمة التوحيد والإخلاص (لا إله إلا الله) أعلى شعب الإيمان وأصل الدين

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أُسِّست الملة، ونصبت القبلة، وجرّدت سيوف الجهاد، وهي محض حق الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر، وعذاب النار، وهي المنشور

(١) القول السديد للسعدي (١٦/٣، ١٧) ضمن المجموعة الكاملة [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ٢].

(٢) لا إله إلا الله معناها ومكاتها وفضلها للفوزان (٦، ٧).

الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به،

والجبل الذي لا يصل إلى الله من لم يتعلق بسببه، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد، ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإيمان، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان، وهي العمود الحامل للفرض والسنة^(١).

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»^(٤)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» الحديث^(٥).

❁ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فإن الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو تتضمن إخلاص الإلهية له؛ فلا يجوز أن يتأله القلب غيره، لا بحب، ولا خوف، ولا رجاء، ولا إجلال، ولا إكرام، ولا رغبة، ولا رهبة، بل لا بد أن يكون الدين كله لله»^(٦).

وقال ابن القيم رحمته الله: «وروح هذه الكلمة وسرها: إفراد الرب - جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، وتبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره - بالمحبة، والإجلال، والتعظيم، والخوف، والرجاء، وتوابع ذلك من التوكل،

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة»^(٢).

وقال ﷺ: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله؛

(٣) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١٢٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٢)، واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٢٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٢٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٢).

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٨٤٣) [مكتبة الرشد].

(١) الداء والدواء لابن القيم (٤٥٥) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٧).

مُعلّقة بوجود تلك الشروط واجتماعها، والتزامها والقيام بها علمًا وعملاً، وهذه الشروط بمنزلة الأسنان للمفتاح كما قال وهب بن منبه رحمته الله لمن سأله: أليس (لا إله إلا الله) مفتاح الجنة؟ فقال: «بلى؛ ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك»^(٣).

وقد بلغت بالتتبع والاستقراء لنصوص الكتاب العزيز والسنة النبوية ثمانية شروط نظمها بعضهم بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع
محبة وانقياد والقبول لها
وزيد ثامنها الكفران منك بما
سوى الإله من الأنداد قد ألها

فهذه الشروط الثمانية لا ينتفع قائل: (لا إله إلا الله) إلا باجتماعها والتزامها، وبيانها فيما يلي:

الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً.

الثاني: اليقين، وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك، وهو ما تدل عليه (لا إله إلا الله).

الرابع: الصدق المانع من النفاق، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم غير معتقدين لمدلولها.

والإنابة والرغبة والرغبة، فلا يحب سواه، وكل ما يحب غيره فإنما يحب تبعاً لمحبتته، وكونه وسيلة إلى زيادة محبته، ولا يخاف سواه، ولا يرجى سواه، ويجتمع ذلك كله في حرف واحد، وهو أنه لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة، فهذا تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله^(١).

وقال ابن رجب رحمته الله: «وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد: لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله، والإله: الذي يطاع فلا يعصى هية له وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاء، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله وَعَلَيْكُمْ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول: لا إله إلا الله، ونقصاً في توحيدته، وكان فيه من عبودية المخلوق، بحسب ما فيه من ذلك»^(٢).

الشروط:

المراد بشروط (لا إله إلا الله): الأمور التي يجب على العبد لزومها وتحققها حتى تتحقق شهادة (لا إله إلا الله)، وصحة الشهادة بها

(٣) ذكره البخاري في صحيحه معلماً (كتاب الجنائز، ص ٢٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٣١هـ].

(١) الداء والدواء (٤٥٧).

(٢) كتاب التوحيد لابن رجب (٤٩) [دار القاسم، ط ١].

من جهة علم النحو؛ ليتضح معناها الذي شرع النطق بها من أجله والعمل بمقتضاه، وإعرابها فيما يلي:

لا: نافية للجنس.

إله: اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب، والخبر مرفوع مقدر تقديره (حق)؛ أي: لا إله حق، ومن زعم أن الخبر المقدر لفظة (موجود) كما قدره المتكلمون فذلك باطل؛ فإن الآلهة الموجودة كثيرة فيلزم على ذلك كذب المعنى، كما أن تقدير الخبر (بموجود) يدل على معنى باطل، وهو أن كل موجود فهو الله - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - وهذا مذهب أهل الحلول والاتحاد.

إلا: أداة استثناء والاستثناء هنا مفرغ.

الله: اسم الله بدل من لفظ (إله) وهو بدل بعض من كل، والجملة مع خبرها المقدر: لا إله حق إلا الله^(٣).

- المسألة الثانية: هل يكفي مجرد النطق ب(لا إله إلا الله)؟

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن مجرد النطق بكلمة (لا إله إلا الله) من غير اعتقاد القلب لها والعمل بمقتضاها ليس كافيًا لاستحقاق الجنة والنجاة من النار؛ إذ لو كان الأمر كذلك لتساوت

الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلّت عليه، والسرور بذلك بخلاف ما عليه المنافقون.

السادس: الانقياد بأداء حقوقها، وهي الأعمال الواجبة إخلاصًا لله وطلبًا لمرضاته، وهذا هو مقتضاها.

السابع: القبول المنافي للرد، وذلك بالتزام أوامر الله وترك ما نهى عنه.

الثامن: الكفر بما يُعبد من دون الله، وهو البراءة من دين المشركين^(١).

وهذه الشروط يتفاوت الناس في تحقيقها زيادة ونقصًا؛ لأنها من الإيمان، والإيمان يزيد وينقص كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، وليس الشأن في حفظها، إنما الشأن في تحققها في قلب العبد ووجود كمالها الواجب في قلبه ولسانه وجوارحه، فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها، ولو قيل له: اعددها لم يحسن ذلك، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع في كثير مما يناقضها^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: إعراب (لا إله إلا الله):

عني العلماء ببيان إعراب (لا إله إلا الله)

(١) انظر: معارج القبول (٢/٥١٦ - ٥٢٨) [دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٣٠هـ]، والشهادتان معناها وما تستلزم كل منهما للفوزان (١٠٣ - ١٠٨).

(٢) معارج القبول (٢/٥١٦).

(٣) بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري (٣٣٧).

لا إله إلا الله وأني رسول الله؛ لا يلقي بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة»^(٤)، وغيرها من الأحاديث.

والقول الصواب فيها: أن من قال هذه الكلمة، عارقاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله تعالى مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به فهذا هو المسلم حقاً، فإن عمل بها ظاهراً من غير اعتقاد فهو المنافق، وإن عمل بخلافها مع الشرك فهو الكافر ولو قالها بلسانه، فجماع القول في هذه المسألة: أنه لا بدّ من الإتيان بشروط (لا إله إلا الله)، حتى يفوز العبد بالجنة، وينجو من النار.

قال ابن القيم رحمته الله: «وما جاء من الضرب من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظن بعضهم منسوخة، وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي، واستقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود، وقال المعنى: لا يدخلها خالدًا، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة. والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان، فإن هذا خلاف

منزلة المؤمنين والمنافقين عند الله وذكر، وليس الأمر كذلك؛ فإن الله تعالى أخبر عن مآل المنافقين في الآخرة، أنهم في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾^(١٤٥) [النساء]، مع أنهم كانوا يقولون: لا إله إلا الله، وكان منهم من يصلي ويصوم ويزكي ويتصدق، فاستبان بذلك أنه لا بدّ مع النطق بها من اعتقاد معناها والعمل بمقتضاها، وهذا ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها^(١).

وبما أنه وردت نصوص قد يتوهم منها ما توهمه المرجئة وغيرهم: أن مجرد التلفظ ب (لا إله إلا الله)، يكفي في دخول الجنة، أو النجاة من النار وإن لم يعمل أي عمل، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله؛ يبتغي بذلك وجه الله»^(٢)، وكذلك ما جاء من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل، فقال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرّمه الله على النار»^(٣)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشهد أن

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠٢/٣٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، ١٤٢٥هـ].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

الصالحة كل وقت وحين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء^(٢).

❁ الآثار^(٣):

لهذه الكلمة إذا قيلت بصدق وإخلاص وعمل بمقتضاها ظاهراً وباطناً واستجمعت شروطها آثار حميدة وثمرات يانعة وفوائد جممة وعواقب مرضية على الفرد والجماعة في العاجل والآجل، ومن أهم آثارها وأبرزها:

١ - اجتماع الكلمة التي تحقق القوة للمسلمين، والانتصار على عدوهم؛ إذ هم يدينون بدين واحد وعقيدة واحدة، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٢ - توفر الأمن والطمأنينة في المجتمع الواحد الذي يدين بمقتضى (لا إله إلا الله).

٣ - حصول السيادة والاستخلاف في الأرض، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

٤ - حصول الطمأنينة النفسية

(٢) انظر: إعلام الموقعين (٢/٢٩٩، ٣٠٠) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٣) انظر: (لا إله إلا الله) للفرزان (٣٦ - ٤١).

المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام؛ فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار، فلا بدّ من قول القلب، وقول اللسان، وقول القلب يتضمن معرفتها، والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته، من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله، المختصة به، التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب: علماً، ومعرفة، ويقيناً، وحالاً، ما يوجب تحريم قائلها على النار^(١).

❁ الثمرات:

من أعظم وأجل ثمرات كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) أنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، وكل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة الطيبة، فمثلها كمثل شجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي ثمرها وأكلها كل حين، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في قلب المؤمن، ومحبة القلب له، وإخلاصه فيها، وقيامه بحقوقها، وقد أخبر الله تعالى أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها الأعمال

(١) مدارج السالكين (١/٢٧٩) [مؤسسة المختار، ط ١،

والاستقرار الذهني لمن قال: (لا إله إلا الله) وعمل بمقتضاها؛ لأنه يعبد رباً واحداً يعرف مراده فيفعل ما يرضيه ويعرف ما يسخطه فيتيقنه.

٥ - حصول السموّ والرفعة لأهل (لا إله إلا الله) في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿حُفَّاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦٓ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٢١].

٦ - عصمة الدم والمال والعرض لقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه»^(١).

هذه نبذة يسيرة من آثارها وإلا فليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة والعواقب الحميدة مثل ما لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، فهي جماع كل خير في الدنيا والآخرة.

❁ مذهب المخالفين:

فسّر أهل الكلام كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)؛ بمعنى: أنه لا قادر على الاختراع إلا الله، وهذا التفسير قاصر؛ إذ يجعل معناها محصوراً في توحيد الربوبية، وهذا ما فسره البغدادي وهو من أعلام المتكلمين، ونسبه إلى أبي الحسن

الأشعري فيقول: «واختلف أصحابنا في معنى (الإله)؛ فمنهم من قال: إنه مشتق من الإلهية وهي قدرته على اختراع الأعيان، وهو اختيار أبي الحسن الأشعري، وعلى هذا يكون مشتقاً من صفة، وقال القدماء من أصحابنا: إنه يستحق هذا الوصف لذاته»^(٢).

فأهل الكلام إذاً يجعلون توحيد الربوبية هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن أهل الكلام: «يجعلون معنى الإلهية القدرة على الاختراع، ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث إليهم محمد ﷺ لم يكونوا يخالفونه في هذا، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء، حتى إنهم كانوا مقرين بالقدر، وهم مع هذا مشركون»^(٣).

وقال أيضاً: «وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين؛ حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الاختراع وأن من أقر بأن لا إله إلا هو القادر على الاختراع دون غيره، فقد شهد أن لا إله إلا الله، فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون»^(٤).

(٢) أصول الدين للبغدادي (١٢٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٩٨/٣).

(٤) المصدر السابق (١٠١/٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٣٩٩)،

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠).

- ٤ - «الشهادتان وما يستلزمه كل منهما»، لابن جبرين.
- ٥ - «كلمة الإخلاص»، لابن رجب.
- ٦ - «عقيدة التوحيد»، للفوزان.
- ٧ - «لا إله إلا الله معانيها مكانتها فضلها»، للفوزان.
- ٨ - «منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة»، لخالد عبد اللطيف.
- ٩ - «المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية»، لإبراهيم البريكان.
- ١٠ - «معارج القبول»، لحافظ حكيمي.

❖ الله ❖

❖ التعريف لغة:

قال ابن فارس كَلَّمَ: «الهمزة واللام والهاء أصل واحد: وهو التَّعْبُدُ، فالإله: الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل؛ إذا تعبَّد»^(٢).

فالله مشتق من: إله على وزن: فعَال، يقال: إِلَهٌ يَأَلُهُ إِلَهَةٌ وَالْوَهْيَةُ وَالْهَانِيَّةُ، فهو إله بمعنى مألوه فعَال بمعنى مفعول؛ أي: معبود، والتَّأَلُّهُ التَّعْبُدُ، فلما دخلت عليه الألف واللام حُذِفَتِ الهمزة تخفيفاً لكثرة في الكلام، وقُطِعَتِ الهمزة في

وتفسير أهل الكلام للإله بالقادر على الاختراع باطل، وبطلانه من وجوه:
أولها: أن هذا القول لا يعرف في لغة العرب وليس من استعمالهم، والقرآن جاء بلسان عربي مبين فلا يصح أن يفسر بغير لغته.
ثانيها: أن هذا القول مخالف لما جاء في القرآن من مدلول هذا اللفظ.
ثالثها: أن قولهم مخالف لأقوال الصحابة والتابعين وأهل السنة والجماعة.

رابعها: أنه ترتب على هذا القول الاكتفاء بتوحيد الربوبية دون الألوهية، وهذا من أعظم الباطل لمخالفته للقرآن والسنة ودعوات الأنبياء وحال المشركين، وعلى هذا فتفسيرهم للإله بالقادر على الاختراع بدعة محدثة في اللغة وفي الشرع فبطلانه في غاية الوضوح والظهور^(١).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - رسالة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يجيب فيها عن سؤال حول معنى «لا إله إلا الله».
- ٢ - «تظهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»، للصنعاني.
- ٣ - «الشرك ومظاهره»، لمبارك الميلي.

(١) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين لعبد الرحيم السلمي (٤٧٧) [دار المعلمة].

(٢) مقاييس اللغة (١/١٢٧) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

الأدلة:

النداء للزومها تفخيماً لهذا الاسم^(١).

التعريف شرعاً:

فلفظ (الله) هو المألوه المعبود المستحق لإفراده بالعبادة؛ لما اتصف به من صفات الكمال^(٢).

التعريف اصطلاحاً:

الله عَلَمٌ على ذات الباري ﷻ، المستجمع لسائر صفات الكمال، التي لا تنبغي لأحد سواه، والتي يستحق عليها غاية الحمد والثناء^(٣).

الحكم:

يجب الإيمان بثبوت اسم الله تعالى، وأنه دال على جميع الأسماء الحسنى إجمالاً، مستلزم لجميع معانيها، وأسمائه ﷻ تفصيل وتبيين لصفات الإلهية، التي اشتق منها اسم الله^(٤).

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال ﷻ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (٨) [طه]، وقال تبارك وتعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ الْمُبِينِ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٤) [الحشر].

ومن السنة حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مئة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة»^(٥).

أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضى الله عنهما: «الله: ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين»^(٦).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٩٢)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٧).

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/١٢٣) مؤسسة الرسالة، ط١، وضعف إسناده أحمد شاکر في تعليقه على التفسير.

(١) انظر: العين (٤/٩٠) [مكتبة هلال، ط١، ١٩٩٣م]، وتهذيب اللغة (٦/٤٢٢) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (٦/٢٢٢٣) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٢) انظر: قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (٤٦، ٤٧) [أضواء السلف، ط٢، ١٤٢٢هـ]، وقاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له (٦٦) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٨هـ]، ومنهاج السنة (٣/٣٣٤، ٣/٣٣٥) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ]، وبدائع الفوائد (٢/٢١٢) [دار الخير، ط١، ١٤١٤هـ].

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (١٢) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٣هـ]، وعقيدتنا عقيدة القرآن والسنة لمحمد خليل هراس (١٥٠) [دار الكتاب والسنة، ط١، ١٤٢٧هـ].

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/٣٢، ٣٣).

به نفسه، أو سمّاه به رسول الله، وهذا هو السر في أن الأسماء الحسنى كلها تجري أوصافاً عليه؛ لأنه متضمن لها، مشتمل عليها»^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اشتقاق اسم (الله):
اختلف أهل العلم في اسم الجلال (الله)؛ أهو مشتق أم لا؟
المذهب الأول: قال جماعة من أهل العلم بأن اسم الجلالة: (الله) غير مشتق^(٥).

وحجتهم: أن الاشتقاق يستلزم مادة يشق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق^(٦).

المذهب الثاني: ذهب المحققون من أهل العلم إلى أن اسم الله مشتق، وهو قول ابن جرير الطبري^(٧)، ورواية عن الخليل بن أحمد^(٨)، وبه قال سيبويه^(٩).

(٤) عقيدتنا عقيدة القرآن والسنة لهراس (١٥٠).

(٥) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٢٥) [دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٧٤م]، وشأن الدعاء (٣٥) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، ولوامع البينات للرازي (١١٤) [دار الكتاب العربي، ط٢]، وتفسير القرطبي (١٥٩/١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وبدائع الفوائد (٣٩/١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ].

(٦) انظر: نتائج الفكر للسهيلى (٤٠، ٤١)، وبدائع الفوائد لابن القيم (٢٢/١).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٢٢/١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٨) أشار إلى ذلك ابن الجوزي في زاد المسير (٨/١).

(٩) [المكتب الإسلامى، ط٣، ١٤٠٤هـ].

(٩) انظر: الكتاب (٢/١٩٥) [مكتبة الخانجي، ط٣].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والله: هو الإله المعبود، فهذا الاسم أحق بالعبادة، ولهذا يقال: الله أكبر، الحمد لله، سبحان الله، لا إله إلا الله»^(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فاسم الله دالٌّ على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا بالدلالات الثلاث: فإنه دال على إلهيته، المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له، مع نفي أضدادها عنه، واسم الله دالٌّ على كونه مألوهًا معبودًا، تألهه الخلائق محبة وتعظيمًا، وخضوعًا، وفضعًا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته، ورحمته، المتضمنين لكمال الملك، والحمد»^(٢).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «الله: هو المألوه، المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة؛ لما اتصف به من صفات الألوهية، وهي صفات الكمال»^(٣).

وقال محمد خليل هراس رَحِمَهُ اللهُ: «وما دام لفظ الجلالة - كما قلنا - علمًا على الذات المتصفة بسائر صفات الكمال، المختصة بها، يكون مشتملاً على جميع الأسماء الحسنى إجمالاً، وتكون هي بمنزلة التفصيل لذلك الإجمال، فمن قال: (الله) فقد دخل فيه كل اسم سمي

(١) مجموع الفتاوى (١٤/١٢).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/٣٢، ٣٣).

(٣) تفسير السعدي (٢٧) [دار السلام، ط٢، ١٤٢٢هـ].

بمنزلة الأعلام الجامدات التي لا تدل على معنى، لا تنقسم إلى حسنى وسوأى^(٢).

فإن أسماء الله لو كانت أعلامًا محضة لم يكن هناك فرقٌ بين اسم واسم، والفرق بين المعاني التي يدل عليها كل اسم من أسماء الله معلوم بالاضطرار، كما أن تضمنها للصفات هو مقتضى وصفها بأنها حسنى، فإنها إنما كانت حسنى لأجل معاني الكمال ونعوت الجلال التي تدل عليها^(٣).

وقال ابن القيم: «زعم السهيلي وشيخه أبو بكر بن العربي أن اسم الله غير مشتق؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق، ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل؛ ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى، ولا أَلَمَّ بقلوبهم، وإنما أرادوا

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (١٠٧) [مكتبة الرشد، ط١].

(٣) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (١٩، ٢٠، ٢٢)،

ومجموع الفتاوى (١٤٣/٦) [مجمع الملك فهد

لطباعة المصحف، ط١]، ومنهاج السنة (٢/١٥٩ -

١٦١) (٥/٤٠٩)، وبيان تلبس الجهمية (٣/٢٩٨،

٢٩٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١]،

والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٦، ٧)

[دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٤هـ]، واقتضاء الصراط

المستقيم (٢/٨٠٠، ٨٠١) [مكتبة الرشد، ط٤،

١٤١٤هـ]، والتسعينية (٢/٤٤٢ - ٤٤٥، ٤٥٤ -

٤٥٨، ٨١١/٣) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٠هـ].

وابن تيمية^(١)، وابن القيم وغيرهم. وأجابوا عن حجتهم بأن قالوا: إن أسماء الله ﷻ تدلُّ على الصفات وهي مشتقة منها، وصفاته دلَّت على أسمائه.

وهذه القاعدة من أبرز القواعد التي قام عليها معتقد أهل السنة والجماعة في هذا الباب، فأسماء الله ﷻ الحسنى أعلام وأوصاف، ليست مجرد أعلام محضة لا تدل على معانٍ؛ بل هي بالعكس من ذلك إنما كانت حسنى وموصوفة بغاية الحسن والكمال والعظمة والجلال؛ لما دلَّت عليه من المعاني البالغة في الحسن غايته.

قال ابن تيمية: «وقال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، ومعلوم أن الأسماء إذا كانت أعلامًا جامدات لا تدل على معنى لم يكن فرقٌ فيها بين اسم واسم، فلا يلحد أحد في اسم دون اسم، ولا ينكر عاقل اسمًا دون اسم؛ بل قد يمتنع عن تسميته مطلقًا، ولم يكن المشركون يمتنعون عن تسمية الله بكثير من أسمائه، وإنما امتنعوا عن بعضها.

وأيضًا فالله له الأسماء الحسنى دون السوأى، وإنما يتميز الاسم الحسن عن الاسم السيئ بمعناه؛ فلو كانت كلها

(١) انظر: رسالة في الرد على بعض أتباع ابن حمويه ضمن جامع المسائل (٤/٤١٤، ٤١٥) [دار عالم الفوائد، ط٢].

أنه دال على صفة له تعالى، وهي: الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى كالعليم، والقدير، والغفور، والسميع، والبصير، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة، والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسمه الله^(١).

٣ - أن هذا الاسم دالٌّ على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا؛ وذلك لأنه مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دالٌّ عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم الله. واسم الله دال على كونه مألوهًا معبودًا، تأله الخلائق محبة وتعظيمًا وخضوعًا وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد. وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله^(٤).

- المسألة الثانية: خصائص اسم الله: ذكر أهل العلم جملة من الخصائص التي اختص بها اسم الجلال (الله)، ومن ذلك:

١ - اسم (الله) وَعَلَى من الأسماء المختصة به وَعَلَى، فلم يتسم به غيره^(٢).

٢ - أن هذا الاسم هو الأصل في أسماء الله، وسائر الأسماء مضافة إليه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فأضاف سائر الأسماء إليه، وأجراها على اعتبار أنها صفات له، ولا محالة أن الموصوف أشرف من الصفة، ولأنه يقال: الرحمن الرحيم الملك القدوس كلها أسماء الله

أشرف من الصفة، ولأنه يقال: الرحمن الرحيم الملك القدوس كلها أسماء الله

(١) بدائع الفوائد (٢٢/١، ٢٣). وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤١٩/٢٠، ٤٢٠)، ورسالة في الرد على بعض أتباع ابن حمويه ضمن جامع المسائل (٤١٤/٤، ٤١٥)، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد (١٢٧/٢، ١٢٨) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٦هـ]، وشرح القصيدة النونية لهراس (٤٢١/١) [دار الكتب العلمية، ط ٣].

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٢٢/١)، تفسير المنار لرشيد رضا (٣٧/١).

الآثار:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى اسم (الله): «الله: ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين»^(٥).

(٣) انظر: شأن الدعاء (٢٥)، قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (٤٦، ٤٧)، منهاج السنّة (٣/٣٣٤، ٣٣٥)، ودرء التعارض (١٤/٤ - ١٨)، ومجموع الفتاوى (١١٧/١٦)، وبدائع الفوائد (٢/٢١٢)، ومدارج السالكين (٤١/١)، وطريق الهجرتين (٨٠، ٨١) [دار بن القيم، ط ٢، ١٤١٤هـ]، وتفسير ابن كثير (١٢٢/١)، ومعنى لا إله إلا الله (١٢١) [دار الاعتصام، ط ١]، والدر المنظم في الاسم الأعظم للسيوطي، ضمن الحاوي للفتاوى (٣٨١/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/٣٢، ٣٣).

(٥) تقدم تخريجه.

قولهم: (الله، الله، الله) بالمد أحياناً وبدونه أخرى، أو الاقتصار على الذكر بتكرار الضمير (هو).

وهذا صنيع بعض المتأخرين من المنتسبين إلى التصوف^(١)، وقد يضمنون إليه دعوى أن الذكر بالجمل التامة كـ (لا إله إلا الله)، و(الحمد لله)، و(سبحان الله)، ونحوها ذكر العامة، وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد (الله)، وذكر خاصة الخاصة هو الاسم المضمّر (هو)^(٢)، وقد أبطل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ هذه الدعوى من عدة أوجه، فقال: «فأما الاسم المفرد مظهرًا، مثل: (الله، الله)، أو مضمّرًا، مثل: (هو، هو)، فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سُنّة، ولا هو ماثور أيضًا عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين»^(٣).

فبيّن أن هذا الأمر غير مشروع لا في كتاب الله ﷻ ولا في سُنّة رسوله ﷺ، ولم ينقل عن أحد من سلف هذه الأمة الأخيار ذكره الله ﷻ بهذه الطريقة، ولا فعله الأئمة المعترفون، وإنما هو صنيع

وقد جمع هذا التفسير جميع المعاني المتعلقة بهذا الاسم، وذلك من جانبين:

الأول: ما يتعلق بالله ﷻ، وهو وصفه ﷻ بالألوهية الذي دلّ عليه اسم (الله)، فاستحق بهذا الوصف أن يكون الإله الذي لا يشاركه أحد في هذا الوصف العظيم، فأوصاف الألوهية هي جميع أوصاف الكمال والعظمة والجلال، والكرم والبرّ والإحسان، المنزهة من كل عيب أو نقصان، وهذه الصفات هي التي يستحق أن يُؤله ويُعبد لأجلها، فهي متضمنة لجميع معاني أسمائه وصفاته كما مرّ.

الثاني: ما يتعلق بجانب العبد، وهو العبودية، فالعباد يألوهونه ويعبدونه، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزُّحُرْفُ: ٨٤]، يألوه أهل السماء، ويألوه أهل الأرض طوعًا وكرهًا، عبودية الخضوع لعظمته والانقياد لإرادته ومشيتته، وعزته وقيوميته، كما يعبده ويألوه عباده المخلصون بقلوبهم وأقوالهم وجوارحهم، حسب مقاماتهم ومراتبهم في هذا التألّه والتعبّد.

❁ مذهب المخالفين:

خالف بعض أهل البدع؛ كالصوفية وغيرهم في مسألة الذكر باسم (الله) مفردًا أو مضمّرًا.

وذلك بتكرار هذا الاسم مجردًا مثل

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٦).

(٢) نسب شيخ الإسلام هذا القول إلى أبي حامد الغزالي في رسالة العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية، ضمن مجموع الفتاوى (١٠/٣٩٦).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٦).

بعض المتأخرين من المنتسبين إلى التصوف. هو لطيف بعباده؛ أي: رؤوف رفيق^(١). ومعانيه دائرة حول العديد من المعاني، منها:

المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله وصفاته»، للأشقر.
- ٢ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، لابن سعدي.

٥ - «شأن الدعاء»، لأبي سليمان الخطابي.

٦ - «شرح أسماء الله الحسنى»، للقطاني.

٧ - «عقيدتنا عقيدة القرآن والسنة»، للهراس.

٨ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٩ - «قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة»، لابن تيمية.

١٠ - «قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات»، لابن تيمية.

اللفظ

التعريف لغة:

اللام والطاء والفاء، أصل يدل على رفق، فاللفظ: الرفق في العمل، يقال:

الأول: الرَّفْق والرَّأفة والرحمة، يقال: لَطَفَ اللهُ لك، إذا أوصل إليك مرغوبك برفق، وأمَّ لطيْفة بولدها رحيمه به، ومنه اللَّطْف: البر والتكرمة، والملاطفة المبالغة، والتلطف للأمر الرفق له، واستلطف الشيء قرَّبه منه وألصقه بجنبه.

التعريف شرعاً:

لطف الله تعالى له معنيان:

الأول: أنه لا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت.

الثاني: أنه البر بعباده، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه من طرق لا يشعرون بها^(٣).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/٢٥٠).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٣/٣٤٧) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٩٥٤) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٤/١٤٢٦، ١٤٢٧) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٧٤٠) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٢/٨٢٦) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢م].

(٣) انظر: توضيح المقاصد لابن عيسى (٢/٢٢٨).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي لللفظ لطف الله تعالى لا يخرج عن بعض المعاني اللغوية، إلا أن ذلك مختص بالله تعالى، فالله ﷻ باللفظ الذي هو غاية ما يكون من الجلال والكمال، وهو ﷻ منزّه عن كل نقص وعيب.

الحكم:

وجوب إثبات اللطيف اسمًا لله تعالى على غاية الكمال والجلال، بلا تكييف ولا تمثيل، وإثبات اسمه اللطيف كما ثبت ذلك في النصوص.

الحقيقة:

وصف الله ﷻ باللفظ يأتي على معنيين:

الأول: أنه لا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿يَبْتَنِيْ إِنْهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان].

وهذا المعنى مأخوذ من اللطف الذي هو الدقة والغموض، فلا يخفى على الله شيء مهما صغر ودق وخفي.

الثاني: أنه البر بعباده، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه من طرق لا يشعرون بها، ومن هذا المعنى قوله

تعالى: ﴿اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى].

وفي بيان هذين المعنيين، يقول ابن القيم:

«وهو اللطيف بعبده ولعبده

واللطف في أوصافه نوعان

إدراك أسرار الأمور بخبرة

واللطف عند مواقع الإحسان

فيريك عزته ويبدي لطفه

والعبد في الغفلات عن ذا الشأن»^(١)

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام].

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها لما كان النبي ﷺ عندها ثم خرج إلى البقيع ثم خرجت على أثره دون أن يشعر، وفيه أنه قال لها: «ما لك يا عائش حشياً رابية؟» قالت: قلت: لا شيء. قال: «لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير» الحديث^(٢).

(١) انظر: توضيح المقاصد لابن عيسى (٢/٢٢٨)،

وراجع: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/١)

(٢٣٢)، وشفاء العليل (١/١٤٧)، وتفسير أسماء الله

الحسنى للسعدي (٢٢٥)، والنهج الأسنى في شرح

أسماء الله الحسنى للنجدي (١/٢٦١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٤).

❁ أقوال أهل العلم:

على الطاعة والاستقامة، ونصرهم على عدوهم ابتداءً من أنفسهم الأئمة بالسوء، وأعداءهم من الجن والإنس وغير ذلك من أوجه اللطف.

فيجب على العبد أن يعلم أن الله هو اللطيف على الكمال، وأن كل لطف إنما هو من عنده ﷻ، وكما يحب أن يلفظ الله به فعلية أن يكون لطيفاً بإخوانه المؤمنين، وأن يوصل إليهم بقدر طاقته ما عليه من بر وإحسان^(٥).

كم هو نافع للعبد أن يعرف معاني هذا الاسم العظيم ودلالاته، وأن يجاهد نفسه على تحقيق الإيمان به والقيام بما يقتضيه من عبودية الله ﷻ به، متحرراً في جميع الأحوال الفوز بالعواقب الحميدة والمآلات الرشيدة، واثقاً بربه اللطيف الخبير، الذي بيده الخير وحده، والله ذو الفضل العظيم.

❁ الآثار:

١ - دعاء المؤمن ربه تبارك وتعالى باسمه اللطيف، فيوقن في دعائه أن الله تعالى أرحم به، وأعلم بمصالحه، لا يخفى عليه ما يغيب، ولا يعزب عنه مثقال ذرة، فيكون المؤمن بذلك أسعد بالدعاء، وأيقن بالإجابة، حاضر القلب لا غافلاً ولا لاهياً.

قال البغوي: «وحقيقة اللطيف: الذي يوصل الإحسان إلى غيره بالرفق»^(١).

وقال أبو سليمان الخطابي: «اللطيف: هو البر بعباده، الذي يلفظ بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون»^(٢).

وقال السعدي: «اللطيف الذي يدرك بواطن الأشياء، وخفياتها، وسرائرها، الذي يسوق إلى عبده الخير، ويدفع عنه الشر بطرق لطيفة تخفى على العباد، ومن لطفه، أنه يُري عبده عزته في انتقامه وكمال اقتداره، ثم يظهر لطفه بعد أن أشرف العبد على الهلاك»^(٣).

❁ المسائل المتعلقة:

لطف الله ﷻ بعباده له أوجه كثيرة ومتعددة^(٤):

فهو الذي خلقهم من غير حول لهم ولا قوة، وتكفل بأرزاقهم وجميع ما يحتاجون في معاشهم ومصالح دنياهم.

ومن لطفه الخاص بعباده المؤمنين هدايتهم إلى الحق وتوفيقهم إليه وتثبيتهم

(١) تفسير البغوي (٤/٢٨١).

(٢) شأن الدعاء (٦٢).

(٣) تفسير السعدي (٥/٣١٨).

(٤) انظر في هذه الأوجه بالتفصيل: تفسير أسماء الله الحسنی للسعدي (٢٢٥ - ٢٣٤)، وفقه الأسماء الحسنی (١٣٩ - ١٤١) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩].

(٥) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی (١/٢٣٦).

- ٢ - ما يورثه التفكير في اسم الله اللطيف من زيادة محبة الله تعالى؛ فهو الرحيم بعباده، الموصل لهم كل خير من حيث لا يحتسبون.
- ٣ - توكل المؤمن على ربه تبارك وتعالى؛ لعلمه ويقينه بلطف الله تعالى به، وأنه الهادي إلى أحسن الأحوال وأهدى السبل.
- ٤ - الرضا بقضاء الله تعالى وقدره؛ ففي قدره اللطف والحكمة، ولا يكون للمؤمن قضاء من ربه إلا وهو له خير.
- ٥ - التبعذ لله تعالى بعلمه بكل شيء، وأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرضين، فيظل المؤمن مراقباً لربه في جميع أحواله.

❖ اللطيف ❖

يراجع مصطلح (اللطيف).

❖ اللعن ❖

❖ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «اللام والعين والنون أصل صحيح يدلُّ على إبعاد وإطراد»^(١). وقال الجوهري: «اللعن: الطرد والإبعاد من الخير»^(٢).

❖ التعريف شرعاً:

اللعن صفة من الصفات الفعلية الاختيارية ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، والله ﷻ يلعن ويطرده من رحمته الكفار والفجار وغيرهم من شاء من خلقه إذا شاء^(٣).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٣ - «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم»، لابن عيسى.
- ٤ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.
- ٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٦ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٧ - «صفات الله ﷻ الواردة في

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٧٨) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) الصحاح (٦/٢١٩٦) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٣) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة =

الحكم:

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المدينة حرم من كذا إلى كذا. لا يقطع شجرها، ولا يحدث فيها حدث، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(٣).

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل.

أقوال أهل العلم:

استشهد ابن تيمية بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَذَابُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ﴾ [النساء: ٩٣] على إثبات صفة الغضب واللعن لله تعالى.

وقال محمد خليل الهراس عن هذه الآية وغيرها: «تضمنت هذه الآيات إثبات بعض صفات الفعل لله من: الرضا، والغضب، واللعن، والكره، والسخط، والمقت والأسف، وهي عند أهل الحق صفات حقيقية لله صلى الله عليه وسلم على ما يليق به، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق... واللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، واللعين والملعون: من حقت عليه اللعنة، أو دعي عليه بها»^(٤).

وقال عبد العزيز السلطان: «تضمنت

الحقيقة:

حقيقة لعن الله صلى الله عليه وسلم هو طرده وإبعاده من رحمته سبحانه من شاء من خلقه.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَذَابُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [٩٦] [النساء]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [١٨] [هود]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [٦٤] [الأحزاب].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»^(٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل المدينة، رقم ١٨٦٧) واللفظ له، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٦٦).

(٤) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على الواسطية للسلطان (٧٢ - ٧٤) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط ١٣].

= للسقاف (٣٠٥) [دار الهجرة الرياض، ط ٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٦٣) [مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحدود، رقم ٦٧٨٣)، ومسلم (كتاب الحدود، رقم ١٦٨٧).

شأن الخمر عشرة أصناف من الناس؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقها، وبائعها، وأكل ثمنها، والمشتري لها، والمشتراة له»^(٣).

فالنبي صلى الله عليه وسلم لعن في شأن الخمر عشر مجموعات من الناس لعناً عاماً مطلقاً من غير تعيين، ولكن لما جيء إليه بشارب الخمر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه وتأديبه، ولما لعنه بعض القوم؛ نهاهم عن ذلك؛ فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ أن رجلاً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله، وكان يُلقَّب حِمَارًا، وكان يُضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب، فأتي به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللّهُمَّ العنه، ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تلعنوه، فوالله! ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»^(٤).

فالنبي صلى الله عليه وسلم لعن في شأن الخمر عشرة أصناف لعناً عاماً مطلقاً من غير تعيين، ولكن لما جيء إليه بشارب الخمر الذي قد سبق أن جلده في الشراب نهى

هذه الآيات الكريمة إثبات بعض الصفات الفعلية من الرضا والغضب واللعن والكره والسخط والأسف والمقت، وهذه الصفات يشتها أهل السنّة والجماعة حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته يفعلها متى شاء»^(١).

وقال الفوزان: «الشاهد من الآيات: أن فيها وصف الله بالغضب والرضا واللعن والانتقام والكرهية والأسف والمقت، وهذه كلها من صفات الأفعال التي يفعلها صلى الله عليه وسلم متى شاء إذا شاء كيف شاء. وأهل السنّة يثبتون ذلك لله كما أثبتة لنفسه على ما يليق بجلاله»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اللعن المطلق لا يستلزم لعن المعين:

اللعن هنا عام لكل من اتصف بصفة من تلك الصفات المذكورة في النصوص، ولكن ذلك لا يدل على جواز لعن الشخص المعين المتصف بصفة من تلك الصفات، فإن الحكم الخاص يختلف عن الحكم العام؛ ولذلك يجب التفريق بين الحكم العام المطلق وبين الحكم الخاص المقيد.

فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه لعن في

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب البيوع، رقم ١٢٩٥) وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه (كتاب الأشربة، رقم ٣٣٨١)، والضياء في المختارة (١٨١/٦) [دار خضر، ط ١]، وصححه الألباني في غاية المرام (رقم ٦٠) [المكتب الإسلامي، ط ٣].
(٤) أخرجه البخاري (كتاب الحدود، رقم ٦٧٨٠).

(١) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (٥٣) [مطابع المدينة، ط ١٣، ١٤٢١هـ].
(٢) شرح العقيدة الواسطية للفوزان (٤٨) [الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط ٨، ١٤٢٩هـ].

به إليه، مع لعنه ﷺ عشرة أصناف من أجل الخمر؛ فالصحيح من أقوال أهل العلم أنه لا يجوز لعن المسلم المعين^(٤).

- المسألة الثالثة: لعن عموم الكفار:

لعن الكفار من اليهود والنصارى والمشركين على سبيل العموم جائز ومشروع من أجل التحذير من أفعالهم، وقد دلت على ذلك كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وفيما يلي ذكر بعضها:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عِنْدٍ﴾ [٥٩] ﴿وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [٦٠]. [هود].

وعن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالوا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال - وهو كذلك -: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». يحذر ما صنعوا^(٥). والأحاديث في ذلك كثيرة.

(٤) انظر: مجموع فتاوى لابن تيمية (٢٠/٢٨٧، ٢٨٨).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣١).

رسول الله ﷺ عن لعنه، وهذا شخص معين، ففي لعنه ﷺ عشرة أصناف في شأن الخمر لعناً عاماً مع نهيه عن لعن هذا الشارب المعين دلالة على وجوب التفريق بين اللعن العام المطلق واللعن الخاص المعين وبين الحكم العام والحكم الخاص، والله أعلم^(١).

- المسألة الثانية: لعن المسلم:

المسلم إذا ارتكب شيئاً جاءت النصوص بلعن فاعله، فهو يلعن على وجه العموم كما جاءت النصوص، مثل: لعن الله السارق، ولعن الله آكل الربا^(٢)، ولعن الله الواصلة، ولعن الله من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً، ولعن الله الكاسيات العاريات^(٣) ونحوها، فصاحبها يلعن كما جاءت به النصوص؛ أي: على وجه الصفة والجنس، ولكن لا يلعن على وجه التعيين والتشخيص، وهذا واضح جداً لمن نظر وتأمل صنيع الرسول ﷺ مع شارب الخمر حين جيء

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٣٢٩ - ٣٣٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١/١٠٤٤) [بيت الأفكار الدولية].

(٢) كما عند البخاري (كتاب الطلاق، رقم ٥٣٤٧)، ومسلم (كتاب المساقاة، رقم ١٥٩٧).

(٣) كما عند أحمد (١١/٦٥٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الحظر والإباحة، رقم ٥٧٥٣)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٣٤٦) وضححه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٦٨٣).

من لا يحب الله ورسوله، والكافر لا يحب الله ورسوله، وهذا أمر معلوم، ولكن الأفضل تركه، فإن فيه تنفيراً لهم عن الإسلام، والمسلم لا يكون طعناً، ولا لعاناً، ولا سباباً، واللّعان لا يصل درجة الشهداء والشهداء عند الله يوم القيامة، ولكن إذا تعدى الواحد منهم حده وبلغ أذاه المسلمين فلا بأس في لعنه بالتعيين والدعاء عليه^(٤).

❁ الآثار:

إن إيمان العبد بلعن الله ﷻ وطرده من رحمته ﷻ كل من اتصف بتلك الصفات المقتضية للعن يؤلّد في قلب المؤمن النفور من تلك الصفات والاجتناب من تلك الأفعال، فيبتعد المؤمن من تلك القبائح والمعاصي كل الابتعاد ويحذر كل الحذر حتى لا يتعرض للعن الله ﷻ.

❁ مذهب المخالفين:

اللعن صفة من الصفات الفعلية الاختيارية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن

فهذه النصوص من الكتاب والسنة تدل على جواز لعن الكفار على وجه العموم من باب التحذير من أفعالهم والإبعاد والتنفير من صنيعهم^(١).

- المسألة الرابعة: لعن الكافر المعين:

ذهبت طائفة من أهل العلم إلى عدم جواز لعن الكافر المعين الحي، وذلك لأننا لا ندري ما يختم الله له، وقد جاء عن عبد الله بن عمر؛ أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الآخرة من الفجر، يقول: «اللَّهُمَّ العن فلاناً وفلاناً وفلاناً» بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد»، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران] (٢).

وذهب آخرون إلى جواز لعن الكافر المعين، ومما يدل على ذلك قول النبي ﷺ في شارب الخمر حين لعنه أحد الحاضرين: «لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله»^(٣)، فهذا دليل على جواز لعن

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٧/٤٠٤ - ٤٠٦) [وزارة الأوقاف بالمغرب، ١٤١٢هـ]، وشرح السنة للبغوي (١٣/١٣٧ - ١٣٨) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢]، وشرح صحيح مسلم للنووي (٥/١٧٧، ١٦٦/٧٣، ٧٤) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٠٦٩).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٧/٤٠٤ - ٤٠٦)، وشرح السنة للبغوي (١٣/١٣٧ - ١٣٨)، واللعن في القرآن الكريم لعبد القادر الجزائري (١٩، ٢٠) [مكتبة الرشد، الجزائر، ١٤٢٧هـ] ورفع اللثام عن أحكام اللعان لمراد محمد شحور (٣٣ - ٣٥) [ط ١، ١٤٢٩هـ].

- ١٠ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعامر عبد الله فالح.
- ١١ - «وسطية أهل السنة بين الفرق»، لمحمد باكريم محمد باعبد الله.

جملة الصفات التي أنكرتها الكلاية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية. وهذه الصفة كغيرها من الصفات التي جاءت النصوص بإثباتها، فيجب إثباتها لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة القرآن الكريم والأحاديث النبوية على ذلك.

اللَّفْظُ بِالْقُرْآنِ

التعريف لغة:

اللَّفْظُ: اللام والفاء والظاء كلمة صحيحة تدلُّ على طرح الشيء، وغالب ذلك أن يكون من الفم. تقول: لَفَظْتُ بالكلام يَلْفِظُ لَفْظًا، ولفظتُ الشيء من فمي^(١). واللَّفْظُ يُطْلَقُ على: المصدر الذي هو فِعْلُ اللفظ من صوته وحركة لسانه، ويُطْلَقُ على: الملفوظ الذي لفظه اللفظ، مثل ما يُعَبَّرُ بالتلاوة والقراءة عن: المتلو والمقروء^(٢).

القرآن: مصدر للفعل (قرأ) يقرأ قراءةً وقرآنًا؛ أي: تلا وجمعَ وضمَّ بعضه إلى بعض، سُمي القرآن بذلك لأنه يجمع السور فيضمها^(٣).

(٢) انظر: خَلَقَ أفعال العباد للبخاري (١٠٥) [دار المعارف الرياض، ١٣٩٨هـ]، ومجموع الفتاوى (١٢/١٧٠، ١٩٧، ٥٦٧)، ودرء التعارض (١/٢٦٤) [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ]، والعقيدة السلفية في كلام ربِّ البرية لعبد الله الجديع (٢٠٩) [دار الصميعي، ط ٢، ١٤١٥هـ]، والقرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفهم لمحمد هشام بن لعل محمد طاهري (١/١٢٤) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٦هـ].

المصادر والمراجع:

- ١ - «التمهيد» (ج ١٧)، لابن عبد البر.
- ٢ - «شرح السنة» (ج ١٣)، للبغوي.
- ٣ - «شرح صحيح مسلم» (ج ٥ و ١٦)، للنووي.
- ٤ - «شرح العقيدة الواسطية»، للفوزان.
- ٥ - «شرح العقيدة الواسطية»، لمحمد خليل هراس.
- ٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٧ - «فتح الباري» (ج ١)، لابن حجر العسقلاني.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٠ و ٢٠)، لابن تيمية.
- ٩ - «مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية»، لعبد العزيز محمد السلطان.

(٣) انظر: الصحاح (١/٦٦)، والقاموس المحيط (٦٢).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/٢٥٩) [دار الفكر، ط ٢].

التعريف شرعاً:

اللَّفْظُ بِالْقُرْآنِ: هو أن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، أو غير مخلوق^(١).

الحكم:

يجب على المسلم أن يتقيد بالألفاظ الشرعية، مع اجتناب كل محدث من القول. ومسألة اللفظ بالقرآن: من المسائل المحدثة المبتدعة، التي لم يتكلم بها السلف الصالح.

وقد حكم الأئمة على من قال: لفظي بالقرآن مخلوق - وأراد باللفظ: الكلام الملفوظ به، المتلو المقروء - بأنه جهمي.

ومن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فقد وقع في البدعة؛ لأن السلف من أهل السُّنَّة لم يتكلموا في باب اللفظ، ولم يحوجهم الحال إليه، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل البدع، ولأنه يدخل في هذه العبارة أفعال المخلوقين وحركاتهم وأصواتهم وهذه مخلوقة، والقول بأنها غير مخلوقة من الإحداث في الدين^(٢).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/١٩٧ - ١٩٨ - ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٧٣، ٣٧٤).

(٢) انظر: صريح السُّنَّة للطبري (٢٥، ٢٦) [دار الخلفاء، ط ١، ١٤٠٥هـ]، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (١٧٢، ١٧٣) [دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٩هـ]، ومختصر الصواعق (٤/١٣٥١ - ١٣٥٢) [مكتبة أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٥هـ]، ومجموع الفتاوى (١٢/٢٣٨).

الحقيقة:

لفظ القارئ بالقرآن وتلاوته وقراءته له وكتابته، أو قوله: لفظي بالقرآن وتلاوتي له وقراءتي له وكتابتي له؛ فهذه ألفاظ مجملة لا يصح إطلاق القول بها؛ فهي تطلق على معنيين:

المعنى الأول: الملفوظ به والمتلو والمقروء والمكتوب، وهو القرآن الكريم، وهو كلام الله، ليس فعلاً للعبد ولا مقدوراً له.

والمعنى الثاني: التلَفُّظ والتلاوة والقراءة والكتابة، وكلها من فعل العبد وكسبه وسعيه.

فاللَّفْظ والتلاوة والقراءة والكتابة إذا أضيفت إلى القرآن؛ صارت معاني مشتركة بين الملفوظ والمتلو والمقروء والمكتوب وهو كلام الله، والتلَفُّظ والتلاوة والقراءة والكتابة التي هي فعل العبد.

وهذا بخلاف صوت القارئ، فلا محذور في إطلاق القول بأنه مخلوق؛ لأنَّ الصَّوْت معنى خاص بفعل العبد لا يتناول المتلو المؤدى بالصوت ألبتة؛ فالكلام كلام الباري ﷻ والصَّوْت صوت القارئ.

فظهر بهذا أن من أطلق هذا القول نفيًا أو إثباتًا فقال: (لفظي بالقرآن مخلوق)، أو قال: لفظي بالقرآن غير

● الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]؛ وجه الدلالة من الآية: أَنَّ الله تعالى أثبت أَنَّ المسموع من الرسول ﷺ أو من المؤمنين - وهو المتلو والملفوظ بألسنتهم - هو كلام الله، وكلام الله غير مخلوق.

وتوعّد سبحانه بالنار من قال عن المسموع من النبي ﷺ الملفوظ منه: إِنَّه قول البشر؛ فقال تعالى مخبراً عنهم: ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ [٢٤] إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلَ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُضِلُّهُ سَقَرًا ﴿٢٦﴾ [المدثر]؛ فدلّ هذا على أَنَّ الملفوظ المسموع كلام الله تعالى لا كلام البشر - وإلا لما توعّدهم على ذلك -، وكلامه ﷻ غير مخلوق.

مخلوق؛ فقد وقع في المحذور لا محالة؛ لأنّه لو أطلق لفظ (الخلق) وقصد به المعنى الثاني شمل المعنى الأول وهذا قول الجهميّة، ولو قال: (غير مخلوق) شمل المعنى الثاني، وهو أَنَّ أفعال العباد غير مخلوقة، وهذا باطل.

ولهذا اشتدّ نكير الأئمة - كالإمام أحمد بن حنبل وغيره - على إطلاق هذا القول نفيًا أو إثباتًا؛ فقالوا: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهميّ، ومن قال: غير مخلوق؛ فهو مبتدع»^(١)؛ لما في هذا الإطلاق من الإجمال والإيهام والتباس الحقّ بالباطل، ولكونها من المسائل المحدثّة المبتدعة التي لم يؤثر فيها القول عن أحد من سلف الأئمة، ولكونها ذريعة إلى قول أهل البدع بخلق القرآن؛ فأرادوا حسم المادة وصون القرآن أن يوصف بذلك.

فاللفظ المجمل مردود على صاحبه على كل حال^(٢).

(١) أخرجه عن الإمام أحمد: ابن جرير الطبري في صريح السنّة (٣٧) [مكتبة غراس، ط ٢، ١٤٢٦هـ]، وعنه: اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنّة (٣٩٢/٢) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٦هـ]. وانظر: السنّة لعبد الله بن أحمد (١٦٣) [دار ابن القيم بالدمام، ط ١، ١٤٠٦هـ]، ومجموع الفتاوى (٣/١٧١، ١٩٧، ١٢/٧٤، ٣٢٥، ٤٢٣، ٥٧٣)، والجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح (٤/٣٤٨) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ].

(٢) انظر: السنّة لعبد الله بن أحمد (١٦٣)، والاختلاف

في اللفظ لابن قُتَيْبَة (٥٧) [دار الراهبة بالرياض، ط ١، ١٤١٢هـ]، والسنّة للخلال (٦٣/٧) [دار الراهبة بالرياض، ط ١، ١٤١٥هـ]، وشرح أصول اعتقاد أهل السنّة (٢/٣٨٥)، والحُجّة في بيان المحجّة (١/٣٢٩) [دار الراهبة بالرياض، ط ١، ١٤١٩هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/٥٢٧، ١٢/٥٣، ٧٤، ٧٩، ١٧٠، ٢٣٧، ٤٢١، ٤٣٢، ٥٣٤، ٥٦٧، ٥٧٣، ٥٨٢)، والجواب الصّحيح (٤/٣٤٥)، ودرء التعارض (١/٢٥٦)، ومختصر الصواعق (٤/١٣٥١، ١٣٥٢)، ومعارض القبول (١/٢٩٢) [دار ابن القيم بالدمام، ط ١، ١٤١٠هـ]، والعقيدة السلفية في كلام ربّ الرية للجديع (٢٠٥)، والقرآن الكريم ومنزله بين السلف ومخالفهم (١/١١٩، ٥٦٥)، والمسائل العقديّة التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع لعلي بن جابر العلياني (٧١٤) [دار الفضيلة بالرياض، ط ١، ١٤٢٨هـ].

الأصوات التي يقرأ بها القرآن هي أصوات العباد وهي مخلوقة، وفرّق بينها وبين القرآن المتلو الذي هو كلام الله تعالى؛ فالقرآن كلام الباري ﷻ والصوت صوت القارئ. إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري: «وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا تابعي قضى، إلا عمن في قوله الغناء والشفاء، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ﷺ، فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: «اللفظية جهمية لقول الله جلّ اسمه: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فممن يسمع؟ ثم سمعت جماعة من أصحابنا - لا أحفظ أسماءهم - يذكرون عنه أنه كان يقول: «من قال: لفظي

وثبت في «الصحاحين» من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «استذكروا القرآن؛ فهو أشدّ تفصيلاً من صدور الرجال من النعم بعقلها»^(١)؛ فأثبت ﷺ أن المحفوظ في صدور الرجال هو القرآن الكريم، وهو كلام الله غير مخلوق.

وفي السنن عن جابر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف؛ فيقول: «ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإنّ قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»^(٢)؛ فبيّن ﷺ أن الكلام الذي يبلغه ويتلوه هو كلام الله تعالى لا كلامه، وكلام الله غير مخلوق، وإن كان يبلغه بأفعاله وصوت نفسه؛ كما قال ﷺ: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(٣)؛ فبيّن أن

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠٣٣)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين، رقم ٧٩٠) واللفظ له.

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٣٤)، والترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٩٢٥) وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٢٠١)، وأحمد (٣٧٠/٢٣) [مؤسسة الرسالة، ١٦]، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٣٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٤٧).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الوتر، رقم ١٤٦٨)، والنسائي (كتاب الافتتاح، برقمي ١٠١٥، ١٠١٦)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنّة فيها، رقم ١٣٤٢)، وأحمد (٤٥١/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ١٦]، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٥٤٣)، من حديث البراء بن عازب ﷺ، وجوّد إسناده ابن كثير في تفسيره (٦٢/١) [دار طيبة،

[٢]، وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود (رقم ١٣٢٠) [مؤسسة غراس، ١٦].

(٤) انظر: صريح السنّة (٣٧)، والسنّة للخلال (٦٣/٧)، والحجّة في بيان المحجّة (١/٣٢٩)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/٥٣، ١٣٦، ٢٥٨، ٤٦٢، ٥٣٤، ٥٨٢)، والجواب الصحيح (٤/٣٤٨)، ودرء التعارض (١/٢٥٨)، والتسعينيّة (٣/٩٧١) [مكتبة المعارف بالرياض، ١٦]، والعقيدة السلفية في كلام ربّ البريّة للجديع (٢٤٠)، والقرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفهم (١/٥٧١).

وقال الذهبي - تعليقًا على قول الإمام أحمد بن صالح: «من قال: لفظي به مخلوق فهو كافر» -: «إن قال: لفظي، وعنى به: القرآن؛ فنعم. وإن قال: لفظي، وقصد به: تلفُّظي وصوتي وفعلي أنه مخلوق؛ فهذا مصيب؛ فالله تعالى خالقنا وخالق أفعالنا وأدواتنا. ولكن الكفَّ عن هذا هو السُّنَّة، ويكفي المرء: أن يؤمن بأنَّ القرآن العظيم كلام الله ووحيه وتنزيله على قلب نبيِّه ﷺ، وأنه غير مخلوق»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حقيقة قول الإمام أحمد والبخاري في مسألة اللفظ، والفرق بينهما:

المتواتر عن الإمام أحمد أنه كان ينكر إطلاق هذا اللفظ نفيًا وإثباتًا. وإنما كان يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق كيف تصرف^(٤).

وأما ما نسب إلى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأنه قال بقول اللفظية، فهو غلط عليه وحسد من بعض أقرانه، وإنما غاية ما قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «سمعت عبد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد، يقول: ما زلت أسمع من

بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: هو غير مخلوق فهو مبتدع». ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله، إذ لم يكن لنا إمام نأتَم به سواه، وفيه الكفاية والمقنع، وهو الإمام المتبع^(١).

وقال ابن تيمية: «كان أحمد وغيره من السلف ينكرون على من يقول: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق؛ يقولون: من قال: هو مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع. فإنَّ (اللفظ) يراد به: مصدر لفظ يلفظ لفظًا، ويراد باللفظ: الملفوظ به، وهو: نفس الحروف المنطوقة. وأما أصوات العباد ومداد المصاحف؛ فلم يتوقف أحد من السلف في أن ذلك مخلوق. وقد نصَّ أحمد وغيره على أن صوت القارئ صوت العبد، وكذلك غير أحمد من الأئمة. وقال أحمد: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، يريد به القرآن؛ فهو جهمي. فالإنسان وجميع صفاته مخلوق: حركاته وأفعاله وأصواته مخلوقة، وجميع صفاته مخلوقة، فمن قال عن شيء من صفات العبد: إنها غير مخلوقة أو قديمة؛ فهو مخطئ ضال، ومن قال عن شيء من كلام الله أو صفاته: إنه مخلوق؛ فهو مخطئ ضال»^(٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/١٧٧). وانظر: ميزان الاعتدال (١/٥٤٤).

(٤) انظر: السُّنَّة للخلال (٧/٩٣ - ٩٦).

(١) صريح السُّنَّة (٢٥، ٢٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/٥٦٧).

أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة.

قال أبو عبد الله البخاري: حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب فهو كلام الله ليس بخلق^(١).

وقال رَضِيَ اللهُ رَأْدًا عَلَى مَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ الْقَوْلَ بِاللَّفْظِ: «مَنْ نَقَلَ عَنِّي أَنِّي قُلْتُ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ؛ فَقَدْ كَذَبَ! وَإِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ»^(٢)، فنجد أن الإمام البخاري كان يفرق في هذه المسألة بين ما كان متعلقًا بكلام الله وبين ما كان من فعل العبد، فالقراءة عنده غير المقروء، وقد ثبت عنده عن الإمام أحمد أنه قال: ما سمعت عالمًا يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق.

فكلا الإمامين ينكران أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، فالإمام أحمد سدّ الذريعة حيث منع إطلاق لفظ (المخلوق) نفيًا وإثباتًا على اللفظ، والبخاري فصل مقالته؛ لئلا تستغل ممن يقول بأن أفعال العباد غير مخلوقة^(٣). فلا تعارض حقيقة بين القولين، فكلام الإمام أحمد أسدّ وأصلح من جهة عموم

أهل الإيمان وتثبيت جمل الاعتقاد، وكلام الإمام البخاري أوضح وأمتن من جهة أهل العلم والتحقيق^(٤).

- المسألة الثانية: حقيقة مذهب (اللفظية المثبتة): حقيقة قولهم أنهم يقولون: إن ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة، والتلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء. وهذا مخالف لقول السلف وسائر الأئمة، فهم لا يقولون: مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا يقولون التلاوة هي المتلو مطلقًا ولا غير المتلو مطلقًا.

وذلك أن التلاوة والقراءة كاللفظ؛ قد يراد به مصدر تلا يتلو تلاوة، وقرأ يقرأ قراءة، ولفظ يلفظ لفظًا، ومسمى المصدر هو فعل العبد وحركاته، وهذا المراد باسم التلاوة والقراءة، واللفظ مخلوق وليس ذلك هو القول المسموع الذي هو المتلو. وقد يراد باللفظ الملفوظ، وبالتلاوة المتلو، وبالقراءة المقروء، وهو القول المسموع، وذلك هو المتلو، ومعلوم أن القرآن المتلو الذي يتلوه العبد ويلفظ به غير مخلوق، وقد يراد بذلك مجموع الأمرين. فلا يجوز إطلاق الخلق على الجميع ولا نفي الخلق عن الجميع^(٥).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/٣٦٤ - ٢٦٦، ٣٧٣، ٣٩٥، ٤٢١، ٤٣٠)، ومختصر الصواعق (٥١٢) [دار الحديث، ط ١، ١٤٢٢هـ].
(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/٣٧٣، ٤٢١).

(١) خلق أفعال العباد (٢/٧٠) [دار أطلس الخضراء، ط ١، ١٤٢٥هـ].
(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/٥٠٣، ٥٣٥).
(٣) وهم القدريّة.

- المسألة الثالثة: أول من تكلم بمسألة اللفظ:

والملفوظ وبين التلاوة والتمتلو، أرادوا بذلك أن أفعال العباد ليس هي كلام الله، ولا أصوات العباد هي صوت الله، وهذا مقصود صحيح.

أما الأشاعرة فيقولون: اللفظ غير الملفوظ وهو مخلوق، يريدون باللفظ: القرآن العربي، وبالملفوظ: المعنى القائم بالذات. فالله تعالى عندهم لم يتكلم بالقرآن العربي بل عندهم أن القرآن العربي مخلوق^(٣).

❁ مذهب المخالفين:

خالف في المعتقد الحق في هذه المسألة: الجهمية القائلون بخلق القرآن؛ فكانوا يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، ويعنون: أن كلام الله مخلوق؛ تسترًا واحتماء بهذا القول عن إظهار بدعتهم!^(٤)

وخالف في هذا أيضًا: اللفظية النافية (الحلقيّة)، الذين يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة غير قديمة، والتلاوة غير المتلو، والقراءة غير المقروء، والكتابة غير المكتوب. ويقولون: المنزل إلى الأرض من الحروف والمعاني ليس هو نفس كلام الله؛ بل ربما سموها حكاية

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/٣٧٤)، ومختصر الصواعق المرسله (٥٠٩) [دار الحديث، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٦٥٥، ١٢/٢٠٦)، ودرء التعارض (١/٢٦٠).

أول من ابتدع هذه المسألة^(١) هو: حسين الكرايسي - وتابعه: تلميذه داود بن علي الأصبهاني الظاهري وطائفة -، وبدّعه الإمام أحمد بن حنبل، ووافقته على تبديعه علماء الأمصار؛ مثل: الإمام إسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم، وأحمد بن صالح المصري، وابن منده، وغيرهم كثير رحمهم الله.

وهذه المقالة المحدثه أتوا بها ليتذرعوا بها إلى القول بخلق القرآن، فكانت هذه المقالة أضرم على الناس مما فيه تصريح بالقول بخلق القرآن، فصارت اللفظية شرًا من الجهمية كما قرر ذلك أئمة السلف وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل^(٢).

❁ الفروق:

الفرق بين قول أهل السنة ممن يرى التفريق بين اللفظ والملفوظ وبين قول الأشاعرة:

أهل السنة الذين يفرقون بين اللفظ

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٦٠٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣]، والحجة في بيان المحجة (١/٣٤٠)، ومجموع الفتاوى (٦/١٧٧، ١٢/٥٧٣)، وسير أعلام النبلاء (١١/٢٨٩، ٥١٠، ١٣/١٠٠)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/٤٩٢).

(٢) انظر: السنة للخلال (٧/٨٤)، وطبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/١٧٣، ٣٢٨) [دار المعرفة]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/٤٠٧).

اللوح المحفوظ

التعريف لغة:

اللوح: قال ابن فارس رَكَّبَهُ: «اللام والواو والحاء أصل صحيح معظمه مقاربة باب اللِّمعان، يقال: لاح الشيء يلوح؛ إذا لمح ولمع، والمصدر اللوح»^(٢).

اللوح: الذي يكتب فيه، وهو صفيحة من صحائف الخشب، والكتف إذا كتب عليه سمي لوحًا، واللوح: كل عريض، ولهذا يقال: الألواح من الجسد كل عظم فيه عرض^(٣).

المحفوظ: قال ابن فارس رَكَّبَهُ: «الحاء والفاء والطاء أصل صحيح واحد يدل على مراعاة الشيء؛ يقال: حفظت الشيء حفظًا»^(٤).

والمحفوظ: من حفظت الشيء؛ أي: حرصته، وحفظته بمعنى: استظهرته، والمحافظة: المراقبة، والحفظ: نقيض النسيان، وهو التعاهد، وقلة الغفلة^(٥).

(٢) مقاييس اللغة (١٣١/٦) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٢٤٨/٥) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ومقاييس اللغة (١٣١/٦)، والصحاح للجوهري (٤٠٢/١) [دار العلم للملايين، ط٣].

(٤) مقاييس اللغة (٨٧/٢).

(٥) انظر: الصحاح للجوهري (١١٧٢/٣)، ولسان العرب (٢٤٢/٣).

عن كلام الله كما يقوله ابن كُلاب أو عبارة عن كلام الله كما يقوله الأشعري. وقالوا: ليس كلام الله إلا مجرد المعنى وإن الحروف ليست من كلام الله^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاختلاف في اللفظ»، لابن قتيبة.
- ٢ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للتمي.
- ٣ - «خلق أفعال العباد»، للبخاري.
- ٤ - «السنة» (ج ٧)، للخلال.
- ٥ - «السنة»، لعبد الله بن أحمد.
- ٦ - «شرح أصول الاعتقاد» (ج ٢)، للالكائي.
- ٧ - «الشرعية»، للأجري.
- ٨ - «صريح السنة»، لابن جرير الطبري.
- ٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣، ٦، ٧، ٨، ١٢)، لابن تيمية.
- ١٠ - «مختصر الصواعق المرسله»، لابن القيم.

لقاء الله

يراجع مصطلح (الرؤية).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/٣٧٥، ٣٧٦).

التعريف شرعاً:

وكل هذه الأسماء دلّ عليها القرآن الكريم في غير ما آية.

الحكم:

يجب الإيمان باللوح المحفوظ، وأن الله كتب فيه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة^(٥).

الحقيقة:

حقيقة اللوح المحفوظ هو مما استأثر الله بعلمه، فلا يعلم حقيقته وكيفيته إلا الله ﷻ.

قال ابن عثيمين رحمته الله: «اللوح المحفوظ لا نعرف ماهيته من أي شيء، أمن خشب، أم من حديد، أم من ذهب، أم من فضة، أم من زمردة؟ فالله أعلم بذلك، إنما نؤمن بأن هناك لوحاً كتب الله فيه مقادير كل شيء، وليس لنا الحق في أن نبحث وراء ذلك، لكن لو جاء في الكتاب والسنة ما يدلنا على شيء، فالواجب أن نعتقه»^(٦).

المنزلة:

الإيمان باللوح المحفوظ هو من الإيمان بالقدر؛ لأن من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بأن الله كتب كل شيء

هو الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق، وأثبت فيه كل شيء، وما هو كائن، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة^(١). قال ابن تيمية رحمته الله: «فإن اللوح المحفوظ الذي وردت به الشريعة كتب الله فيه مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»^(٢).

سبب التسمية:

سمي باللوح المحفوظ؛ لأن الشياطين لا يمكنهم التنزّل به؛ لأن محله محفوظ أن يصلوا إليه، وهو في نفسه محفوظ أن تقدر الشياطين على الزيادة فيه والنقصان، فالله سبحانه حفظ محله، وحفظه من الزيادة والنقصان، والتبديل^(٣).

الأسماء الأخرى:

أم الكتاب، الكتاب، الذكر، إمام مبين، الزبر^(٤)، الكتاب المكنون، الكتاب المسطور.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣٤/١٧) [دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ]، وشفاء العليل (١/١٦٣) [دار العيكان، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٢) الرد على المنطقيين (٥١٨) [مؤسسة الريان، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٣) انظر: تفسير البغوي (٤/٥٩٢) [دار طيبة الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ]، والتبيان في إيمان القرآن (١٥٦) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٤) انظر: شفاء العليل (١/١٦٣)، والمباحث العقديّة المتعلّقة باللوح المحفوظ لعادل بن حجي (١٣٢ - ١٤٨) [رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة].

(٥) انظر: الرسالة الوافية للداني (٦١) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٩هـ].

(٦) شرح العقيدة الواسطية (٣/١٤٨، ١٤٩) [دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤١٧هـ].

الرُّبْرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾
[القمر]

ومن السُّنَّة: حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان الله تبارك وتعالى قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح ذكر كل شيء»^(٢).

وفي لفظ آخر: قال رسول الله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض»^(٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء»^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الإمام أحمد رحمته الله: «واللوح المحفوظ حق، تستنسخ منه أعمال العباد، مما سبقت فيه المقادير والقضاء»^(٥).

وقال أبو عمرو الداني رحمته الله: «ومن

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: أحمد (١٠٧/٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وقال ابن القيم رحمته الله في اجتماع الجيوش الإسلامية (٦٨) [دار البيان، ط ٤]: «حديث صحيح، أصله في البخاري».

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣١٩١).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٣).

(٥) السُّنَّة للإمام أحمد (٤٧) [مكتبة السُّنَّة المحمدية القاهرة، ط ١٣٧٥هـ]

عنده في اللوح المحفوظ، فلا يتم إيمان العبد إلا بالإيمان بالقدر ومراتبه التي دلَّ عليها القرآن والسُّنَّة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وتؤمن الفرقة الناجية من أهل السُّنَّة والجماعة بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين: فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله ﷻ عليم بالخلق، وهم عاملون بعلمه القديم، الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي، والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلاً: فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء»^(١).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿١٢﴾﴾ [البروج]، وقال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي

(١) العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (١٤٨/٣).

(١٤٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ٢].

ذلك، مما هو أعلم به، إما بحجة يحتج بها على بعض ملائكته، وإما على بني آدم، وغير ذلك»^(٣).

❁ مذهب المخالفين:

خالف فلاسفة الصوفية في حقيقة اللوح المحفوظ، وادعوا أنه النفس الفلكية، وقالوا: إن العارف قد يطلع على اللوح المحفوظ، ونحو ذلك مما يعلم بطلانه بدلالة الشرع والعقل.

قال ابن تيمية رحمته الله: «فإن ابن سينا وأمثاله يدعون أن ما يحصل للنفس البشرية من العلم، والإنذارات، والمنامات إنما هو فيض العقل الفعال، والنفس الفلكية، وإذا أرادوا أن يجمعوا بين الشريعة والفلسفة قالوا: إن النفس الفلكية هي اللوح المحفوظ، كما يوجد مثل ذلك في كلام أبي حامد في كتاب الإحياء^(٤)، والمضنون، وغير ذلك من كتبه، وكما يوجد في كلام من سلك سبيله من الشيوخ المتفلسفة المتصوفة، يذكرون اللوح المحفوظ، ومرادهم به النفس الفلكية، ويدعون أن العارف قد يقرأ ما في اللوح المحفوظ، ويعلم به»^(٥).

(٣) تفسير الطبري (٧/٢٦٧، ٢٦٨).

(٤) انظر: إحياء علوم الدين (٣/٢٣) [دار الكتب العلمية].

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٩/٣٩٨).

قولهم: إن الإيمان باللوح المحفوظ وبالقلم واجب، على ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج]»^(١).

وقال النووي رحمته الله: «قال العلماء: وكتاب الله تعالى ولوحه، وقلمه، والصحف المذكورة في الأحاديث كل ذلك يجب الإيمان به، وأما كيفية ذلك، وصفته فعلمها إلى الله تعالى، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء»^(٢).

❁ الحكمة:

قال ابن جرير رحمته الله: «فإن قال قائل: وما وجه إثباته في اللوح المحفوظ، والكتاب المبين ما لا يخفى عليه، وهو بجميعة عالم لا يخاف نسيانه؟

قيل له: لله تعالى فعل ما شاء، وجائز أن يكون كان ذلك منه امتحاناً منه لحفظته، واختباراً للمتوكلين بكتابة أعمالهم؛ فإنهم - فيما ذكر - مأمورون بكتابة أعمال العباد، ثم بعرضها على ما أثبتته الله من ذلك في اللوح المحفوظ، حتى أثبت فيه ما أثبت كل يوم، وقيل: إن ذلك معنى قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية]، وجائز أن يكون ذلك لغير

(١) الرسالة الوافية (٦١).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/٤١٣، ٤١٤) [دار المعرفة، ط ١٠٥٠، ١٤٢٥هـ].

صَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ
لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ
أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٩﴾
[الأعراف]

قال ابن تيمية: «فإن اللوح المحفوظ
الذي وردت به الشريعة كتب الله فيه
مقادير الخلائق، قبل أن يخلق
السموات والأرض بخمسين ألف سنة،
واللوح المحفوظ لا يطلع عليه
غير الله» (٤).

وقال سليمان بن عبد الله معلِّقًا على
كلام البوصيري: «فجعل الدنيا والآخرة
من جوده، وجزم بأنه يعلم ما في اللوح
المحفوظ وكل ذلك كفر صريح» (٥).

وقال ابن باز: «اللوح المحفوظ لا
يطلع عليه إلا الله ﷻ، وهذا من كلام
مخرفي الصوفية، الذين يلبسون على
الناس ويغشونهم، نسأل الله العافية،
فاللوح المحفوظ لا يطلع عليه
إلا الله ﷻ، هو الذي جعله، وهو الذي
يطلع عليه، ومن زعم أنه يعلم ما فيه
فهو كافر يستتاب من ولادة الأمور، فإن
تاب، وإلا وجب قتله؛ حماية للمسلمين
من شره وفتنته» (٦).

(٤) الرد على المنطقيين (٥١٨، ٥١٩).

(٥) تيسير العزيز الحميد (٢٦٣) [المكتب الإسلامي،
ط١، ١٤٢٣هـ].

(٦) فتاوى نور على الدرب لابن باز (٢٤١/١) [دار
الوطن، ط١، ١٤١٨هـ].

وهذا ظاهر البطلان بما تقدم تقريره
في المفهوم الشرعي للوح المحفوظ من
أدلة القرآن، وأقوال أهل العلم.

قال ابن تيمية: «وهذا باطل مخالف
لدين المسلمين، وغيرهم من أتباع
الرسول» (١).

وتفرع عن هذا القول ما ادعاه
البوصيري في برده من أن النبي ﷺ
يعلم ما في اللوح المحفوظ، فقال:

«فإن من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم» (٢)

وتبعه أحمد شوقي في هذا الغلو فقال:

«خطت للدين والدنيا علومهما

يا قارئ اللوح بل يا لامس القلم» (٣)

وهذا ظاهر البطلان، بل هو كفر
صريح، لا يقره النبي الكريم عليه أفضل
الصلاة والتسليم، والأدلة على بطلان
هذه الأقوال كثيرة.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى
الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال تعالى:
﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ
إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالى في
حق نبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي
خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٠]،
وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا

(١) الرد على المنطقيين (٥١٩).

(٢) قصيدة البردة (٨) [دار الفكر].

(٣) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ (٨) [دار
الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ].

المصادر والمراجع:

معنى اسمه لغة:

اختلف في لفظ (لوط)؛ أهو عربي أم أعجمي؟ على قولين:

القول الأول: أنه اسم عربي مشتق من: لاط الشيء بقلبه؛ إذا تعلق به. قال ابن فارس: «اللام والواو والطاء كلمة تدل على اللصوق. يقال: لاط الشيء بقلبي؛ إذا لصق»^(٢).

وقال الراغب: «لوط: اسم علم، واشتقاقه من: لاط الشيء بقلبي يلوط لوطًا وليطًا... وهذا أمر لا يلتاط بصفري؛ أي: لا يلصق بقلبي، ولطت الحوض بالطين لوطًا: ملطته به»^(٣).

القول الثاني: أنه اسم أعجمي، قال الجوهري: «لوط: اسم ينصرف مع العجمة والتعريف»^(٤). وأورده الجواليقي في (المعرب)، وذكر أنه اسم أعجمي معرب ولم يذكر له معنى^(٥). وبه احتج الدكتور ف. عبد الرحيم على أن لوطًا اسم أعجمي، فقال: «الصحيح أنه

١ - «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج ٨)، للقاضي عياض.

٢ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٣ - «الحجة في بيان المحجة»، لأبي القاسم التيمي.

٤ - «الرد على المنطقيين»، لابن تيمية.

٥ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٦ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

٧ - «العقيدة الواسطية»، لابن تيمية.

٨ - «العقيدة الطحاوية مع شرحها»، لابن أبي العز.

٩ - «معارج القبول»، لحافظ بن أحمد حكيم.

١٠ - «المباحث العقدية المتعلقة باللوح المحفوظ والقلم»، لعادل بن حجي.

٣٤٦، و٤٠٨ [دار هجر، ط ١، ١٤١٨هـ]، وتفسير

ابن كثير (١٥٧/٦) [دار طيبة، ط ٢].

(٢) مقاييس اللغة (٢٢١/٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]

وانظر: تهذيب اللغة (١٨/١٤، ١٩) [دار إحياء

التراث العربي، بيروت، ط ١]، والصاح للجوهري

(٣/١١٥٨) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٣) المفردات في غريب القرآن (٧٥٠، ٧٥١) [دار

القلم، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٤) الصاح للجوهري (٣/١١٥٨).

(٥) انظر: المعرب من كلام الأعجمي (٥٦٣) [دار

القلم، ط ١، ١٤١٠هـ].

لوط

اسمه ونسبه:

لوط هو: ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام؛ هاران بن آزر^(١).

(١) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٠٦/٥٠) [دار

الفكر، ١٤١٥هـ]، والمنتظم في التاريخ (١/٢٦٢)

[دار الكتب العلمية، ط ١]، والبداية والنهاية (١/

وفي إقليمها أرسل بعد ذلك في حياة إبراهيم^(٥)، والله أعلم.

نبوته:

ذكر الله نبوة لوط عليه السلام ورسالته بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات].

دعوته:

دعا لوط قومه إلى الله ﷻ؛ أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم أحد من الخلائق إلى فعله، من إتيان الذكران دون الإناث^(٦).

كما حكاه الله تعالى عنه بقوله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نُنْفِقُونَ﴾ [١١٦] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [١١٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [١١٦] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١١٦] ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [١١٥] ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [١١٦] [الشعراء].

وبقوله سبحانه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ

معرَّب، قال الجوهري: «لوط اسم ينصرف مع العجمة والتعريف». وهو بالعبرية: (לוט)، وبالسريانية: (ܠܘܬܐ)^(١). وممن رجع القول الثاني بدر الدين العيني، فقال: «وذكر الله لوطًا في القرآن في سبعة عشر موضعًا، وهو اسم أعجمي، وفيه العلمية والعجمة، ولكنه صُرف لسكون وسطه، وقيل: اسم عربي من: لاط؛ لأن حبه لاط بقلب إبراهيم عليه السلام؛ أي: تعلق ولصق»^(٢).

مولده ونشأته:

الظاهر: أن لوطًا ولد في أرض الكلدانيين، وهي أرض بابل، ونشأ بها، لما ذكره ابن كثير^(٣) من أن إبراهيم ولد في أرض الكلدانيين، وأن أخاه هاران توفي فيها، فهاجر منها آزر بابنه إبراهيم وابن ابنه لوط إلى أرض الكنعانيين، وهي بلاد بيت المقدس، ومعلوم أن إبراهيم أكبر من لوط، وأنه اهتدى على يديه، كما قال الله تعالى: ﴿فَتَأْمَنُ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت]. ثم أشار إليه إبراهيم أن ينزل إلى سدوم، فنزل بها^(٤)، وفيها

والبداية والنهاية (١/٣٢٥)، وقصص الأنبياء لابن كثير (١/٢٥٤) [دار التأليف، القاهرة، ط١، ١٣٨٨هـ]، وصحيح قصص الأنبياء لسليم الهلالي (١٥٩).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٦/٢٧٣).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٦/١٥٧).

(١) المعرب من كلام الأعجمي (٥٦٣) الحاشية.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/٢٦٧) [دار إحياء التراث العربي، بيروت].

(٣) انظر: البداية والنهاية (١/٣٢٥).

(٤) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/٢٨٣)،

وقال السعدي: «أرسل الله لوطًا إلى قومه، وكانوا مع شركهم، قد جمعوا بين فعل الفاحشة في الذكور، وتقطيع السبيل، وفشو المنكرات في مجالسهم، فنصحهم لوط عن هذه الأمور، وبين لهم قبائحها في نفسها، وما تؤول إليه من العقوبة البليغة»^(٢).

❁ قومه وموقفهم منه:

قوم لوط كانوا أمة عظيمة، قد بعثه الله إليهم في حياة إبراهيم، وكانوا يسكنون في (سدوم)^(٣) وأعمالها التي أهلكها الله بها، وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة، وهي مشهورة ببلاد الغور، متاخمة لجبال البيت المقدس، بينها وبين بلاد الكرك والشوبك^(٤). قال ابن الجوزي: «بُعث إلى أهل سدوم، فكانوا أهل كفر بالله وركوب الفاحشة»^(٥).

ولذا واجهوا نبيهم لوطًا ﷺ بالتكذيب والتهديد بالإبعاد إن لم يكف عن دعوتهم إلى توحيد الله وطاعته ونبذ الشرك، والخضوع له، ونهيهم عن الفواحش، لا سيما التي انفردوا بها عن العالمين، كما حكاها الله سبحانه عنهم

لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لِنَاتُونَ الرِّجَالَ شَمْوَةَ مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ ﴿٥٥﴾ [النمل].

وبقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَفْقَهُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ [هود].

وبقوله ﷻ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لِنَاتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَفَعَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾ أَيْنَكُمْ لِنَاتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ﴿٧٩﴾ [العنكبوت: ٢٨، ٢٩].

قال ابن كثير في هذه الآية: «يقول تعالى مخبرًا عن نبيه لوط ﷺ أنه أنكر على قومه سوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال، في إتيانهم الذكران من العالمين، ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم. وكانوا مع هذا يكفرون بالله، ويكذبون رسوله ويخالفونه ويقطعون السبيل؛ أي: يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم»^(١).

(٢) تفسير السعدي (٦٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٣) سدوم: هي إحدى مدائن قوم لوط. انظر: معجم البلدان للحموي (٢٠٠/٣) [الناشر: دار صادر].

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٣٤٠، ٥/٣٥٤، ٦/١٥٧).

(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/٢٨٣).

(١) تفسير ابن كثير (٦/٢٧٦).

فقال: ﴿كَذَبْتَ قَوْمٌ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشعراء]، وقال: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾﴾ وَقَوْمٌ إِزْهَمَ وَقَوْمٌ لُوطٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الحج]، وقال: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَنطُوطٌ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء]، وقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطِغُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النمل]، وقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَتَيْنَا بَعْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [العنكبوت].

وبعد إصرارهم على الشرك والكفر، والتكذيب لنبي الله لوط، وتحديهم إياه بالإتيان بالعذاب إن كان من الصادقين، وتهديده وتوعده بالانتقام، ويأسه منهم، وعلمه باستحقاقهم العذاب، لجأ لوط إلى ربه بطلب النصر والتأييد، ودعا على هؤلاء المفسدين^(١)، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت]، فاستجاب الله دعاءه وأرسل إليه الملائكة لإهلاكهم، وأنجاه وأهله إلا امرأته، وأهلك أهل الكفر والتكذيب والعناد، كما قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ الْكافِرَ وَالْمُكذِّبَ وَالْعَنَادَ﴾، كما قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ فَذَرْنَهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [النمل]،

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا فَانصُرْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِعَاءً بِهِمْ وَضَافَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تُحَنَّنْ إِنَّنَا مُنذِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ إِنَّا مُنذِرُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [العنكبوت]، وقال: ﴿قَالُوا يَنطُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفُتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود].

ولما أراد الله إهلاك قوم لوط أمر الملائكة لوطاً أن يسري بأهله ليلاً، ولما أصبحوا قلب الله عليهم ديارهم، فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل متتابعة حتى أبادتهم وأهلكتهم، فصاروا سمراً من الأسمار، وعبرة من العبر^(٢).

قال ابن كثير: «إن الله تعالى أهلكهم عن آخرهم؛ بتكذيبهم نبي الله لوطاً ﷺ»

(٢) انظر: تفسير السعدي (٦٣٠).

(١) وانظر: تفسير السعدي (٦٣٠).

فاقتلوا الفاعل والمفعول به»^(٤)، لهذه الأمور كلها لا يجوز نسبة فاعل عمل قوم لوط إلى لوط ﷺ^(٥).

وأما استعمالات بعض أهل العلم لهذا المصطلح فلا حجة فيه؛ لأن الحجة في قول الله ورسوله ﷺ، وقد علم مخالفة هذا المصطلح للشرع واللغة، واستعمالات العلماء لهذا المصطلح مبني على اجتهاد ماجورين عليه، لا سيما وأن هناك روايات ضعيفة فيها هذه التسمية، ولا حجة فيما لم يصح، والله أعلم.

- المسألة الثانية: خيانة امرأة لوط ﷺ لزوجها وبيان نوع هذه الخيانة:

لقد تقدم بيان هلاك زوج نبي الله لوط ونجاة بقية أهله، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَهُ قَدَرْنَا مِمَّنَ الْغَيْرِيبِ﴾^(٥٧) [النمل]، وجاء في النصوص الشرعية بيان سبب هلاكها ودخولها في النار، وهو خيانة زوجها في

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الحدود، رقم ٤٤٦٢)، والترمذي (أبواب الحدود، رقم ١٤٥٦)، وابن ماجه (كتاب الحدود، رقم ٢٥٦١)، وأحمد (٤/٤٦٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الحدود، رقم ٨٠٤٩) وصححه، وصححه ابن عبد الهادي في المحرر (١/٦٢٤) [دار المعرفة، ط ٣]، والألباني في الإرواء (١٦/٨) [المكتب الإسلامي، ط ٢].

(٥) انظر: معنى لفظ (لوط) اللغوي المتقدم، ومعجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد (٤٦١) [دار العاصمة، ط ٣] وفيها هم اقتده لعثمان الخميس (٢٦٠) [دار إيلاف الدولية، ط ١، ١٤٣١هـ].

وإتيانهم الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين»^(١).

وفاته:

قيل: إن لوطًا ﷺ توفي عن ثمانين سنة، وعلى هذا القول تكون وفاته قبل نبي الله إبراهيم ﷺ بسنين^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم تسمية عمل قوم لوط باللواط:

هذه التسمية غير جائزة لأمرين:
الأمر الأول: أن لوطًا لا صلة له بهذه الفاحشة النكراء، فنسبة فاعلها إليه في غاية الشناعة.

الأمر الثاني: أن في تسمية عمل قوم لوط باللواط ترويح لهذه الفاحشة وتسمية لها بغير اسمها؛ لأن عمل قوم لوط في غاية الفساد في الأرض، وأما اللواط فمن معانيها الإصلاح، كما جاء في حديث خروج الدجال وفيه: «وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله»^(٣)، وعليه فلا ينبغي أن يسمى إلا باسمه الذي سماه به النبي ﷺ، كما في حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٧٤).

(٢) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/٢٨٥).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراف الساعة، رقم ٢٩٤٠).

لحرمة الأنبياء، كما قدمنا في سورة النور^(٤).

- المسألة الثالثة: عصمة الأنبياء:

اتفق أهل العلم على أن الأنبياء معصومون بعد النبوة من الشرك وكبائر الذنوب^(٥)، ومعصومون في التبليغ عن الله، ومن الصغائر الخسيسة^(٦)، وأما ما دونها من الصغائر فيجوز وقوعها منهم، لكنهم لا يقرون عليها، بل يتوبون منها وأن الله يسددهم^(٧).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بعدما حكى الخلاف بين الأصوليين في عصمة الأنبياء من الصغائر: «الذي يظهر لنا أنه الصواب في هذه المسألة أن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - لم يقع منهم ما يزري بمراتبهم العلية، ومناصبهم السامية، ولا يستوجب خطأً منهم، ولا نقصاً فيهم - صلوات الله وسلامه عليهم -، ولو فرضنا أنه وقع منهم بعض الذنوب؛ لأنهم يتداركون ما

(٤) تفسير ابن كثير (١٧١/٨).

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦٩/٨)، وإرشاد الفحول للشوكاني (١٩٠/١) [دار الفضيلة، ط ١، ١٤٢١هـ]، والقول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (٣٠٩/٢)، وفيهدهم اقتده لعثمان الخميس (٣٣).

(٦) انظر: البرهان في أصول الفقه للجويني (فقرة: ٣٨٦ وما بعدها) [دار الأنصار، القاهرة]، وفيهدهم اقتده لعثمان الخميس (٣٣).

(٧) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢٥٣/١) [ط ٦، ١٤١٧هـ].

قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحریم].

والمراد بهذه الخيانة هنا: هي خيانة الدين وهي الكفر برسالتهم وتكذيب نبوتهم وشريعتهم، وعدم الدفاع عنهما، فقد أخرج ابن جرير بسند حسن^(١) عن قتادة؛ أنه قال في الآية: «هاتان زوجتا نبيي الله، لما عصتا ربهما لم يغن أزواجهما عنهما من الله شيئاً»^(٢). ولم تكن هذه الخيانة بالزنا، وإنه لم تزن زوجة نبي قط^(٣)، قال ابن كثير: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾؛ أي: في الإيمان، لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقاهما في الرسالة، فلم يجد ذلك كله شيئاً، ولا دفع عنهما محذوراً؛ ولهذا قال: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [التحریم]؛ أي: لكفرهما، ﴿وَقِيلَ﴾؛ أي: للمراتين: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [١٠] وليس المراد: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في

فاحشة، بل في الدين؛ فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة؛

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور لحكمت بشير ياسين (٥١٢/٤) [دار المآثر، المدينة النبوية، ط ١].

(٢) تفسير الطبري (١١٤/٢٣) [دار حجر، ط ١].

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٤٦/٩) [دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ]، وتفسير ابن كثير (٣٢٧/٤)، وتفسير السعدي (٨٧٤).

هذا الإشكال، وهو العودة إلى ملة الأ أقوام، فقال: «فاعلم أن المسألة شاعت وذاعت واشتهرت وانتشرت، والخلاف فيها قديم بين أهل السنة والمعتزلة، وبين أهل السنة بعضهم لبعض، والذي روى ابن أبي حاتم عن عطية عن ابن عباس: «كانت الرسل والمؤمنون يستضعفهم قومهم ويقهرونهم ويدعونهم إلى العودة إلى ملتهم، فأبى الله لرسله والمؤمنين أن يعودوا في ملتهم وفي ملة الكفر، وأمرهم أن يتوكلوا عليه»^(٢)، وقد رواه السدي عن أشياخه، وتأوله عطية على أنه العود إلى السكوت كما كان الرسل قبل الرسالة؛ وأنهم كانوا أغفلاً قبل؛ أي: لا علم بما جاءهم من عند الله، قال: وذلك عند الكفار عود في ملتهم. وهذا الذي رأته منصوصاً عن أئمة السلف»^(٣).

وبعضهم فرق بين حال نبينا محمد الذي كان معصوماً من الوقوع في الشرك، كما هو معروف من سيرته، وغيره من الأنبياء، فذكروا أنه لا يستحيل أن يكون على ملة قومه، ولا يلزم أن يكون قد عبد الأصنام، بل يظل على السكوت وعدم الإنكار عليهم^(٤).

وقع منهم بالتوبة، والإخلاص، وصدق الإنابة إلى الله حتى ينالوا بذلك أعلى درجاتهم، فتكون بذلك درجاتهم أعلى من درجة من لم يرتكب شيئاً من ذلك. ومما يوضح هذا قوله تعالى: ﴿...وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١١٦﴾ ثُمَّ أَجْبَنَهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١١٧﴾﴾ [طه]، فانظر أي أثر يبقى للعصيان والغي بعد توبة الله عليه واجتباؤه؛ أي: اصطفاؤه إياه، وهدايته له، ولا شك أن بعض الزلات ينال صاحبها بالتوبة منها درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب تلك الزلة. والعلم عند الله تعالى»^(١).

وأما قبل النبوة فهل كانوا على عقيدة أقوامهم من الشرك ونحوه أم لا؟ وهل يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ ﴿١٢٦﴾﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [إبراهيم]، ففي الآية الأولى أن لوطاً آمن، وفي الثانية أن الأنبياء هُددوا؛ إما بالإخراج من القرية وإما العودة إلى ملة أقوامهم وهم لم يدخلوا فيها أصلاً، وقد أجاب الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن على

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١١٩/٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٤٤/١٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن أبي حاتم (٢٢٣٧/٧) [مكتبة نزار الباز، ط٣].

(٣) عيون الرسائل والأجوبة على المسائل لعبد اللطيف آل الشيخ (١/٣٤٢ - ٣٤٤) [مكتبة الرشد، ط١].
(٤) المرجع السابق (١/٣٤٢) الحاشية رقم (٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «تفسير الطبري» (ج ٢٣).
- ٢ - «تاريخ دمشق» (ج ٥٠)، لابن الهلالي.
- ٣ - «المنتظم في تاريخ الملوك أبو زيد.
- ٤ - «تفسير القرطبي» (ج ٩).
- ٥ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن الخميس.
- ٦ - «تفسير ابن كثير» (ج ٦).
- ٧ - «قصص الأنبياء» (ج ١) لابن كثير.
- ٨ - «صحيح قصص الأنبياء»، لسليم عساكر.
- ٩ - «فبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء ﷺ»، لعثمان.
- ١٠ - «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء ﷺ»، لإبراهيم العلي.



حرف الميم

التعريف شرعاً:

المؤمن: هو المصدّق لرسله وأنبيائه بما جاؤوا به بالآيات البينات، والبراهين القاطعات، والمؤمّن خلقه من أن يظلمهم، والمؤمّن عباده المؤمّنين من عذابه يوم القيامة^(٣).

وكل هذه الأقوال قد جاءت بها الآثار عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة التفسير^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يشارك مدلول اسم المؤمن الشرعي

- [١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٢٨/١) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢هـ].
- (٣) انظر: شأن الدعاء (٤٥، ٤٦) [دار الشقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، وتفسير البغوي (٨/٨٧) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، وتفسير السعدي (١٠٠٧) [دار السلام، ط٢، ١٤٢٢هـ]، ومعارج القبول (١/٣٦) [دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٣٠هـ]، وعقيدتنا عقيدة القرآن والسنة لمحمد هراس (١٦٠) [دار الكتاب والسنة، ط١، ١٤٢٧هـ].
- (٤) انظر: تفسير الطبري (٣٠٢/٢٣ - ٣٠٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والتوحيد لابن منده (٦٨/٢) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط٢]، وتفسير البغوي (٨/٨٧)، وزاد المسير (٨/٢٢٥ - ٢٢٦) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ]، وتفسير القرطبي (١٨/٤٥) [دار عالم الكتب، ط٢، ١٤٢٣هـ]، وتفسير ابن كثير (٨/٨١) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (١٨٠، ١٨١) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

المؤخر

يراجع مصطلح (المقدم المؤخر).

المؤمن

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان؛ أحدهما: الأمانة، التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق، والمعنيان كما قلنا متدانيان»^(١).

المؤمن اسم فاعل من الإيمان، ومن معانيه التصديق والثقة والاطمئنان الذي هو ضد الخوف، يقال: آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف]؛ أي: بمصدّق لنا التصديق الذي يكون معه أمن^(٢).

- (١) مقاييس اللغة (١/١٣٣) [دار الجبل، ط١٤٢٠هـ].
- (٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥/٥١٠ - ٥١٦) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٨٦، ٨٧) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٥/٢٠٧١، ٢٠٧٢) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٩٠، ٩١) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٥١٨) [مؤسسة الرسالة، ط٥،

والمؤمن: من آمن خلقه من أن يظلمهم، وأمن عباده المؤمنين من عقابه وعذابه، وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما: «هو الذي آمن الناس من ظلمه، وآمن من آمن به من عقابه»^(٣).

والمؤمن: تصديقه لأنبيائه ورسله بالحجج والبراهين، لما جاؤوا به من البيئات والهدى.

والمؤمن: أن يصدق عباده ما وعدهم من التمكين، والنصر في الدنيا، وأن يصدق ما وعد عباده المؤمنين من الثواب في الآخرة.

الادلة:

قال الله تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ﴾ [الحشر: ٢٣].
وورد في السنة ما يدل على معناه، منه ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الرجل الذي قتل نفسه وفيه أنهم قالوا: «يا رسول الله صدق الله حديثك»^(٤).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول»^(٥).

مع العديد من معانيه في اللغة، فالله تعالى هو المؤمن الذي أعطى الأمن والأمان لعباده المؤمنين، وأمّنهم في الدنيا والآخرة، وهو الذي صدّق رسله وأنبيائه بالحجج والادلة والبراهين القاطعات، والمؤمن في اللغة: واهب الأمن.

الحكم:

يجب الإيمان بثبوت اسم المؤمن لله تعالى، وأنه من أسمائه الحسنی، وأنه متضمن لمعانٍ جليّة، تليق بجلاله وعظمة سلطانه.

الحقيقة:

حقيقة المؤمن تتضمن معاني عظمة وجليّة، تتلخص فيما يأتي:

المؤمن: هو الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال، ومن هذا قول مجاهد بن جبر رضي الله عنه: «المؤمن: هو الذي وحد نفسه بقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]»^(١).

والمؤمن: تصديقه سبحانه للشاهدين له بالتوحيد، والشهادة لهم بأن ما قالوه حق وصدق، وهذا معنى قول قتادة رضي الله عنه: «المؤمن: آمن لقوله أنه حق»^(٢).

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٥٠/٥) [عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٩١/٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ].

(٢) تفسير الطبري (٥٥٢/٢٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٩هـ]، وتفسير ابن كثير (١٣/٥٠٣) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٣) تفسير البغوي (٨٧/٨) [دار طيبة، ط ١٤١٢هـ]، وتفسير ابن كثير (١٣/٥٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٠٣) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١١).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم =

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري رحمته الله: «وقوله: ﴿الْمُؤْمِنُ﴾: يعني بالمؤمن: الذي يؤمن خلقه من ظلمه»^(١).

وقال ابن القيم رحمته الله: «من أسمائه المؤمن: وهو في أحد التفسيرين: المصدّق، الذي يصدق الصادقين، بما يقيم لهم من شواهد صدقه، فهو صدق رسله وأنبياءه فيما بلغوا عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون بالدلائل التي دلّ بها على صدقهم، قضاء وخلقاً»^(٢).

وقال السعدي رحمته الله: «المؤمن الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال والجمال، الذي أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيات، والبراهين وصدق رسله بكل آية وبرهان، يدل على صدقهم وصحة ما جاؤوا به»^(٣).

وقال حافظ الحكمي رحمته الله: «المؤمن: الذي آمن أوليائه من خزي الدنيا، ووقاهم في الآخرة عذاب الهاوية، وآتاهم في الدنيا حسنة، وسيحلهم دار المقامة في جنة عالية»^(٤).

= (٢٤٦٨)، ومسلم (كتاب الطلاق، رقم ١٤٧٩)، واللفظ له.

(١) تفسير الطبري (٥٥٢/٢٢).

(٢) مدارج السالكين (٣/٣٤٤) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٩هـ].

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٩) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

(٤) معارج القبول (١/٣٦) [دار ابن الجوزي، ط٦].

❁ الآثار:

من آثار الإيمان بهذا الاسم أن العبد المؤمن إذا أحسن لا يخاف لديه رحمته الله ظلماً ولا هضمًا، أو أن يضيع له مثقال ذرة؛ لأن الله عز وجل وعد - وهو الصادق في وعده - بتوفية العاملين المحسنين أجورهم، وإن كان مثقال ذرة؛ بل يضاعف الحسنات ويجزل المثوبات، كما أن المسيء لا يجازى إلا بمثل إساءته، ووعده إن هو تاب وأناب واستغفر بمحو السيئات والتجاوز عن الزلات، فسبحانه من جواد محسن كريم وهاب.

وعلى المؤمن أن يكون صادقاً في أقواله وأفعاله، ويتحرى الصدق والتصديق، حتى يكتب عند الله صديقاً مصدقاً.

وإذا وفى العبد بالأمانة التي حُمِّلها وأداها على أكمل وجه، فيكون بذلك قد آمن واستحق أن يسمى بالمؤمن^(٥).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «التوحيد»، لابن منده.

٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»،

للسعدي.

٣ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

٤ - «شرح أسماء الله»، للقططاني.

(٥) انظر في هذه الآثار: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٢٤١، ٢٤٢)، وفقه الأسماء الحسنى (١٨٢).

٥ - «عقيدتنا عقيدة القرآن والسنة»،

لمحمد هراس.

٦ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٧ - «فقه الأسماء الحسنی»،

لعبد الرزاق البدر.

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

القيام بأمر النار يحتاج إلى قوة

وشدة، ولذا كان من معاني (مالك) في

اللغة: القوة والشدة، يشهد له قول الله

تعالى: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَا أَنفُسِكُمْ

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا

مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١﴾ [التحریم].

الحكم:

يجب الإيمان بمالك ﷺ كما ورد به

النص، والإيمان به يدخل في عموم

وجوب الإيمان بالملائكة ﷺ.

المنزلة:

الإيمان بمالك ﷺ يدخل في الإيمان

بالملائكة ﷺ، والإيمان بالملائكة هو

الركن الثاني من أركان الإيمان الستة،

وأصل من أصوله العظيمة.

الأدلة:

ورد ذكره ﷺ في قول الله تعالى:

(٤) ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى

والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (٤٦)،

٤٧، ١٥١ - ١٥٣).

الماجد

يراجع مصطلح (المجيد).

مالك

التعريف لغة:

مالك مشتق من المُلْك، وهو القوة

والشدة^(١). قال ابن فارس: «الميم

واللام والكاف أصلٌ صحيح يدلُّ على

قوَّة في الشيء»^(٢). وقال ابن القيم:

«مالك هو اسم مشتق من الملك، وهو

القوة والشدة حيث تصرفت حروفه»^(٣).

(١) ينظر: لسان العرب (٤٩١/١٠) [دار صادر].

(٢) مقاييس اللغة (٣٥١/٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٢٢٢/١) [دار

عالم الفوائد، ط٢، ١٤٣٢هـ].

لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا
مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ [غافر].

وخزنة النار ﷻ موصوفون بالشدة والغلظة، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحريم]، قال ابن كثير: «أي: طباعهم غليظة، قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله، ﴿شِدَادٌ﴾ أي: تركيبهم في غاية الشدة والكثافة، والمنظر المزعج» (٤). ووصف النبي ﷺ مالكا في رؤياه التي ذكرها للصحابة ﷺ: «فانطلقنا فأتينا على رجل كربه المرأة كأكره ما أنت راء رجلاً امرأة، وإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها قال: قلت لهما: ما هذا؟ قال: قال لي: انطلق انطلق»، وفيه: «وأما الرجل الكربه المرأة الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم» (٥).

- المسألة الثانية: أسماء خزنة النار:

من أسماء خزنة النار: الزبانية، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿٧﴾ سَنَعُ الزَّيْبَانِيَةَ ﴿٨﴾ [العلق]، وعن ابن عباس ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فمر به أبو جهل بن

﴿وَأَدَاؤًا بِمَالِكَ لِيَقْضَىٰ عَيْنًا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مِّنْكَوْنٍ ﴿٧٧﴾ [الزخرف]، وقد جاء في السنة ذكر مالك وأنه خازن النار ورؤية النبي ﷺ له، فعن سمرة بن جندب ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياي قالا: الذي يوقد النار مالك خازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل» (١)، وعن ابن عباس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «رأيت ليلة أسري بي موسى،... ورأيت مالكا خازن النار» (٢).

○ المسائل المتعلقة (٣):

- المسألة الأولى: أعوان خازن النار:

لمالك خازن النار أعوان من الملائكة ﷺ، وهم خزنة النار، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّامًا حَقًّا إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٦﴾ [الزمر]، وقال ﷺ: ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْطِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ [الملك]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣٩).

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٥).

(٣) ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى

والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (١٥١ -

(٤) تفسير ابن كثير (١٦٨/٨) [دار طيبة، ط ٤].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٧٠٤٧).

٣ - «البدور السافرة في أمور الآخرة»، للسيوطي.

٤ - «البعث»، لأبي داود السجستاني.

٥ - «البعث والنشور»، للبيهقي.

٦ - «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (ج ١)، لابن القيم.

٧ - «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.

٨ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٩ - «عالم الملائكة الأبرار»، للأشقر.

١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكيمي.

١١ - «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، للعقيل.

١٢ - «يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار»، لصديق حسن خان.

هشام فقال: يا محمد، ألم أنك عن هذا؟ - وَتَوَعَّدَهُ - فَأَغْلَظَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد، بأي شيء تهددني؟ أما والله إنني لأكثر هذا الوادي نادياً! فأنزل الله: ﴿فَلْيَنْعُ نَادِيَهُ﴾ (١٧) سَنَعُ الزَّيْنَةَ ﴿١٨﴾ [العلق]، قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذه الزبانية^(١).

- المسألة الثالثة: عدد خزنة النار:

خزنة النار كثر، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، يشهد له حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زَمَامٍ، مَعَ كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُونَهَا»^(٢). ورؤساؤهم تسعة عشر، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشْرَ ﴿٢٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر].

🌟 المصادر والمراجع:

١ - «البحور الزاهرة في علوم الآخرة» (ج ١)، للسفاري.

٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣٤٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد (١٦٧/٥) مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٨هـ، وصحح الألباني إسناده في تعليقه على جامع الترمذي.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٢).

🌟 المالك 🌟

يراجع مصطلح (المُلك).

🌟 مالك الملك 🌟

يراجع مصطلح (المُلك).

🌟 مالك الناس 🌟

يراجع مصطلح (المُلك).

التعريف شرعاً:

المُبين: هو البين أمره، البين في ربوبيته، وملكوته، الذين أبان للخلق ما احتاجوا إليه، المبين للناس يوم القيامة حقائق ما كان يعدهم في الدنيا وكذلك الله ﷻ بائن عن خلقه مفارق لهم بذاته مستو على عرشه عال على جميع مخلوقاته^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

تتجلى العلاقة بين المعنى اللغوي لاسم المبين ومعناه الشرعي في الارتباط الواضح بين العديد من معاني (المبين) في اللغة ومعناه الشرعي، فهو في اللغة دال على الجلاء والوضوح والانكشاف وكذلك الله ﷻ بين لعباده لا يخفى على ذوي الفطر السليمة، والمبين في اللغة الذي يُبين، والله ﷻ أبان لعباده سبل النجاة والفلاح وطرق الوصول إلى مرضاته، وجزء كل من التزم بذلك أو خالفه غاية البيان والوضوح.

الحكم:

يجب الإيمان بثبوت اسم الله المبين،

مالك يوم الدين

يراجع مصطلح (المُلك).

المانع

يراجع مصطلح (المعطي المانع).

مباينة الله

يراجع مصطلح (العلو).

المُبين

التعريف لغة:

قال ابن فارس ﷻ: «الباء والياء والنون أصل واحد؛ وهو بعد الشيء وانكشافه، فالبين: الفراق وبان الشيء وأبان؛ إذا اتضح وانكشف، وفلان أبين من فلان؛ أي: أوضح كلاماً منه»^(١).

المبين (فعليل) من صيغ اسم الفاعل، من الفعل الثلاثي: بان، وهو من الأضداد التي تطلق على الوصل والفراق، يقال: بان يبين بيناً وبينونة، وأبان يبين إيانه؛ إذا اتضح وانكشف، ومبين بمعنى بين^(٢).

(١) مقاييس اللغة (١/٣٢٧، ٣٢٨) [دار الجيل].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥/٤٩٥ - ٥٠٠) [الدار المصرية]، والصحاح (٥/٢٠٨٢، ٢٠٨٣) [دار العلم للملايين، ٤٤]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (١٥٧، ١٥٨) [دار القلم، ٢٤، ١٤١٨].

والقاموس المحيط (١٥٢٥، ١٥٢٦) [مؤسسة

الرسالة، ط٥]، والمعجم الوسيط (١/٧٩، ٨٠) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢].

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/١٤١) [مؤسسة الرسالة،

ط١، ١٤٢٠هـ]، والحجة في بيان المحجة (١/

١٤٣، ١٤٤) [دار الراية، ط١، ١٤١١هـ].

[البقرة: ٢٤٢]، وقال تعالى: ﴿رُبِّدُ اللَّهُ
لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِن
قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٦].

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى:
﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ ذِيْنَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ
هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [٢٥] [النور]: «ويعلمون
يومئذ أن الله هو الحق الذي يبين لهم
حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من
العذاب، ويزول حينئذ الشكُّ فيه عن
أهل النفاق، الذين كانوا فيما كان
يعدهم في الدنيا يمترون»^(٤).

وقال أبو القاسم التيمي: «ومن
أسمائه تعالى: المبين: وهو البين أمره،
وقيل: البين الربوبية، والملكوت، يقال:
أبان الشيء معنى تبين، وقيل: أبان
للخلق ما احتاجوا إليه»^(٥).

❁ المسائل المتعلقة:

- اسم الله الحق المبين:

يظهر من صنيع بعض أهل العلم أنهم
أثبتوا اسم الله الحق المبين؛ أي:
جعلوهما من الأسماء المقترنة؛ لورود
النص بذلك، فلم يفتلوا بين الحق
والمبين، وعلى ذلك يدل صنيع ابن
عثيمين رحمته الله.

على ما يليق بجلاله تعالى، وعظمة
سلطانه.

❁ الحقيقة:

المبين هو الذي لا يخفى ولا ينكتم،
والباري عز وجل ليس بخاف ولا منكتم؛
لأن له من الأفعال الدالة عليه ما
يستحيل معها أن يخفى^(١)، وهو عز وجل
المبين الذي أبان لعباده سبيل الرشاد،
والموضح لهم الأعمال التي يستحقون
الثواب على فعلها والأعمال التي
يستحقون العقاب عليها، وبين لهم ما
يأتون، وما يذرون^(٢)، وهو تعالى البين
أمره في الوجدانية، في ألوهيته وربوبيته
وملكوته، فهو الإله الحق المبين لا
شريك له^(٣).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ ذِيْنَهُمُ
الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [٢٥]
[النور]، وقال تعالى في غير ما آية:
﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾

(١) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/١٨٩) [دار
الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ]، والأسماء والصفات لليبقي
(٤٦/١) [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ]،

(٢) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٨١) [مؤسسة الرسالة،
ط ٢، ١٤٠٦هـ]، وشرح أسماء الله الحسنى (٢٠٤)
[دار الإيمان]، وفقه الأسماء الحسنى (٢١٤) [دار
التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٣) انظر: شأن الدعاء (١٠٢) [دار الثقافة، ط ٣،
١٤١٢هـ]، والحجة في بيان المحجة (١/١٤٣،
١٤٤) [دار الراية، ط ١، ١٤١١هـ]، وفقه الأسماء
الحسنى (٢١٤).

(٤) تفسير الطبري (١٩/١٤١) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٥) الحجة في بيان المحجة (١/١٤٣، ١٤٤).

قال ابن عثيمين: «وقد جمعنا بين الحق المبين، والحي القيوم، والأول والآخر، والظاهر والباطن، لوردوه هكذا في كتاب الله»^(١).

❖ المتعال ❖

يراجع مصطلح (العلو).

❖ المتكبر ❖

❖ التعريف لغةً:

المتكَبَّرُ: (متفَعَّل) من صيغ اسم الفاعل من الكَبَّرَ. والكاف والباء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على خِلاف الصَّغَر. يقال: هو كَبِيرٌ، وكُبَّارٌ، وكُبَّارٌ. والكَبِيرُ العِظْمَةُ، وكذلك الكَبِيرِيَاءُ^(٢).

يقال: كَبُرَ يَكْبُرُ؛ أي: عَظُمَ يعظم من العِظْمَةُ، فهو كبير وكُبَّارٌ وكُبَّارٌ، وجمعه: كِبَارٌ، ويقال: ورثوا المجد كابرًا عن كابر؛ أي: كبيرًا عن كبير في الشرف والعزَّة. والمتكَبَّرُ من اتصف بالكبرياء، وأصله الامتناع والترفُّع^(٣).

❖ التعريف شرعًا:

اسم المتكَبَّرُ يدل على وصف الله ﷻ بالكبرياء الدال على العِظْمَةُ والامتناع

(٢) مقاييس اللغة (٨٨٣) [دار الفكر].

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٥) [دار الثقافة العربية، ط ١، ١٩٧٤م]، وتهذيب اللغة (١٠) / ٢٠٩ - ٢١٥ [الدار المصرية للتأليف]، ومقاييس اللغة (٩١٥، ٩١٦)، والصحاح (٨٠١/٤، ٨٠٢) [دار العلم للملايين، ط ٢]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٩٧، ٦٩٨) [دار القلم، ط ٢]، والقاموس المحيط (٦٠١، ٦٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٥]، والمعجم الوسيط (٧٧٢/٢، ٧٧٣) [دار الدعوة، ط ٢].

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، لليهقي.
- ٢ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.
- ٣ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للتمي.
- ٤ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٥ - «شرح أسماء الله الحسنى»، للقحطاني.
- ٦ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٧ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج ١)، للحليمي.
- ٨ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لحمود النجدي.
- ٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتمي.
- ١٠ - «أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة»، للرضواني.

❖ المتانة ❖

يراجع مصطلح (المتين).

(١) شرح القواعد المثلى لابن عثيمين (٩٤) [دار الآثار، ط ١، ١٤٢٣هـ].

والترفع، فالله ﷻ مترفع عن الاتصاف بكل نقص وعيب وسوء، ومترفع عن مماثلة ذاته لذوات المخلوقين، وصفاته لصفات المخلوقين، وأفعاله لأفعالهم، وهذا متضمن لثبوت الكمال له ﷻ في ذاته، وصفاته، وأفعاله^(١).

ولذلك نجد الآثار في تفسير هذا الاسم تدور حول الإشارة إلى تكبره؛ أي: ترفعه وتعاضمه وامتناعه عن كل سوء ونقص وعيب^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والحكم:

اسم (المتكبر) من الأسماء الحسنى الثابتة بنص القرآن الكريم وإجماع أهل العلم، وهو دالٌّ على وصف الله تعالى بالكبرياء، كما يليق بالله تعالى، دون تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

الأدلة:

ورد اسم المتكبر في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما في الحديث القدسي: «العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبتة»^(٤).

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٥)، وشأن الدعاء (٤٨)، وفقه الأسماء الحسنى (٢٦٢).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٢٠).

والترفع، فالله ﷻ مترفع عن الاتصاف بكل نقص وعيب وسوء، ومترفع عن مماثلة ذاته لذوات المخلوقين، وصفاته لصفات المخلوقين، وأفعاله لأفعالهم، وهذا متضمن لثبوت الكمال له ﷻ في ذاته، وصفاته، وأفعاله^(١).

ولذلك نجد الآثار في تفسير هذا الاسم تدور حول الإشارة إلى تكبره؛ أي: ترفعه وتعاضمه وامتناعه عن كل سوء ونقص وعيب^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي لاسم المكتبر تتضح من خلال اتفاق المعنى الشرعي لهذا الاسم مع المعنى اللغوي المأخوذ منه، فمن المعاني الشرعية لهذا الاسم أنه ذو الكبرياء، الذي يدل في اللغة على

(١) انظر: شأن الدعاء (٤٨) [دار الثقافة، ٣، ١٤١٢هـ]، والحجة في بيان المحجة (١/١٤٧) [دار الراية، ط ١، ١٤١١هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٥) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٦٢) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٠٥، ٣٠٤/٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وتفسير البغوي (٨/٨٨) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ]، وزاد المسير (٨/٢٢٧، ٢٢٨) [المكتب الإسلامي، ط ٣]، وتفسير القرطبي (١٨/٤٧) [دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ]، وتفسير ابن كثير (٨/٨٠) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وتفسير السعدي (٩٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

❖ أقوال أهل العلم:

فيها نقص بحال من الأحوال .

وأما العبد فهو كاسمه عبد مملوك
مربوب مخلوق، مقامه الذل والخضوع
والعبودية لربه وحده لا شريك له .

وأعظم ما قد يتكبر عنه العبد تكبره عن
عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له،
والخضوع والإذعان لأوامره تبارك
وتعالى، كما هو شأن إمام المتكبرين
إبليس، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ
وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ (٣٤) [البقرة] .

فكان ذلك سبباً في هلاكه وشقائه في
الدنيا والآخرة، وكان سبب في هلاك
وشقاء كل من استكبر عن عبادة الله ﷻ
وطاعته من الأمم والطغاة والعنّاة الذين
جاء ذكرهم في القرآن الكريم .

وقد توعدّ الله كل مستكبر عن عبادته
وطاعته، بالخلود في العذاب، فقال
تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٦٦)
[غافر]، وقال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ
جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ
﴾ (٧٦) [غافر] .

وفي الحديث القدسي عن النبي ﷺ
قال: «يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي،
والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً
منهما عذبتُهُ» (٥) .

قال ابن خزيمة: «وربنا الجبار المتكبر،
فقال: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]» (١) .

وقال السعدي عند تفسير الآية:
«اشتملت على أسماء الله الحسنی
وأوصافه العلا»، وذكر منها: المتكبر،
وقال: «الذي له الكبرياء والعظمة المنتزه
عن جميع العيوب والظلم والجور» (٢) .

وقال قوام السنّة الأصبهاني: «أثبت الله
العزّة والعظمة والقدرة والكبر والقوة
لنفسه في كتابه» (٣) .

وقال ابن تيمية: «فالكبرياء والعظمة
له بمنزلة كونه حيّاً قيوماً قديماً واجباً
بنفسه، وأنه بكل شيء عليم وعلى كل
شيء قدير، وأنه العزيز الذي لا ينال،
وأنه قهار لكل ما سواه» (٤) .

❖ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: التكبر من الصفات

المختصة بالله ﷻ ولا تليق بأحد سواه:

فالله ﷻ هو وحده الملك وما سواه
مملوك، وهو وحده الرب وما سواه
مربوب، وهو الخالق وحده وما سواه
مخلوق، المتفرّد ﷻ بصفات الكمال
والجمال والعظمة والجلال، لا يلحقه

(١) التوحيد لابن خزيمة (٦٣/١) .

(٢) تفسير السعدي (٨٥٤) .

(٣) الحجّة في بيان المحجّة (١٩٦/٢) .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣٨/٦) .

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب اللباس، رقم ٤٠٩٠)، وابن
ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤١٧٤)، وأحمد (٤٧٣/١٤) =

ومن أثر الإيمان بهذا الاسم أيضًا تحقق الخوف من حصول الوعيد الشديد الذي توعد الله ﷻ ورسوله ﷺ كل متكبر، كما مرّ في بعض الآيات السابقة، وفي قوله ﷻ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»^(٢)، فيبتعد العبد العاقل عن هذا الوصف المذموم.

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٣ - «التوحيد»، لابن خزيمة.
- ٤ - «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.
- ٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٦ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، لعبد الله بن محمد الغنيمان.
- ٧ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

- المسألة الثانية: معنى قوله ﷻ: «يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري»:

لما كانت العظمة والكبرياء من خصائص الربوبية، والكبرياء أعلى من العظمة، لذلك جعلها بمنزلة الرداء - وهو أشرف -، كما جعل العظمة بمنزلة الإزار.

كما أن الكبرياء لما كانت أعظم وأوسع من العظمة كانت أحق باسم الرداء، فإنه سبحانه الكبير المتعال^(١).

❁ الآثار:

من علم أن الله ﷻ هو وحده المستحق لصفة التكبر وأمن بمقتضى هذا الاسم تواضع لله ﷻ، ونفى عن نفسه أوصاف التعاطف والتعالي، فأخلص في عبادته لله، وتواضع لخالقه، ولم ير نفسه إلا عبدًا ذليلًا لخالقه وموالاه، وليس له على خلقه مزية ولا فضل إلا بما فضله ﷻ به من العلم أو الإيمان، أو الجاه والسلطان، فكل ذلك يرجع في حقيقته إلى ربه المنعم المتفضل وحده ﷻ.

= [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٢٨)، بلفظ: (فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٣١١). وقد جاء الحديث عند مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٢٠) بلفظ: «العر إزاره والكبرياء ردأؤه، فمن ينازعني عذبه».

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/١٩٦،

٢٥٣)، والفوائد لابن القيم (١٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩١).

التعريف شرعاً:

المتين: هو القوي الشديد المتناهي في القوة والقدرة، الذي لا تتناقص قوته ولا تضعف قدرته، والذي لا يلحقه في أفعاله مشقة ولا كلفة ولا تعب^(٣).

ومن فسّره بنفس معنى اسمه تعالى (القوي) لا يعني أنه مرادف له من كل وجه؛ فإن القوة تدل على القدرة التامة، والمتانة تدل على شدة القوة.

فالله ﷻ من حيث إنه بالغ القدرة تامها قوي، ومن حيث إنه شديد القوة متين^(٤).

الحكم:

يجب الإيمان بهذا الاسم (المتين)، وما دلّ عليه من صفة المتانة؛ لدلالة القرآن الكريم على ذلك، ويجب إثبات ذلك لله تعالى، كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا

(٧٥٨) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٥٩١) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٨٥٣/٢) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٥٥) [دار الثقافة العربية، ط ١، ١٩٧٤م]، شأن الدعاء (٧٧) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، أحكام القرآن لابن العربي (٣٤٥/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١]، فقه الأسماء الحسنى (١٥٥) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩].

(٤) انظر: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٩٩، ١٠٠) [دار الكتب العلمية]، ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات (٢٩٨) [دار الكتاب العربي، ط ٢].

المتكلم

يراجع مصطلح الكلام

المتين

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الميم والتاء والنون أصل صحيح واحد يدل على صلابة في الشيء مع امتداد وطول»^(١).

والمتين بوزن (فعليل) صفة مشبهة، أصله الثلاثي: (متن) الدال على صلابة في الشيء مع امتداد وطول، يقال: متّن يمتن متانة فهو متين؛ إذا قوي واشتد وصلب، والمتن من الأرض ما صلب وارتفع وانقاد، وجمعه: متان وامتون، ومَتَّنْ كل شيء ما ظهر منه.

والمتين من كل شيء: القوي الشديد، يقال: حبل متين، ورأي متين. ومَتَّنَ الشيء: صَيَّرَهُ مَتِينًا.

والمماتنة: المباعدة في الغاية، يقال: سار سيرًا مماتنًا؛ أي: بعيدًا، ويقال أيضًا: ماتن فلان فلانًا؛ إذا عارضه في جدل وخصومة^(٢).

(١) مقاييس اللغة (٤٩٧/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣٠٥/١٤، ٣٠٦) [الدار المصرية]، والصحاح (٢٢٠٠/٦) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن

تعطيل، ولا تمثيل^(١).

صفات الجبروت، وهو من حيث المعنى
توكيد للقوي^(٤).

❁ الأدلة:

وقال ابن جرير الطبري: «والصواب
من القراءة في ذلك عندنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(٥) رفعا على أنه
من صفة الله جل ثناؤه؛ لإجماع الحجة
من القراءة عليه^(٥).

وقال البغوي: «﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(٥)
هو القوي المقتدر المبالغ في القوة
والقدرة^(٦).

وقال ابن عثيمين: «في هذه الآية
إثبات اسمين من أسماء الله، هما:
الرزاق والمتين، وإثبات ثلاث صفات،
وهي: الرزق والقوة، وما تضمنه اسم
المتين^(٧).

وقال عبد العزيز السلمان: «ومن
أسمائه تعالى المتين، والمتانة تدل على
القوة، فالله تعالى بالغ القوة
والقدرة^(٨). وقال أيضًا: «وما يؤخذ من
الآية إثبات المتانة وهي من الصفات
الذاتية^(٩).

ورد اسم المتين في القرآن الكريم مرة
واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ
ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(٥) [الذاريات].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:
أقرأني رسول الله ﷺ: «إني أنا الرزاق
ذو القوة المتين^(٢)»

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:
﴿الْمَتِينُ﴾^(٥): «الشديد^(٣). قال ابن
عثيمين معلقًا على قول ابن عباس
المذكور: «أي: الشديد في قوته،
الشديد في عزته، الشديد في جميع

(١) انظر: تفسير البغوي (١٤٣/٥) [دار الفكر، ط ١،
١٤٢٢هـ]، ومختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية
على العقيدة الواسطية (٤٤) [مطابع المدينة، ط ١٣،
١٤٢١هـ]، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين
(٢٠٥/١) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط ٦،
١٤٢١هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الحروف والقراءات، رقم
٣٩٩٣)، والترمذي (أبواب القراءات، رقم ٢٩٤٠)
وقال: حسن صحيح، وأحمد (٦/٢٨٥) [مؤسسة
الرسالة، ط ١٦]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم
٢٩٨٣) وصححه، وصححه الألباني في صحيح سنن
أبي داود (٢/٤٩٣)، رقم ٣٩٩٣ [مكتبة المعارف،
الرياض، ط ٢، ١٤٢١هـ].

(٣) أخرجه الطبري في التفسير (٧٦٤٢/٩) [دار السلام،
القاهرة، ط ٣، ١٤٢٩هـ]، وابن أبي حاتم (١٠/
٣٣١٣) [المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ]، والبيهقي في
الأسماء والصفات (١١٨/١) [مكتبة السوادي، ط ١،
١٤١٣هـ]، كما في الصحيح المسبور (٣٩٢/٤) [دار
المائر، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢٠٥/١).

(٥) تفسير الطبري (٧٦٤٢/٩).

(٦) تفسير البغوي (١٤٣/٥) [دار الفكر، بيروت، ط ١،
١٤٢٢هـ].

(٧) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢٠٥/١).

(٨) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة
الواسطية (٤٤).

(٩) الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية (١٤٤) [رئاسة
إدارة البحوث العلمية وإفتاء، ط ١١، ١٩٨٢م].

المسائل المتعلقة:

الثمرات:

- المسألة الأولى: حكم الإخبار عن الله بأنه شديد:

إن الله قوي متين، بالغ في القوة والقدرة والشدة غايتها، وأي قوة مهما عظمت فلن تقابل قوة الله تعالى، فهو سبحانه لا يعجزه شيء، ولا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه راد، فمن نصره الله فهو منصور، ومن خذله الله فهو مخذول، وهذا يوجب الخضوع لله، والانكسار بين يديه، والخوف منه، واللجوء إليه، والاعتصام به، والتوكل عليه، وتفويض الأمور إليه، والتبرؤ من الحول والقوة إلا به سبحانه^(٣)، قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة].

المتين معناه: الشديد، البالغ في الشدة والقوة غايتها، ولكن المتين من أسماء الله تعالى دون الشديد؛ لورود الأول في النص دون الثاني، ولكن يجوز الإخبار به؛ لأن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء، قال ابن عثيمين: «يجوز أن نخبر عن الله بأنه شديد، ولا نسمي الله بالشديد، بل نسميه بالمتين؛ لأن الله سمي نفسه بذلك»^(١). فباب الأسماء والصفات توقفي، ويجب الوقوف في هذا الباب على ما جاء به الكتاب والسنة، ويجب التقيد بألفاظهما، ولا يتجاوز القرآن والحديث.

الفروق:

الفرق بين القوي والمتين:

هناك فرق بين اسم الله تعالى القوي والمتين؛ فإن المتين فيه زيادة معنى عن القوي؛ فالقوة تدل على القدرة التامة، والمتانة تدل على شدة القوة.

فالله **عَزَّ وَجَلَّ** من حيث إنه بالغ القدرة تامها قوي، ومن حيث إنه شديد القوة متين^(٢).

قال ابن عثيمين: «الفائدة المسلكية في الإيمان بصفة القوة والرزق: أن لا نطلب القوة والرزق إلا من الله تعالى، وأن نؤمن بأن كل قوة مهما عظمت، فلن تقابل قوة الله تعالى»^(٤).

الآثار:

لا شك أن الله **عَزَّ وَجَلَّ** قوي متين، ومن

(٩٩، ١٠٠) [دار الكتب العلمية]، ولوامع البيئات شرح أسماء الله تعالى والصفات (٢٩٨).

(٣) انظر: فقه أسماء الله الحسنى لعبد الرزاق البدر (١٥٧) [مطابع الحميضي، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٢٠٥).

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٢٠٥).

(٢) انظر: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى

لأن الله ﷻ غير بين الوصفين، فوصف نفسه بالقوة وبالمتن في هذه القوة، وهو يفيد كمال هذه الصفة والمبالغة فيها وحصول الغاية والنهاية فيها.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «أسماء الله الحسنى»: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة»، لماهر مقدم.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٤ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.
- ٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٧ - «فقه أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٨ - «الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية»، لعبد العزيز السلطان.
- ٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

المثل الأعلى

التعريف لغة:

المثل: قال ابن فارس: «الميم والثاء

شواهد قوته الكاملة وقدرته التامة المشار إليها في الآية المذكورة: أنه سبحانه تكفل بإيصال الرزق إلى جميع العالمين، ولا يستطيع ذلك أحد سواه، بل لا يستطيع أحد أن يضيق عطاء الله لأحد أو يمنع عنه ما أراد الله له، ولو اجتمع لذلك الخلق كله، فلا حول ولا قوة إلا بالله تعالى^(١).

مذهب المخالفين:

ذهب بعض من فسّر هذا الاسم إلى أن إطلاق هذا اللفظ في حق الله مجاز، بناءً على أن المدلول اللغوي لهذا الاسم يدور حول الغلظة والشدة والصلابة، وهذا في حق الله محال؛ وإنما المراد به وصف الله بالقوة والمبالغة في ذلك^(٢).

والصواب: أنه لا داعي لهذا التأويل؛ لأن حبر هذه الأمة فسّر المتين بالشديد، وكذلك وافقه على ذلك الكثير من الشراح والمفسرين، وهذا المعنى هو أحد المعاني المباشرة التي يدل عليها هذا الاسم في اللغة، وتفسيره باللازم مع دعوى أن حقيقته مجاز خطأ لا محالة؛

(١) انظر: تفسير السعدي (١١٣) [دار الصميعي، ط ١، ١٤١٨هـ]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (١٢٨، ١٢٩) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط ٤، ١٤٣١هـ].

(٢) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٩٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات (٢٩٩).

واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا؛ أي: نظيره، والمثل والمِثال في معنى واحد^(١).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فإن مثل السوء هو العدم وما يستلزمه، وضده المثل الأعلى: وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمر الوجودية، والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل، كان أعلى من غيره»^(٥).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «ولله المثل الأعلى؛ أي: الكمال المطلق من كل وجه، وهو منسوب إليه»^(٦).

الحكم:

يجب إثبات المثل الأعلى لله عَزَّ وَجَلَّ، والإيمان به، وأنه مختص به، دون ما سواه، مع تنزيهه عن النقص والعيب، والتمثيل بالمخلوقات^(٧).

الحقيقة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فإن قلت: ما حقيقة المثل الأعلى؟ قلت: قد أشكل هذا على جماعة من المفسرين، واستشكلوا قول السلف فيه، قلت: المثل الأعلى يتضمن الصفة العليا، وعلم العالمين بها، ووجودها العلمي،

(٥) مختصر الصواعق المرسله (٢/٣٩٥) [أضواء السلف، ١، ١٤٢٥هـ]

(٦) تفسير ابن كثير (٢/٥٧٤) [دار الفكر، ١٤٤٠هـ].

(٧) مجموع الفتاوى (٣/٣٠) [مكتبة ابن تيمية، ٢٢هـ].

المثل: في اللغة يطلق على عدة معان؛ أحدها: الصفة، فمثل الشيء: صفته. الثاني: الشبيه والنظير. الثالث: المثل المضروب، وهو القول السائر، الممثل مضربه بمورده غالباً^(٢).

الأعلى: قال ابن فارس: «العين واللام والحرف المعتل - ياء كان أو واواً أو ألفاً - أصل واحد يدل على السمو والارتفاع لا يشذ عنه شيء، ومن ذلك: العلاء والعلو، ويقولون: تعالى النهار؛ أي: ارتفع»^(٣).

الأعلى: أفعل تفضيل، وهو مشتق من الفعل علا، والأعلى: ذو العلاء والعُلاء، والعلاء: جمع اسم الأعلى، وهو بمعنى العالي، والعلاء: الشرف، وذو العلاء أصحاب الصفات العلاء^(٤).

التعريف شرعاً:
المثل الأعلى: هو الصفة العليا، وهو

(١) مقاييس اللغة (٥/٢٩٦) [دار الجليل، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥/٩٥) [الدر المصرية للتأليف]، ومقاييس اللغة (٥/٣٣٩)، والصحاح (٥/١٨١٦) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٤٠٧هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٤/١١٢).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٣/١١٨، ١١٩) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م]، ولسان العرب (٩/٣٨٧) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ].

والخبر عنها وذكرها، وعبادة الرب سبحانه بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذاكره»^(١).

● الأهمية:

معرفة المثل الأعلى من مُهَّمَات العقيدة؛ لأن الرب تبارك وتعالى تمدح بالتفرد به، وجعله طريقاً لمعرفته، وبرهاناً على توحيد، وأدلة التوحيد دائرة مع المثل الأعلى وجوداً وعدمًا، ولهذا جعل الله مثل السوء المتضمن لكل عيب ونقص للمشركين، وآلهتهم المزعومة، وأخبر أن المثل الأعلى المتضمن لجميع صفات الكمال لله وحده، وهذا التلازم يدل على بطلان الشرك، وصحة التوحيد ضرورة^(٢).

● الأدلة:

وصف الله تعالى نفسه بأن له المثل الأعلى، فقال ﷺ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم].

● أقوال أهل العلم:

قال البغوي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ولله المثل الأعلى الصفة العليا، وهي التوحيد، وأنه

لا إله إلا هو، وقيل: جميع صفات الجلال، والكمال من العلم والقدرة والبقاء وغيرها من الصفات، قال ابن عباس: مَثَلُ السَّوِّءِ: النار، والمثل الأعلى: شهادة أن لا إله إلا الله»^(٣).

وقال ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «قد علمنا بطريق خبر الله ﷻ عن نفسه، بل وبطريق الاعتبار أن الله المثل الأعلى، وأن الله ﷻ يوصف بصفات الكمال، موصوف بالحياة والعلم والقدرة، وهذه صفات كمال، والخالق أحق بها من المخلوق، فيمتنع أن يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق»^(٤).

وقال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ولما كان الرب هو الأعلى، ووجه الأعلى، وكلامه الأعلى، وسمعه الأعلى، وسائر صفاته عليا، كان له المثل الأعلى، وهو أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان؛ لأنهما إن تكفأ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافأ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل ونظير، وهذا برهان قاطع من إثبات صفات الكمال، على استحالة التمثيل والتشبيه، فتأمل فإنه في غاية الظهور والقوة»^(٥).

(٣) تفسير البغوي (٧٣/٣) [دار المعرفة].

(٤) مجموع الفتاوى (٣٥٠/٥).

(٥) مختصر الصواعق المرسله (٣٩٦/٢ - ٣٩٨).

(١) مختصر الصواعق المرسله (٣٩٦/٢ - ٣٩٨).

(٢) انظر: حقيقة المثل الأعلى لعيسى السعدي (١٢٠).

(١٢١) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧هـ].

- ٢ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
- ٣ - «التدمرية»، ابن تيمية.
- ٤ - «التحفة المهدية شرح التدمرية»،
لفالح آل مهدي.
- ٥ - «الجواب الصحيح» (ج ٤)، لابن
تيمية.
- ٦ - «حقيقة المثل الأعلى وآثاره»،
لعيسى بن عبد الله السعدي.
- ٧ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.
- ٨ - «مختصر الصواعق المرسله»
(ج ٢)، لابن القيم.
- ٩ - «منهج ودراسات لآيات الأسماء
والصفات»، لمحمد الأمين الشنقيطي.
- ١٠ - «المقارنة بين المثل
الأعلى لله ﷻ وبين قياس الأولى في
حقه ﷻ»، لمحمد أبو سيف الجهني.
- ١١ - «النفى في باب صفات الله ﷻ
بين أهل السنة والجماعة والمعطلة»،
لأرزقي سعيداني.

❖ المجد ❖

يراجع مصطلح (المجيد).

❖ المجىء والإتيان ❖

❖ التعريف لغةً:

المجىء: قال ابن فارس: «الجيم والياء والهمزة كلمتان من غير قياس بينهما. يقال: جاء يجيء مجيئًا. ويقال:

وقال السعدي رَضِيَ اللهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: «وهو كل صفة كمال، والكمال من تلك الصفة، والمحبة، والإنابة التامة الكاملة في قلوب عباده المخلصين، والذكر الجليل، والعبادة منهم، فالمثل الأعلى: هو وصفه الأعلى، وما يترتب عليه»^(١).

❖ الثمرات:

معرفة الرب وعبادته هي الثمرة العظمى للمثل الأعلى، وهي ثمرة فطرية عقلية، فالإيمان بها مستقر في قرارة القلوب، وأدلتها ظاهرة في الأنفس والآفاق.

وكمال العلم بمثل الرب الأعلى وصفات كماله يثمر في حياة المؤمن صدق العبادة والاستعانة، وهما أصلا السعادة في الدنيا والآخرة، وكل نوع من صفات الكمال يثمر عبادات قلبية خاصة تدفع الجوارح لفعل الطاعة وترك المعصية، وتصونها عن الشرك بمظاهره وأنواعه^(٢).

❖ المصادر والمراجع:

١ - «الأدلة العقلية العقلية على أصول الاعتقاد»، لسعود بن عبد العزيز العريفي.

(١) تفسير السعدي (٧٥١) [دار السلام، ط ٢، ١٤٢٢هـ]، وانظر منه: (٥١٤).

(٢) انظر: حقيقة المثل الأعلى وآثاره (١٢٠، ١٢١).

﴿الحكم﴾
يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

﴿الحقيقة﴾
يوصف الله تعالى بالإتيان والمجيء حقيقة كما يليق بجلاله وعظمة سلطانه، مع انتفاء المماثلة بينه وبين خلقه، فهو سبحانه يأتي إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، ويأتي إلى السماء الدنيا عشية يوم عرفة ويباهي بهم الملائكة، ويأتي يوم القيامة للقضاء بين عباده حقيقة، ولا يعلم كيفية إتيانه ومجيئه إلا هو ﷻ؛ لأن الخوض في الكيفية خوض فيما لا مدرك للعقل فيه، ولا يمكن الوصول إليه، إلا بوحي منزل، وقد جاء القرآن والسنة بإثبات ذلك على المعلوم المعهود من لغة العرب، ولم يأت بذكر الكيفية، فوجب الكف عن الخوض فيها^(٥).

﴿الأدلة﴾

ما جاء بلفظ المجيء: قال تعالى:

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴿٢٢﴾ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر].

(٥) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٧)، والفتوى الحموية الكبرى (٤٥ - ٥٦) [دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٦هـ].

جاءني فجئته؛ أي: غالبني بكثرة المجيء، فغلبته. والجئية: مصدر جاء. والجئية: مجتمع الماء حوالي الحصن وغيره. ويقال: هي جئية بالكسر والتثقيب^(١). والمراد هنا هو المعنى الأول، فالمجيء في اللغة هو الإتيان، يقال: جاء يجيء مجيئًا، ويقال: جاءني فجئته؛ أي: غالبني بكثرة المجيء فغلبته^(٢).

والإتيان: الهمزة والتاء والواو أصل يدل على مجيء الشيء وإصحابه وطاعته، تقول: أتاني فلانٌ إتيانًا وأتيًا وأتيةً وأتوةً واحدة^(٣).

﴿التعريف شرعًا﴾

المجيء والإتيان: صفتان فعليتان خبريتان، ثابتتان لله ﷻ بالكتاب والسنة، فهو سبحانه يجيء ويأتي يوم القيامة للفصل والقضاء بين عباده، بمشيئته وقدرته، وذلك كما يليق بجلاله وعظمته^(٤).

(١) مقاييس اللغة (٢٥٥/١) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٢٥٥/١)، والصاح (٤٢/١) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م].

(٣) مقاييس اللغة (٤١/١)، ولسان العرب (٣٦/١).

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية لهراس (١١٢) [دار الهجرة]، والصفات الإلهية لمحمد أمان الجامي (٢٤٨ - ٢٥٧) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط ١، ١٤٠٨هـ]، وصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٤٥ و ٣١٠) [دار الهجرة الرياض، ط ٣].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه قال: «إذا تقرب العبد إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيتته هرولة»^(٢).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيتته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو الحسن الأشعري: «وأجمعوا على أنه عز وجل يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً»^(٤).

وقال أبو نعيم الأصبهاني: «وأجمعوا أن الله فوق سماواته عال على عرشه مستو عليه، وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٣٦)، وأخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٧).

(٤) رسالة إلى أهل الفجر (٢٣٦) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط ٢، ١٤٢٧هـ].

ما جاء بلفظ الإتيان: قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ [الأنعام].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل تضارون في القمر ليلة البدر؟». قالوا: لا، يا رسول الله. قال: «فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟». قالوا: لا، يا رسول الله. قال: «فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها - شك إبراهيم - فيأتيهم الله، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه» الحديث^(١).

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٣٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٢).

رسول الله ﷺ: «يُنزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(٤) عندهم مثل قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا بَحَلَّ رُتْبُهُ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ومثل قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر]، كلهم يقول: ينزل ويتجلى ويجيء، بلا كيف، لا يقولون: كيف يجيء؟ وكيف يتجلى؟ وكيف ينزل؟ ولا من أين جاء؟ ولا من أين تجلى؟ ولا من أين ينزل؟ لأنه ليس كشيء من خلقه، وتعالى عن الأشياء، ولا شريك له»^(٥).

وقال ابن تيمية: «وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عبادته؛ فهذا يشبهه من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستواءه على العرش. وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر»^(٦).

وقال ابن القيم: «وصف نفسه بالسمع والبصر والفعل باليدين والمجيء والإتيان، وذلك ضد صفات الأصنام التي جعل امتناع هذه الصفات عليها منافياً لإلهيتها»^(٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٩٤)، ومسلم

(كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٥٨).

(٥) التمهيد (١٥٣/٧) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، ١٣٩٩هـ].

(٦) مجموع الفتاوى (٤٦٦/٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٧) الصواعق المرسله (٣/٩١٥، ٩١٦) [دار العاصمة الرياض، ط ٣، ١٤١٨هـ].

والملائكة صفًا صفًا، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر]، وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عبادته، فيغفر لمن يشاء من مذنبى الموحدين ويعذب لمن يشاء»^(١).

وقال أيضًا: «وأجمعوا أن الله فوق سماواته عال على عرشه مستو عليه وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عبادته والملائكة صفًا صفًا، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر]، وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عبادته، فيغفر لمن يشاء من مذنبى الموحدين ويعذب من يشاء»^(٢).

وقال أبو عثمان الصابوني في بيانه لعقيدة السلف: «وكذلك يشبتون ما أنزله الله عزَّ اسمه في كتابه من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَاءِ وَالْمَلَكِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقوله عزَّ اسمه: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر]»^(٣).

وقال ابن عبد البر: «وقول

(١) نقله عنه ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى (٤٥ - ٥٦) [دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٢) نقله عنه ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى (٤٥، ٥٦).

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٧).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الثالثة: لا بد من النظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه وما يبين معناه من القرائن والدلالات:

هذا أصل عظيم ونافع جدًا في فهم الكتاب والسُّنة والاستدلال بهما، فالنصوص الدالة على مجيء الله تعالى وإتيانه سبحانه قد يراد بها مجيء الله وإتيانه، وقد يراد بها غير ذلك. قال ابن تيمية: «وينظر في النص الوارد، فإن دلَّ على هذا حمل عليه، وإن دلَّ على هذا حمل عليه، وهذا كما في لفظ الإتيان والمجيء، وإن كان في موضع قد دلَّ عندهم على أنه هو يأتي، ففي موضع آخر دلَّ على أنه يأتي بعذابه، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنبَأَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، وقوله: ﴿فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢] فتدبر هذا، فإنه كثيرًا ما يغلط الناس في هذا الموضع^(٢). فالإتيان والمجيء قد يراد بهما إتيان الرب تعالى ومجيئه سبحانه، وقد يراد بهما إتيان عذاب الله أو آياته، فلا بد من النظر في النص الوارد في ذلك وما احتفت به من القرائن والأحوال والسياق والسباق.

الآثار:

من آثار الإيمان بصفة الإتيان لله ﷻ الخوف من هذا المقام في ذلك المشهد

- المسألة الأولى: إثبات المجيء والإتيان لله تبارك وتعالى لا يلزم منه تشبيه الخالق بالمخلوق:

إثبات المجيء والإتيان وعدّها من صفات الله تعالى الفعلية الخبرية، لا يستلزم مماثلتها لمجيء الخلق وإتيانهم، بل هو إتيان ومجيء خاص به ﷻ لا يماثله فيه شيء، والاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات، والاتفاق في الاسم الكلي المطلق لا يستلزم الاتفاق بعد الإضافة والتقييد والتخصيص، فكما أن ذاته ﷻ لا يماثلها شيء من الذوات فكذلك صفاته تعالى لا يماثلها شيء لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

- المسألة الثانية: الإتيان والمجيء

من الله تعالى نوعان: مطلق ومقيد:

إذا كان مجيء رحمته أو عذابه كان مقيدًا، كما في الحديث حتى جاء الله بالرحمة والخير، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ [الأعراف]، والنوع الثاني: المجيء والإتيان المطلق؛ كقوله ﷻ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢] وهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه^(١).

(١) مختصر الصواعق المرسله (٣٨٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/١٤).

العظيم الذي يأتي فيه الرب ﷻ للفصل بين عباده وتنزل الملائكة وتصطف، ولا منجى يومئذ إلا برحمة الله، فالإيمان بهذه الصفة يولد للإنسان رهبة وخوفًا من الله ﷻ واستقامة على دينه^(١).

❁ مذهب المخالفين:

المجيء صفة من الصفات الفعلية الاختيارية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلاية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية^(٢).

داخل في مجيء الملائكة، وإن كان شيئًا غير الملك فهو آية من آيات الله فيكون داخلًا في إتيان الآيات، ولذلك تفسير إتيان الرب في الآيات المذكورة بمجيء أمره وعذابه وآياته دون إتيان الرب ﷻ تفسير خاطئ وتأويل باطل، وكلام الله تعالى منزّه عن الحشو والركاكة والتكرار المستهجن.

والقول الحق: أنه يجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة الكتاب والسنة على ذلك.

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ٢)، للتمي.
- ٢ - «رسالة إلى أهل الثغر»، لأبي الحسن الأشعري.
- ٣ - «شرح العقيدة الواسطية»، لمحمد خليل هراس.
- ٤ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٥ - «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، للصابوني.
- ٦ - «الفتوى الحموية الكبرى»، لابن تيمية.
- ٧ - «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی»، لابن عثيمين.

ونفاة هذه الصفة يؤوّلون النصوص الواردة فيها بظهور آياته أو إتيان بأسه وعذابه ونقمته، وهذا كله من التأويلات البعيدة يردها النظم القرآني؛ لأن الله تعالى ذكر في القرآن الكريم مجيئه ومجيء الملائكة، بل ذكر إتيانه وإتيان الملائكة وإتيان بعض آياته في آية واحدة، فإن كان الذي يأتي ملكًا فهو

(١) انظر: شرح الواسطية للعثيمين (١/٢٨٣).

(٢) انظر من كتب أهل السنة: نقض الدارمي على المرسي (١٥٤ - ١٦١) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ]، ومختصر الصواعق المرسله (٢/١٠٦ - ١٠٩)، وانظر من كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للفاضل عبد الجبار (٢٢٩، ٢٣٠) [مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٠٨هـ]، وتفسير الكشاف للزمخشري (١/٤١٩ و ٢/٤١٥ و ٦/٣٧٣) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٨هـ]، ومن كتب الماتريديّة: مدارك التنزيل للنسفي (١/١٠٠ و ٣٥٤ و ٤/٣٣٨).

٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٥ و٦)، لابن تيمية.
٩ - «مختصر الصواعق المرسله» (ج ٢)، لابن القيم.

التعريف شرعاً:

المجيد: من الأسماء الدالة على أوصاف كثيرة، ومعناه: ذو المجد، وهو السعة في الشرف والكرم والجود، فالله ﷻ هو المجيد في أوصافه وأفعاله وأقواله، فالمجد يرجع إلى عظمة أوصافه وكثرتها وسعتها، وإلى عظمة ملكه وسلطانه، وإلى تفرد به بالكمال المطلق، والجلال المطلق، والجمال المطلق، ولا يمكن للعباد أن يحيطوا بشيء من ذلك كله^(٤).

الحكم:

وجوب الإيمان بأن المجيد من أسماء الله الحسنى، وأن المجد صفة ذاتية ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله

١٠ - «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، للدارمي.

المجيد

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الميم والجيم والبدال أصل صحيح يدل على بلوغ النهاية، ولا يكون إلا في محمود، منه المجد: بلوغ النهاية في الكرم، والله الماجد والمجيد، لا كرم فوق كرمه»^(١). وقال الجوهرى: «المجد: الكرم، والمجيد: الكريم»^(٢).

والمجيد: بوزن (فعليل) صيغة مبالغة من الثلاثي (مَجَدَ) الدالُّ على بلوغ النهاية والغاية في الشيء، ولا يكون إلا في محمود، يقال: مَجَدَ يَمَجِدُ مَجْدًا وتمجيدًا فهو ماجد ومجيد، وفلان ماجد فلانًا في المجد فَمَجَدَهُ؛ إذا غلبه في المجد، وهو: الشرف والنبيل والسعة في المكارم والجلال، وتماجد القوم: إذا

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٩٩) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) الصحاح (٢/٥٣٦) [دار العلم للملايين، ٤ط].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٠/٦٨٢، ٦٨٣) [الدار المصرية]، والصحاح (٢/٥٣٦، ٥٣٧) [دار العلم للملايين، ط ٤]، ومفردات ألفاظ القرآن للمراغب (٧٦٠، ٧٦١) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (٤٠٦) [مؤسسة الرسالة، ط ٥]، والمعجم الوسيط (٢/٨٥٤) [دار إحياء التراث العربى].

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدى (٢٣٦، ٢٣٧) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٠٢) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩]، النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٤٣١) [مكتبة الذهبي، ط ٢، ١٤١٧هـ].

إبراهيم إنك حميد مجيد. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٣).

❖ أقوال أهل العلم:

قال ابن قتيبة: «مجد الله: شرفه، وكرمه»^(٤).

وقال ابن الأثير: «المجد في كلام العرب: الشرف الواسع»، وقال عن اسم الله المجيد بأنه «يجمع معنى الجليل والوهاب والكريم»^(٥).

وقال ابن القيم: «وأما المجد فهو مستلزم للعظمة والسعة والجلال؛ كما يدل عليه موضوعه في اللغة؛ فهو دالٌّ على صفات العظمة والجلال، والحمد يدل على صفات الإكرام، والله سبحانه ذو الجلال والإكرام، وهذا معنى قول العبد: (لا إله إلا الله، والله أكبر)؛ ف (لا إله إلا الله) دال على ألوهيته وتفردية فيها، فألوهيته تستلزم محبته التامة، و(الله أكبر) دالٌّ على مجده وعظمته، وذلك يستلزم تمجيده وتعظيمه

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٧٠)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٦).

وانظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٧٩ - ٨٢) [أضواء السلف، ١، ١٤١٩].

(٤) غريب القرآن (١٩) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٩٨/٤) [المكتبة العلمية، بيروت].

وعظمته، وقد جاء بيان ذلك وإثباته في الكتاب والسنة^(١).

❖ الحقيقة:

اسم الله المجيد يتضمن عظمة الصفات وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه، فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته^(٢).

❖ الأدلة:

ورد اسم المجيد في موضعين من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْعَجِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود]، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [ذو العرش المجيد] [١٥] [البروج].

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: سألتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم، قال: «قولوا: اللَّهُمَّ صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل

(١) انظر: صفات الله صلى الله عليه وسلم للسقاف (٣١٠) [دار الهجرة الرياض، ٣، ١٤٢٦هـ] ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٨١) [مكتبة العبيكان، ٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٢٨) [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ٢، ١٤١٢هـ].

وممن أورد هذا الاسم ابن منده، والأصبهاني، وابن تيمية^(٥).

والصحيح: أن الاسم لا يثبت لعدم صحة إسناد الرواية التي ورد فيها ذكر هذا الاسم، والله أعلم.

- المسألة الثانية: اقتران المجيد

باسم الحميد:

ورد في بعض النصوص اقتران اسم الجلال المجيد باسمه الحميد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالحمد يتناول جنس المحامد، والثناء يقتضي تكريرها وتعيدها والزيادة في عددها، والمجد يقتضي تعظيمها وتوسيعها والزيادة في قدرها وصفتها، فهو سبحانه مستحق للحمد والثناء والمجد، ولا أحد يحسن أن يحمده كما يحمد نفسه، ولا يثني عليه كما يثني على نفسه، ولا يمجّده كما يمجّد نفسه»^(٦).

والورع، رقم ٢٤٩٥) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٥٧)، وأحمد (٢٩٤/٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٥٣٧٥)، والحديث أصله في صحيح مسلم، وليس فيه جملة: (إني جواد ماجد).

(٥) انظر: التوحيد لابن منده (١٧٨/٢) [مكتبة الغرياء الأثرية، ط ٢]، والحجة في بيان المحجة (١٦٢/١) [دار الراجية، ط ١، ١٤١١هـ]، ودرء التعارض (٤/١٨) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ٢، ١٤١١هـ].

(٦) درء التعارض (١٧/٤)، وانظر: التبيان في أقسام القرآن (١٢٥، ١٢٦) [دار إحياء العلوم، ط ١، ١٤٠٩هـ]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٩٠) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط ٤، ١٤٣١هـ].

وتكبيره؛ ولهذا يقرن سبحانه بين هذين النوعين في القرآن كثيراً؛ كقوله: ﴿رَحِمَتْ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْآيَةِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود] (١).

وقال السعدي: «(المجيد) الذي له المجد العظيم، والمجد هو عظمة الصفات وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه، فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته»^(٢). وقال أيضاً: «هو الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلال»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اسم الماجد.

استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بالحديث القدسي الذي فيه: «يقول الله تعالى: إني جواد ماجد واجد، إنما أمري إذا أردت شيئاً أن أقول له كن فيكون»^(٤).

(١) جلاء الأفهام (٣٦٧) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٢) الحق الواضح المبين (٢٢٨) [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط ٢، ١٤١٢هـ].

(٣) تفسير السعدي (٦٢٢/٥)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكليات من أصول التفسير [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط ٢، ١٤١٢هـ].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق

- المسألة الثالثة: ختم التشهد باسم

المجيد:

أشار الإمام ابن القيم إلى المعنى اللطيف الذي من أجله خُتم التشهد باسمه تعالى: المجيد، فقال: «وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنًا بطلب الصلاة من الله على رسوله؛ كما عَلَّمناه ﷺ؛ لأنه في مقام طلب المزيد؛ والتعرض لسعة العطاء وكثرته ودوامه، فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه»^(١).

لأن المجد يدلُّ على كثرة أوصاف الكمال، وكثرة أفعال البر والخير، وتعدد العطايا والنوال، فناسب أن يكون ذلك ختامًا لأحد أعظم المطالب.

الفروق:

الفرق بين الماجد والمجيد:

الفرق بين الماجد والمجيد حصول المبالغة في معنى المجيد الذي هو مطابق لمعنى الماجد، لغة.

الآثار:

أثر هذا الاسم على العبد يتجلى في أن يَعُظِمَ الله ﷻ في قلبه، بما استحقه تعالى من كمال الصفات وجلال النعوت وجمال الفعال والخصال.

وعلى العبد أن يكون في قوله وفعله مترفعًا عن النقائص والعيوب؛ طلبًا

لحصول الكمال، وحتى يصل بتوحيده إلى الفردوس الأعلى في درجة الأنبياء والصدِّيقين والشهداء والأبرار والصالحين.

المصادر والمراجع:

١ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٤)، لابن تيمية.

٢ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.

٣ - «جلاء الأفهام»، لابن القيم.

٤ - «تفسير السعدي».

٥ - «الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين»، للسعدي.

٦ - «شرح القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، للسعدي.

٧ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٨ - «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، لابن القيم.

٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنی»، لمحمد بن خليفة التميمي.

١٠ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی»، لمحمد بن حمود النجدي.

(١) بدائع الفوائد (١/١٤٤) [دار الخير، ط ١، ١٤١٤هـ].

تعالى هو على غاية الكمال، فلا نقص فيه بوجه من الوجوه، وليس فيه أي معنى من معاني الاحتياج والافتقار إلى المحبوب.

❁ الحكم:

وجوب إثبات المحبة وصفاً فعلياً لله ﷻ على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، بلا تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل^(٣).

❁ الحقيقة:

حقيقة المحبة معروفة محسوسة، لا يُفسرها شيء مثل لفظها، فهو سبحانه يحب أنبياءه ورسله وأوليائه وعباده المؤمنين، ومحبته ﷻ سالمة من عوارض المحبة للمخلوق؛ من كونها محبة حاجة أو تملق أو انتفاع^(٤).

فهي صفة فعلية ثابتة لله تعالى، بأنه تعالى يحب من عباده من أطاعه واتقاه، وهذا تفضل وإنعام على من أحبه، وهو وصف على غاية الكمال والجلال والغنى، لا يعتره نقص، ولا يرد عليه تشبيه.

❁ محاسبة الكفار

يراجع مصطلح (الحساب).

❁ المحب

يراجع مصطلح (المحبة).

❁ المحبة

❁ التعريف لغةً:

الحاء والباء أصل يدلُّ على اللزوم والثبات، ومنه: الحُبُّ، والمحبة، فالحب اشتقاقه من أحبه؛ إذا لزمه^(١).
والحُبُّ: نَقِيضُ البُعْضِ. والحُبُّ: الودادُ والمَحَبَّةُ. وأَحَبَّهُ فهو مُحِبٌّ، وهو مَحْبُوبٌ^(٢).

❁ التعريف شرعاً:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى، بأنه تعالى يحب من عباده من أطاعه واتقاه، وهو وصف على غاية الكمال والجلال والغنى، لا يعتره نقص، ولا يرد عليه تشبيه.

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، إلا أن المعنى الشرعي المتعلق بوصف الله

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/٢٦).

(٢) لسان العرب (١/٢٨٩)، القاموس المحيط (٩٠).

(٣) انظر: نقض الدارمي على بشر المريسي (٢/٨٦٨)، الرسالة التدمرية (١٠)، شرح العقيدة الطحاوية (٣٩٦).

(٤) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٣/١٥٦)، بدائع الفوائد لابن القيم (٢/١٨٢)، الحق الواضح المبين لابن سعدي (٦٩)، وشرح العقيدة الواسطية لصالح الفوزان (٤٥).

وقد فسّر أهل العلم من السلف محبة الله بلفظها ومعناها دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه^(١). قال ابن القيم: «محبة لمحبيه وأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق؛ من كونها محبة حاجة إليه أو تملق له أو انتفاع بقربه، وسلام مما يتقوله المعطلون فيها»^(٢).

❁ الأدلة:

أما أدلة الكتاب الكريم: فمنها قوله تعالى: ﴿يَتَّابِعُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَرَدِّ مِنكُمْ عَن دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].
وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِيُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ [طه].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة]، وأيضاً ورد في آيات عدة أنه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب المتقين.

ومن السنّة المطهرة: حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله

ورسوله، ويحبه الله ورسوله»^(٣).
وحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»^(٤).

أما الإجماع: فقد حكاها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له، وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء رضي الله عنه»^(٥).

❁ أقوال أهل العلم:

ذكر النسائي بعض ما يوصف الله تعالى به فقال: «الحب والكرهية»^(٦)، وقال: «الحب والبغض»^(٧)، وذكر الأدلة في إثبات ذلك.

وقال الدارمي في ردّه على المريسي إنكاره بعض الصفات ومنها الحب: «وسنقص عليه بعض ما روي في بعض هذه الأبواب من الحب والبغض والسخط والكرهية وما أشبهه»^(٨)، ثم ذكر الأدلة.

وقال أبو العباس ابن تيمية: «ووصف نفسه بالمحبة ووصف عبده بالمحبة

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٠٩)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٦).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٦٥).

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/٣٥٤).

(٦) كتاب النعوت (٣٥٩).

(٧) المصدر السابق (٣٦٣).

(٨) نقض الدارمي على بشر المريسي (٢/٨٦٨).

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/١٨٢)، وتفسير ابن كثير (١/٣٥٨).

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم (٢/١١٨).

فقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] ومعلوم أن مشيئة الله ليس مثل مشيئة العبد، ولا إرادته مثل إرادته، ولا محبته مثل محبته، ولا رضاه مثل رضاه^(١).

وقال ابن أبي العز: «ولكن محبة الله وخلته، كما يليق به تعالى، كسائر صفاته»^(٢).

المعلوم أن أسماء الله تعالى توقيفية، ولم يثبت نص صحيح في إثباته اسمًا لله تعالى، ولم يرد هذا الاسم في أي من طرق حديث تعيين الأسماء المشهور^(٤).

ولم يورد هذا الاسم من أهل العلم سوى ابن العربي المالكي^(٥)، والشرباصي^(٦).

- المسألة الثانية: علامة محبة العبد لله

تعالى:

أن يحب ما يحبه الله تعالى، ويبغض ما يسخطه الله، فيمثل أوامرهم، ويجتنب مناهيهم، ويوالي أوليائهم، ويعادي أعداءهم^(٧).

- المسألة الثالثة: من أسباب محبة الله

تعالى لعبده أمور عدة:

أ - اتباع النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران].

ب - عبادة الله وحده لا شريك له وعدم الإشراك به.

ج - فعل الطاعات واجتناب المعاصي، ومن ذلك:

(٤) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٧٩ - ٨٤).

(٥) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣٤٦/٢).

(٦) انظر: موسوعة (له الأسماء الحسنى) (٢/٢) [دار الجيل، ط ٣، ١٩٩٦م].

(٧) انظر: أعلام السنة المنشورة للحكمي (٩)، ومعارج القبول له (٢/٤٢٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: إطلاق اسم (المُحِب) على الله:

اشتق بعض أهل العلم من صفة المحبة اسمًا لله وهو (المحب)، والمحب (مُفْعِل) من أبنية اسم الفاعل، من: أحب يحب حبًا ومحبة فهو محب.

ولا يصح إطلاق اسم المُحِب على الله ﷻ، وإنما هو من باب الأفعال، وباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، وليس كل ما يصح إطلاقه فعلاً يصح اسمًا، والله أعلم^(٣).

وقد استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. ومن

(١) الرسالة التدمرية (١٠).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٣٩٦).

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣٤٦/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١]، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (١٠٩، ٢٤١) [أضواء السلف، ط ١].

والاختلاف ما يرجع تحديده إلى دلالة السياق.

فما يقع في هذا الوجود فهو مما أَرَادَهُ اللهُ ﷻ كَوْنًا، سواء أَحَبَّهُ أَوْ لَمْ يَحِبَّهُ.

وما أَرَادَهُ اللهُ شَرْعًا فهو ما يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ سِوَاءَ وَقَعِ أَوْ لَمْ يَقَعْ (٢).

❁ الثمرات:

١ - ما يورثه التفكر في الصفة من زيادة محبة الله ﷻ؛ فهو مع غناه وعظمته سبحانه يحب عبده المتقي، بل يحب عبده المذنب المقصر في حقه حين يعود إليه ويتوب! فسبحانه من رب رؤوف رحيم، جعل السبيل إلى محبته اليسير من القول والعمل، ولكن العباد يجنون على أنفسهم بالبعد والإعراض.

٢ - مسارعة المؤمن في أسباب محبة الله تعالى للعبد، وخاصة حين يعلم مدى اليسر والسهولة فيها، مما فيه الدلالة الظاهرة على لطف الله تعالى، ورحمته بعباده.

٣ - إلحاح المؤمن في الدعاء أن يرزقه الله تعالى محبته، والرضا عنه، كما في الحديث: «أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَحِبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يَقْرُبُ

توبة العبد إلى الله تعالى، والتطهر، والثبات أمام العدو، وغيرها من الأمور.

د - التقرب إلى الله تعالى بالنوافل مع فعل الواجبات.

هـ - دوام ذكر الله تعالى، فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم، وصراطها الأقوم (١).

❁ الفروق:

الفرق بين الإرادة والمحبة:

الإرادة قد تكون للشيء دون رضا له، بخلاف المحبة التي تقتضي الرضا عن المحبوب دومًا.

فما أَرَادَهُ اللهُ تعالى قضاءً وقدرًا ليس من لازمه أن يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وذلك راجع للحكمة البالغة التي يكون بها فعل الله تعالى وتقديره، فالإرادة ملازمة للحكمة، فما أَرَادَهُ اللهُ تعالى فهو غاية الحكمة، والحكمة حين تتعلق بإيجاد شيء مبغوض في نفسه فهذا يعني أنه مراد لغيره، وما يحصل من إيجاده من حكم وغايات محمودة خارجة عنه، كخلق إبليس، فالله أراد إيجاده لحكم يريدتها، وإن كان هو في نفسه مبغوضًا إلى الله تعالى.

فالإرادة والمحبة بينهما من الاتفاق

(١) انظر: الزهد والورع لابن تيمية (٤٣)، والوابل الصيب لابن القيم (٦١)، والقول المفيد لابن عثيمين (٨/٢)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (٢٨٧/٢).

(٢) ينظر: الحجة في بيان المحجة (٤٢٣/١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٨٨/٨)، ومدارج السالكين (٢٥١/١).

إلى حبك»^(١).

لهم؛ فهو سبحانه لا يحب الظالمين، ولا يحب الكافرين، ولا يحب المعتدين.

❁ مذهب المخالفين:

المحبة: صفة من الصفات الفعلية الاختيارية التي أنكرها منكرو الصفات بالكلية من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة المعطلة، كما أنكرها الكُلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية، وهذا بناء على ما أصلوه في نفي الصفات، بحجة التشبيه والتجسيم.

وقالوا في المحبة: إنها ضعف ولين في القلب، وإنها ميل المحب إلى ما يناسبه، والله تعالى منزه عن ذلك، فالله ﷻ عندهم لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ، وأولوا نصوص الكتاب والسنة التي تذكر المحبة بإرجاعها إلى الإرادة؛ فيفسرون المحبة بإرادة الإنعام أو إرادة الرحمة^(٢). أو بإرجاعها إلى صفة الكلام فتكون محبة الله لعباده الله هي مدحه إياهم وثناؤهم عليهم^(٣)، فأولوا المحبة بإرادة الثواب كما هو عند الأشاعرة، أو إلى نفس الثواب المعطى للمحبوب كما هو عند المعتزلة^(٤).

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (١/٣٢٣).

(٣) انظر: الكشف للزمخشري (٣/٢٢٩ و٦/٣٥٠).

(٤) ينظر: الكشف للزمخشري (١/٦٨٠) تفسير قوله تعالى: (يحبهم ويحبونه)، ومفاتيح الغيب للرازي (٢٣/٩) تفسير قوله تعالى: (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير).

٤ - التبعيد لله ﷻ بمحبة كل ما يحبه الله، ومن يحبه الله، وبغض كل ما يبغضه الله سبحانه، ومن ذلك موالاتة المؤمنين ومعاداة الكافرين.

٥ - تواضع كل المحبوبات والمرغوبات أمام محبة الله تعالى، فيطيب المؤمن عيشاً بذلك، ويزكو نفساً، فليس دون محبة الله ﷻ شيء يزاحم مطلبه الأعلى، ومقصده الأسمى.

❁ الآثار:

١ - القلوب الطاهرة والنفوس المطمئنة التي سمت وعلت بمحبة الله تعالى، فكانت نوراً يضيء للسالك الطريق، وشاهداً جلياً على أن العزة والرفعة لمن أحبه الله ﷻ.

٢ - شرع الله تعالى اليسير الموصل إلى أعظم ما يقصده المؤمنون، وهو محبة الله تعالى.

٣ - التوفيق والحفظ والنصر والعاقبة الحسنة التي يجعلها الله تعالى للمؤمنين مما هو ظاهر الدلالة على محبته لهم.

٤ - عاقبة السوء والهلاك الواقع على الظالمين؛ وهذا من عدم محبة الله تعالى

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٣٥)، وأحمد (٤٢٢/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، ونقل عن البخاري أنه قال فيه مثل ذلك.

وهو تأويل باطل، فالمحبة لها حقيقة (٢).
غير حقيقة الإنعام والرحمة وإن كان بين
هذه الصفات دلالات تضمّن واستلزام.

الرد عليهم:

- ١ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
٢ - «الحق الواضح المبين في شرح
توحيد الأنبياء والمرسلين»، للسعدي.
٣ - «شرح العقيدة الواسطية»، لصالح
الفوزان.
٤ - «قاعدة في المحبة»، لابن تيمية.
٥ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
٦ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.
٧ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام
السنة التيمي.
٨ - «تقريب التدمرية»، لابن عثيمين.
٩ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن
أبي العز.
١٠ - «نقض الدارمي على بشر
المريسي».

المُحَدَّث

التعريف لغةً:

المُحَدَّث: اسم مفعول من الفعل
الثلاثي المزيد المبني للمجهول (حُدِّثَ)،
من (التحديث)؛ يعني: الكلام.
(والحديث) هو: الخبر، قليلاً كان أو
كثيراً؛ فهو كلامٌ يحدث منه الشيء بعد
الشيء، ومنه قولهم: رجل حُدِّثَ نساءً؛

ثم يقال: إثباتكم إرادة الثواب أو
الثواب نفسه مستلزم لمحبة العمل المثاب
عليه، ولولا محبة العمل ما أئيب فاعله،
فصار تأويلكم مستلزماً لما نفيتم؛ فإن
أثبتموه على الوجه المماثل للمخلوق
ففي التمثيل وقعتم، وإن أثبتموه على
الوجه المختص بالله واللائق به أصبتم
ولزمكم إثبات جميع الصفات على هذا

(٢) انظر: تقريب التدمرية (٢٧).

(١) شرح الواسطية للهراس (١٣٥).

إذا كان يتحدث إليهن^(١).

⊗ التعريف شرعاً:

المُحَدَّث: «هو الذي يُحَدَّث في سِرِّه وقلبه بالشيء؛ فيكون كما يُحَدَّث به»^(٢).

⊗ سبب التسمية:

سمِّي المُحَدَّث بهذا الاسم؛ لأنه يخبر بما يلقي في رُوعه من الحديث؛ فكأن غيره - من الملائكة أو الملائ الأعلَى - حدّثه بشيء فقال له؛ فهو يُكَلِّم ويُحَدِّث من غيره.

⊗ الأسماء الأخرى:

المُحَدَّث هو: المُلْهَم، والمتفرّس، والمتوسّم.

⊗ الحكم:

التحديث ليس حجة شرعية تعارض به نصوص الكتاب والسنة، أو تبنى عليه الشرائع والأحكام؛ وإنما هو صالح للاستئناس والاستشهاد به، لا أنه عمدة وأصل؛ فهو يستدلّ له بالكتاب والسنة لا به!

فالمُحَدَّث - وغيره من البشر ممن ليس بنبي - ليس معصوماً من الغلط، ولا يجب على المسلم قبول ما يقوله إن لم

يدل عليه الكتاب والسنة، بل هو لا يجوز له العمل بما يلقي في قلبه إن لم يعرضه على الكتاب والسنة، فإن وافق ذلك قبله، وإن خالف ذلك رده؛ لأنه لا يتيقن أنه من عند الله تعالى، وقد يكون من دسيسة الشيطان! وهذا كان حال عمر رضي الله عنه؛ فلم يكن يعتبر آراءه حقاً وصواباً؛ بل كان يتهم نفسه ولا يبرئها من الخطأ.

«وبالجملّة؛ فلا يخفى على من له إمام بمعرفة دين الإسلام: أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يتقرّب إليه به - من فعل وترك - إلا عن طريق الوحي. فمن ادّعى أنه غني في الوصول إلى ما يرضي ربه عن الرسل وما جاؤوا به، ولو في مسألة واحدة؛ فلا شك في زندقته. والآيات والأحاديث الدالة على هذا لا تحصى»^(٣).

⊗ الحقيقة:

المُحَدَّث: هو الرجل المُلْهَم، المُخاطَب، الصادق الظنّ، المصيب، الذي ألقى في رُوعه الصواب والحقّ من قبل الله تعالى أو الملائ الأعلَى؛ فيخبر به حدساً وفساسة - ولا يعلم أنه من عند الله تعالى - فيكون كالذي حدّثه غيره بشيء فقال له^(٤).

(١) انظر: الصحاح (٢٧٨/١) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٣٦/٢) [دار الفكر، ط ٢].

(٢) مدارج السالكين (٣٩/١) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٢٠٤/٤) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٤) انظر: شرح السنة للبغوي (٨٣/١٤) [المكتب =

المنزلة:

مرتبة التحديث ذات منزلة عالية، لكنها دون مرتبة الصديقية؛ فالصديق الذي يأخذ من مشكاة النبوة أكمل وأفضل وأتم مقاماً من المُحَدَّث؛ لأنه استغنى - بكمال صديقيته ومتابعته، وكمال مشربه من حوض النبوة، وتمام رضاعه من ثدي الرسالة - عن التحديث والإلهام والكشف؛ فالصديق سلّم قلبه وسرّه وظاهره وباطنه للرّسول المعصوم ﷺ الذي لا يتطرق إليه الخطأ؛ فاستغنى به عمّا دونه؛ فالذي يتلقاه من مشكاة النبوة أتمّ مما يتلقاه غيره من التحديث!

الأدلة:

دلّ على ثبوت التحديث: ما ثبت في الصحيحين؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحدّثون، فإن يك في أمّتي أحد فإنه عمر»، زاد مسلم: قال ابن وهب [وهو أحد رواة الحديث عنده]: «تفسير مُحدّثون: مُلهمون»^(١).

وفي رواية للبخاري: «لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يُكلمون من غير أن يكونوا أنبياء؛ فإن

التّحديث هو المرتبة الرابعة من مراتب هداية الله تعالى لخلقه - بعد: التكليم يقظة بلا واسطة، والوحي، وإرسال الرسول الملكي؛ وثلاثتها لا تكون إلا للأنبياء -، وهو دون مرتبة الوحي الخاص، بل هو إلهام خاص - وهو: الوحي لغير الأنبياء -، يخص الله به من يشاء من عباده، تفضلاً وتكرماً.

وقد اشتهر به من بين الصحابة رضي الله عنهم الفاروق عمر رضي الله عنه، وعليه نصّ الحديث؛ فهو أول المُحدّثين والمُخاطبين الملهمين من هذه الأمة وسيدهم وأفضلهم، وخصه النبي ﷺ بالذكر دون غيره؛ لكثرة إصاباته وإلهاماته التي وافق فيها الحق.

وليس هذا خاصاً بعمر رضي الله عنه؛ فإمكان تحقق ووجود التّحديث والإلهام في غيره وارد ومعروف.

= الإسلامي، دمشق، ١٤٠٣هـ]، والنهية في غريب الحديث لابن الأثير (١/٣٥٠) [مطبعة عيسى البابي الحلبي]، ومجموع الفتاوى (١٠/٤٧٦، ٢٠/٤٦، ٢٤/٣٧٧)، والجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح (٢/٤٠١) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ]، وجامع الرسائل لابن تيمية (٢/٩٩) [مطبعة المدني، ط ١، ١٤٠٥هـ]، وإعلام الموقعين (٤/١٤٢) [دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م]، وبدائع الفوائد (١/٨٠) [مكتبة نزار الباز، ط ١، ١٤١٦هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٧/٥٠) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، وفيض القدير للمناوي (٤/٥٠٧) [دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩١هـ]، وعقيدة ختم النبوة لأحمد بن سعد الغامدي ١٢٤ [دار طيبة، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٨٩)، من حديث أبي هريرة، وأخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، رقم ٢٣٩٨)، من حديث عائشة.

يكن من أمّتي منهم أحد فعمراً»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الطحاوي: «معنى قوله ﷺ: «محدّثون» أي: مُلهمون، وكذلك يُحدّثون؛ أي: يُلهمون حتى تنطق ألسنتهم بالحكمة كما كان لسان عمر ﷺ ينطق بما كان ينطق به منها»^(٢).

- وقال الأجرى: «ومعناه - أي: حديث الباب - عند العلماء - والله أعلم -: أن الله ﷻ يلقي في قلبه الحق، وينطق به لسانه، يلقيه الملك على لسانه وقلبه من الله ﷻ خصوصاً خصّ الله الكريم به عمر بن الخطاب ﷺ كما قال علي ﷺ: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر»^(٣)،^(٤).

وقال ابن تيمية: «يجب على المحدث المُلهم المكاشف من هذه الأمة أن يزن ذلك بالكتاب والسنة، فإن وافق ذلك صدق ما ورد عليه، وإن خالف لم يلتفت إليه؛ كما كان يجب على عمر ﷺ - وهو سيد المحدثين - إذا ألقى في قلبه

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، بعد الحديث رقم ٣٦٨٩).

(٢) شرح مشكل الآثار (٣٣٩/٤) مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (جامع معمر، رقم ٢٠٣٨٠)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٥٨٢/٢) [دار ابن القيم، ط ١] وغيرهما.

(٤) الشريعة للأجرى (١٨٩١/٤) [دار الوطن، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

شيء وكان مخالفاً للسنة لم يقبل منه؛ فإنه ليس معصوماً؛ وإنما العصمة للنبوّة. ولهذا كان الصديق أفضل من عمر؛ فإنّ الصديق لا يتلقى من قلبه؛ بل من مشكاة النبوة - وهي معصومة -، والمحدث يتلقى تارة عن قلبه، وتارة عن النبوة، فما تلقاه عن النبوة فهو معصوم يجب اتّباعه، وما ألهم في قلبه: فإن وافق ما جاءت به النبوة فهو حق، وإن خالف ذلك فهو باطل»^(٥).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: زيادة: (ولا مُحدّث) بعد (ولا نبي) في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ في قراءة ابن عباس ﷺ:

روى إسحاق بن راهويه في مسنده وغيره عن ابن عباس ﷺ؛ أنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج] بزيادة: (ولا مُحدّث) بعد (ولا نبي)^(٦). والآية - على هذه

(٥) مجموع الفتاوى (٢٤/٣٧٧)، بتصرف يسير.

(٦) أخرجه البخاري معلّقاً مجزوماً (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ١٦/٣) [المكتبة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٠هـ]، ووصله: إسحاق بن راهويه في مسنده (٢/٤٨٠) [مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة، ط ١، ١٤١٢هـ]، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤/٣٤١) [مؤسسة الرسالة، بيروت،

معقَّباً على هذا الحديث: «المُلْهَم»
للصواب. تفرد بهذه الفضيلة عمر، لم
يشركه فيها غيره^(٣)، فهو أول المُحَدِّثين
والمُخاطَبين الملهمين من هذه الأمة
وسيدهم وأفضلهم، وخصَّه النبي ﷺ
بالذكر دون غيره؛ لكثرة إصاباته
وإلهاماته التي وافق فيها الحق.

- المسألة الثالثة: التزام المُحَدِّث
بشريعة النبي ﷺ وعدم الخروج عليها:

لا يسع أحداً - مهما كان حاله
ومنزله - الخروج عن شريعة النبي ﷺ
وأحكام الدين، ولا أن يعارضها بكشف
أو تحديث أو إلهام، أو يبني على ذلك
شرائع أو أحكاماً؛ فرأيه يستدل له لا
به؛ إذ «غير المعصوم لا ثقة بخواطره؛
لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان! وقد
ضمنت الهداية في اتباع الشرع، ولم
تضمن في اتباع الخواطر
والإلهامات»^(٤).

فجميع المكلفين مأمورون بوزن
أقوالهم وأعمالهم واعتقاداتهم بالكتاب
والسنة، بما فيهم المُحَدِّث الملهم
عمر ﷺ؛ فما وافقها قبل وعمل به،
وإلا رُدَّ ولم يلتفت إليه، فكيف بمن دون
عمر!؟

فالواجب «على جميع الخلق: اتباع

(٣) أخرجه ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة (٩٨)
[مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٥هـ].

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٤/٢٠٤).

القراءة - مشكلة؛ إذ معناها: أن
المُحَدِّث مرسل من عند الله تعالى أو
يوحى إليه!

والجواب: «هذه القراءة ليست متواترة
ولا معلومة الصحة، ولا يجوز
الاحتجاج بها في أصول الدين. وإن
كانت صحيحة؛ فالمعنى: أن المُحَدِّث
كان فيمن كان قبلنا وكانوا يحتاجون
إليه، وكان ينسخ ما يلقيه الشيطان إليه
كذلك، وأمة محمد ﷺ لا تحتاج إلى
غير محمد ﷺ»^(١).

- المسألة الثانية: كون عمر بن
الخطاب ﷺ محدثاً:

تقدم أن التحديث: إلهام خاص،
يخص الله به من يشاء من عباده، تفضلاً
وتكرماً.

وقد اشتهر به من بين الصحابة
الفاروق عمر ﷺ، وعليه نصُّ الحديث
الذي أخرجه الشيخان في «صحيحهما»
أن رسول الله ﷺ قال: «لقد كان فيما
قبلكم من الأمم مُحَدِّثون، فإن يك في
أمتي أحد فإنه عمر»^(٢)؛ قال الحميدي

= ط١، ١٤١٥هـ]، من حديث عمرو بن دينار عن ابن
عباس ﷺ، وصحَّ الحافظ ابن حجر إسناده إلى
ابن عباس ﷺ في الفتح (٥١/٧) [دار المعرفة].

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (١٥٩). وانظر:
شرح مشكل الآثار (٤/٣٤٢)، والجامع لأحكام
القرآن للقرطبي (١٢/٨٠)، وعقيدة ختم النبوة
للغامدي (١٣٠).

(٢) سبق تخريجه.

صالح للمتابعة والاستشهاد، لا أنه عمدة؛ لأنها في غنية - بما بعث الله تعالى به نبيها ﷺ - عن كل منام أو مكاشفة أو إلهام أو تحديث! وأما من قبلها فللحاجة إلى ذلك جعل فيهم المحدثون. وهذا دالٌّ على أن رسول الله ﷺ أكمل خلقه، وأكملهم شريعة، وأن أمته أكمل الأمم^(٣).

❁ الضروق:

الفرق بين النبي والمُحَدَّث^(٤):

النبي: يوحى إليه بوحى يعلم يقيناً أنه وحي من عند الله تعالى؛ فلا يحتاج إلى عرضه على وحي سابق لبيان صحته. وهو معصوم من الخطأ في التبليغ عن الله ﷻ، وإن أخطأ - برأيه واجتهاده - نزل عليه الوحي بالحق والصواب.

أما المُحَدَّث: فهو المُلْهَم المُخَاطَب، الذي يُحَدِّث في سره وقلبه بالشيء؛ فيكون كما يُحَدِّث به، ولا يعلم أنه من عند الله تعالى.

- الفرق بين التَّحْدِيث والإلهام:

يشارك التَّحْدِيث والإلهام في أنَّ كلاً

الرسول ﷺ وطاعته في جميع أموره الباطنة والظاهرة، ولو كان أحد يأتيه من الله ما لا يحتاج إلى عرضه على الكتاب والسُّنَّة؛ لكان مستغنياً عن الرسول ﷺ في بعض دينه! وهذا من أقوال المارقين الذين يظنون أن من الناس من يكون مع الرسول ﷺ كالخضر مع موسى، ومن قال هذا فهو كافر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج]؛ فقد ضمن الله للرسول والنبي أن ينسخ ما يلقي الشيطان في أمنيته ولم يضمن ذلك للمُحَدَّث^(١).

- المسألة الرابعة: كثرة المحدثين في الأمم السابقة، وقتلتهم في هذه الأمة:

يقول رسول الله ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثُونَ، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر»^(٢)؛ فالنبي ﷺ جزم بوجود المحدثين في الأمم السابقة، وتعليقه وجودهم في أمته بحرف الشرط (إن) يدل على كمال أمته على من قبلهم - لا نقصانها - باستغنائها بالوحي عن التَّحْدِيث، وأنها أفضل الأمم؛ «فإنها لكمالها وكمال نبيها ﷺ وكمال شريعته لا تحتاج إلى مُحَدَّث؛ بل إن وجد فهو

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/١٨٢)، بتصرف. وانظر: مدارج السالكين (١/٣٩)، ومجموع الفتاوى (١٧/٤٦)، والجواب الصحيح (٢/٣٨٢)، والصَّفْدِيَّة (١/٢٥٩)، وشرح العقيدة الأصفهانية (١٥٩)، وفتح الباري لابن حجر (٧/٥٠).

(٤) انظر: عقيدة ختم النبوة للغامدي (١٢٤).

(١) المرجع السابق (١١/٦٥).

(٢) تقدم تخريجه.

أتمته بحرف الشرط (إن)؛ يدل على: كمال أتمته على من قبلهم - لا نقصانها - باستغنائها بالوحي عن التَّحْدِيث، وأنها أَفْضَلُ الأُمَّم؛ «فإنها لكمالها وكمال نبيِّها ﷺ وكمال شريعته لا تحتاج الى مُحَدَّث؛ بل إن وجد فهو صالح للمتابعة والاستشهاد، لا أنه عمدة؛ لأنها في غنية - بما بعث الله تعالى به نبيها ﷺ - عن كل منام أو مكاشفة أو إلهام أو تحديث! وأما من قبلها فللحاجة إلى ذلك جعل فيهم المحدثون. وهذا دالٌّ على أن رسول الله ﷺ أكمل خلقه، وأكملهم شريعة، وأن أتمته أكمل الأمم»^(٤).

❁ مذهب المخالفين:

سبق تقرير أن التَّحْدِيث والإلهام ليس حجة شرعية تعارض به نصوص الكتاب والسُّنَّة، أو تبنى عليه الشرائع والأحكام، وقد خالف في ذلك بعض الطوائف - كالصوفية والاتحادية منهم وغيرهم -؛ فارتقوا بالإلهام والكشف والذوق وجعلوها حجة تجاوزوا بها حدود الشرع، وخرجوا بها عن أحكام الدين!

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/١٨٢)، بتصرّف. وانظر: مدارج السالكين له (١/٣٩)، ومجموع الفتاوى (١٧/٤٦)، والجواب الصحيح (٢/٣٨٢)، والصفدية (١/٢٥٩)، وشرح العقيدة الأصفهانية كلها لابن تيمية (١٥٩)، وفتح الباري لابن حجر (٧/٥٠).

منهما موهبة مجردة لا تنال بكسب البتة. ويفترقان في أنّ الإلهام أعم من التَّحْدِيث؛ فهو عام للمؤمنين بحسب إيمانهم؛ فكل مؤمن قد ألهمه الله رشده الذي حصل به الإيمان. أمّا التَّحْدِيث فهو إلهام خاص لا يكون لكلّ أحد. فيبين الإلهام والتَّحْدِيث عموم وخصوص؛ فكل تحديث هو إلهام، من غير عكس^(١).

❁ الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على منزلة التَّحْدِيث في الشَّرْع ومدى حجيتها، وتفضيل مرتبة الصِّدِّيقية عليها: أنه على قدر متابعة العبد للكتاب والسُّنَّة يكون قدر الولاية لله؛ فكلّما كان الولي أعظم اختصاصًا بالرسول وأخذًا عنه وموافقة له كان أفضل؛ إذ الولي لا يكون وليًّا لله إلا بمتابعة الرسول باطنًا وظاهرًا^(٢)؛ ولذا كان الصِّدِّيق أفضل وأكمل وأتم مقامًا من المُحَدَّث.

ومن الثمرات أيضًا: أنّ قول النبي ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثون، فإن يك في أمّتي أحد فإنّه عمر»^(٣)، وجزمه بوجود المحدثين في الأمم السابقة، وتعليقه وجودهم في

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٤٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢/٢٢٥).

(٣) سبق تخريجه.

لأثمتهم بدعوى نزول الوحي عليهم^(٣)! وهذا خروج عن عقيدة ختم النبوة - المتواترة تواتراً قطعياً، والمعلومة من دين الإسلام بالضرورة -، وفهم باطل فاسد للتّحديث ومدى حجّيته في الشرع! وفيما تقدم كفاية في الردّ عليهم.

المصادر والمراجع:

- ١ - «بغية المرئاد»، لابن تيمية.
- ٢ - «الجواب الصحيح» (ج ٢)، لابن تيمية.
- ٣ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.
- ٤ - «الصفدية» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٥ - «عقيدة ختم النبوة»، لأحمد الغامدي.
- ٦ - «فتح الباري» (ج ٧)، لابن حجر.
- ٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٨ - «مدارج السالكين» (ج ١)، لابن القيم.
- ٩ - «مفتاح دار السعادة» (ج ٢)، لابن القيم.
- ١٠ - «منهاج السنّة النبوية» (ج ٦)، لابن تيمية.

فحكّموا خواطرهم وهو اجسهم وقدموها على الكتاب والسنة، وجعلوها معصومة من الخطأ والضلال، وأطلقوا عليها اسم: العلم اللدني! وهذا من تلبس إبليس وكيد بهم! فترى قائلهم يقول: «حدثني قلبي عن ربّي»، و«نحن أخذنا عن الحي الذي لا يموت، وأنتم أخذتم عن الوسائط»، و«أنتم تأخذون علمكم ميتاً عن ميت»، و«نحن أخذنا بالحقائق وأنتم اتبعتم الرسوم»^(١)!

«ومن ظن أنه يستغني عما جاء به الرسول ﷺ بما يلقى في قلبه من الخواطر والهواجس؛ فهو من أعظم الناس كفراً، وكذلك إن ظن أنه يكتفي بهذا تارة وبهذا تارة.

فما يلقى في القلوب لا عبرة به ولا التفات إليه إن لم يعرض على ما جاء به الرسول ﷺ، ويشهد له بالموافقة؛ وإلا فهو من إلقاء النفس والشيطان»^(٢).

وقد ارتقى بعض غلاة الشيعة بالإلهام والتحديث فجعلوه بمنزلة الوحي؛ فأثبتوه

(١) انظر مثلاً: الفتوحات المكيّة لابن عربي (١/٣٦٥)، والجواهر والذّرر للشعراني (٢٦٨) [بهامش الإبريز، طبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر]، وفيض القدير للمناوي (٤٠١/٥) [دار المعرفة ببيروت، ط ٢، ١٣٩١هـ].

(٢) إغائة اللفهان (١/١٢٣) [دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٥هـ]. وانظر: تلبس إبليس (٢٨٥، ٣٢٩، ٣٣٠) [دار الفكر، ط ١، ١٤٢١هـ]، ومجموع الفتاوى (١٣/٢١٨)، وفتح الباري لابن حجر (١١/٣٤٥).

(٣) انظر: أصول الكافي للكليني (١/١٧٦، ٢٧١) [دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨هـ]، وبحار الأنوار للمجلسي (٦٨/٢٦، ٧٣) [دار إحياء التراث، ط ٣، ١٤٠٣هـ]، وبصائر الدّرجات الكبرى للصفّار (٩٣) [المختصر، طبعة النجف، ١٣٧٠هـ]. ولمزيد من التفصيل راجع: أصول مذهب الشيعة للفقاري (١/٣١٠).

موجود عن إحسانه وإنعامه، وجوده، وكرمه، ومنه وعطائه^(٣)، وهو مع كونه وصفاً لازماً له، فهو من الصفات الفعلية المتعدية، كالخلق، ونحوه.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الشرعي لاسم الجلال المحسن علاقة مطابقة لدلالة هذا الاسم في الشرع على ما يدل عليه في اللغة من الإنعام والوجود والكرم والإتقان ونحوها من المعاني التي بلغت غاية الكمال والجمال في حق الله ﷻ.

الحكم:

يجب إثبات اسم الله المحسن، كما ثبت ذلك في السنة، على ما يليق بعظمته وسلطانه، دون تحريف، أو تأويل أو تمثيل أو تعطيل^(٤).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ

(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/ ٥١٢، ٥١٣) [دار الصحابة، ط ١، ١٤١٦هـ]، وفيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/ ٣٣٥) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٧٢) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٤) انظر: شرح القواعد المثلى لابن عثيمين (٩٤) [دار الآثار، ط ١، ١٤٢٣هـ].

المُحْسِن

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «حسن: الحاء والسين والنون أصل واحد، فالْحُسْن ضد القبح؛ يقال: رجل حَسَن، وامرأة حسناء، وحَسَّانة»^(١).

المُحْسِن: اسم فاعل من الفعل: أَحْسَنَ يحسُن إحساناً فهو محسن، والحُسْن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه، والحسنة والحسنى: يعبر بها عن كل ما يسرّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، وضدها السيئة، وجمعها حسنات ومحاسن. والإحسان: يطلق على الإنعام على الغير، ويطلق على إتقان الفعل وتجويده، والإحسان أعمّ من الإنعام؛ لأنه دالٌّ على إعطاء أكثر مما عليه، فالمحسن: المنعم على غيره، والمتن المجوّد لفعله^(٢).

التعريف شرعاً:

المحسن: هو المنعم، والمكرم، والإحسان وصف لازم له ﷻ، لا يخلو

(١) مقاييس اللغة (٥٧/٢) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٤/ ٣١٤ - ٣١٧) [الدار المصرية]، والصحاح (٥/ ٢٠٩٩ - ٢١٠٠) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٢٣٥، ٢٣٦) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٥٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٥]، والمعجم الوسيط (١/ ١٧٤) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢هـ].

حَقَّقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾
[السجدة]، ونحوها من الآيات.
ومن السُّنَّة: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا حكمتهم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإن الله محسن يحب الإحسان»^(١).

وحديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ اثنتين، قال: «إن الله محسن يحب الإحسان إلى كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته» الحديث^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وكان شيخ الإسلام الهروي قد سمى أهل بلده بعامة أسماء الله الحسنى، وكذلك أهل بيتنا غلب على أسمائهم

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب الدييات (٥٦) [مطبعة التقدم، ١٦، ١٣٢٣هـ]، والطبراني في المعجم الأوسط (٤٠/٦) [دار الحرمين، ١٦، ١٤١٥هـ]، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٧٥/٢)، وقال (٧٦) [دار الكتب العلمية، ١٦، ١٤١٠هـ]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٦/٥) [دار الفكر، ١٤١٢هـ]: «رجاله ثقات»، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٤٦٩) [مكتبة المعارف، ١٦، ١٤١٢هـ].

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (كتاب المناسك، رقم ٨٦٠٣)، ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير (٢٧٥/٧) [مكتبة العلوم والحكم، ٢، ١٤٠٤هـ]، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٧/٥) [مكتبة القدسي]: «رجاله ثقات»، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٨٢٤).

التعبيد لله؛ كعبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الغني، والسلام، والقاهر، واللطيف، والحكيم، والعزيز، والرحيم، والمحسن»^(٣).

وقال ابن القيم رحمته الله: «فتأمل هذه الجلالة وهذه العظمة التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبداع نظام وأحسن سياق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١) ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ (٢) ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ (٣) [الناس]، وقد اشتملت هذه الإضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان وتضمّنت معاني أسمائه الحسنى، أما تضمّنها لمعاني أسمائه الحسنى فإن الرب هو القادر الخالق البارئ المصور الحي القيوم العليم السميع البصير المحسن... إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى»^(٤).

وقال ابن القيم في نونيته^(٥):

«صدرت عن البر الذي هو وصفه

فالبر حينئذ له نوعان

وصف وفعل فهو بر محسن

مولى الجميل ودائم الإحسان»

(٣) مجموع الفتاوى (٣٧٩/١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ].

(٤) بدائع الفوائد (٧٨٢/٢) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٥) الكافية الشافية (١٨١/٤) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٨هـ].

❁ الأقسام:

إحسان الله لخلقه نوعان^(١):

إحسان عام لجميع الخلق: وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]؛ فإنه يشترك فيه البر والفاجر، وأهل السماء وأهل الأرض، والمكلفون، وغيرهم.

وإحسان خاص بالمتقين: كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

❁ الآثار:

- أوجه إحسان الله لخلقه التي يقتضيها اسمه: المحسن، وهذه الأوجه كثيرة ومتعددة لا تقع تحت الحصر، ومنها:

أعظمها وأفضلها وأكثرها نفعًا للعبد: أن وفقه الله ﷻ وهداه للإسلام، وشرح صدره لعبادته وطاعته.

ومنها: إخراجه من العدم، في أحسن صورة، وأكمل خلقة، وضمن له رزقه، قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

وفي بيان بعض أوجه إحسان الله ﷻ

(١) انظر: شرح القصيدة التونية للهراس (١٠٨/٢) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

إلى عباده التي يقتضيها اسم الجلال: المحسن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأهل السُّنَّة يقولون: هو محسن إلى العبد، متفضل عليه، بأن أرسل إليه الرسول ﷺ، وأن جعل له السمع والبصر، والفؤاد الذي يعقل به، وأن هداه للإيمان، وأن أماته عليه، فكل هذا إحسان منه إلى المؤمن وتفضل عليه، وإن كان هو قد كتب على نفسه الرحمة، وكان حقًا عليه نصر المؤمن، وحق العباد عليه إذا وحدوه ألا يعذبهم، فذاك حق أوجبه بنفسه، بكلماته التامات، وبما تستحقه نفسه المقدسة من حقائق الأسماء والصفات، لا أن شيئًا من المخلوقات أوجب عليه شيئًا، أو حرم عليه شيئًا»^(٢).

- إن الله ﷻ يحب من عباده أن يتقربوا إليه بمقتضى أسمائه، فلما كان هو المحسن فإنه يحب المحسنين، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

- ولما كان الربُّ تعالى هو (المحسن): كان التوسُّل إليه بإحسانه من

(٢) درء التعارض (٦٠/٧). وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/٨) (١١٥/١٠) (٢٠٢/١٨ - ٢٠٤)، ومنهاج السُّنَّة النبوية (٣١٠/٢، ٣١١). وانظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٥١٣ - ٥١٧)، فقد نقل القرطبي كلامًا مطولًا للإقليشي توسع في بيان الجود والفضل والإحسان وأنواعه على الخلق.

أحبَّ الوسائل، كما قال ابن القيم: «أحبُّ الوسائل إلى المحسن: التوسُّل إليه بإحسانه، والاعتراف له بأن الأمر كلُّه محض فضله وامتنانه»^(١).

١ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٢ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.

٣ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

٤ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

٥ - «شرح القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٦ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٧ - «إثبات أن المحسن من أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتمييمي.

٩ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لحمود النجدي.

١٠ - «شرح أسماء الله الحسنى»، للقططاني.

- كما امتدح الله ﷻ من عباده من وصل إلى مرتبة الإحسان التي هي أعلى مراتب الدين، وجاء تفسيرها في حديث النبي ﷺ لما سأله جبريل ﷺ ما الإحسان؟ فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٢).

وهذا الإحسان في عبادة الله ﷻ، والنوع الآخر من الإحسان الذي يحبه الله ﷻ ويرضاه، ويجزل عليه المثوبة والعطاء، إحسان العبد إلى غيره، بإيصال جميع أنواع الخير لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣) [التوبة]، وهذا الإحسان إلى الغير من أعظم أسباب انشراح الصدر، وطمأنينة القلب^(٣).

ومن أعظم الإحسان إلى الخلق: تعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم،

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢٣٠) [دار القلم، ١، ١٤١٦هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) انظر: زاد المعاد (٢/٢٥، ٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط/٢٧، ١٤١٥هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٧٣).

المُحْكَمُ وَالْمُتَشَابَهُ

التعريف لغةً:

المُحْكَمُ: الإحكام هو الإتقان والمنع. وأحكم الأمر؛ إذا أتقنه، والحكيم: المتقنُّ للأمر، وحكَمَ الشيء

وأحكامه: منعه من الفساد^(١).

قال الراغب الأصفهاني: «حكم أصله: منع منعًا لإصلاح. فقليل: حكمت الدابة: منعها بالحكمة وأحكامتها: جعلت لها حكمة»^(٢).

والتشابه: التماثل والتناسب. قال ابن منظور: «الشَّبُه والشَّبَه والشَّيْبُه: المِثْل، وَالْجَمْعُ أَشْبَاهٌ. وَأَشْبَهَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ: مِثَّلَهُ. وَالشَّيْبَةُ: الِاتِّبَاسُ. وَأُمُورٌ مِثْبِيهَةٌ وَمِشْبِيهَةٌ: مُشْكَلَةٌ يَشْبَهُ بَعْضُهَا بَعْضًا»^(٣). وقال ابن فارس: «الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونًا ووصفًا، والمشبّهات من الأمور: المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا»^(٤).

التعريف شرعًا:

المحكّم: ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما يحتمل وجوهًا، فإذا ردت إلى وجه واحد وأبطل الباقي، صار المتشابه محكمًا^(٥).

وقيل: المحكّم: الواضح المعنى الظاهر الدلالة، إما باعتبار نفسه أو

باعتبار غيره، والمتشابه ما لا يتضح معناه، أو لا تظهر دلالاته لا باعتبار نفسه ولا باعتبار غيره^(٦).

قال الإمام أحمد: «المحكّم: الذي ليس فيه اختلاف، والمتشابه: الذي يكون في موضع كذا، وفي موضع كذا»^(٧).

وقال ابن تيمية: «المحكّم: يميز الحقيقة المقصودة، والمتشابه يشبه هذا ويشبه هذا»^(٨).

الحكم:

يجب سلوك طريق أهل العلم الراسخين، الذين يؤمنون بالكتاب كله؛ محكمه ومتشابهه، وأن كلاً من عند الله، وأن نصوص الكتاب والسنة يُعمل بمحكمها مع الإيمان بمتشابهها.

ويردون النصوص المتشابهة - التي احتملت في دلالتها على ما يوافق الآيات المحكمة، وعلى ما يخالفها - إلى النصوص المحكمات الواضحات بنفسها، حتى يتبين المقصود منها، ويتعين وجه الصواب فيها^(٩).

(٦) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان علي حسن (٤٧٧/٢) مكتبة الرشد، ط ٥، ١٤٢٧هـ.

(٧) انظر: العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى (٢/٦٨٥) ط ٢، ١٤١٠هـ.

(٨) حاشية مقدمة التفسير لابن قاسم (٥٨) ط ٢، ١٤١٠هـ.

(٩) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٤/١٧١، ١٧٢) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء].

(١) انظر: الصحاح (١٩٠١/٥) [دار العلم، ط ٤، ١٩٩٠م]، ولسان العرب (١٤٣/١٢) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ].

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (٢٥١/١) [دار القلم].

(٣) لسان العرب (٥٠٣/١٣، ٥٠٤).

(٤) مقاييس اللغة (٢٤٣/٣) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ].

(٥) انظر: قضية المحكّم والمتشابه وأثرها على القول بالتفويض لمحمود عبد الرزاق (١٠).

❁ الحقيقة:

للإحكام والتشابه إطلاقان: عام وخاص:

أولاً: الإطلاق العام:

فالمحكم: هو اليّين الواضح الذي لا يفتقر في بيان معناه إلى غيره، وذلك لوضوح مفرداته وإتقان تركيبها، والمتشابه: يقال لكل ما غمض ودق، فهو يحتاج في فهم المراد منه إلى تفكير وتأمل؛ إذ إنه محتمل لمعانٍ كثيرة ومختلفة، فهو كالمشكّل؛ لأنه دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله^(١).

ثانياً: الإطلاق الخاص:

فالتشابه الخاص: هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر، بحيث يشته على بعض الناس أنه هو، أو هو مثله وليس كذلك. والإحكام الخاص: هو الفصل بينهما بحيث لا يشته أحدهما بالآخر، وهذا التشابه إنما يكون في القدر المشترك بين الشئيين مع وجود الفاصل بينهما.

ثم من الناس من لا يهتدي إلى الفصل بينهما، فيكون مشتبهاً عليه، ومنهم من يهتدي إلى ذلك، فالتشابه الذي لا يتميز قد يكون من الأمور النسبية الإضافية، بحيث يشته على بعض الناس دون بعض، ومثل هذا يعرف منه

أهل العلم (الراسخون فيه) ما يزيل عنه هذا الاشتباه، كما إذا اشتبه على بعض الناس ما وُعدوا به في الآخرة بما يشاهدونه في الدنيا فظن أنه مثله، فعلم العلماء أنه ليس مثله وإن كان مشابهاً له من بعض الوجوه.

وقد يكون المتشابه من الأمور التي لا يعلمها أحد من العباد، بل استأثر الله بعلمها، كما استأثر الله بالعلم بالقدر المميز بين حقائق الدنيا وحقائق الآخرة، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر^(٢).

❁ الأدلة:

من الأدلة على أن القرآن محكم كله قوله تعالى: ﴿الرَّ كُنُبٌ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُمْ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ﴿١﴾ [هود].

والدليل على أنه متشابه كله قوله تعالى: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ [الزمر: ٢٣].

والدليل على أنه محكم وبعضه متشابه، قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٧﴾ [آل عمران].

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٦١).

(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (٢/ ٤٧٣).

الذي ليس فيه اختلاف، والمتشابه: الذي يكون في موضع كذا وفي موضع كذا»^(٤).

وقال الطبري رحمته الله: «وأما المحكمات: فإنهن اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل، وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جعلن أدلة عليه من حلال وحرام، ووعد ووعيد، وثواب وعقاب، وأمر وزجر، وخبر ومثل، وعظة وعبر، وما أشبه ذلك، ثم وصف جل ثناؤه هؤلاء الآيات المحكمات

بأنهن هنَّ أم الكتاب، يعني بذلك. أنهن أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين والفرائض والحدود، وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر دينهم، وما كلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم، وإنما سماهن أم الكتاب؛ لأنهن معظم الكتاب، وموضع مفرغ أهله عند الحاجة إليه. وأما قوله: (متشابهات) فإن معناه: متشابهات في التلاوة، مختلفات في المعنى، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾؛ يعني في المنظر، مختلفًا في المطعم»^(٥).

وقال ابن رجب رحمته الله: «وإنما القطعيات ما جاء عن الله ورسوله من

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧٥/١٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٨٨/٥ - ١٩٢) [دار هجر، ١٤٢٢هـ].

ومن السُّنَّة: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوماً يتدارؤون^(٢)، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه»^(٣).

❖ أقوال أهل العلم:

قال أحمد بن حنبل رحمته الله: «المحكم:

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٥٤٧)، ومسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٦٥).

(٢) أي: يتمارون في القرآن.

(٣) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ٨٥)، وعبد الرزاق

في المصنف (جامع معمر، رقم ٢٠٣٦٧) واللفظ

له، وعنه أحمد (١١/٣٥٤) [مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ].

(١٤٢١هـ)، والبخاري في خلق أفعال العباد (٦٣)

[دار المعارف، الرياض]، وصحح إسناده البوصيري

في مصباح الزجاجة (١/١٤) [دار العربية، ٢٠٠٢هـ].

وحسنه الألباني في تعليقه على المشكاة (رقم ٢٣٧)

[المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٩٨٥هـ].

❁ الأقسام:

التشابه والإحكام قسمان:

الأول: تشابه وإحكام بالمعنى العام.
فالإحكام يطلق بمعنى: الإتقان،
فإحكام الكلام: إتقانه ووضوح معناه
فيتميز به الصدق من الكذب في
الأخبار، والرشد من الغي في الأوامر.
والتشابه في الكلام يطلق على تماثله
وتناسبه، بمعنى: أنه يصدّق بعضه بعضًا
في أوامره، فلا يأمر بشيء في موضع
وينهى عنه في موضع آخر، ويصدق
بعضه بعضًا في أخباره، فإذا أخبر بثبوت
شيء في موضع لم يخبر بنفيه في موضع
آخر؛ والتشابه بهذا المعنى لا ينافي
الإحكام بالمعنى العام، بل يصدق كل
منهما الآخر ولا يتناقضان.

الثاني: التشابه بالمعنى الخاص؛ هو
مشابهة الشيء غيره من وجه ومخالفته له
من وجه، فيلتبس المقصود منها على
كثير من الناس، فإن رد التشابه بهذا
المعنى الخاص إلى المحكم تبين
المقصود منه وتعين وجه الصواب^(٢).

❁ المسائل المتعلقة:

- نصوص الصفات ليست من
المتشابه:

أخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن ليعقله
الناس ويتدبروه، حيث قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ

الآيات المحكمات البينات، والنصوص
الواضحات، فترد إليها المتشابهات،
وجميع كتب الله المنزلة متفقة على معنى
واحد، وإنما فيها محكمات ومتشابهات،
فالراسخون في العلم يؤمنون بذلك كله،
ويردون المتشابهة إلى المحكم، ويكلون
ما أشكل عليهم فهمه إلى عالمه، والذين
في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه ابتغاء
الفتنة وابتغاء تأويله، فيضربون كتاب الله
بعضه ببعض، ويردون المحكم،
ويتمسكون بالمتشابه ابتغاء الفتنة،
ويحرفون المحكم عن مواضعه،
ويعتمدون على شبهات وخيالات لا
حقيقة لها، بل هي من وسواس الشيطان
وخيالاته، يقذفها في القلوب.

فأهل العلم والإيمان يمثلون في هذه
الشبهات ما أمروا به من الاستعاذة بالله،
والانتهاء عما ألقاه الشيطان، وقد جعل
النبي ﷺ ذلك من علامات الإيمان،
وأما غيرهم فيصغون إلى تلك الشبهات،
ويعبرون عنها بألفاظ مشتبهات، لا حرمة
لها في نفسها، وليس لها معنى يصح،
فيجعلون تلك الألفاظ محكمة لا تقبل
التأويل، فيردون كلام الله ورسوله إليها،
ويعرضونه عليها، ويحرفونه عن مواضعه
لأجلها^(١).

(١) فتح الباري لابن رجب (٧/٢٣٩، ٢٤٠) [مكتبة

الغريب الأثرية، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) الصواعق المرسله (٣/٩٢١).

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ [يوسف]، وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [الحشر]، فحُضَّ عَلَى تَدْبِرِهِ وَفَقْهِهِ وَعَقْلِهِ وَالتَّذْكَرِ بِهِ وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ وَلَمْ يَسْتَثْنِ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا. وَنُصُوصُ الصِّفَاتِ مِنْ ذَلِكَ، لَهَا مَعَانٍ صَحِيحَةٌ مَفْهُومَةٌ، فَإِنَّا نَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾ مَعْنَى، وَنَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٥٩﴾ مَعْنَى لَيْسَ هُوَ الْأَوَّلُ، وَنَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ مَعْنَى، وَنَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ﴿٤٧﴾ مَعْنَى. وَصِبْيَانُ الْمُسْلِمِينَ بِلِ وَكُلِّ عَاقِلٍ يَفْهَمُ هَذَا.

❁ الحكمة:

فإن قيل: ما الحكمة من وجود المتشابه في القرآن؟

فالجواب:

١ - أن الحكمة من ذلك: ابتلاء العباد واختبارهم ليتبين الصادق في إيمانه من الشاك الجاهل الزائغ، فالصادق في إيمانه الراسخ في علمه الذي يؤمن بالله وكلماته، ويعلم أن كلام الله ﷻ ليس فيه تناقض ولا اختلاف، فيرد ما تشابه منه إلى ما كان محكمًا، ليصير كله محكمًا. وأما الشاك الجاهل الزائغ الذي يتبع ما تشابه منه، ليضرب كتاب الله تعالى بعضه ببعض،

ومن أدخل صفات الله أو بعض ذلك في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، أو اعتقد أن ذلك هو المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله، فهو مخالف لاعتقاد السلف رحمهم الله الذين أجمعوا على أن كلام الله له معانٍ صحيحة، وقالوا في أحاديث الصفات: «تَمَرُّ كَمَا جَاءَتْ»، ونهوا عن تأويلات الجهمية - وردوها وأبطلوها - التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه^(١).

فالذي ذهب إليه المعطلة من أن

(٢) انظر: الصواعق المرسله (٣/ ٩٢٠، ٩٢١).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٩٤، ٢٩٥).

- فيضل ويضل، ويكون إمامًا في الضلال والشقاء فيفتن الناس في دينهم، ويوقعهم في الشك والحيرة، ويفتن بعضهم ببعض^(١).
- ٢ - وقيل: إن الحكمة من ذلك أن القرآن لو كان كلُّ ظاهر المعنى مكشوف الدلالة حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر. ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة، ويرتقي المتعلم فيه رتبة بعد رتبة، حتى يبلغ منتهاه، ويدرك أقصاه ولتكون للعالم فضيلة النظر، وحسن الاستخراج، ولتقع المثوبة من الله على حسن العناية^(٢).
- ٦ - «دراسات في علوم القرآن»، لمحمد بكر إسماعيل.
- ٧ - «الصواعق المرسله»، لابن القيم.
- ٨ - «فتح الباري» (ج ٧)، لابن رجب.
- ٩ - «مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات»، لأحمد عبد الرحمن القاضي.
- ١٠ - «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنّة والجماعة» (ج ٢)، لعثمان علي حسن.

محمد ﷺ

اسمه ونسبه:

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(٣).

(٣) ذكره البخاري في صحيحه فقال: «باب مبعث النبي ﷺ» فسرده في الترجمة دون إسناد. انظر: صحيح البخاري (كتاب مناقب الأنصار، باب مبعث النبي...). وابن هشام في السيرة (١/١، ٢) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٧٥هـ]، والطبقات لخليفة بن خياط (٣) [دار طيبة، الرياض، ط ٢، ١٤٠٢هـ] والبيهقي في دلائل النبوة (٢/١٧٩) [دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ط ١،

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإتقان في علوم القرآن» (ج ٣)، للسيوطي.
- ٢ - «أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات»، للكرمي.
- ٣ - «الإكليل في المتشابه والتأويل»، لابن تيمية.
- ٤ - «تأويل مشكل القرآن»، لابن قتيبة.
- ٥ - «التدمرية»، لابن تيمية.
- (١) تقريب التدمرية (٨٢).
- (٢) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٥٨) [دار الكتب العلمية]، وتقريب التدمرية (٨٢).

ونسب النبي ﷺ إلى عدنان على هذه الكيفية متفق عليه بين جميع أهل السير والأنساب^(١)، قال ابن الجوزي: «ولا يختلف النسابون إلى عدنان»^(٢).

وقال ابن كثير بعد أن سرد نسب النبي ﷺ على مثل ما تقدم: «وهذا النسب بهذه الصفة، لا خلاف فيه بين العلماء، فجميع قبائل عرب الحجاز ينتهون إلى هذا النسب؛ ولذا ذكر ابن عباس وغيره في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يَبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى]: لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله ﷺ نسب يتصل بهم^(٣)، وصدق ابن عباس رضي الله عنه^(٤).

وأما ما فوق عدنان من النسب فمختلف فيهم؛ في أسمائهم وعددهم، مع اتفاق الجميع على أن عدنان من

صريح ولد إسماعيل بن إبراهيم رضي الله عنه^(٥). وقد حفظ الله نسب نبيه رضي الله عنه، فجعله من خير الناس نسباً، وأزكاهم نسلاً، وأطهرهم عرقاً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فِقَرْنَا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقُرُونِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ»^(٦)، وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قَرِيشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قَرِيشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^(٧).

❁ معنى اسمه لغة:

- من أسمائه:

أ - محمد، ولفظ (محمد) اسم مفعول، من (حمد) فهو محمّد؛ لكثرة نعوته التي يمدح بها. قال ابن فارس: «الحاء والميم والدال كلمة واحدة وأصل واحد يدل على خلاف الذم. يقال: حمدت فلاناً أحمده. ورجل محمود ومحمّد؛ إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة»^(٨).

وقال ابن القيم: «أما محمد، فهو

= ١٤٠٨هـ]، والمنظم في تاريخ الملوك والأمم (٢/ ١٩٥) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ]

(١) انظر: الرحيق المختوم للمباركفوري (٣٩) [دار الهلال، بيروت، ط ١]، والسيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري (١/ ٩٠) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٦، ١٤١٥هـ].

(٢) المنظم في تاريخ الملوك والأمم (٢/ ١٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨١٨).

(٤) البداية والنهاية (٣/ ٣٦٠) [دار هجر، ط ١]. وانظر: صحيح السيرة النبوية للألباني (٩، ١٠) [المكتبة الإسلامية، عمّان، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٥) انظر: الرحيق المختوم (٣٩).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٥٧).

(٧) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٦).

(٨) مقاييس اللغة (٢/ ١٠٠) [دار الفكر ١٣٩٩هـ].

وانظر: تهذيب اللغة (٤/ ٢٥٢) [دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ١]، والقاموس المحيط (٢٧٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٨، ١٤٢٦هـ].

اسم مفعول من (حمد) فهو محمد؛ إذا كان كثير الخصال التي يحمد عليها، ولذلك كان أبلغ من (محمود)، فإن (محمودًا) من الثلاثي المجرد، و(محمد) من المضاعف؛ للمبالغة، فهو الذي يُحمد أكثر مما يُحمد غيره من البشر، ولهذا - والله أعلم - سمي به في التوراة؛ لكثرة الخصال المحمودة التي وصف بها، هو ودينه وأمه في التوراة»^(١).

ب - أحمد، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، ومن السنة الحديثان الآتيان عن جبير بن مطعم وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما.

ج - الماحي.

د - الحاشر.

هـ - العاقب.

وهذه الأسماء الثلاثة فسرها النبي ﷺ كما في حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد»^(٢).

هـ - المقفي.

و - نبي التوبة.

ز - نبي الرحمة.

يدل عليها ما ثبت من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ أنه قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء، فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»^(٣). والمقفي: هو المبعوث آخر الأنبياء وخاتمهم^(٤).

ح - الرؤوف.

ط - الرحيم.

ويدل عليهما قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة].

- ومن ألقابه وأوصافه:

أ - الشاهد.

ب - المبشر.

ج - النذير.

د - السراج.

هـ - المنير.

يدل عليها قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [٤٥] ﴿٤٦﴾ [الأحزاب]. قال ابن كثير:

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٥٥).

(٤) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٢٣٢/١) [دار الفكر، ١٤٠٩هـ].

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٩٦)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٥٤).

«وقوله: ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥)؛ أي:

«علي» (٣). في عام الفيل؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ولد النبي ﷺ عام الفيل» (٤).

وجاء نحوه من حديث قيس بن مخزومة، قال: «ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل، كنا لدين» (٥). وهو المجمع عليه كما يقول خليفة بن خياط (٦)، وقال ابن القيم: «لا خلاف أنه ولد ﷺ بجوف مكة، وأن مولده كان عام الفيل» (٧).

واختلف في تاريخ يوم الولادة وشهره على عدة أقوال (٨)، ولعل الراجح هو

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصيام، رقم ١١٦٢).
(٤) أخرجه البزار في مسنده (٦٤/١١) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، والطحاوي في مشكل الآثار (١٥/٢١٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم في المستدرک (كتاب تواريخ المتقدمين، رقم ٤١٨٠) وصححه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣١٥٢).

(٥) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٤٨) [دار الفكر، ط ١]، ومن طريقه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٦١٩) وحسنه، وأحمد (٤٢٢/٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٩١٩)، وضعف سنده الألباني، لكن حسنه بشاهده السابق. انظر: السلسلة الصحيحة (رقم ٣١٥٢).

وقوله: «كنا لدين»؛ أي: مولودين في وقت واحد. انظر: الصحاح (٥٥٤/٢) [دار العلم للملايين].
(٦) تاريخ خليفة بن خياط (٥٣) [دار القلم، ومؤسسة الرسالة، ط ٢]. وانظر: صحيح السيرة للألباني (١٣).

(٧) زاد المعاد (١/٧٦). وانظر: البداية والنهاية (٣/٣٧٧).

(٨) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٢/٢٤٥ - ٢٤٧)، والبداية والنهاية (٣/٣٧٤ - ٣٨٠).

بشيراً للمؤمنين بجزيل الثواب، ونذيراً للكافرين من وبيل العقاب. وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾؛ أي: داعياً للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك. ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٤٦)؛ أي: وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق؛ كالشمس في إشراقها وإضاءتها، لا يجحدها إلا معاند (١). وقد جاء في تفسير هذه الآية عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب] وحرزاً للأمة، أنت عبيدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سحاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صمماً، وقلوباً غلفاً» (٢).

مولده ونشأته:

أ - مولده:

ولد رسول الله ﷺ في يوم الاثنين؛ لما ثبت من حديث أبي قتادة الطويل، وفيه أن رسول الله ﷺ: سئل عن صوم يوم الإثنين، قال: «فيه وُلدت، وفيه أنزل

(١) تفسير ابن كثير (٦/٤٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢١٢٥).

وأشار ابن عثيمين إلى صنيع بعض الفلكيين هذا في أثناء ردّه على أصحاب المولد بقوله: «وقد حقق بعض الفلكيين المتأخرين ذلك، فكان في اليوم التاسع، لا في اليوم الثاني عشر»^(٤).

وعلى كلّ فالقول المستند إلى الرواية والسند أقرب للصواب من غيره فيما يبدو، والله أعلم.

ب - نشأته:

ولد النبي ﷺ يتيم الأب؛ فقد توفي والده عبد الله وهو في بطن أمه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى]، وكانت قابِلته الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف، وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية، وممن أرضعته ثويبة أمة عمه أبي لهب، كما ثبت من حديث أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها؛ أنها قالت: «يا رسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان، فقال: أوتحبين ذلك؟ فقلت: نعم لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في خير أختي، فقال النبي ﷺ: إن ذلك لا يحل لي، قلت: فإننا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة، قال: بنت أم سلمة؟ قلت: نعم، فقال: لو أنها لم تكن ربيتي في حجري ما حلت لي؛ إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعته وأبا سلمة ثويبة، فلا

اليوم الثامن من ربيع الأول. قال الألباني معلقًا على هذه الأقوال المختلفة في تحديد تاريخ يوم الولادة وشهره: «وأما تاريخ يوم الولادة فقد ذكر فيه وفي شهره أقوال ذكرها ابن كثير في الأصل، وكلها معلقة - بدون أسانيد - يمكن النظر فيها ووزنها بميزان علم مصطلح الحديث، إلا قول من قال: إنه في الثامن من ربيع الأول، فإنه رواه مالك^(١) وغيره بالسند الصحيح، عن محمد بن جبير بن مطعم، وهو تابعي جليل، ولعله لذلك صحح هذا القول أصحاب التاريخ واعتمدوه، وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمي، ورجحه أبو الخطاب بن دحية، والجمهور على أنه في الثاني عشر منه والله أعلم»^(٢).

وذكر بعض الفلكيين أنهم توصلوا إلى أن تاريخ يوم ولادته ﷺ هو اليوم التاسع من ربيع الأول؛ اعتمادًا على علم الفلك، وذلك عن طريق تحويل السنين الرومية إلى الأيام، ثم تحويل الأيام إلى سنين قمرية، فينتج عنه ذلك التاريخ^(٣).

(١) كما في السيرة لابن كثير (١٩٩) [دار المعرفة].

(٢) صحيح السيرة النبوية للألباني (١٣).

(٣) انظر: تقويم الأزمان، بواسطة كتاب: ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية لمحمد العوشن (٨) [دار طيبة]، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية لرزق الله (١٠٩، ١١٠) [مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (٢/

٣٨٢) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن»^(١) . نبوته:

ذكر الله نبوته ورسالته في غير آية من كتابه الكريم، قال الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [٤٤] [الأحزاب]، وقال الله سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [١] [المنافقون]، وقال سبحانه: ﴿يَتَأَيَّمُوا لِنَبِيِّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنِسْ الْمَصِيرُ﴾ [٧٦] [التوبة].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل ما بعثني الله كمثل رجل أتى قومًا فقال: رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء، فأطاعته طائفة فأدلجوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة فصبَّحهم الجيش فاجتاحهم»^(٣).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال

ثم أخذته حليلة السعدية لترضعه، فانتقلت به إلى بادية بني سعد، ومكث هناك أربع سنين، ثم أرجعته إلى أهله. فواصل نشأته تحت رعاية أمه وكفالة جده عبد المطلب، ثم عمه أبي طالب، ولما بلغ عمره رضي الله عنه ست سنين توفيت والدته بالأبواء، في أثناء عودتها من زيارتها لأحوال أبيه بالمدينة، فأنت به حاضنته أم أيمن إلى جده عبد المطلب بمكة، وأخذ يحوطه بعنايته إلى أن توفي، وللنبي ثمان سنين، فأوصى به عمه أبا طالب، فأخذه أبو طالب، وأحاطه برعايته، وكان يحبه ويدينه منه ويخصه ببعض الأمور، وقد حفظ الله نبيه من أقدار الجاهلية، فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خُلُقًا، وأعظمهم حلمًا وأمانة، وأصدقهم حديثًا، وأبعدهم من الفحش والأخلاق المدنسة للرجال. ولما بلغ الأربعين بعثه الله تعالى نبيًا رسولًا، فصعد بأمر ربه. ولما أراد المشركون النيل منه وقف عمه سدًا منيعًا أمامهم، ولم ينالوا من النبي رضي الله عنه شيئًا في حياة عمه أبي طالب، وكان يحوطه إلى أن توفي قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين^(٢).

والدلائل للبيهقي (١/ ٥٥ - ٥٨)، وزاد المعاد (١/ ٨٢)، وتاريخ الإسلام للذهبي (١/ ٤٨٣)، و٤٩٥ - ٤٩٧ (٤٩٧) [دار الغرب الإسلامي، ط ١]، والبداية والنهاية (٣/ ٤٤٤) وما بعدها، والسيرة النبوية الصحيحة للعمري (١/ ٩٣ - ١٠٣)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية لمهدي رزق الله (١٠٩ - ١١٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤٨٢)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥١٠٧)، ومسلم (كتاب الرضاع، رقم ١٤٤٩).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٥٨ - ١٦٩، و١٧٩)،

شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ [البقرة].

ب - انشقاق القمر: طلب المشركون من النبي ﷺ أن يريهم آية تدلهم على صدقه في دعوته؛ ليؤمنوا به، فأراهم انشقاق القمر نصفين، قال الله تعالى: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَشَقُّوا الْقَمَرَ ﴿١﴾﴾ [القمر]. وعن أنس رضي الله عنه: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما»^(٢).

ج - حماية جنود الله له: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليظاً على رقبته، قال: فما فجعهم منه إلا وهو ينكص على عقبه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخدقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»^(٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٦٨)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨٠٢).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٩٧).

رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يُعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلت لي الغنائم، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة»^(١).

❁ دلائل نبوته:

دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ كثيرة، منها:

أ - القرآن الكريم: حجة الله الخالدة على خلقه، الذي أعجز البلغاء والشعراء الفصحاء من العرب الأقحاح عن الإتيان بمثله؛ بل عن الإتيان بعشر سور من مثله مفتريات؛ بل تحداهم الله أن يأتوا بسورة واحدة، فانقطعوا عاجزين، ووقفوا مُفحَمِينَ مَبْهَتِينَ، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿١٨٨﴾﴾ [الإسراء]، وقال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [هود]،

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٨)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١).

ذلك الإناء، فأمر الناس أن يتوضؤوا منه، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم»^(٤).

ز - تكثير الطعام القليل: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خميراً لها فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يدي ولائتي ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس، فقامت عليهم، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسلك أبو طلحة؟» فقلت: نعم، قال: «بطعام؟»، فقلت: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه: «قوموا»، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هلمي يا أم سليم ما عندك»، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتت وعصرت أم سليم

د - حنين جذع النخل له صلى الله عليه وسلم: كما جاء من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ أنه قال: «كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار، حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت»^(١).

هـ - اهتزاز جبل أحد له ولمن معه: فقد ثبت من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم، فقال: «أثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»^(٢).

و - نبع الماء من بين أصابعه الشريفة: كما ثبت من حديث أنس رضي الله عنه قال: «أتي النبي صلى الله عليه وسلم بإناء وهو بالزوراء، فوضع يده في الإناء، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم، قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاث مائة أو زهاء ثلاث مائة»^(٣).

وعنه رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر، فالتمس الوضوء فلم يجدوه، فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في

(١) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٣٦٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٧٢)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٧٣)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٩).

ومن أسمائه:

الكتاب: كما في هذا الحديث، وفي قوله تعالى أيضًا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [النساء: ١٠٥].

والفرقان: كما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [١] [الفرقان].

وكان نزوله في شهر رمضان، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، في اليوم الرابع والعشرين منه، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»^(٣).

عكة فأدمته، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً»^(١).

✽ كتابه:

هو القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأَتذُرْكَ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَلْفَقِي الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان].

وجاء من حديث المقدم بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه...»^(٢).

والترمذي (أبواب العلم، رقم ٢٦٦٤) وحسنه، وأحمد (٤١٠/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٦٤٣).
(٣) أخرجه أحمد (١٩١/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، والطبراني في المعجم الأوسط (١١١/٤) [دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ]، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٧/١) [مكتبة القدسي]: (فيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى، وثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقيّة رجاله ثقات)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/١٠٤، رقم ١٥٧٥) [مكتبة المعارف، ط ١].

(١) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٧٨)، ومسلم (كتاب الأشربة، رقم ٢٠٤٠).
(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٦٠٤)،

تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر]، واشترطوا للإيمان به شروطاً تعجيزية كما حكاها الله عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا﴾ [٩٦] أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنْبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ [٩٧] أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَيْلًا﴾ [٩٨] أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء]، وقوله

تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَىٰ بِشْرَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَرِيدُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس].

وكفروا بالقرآن الكريم، وزعموا أنه أساطير الأولين اكتتبها محمد ﷺ، كما حكاها الله عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان].

ومنعوا النبي ﷺ من تبليغ دين الله للناس، وضيقوا عليه بعد وفاة عمه أبي طالب، وأخذ يعرض نفسه الشريفة على الناس في المواسم، كما جاء من حديث جابر بن عبد الله ﷺ؛ أنه قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس

في الموقف فقال: «ألا رجل يحملني إلى قومه؛ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»^(١).

وقد بين الله بطلان جميع ادعاءاتهم، وأن هؤلاء الكفار ضارعوا الكفار الأولين في هذه الافتراءات، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَطُلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [٤٤] مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنْ رَبُّكَ لَذُو مَعْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت]، وقال الله سبحانه: ﴿وَلَوْ لَقَوْلٌ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ [٤٤] لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [٤٥] ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [٤٦] فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٌ﴾ [٤٧] وَإِنَّهُ لَلذِّكْرُ لَلْمُنْفِقِينَ﴾ [٤٨] وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾ [٤٩] وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [٥٠] وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [٥١] فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة].

وبعد صبر النبي ﷺ وأصحابه في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، دخل الناس في دين الله أفواجاً.

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٣٤)، والترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٩٢٥) وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٢٠١)، وأحمد (٣٧٠/٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٣٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٤٧).

ومنعوا النبي ﷺ من تبليغ دين الله للناس، وضيقوا عليه بعد وفاة عمه أبي طالب، وأخذ يعرض نفسه الشريفة على الناس في المواسم، كما جاء من حديث جابر بن عبد الله ﷺ؛ أنه قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس

وفاته:

جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني: طئره - فقالوا: إن محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره^(٥)، وكانت هذه الأولى من باب التخلية.

توفي النبي ﷺ في العام الحادي عشر، يوم الاثنين دون خلاف^(١)، في الثاني عشر من ربيع الأول على المشهور من أقوال أهل العلم^(٢)، قال ابن خياط: «توفي ﷺ بالمدينة يوم الاثنين، لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، ويقال: لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأول، سنة إحدى عشرة»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حادثة شق صدره ﷺ:

الثانية: وقعت له ليلة الإسراء والمعراج، وكانت هذه من باب التخلية، يدل عليها حديث مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ قال: «بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فأتيت فانطلق بي، فأتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا - قال قتادة: فقلت للذي معي: ما يعني؟ قال: إلى أسفل بطنه - فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم، ثم أعيد مكانه، ثم حُشي إيماناً وحكمة، ثم أتيت بدابة أبيض يقال له: البراق، فوق الحمار ودون البغل...»^(٦).

وقعت للنبي ﷺ حادثة شق الصدر مرتين:

الأولى: وقعت له وهو صغير، وهي أنه ﷺ جاءه جبريل، فشق صدره واستخرج منه علقة سوداء، وقال: إنها حظ الشيطان منه، ثم غسله بماء زمزم، ولأمه^(٤) كما كان، فقد ثبت من حديث أنس بن مالك: «أن رسول الله ﷺ أتاه

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢٩/٨).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢٩/٨)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية لمهدي رزق الله (٦٨٧)، والسيرة النبوية الصحيحة للعمري (٢/٥٥٣).

(٣) طبقات ابن خياط (٣).

(٤) لأمه: من التام الجرح؛ إذا التصق الجسم المقطوع بعضه ببعض. قال ابن فارس في المقاييس (٥/٢٢٦): «لأمت الجرح، ولأمت الصدع؛ إذا سددت».

وهذان الحديثان وما في معناهما

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي»^(٤).

- المسألة الثالثة: حكم سب النبي ﷺ:

ويمكن إيضاحها من ثلاث جهات: الجهة الأولى: فيما يتعلق بالحكم عليه.

الجهة الثانية: فيما يتعلق بعقوبته وحده.

الجهة الثالثة: في حكمه إذا تاب.

أما الجهة الأولى: فمعلوم «أن كل سب وشاتم فمستخف بالمشتوم مستهزئ به، فالاستخفاف والاستهزاء شيء واحد»^(٥). فمن «سبه أو تنقصه ﷺ فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره»^(٦)؛ لقول الله تعالى:

﴿...قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ سَتَهَازِينَ ﴿١٥﴾ لَا تَعْدِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ عُذِّبَ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة]، وقوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا

يبدلان على وقوع حادثة شق صدر النبي ﷺ، ويفهم منهما وقوع ذلك مرتين، خلافاً لمن توهم وجود التعارض بين الحديثين، كما أفاده ابن كثير بقوله: «ولا منافاة؛ لاحتمال وقوع ذلك مرتين؛ مرة وهو صغير، ومرة ليلة الإسراء؛ ليتأهب للوفود إلى الملاء الأعلى، ولمناجاة الرب، والمثول بين يديه تبارك وتعالى»^(١).

- المسألة الثانية: فيما يتعلق بأبوي النبي ﷺ:

توفي والدا النبي ﷺ قبل الإسلام، أما والده عبد الله فقد توفي والنبي ﷺ في بطن أمه، وأما والدته فقد توفيت وهو في السنة السادسة من عمره، لذا هما لم يدركا الإسلام، ولكن أخبر النبي ﷺ عن حالهما في بعض الأحاديث، منها ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «في النار»، فلما قفى دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار»^(٢).

قال النووي: «فيه: أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين... وقوله ﷺ: «إن أبي وأباك في النار» هو من حسن العشرة للتسلية بالاشتراك في المصيبة»^(٣).

التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.]

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٦).

(٥) المحلى لابن حزم (٤١٢/١١) [إدارة الطباعة

المنيرية، مصر، ط ١، ١٣٥٢هـ.]

(٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٢٢٣).

(١) البداية والنهاية (٣/٤١٨).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠٣).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/٧٩) [دار إحياء

«إن من سب النبي ﷺ مما هو كذف صريح كفر باتفاق العلماء»^(٢).

وأما الجهة الثانية: وهي المتعلقة بعقوبته، فقد دلت النصوص من الكتاب الكريم والسنة الصحيحة عن النبي ﷺ ومآثور سلف الأمة، وإجماع الصدر الأول من الصحابة والتابعين على قتل سب النبي ﷺ مسلماً كان أو كافراً^(٣).

قال الله تعالى: ﴿قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٤) [التوبة].

وجه الاستدلال بها هو أننا «أمرنا بقتالهم إلى أن يعطوا الجزية وهم صاغرون، فلا يجوز الإمساك عن قتالهم، إلا إذا كانوا صاغرين حال إعطائهم الجزية، ومعلوم أن إعطاء الجزية من حين بذلها والتزامها إلى حين تسليمها وإقباضها، فإنهم إذا بذلوا الجزية شرعوا في الإعطاء ووجب الكف عنهم إلى أن يقبضونها فيتم الإعطاء، فمتى لم يلتزموها، أو التزموها أولاً وامتنعوا من تسليمها ثانياً، لم يكونوا معطين للجزية؛ لأن حقيقة الإعطاء لم

وَالْآخِرَةَ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ [الأحزاب]. فبين الله تعالى أن من فعل ذلك فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة، ومتوعد بأليم العذاب وشديد العقاب، وعليه فهذه النصوص وما في معناها تدل على كفر سب النبي ﷺ من غير مرية، وعلى هذا فقهاء الملة، وعلماء الأمة وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن سب الله أو سب رسوله ﷺ كفر ظاهراً وباطناً، وسواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلاً له، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل.

وقد قال الإمام أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه، وهو أحد الأئمة يعدل بالشافعي وأحمد: قد أجمع المسلمون أن من سب الله أو سب رسوله ﷺ أو دفع شيئاً مما أنزل الله، أو قتل نبياً من أنبياء الله أنه كافر بذلك، وإن كان مقراً بما أنزل الله»^(١).

ونقل الحافظ ابن حجر عن أبي بكر الفارسي - أحد أئمة الشافعية - قوله:

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٢/٢٨١).

(٣) انظر: زاد المعاد (٥/٥٨ - ٦٠) مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار الإسلامية، ط ٢٦٦، ١٤٢٢هـ.

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (٣/٩٥٥،

٩٥٦) [مكتبة رمادي، ط ١، ١٤١٧هـ].

توجد، وإذا كان الصَّغار حالاً لهم في جميع المدة، فمن المعلوم أن من أظهر سبَّ نبينا في وجوهنا، وشمتم ربنا على رؤوس المملأ منا، وطعن في ديننا في مجامعنا، فليس بصاغراً؛ لأن الصَّاغِر: الدليل الحقيقير، وهذا فعل متعزز مراغم؛ بل هذا غاية ما يكون من الإذلال لنا والإهانة^(١).

وجاء من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله ﷺ»، فقال محمد بن مسلمة: أنا، فأتاه فقال: أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين، فقال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب، قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهن أبناءنا فيسب أحدهم، فيقال رهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا، ولكننا نرهنك اللأمة - قال سفيان: يعني السلاح - فوعده أن يأتيه، فقتلوه ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فبناها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ

(١) الصارم المسلول (٢/٣٢، ٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرهن، رقم ٢٥١٠)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٨٠١).

المِغُول فوضعه في بطنها، واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجلها طفل فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فجمع الناس فقال: أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام. فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعتة في بطنها، واتكأت عليها حتى قتلتها. فقال النبي ﷺ: «ألا اشهدوا أن دمها هدر»^(٣).

قال ابن القيم بعد أن ذكر طائفة من الأحاديث الواردة في هذا المعنى: «وفي ذلك بضعة عشر حديثاً ما بين صحاح وحيسان ومشاهير، وهو إجماع الصحابة»^(٤).

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن «من سبَّ النبي ﷺ من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله، هذا مذهب عليه عامة أهل

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الحدود، رقم ٤٣٦١)، والنسائي (كتاب تحريم الدم، رقم ٤٠٧٠)، والحاكم في المستدرک (كتاب الحدود، رقم ٨٠٤٤)، وصححه على شرط مسلم، وكذا قال الألباني في الإرواء (٩٢/٥) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٤) زاد المعاد (٥/٥٥).

وقال محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ والمتنقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر.

وتحرير القول فيها: أن الساب إن كان مسلمًا فإنه يكفر، ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، وقد تقدم ممن حكى الإجماع على ذلك من الأئمة مثل إسحاق بن راهويه وغيره، وإن كان ذميًا فإنه يقتل أيضًا في مذهب مالك وأهل المدينة... وهو مذهب أحمد وفقهاء الحديث، وقد نصَّ أحمد على ذلك في مواضع متعددة^(٢).

ويقول في موضع آخر بعد أن ذكر بعض ألفاظ السب: «فهذا كله إذا صدر من مسلم، أو معاهد، فهو سب، فأما المسلم فيقتل به بكل حال، وأما الذمي فيقتل بذلك إذا أظهره»^(٣).

الجهة الثالثة: في حكمه إذا تاب.

اختلف في ذلك على أقوال، كما حكاها غير واحد، منهم ابن تيمية، حيث قال عن الحنابلة: «إن أصحابنا حكوا في الساب إذا تاب ثلاث روايات:

العلم. قال ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن حدَّ من سبَّ النبي ﷺ القتل. وممن قاله: مالك والليث وأحمد وإسحاق وهو مذهب الشافعي، قال: وحكي عن النعمان: لا يقتل - يعني: الذمي - الذي هم عليه من الشرك أعظم.

وقد حكى أبو بكر الفارسي من أصحاب الشافعي إجماع المسلمين على أن حدَّ من سبَّ النبي ﷺ القتل، كما أن حدَّ من سبَّ غيره الجلد، وهذا الإجماع الذي حكاها هذا محمول على إجماع الصدر الأول من الصحابة والتابعين، أو أنه أراد به إجماعهم على أن سبَّ النبي ﷺ يجب قتله إذا كان مسلمًا، وكذلك قيده القاضي عياض، فقال: أجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين وسابِّه^(١)، وكذلك حُكي عن غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره.

وقال الإمام إسحاق بن راهويه أحد الأئمة الأعلام: أجمع المسلمون على أن من سبَّ الله، أو سبَّ رسوله ﷺ أو دفع شيئًا مما أنزل الله ﷻ، أو قتل نبيًا من أنبياء الله ﷻ، أنه كافر بذلك، وإن كان مقرًا بكل ما أنزل الله. وقال الخطابي: لا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله.

(٢) الصارم المسلول لابن تيمية (١٣/٢ - ١٦).

(٣) المصدر نفسه (٣/١٠٠٥).

(١) الشفا للقاضي عياض (٢/٢١١).

يستتب. قال: وروى لنا مالك إلا أن يسلم الكافر، قال أشهب عنه: من سبَّ النبي ﷺ من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب. فهذه نصوصه نحو من نصوص الإمام أحمد، والمشهور من مذهبه أنه لا تقبل توبة المسلم إذا سبَّ النبي ﷺ^(٣). ويقتل عندهم حدًّا لا كفرًا^(٤).

قال القاضي عياض: «فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدًّا لا كفرًا إن أظهر التوبة منه، ولهذا لا تقبل عندهم توبته... وقال ابن سحنون: من شتم النبي ﷺ من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تُزل توبته عنه القتل»^(٥).

وأما الذمي إذا سبَّ النبي ﷺ ثم تاب وأسلم، فهل إسلامه يُسقط عنه القتل أم لا؟ لهم فيه روايتان^(٦).

وأما الشافعية فلهم وجهان في سبَّ النبي ﷺ:

الوجه الأول: أنه كالمرتد، إذا تاب سقط عنه القتل.

إحداهن: يقتل بكل حال، وهي التي نصروها كلُّهم، ودلَّ عليها كلام الإمام أحمد في نفس هذه المسألة، وأكثر محققهم لم يذكروا سواها. والثانية: تقبل توبته مطلقًا.

والثالثة: تقبل توبة الكافر، ولا تقبل توبة المسلم. وتوبة الذمي التي تقبل إذا قلنا بها أن يسلم، فأما إذا أقلع وطلب عقد الذمة له ثانيًا لم يعصم ذلك دمه رواية واحدة^(١).

وقال ابن القاسم عن مالك: «أن من شتم النبي ﷺ من المسلمين قتل ولم يستتب»^(٢).

وقال ابن تيمية: «وأما مذهب مالك ﷺ فقال مالك في رواية ابن القاسم ومطرف: من سبَّ النبي ﷺ قتل ولم يستتب، قال ابن القاسم: من سبَّه أو شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل كالزنديق، وقال أبو مصعب وابن أبي أويس: سمعنا مالكا يقول: من سبَّ النبي ﷺ أو شتمه أو عابه أو تنقصه قُتل، مسلمًا كان أو كافرًا، ولا يستتاب، وكذلك قال محمد بن عبد الحكم: أخبرنا أصحاب مالك أنه قال: من سبَّ النبي ﷺ أو غيره من النبيين، مسلمًا كان أو كافرًا قُتل ولم

(٣) الصارم المسلول (٣/٥٧١ - ٥٧٣). وانظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٢١٦، ٢١٧).

(٤) انظر: مختصر الصارم المسلول للبعلي (٩٤) [دار عالم الفوائد، ١، ١٤٢٢هـ].

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٢٥٤، ٢٥٥).

(٦) انظر: الصارم المسلول (٣/٥٧٣ - ٥٧٥)،

والمجموع شرح المهذب للنووي (١٩/٤٢٧)، ومختصر الصارم المسلول للبعلي (٩٤).

(١) المصدر نفسه (٣/٥٦٣).

(٢) النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات (١٤/٥٢٦) [دار الغرب الإسلامي، ط ١].

وأحمد وغيرهم. قال القاضي عياض: «قال أبو بكر بن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن من سبَّ النبي ﷺ يقتل، وممن قال ذلك: مالك بن أنس، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعي، قال القاضي أبو الفضل: وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولا تقبل توبته عند هؤلاء، وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلمين، لكنهم قالوا: هي ردة، وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك، وحكى الطبري مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن تنقَّضه ﷺ أو برئ منه أو كذبه، وقال سحنون فيمن سبَّه: ذلك ردة كالزندقة، وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره، وهل قتله حد أو كفر»^(٥).

وأما قوله الآخر: فيوافق قول الشافعية في الوجه الأول، وهو أن سبَّ النبي ﷺ إذا كان مسلماً يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كالمرتد، وأما إذا كان ذمياً فيرى أبو حنيفة أنه لا ينتقض عهده، ولكن يعزز على إظهار ذلك^(٦).

ويشير ابن تيمية إلى اتفاق هذه

الوجه الثاني: أنه يقتل، ولا يسقط عنه القتل بالتوبة^(١).

وأما السابُّ إذا كان ذمياً فقد اختلف أصحاب الشافعي فيه على قولين؛ ف«منهم من قال: يجب قتل الساب حتماً وإن خير في غيره. ومنهم من قال: هو كغيره من الناقضين للعهد، وفيه قولان: أضعفهما أنه يلحق بمأمنه، والصحيح منهما جواز قتله»^(٢).

لكن المنصوص عن الشافعي نفسه أنه ينتقض عهده بسبِّه النبي ﷺ ويُقتل^(٣).

قال الخطابي في سبِّ النبي ﷺ: «لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله، ولكن إذا كان الساب ذمياً فقد اختلفوا فيه، فقال مالك بن أنس: من شتم النبي ﷺ من اليهود والنصارى قتل، إلا أن يسلم، وكذلك قال أحمد بن حنبل، وقال الشافعي: يقتل الذمي إذا سب النبي ﷺ وتبرأ منه الذمة»^(٤).

وأما أبو حنيفة فقد نقل عنه قولان:

أحدهما: أنه يقول بقتل سبِّ النبي ﷺ، ولا يقبل توبته كبقية الأئمة؛ مالك، والشافعي في المنصوص عنه،

(١) انظر: الصارم المسلول (٣/٥٧٥ - ٥٧٧)،

والمجموع شرح المهذب للنووي (١٩/٤٢٧)، وتقريب الصارم المسلول لصلاح الصاوي (١٨٨).

(٢) انظر: الصارم المسلول (٢/٢٩، ٣٠، ٣/٥٥٦).

(٣) انظر: الصارم المسلول (٢/٢٦).

(٤) معالم السنن للخطابي (٣/٢٩٦).

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٢١٥). وانظر: حاشية ابن عابدين (٤/٢١٥) [دار الفكر، ١٤٢١هـ].

(٦) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/١٩٢)

[مكتبة الرشد، الرياض، ط ٢، ١٤٢٣هـ]، والصارم

المسلول (٢/٣١، ٣/٥٥٦).

ويدفن في محل بعيد عن قبور المسلمين .

القول الثاني: أنها تقبل توبة من سبَّ الله أو سبَّ رسوله ﷺ إذا علمنا صدق توبته إلى الله، وأقر على نفسه بالخطأ، ووصف الله تعالى بما يستحق من صفات التعظيم، وذلك لعموم الأدلة الدالة على قبول التوبة؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَعْزِبُكَ اللَّهُ وَرَحْمَتُهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الزمر: ٥٣]، ومن الكفار من يسب الله ومع ذلك تقبل توبتهم، وهذا هو الصحيح، إلا أن سبَّ الرسول ﷺ تقبل توبته ويجب قتله، بخلاف من سبَّ الله، فإنها تقبل توبته ولا يقتل؛ لأن الله أخبرنا بعفوه عن حقه إذا تاب العبد، بأنه يغفر الذنوب جميعاً. أما سبَّ الرسول ﷺ فإنه يتعلق به أمران:

أحدهما: أمر شرعي؛ لكونه رسول الله ﷺ وهذا يقبل إذا تاب.

الثاني: أمر شخصي، وهذا لا تقبل التوبة فيه؛ لكونه حق آدمي لم يعلم عفوه عنه، وعلى هذا فيقتل، ولكن إذا قتل غسلناه، وكفناه، وصلينا عليه، ودفناه مع المسلمين.

وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية... فإن قيل: أليس قد ثبت أن من الناس من سبَّ الرسول ﷺ في حياته وقبل النبي ﷺ توبته؟

الأقوال في وجوب قتل سبَّ النبي ﷺ مع الاختلاف في سبب حكم قتله، فيقول: «فهذا الباب كله مما عدّه العلماء سباً وتنقّصاً يجب قتل قائله ولم يختلف في ذلك متقدمهم ومتأخرهم وإن اختلفوا في سبب حكم قتله»^(١).

وكذلك قال أبو حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه أو برئ منه أو كذبه: إنه مرتد. وكذلك قال أصحاب الشافعي: كل من تعرض لرسول الله ﷺ بما فيه استهانة، فهو كالسبِّ الصريح؛ فإن الاستهانة بالنبي ﷺ كفر، وهل يتحتم قتله أو يسقط بالتوبة؟ على الوجهين، وقد نص الشافعي على هذا المعنى.

فقد اتفقت نصوص العلماء من جميع الطوائف على أن التنقص له كفر مبيح للدم، وهم في استتابته على ما تقدم من الخلاف»^(٢).

وقال ابن عثيمين ردّاً على سؤال: «هل تقبل توبة من سبَّ الله ﷻ أو سبَّ الرسول ﷺ؟» فأجاب بقوله: «اختلف في ذلك على قولين:

القول الأول: أنها لا تقبل توبة من سبَّ الله، أو سبَّ رسوله ﷺ، وهو المشهور عند الحنابلة، بل يقتل كافراً، ولا يصلى عليه، ولا يدعى له بالرحمة،

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٢١٩).

(٢) الصارم المسلول (٣/٩٨٢، ٩٨٣).

أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، فهو الذي فرق الله به بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي»^(٣).

وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾: «أي: اسلكوا طريقه واقتفوا أثره: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١٥٨)؛ أي: إلى الصراط المستقيم»^(٤).

وقد مدح الله المقتدين بالرسول ﷺ فيما جاءهم به، وحصر الفلاح فيهم، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِذُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١٥٧).

وثبت من حديث جابر رضي الله عنه؛ أنه قال: «رأيت النبي ﷺ يرمي علي راحلته يوم النحر، ويقول: لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»^(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون

أجيب: بأن هذا صحيح، لكن هذا في حياته ﷺ، والحق الذي له قد أسقطه، وأما بعد موته فإنه لا يملك أحد إسقاط حقه ﷺ، فيجب علينا تنفيذ ما يقتضيه سبه»^(١).

- المسألة الرابعة: وجوب الاقتداء به ﷺ:

لقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على وجوب الاقتداء بالنبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٧) [الحشر]، وقال ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣١) [آل عمران]، وقال ﷺ: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَالِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١٥٨) [الأعراف].

قال شيخ الإسلام في هذه الآيات وأمثالها: «فعلى الخلق كلهم اتباع محمد ﷺ، فلا يعبدون إلا الله، ويعبدونه بشريعة محمد ﷺ لا غيرها»^(٢). وقال في موضع آخر: «فليس لأحد أن يسلك إلى الله إلا بما شرعه الرسول لأمة، فهو الداعي إلى الله بإذنه، الهادي إلى صراطه الذي من

(٣) مجموع الفتاوى (١١/٥٨٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/٤٩١).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٢٩٧).

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/١٥٠، ١٥١).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٥٢٣).

الجنة إلا من أبي، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»^(١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق»^(٢).

والآثار السلفية المؤكدة على ضرورة الاقتداء بالنبي ﷺ كثيرة جدًا، منها ما جاء عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «يا معشر القراء استقيموا؛ فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتُم ضلالًا بعيدًا»^(٣).

قال ابن حجر موضحًا كلام حذيفة رضي الله عنه هذا: «والمراد: أنه خاطب بذلك من أدرك أوائل الإسلام، فإذا

(١) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم ٧٢٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم ٧٢٨٣)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم ٧٢٨٢).

تمسك بالكتاب والسنة سبق إلى كل خير؛ لأن من جاء بعده إن عمل بعمله، لم يصل إلى ما وصل إليه من سبقه إلى الإسلام، وإلا فهو أبعد منه حسًا وحكمًا، قوله: «فإن أخذتم يمينًا وشمالًا» أي: خالفتم الأمر المذكور. وكلام حذيفة منتزع من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»^(٤).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كفيتم، كل بدعة ضلالة»^(٥).

وجملة القول: إن الاقتداء بالنبي ﷺ والإتيان بالعبادة على وفق هديه، هو أحد شرطي قبول العبادة؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكُمَّ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، قال ابن كثير في هذه الآية: «ولم يقل: أكثر عملًا، بل: أَحْسَنُ عَمَلًا»، ولا يكون العمل حسنًا حتى يكون خالصًا لله ﷻ على شريعة رسول الله ﷺ، فمتى فقد العمل واحدًا

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٣/٢٥٧).

(٥) أخرجه الدارمي في سننه (كتاب العلم، رقم ٢١١)، ووكيع في الزهد (٥٩٠) [مكتبة الدار، ط١]، والمروزي في السنة (٢٨) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط١] وغيرهم.

من هذين الشرطين بطل وحبط»^(١)، فالطرق كلها والسبل جميعها منذ مبعث النبي ﷺ إلى قيامة الساعة مسدودة على الخلق إلا طريق المصطفى ﷺ، فطريقه هو الموصل إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٧﴾﴾ [الشورى].

- المسألة الخامسة: حكم من لم يؤمن به ﷺ:

من يوم بعث الله محمداً ﷺ نبياً ورسولاً، نسخت كل الشرائع السابقة، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وأصبح الناس جميعاً مخاطبين بشريعة الإسلام التي جاء بها نبينا محمد ﷺ، وأمره الله أن يعلن للناس بأنه رسول الله إليهم كافة، وأن يدعوهم إلى الله جميعاً، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِلنَّاسِ إِنْ رِئِيسُهُمْ إِلَى اللَّهِ فَانظُرُوا إِلَيْ غُفُورًا رَجِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء].

وكل من بلغته رسالة النبي محمد ﷺ ولم يؤمن بها، وبما جاء به من القرآن

الكريم والسنة المطهرة فهو كافر به وبجميع الرسل ﷺ، ومكذب لله ورسوله ﷺ فيما أخبرا به، وإن مات على هذا فهو خالد مخلد في النار وبئس القرار، قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقْرِفُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُقْرِفُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَجِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء].

قال ابن كثير: «فحكم عليهم بالكفر المحقق؛ إذ آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم»^(٢).

قال السعدي: «هنا قسمان قد وضحا لكل أحد: مؤمن بالله وبرسوله كلهم وكتبه، وكافر بذلك كله.

وبقي قسم ثالث: وهو الذي يزعم أنه

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣٤١).

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٠٨).

- والأمم» (ج ٢)، لابن الجوزي .
 ٦ - «زاد المعاد في هدي خير العباد»
 (ج ١)، لابن القيم .
 ٧ - «البداية والنهاية» (ج ٣)، لابن
 كثير .
 ٨ - «صحيح السيرة النبوية» للألباني .
 ٩ - «السيرة النبوية في ضوء المصادر
 الأصلية»، لمهدي رزق الله .
 ١٠ - «السيرة النبوية الصحيحة»
 (ج ١)، لأكرم ضياء العمري .

❖ المحو والثبات ❖

يراجع مصطلح (الكتابة).

❖ المَحْيِي ❖

يراجع مصطلح (المحيي المميت).

❖ المدح ❖

❖ التعريف لغة:

الْمَدْحُ: نقيض الهجاء، وهو: الثناء
 الحسن، يقال: مَدَحَهُ وامتدَّحَه بمعنى،
 والمدح المصدر والمَدْحَةُ الاسم،
 والجمع: مَدَحٌ، وهو المَدِيحُ، والجمع:
 المَدَائِحُ والأماديح، ونظيره في الأماديح
 حَدِيثٌ وَأَحَادِيثٌ^(٣).

يؤمن ببعض الرسل دون بعض، وأن هذا
 سبيل ينجيه من عذاب الله، إن هذا إلا
 مجرد أماني؛ فإن هؤلاء يريدون التفريق
 بين الله وبين رسله. فإن من تولى الله
 حقيقة تولى جميع رسله؛ لأن ذلك من
 تمام توليه، ومن عادى أحدًا من
 رسله ﷺ فقد عادى الله وعادى جميع
 رسله، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا
 لِلَّهِ﴾ الآيات. وكذلك من كفر برسول
 فقد كفر بجميع الرسل؛ بل بالرسول
 الذي يزعم أنه به مؤمن، ولهذا قال:
 ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا﴾؛ وذلك لئلا
 يتوهم أن مرتبتهم متوسطة بين الإيمان
 والكفر^(١).

وثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن
 رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «والذي نفس
 محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه
 الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم
 يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من
 أصحاب النار»^(٢).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «سيرة» (ج ١)، لابن هشام.
- ٢ - «الطبقات»، لخليفة بن خياط.
- ٣ - «تاريخ خليفة بن خياط».
- ٤ - «دلائل النبوة» (ج ٢)، للبيهقي.
- ٥ - «المنتظم في تاريخ الملوك

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٣٠٨/٥) [دار الجيل، ط ١]،
 ولسان العرب (٥٨٩/٢) [دار الفكر، ط ١، ١٤١٠هـ].

(١) تفسير السعدي (ص ٢١٢).
 (٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

اختصاص الممدوح بأي نوع من الفضائل والمحاسن.

❁ الأسماء الأخرى:

الثناء.

❁ الحكم:

١ - حكم المدح في حق المخلوق:

ورد التحذير من المدح والتزكية في

عدد من النصوص، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩]، قال ابن كثير رحمته الله: «قيل: نزلت في ذم التمداح والتزكية»^(٥).

وعن المقداد رضي الله عنه؛ أن رجلاً جعل يمدح عثمان، فجثا المقداد على ركبتيه فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان رضي الله عنه: ما شأنك؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيت المداحين فاحثوا في وجوههم التراب»^(٦). قال أبو سليمان الخطابي: «المداحون هم الذين اتخذوا مدح الناس عادةً، وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح»^(٧).

وقد اختلف العلماء في حكم مدح المخلوق على ثلاثة أقوال:

القول الأول: التحريم مطلقاً، لظاهر

والمدح من قولهم: انمدحت الأرض؛ إذا اتسعت، وتمدحت خواصر الماشية؛ أي: اتسعت شبعاً، فكأن معنى مدحته: وسعت شكره^(١).

❁ التعريف شرعاً:

المدح: هو كل ما يدل على الإخبار عن محاسن الغير، مع التجرد عن الحب والتعظيم^(٢).

وقد تنوعت عبارات العلماء في تعريفه، فقيل:

١ - هو الإخبار عن كون الممدوح مستحقاً؛ لأن يفعل به ما يفرح به أو يتلذذ به، نقله ابن القيم عن بعض المتكلمين^(٣).

٢ - وقيل: هو كل ما يدل على اختصاص الممدوح بنوع من الفضائل، قاله السفاريني وغيره^(٤).

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

لما كان المدح في اللغة يطلق على الثناء الحسن، والتوسع في ذلك، أطلق في الشرع على هذا المعنى، وتوسع في ذلك حتى شمل كل ما يدل على

(١) انظر: الصحاح (٤٠٣/١) [دار الملايين، ٣،

١٤٠٤هـ]، والمصباح المنير للفيومي (٤٦٢).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٩٣/٢) [دار الكتاب العربي]، وتفسير الرازي (١٣١/١) [دار الفكر للطباعة، ط١].

(٣) انظر: الصواعق المرسله (١٤٧١/٤) [دار العاصمة].

(٤) انظر: لوامع الأنوار (٣٣٢/١).

(٥) تفسير ابن كثير (٥٦١/١) [دار الفيحاء، ط١، ١٤١٣هـ].

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٣٠٠٢).

(٧) معالم السنن للخطابي (١١١/٤) [المكتبة العلمية، ط٢، ١٤٠١هـ].

حديث المقداد رضي الله عنه وغيره من الأحاديث، واختار ذلك بعض العلماء أخذًا بظاهر الأحاديث، وهو وظاهر كلام ابن الجوزي^(١).

القول الثاني: الكراهة مطلقًا، إلا في بعض الحالات التي يكون فيها، كذب أو إطراء فيحرم، ورجح ذلك البغوي وغيره^(٢).

القول الثالث: القول بالجواز لما ورد من الأحاديث والآثار الدالة على ذلك، وأما ما ورد مما يدل على التحريم كحديث المقداد رضي الله عنه ونحوه، فيحمل على ما كان فيه إطراء ومجازفة، أو من يخاف عليه الفتنة بالمدح ونحو ذلك، وقد رجح ذلك جمع من العلماء المحققين؛ كالخطابي وابن بطال والنووي وابن حجر وغيرهم، بل قد نسب النووي إلى العلماء^(٣).

وقال ابن حجر: «قال ابن بطال: حاصل النهي: أن من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العجب؛ لظنه أنه بتلك المنزلة، فربما ضيع العمل والازدياد من الخير؛ اتكالا على ما وصف به، وأما من مدح بما فيه فلا يدخل في النهي، فقد مدح رضي الله عنه في الشعر والخطب والمخاطبة، ولم يحث

في وجه مادحه ترابًا انتهى ملخصًا»^(٤).
٢ - حكم مدح الله تعالى:

إن الشناء على الله تعالى ومدحه وتسبيحه وتعظيمه وتقديسه من الطاعات والقربات التي ندب إليها رضي الله عنه في كل وقت وفي أكثر من موضع، ومن غير تقييد، ومدح الله يكون بالشناء عليه بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلا والتمعن في معانيها التامة، فكل اسم وصفة ثبت في الكتاب والسنة شرع للمسلم مدحه بها والعمل بمقتضاها، ويكون أيضًا بذكر أفعاله الحسنة وجوده وكرمه على عباده ولطفه وصبره وحلمه على كفرهم وأذاهم وعدله مع أعدائه وفضله على أوليائه. ويكون أيضًا بالاشتغال بذكر الحمد والتسبيح والتمجيد والتهليل والمداومة على ذلك عند تجدد النعم ونزول النقم^(٥).

❁ الحقيقة:

المدح: هو الإخبار عن محاسن الغير، إما أن يكون إخبارًا مجردًا من حب وإرادة، وإما مقرونًا بحبه وإرادته، فإن كان الأول فهو المدح، وإن كان الثاني فهو الحمد، فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، ولهذا كان خبرًا يتضمن الإنشاء، بخلاف المدح

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٠/٤٧٧) [دار الريان، ط ٢، ١٤٠٩هـ].

(٥) انظر: بدائع الفوائد (٢/٩٣)، ونصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٤/١٤٥٢) وما بعدها.

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/٤٥٣).

(٢) انظر: شرح السنة (١٣/١٥١).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٨/١٢٦).

فإنه خبر مجرد^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المدح في حق الرب ﷺ:

- المسألة الثانية: المدح في حق النبي ﷺ:

محبة النبي ﷺ ومدحه والثناء عليه، وتعظيمه وتوقيره بما هو أهله، واجب على كل مسلم، قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»^(٥).

وقد أخبرنا ﷺ بعظيم قدره عند ربه، فقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم»^(٦)، وهذا فيه مدح له ﷺ، قال ابن أبي العز الحنفي: «وإنما أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم؛ لأننا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، ولهذا أتبعه بقوله: «ولا فخر»^(٧)»^(٨).

روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لا أحد أغير من الله، ولذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه»^(٢).

فالله - تعالى وتقدس - يحب أن يمدحه العباد، ولهذا مدح نفسه بالصفات التي هو بها أهل، ﷺ.

ولكمال المطلق مدح نفسه؛ لأنه أهل المدح والثناء، ولأن الخلق لا يقدر على مدحه بما يستحق، كما قال الرسول ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا كان العباد يحمدونه ويثنون عليه ويحبونه فهو سبحانه أحق بحمد نفسه، والثناء على نفسه، والمحبة لنفسه، كما قال أفضل الخلق: «لا أحصي ثناء عليك أنت، كما أثنيت على نفسك»، فلا ثناء من مُثِّنٍ أعظم من ثناء الرب على نفسه، ولا ثناء

(٤) منهاج السنّة النبوية (٢٨٢٧/٥). وانظر: مجموع الفتاوى (١١١/١٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف]، والصواعق المرسلّة (١٤٥٦/٤)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (٢٠٨/١).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ١٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٤).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٨). ووردت هذه اللفظة في حديث أبي سعيد

الخدري رضي الله عنه: أخرجه الترمذي (أبواب التفسير، رقم ٣١٤٨) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٣٠٨)، وأحمد (١٠/١٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٥٤٣) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٨) شرح العقيدة الطحاوية (١٦٣/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(١) بدائع الفوائد (٩٣/٢) [دار الكتاب العربي، بيروت].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٦٣٤)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٠).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٦).

الصالح التقي بالعبد الفاجر الفاسق. فعدم المساواة بينهما من العدل الذي يحبه الله ﷻ، أما المساواة بينهما فهو من الظلم الذي نفاه الله تعالى عن نفسه، قال ﷺ: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَنَاهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١١﴾» [الجاثية].

وإنما يمنع من مدحهم والثناء عليهم حتى لا يظن في أنفسهم أنهم على خير فيتمادوا في غيهم وضلالهم، ولئلا يغتر الناس بهم، وهذا له دور كبير في تنبيه العصاة والمبتدعة وتخويفهم لعلهم يقلعوا عن ذنبهم ويثوبوا إلى رشدهم ويستقيموا على أمر ربهم^(٣).

- المسألة الرابعة: مدح الكفار والمنافقين:

ذكر ما عند الكفار من أخلاق محمودة على وجه الإعجاب بهم وتعظيم شأنهم والمدح لهم بلا موجب شرعي حرام؛ لأن ذلك مناقض لحكم الله فيهم والله قد ذمهم وتوعدهم وشبههم بالأنعام، كما قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْآنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى فَمَنْ﴾ [محمد]، وهذا شأن جميع أصناف الكفار.

وقد امتدح النبي ﷺ شعراء الصحابة ﷺ؛ كحسان بن ثابت وغيره، بما وصفه الله به من الفضائل العظيمة، وسمعها النبي ﷺ وأقرها، لخلوها من الغلو والإطراء^(١).

وأما المدائح والقصائد المشتملة على الغلو والإطراء في حقه ﷺ، كالتي تقال في المولد النبوي ونحوه، من أمثال (البردة) للبوصيري، وما قيل على نسجها من القصائد، فقد اشتملت على غلو أفضى بأصحابه إلى الكفر والشرك، بل بلغ ببعضهم الغلو في مقامه ﷺ إلى وصفه بملك كل شيء، من الدنيا والآخرة واللوح والقلم، فلم يتركوا لله شيئاً^(٢).

- المسألة الثالثة: مدح العصاة والمبتدعة:

مدح العصاة والمبتدعة والثناء عليهم على وجه التزكية لهم والرضا بما هم عليه من معصية وانحراف، ومعاملتهم كأتقياء المؤمنين لا يجوز؛ لأنهم ليسوا بمنزلة المؤمنين الأتقياء؛ لذا وجب إنزال الناس منازلهم وعدم التسوية بين المؤمنين والفجار، فلا يساوى العبد

(١) انظر: فتح الباري (١٠/٤٧٧).

(٢) انظر: إغاثة المستفيد (٢/٣١٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ]، وتيسير العزيز الحميد (٢٢١) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ]، والقول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل للأنصاري (٢٩٧) [الرئاسة العامة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ].

(٣) انظر: أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة لسعود الخلف (٥١) [طبعة: ١٤٢٠هـ - ١٤٢١هـ].

- الفرق بين المدح والحمد:

الفرق بين المدح والحمد من وجوه:

١ - أن المدح يكون للحي ولغير الحي؛ كاللؤلؤ واليواقيت الثمينة ونحوهما، والحمد لا يكون إلا للحي فقط.

٢ - أن المدح قد يكون قبل الإحسان وقد يكون بعده، والحمد إنما يكون بعد الإحسان.

٣ - أن المدح قد يكون منهيًا عنه، كما قوله ﷺ: «احتوا في وجه المداحين التراب»^(٥)، والحمد مأمور به مطلقًا^(٦).

الآثار:

آفات المدح:

والمدح منهي عنه لأن فيه ست آفات؛ أربع في المادح، واثنان في الممدوح.

أما آفات المادح فهي:

الأولى: أنه قد يفرط في المدح فينتهي به إلى الكذب.

الثانية: أنه قد يدخله الرياء؛ فإنه بالمدح مظهر للحب، وقد يكون مظهرًا له لا معتقدًا لجميع ما يقوله، فيصير به مرآيًا منافقًا.

الثالثة: أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل إلى الاطلاع عليه.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) انظر: تفسير الرازي (١/١٣١).

وأما إن كان الثناء عليهم ومدحهم بسبب وموجب شرعي أو على الأقل يكون على وجه لا يدعو للفتنة بهم ولا موالاتهم فلا بأس بذلك، ومنه أن النبي ﷺ قال لأصحابه لما اشتد أذى قريش لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه»^{(١)(٢)}.

الضروق:

- الفرق بين الإطراء والمدح:

المدح أعم من الإطراء، والإطراء أخص، بحيث يقال: كل إطراء مدح، ولا عكس، وذلك أن الإطراء: هو المبالغة في المدح، ومجاوزة الحدّ فيه حتى يصل إلى الكذب، ومنه قوله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده؛ فقولوا: عبد الله ورسوله»^(٣). قال ابن الأثير: «الإطراء: مجاوزة الحدّ في المدح، والكذب فيه»^(٤).

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٢١٣) [دار الفكر، ط ١]، ومن طريقه البيهقي في الكبرى (كتاب السير، رقم ١٧٧٣٤)، وجوّد إسناده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٦٩٠) [دار ابن حزم، ط ١]، والألباني في السلسلة الصحيحة (٥٧٨/٤).

(٢) اللواء والبراء والعداء في الإسلام للبدراني (٦٣، ٦٤). وانظر: السيف البتار على من يوالي الكفار للأهدل (١٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٤٥).

(٤) النهاية في الغريب (١٣٣/٣) [دار الكتب العلمية].

- ٩ - «فتح الباري» لابن حجر .
 ١٠ - «القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل»، للأُنصاري .
 ١١ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية .

❖ المذَل ❖

يراجع مصطلح (المعز المذل).

❖ مراتب المؤمنين ❖

❖ التعريف لغةً:

المراتب: قال ابن فارس: «والرَّتب: ما أشرف من الأرض كالدرج، تقول: رَتَبَةً ورَتَّبٌ، كقولك درجة ودرج»^(٢).

فالمراتب جمع مرتبة، وهي المنزلة، ويقال: الرَّتب، وتطلق في الأصل على الشيء العالي، فالمرتبة المرقبة، وهي أعلى الجبل، ويقال كذلك الرَّتب بفتح الراء والتاء، وهي الصخور المتقاربة، وبعضها أرفع من بعض، وواحدتها رَتَبَةٌ^(٣).

والمؤمنون: هم أهل الإيمان؛ أي: المتصفون بصفات وخصال الإيمان.

❖ التعريف اصطلاحاً:

مراتب المؤمنين هي أقسامهم ومنازلهم في الدنيا بحسب أعمالهم وإيمانهم.

الرابعة: أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق، وذلك غير جائز، بل الظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح.

أما آفتا الممدوح فهما:

أحدهما: أنه يحدث فيه كبراً وإعجاباً، وهما مهلكان.

الأخرى: أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به، وفتن ورضي عن نفسه، وقلَّ تشمره، وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصراً، فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك^(١).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «إحياء علوم الدين»، للغزالي .
- ٢ - «الآداب الشرعية والمنح المرعية»، لابن مفلح .
- ٣ - «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد»، للفوزان .
- ٤ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم .
- ٥ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله .
- ٦ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز .

٧ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي .

٨ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، للغنيمان .

(٢) مقاييس اللغة (٤٨٦/٢) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: لسان العرب (١٥١/١٠) [دار صادر، ط١].

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (١٦٢٧/٩) [دار الشعب]، وفتح الباري لابن حجر (٤٧٧/١٠).

فهم ثلاثة أقسام: السابق بالخيرات، والمحسنون^(٢)، والمقتصد، والظالم لنفسه.

السابق بالخيرات هو: المقرب المحسن، الذي يعبد الله كأنه يراه، ويتقرب إليه بالنوافل بعد الفرائض، فيفعل الواجبات والمستحبات، ويترك المحرمات والمكروهات، مع تورعه عن بعض الجائزات خوفاً من أن يكون سبباً لارتكاب المنهيات.

والمقتصد: هو فاعل الواجب وتارك المحرم، أو هو: من امتثل الأمر، واجتنب النهي، ولم يزد على ذلك، أو هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب وترك المحرم.

والظالم لنفسه: هو تارك المأمور فاعل المحذور، أو هو: المضيق للواجبات والمنتهك للمحرمات، وقيل: هو صاحب الذنوب المصر عليها^(١).

أصناف المؤمنين الثلاثة كلهم موعودون بالجنة على القول الراجح والصحيح من أقوال أهل المعترضين^(٣)، وذلك إما ابتداء؛ أي يدخلون الجنة بدون حساب ولا عقاب؛ وهم السابقون بالخيرات في الدنيا، وهم المقربون في الآخرة أو المحسنون، وكذلك المقتصدون وإن حوسبوا حساباً يسيراً، وإما انتهاء؛ أي: وإن عوقبوا أو عذبوا، وأدخلوا النار فلا يخلدون فيها؛ بل يخرجون منها ويدخلون الجنة؛ وهم

والظالم لنفسه: هو تارك المأمور فاعل المحذور، أو هو: المضيق للواجبات والمنتهك للمحرمات، وقيل: هو صاحب الذنوب المصر عليها^(١).

الأسماء الأخرى:

من الأسماء المرادفة في الحقيقة لاسم السابقين بالخيرات: المقربون،

(١) انظر لهذه التعاريف: تفسير الطبري (٤٦٨/٢٠)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥٨/٧).

(٢) ذكر اختلاف أهل العلم في ذلك جمع من أئمة التفسير، ومن أطال في ذلك الإمام ابن القيم في كتابه طريق الهجرتين (٤٠٨/١ - ٤٤١) ورجح القول المذكور، لكن المتأمل في القول الثاني وهم من قالوا: إن الظالم لنفسه غير موعود بالجنة، فسروا الظالم بما يناسب ذلك؛ حيث قالوا فيه: إنه الكافر، وبعضهم قال: هو المنافق، وهذا قطعاً ليس من أهل الجنة، فسروا المقتصد: بالمؤمن العاصي، وهذا عندهم موعود بالجنة، فتحقق والله أعلم أنهم متفقون على أصل المسألة، وهو أن المؤمن العاصي موعود بالجنة، وهذا مما اتفق عليه أهل السنة قاطبة.

(١) انظر لهذه التعاريف: تفسير الطبري (٤٦٨/٢٠)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦١/٥) و(٣٩١/٦) و(٣٥٨/٧) و(١٨٠/١١ - ١٨٣) و(٣٣٧/١٣)، [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ٣٨٣] و(١٤١٦هـ)، وطريق الهجرتين (٢٩١ - ٣١٤) [دار ابن القيم، ط ٢، ١٤١٤هـ]، وتفسير ابن كثير (٥٤٦/٦) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وتفسير السعدي (٦٨٩) [مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ]، وأضواء البيان (١/٤١٧) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

الحنفية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أنه قال: «إنها أمة مرحومة، الظالم مغفور له، والمقتصد في الجنان عند الله، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله»^(٤).

قال ابن جرير: «وإذ كان ذلك كذلك: فبين أن المصطفين من عباده هم مؤمنو أمته، وأما الظالم لنفسه، فإنه لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصي التي هي دون النفاق والشرك عندي أشبه بمعنى الآية من أن يكون المنافق أو الكافر؛ وذلك أن الله تعالى ذكره أتبع هذه الآية قوله: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا﴾، فعمَّ بدخول الجنة جميع الأصناف الثلاثة.

فإن قال قائل: فإن قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ إنما عنى به المقتصد والسابق. قيل له: وما برهانك أن ذلك كذلك من خبر أو عقل؟ فإن قال: قيام الحجة بأن الظالم من هذه الأمة سيدخل النار، ولو لم يدخل النار من هذه الأصناف الثلاثة أحد، وجب أن لا يكون لأهل الإيمان وعيد. قيل له: إنه ليس في الآية خبر أنهم لا يدخلون النار، وإنما فيها إخبار من الله تعالى ذكره، أنهم يدخلون جنات عدن، وجائز أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبة الله إياه على ذنوبه التي أصابها، وظلمه نفسه فيها، بالنار أو بما

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (٣٧٠/١٩).

الظالمون لأنفسهم، وذلك بنص آية الاضطفاء؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر]. روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه قال: «كلهم في الجنة»^(١).

وروي ابن جرير الطبري بسنده عن كعب الأحمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أنه قال: «إن الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات من هذه الأمة كلهم في الجنة»^(٢).

وروي بسنده عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أنه قال: «هم أمة محمد، ورثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب»^(٣).

وروي بسنده عن محمد ابن

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده (٦٨١/٣) [دار هجر، ١]، والبيهقي في البعث والنشور (٨٣، ٨٤) [مركز الأبحاث والخدمات الثقافية، ط ١، ١٤٠٦هـ]، من طرق ضعيفة الأسانيد.

قال الطبري في تفسيره (٣٧٥/١٩) [دار هجر، ط ١]: «وقد روي عن رسول الله بنحو الذي قلنا من ذلك أخبار، وإن كان في أسانيدنا نظر، مع دليل الكتاب على صحته، على النحو الذي بينت».

(٢) تفسير الطبري (٣٦٨/١٩)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور (٨٥) رقم (٦٤).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٨/١٩) [دار هجر، ط ١].

المؤذي الضار. وحقيقة المقتصد: اقتصر من الزاد على ما يبلغه، ولم يتزود ما يضره، فهو سالم غانم، لكن فاته المتاجر الرباحة. وحقيقة السابق بالخيرات: همه في تحصيل الأرباح، وشد أحمال التجارات الرباحة، لعلمه بمقدار الربح الحاصل، فيرى خسراناً أن يدخر شيئاً مما بيده، ولا يتجر فيه، فيجد ربحه يوم يغتبط التجار بأرباح تجارتهم^(٣).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه؛ أنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ﴾. فأما الذين سبقوا بالخيرات فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول

شاء من عقابه، ثم يُدخله الجنة فيكون عمه خير الله جلّ ثناؤه بقوله: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾^(١).

وقال الشنقيطي رحمته الله: «والواو ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ شاملة للظالم، والمقتصد، والسابق على التحقيق، ولذا قال بعض أهل العلم: حُقَّ لهذه الواو أن تكتب بماء العينين؛ فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة، وأولهم الظالم لنفسه، يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة، فالوعد الصادق بالجنة في الآية شامل لجميع المسلمين»^(٢).

الحقيقة:

أصناف المؤمنين الثلاثة سائرون إلى الله تعالى، وإلى دار السلام، موقنون بالرجعى إليه صلى الله عليه وسلم، لكن هم متفاوتون في التزود، وفي نفس السير، وسرعته وبطئه، فحقيقة الظالم لنفسه: مقصر في الزاد، غير آخذ منه ما يبلغه المنزل، لا في قدره، ولا في صفته، ومع ذلك فهو متزود ما يتأذى به في طريقه، ويجد غبّاً أذاه إذا وصل المنزل، بحسب ما تزود من ذلك

(١) تفسير الطبري (١٩/٣٧٤، ٣٧٥).

(٢) أضواء البيان (٦/١٨٤) [دار عالم الفوائد، ط ١،

١٤٢٩هـ].

(٣) انظر: طريق الهجرتين (١/٤٠٤)، وجامع العلوم

والحكم (٢/٨٦٧) [دار السلام، ط ٢، ١٤٢٤هـ]

فقد أطال الكلام في بيان حقيقتهم.

بالخيرات: بمنزلة المُقَرَّب الذي يتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض حتى يحبه الحق»^(٣).

وقال الشنقيطي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وأظهر الأقوال في المقتصد والسابق والظالم: أن المقتصد هو من امتثل الأمر واجتنب النهي ولم يزد على ذلك، وأن السابق بالخيرات هو من فعل ذلك، وزاد بالتقرب إلى الله بالنوافل، والتورع عن بعض الجائزات خوفاً من أن يكون سبباً لغيره، وأن الظالم هو المذكور في قوله: ﴿خَاطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَبِيلًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]، والعلم عند الله تعالى»^(٤).

❁ الأقسام:

لم يُذكر أي تقسيم للأصناف الثلاثة فيما تم الوقوف عليه إلا في السابق بالخيرات، فذكر بعض أهل العلم أنهم على قسمين في الدنيا والآخرة.

فأما في الدنيا فيقول الحافظ ابن رجب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وأهل هذه الدرجة على قسمين:

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦١/٥). وانظر: المرجع السابق (٣٩١/٦) و(١٨٣/١١) و(١٣/١٣) ٣٣٧، ٣٨٤، وطريق الهجرتين (٢٩١ - ٣١٤) [دار ابن القيم، ط ٢].

(٤) أضواء البيان (٤١٧/١) [دار الفكر، ١٤١٥هـ]. وانظر: المرجع السابق (٤٩٠/٥)، وتفسير ابن كثير (٥٤٦/٦) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وتفسير السعدي (٦٨٩) [مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ].

المحشر، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته، فهم الذين يقولون: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(١) إلى قوله: ﴿لُغُوبٌ﴾^(٢) [فاطر].

وقد جاء ذكر السابق بالخيرات والمقتصد في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش فيها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «القول الجامع: أن الظالم لنفسه هو المفرط بترك مأمور أو فعل محظور، والمقتصد: القائم بأداء الواجبات وترك المحرمات، والسابق

(١) أخرجه أحمد (٥٧/٣٦) [مؤسسة الرسالة]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٥/٧) [مكتبة القدسي]: «رواه أحمد بأسانيد، رجال أحدها رجال الصحيح»، لكن في سنده انقطاعاً، كما ذكر محققو المسند.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٢). وقد أفاد بذلك ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/١٠).

[المطففين]؛ ففرق بين من يشرب منها، ويشرب بها؛ فالأول قد يشرب الشارب ولا يروي، بخلاف الثاني فإنه يشرب مع الري، فالمقربون يروون بها فلا يحتاجون معها إلى ما دونها، فلهذا يشربون منها صرفاً، بخلاف أصحاب اليمين فإنها مزجت لهم مزجاً؛ كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف حيث قالوا: «يمزج لأصحاب اليمين مزجاً، ويشرب بها المقربون صرفاً»^(٤)، وهو كما قالوا^(٥).

والذي يظهر أن لقب أصحاب اليمين له إطلاقان:

أحدهما: عام، ويدخل فيه جميع أهل الجنة؛ كالسابقين بالخيرات، والمقتصدین، والظالمين لأنفسهم.

والثاني: إطلاق خاص بالمقتصدین، وهذا الذي يدل عليه كلام ابن القيم في مواضع، كقوله: «وهؤلاء الأصناف الثلاثة هم أهل اليمين: وهم المقتصدون، والأبرار، والمقربون، وأما الظالم لنفسه فليس من أصحاب اليمين عند الإطلاق، وإن كان مآله إلى أصحاب اليمين، كما أنه لا يسمى مؤمناً عند الإطلاق، وإن كان مصيره ومآله مصير المؤمنين، بعد أخذ الحق منه»^(٦).

(٤) ذكره الطبري.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١١/١٧٦ - ١٨٠).

(٦) انظر: طريق الهجرتين (١/٤٠٧).

منهم من يقتصر من الدنيا على قدر ما يسد الرمق فقط، وهو حال كثير من الزهاد.

ومنهم من يفسح لنفسه أحياناً في تناول بعض شهواتها المباحة؛ لتقوى النفس بذلك، وتنشط للعمل، كما روي عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «حُبَّ إِلَيَّ مِنْ دِنْيَاكُمْ النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(١) (٢).

وأما تقسيمهم في الآخرة فيقول ابن القيم رحمته الله: «وأما السابقون بالخيرات فهم نوعان: أبرار، ومقربون»^(٣).

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن الأبرار هم من أصحاب اليمين، وهم المقتصدون؛ أي يكون لقب الأبرار قسماً للسابقين بالخيرات؛ إذ ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾^(٤) [الإنسان]، فهذا في حق الأبرار، وأما في حق السابقين بالخيرات فقال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾^(٥) [الإنسان]، وعباد الله هم المقربون، وقال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٦)

(١) أخرجه النسائي (كتاب عشرة النساء، رقم ٣٩٣٩)، وأحمد (٣٠٥/١٩) [مؤسسة الرسالة، ١٦]، والحاكم (كتاب النكاح، رقم ٢٦٧٦) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣١٢٤) [المكتب الإسلامي].

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٨٧٦).

(٣) انظر: طريق الهجرتين (١/٤٠٧).

الجنة هي مرتبة السابقين بالخيرات، ودونها مرتبة المقتصدون، ودونها مرتبة الظالمين لأنفسهم.

تقدم ما روي عن ابن الحنفية أنه قال: «إنها أمة مرحومة، الظالم مغفور له، والمقتصد في الجنان عند الله، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله»^(٣).

قال السعدي رحمته الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة]: «أي: السابقون في الدنيا إلى الخيرات، هم السابقون في الآخرة لدخول الجنات، أولئك الذين هذا وصفهم، المقربون عند الله في جنات النعيم، في أعلى عليين، في المنازل العاليات، التي لا منزلة فوقها»^(٤).

المسائل المتعلقة:

مراتب المؤمنين في الدنيا خاصة بأمة محمد صلوات الله عليه، كما روي ذلك عن النبي صلوات الله عليه؛ أنه قال: «كلهم من هذه الأمة»^(٥).

وروي ابن جرير بسنده عن ابن

وأما تخصيصهم بالمقتصدين فيقول رحمته الله: «فأما مرتبة أصحاب اليمين: فأداء الواجبات وترك المحرمات، مع ارتكاب المباحات وبعض المكروهات وترك بعض المستحبات.

وأما مرتبة المقربين فالقيام بالواجبات والمندوبات وترك المحرمات والمكروهات، زاهدين فيما لا ينفعهم في معادهم متورعين عما يخافون ضرره، وخاصتهم قد انقلبت المباحات في حقهم طاعات وقربات بالنية»^(١).

وهذا الأخير هو الذي تجد ابن تيمية كثيراً ما يقرره؛ من ذلك قوله: «فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض، يفعلون ما أوجب الله عليهم، ويتركون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات، ولا الكف عن فضول المباحات.

وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المكروهات والمحرمات»^(٢).

المراتب:

تفاوت مراتب المؤمنين في الدنيا يلزم منه تفاوتهم في الجنة، فأعلى مرتبة في

(١) مدارج السالكين (١/١٠٧، ١٠٨) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (١١/١٨٤).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (١٩/٣٧٠).

(٤) تفسير السعدي [دار السلام، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١/١٦٧) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، والبيهقي في البعث والنشور (٨٤) [مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، ط ١]، وقال الهيثمي في المجمع (٧/٩٦) [مكتبة القدسي]: فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وهو سيئ الحفظ.

بالكلية، وحكموا عليه بالخلود في نار جهنم يوم القيامة، ووافقهم المعتزلة في حكمه في الآخرة، لكن خالفوهم في اسمه في الدنيا وما يترتب عليه من أحكام دنيوية، فحكموا عليه بالمنزلة بين المنزلتين؛ أي: هو عندهم بين منزلتي الإيمان والكفر، وسموه فاسقًا، فلا هو مؤمن بحال من الأحوال ولا هو كافر.

والصنف الثاني: المرجئة الذين أعطوه اسم الإيمان الكامل، فقالوا: هو مؤمن كامل الإيمان، وحكموا عليه في الآخرة بأنه من أهل الجنة ابتداءً.

فهاتان الطائفتان كل منهما على طرفي نقيض؛ إذ إن الظالم لنفسه لا يعطى اسم الإيمان الكامل، ولا ينفى عنه اسم الإيمان بالكلية؛ إذ معه أصل الإيمان، الذي ينجيه من الخلود في نار جهنم، وهذا الذي يدل عليه الكتاب والسنة، وعليه وإجماع أهل السنة:

فمن الكتاب: آية الاصطفاء التي هي أصل المسألة؛ قال ابن تيمية: «ومعلوم أن الظالم لنفسه إن أريد به من اجتنب الكبائر، والتائب من جميع من الذنوب، فذلك مقتصد، أو سابق؛ فإنه ليس أحد من بني آدم يخلو عن ذنب، لكن من تاب كان مقتصدًا أو سابقًا، كذلك من اجتنب الكبائر كفرت عنه السيئات؛ كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ

عباس ﷺ؛ أنه قال: «هم أمة محمد، ورثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب»^(١).

قال ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لكن هذه الأصناف الثلاثة في هذه الآية هم أمة محمد ﷺ خاصة؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر، ٣٢] وأمة محمد ﷺ هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة، وليس ذلك مختصًا بحُفاظ القرآن؛ بل كل من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء، وقسمهم إلى: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق، بخلاف الآيات التي في الواقعة، والمطففين، والانفطار فإنه دخل فيها جميع الأمم المتقدمة، كافرهم، ومؤمنهم، وهذا التقسيم لأمة محمد ﷺ»^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

خالف أهل الأهواء والبدع أهل السنة والجماعة في مسمى الظالم لنفسه وحكمه، وهم صنفان:

الصنف الأول: الخوارج ومن وافقهم، كفروه فسلبوه اسم الإيمان

(١) تقدم تخريجه.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/١٨٣).

عَنْهُ نُكْفِرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴿﴾ [النساء: ٣١]، فلا بد أن يكون هناك ظالم لنفسه، موعود بالجنة، ولو بعد عذاب يطهر من الخطايا»^(١).

خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً»^(٤).
وأما مذهب المرجئة الذين وصفوا الظالم لنفسه بالمؤمن الكامل ففيه مخالفة ظاهرة للقرآن والسنة كذلك:

فمن القرآن: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴿﴾ [الأنفال].

فهؤلاء الذين وصفهم الله تعالى بالمؤمنين حقاً، هم من أتوا بتلك الأعمال الظاهرة والباطنة على وجه الكمال والتمام، فلا يدخل فيهم من أخل بالواجبات، وارتكب المحرمات، وإن كانوا يدخلون في خطاب أهل الإيمان.

قال الفضيل بن عياض: «إن هذه الآية تخبرك أن الإيمان قول وعمل، وأن المؤمن إذا كان مؤمناً حقاً فهو من أهل الجنة، فمن لم يشهد أن المؤمن حقاً من أهل الجنة فهو شاك في كتاب الله ﷻ، مكذب به، أو جاهل لا يعلم، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن حقاً، مستكمل الإيمان، ولا يُستكمل الإيمان إلا بالعمل، ولكن لا يستكمل

وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، فسمّاهم مؤمنين مع وقوعهم في كبيرة القتل، فلم يسلبهم اسم الإيمان بالكلية.

وقد تواترت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ من أنه يخرج أقوام من النار بعدما دخلوها، وهم الظالمون لأنفسهم، وأن النبي ﷺ يشفع في أقوام دخلوا النار، وهذا مما يبطل مذهب الخوارج الذين حكموا عليهم بالخلود في نار جهنم؛ منها:

حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين»^(٢).

وحديث الشفاعة الطويل وفيه: «فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة، أو خردلة من إيمان فأخرجه»^(٣).

وحديث: «إِنِّي لأعلم آخر أهل النار

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٦٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥١٠)

واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٧١).

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٦).

عبد الإيمان، ولا يكون مؤمناً حقاً، حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه. يا سفيه ما أجهلك، لا ترضى أن تقول: أنا مؤمن حتى تقول: أنا مؤمن حقاً مستكمل الإيمان! والله لا تكون مؤمناً حقاً مستكمل الإيمان، حتى تؤدّي ما افترض الله ﷻ عليك، وتجتنب ما حرّم عليك، وترضى بما قسم الله ﷻ لك، ثم تخاف مع هذا أن لا يقبل الله ﷻ منك»^(١).

ويقول ابن تيمية - في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة -: «ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقوله المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾»^(٢).

وقال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَنذَكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣)

ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ [الحجرات]. قال ابن تيمية: «فدلّ البيان على أن الإيمان المنفي عن هؤلاء الأعراب: هو هذا الإيمان الذي نفي عن فساق أهل القبلة الذين لا يخلدون في النار، بل قد يكون معه أحدهم مثقال ذرة من إيمان، ونفي هذا الإيمان لا يقتضي ثبوت الكفر الذي يخلد صاحبه في النار، وبتحقق هذا المقام يزول الاشتباه في هذا الموضوع»^(٣).

ومن السنّة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»^(٤).

فهذا الحديث أورده مسلم وعنون له النووي بقوله: «باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كمال»؛ أي: مقصوده: أنه نفي عنه الاسم المطلق، الذي هو الإيمان المطلق، فليس هو بمؤمن كامل الإيمان، بل هو ناقص الإيمان.

(٣) مجموع الفتاوى (٧/٤٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٧٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٥٧).

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنّة (٣٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/١٥١).

قال الإمام ابن عبد البر: «يريد مستكمل الإيمان، ولم يرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك»^(١).

قال الجوهري: «تقول: رقت الشيء أرقبه رقبواً، ورقبته، ورقباً بالكسر فيهما؛ إذا رصدته. وراقب الله في أمره؛ أي: خافه. والترقب: الانتظار، وكذلك الارتقاب»^(٣).

فالمراقبة إذن هي: الانتصاب لمراعاة شيء ورصده وانتظاره؛ حفظاً لأمره وحراسةً له.

التعريف شرعاً:

المراد بالمراقبة: ملاحظة العبد ربّه سبحانه وتيقنه باطلاعه على ظاهره وباطنه، واستحضار ذلك استحضاراً يثمر اجتناب المناهي وفعل الأوامر^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والاصطلاح:

تضمّن المعنى الاصطلاحى للمعنى اللغوي للمراقبة ظاهر، فإن مراقبة الله هي انتصاب القلب للنظر في أوامر الرب سبحانه وحفظه فيها ومجاهدة النفس على التزام حدودها.

الحكم:

يجب على العبد مراقبة الله ﷻ في كل أحواله حتى لا يضيع أمر الله، وحتى

المصادر والمراجع:

١ - «الإحسان في ضوء الكتاب والسنة»، لأحمد الغامدي.

٢ - «الإحسان في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة»، لرياض محمود جابر.

٣ - «أضواء البيان»، للشنقيطي.

٤ - «بحر العلوم»، للسمرقندي.

٥ - «تفسير الطبري».

٦ - «تفسير القرطبي».

٧ - «جامع العلوم والحكم»، لابن

رجب.

٨ - «الدر المنثور»، للسيوطي.

٩ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

المراقبة

التعريف لغة:

المراقبة: من الرقب. وهو: الانتصاب لمراعاة شيء. من ذلك: الرقيب. وهو: الحافظ والحارس والمنتظر^(٢).

المحيط (٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٢٤هـ].
 (٣) الصحاح (١/١٣٧، ١٣٨) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ].
 (٤) انظر: إحياء علوم الدين (٤/٣٦٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ]، ومدارج السالكين (٢/٧٩، ٨٠) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ].

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد (٩/٢٤٣) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٣٩٩هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٢/٤٢٧) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ]، وتهذيب اللغة (٩/١٢٨) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط١، ١٣٨٤هـ]، والقاموس

فلاًناً ويراعى جانبه، ويعني بهذه المراقبة حالة للقلب يشمرها نوع من المعرفة، وتثمر تلك الحالة أعمالاً في الجوارح وفي القلب.

أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاتة إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه.

وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضمائر، عالم بالسرائر، رقيب على أعمال العباد، قائم على كل نفس بما كسبت، وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشارة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك.

فهذه المعرفة إذا صارت يقيناً وخلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه.

والمؤمنون في مراقبة ربهم على درجات متفاوتة كتفاوتهم في الإيمان، فمنهم الصديقون السابقون، ومنهم المقتصدون أصحاب اليمين، ومنهم المقصر الظالم لنفسه^(٣).

فالعبد لا يخلو؛ إما أن يكون في طاعة، أو في معصية، أو في مباح:

فمراقبته في الطاعة: بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٤/٣٤٦).

لا يقع فيما نهى عنه الله؛ لأن هذه المراقبة هي أساس الأعمال القلبية كلها من الحياء والسكينة والمحبة والخضوع والخشوع والخوف والرجاء ونحوها^(١)، وهذه الأعمال القلبية هي المحركة لأعمال الجوارح.

وتتأكد هذه المراقبة في الخلوات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى، وقد جاء الوعيد الشديد لمن لا يراقب الله في خلواته، كما في حديث ثوبان؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً فيجعلها الله ﷻ هباء منثوراً». قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا؛ أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم. قال: «أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»^(٢).

○ الحقيقة:

حقيقة المراقبة: ملاحظة الرقيب وانصراف الهمم إليه. فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال: إنه يراقب

(١) انظر: إعلام الموقعين (٤/٢٥٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٤٥)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/٢٤٦) [دار العربية، ط ١]: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٢٢٤٦) [مكتبة المعارف، ط ٥].

فتأمل كل مقام من مقامات الدين وكل عمل من أعمال القلوب كيف تجد هذا أصله ومنبعه!«^(٤).

والتعبد لله ﷻ بهذه المنزلة (المراقبة) هو تعبد له باسم من أسمائه الحسنی، فإنه سبحانه القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على كل جارحة بما اجترحت، المطلع على ضمائر القلوب إذا هجست، الحسيب على خواطر عباده إذا اختلجت، الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات والأرض تحركت أو سكنت، المحاسب على النقيير والقطمير والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت، وإنما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت، وتنظر فيما قدّمت وأخّرت؛ فتعلم أنه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة وهلكت، وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضله بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت، والله ﷻ قد قال في محكم كتابه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾^(٤٧) [الأنبياء]، فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون في

وإن كان في معصية: فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتفكير.

وإن كان في مباح: فمراقبته بمراعاة الأدب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها.

ولا يخلو العبد في جملة أحواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها، ونعمة لا بد له من الشكر عليها، وكل ذلك من المراقبة^(١).

وهذه المراقبة هي تعبد لله بأسمائه: الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، اللطيف، الخبير. فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها: حصلت له المراقبة^(٢).

❁ المنزلة:

منزلة المراقبة من منازل السالكين في طريقهم إلى ربهم المرسوم لهم في قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٥)، فهي منزلة جليلة، والحاجة إليها ملحة عظيمة، بل هي «أساس الأعمال القلبية كلها وعمودها الذي قيامها به، ولقد جمع النبي ﷺ أصول أعمال القلب وفروعها كلها في كلمة واحدة وهي قوله في الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه»^(٣).

(١) انظر: المصدر نفسه (٤/٣٥٠).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/٨١).

(٣) سيأتي تخريجه في الأدلة.

(٤) إعلام الموقعين (٤/٢٥٥).

تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك^(٢).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»^(٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر، يوم تعرضون لا تخفى

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦٦٠)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٣١).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب البر والصلة، رقم ١٩٨٧) وقال: «حسن صحيح»، وأحمد (٢٨٤/٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٣٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٢٦٥٥) [مكتبة المعارف، ط ٥].

الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات، وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة، ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات، ومحاسبتها في الخطرات واللحظات، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته^(١).

❁ الأدلة:

من القرآن: قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر].

وقوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء].

ومن السنة: ما جاء في حديث جبريل رضي الله عنه، أنه سأل النبي ﷺ عن الإحسان فقال له: «أن تعبد الله كأنك

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٤/٣٤٧، ٣٤٨).

٢ - التُّصَحُّحُ فِي الْعِبَادَةِ، وَبِذَلِكَ الْجُهْدِ

فِي تَحْسِينِهَا وَإِتْمَامِهَا وَإِكْمَالِهَا^(٥).

٣ - إِثَارَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَتَعْظِيمَ مَا

عَظَّمَ اللَّهُ وَتَصْغِيرَ مَا صَغَّرَ اللَّهُ^(٦).

٤ - «مِرَاقِبَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْخَوَاطِرِ

سَبَبٌ لِحِفْظِهَا فِي حَرَكَاتِ الطَّوَاهِرِ؛ فَمَنْ

رَاقَبَ اللَّهَ فِي سِرِّهِ حَفِظَهُ اللَّهُ فِي حَرَكَاتِهِ

فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ»^(٧).

٥ - دَعَاءُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ بِأَسْمَائِهِ

الْحَسَنَى: الرَّقِيبِ، الْحَفِيفِ، الْعَلِيمِ،

السَّمِيعِ، الْبَصِيرِ، اللَّطِيفِ، الْخَبِيرِ، فَمَنْ

عَقَلَ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ وَدَعَا اللَّهَ بِهَا دَعَاءَ

عِبَادَةِ وَدَعَاءَ مَسْأَلَةٍ: حَصَلَتْ لَهُ

الْمِرَاقِبَةُ^(٨).

٦ - الْفَرَحَةُ وَالنَّعِيمُ وَاللَّذَّةُ الَّتِي يَجِدُهَا

فِي تِلْكَ الْمِرَاقِبَةِ وَالْمُنَاجَاةِ لِلَّهِ ﷻ، فَإِنَّ

سُرُورَ الْقَلْبِ مَعَ اللَّهِ وَفَرَحَهُ بِهِ وَقَرَّةَ الْعَيْنِ

بِهِ لَا يَشْبَهُهُ شَيْءٌ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا أَلْبَتَّةَ،

وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ يَقَاسُ بِهِ وَهُوَ حَالٌ مِنْ

أَحْوَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ^(٩).

٧ - مَحَبَّةُ اللَّهِ لِعَبْدِهِ وَقَرْبُهُ مِنْهُ

وَمَعِيَّتُهُ لَهُ^(١٠).

(٥) انظر: جامع العلوم والحكم (٤٩)، وشرح النووي على

مسلم (١١٢/١) [دار المعرفة، ١٠ ط، ١٤٢٥هـ].

(٦) انظر: مدارج السالكين (٨٠/٢).

(٧) المرجع السابق (٨١/٢).

(٨) انظر: المصدر نفسه.

(٩) انظر: مدارج السالكين (٨٢/٢).

(١٠) انظر: صيد الخاطر (٢٣٠) [اليمامة، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

منكم خافية»^(١).

وقال سفيان الثوري ﷺ: «عليك

بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية

وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء عليك

بالحذر ممن يملك العقوبة»^(٢).

وقال عبد الله بن المبارك لرجل:

«راقب الله تعالى. فسأله عن تفسيرها،

فقال: كن أبداً كأنك ترى الله ﷻ»^(٣).

الثمرات:

مراقبة الله ﷻ تثمر تحقيق مرتبة

الإحسان، التي هي إتقان كل أعمال

الإسلام والإيمان الظاهرة والباطنة، وبها

تحصل الخصلة الجامعة لكل خير:

تقوى الله ﷻ.

ومن أفراد تلك الثمرات ما يلي:

١ - تحريك القلوب بأعمالها الجليلة.

فكلما اشتدت هذه المراقبة أوجبت له

من الحياء والسكينة والمحبة والخضوع

والخشوع والخوف والرجاء والخشية

والهيبة والتعظيم ما لا يحصل بدونها،

فالمراقبة أساس الأعمال القلبية كلها

وعمودها الذي قيامها به^(٤).

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٠٣) [دار الكتب

العلمية]، وابن أبي شيبه في المصنف (كتاب الزهد،

رقم ٣٤٤٥٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٣٤٦/٤).

(٣) المصدر نفسه (٢٩٧/٤).

(٤) انظر: إعلام الموقعين (٢٥٥/٤)، وجامع العلوم

والحكم (٤٩).

٨ - الفوز برضا الله وجاته والنجاة من سخطه وناره .

مريم

التعريف لغة:

مريم: اسمُ أم عيسى عليه السلام، وهو اسم عبراني، نُقِلَ للعربية على حاله لخَفَّتْه، ولا معنى لمريم في العربية غير العَلَمِيَّة، إلا أنَّ العرب المتنصِّرة عاملوه معاملة الصِّفة في معنى: المرأة المتباعدة عن مشاهدة النساء؛ لأن هذه الصِّفة اشتهرت بها مريم؛ إذ هي أول امرأة عبرانية خدَمَت بيت المقدس؛ فلذلك يقولون: (امرأة مريم)؛ أي: مُعْرِضَةٌ عن صفات النساء، أو تكثُر مجالسة الرِّجال، كما يقولون: رجل حاتم؛ بمعنى: جواد، وذلك معلوم منهم في الأعلام المشتهرة بالأوصاف.

وقيل: بل هو عربيٌّ، مشتقٌّ من (رام)، يريم).

وقيل: هو معرَّب (مارية).

وهما ضعيفان؛ والصحيح أنه عبرانيٌّ.

وينبغي أن يكون وزنها: (فَيْعَل) بفتح الفاء، وإن كان نادراً، بل قيل: ليس في كلام العرب (فَيْعَل) بفتح الفاء والياء^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إحياء علوم الدين» (ج ٤)، للغزالي.
- ٢ - «إعلام الموقعين» (ج ٤)، لابن القيم.
- ٣ - «إغاثة اللهفان»، لابن القيم.
- ٤ - «بستان الواعظين»، لابن الجوزي.
- ٥ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.
- ٦ - «الزهد»، لأحمد بن حنبل.
- ٧ - «صيد الخاطر»، لابن الجوزي.
- ٨ - «مختصر منهاج القاصدين»، لابن قدامة.
- ٩ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.
- ١٠ - «ولله الأسماء الحسنی فادعوه بها»، لعبد العزيز الجليل.

مرتكب الكبيرة

يراجع مصطلح (الكبيرة).

المرشد

يراجع مصطلح (الرشيد).

المريد

يراجع مصطلح (الإرادة).

(١) انظر: الاشتقاق لابن دُرَيْد - مع تعليق محققه - (٣٤٧) [دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ]، وجمهرة اللغة له (باب: فَيْعَل، من أبواب: ما يُلْحَق بالرُّباعي بحرفٍ من حروف الرُّوائد)، والصحاح (٥/ ١٩٤٠) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، وتاج =

التعريف شرعاً:

مریم: هي الصديقة، أم عيسى عليه السلام،
مریم بنت عمران بن ماثان بن المعازر بن
اليود من بني إسرائيل^(١).

الحكم:

يجب على المسلم الإيمان بأن مریم
بنت عمران هي والدة المسيح عيسى ابن
مریم عليه السلام، وأن الله خصها بما لم يؤته
أحدًا من النساء؛ وذلك أن روح القدس
كلمها، وظهر لها، ونفخ في درعها، ودنا
منها للنفخة؛ فحملت بعيسى عليه السلام دون أن
يمسها بشر، وأنها صدقت بكلمات ربها،
ولم تسأل آية عندما بُشرت بعيسى عليه السلام؛
ولذلك سماها الله في تنزيله صديقة فقال:
﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، وقال:
﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا
الْقَنِينَ﴾ [التحریم]؛ فشهد لها
بالصديقية، وشهد لها بالتصديق لكلمات
البشرى، وشهد لها بالقنوت^(٢).

المنزلة:

وقد مدحها الله تعالى وأثنى عليها وذكر
فضلها في مواضع عديدة من القرآن
الكریم؛ منها:

= العروس (٣٢/٣٠٢) [مطبعة حكومة الكويت]،
والتحرير والتنوير (١/٥٩٤، ٣/٢٤٣) [دار سخون،
تونس، ١٩٩٧م].

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١/٣١٩) [دار
إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٤/٨٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَا مَرْيَمُ
إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْفَاكِ عَلَى نِسَاءِ
الْعَالَمِينَ﴾ [٤٢] [آل عمران]، وقوله عليه السلام:
﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ
خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾
[المائدة: ٧٥]؛ فوصفها بمقام الصديقية؛
لفرط صدقتها ومبالغتها في امتثال ما
يكلفها الله تعالى به، لا يصدها عن ذلك
شيء؛ يوضحه قوله تعالى عنها: ﴿وَمَرْيَمَ
ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا
فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا
وَكُتِبَ فِيهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَنِينِ﴾ [التحریم].
إلى غير ذلك من الآيات.

وصح في فضائلها عليها السلام غير حديث؛
منها:

قوله عليه السلام: «كامل من الرجال كثير،
ولم يكمل من النساء إلا: مریم بنت
عمران، وآسية امرأة فرعون»^(٣)، وغير
ذلك من الأحاديث.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ
مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، وقال
سبحانه: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ
فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم
٣٤٣٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة عليهم السلام، رقم
٢٤٣١)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

يَكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَنِينِ ﴿١٢﴾ [التحریم].

ومن السنّة: قوله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد؛ فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها»^(١)، وقوله ﷺ: «خير نسائها: مريم ابنة عمران، وخير نسائها: خديجة»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تسمية مريم ﷺ بأخت هارون:

استشكل البعض قول الله تعالى عن مريم ﷺ حكايةً عن قومها: ﴿يَأْتِيَنَّكَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا﴾^(٣) [مريم]؛ ظناً منهم أنّ هارون أخاها - المذكور في الآية - هو أخو موسى ﷺ، وموسى كان قبل ابنها عيسى ﷺ بأكثر من ألف وستمئة سنة؛ فلا يتصور أن تكون أختاً لهارون ﷺ! وطعن بعض المستشرقين من نصارى العصر الحديث في القرآن الكريم لأجل هذه الآية!^(٤)

وهذه «مجازفة! فإن النصارى لا

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٥٤٨)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة ﷺ، رقم ٢٤٣٠).

(٣) التحرير والتنوير (٧٢/٢٠).

يعرفون اسم أبي مريم أم عيسى ﷺ! فليس في كتبهم ذكر لاسمه ولا لمولدها، ولكن قصتها تبتدئ فجأة بأن عذراء في بلد الناصرة مخطوبة ليوسف التجار قد حملت من غير زوج»^(٤).

وهذا الاستشكال قديم؛ سبقهم إليه أهل نجران في عهد النبي ﷺ؛ كما ثبت في «صحيح مسلم»، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ: ﴿يَأْتِيَنَّكَ هَرُونَ﴾ [مريم: ٢٨]، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟! فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك؛ فقال: «إنهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»^(٥)؛ وفي بيانه رضي الله عنه هذا «تجهيل لأهل نجران أن طعنوا في القرآن، على توهم أن ليس في القوم من اسمه هارون إلا هارون الرسول أخا موسى»^(٦)!

فظهر بهذا الجواب عن هذا الاستشكال؛ وأنّ هارون المذكور في الآية ليس هو هارون أخا موسى - فمريم من نسله -؛ وإنّما هو أخ لها «اسمه هارون، كان صالحاً في قومه، خاطبوها بالإضافة إليه زيادة في التوبيخ؛ أي: ما كان لأخت مثله أن تفعل فعلتك!»^(٧).

(٤) المرجع السابق، وانظر منه: (٢٤٣/٣).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الآداب، رقم ٢١٣٥).

(٦) التحرير والتنوير (٩٦/١٦).

(٧) المرجع السابق (٩٥/١٦). وانظر: تفسير الفخر =

- المسألة الثانية: هل هي نبيّة:

الصحيح - وحكي إجماعاً - أنها ليست نبيّة، وأنه ليس في النساء نبيّة؛ إنما غاية ما انتهى إليه أمرها هو الصّدّيقية؛ كما وصفها الله تعالى في كتابه الكريم في معرض بيان غاية فضلها دفعاً لغلو النصراني فيها، ولم تثبت نبوتها بدليل صريح لا من الكتاب ولا من السنّة.

- المسألة الثالثة: المفاضلة بينها وبين نساء هذه الأمة:

تقدم أن مريم الصّدّيقة والدة المسيح ﷺ لم تكن نبيّة، إنما ميزها الله تعالى بأمر فضلها بها على نساء العالمين، من ذلك: تبشير الله لها بعيسى على لسان الملائكة؛ كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٤٥)

[آل عمران]، وبشرها أيضاً على لسانهم بالاصطفاء على نساء العالمين والتّطهير، والمراد بنساء العالمين؛ أي: اللاتي كنّ وقت زمانها؛ كما قال: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٦)

[آل عمران]، وكلمها جبريل ﷺ بقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (١٩) [مريم]. وقال رسول الله ﷺ في حقها: «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون»^(١)؛ فالمراد: بلوغها النّهاية في جميع الفضائل التي لنساء زمانها.

وإذا نظرنا في النصوص الواردة في تفضيل نساء هذه الأمة بعضهم على بعض، وجدنا أن خديجة بنت خويلد ﷺ زوج النبي ﷺ هي أفضل نساء هذه الأمة^(٢)، بدليل أن اللفظ الوارد في تفضيل خديجة وهو قوله ﷺ: «خير نسائها خديجة»^(٣). إنما يتضح تمام معناه بمعرفة الضمير على أي شيء يعود، وقد ورد ما يفسّر ذلك صريحاً فقد قال ﷺ: «لقد فضلت خديجة على نساء أمّتي»^(٤). فهذا النص في

(٢) انظر: عارضة الأحوذّي لابن العربي (٢٥٣/١٣).

قال ابن حجر: «وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، ورد بأن الخلاف ثابت قديماً وإن كان الراجح أفضلية خديجة» فتح الباري (١٣٩/٧). ولمزيد اطلاع على الخلاف الوارد في تفاضل الصحابيات، انظر: كتاب مباحث المفاضلة في العقيدة لمحمد أبو سيف (٢٧٥) [دار ابن عفان].

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البزار في مسنده (٢٥٥/٤) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٤هـ]، والطبري في التفسير (٣٩٩/٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٣/٩) [مكتبة القدسي]: (فيه أبو يزيد الحميري، ولم =

= الرازي (٥٣٠/٢١) [دار إحياء التراث العربي، بيروت]، وتفسير القرطبي (١٠٠/١١)، وتفسير ابن كثير (٢٢٦/٥) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، والبداية والنهية له (٣١٩/١)، وروح المعاني للالوسي (٨٨/١٦) [إدارة الطباعة المنيرية، مصر].

(١) تقدم تخريجه.

قال ابن حجر: «فعلى هذا: مريم خير نساء الأمم الماضية، وخديجة خير نساء الأمم الكائنة»^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إمتاع الأسماع» (ج ١٠)، للمقريزي.
- ٢ - «تاريخ دمشق» (ج ٧٠)، لابن عساكر.
- ٣ - «تهذيب الأسماء واللغات» (ج ٢)، للنووي.
- ٤ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ٤، ١١)، للقرطبي.
- ٥ - «الجواب الصحيح» (ج ٢)، لابن تيمية.
- ٦ - «فتح الباري» (٦، ٧)، لابن حجر.
- ٧ - «صحيح البخاري».
- ٨ - «صحيح مسلم».
- ٩ - «مختصر الفتاوى المصرية»، للبعلي الحنبلي.
- ١٠ - «منهاج السنة النبوية» (ج ٨)، لابن تيمية.

المستعان

يراجع مصطلح (المعين).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/١٠٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ].

خديجة رضي الله عنها يدل على أنها أفضل نساء هذه الأمة. وكذلك قوله رضي الله عنها لعائشة - لما تكلمت على خديجة -: «ما أبدلني الله رضي الله عنها خيراً منها»^(١).

فلم يبق إذاً إلا المفاضلة بين مريم الصديقة وبين خديجة رضي الله عنها.

وإذا عرضنا النصوص الواردة في شأنهما رضي الله عنهما، والتي منها قوله رضي الله عنهما: «خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة»^(٢).

يظهر المساواة بينهما في الفضيلة، وأن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها، وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه. والله أعلم^(٣).

= أعرفه، وبقية رجاله وثقوا، وضعفه أحمد شاکر في تحقيقه لتفسير الطبري.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٥٦/٤١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣٢٠): «فرد به أحمد أيضاً، وإسناده لا بأس به».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/١٩٨) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢]، وتفسير القرطبي (٤/٨٣، ١٣/٢٥٠) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، والأذكار للنووي (١٠٠)، والجواب الصحيح (٢/٣٤٩) [دار العاصمة، ط ١]، ومجموع الفتاوى (٤/٣٩٦، ١١/٣٦٤، ١٨/٢٦٦)، والصفدي (١/١٩٨)، وتفسير ابن كثير (٣/١٥٨، ٤/٤٢٢)، والبداية والنهاية (٢/٧٠) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٦/٤٧١، ٧/١٣٥) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، وتحفة الأحوذى (١٠/٢٦٥)، وإمتاع الأسماع للمقريزي (١٠/٢٧٠) [دار الكتب العلمية، ط ١].

❖ الحقيقة:

هو إمرار الله ﷻ على يده المباركة بسطًا على ظهر آدم ﷺ.

❖ الأدلة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة» الحديث (٣).

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون...» الحديث (٤).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٧٦) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٢٥٧) وصححه، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٣٩) [مكتبة المعارف، ط١].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٠٣)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٧٥) وحسنه، وأحمد (١/٣٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، ومالك في الموطأ (كتاب القدر، رقم ٣٣٣٧) =

❖ مستقر الأرواح

يراجع مصطلح (الروح).

❖ المسح

❖ التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الميم والسين والحاء أصل صحيح، وهو إمرار الشيء على الشيء بسطًا، ومسحته بيدي مسحًا» (١).

❖ التعريف شرعًا:

ورد في الحديث الصحيح أن الله تعالى لما خلق آدم ﷺ مسح ظهره، وعلى هذا يعتبر المسح من الصفات الفعلية الخبرية (٢).

❖ الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة؛ لدلالة الحديث النبوي عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

(١) مقاييس اللغة (٢/٥١٠) [دار الكتب العلمية، ط٢٠١٤هـ].

(٢) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٣١٥) [دار الهجرة، الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٩٠) [مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

❁ أقوال أهل العلم:

القبضة وأنه يوم القيامة يحثو ثلاث حثيات من جهنم فيدخلهم الجنة^(٥)، ولما خلق آدم عليه الصلاة والسلام مسح ظهره يمينه فقبض قبضة فقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي أصحاب اليمين، وقبض قبضة أخرى وقال هذه للنار ولا أبالي أصحاب الشمال، ثم ردّهم في صلب آدم^(٦).

وقال أبو الحسن الكرجي: «فلنعتقد أن لله أسماء وصفات قديمة غير مخلوقة جاء بها كتابه وأخبر بها الرسول أصحابه، فيما رواه الثقات وصححه النقاد الأثبات، ودلّ القرآن المبين والحديث الصحيح المتين على ثبوتها... ونحو قوله: «ثلاث حثيات من حثيات الرب»^(٧)، وقوله: «لما خلق الله آدم مسح ظهره بيمينه»^(٨).

قال ابن سريج: «وقد صحّ وتقرر واتضح عند جميع أهل الديانة والسنة والجماعة من السلف الماضين، والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا أن جميع الآي الواردة عن الله تعالى في ذاته وصفاته والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله ﷺ في الله وفي صفاته التي صحّحها أهل النقل، وقبلها النقاد الأثبات، يجب على المرء المسلم المؤمن الموفق، الإيمان بكل واحد منه كما ورد، وتسليم أمره إلى الله ﷻ كما أمر، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وغير ذلك من صفاته المتعلقة به المذكورة في الكتاب المنزل على نبيه ﷺ. وجميع ما لفظ به المصطفى ﷺ من صفاته كغرسه جنة الفردوس بيده^(١)، وخط التوراة بيده^(٢)... وأن كلتا يديه يمين^(٣)، واختيار آدم قبضة اليمنى^(٤)، وحديث

- = وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٦٦)، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٢٥٦) وصححه وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٣٠٧١).
 (١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٩).
 (٢) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).
 (٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٢٧).
 (٤) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣٦٨) وحسنه، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٦٧)،

- والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٤) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٠٩).
 (٥) سيأتي تخريجه قريباً.
 (٦) ذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (١٢٧، ١٢٨) [مكتبة دار البيان، دمشق، ط ٣، ١٤٢١هـ].
 (٧) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٣٧) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٨٦)، وأحمد في المسند (٦٣٩/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وذكره ابن كثير في تفسيره (٥١٣/١) [مؤسسة الريان] من طريقين: وقال في الأول منهما: «وهذا إسناد جيد»، وقال في الآخر: «وهذا أيضاً إسناد حسن»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٦١٤) [مكتبة المعارف، ط ١].
 (٨) نقله عنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٧٥/٤ - ١٨٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

وقال ابن القيم: «ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوعًا متصرفًا فيه مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك والطبي والقبض والبسط وأنه مسح ظهر آدم بيده، ثم قال له ويدها مقبوضتان: اختر. فقال: اخترت يمين ربي، وكلتا يديه يمين مباركة»^(١).

❁ مذهب المخالفين:

يعتبر المسح صفة من الصفات الفعلية الاختيارية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية^(٢).

ولكن جاء ذكرها وبيانها ووصف رب العالمين بها على لسان رسول الله ﷺ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها

(١) مختصر الصواعق المرسله (١٧١/٢) [مكتبة الرياض الحديثة، ط ١٣٤٩هـ].

(٢) انظر من كتب المعتزلة: تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار (١٥٣) [دار النهضة الحديثة، بيروت]، والكشاف للزمخشري (٢/٥٢٩ - ٥٣١) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٨هـ]، ومن كتب الماتريدية: مدارك التنزيل للنسفي (١/٦١٦، ٦١٧) [دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ].

من ذريته إلى يوم القيامة» الحديث^(٣). وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فقال رسول الله ﷺ: «إن الله سبحانك خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون...» الحديث^(٤). والنبي ﷺ أعرف الناس بالله سبحانك وأكثرهم تعظيمًا وتقديسًا وتسبيحًا له سبحانه، فالأخذ بما جاء وثبت عن النبي ﷺ هو الواجب المتعين، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.
- ٢ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.
- ٣ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، لعبد الله بن محمد الغنيمان.
- ٤ - «صفات الله سبحانك الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

٥ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤)، لابن

تيمية .

٦ - «مختصر الصواعق المرسله»

(ج ٢)، لابن القيم .

٧ - «المسائل العقدية المتعلقة

بآدم ﷺ» (ج ١ - ٣)، لألطف

الرحمن بن ثناء الله .

٨ - «معارج القبول» (ج ١ ، ٣)،

لحافظ الحكمي .

٩ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم

عبد الله فالج .

المُسَعَّر

الحكم:

لم يثبت أن المُسَعَّر من أسماء الله ﷻ،

لكن يخبر عن الله ﷻ أنه هو المسعر، فلا

تسوغ تسمية الله ﷻ بالمسعر، أو دعاؤه

به، أو التعبيد به فيقال: عبد المسعر؛

لعدم ثبوت النص في كونه اسمًا لله ﷻ^(٤).

الأدلة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غلا

[٤٣١] (دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢).

(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/

٥٠٣) (دار الصحابة، ط ١، ١٤١٦هـ)، النهاية في

غريب الحديث (٢/٩٢٩) [المكتبة العلمية، بيروت،

١٣٩٩هـ]، وفيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/

٣٣٧) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ]، وسبل

السلام (٢/٢٥) [مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة،

ط ٤، ١٣٧٩هـ].

(٤) انظر: لقاء الباب المفتوح - موقع الشيخ ابن عثيمين

- رقم الشريط (٦٩)، الوجه الثاني: (١١: ٣).

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمته الله: «السين والعين

والراء أصل واحد يدل على اشتعال

الشيء، واتقاده، وارتفاعه؛ من ذلك

السعير: سعير النار، واستعارها:

توقدها»^(١).

المُسَعَّر: اسم فاعل من التسعير،

والسَّعَر: الذي يقوم عليه الثمن؛ لأنه

يعلو ويرتفع، جمعه أسعار، ومنه سَعَّر

يُسَعَّر تسعيراً، فهو مُسَعَّر؛ إذا قَدَّر الثمن

وحدده»^(٢).

(١) مقاييس اللغة (٣/٧٥) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢/٨٧، ٨٨) [الدار

المصرية]، والصحاح (٢/٦٨٤، ٦٨٥) [دار العلم

للملايين، ط ٤]، والقاموس المحيط (٥١٨)

[مؤسسة الرسالة، ط ٥]، والمعجم الوسيط (١/٤٣٠،

السعر على عهد رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله سَعَّرَ لنا. فقال: «إن الله هو القابض الباسط الرازق المسعّر، وإني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه، في دم ولا مال»^(١).

عن سؤال: هل المسعر من أسماء الله؟: «الذي يظهر لي أن هذه صفة من صفات الأفعال؛ يعني: أن الله هو الذي يغلي الأشياء ويرخصها، فليس من الأسماء، هذا الذي يظهر لي والله أعلم، لكن نقول كما قال الرسول»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

وقال الشيخ عبد المحسن العباد: «الذي ذكره أنه من أسماء الله هو القرطبي، وغيره ما ذكره؛ يعني: لم أقف على أحد ذكره غير القرطبي، الذين عدُّوا أسماء الله الحسنَى، مثل ابن حزم^(٤)، ومثل ابن حجر، وكذلك ابن عثيمين، وغيرهم ما ذكروا هذا الاسم، ولكن يخبر عن الله به، ولا يوصف ولا يسمَّى؛ لأنه إذا سمِّي؛ إذا حصل تسمية، فإن الصفة تؤخذ من الأسماء؛ لأن كل اسم تشتق منه صفة، الصفات تشتق من الأسماء، والأسماء لا تشتق من الصفات»^(٥).

وقال الشيخ صالح الفوزان: «لا يطلق على الله أنه المسعر، لكن يلحق - وهو من باب الوصف - أن الله هو المسعّر؛

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فالعلاء بارتفاع الأسعار، والرخص بانخفاضها، هما من جملة الحوادث التي لا خالق لها إلا الله وحده، ولا يكون شيء منها إلا بمشيئته وقدرته، لكن هو سبحانه قد جعل بعض أفعال العباد سبباً في بعض الحوادث، كما جعل قتل القاتل سبباً في موت القاتل، وجعل ارتفاع الأسعار قد يكون بسبب ظلم العباد، وانخفاضها قد يكون بسبب إحسان بعض الناس، ولهذا أضاف من أضاف من القدرية والمعتزلة، وغيرهم الغلاء والرخص إلى بعض الناس، وبنوا على ذلك أصولاً فاسدة»^(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ مجيباً

(١) أخرجه أبو داود (كتاب البيوع، رقم ٣٤٥١)، والترمذي (أبواب البيوع، رقم ١٣١٤) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب التجارات، رقم ٢٢٠٠)، وأحمد (٤٦/٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي (كتاب البيوع، رقم ٢٥٨٧)، وابن حبان (كتاب البيوع، رقم ٤٩٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٨٤٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٥٢٠/٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ].

(٣) لقاء الباب المفتوح - موقع الشيخ ابن عثيمين - رقم الشريط (٦٩) الوجه الثاني: (١١: ٣).

(٤) بل ذكره ابن حزم من جملة الأسماء الحسنَى كما في المحلى (٣١/٨) [إدارة الطباعة المنيرية، ط ١، ١٣٥٢هـ].

(٥) شرح كتاب البيوع من سنن الترمذي باب ما جاء في التسعير - موقع الشيخ عبد المحسن العباد، رقم الشريط (١٥٣)، الدقيقة: (١٨: ٤٧).

المتصرف في...، كما تقول: إن الله هو المتصرف في الكون، ليس المتصرف من أسماء الله، لكن هذا من باب الوصف^(١).

❖ مسلمة الفتح ❖

يراجع مصطلح (الصحابة).

❖ المسيح الدجال ❖

❖ التعريف لغة:

المَسْحُ: إمرار اليد على الشيء، وإزالة الأثر عنه^(٢). ويقال: رجل ممسوح الوجه، ومسيح، وهو أن لا يبقى على أحد شَقِيٍّ وجهه عين ولا حاجب إلا استوى^(٣). قال ابن فارس: «المسيح الذي أحد شَقِيٍّ وجهه ممسوح، لا عين ولا حاجب، ومنه سمي الدجال مسيحًا؛ لأنه ممسوح العين»^(٤).

والدجال أصله من: دجل، والدجل هو التمويه والتغطية والخلط، ودجلة: نهر ببغداد، سُميت بذلك؛ لأنها تغطي الأرض بمائها، وهذا المعنى أيضًا في الدجال؛ لأنه يغطي الأرض بكثرة أتباعه. والدجال: الكذاب؛ لأنه يمؤه ويغطي الحق بالباطل^(٥).

(٢) ينظر: لسان العرب (٥٩٣/٢) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ]، والنهية في غريب الحديث والأثر (٨٦٩) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢١هـ].
(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٧٦٧) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ]، وإكمال المعلم (١/٥٢٠)، والنهية في غريب الحديث والأثر (٨٦٩).

(٤) مقاييس اللغة (٩٤٨) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ].

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (٣٥٧)، وإكمال المعلم =

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «المحلى»، لابن حزم.
- ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی»، للقرطبي.
- ٣ - «عون المعبود شرح سنن أبي داود»، للعظيم آبادي.
- ٤ - «سبل السلام بشرح بلوغ المرام»، للصنعاني.
- ٥ - «فيض القدير شرح الجامع الصغير»، للمناوي.
- ٦ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنی»، للتميمي.
- ٧ - «النهاية في غريب الحديث»، لابن الأثير.
- ٨ - «نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار»، للشوكاني.
- ٩ - «أسماء الله الحسنی في الكتاب والسنة»، للرضواني.
- ١٠ - «فقه الأسماء الحسنی»، لعبد الرزاق البدر.

(١) شرح كتاب البيوع من بلوغ المرام - موقع الشيخ صالح الفوزان - رقم الشريط (٣) الدقيقة (٠١:٣٠).

التعريف شرعاً:

الدجال: رجل من بني آدم له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث؛ لتعريف الناس به وتحذيرهم من شره، حتى إذا خرج عرفه المؤمنون فلا يفتنون به، وخروجه من علامات الساعة الكبرى^(١).

سبب التسمية:

سمي الدجال مسيحاً؛ لأنه يمسح الأرض عند خروجه ويقطع أكثر نواحيها في أربعين يوماً. وقيل: سمي الدجال بالمسيح؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة^(٢). وسمي بالدجال؛ لأنه يموه ويغطي الحق بالباطل، ولأنه يغطي الأرض بكثرة أتباعه، فأصل الدجل كما مر معنا هو التمويه والتغطية^(٣).

الأسماء الأخرى:

يسمى الدجال: مسيح الضلالة، والمسيح الأعور، كما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال في زمن عيسى ﷺ عند نزوله: «حتى يهلك في زمانه مسيح الضلالة الأعور

= (١/٥٢٠)، وشرح سنن أبي داود لليعني (٤/٩١) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٠هـ].

(١) كما سيأتي في الأحاديث الصحيحة الآتي ذكرها.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٧٦٧) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ]، وإكمال المعلم (١/٥٢٠)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٨٦٩).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (٣٥٧)، وإكمال المعلم (١/٥٢٠)، وشرح سنن أبي داود (٤/٩١).

الكذاب»^(٤). ولا يطلق عليه المسيح إلا موصوفاً، فيقال: المسيح الدجال، والمسيح الأعور، وهكذا^(٥).

الحكم:

يجب الإيمان بظهور الدجال في آخر الزمان. وظهوره من العلامات الكبرى للساعة، والإيمان بها يدخل ضمن الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان.

الحقيقة:

الدجال: رجل من بني آدم يمتحن الله به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه. فمن استجاب له يأمر الدجال السماء لتمطرهم، والأرض فتنبت لهم زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم، وترجع إليهم سمناً. ومن لا يستجيب له ويرد عليه أمره، تصيبهم السنة والجذب والقحط والعلة وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وأنه تتبعه كنوز الأرض كيغاسيب النحل، ويقتل ذلك الشاب ثم يحييه، وهذا كله ليس تمويهاً بل حقيقة يمتحن الله به عباده في ذلك الزمان،

(٤) أخرجه أحمد (١٥/٣٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٨هـ]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٨١٢)، وقوى شعيب الأرنؤوط إسناد ابن حبان.

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٧٦٧)، وإكمال المعلم (١/٥٢٠)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٨٦٩).

الكتاب»^(٤)، ونقل السخاوي عن النووي وغيره من العلماء قولهم: «كان السلف يستحبون أن يلقن الصبيان أحاديث الدجال ليحفظوها، وترسخ في قلوبهم ويتوارثها الناس»^(٥).

الأدلة:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة... فإذا رجل أحمر^(٦)، جسيم، جعد الرأس، أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال»^(٧).

وعنه رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهرائي الناس فقال: «إن الله تعالى ليس بأعور، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية»^(٨).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال

(٤) ذكره ابن ماجه في (كتاب الفتن، عند الحديث رقم ٤٠٧٧).

(٥) القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (١٠) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٦) الأحمر: الأبيض المائل إلى الحمرة، والعرب تقول لمن علا لونه البياض: أحمر، وتسمي العجم الحمراء؛ لغلبة البياض على ألوانهم. ينظر: لسان العرب (٤/٢٠٨، ١٣/٤٣١).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٧٠٢٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧١).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٩)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ١٦٩).

يفضل به كثيراً ويهدي به كثيراً، يكفر المرتابون، ويزداد الذين آمنوا إيماناً، يمكث فترة من الزمن حتى يقتله عيسى ﷺ^(١). قال ابن القيم موضحاً حقيقة الدجال: «ومن أعظم ما يعرف به كذب المسيح الدجال أنه يدعي الإلهية، فيبعث الله عبده ورسوله مسيح الهدى ابن مريم فيقتله، ويظهر للخلائق أنه كان كاذباً مفترياً. ولو كان إلهاً لم يقتل، فضلاً عن أن يُصلب ويُسمر ويُبصق في وجهه»^(٢).

الأهمية:

لا شك في أن فتنة الدجال أكبر فتنة وأعظم بلاء يبتلى به العبد، وسينخدع به كثير من البشر إلا من عصم الله تعالى، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال»^(٣). ونقل عن الإمام أبي محمد عبد الرحمن بن محمد المحاربي أحد أتباع التابعين قوله: «ينبغي أن يدفع هذا الحديث - يقصد حديث الدجال - إلى المؤدّب حتى يعلمه الصبيان في

(١) النهاية أو الفتن والملاحم (١/١٢١) [دار الكتب الحديثة، ط ١] بتصرف يسير.

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٣٤٥) [عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٦).

ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طائفة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا»، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم»، قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفيها فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره»، قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبث، فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذُرَى، وأسيغه ضروعاً، وأمدته خواصر، ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس

رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أندر أمته الأعداء الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه: ك ف ر»، وفي لفظ: «الدجال مكتوب بين عينيه: ك ف ر؛ أي: كافر»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدثه نبي قومه؟ إنه أعور، وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار، فالتى يقول إنها الجنة هي النار، وإنني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه»^(٢).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فإما أدركن أحد فليات النهر الذي يراه ناراً، وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد. وإن الدجال ممسوح العين؛ عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه: كافر. يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب»^(٣).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال:

(١) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧١٣١)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٣)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٣٨)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٤).

يأذن الله ﷺ بخروجه»^(٣).

وقال أبو عمرو الداني: «إن الإيمان واجب بما جاء عن رسول الله ﷺ، وثبت بالنقل الصحيح، وتداول حمله المسلمون من ذكر وعيد الآخرة، وذكر الطوام، وأشراط الساعة، وعلاماتها، واقترابها، فمن ذلك: خروج الكذاب الأعور الدجال، وفتنته، وأن له جنة وناراً، فجنته نار، وناره جنة، وأن عيسى ﷺ يقتله فيهلك ومن معه من أهل الكفر والضلال»^(٤).

وقال ابن تيمية: «وأعظم الدجاجة فتنة الدجال الكبير الذي يقتله عيسى ابن مريم، فإنه ما خلق الله من لدن آدم إلى قيام الساعة أعظم من فتنته، وأمر المسلمين أن يستعيذوا من فتنته في صلاتهم»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صفاته:

١ - أعور العين: جاء في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبه طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال»^(٦). وفي حديث له رضي الله عنه:

(٣) الشريعة (١٩٧/٣) مؤسسة قرطبة، ١، ١٤١٦هـ.

(٤) الرسالة الوافية (٢٤٣) [دار الإمام أحمد، ط، ١٤٢١هـ].

(٥) جامع الرسائل (١٩٧/١) [مطبعة المدني، ط، ١٤٠٥هـ].

(٦) تقدم تخريجه.

بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية العَرَض، ثم يدعوهُ فيُقبِل ويتهلل وجهه، يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ربح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد، فيقتله»^(١).

أقوال أهل العلم:

قال الآجري: «استعاذ النبي ﷺ من الدجال»^(٢)، وعلم أمته أن يستعيذوا بالله من فتنة الدجال، فينبغي للمسلمين أن يستعيذوا بالله العظيم منه. وقد حذر أمته - في غير حديث - الدجال، ووصفه لهم، فينبغي للمسلمين أن يحذروه، ويستعيذوا بالله من زمان يخرج فيه الدجال، فإنه زمان صعب، أعاذنا الله وإياكم منه. وقد روي أنه قد خلق، وهو في الدنيا موثق بالحديد إلى الوقت الذي

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣٢)، ومسلم

(كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٨٩).

قال القاضي عياض: «قوله: «أعور العين طافئة»^(١). وفي حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدجال أعور العين اليسرى»، وفي رواية: «وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة»^(٢). والظفرة: هي جلدة أو لحمة تغطي البصر تنبت عند المآقي^(٣). وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن مسيح الدجال رجل قصير، أفحج، جعد، أعور مطموس العين، ليس بناتئة ولا جحراء»^(٤). ومطموس العين؛ أي: ممسوحها من غير بخص^(٥)، والطمس: استئصال أثر الشيء، والجحراء: الذي قد انخسفت فبقي مكانها غائراً كالبحر، يقول: إن عينه سادة لمكانها مطموسة؛ أي: ممسوحة ليست بناتئة ولا منخسفة^(٦).

٢ - كثير الشعر، كما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدجال أعور العين اليسرى، جفال

١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٩)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ١٦٩)، واللفظ له.
 ٢) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٤).
 ٣) انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/٦٣) [دار إحياء التراث، ط٢].
 ٤) أخرجه أبو داود (كتاب الملاحم، رقم ٤٣٢٠)، وأحمد (٤٢٣/٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، ومن طريقه الضياء في المختارة (٨/٢٦٤) [دار خضر، ط٣]، وقال الألباني: إسناده جيد. قصة المسيح الدجال (٦٨) [المكتبة الإسلامية].
 ٥) بخص العين: هو لحم عند الجفن الأسفل يظهر من الناظر عند التحديق إذا أبصر شيئاً فأنكره أو تعجب منه. ينظر: غريب الحديث للخطابي (٣/١٤٦) [جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ].
 ٦) ينظر: معالم السنن (٤/٣٢٠) [دار الكتب العلمية،

ط١، ١٤١١هـ]، والنهية في غريب الحديث (٥٦٨).

(٧) إكمال المعلم (١/٥٢١، ٥٢٢). وينظر: القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٢١).

الشعر، معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار»^(١). وجفال الشعر؛ أي: كثيره^(٢).

٣ - رجل أحمر، جسيم، جعد الرأس، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة؛ فإذا رجل أحمر، جسيم، جعد الرأس... قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال»^(٣).

٤ - ومن صفاته أنه هِجَانٌ أَزْهَرُ، جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما، عنه ﷺ؛ أنه قال في الدجال: «أعور، هِجَانٌ، أَزْهَرُ، كأن رأسه أَصْلَةٌ، أشبه الناس بعبد العزى بن قطن، فإما هَلَكَ الهَلْكَ، فإن ربكم ليس بأعور»^(٤).

٥ - رأس الدجال يشبه رأس الأَصْلَةِ، كما دلَّ عليه الحديث السابق^(٥).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٤).

(٢) ينظر: إكمال المعلم (٤٧٨/٨)، والقناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (٢١).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد (٤٨/٤، ٤٩) مؤسسه الرسالة، ط ٢، ١٤٢٨هـ، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٧٩٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١١٩٣).

والهجان: الأبيض، والعرب تعد البياض من الألوان هِجَانًا. ينظر: لسان العرب (٤٣٣/١٣). والأزهر: هو الأبيض فيه حمرة. ورجل أزهر؛ أي: أبيض مشرق الوجه، والأزهر: الأبيض المستنير. ينظر: لسان العرب (٣٣٢/٤).

(٥) الأَصْلَةُ: جنس من الحيات وهو أخبثها، وهي حية ضخمة قصيرة، شبَّه رأس الدجال بها لعظمه واستدارته. ينظر لسان العرب (١٧/١١).

٦ - ومن صفاته: أنه قصير، أفحج؛ أي: أنه إذا مشى باعد بين رجليه^(٦)، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن مسيح الدجال رجل قصير، أفحج، جعد، أعور، مطموس العين ليس بناتئة ولا جحراء، فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور»^(٧).

٧ - ومن صفاته: أنه أجلى الجبهة عريض النحر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وأما مسيح الضلالة، فإنه أعور العين، أجلى الجبهة، عريض النحر، فيه دفاً»^(٨). والجلأ: ذهب الشعر إلى نصف الرأس، وأجلى الجبهة؛ أي: انحسر الشعر عن جبهته، والدفاً: الانحناء^(٩).

٨ - الدجال عقيم لا يولد له، كما

دلَّ عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

(٦) ينظر: معالم السنن (٤/٣٢٠).

(٧) تقدم تخريجه.

(٨) أخرجه أحمد (٢٨٢/١٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال الهيثمي في المجمع (٣٤٦/٧) [مكتبة القدسي]: [فيه المسعودي، وقد اختلط، وأشار إلى ذلك الألباني أيضًا. انظر: السلسلة الصحيحة (٧/١٧١٤).

وجاء بنحوه من حديث الفلتان بن عاصم رضي الله عنه: أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف (كتاب الفتن، رقم ٣٧٤٥٨)، والبيزار (١٤٣/٩) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، وقال الهيثمي: (رجال ثقاة). مجمع الزوائد (٧/٣٤٨).

(٩) ينظر: النهاية في غريب الحديث (١٦٢، ٣٠٩).

يسأل تميمًا الداري رضي الله عنه وأصحابه: «فقال: أخبروني عن نخل بيسان. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألکم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر. قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زغر^(٤). قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم. هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب، وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه. وإني مخبركم عني؛ إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج»^(٥).

- المسألة الثالثة: مكان خروجه:

يخرج من جهة المشرق، ثم يسير في الأرض فلا يترك بلدًا إلا دخله ما عدا

(٤) زغر قرية بمشارف الشام. ينظر: معجم البلدان للحموي (٣/١٤٣) [دار الفكر].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٢).

في قصته مع ابن صياد، حينما قال له الأخير: أأست سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه لا يولد له؟» قال: بلى^(١).

٩ - مكتوب بين عيني الدجال كلمة (كافر) وهي كتابة حقيقية على ظاهرها، قال النووي: «الصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها كتابة حقيقة جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله، ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته ولا امتناع في ذلك»^(٢).

وقال ابن حجر: «وقوله: «يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب» إخبار بالحقيقة، وذلك أن الإدراك في البصر يخلقه الله للعبد كيف شاء ومتى شاء، فهذا يراه المؤمن بغير بصره، وإن كان لا يعرف الكتابة. ولا يراه الكافر ولو كان يعرف الكتابة، كما يرى المؤمن الأدلة بعين بصيرته ولا يراها الكافر، فيخلق الله للمؤمن الإدراك دون تعلم لأن ذلك الزمان تنخرق فيه العادات»^(٣).

- المسألة الثانية: علامات خروجه:

جاء في حديث الجساسة الذي ترويه فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، وفيه أن الدجال

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٢٧).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٨/٨١).

(٣) فتح الباري (١٣/١٠٧).

- المسألة الرابعة: وقت خروجه:
الذي دلت عليه الأحاديث أن خروجه
بعد خروج المهدي، وقبل نزول
عيسى عليه السلام^(٦).

- المسألة الخامسة: مدة مكث
الدجال في الأرض:

يمكث أربعين يومًا، جاء في حديث
النواس بن سمعان عليه السلام: «قلنا: يا
رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال:
أربعون يومًا: يوم كسنة، ويوم كشهر،
ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم.
قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي
كسنة أتكفيناه فيه صلاة يوم؟ قال: لا.
اقدروا له قدره»^(٧).

- المسألة السادسة: سرعة المسيح
الدجال في الأرض:

جاء في حديث النواس بن
سمعان عليه السلام: «قلنا: يا رسول الله وما
إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث
استدبرته الريح»^(٨).

- المسألة السابعة: أتباعه:

من أتباع المسيح الدجال اليهود، كما
ثبت في حديث أنس بن مالك عليه السلام: أن
رسول الله ﷺ قال: «يتبع الدجال من
يهود أصبهان سبعون ألفًا»^(٩). ومن

مكة والمدينة. فعن أبي بكر الصديق عليه السلام
قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «الدجال
يخرج من أرض بالمشرق يقال لها:
خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم
المجان المطرقة»^(١). وجاء في حديث
الجساسة الذي ترويه فاطمة بنت
قيس رضي الله عنها أن النبي قال: «ألا إنه في بحر
الشام أو بحر اليمن؛ لا بل من قبل
المشرق، ما هو، من قبل المشرق، ما
هو، من قبل المشرق، ما هو». وأومأ
بيده إلى المشرق^(٢). وعن أبي
هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال:
«يأتي المسيح من قبل المشرق همته
المدينة، حتى ينزل دبر أحد، ثم تصرف
الملائكة وجهه قبل الشام وهناك
يهلك»^(٣). وفي حديث النواس بن
سمعان: «إنه خارج خلة بين الشام
والعراق»^(٤). وقد جمع العلماء بين هذه
الأحاديث بأن قالوا: إن مبدأ خروجه من
خراسان، من ناحية أصبهان، ثم يخرج
إلى الحجاز فيما بين العراق والشام»^(٥).

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢٢٣٧) وحسنه،
وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٧٢)، وأحمد (١/
١٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب
الفتن والملاحم، رقم ٨٦٠٨) وصححه، وصححه
الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٩١).

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٨٠).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) ينظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١٣١٠) [دار المنهاج،

ط١].

(٦) كما في حديث النواس بن سمعان عليه السلام.

(٧) تقدم تخريجه.

(٨) هو الحديث السابق نفسه.

(٩) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٤).

ومن أتباعه أيضاً: المشركون، والمنافقون الذين في جزيرة العرب، دلَّ عليه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق»^(٥).

- المسألة الثامنة: امتحانه للناس:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخرج الدجال، فيتوجه قبله رجل من المؤمنين؛ فتلقاه المسالِح»^(٦) مسالِح الدجال فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول أعمد إلى هذا الذي خرج. قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فيأمر الدجال

أتباعه: قبائل من المشرق من الترك والخوز وغيرهم، كما جاء في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة»^(١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم. حمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين، وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر»^(٢). قال ابن حجر: «الترك قيل: إن بلادهم ما بين مشارق خراسان إلى مغارب الصين، وشمال الهند إلى أقصى المعمور. قال البيضاوي: شبَّه وجوههم بالترسة لبسطها وتدويرها، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها»^(٣). ومن أتباعه الأعراب، كما جاء في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن من فتنته أن يقول للأعرابي: رأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أنني ربك؟ فيقول: نعم فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك»^(٤).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٩٠) واللفظ له، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩١٢).

(٣) فتح الباري (٧٠٣/٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٧٧)، وقال ابن كثير في تفسيره (٤٦١/٢) [دار طيبة، ط ٢]:

(هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٨٧٣٥).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧١٢٤)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٣).

(٦) المسالِح جمع مسلح، وهو: موضع السلاح، وكل موضع مخافة يقف فيه الجند بالسلاح للمراقبة والمحافظة، والمسالِح: قوم معهم سلاح يرتبون في المراكز كالخُفراء، سموا بذلك لحملهم السلاح. ينظر: المعجم الوسيط (٤٤٢/١) [دار الدعوة]، وشرح صحيح مسلم للنووي (٧٢/١٨، ٧٣) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢].

فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق. وأما الذي يراه الناس نارًا فماء بارد عذب. فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه نارًا فإنه ماء عذب طيب»^(٤). ومع هذا كله؛ إلا أن المؤمن الصادق لا يعاب بهذه الخوارق التي مع الدجال ولا يجزع منها، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «ما سألت أحداً النبي ﷺ عن الدجال أكثر ما سألته، وإنه قال لي: ما يضرك منه؟ قلت: لأنهم يقولون: إن معه جبل خبز، ونهر ماء. قال: هو أهون على الله من ذلك»^(٥). قال القاضي عياض في معنى الحديث: «هو أهون على الله من أن يجعل ما يخلقه الله تعالى على يده مضلاً للمؤمنين، ومشككاً لقلوب الموقنين؛ بل ليزداد الذين آمنوا إيماناً، وليرتاب الذين في قلوبهم مرض، والكافرون، كما قال له الذي قتله ثم أحياه: ما كنت قط فيك أشد بصيرة مني الآن»^(٦).

- المسألة التاسعة: الدجال لا يدخل

مكة والمدينة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال؛ إلا مكة والمدينة، وليس نقب

- (٤) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٥٠)، ومسلم (كتاب الفتن، رقم ٢٩٣٥).
 (٥) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧١٢٢)، ومسلم (كتاب الآداب، رقم ٢١٥٢).
 (٦) إكمال المعلم (٤٩٢/٨).

به فيُشَبَّحُ^(١)، فيقول: خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً. قال: فيقول: أو ما تؤمن بي؟ قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب. قال: فيؤمر به فيؤثر بالمشار^(٢)، من مفرقه حتى يفرق بين رجليه. قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم فيستوي قائماً. قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة. قال: ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال: فيأخذه الدجال ليذبحه؛ فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً. قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما ألقى في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين^(٣). وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدجال يخرج، وإن معه ماء وناراً.

(١) الشيخ: أن يمد كالمصلوب، ينظر: الفائق في غريب الحديث (٢١٩/٢).

(٢) يؤثر بالمشار» هكذا في صحيح مسلم، ومعناها: ينشر بالمشار، قال النووي: «هكذا الرواية: (يؤثر) بالهمز، والمشار بهمزة بعد الميم، وهو الأصح، ويجوز تخفيف الهمزة فيهما، فيجعل في الأول واوًا، وفي الثاني ياء. ويجوز (المنشار) بالنون، وعلى هذا يقال: نشرت الخشبة، وعلى الأول يقال: أشرتها». ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٧٤/١٨).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشرط الساعة، رقم ٢٩٣٨).

من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها، فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق»^(١).

- المسألة العاشرة: مقتل الدجال:

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: «ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة» الحديث، وفيه قصة نزول عيسى عليه السلام وقته للدجال: «فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات. ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله»^(٢). وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخرج الدجال في خفقة»^(٣) من الدين، وإدبار من العلم» الحديث، وفيه: «ثم ينزل عيسى ابن مريم فينادي من السحر، فيقول: يا أيها الناس! ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل جني! فينطلقون، فإذا هم بعيسى ابن مريم، فتقام الصلاة، فيقال له: تقدم يا روح الله. فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم. فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه، قال: فحين يراه الكذاب ينمات»^(٤).

كما ينمات الملح في الماء، فيمشي إليه، فيقتله؛ حتى إن الشجرة والحجر ينادي: يا روح الله! هذا يهودي. فلا يترك ممن كان يتبعه أحدًا إلا قتله»^(٥).

- المسألة الحادية عشرة: لماذا لم

يذكر الدجال في القرآن؟

قال ابن كثير رحمته الله: «لم يذكر بصريح اسمه في القرآن احتقارًا له، حيث يدعي الإلهية وهو بشر، ينافي حاله جلال الرب وعظمته وكبريائه وتنزيهه عن النقص، فكان أمره عند الرب أحقر من أن يُذكر، وأصغر وأدخر من أن يُجلى عن أمر دعواه ويحذر؛ ولكن انتصر الرسل لجناب الرب عليه السلام، فجلّوا لأمرهم عن أمره، وحذروهم ما معه من الفتن المضلة والخوارق المنقضية المضلة، فاكتفى بإخبار الأنبياء، وتواتر ذلك عن سيد ولد آدم إمام الأتقياء، عن أن يذكر أمره الحقير بالنسبة إلى جلال الله في القرآن العظيم، ووكل بيان أمره إلى كل نبي كريم. فإن قلت: فقد ذكر فرعون في القرآن، وقد ادعى ما ادّعاه من الكذب والبهتان، والجواب: أن أمر

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) الخفقة: النعسة، شبه الدين في ذلك الزمن بالنائم. ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي (١/٢٩١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٥م].

(٤) ينمات: يذوب، ينظر: الفائق في الغريب (٣/٣٩٧) [دار المعرفة].

(٥) أخرجه أحمد (٢٣/٢١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٤٤) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ]: «رواه أحمد بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح»، وكذا ذكر الألباني، لكنه قال: «إلا أن أبا الزبير مدلس، وقد عنعنه». قصة المسيح الدجال (٧٣) [المكتبة الإسلامية].

في الصلاة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تشهد أحدكم، فليستعد بالله من أربع، يقول: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»^(٤).

٣ - الفرار من الدجال، ويفضّل سكنى مكة والمدينة؛ لأنه لا يدخل الحرمين.

الآثار:

للإيمان بوجود الدجال آثار عدة، منها: التمسك بالإسلام، ومعرفة صفات الله ﷻ وأسمائه الحسنى، فيعلم الإنسان أن الدجال بشر يأكل ويشرب والله ﷻ منزّه عن ذلك، وأن الدجال أعور، والله ليس بأعور، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت، والدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم.

الحكمة:

من الحكمة في ظهور الدجال: امتحان من الله ﷻ لعباده، وابتلاء لهم؛ ليحق الله الحق، ويبطل الباطل، ثم يفضحه تعالى، ويظهر للناس عجزه وضعفه، قال القاضي: «هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة

فرعون قد انقضى، وتبين كذبه لكل مؤمن وعاقل. وهذا أمر سيأتي وكائن فيما يستقبل فتنة واختبارًا للعباد، فترك ذكره في القرآن احتقارًا له وامتحانًا به، إذ الأمر في كذبه أظهر من أن ينبه عليه ويحذر منه، وقد يترك ذكر الشيء لوضوحه فالدجال ظاهر النقص، واضح الذم، بالنسبة إلى المقام الذي يدعيه، ويرومه من الربوبية، فترك الله ذكره والنص عليه؛ لما يعلم تعالى من عباده المؤمنين أن مثل هذا لا يهيضهم ولا يزيدهم إلا إيمانًا وتسليمًا لله ورسوله، وتصديقًا للحق وردًا للباطل»^(١).

- المسألة الثانية عشرة: ما يعصم من فتنة الدجال:

١ - حفظ آيات من سورة الكهف، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها، فعن النواس بن سميان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف»^(٢). وعن أبي الدرداء رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال»، وفي رواية: «من آخر الكهف»^(٣).

٢ - التعوذ من فتنة الدجال، وخاصة

(١) النهاية أو الفتن والملاحم (١/١٢٣، ١٢٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم

٨٠٩)، باللفظين كليهما.

(٤) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٨٨).

وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى، من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره ونهره، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيتته، ثم يُعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره ويقتله عيسى عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، هذا مذهب أهل السنَّة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار^(١).

وذهب بعض المعاصرين^(٣) إلى أن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح، التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها، والأخذ بأسرارها وحكمها، وأن الدجال رمز للشر، واستعلائه وصوله جبروته، وتطايير أذاه وفتنته، إلى أن تنطفئ جذوته وتموت جمرته بسلطان الحق. كما زعم بعضهم أن المراد بقتل عيسى عليه السلام للدجال هو محق الباطل بصولة الحق^(٤). وهذا زعم باطل، فالأحاديث الصحيحة صريحة في أن الدجال رجل بعينه، وليس هناك ما يدل على أنه رمز للخرافات والدجل الباطل، وقد صحَّت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله بخروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام وقتله للدجال^(٥). كما أن محق الله الباطل بصولة الحق سنَّة كونية وقعت ولا تزال تقع. أما الدجال فيظهر في آخر

❖ مذهب المخالفين:

(٢) إكمال المعلم (٨/٤٧٥).

(٣) أمثال محمد عبده، ينظر: تفسير المنار (٣/٣١٧)، وأبو رية في كتابه: أضواء على السنَّة المحمدية (٢١٣)، وأبو عبيدة في تعليقاته على كتاب الفتن والملاحم لابن كثير (١/١١٨، ١١٩).

(٤) ينظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/٨٥) [دار الصميعي، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(٥) ينظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/٨٥)، وأشراط الساعة للوابل (٣١٦) [ابن الجوزي، ط ٢٧، ١٤٣٠هـ].

أنكر وجود الدجال الخوارج، والجهمية، وبعض المعتزلة وزعموا «أن أمره لو كان صحيحًا كان قدحًا في النبوة. وقد وهم جميعهم؛ فإنه لم يأت بدعوى النبوة فيكون ما جاء به كالتصديق له، ولأنه لو صح منه لم يفرق بين النبي والمنتبئ فيطعن ذلك على النبوة، وإنما جاء بدعوى الإلهية، وهو في نفس دعواه لها مكذب لدعواه بصورة حاله ونقص خلقه، وظهور سمات الحدث به وشهادة كذبه وكفره المكتتبه بين عينيه، وعجزه عن تحسين

(١) شرح صحيح مسلم (١٨/٧٩).

❖ المشيئة ❖

❖ التعريف لغةً:

المشيئة: مصدر من شاء، يقال: شاء يشاء مشيئة، جاء في لسان العرب: «المشيئة: الإرادة، شئت الشيء أشأؤه شيئاً ومشيتة ومشاة ومشاية»^(١)، وقال الفارابي: «شاء مَشِيئَةً، وهي أخص من الإرادة»^(٢).

❖ التعريف شرعاً:

إن الله ﷻ موصوف بالمشيئة، وهي صفة من صفات الله الذاتية من حيث النوع، وصفة من صفات الله الفعلية من حيث الأفراد، وهي ثابتة لله ﷻ بنصوص الكتاب والسنة، كما يليق بجلاله وعظمته^(٣).

❖ الأسماء الأخرى:

الإرادة.

❖ الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة

(١) لسان العرب (١/١٠٣) [دار صادر]. وانظر: تهذيب اللغة (١١/٣٠٦) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م]، والصحاح (١/٥٨) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٢) ديوان الأدب (٤/٢١٨) [مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٥٧) [دار الهجرة، ط ٣، ١٤٢٦هـ]، وكتاب صفات الله ﷻ لصالح المسند (١٢٩، ١٣٠) [دار المدني، جدة، ط ٢، ١٤١٢هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٩٢) [مكتبة العيكان، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

الزمان عند قرب قيام الساعة فتنة للناس وامتحاناً لهم، والله أعلم.

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»، لصديق خان.
- ٢ - «الأسئلة الفائقة بالأجوبة اللائقة»، لابن حجر.
- ٣ - «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.
- ٤ - «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج ٨)، للقاضي عياض.
- ٥ - «البحر الزاخر» (ج ١)، للسفاريني.
- ٦ - «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج ٣)، للقرطبي.
- ٧ - «التصريح بما تواتر في نزول المسيح»، لمحمد أنور الكشميري.
- ٨ - «شرح سنن أبي داود» (ج ٤)، للعيني.
- ٩ - «شرح صحيح مسلم» (ج ١٨)، للنووي.
- ١٠ - «القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة»، للسخاوي.
- ١١ - «معالم السنن» (ج ٤)، للخطابي.
- ١٢ - «النهاية أو الفتن والملاحم» (ج ١)، لابن كثير.

والمتكبرون. وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين. فقال الله ﷻ لهذه: أنت عذابي أعذب بك من أشياء، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء، ولكل واحدة منكما ملؤها»^(٣).

وعن قتيلة - امرأة من جهينة - أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون، وإنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة». ويقولون: «ما شاء الله، ثم شئت»^(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن رجلاً أتى النبي ﷺ فكلمه في بعض الأمر، فقال: ما شاء الله وشئت. فقال النبي ﷺ: «أجعلتني لله عدلاً! قل: ما شاء الله وحده»^(٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٨٥٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٦)، واللفظ له.
(٤) أخرجه النسائي (كتاب الأيمان والندور، رقم ٣٧٧٣)، وأحمد (٤٣/٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الأيمان والندور، رقم ٧٨١٥) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٦).

(٥) أخرجه ابن ماجه (كتاب الكفارات، رقم ٢١١٧)، وأحمد (٣٣٩/٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٤) [دار البشائر الإسلامية، ط ٣]، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٥٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢] واللفظ له، وحسنه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١٠٥٦) [دار ابن حزم، ط ١]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٩).

القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل^(١).

❁ الحقيقة:

إن مشيئة الله تعالى نافذة، فما شاءه الله تعالى كان، وما لم يشأه لم يكن، ومشيئته سبحانه شاملة لكل ما يجري في الكون، فلا يخرج شيء عن مشيئته تعالى، ولا يحدث في الكون شيء من غير مشيئته سبحانه^(٢).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجَّت النار والجنة، فقالت هذه: يدخلني الجبارون

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: شفاء العليل (٨٠) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١٣هـ].

أقوال أهل العلم:

وقال ابن تيمية: «وكذلك وصف نفسه بالمشيئة، ووصف عبده بالمشيئة، وكذلك وصف نفسه بالإرادة، ووصف عبده بالإرادة، ومعلوم أنّ مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد، ولا إرادته مثل إرادته»^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المشيئة من مراتب

القدر:

الإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان، والقدر له مراتب ودرجات، والمشيئة، هي المرتبة الثالثة من مراتب القدر، قال ابن القيم: «المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة المشيئة، وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان. وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»^(٥).

قال أبو الحسن الأشعري: «جملة ما عليه أهل الحديث والسنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله لا يردون من ذلك شيئاً، وأن الله سبحانه إله واحد فرد صمد، وقالوا: إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله، وإن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال ﷺ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان، وما لا يشاء لا يكون»^(١).

وقال أيضاً: «وأجمعوا على إثبات حياة الله ﷻ، لم يزل بها حيّاً وإرادة لم يزل بها مريداً»^(٢).

وقال أبو بكر الإسماعيلي: «ويقولون ما يقوله المسلمون بأسرهم: ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، ويقولون: لا سبيل لأحد أن يخرج عن علم الله ولا أن يغلب فعله وإرادته مشيئة الله، ولا أن يبدل علم الله، فإنه العالم لا يجهل ولا يسهو، والقادر لا يغلب عليه»^(٣).

(١) مقالات الإسلاميين (٢٩١) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣].

(٢) رسالة إلى أهل الثغر (٢٢٣) [الجامعة الإسلامية، ط ٢، ١٤٢٧هـ].

(٣) اعتقاد أئمة أهل الحديث (٥١) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (١٣/٣).

(٥) شفاء العليل (٨٠) [دار الكتب العلمية، ط ٢].

فنحن معشر المسلمين نؤمن بأن الله

فسبحان الله العظيم الرب الكريم، الذي ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

❁ الفروق:

الفرق بين المشيئة والإرادة:

المشيئة: لم ترد في كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ إلا كونية، فتكون المشيئة من هذا الوجه أخص من الإرادة، وقال إسحاق بن إبراهيم الفارابي: «شَاءَ مَشِيئَةً، وهي أخص من الإرادة»^(١)، وتكون الإرادة أعم من المشيئة؛ لأنها وردت في كتاب الله تعالى وفي سُنَّة رسوله ﷺ على قسمين:

القسم الأول: الإرادة القدرية الكونية التي هي مرادفة للمشيئة، ولا تتعلق بها محبة الله ورضاه.

القسم الثاني: الإرادة الدينية الشرعية، وهذه الإرادة الشرعية مختصة بما يحبه الله ويرضاه من أمور الشرع^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

المشيئة: صفة من صفات الله الذاتية من حيث النوع وصفة من صفات الله الفعلية من حيث الآحاد، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكَلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات

الأفعال الاختيارية^(٣).

والحق الذي لا ريب فيه أنها صفة ثابتة لله تعالى، فما شاء كان وما شاء لم يكن، وهذا الذي دلت عليه أدلة الكتاب والسُنَّة، وهو الذي يقتضيه العقل السليم والفطرة المستقيمة، فلا عبرة ولا التفات إلى ما خالف ذلك.

هذا وقد زعمت المعتزلة القدرية أن هذا الشرك والكفر والمعاصي إنما هي تحصل باختيار العباد وإرادتهم وحدهم من غير مشيئة الله تعالى وإرادته، ولا شك أنه قول باطل وزعم فاسد مخالف لأدلة الكتاب والسُنَّة؛ بل هو مخالف لأدلة العقل السليم والفطرة المستقيمة^(٤)، فزعمت المعتزلة القدرية أن المعاصي تحصل من غير إرادة الله ومشيئته.

والذي أوقعهم في هذا المأزق الخطير أنهم لم يفرقوا بين الأمر الكوني والأمر الشرعي، ولا بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، وقد نبه على ذلك العلامة ابن القيم فقال: «وهنا أمر يجب التنبيه عليه والتنبه له، وبمعرفة تزلزل إشكالات كثيرة تعرض لمن لم يحط به علمًا، وهو أن الله سبحانه له

(٣) انظر من كتب المعتزلة: الكشاف للزمخشري (٤/٦٧٦) و(٤/٧١٣، ٧١٤) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ].

(٤) انظر: شرح أصول الاعتقاد (٤/٨١٦، ٨١٧) [دار طيبة، الرياض، ط٨، ١٤٢٣هـ].

(١) ديوان الأدب (٤/٢١٨).

(٢) انظر: شفاء العليل (٨٨، ٨٩).

وقدره، فإن المحبة غير المشيئة، والأمر غير الخلق والامر كوني قدري، وأمر ديني شرعي. فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكرهه، كله داخل تحت مشيئته، كما خلق إبليس وهو يبغضه، وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها، فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله، وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على السنة رسله، فما وُجِدَ منه تعلق به المحبة والمشیئة جميعاً، فهو محبوب للرب واقع بمشيئته؛ كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وما لم يوجد منه تعلق به محبته وأمره الديني، ولم تعلق به مشيئته، وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلق به مشيئته، ولم تعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني، وما لم يوجد منها لم تعلق به مشيئته ولا محبته، فلفظ المشيئة كوني، ولفظ المحبة ديني شرعي، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية، فتكون هي المشيئة، وإرادة دينية فتكون هي المحبة. إذا عرفت هذا فقولته تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقوله: ﴿لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقوله: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] لا يناقض نصوص القدر والمشیئة العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه

وقدره، فإن المحبة غير المشيئة، والأمر غير الخلق والامر كوني قدري، وأمر ديني شرعي. فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكرهه، كله داخل تحت مشيئته، كما خلق إبليس وهو يبغضه، وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها، فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله، وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على السنة رسله، فما وُجِدَ منه تعلق به المحبة والمشیئة جميعاً، فهو محبوب للرب واقع بمشيئته؛ كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وما لم يوجد منه تعلق به محبته وأمره الديني، ولم تعلق به مشيئته، وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلق به مشيئته، ولم تعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني، وما لم يوجد منها لم تعلق به مشيئته ولا محبته، فلفظ المشيئة كوني، ولفظ المحبة ديني شرعي، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية، فتكون هي المشيئة، وإرادة دينية فتكون هي المحبة. إذا عرفت هذا فقولته تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقوله: ﴿لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقوله: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] لا يناقض نصوص القدر والمشیئة العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه

المصادر والمراجع:

- ١ - «اعتقاد أئمة أهل الحديث»، لأبي بكر الإسماعيلي.
- ٢ - «رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب»، للأشعري.
- ٣ - «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (ج ٤)، لأبي القاسم اللالكائي.
- ٤ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.
- ٥ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٧ - «القضاء والقدر»، لعمر سليمان الأشقر.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣)، لابن تيمية.
- ٩ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.
- ١٠ - «مقالات الإسلاميين»، للأشعري.

إعانته وتوفيقه^(٥).

❖ مشيئة العبد ❖

❖ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [١٩] وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا [٣٠] [الإنسان]. وقوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [٢٨] وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [١٩] [التكوير].

وعن حذيفة رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»^(٦).

فهذه النصوص ظاهرة الدلالة في إثبات مشيئة العبد وإرادته، وأنه تابع في مشيئته لمشيئة الله صلى الله عليه وسلم.

❖ أقوال أهل العلم:

قال الإمام الشافعي رحمته الله: «قال الله صلى الله عليه وسلم»

(٥) انظر: شفاء العليل (٩٦).

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٩٨٠)، وابن ماجه (كتاب الكفارات، رقم ٢١١٨)، وأحمد (٣٨/٢٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٣٧/٢) [دار العربية، ط ٢]: (رجالہ ثقافت علی شرط البخاری، لکنہ منقطع)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٧).

❖ التعريف لغة

المشيئة: مصدر من شاء، يقال: شاء يشاء مشيئة، جاء في لسان العرب: «المشيئة: الإرادة، شئت الشيء أشاؤه شيئاً ومشيئة ومشاءة ومشاية»^(١). وقال الفارابي: «شاءً مشيئةً، وهي أخص من الإرادة»^(٢).

❖ التعريف شرعاً:

مشيئة العبد: هي إرادته التي بها يفعل أفعاله الاختيارية^(٣).

❖ الحكم:

يجب الإقرار بأن العبد له مشيئة وإرادة، وبناءً عليها كان التكليف، وهذه الإرادة والمشيئة تابعة لمشيئة الله صلى الله عليه وسلم^(٤).

❖ الحقيقة:

للعبد مشيئة وهي إرادته واختياره في الفعل، لكن مشيئته موقوفة على مشيئة الرب تعالى، ولا يقع الفعل منه حتى يشاء الله صلى الله عليه وسلم، ومع هذا فلا بد من إرادة الفعل منه، حتى يريد من نفسه

(١) لسان العرب (١٠٣/١) [دار صادر]. وانظر: تهذيب اللغة (٣٠٦/١١) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م]، والصحاح (٥٨/١) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٢) ديوان الأدب (٢١٨/٤) [دار الشعب، القاهرة، ط ١].

(٣) مفردات القرآن للراغب (٢٧١).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٨١/١٦).

في كتابه العزيز: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فأعلم الله ﷻ خلقه أن المشيئة له دون خلقه وأن لا مشيئة لهم إلا أن يشاء الله ﷻ^(١).

وقال الشافعي أيضًا:

«فما شئتَ كان وإن لم أشأ
وما شئتَ إن لم تشأ لم يكن
خلقتَ العباد على ما علمت
وفي العلم يجري الفتى والمُسن»

قال ابن عبد البر ﷻ بعد أن ذكر هذه وأبيات بعدها: «كل ما في هذه الأبيات معتقد أهل السنة ومذهبهم في القدر لا يختلفون فيه»^(٢).

وقال السمعاني ﷻ: «رد مشيئتهم إلى مشيئته، والمعنى: لا يريدون إلا بإرادة الله، وهو موافق لعقائد أهل السنة، أنه لا يفعل أحد شيئًا ولا يختاره ولا يشاؤه إلا بمشيئة الله»^(٣).

وقال ابن تيمية ﷻ: «فمن قال: إن العبد لا مشيئة له ولا اختيار، أو قال: إنه لا قدرة له، أو: أنه لم يفعل ذلك الفعل، أو: لا أثر لقدرته فيه، ولم يحدث تصرفاته؛ فقد أنكر موجب الضرورة»^(٤).

(١) الاستذكار لابن عبد البر (٨/٢٥٩) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ].

(٢) الاستذكار لابن عبد البر (٨/٢٦٥).

(٣) تفسير السمعاني (٦/١٢٤) [دار الوطن، ط١].

(٤) المصدر السابق (٣/٢٣٧ - ٢٣٨). وانظر: درء

وقال السعدي ﷻ عن مشيئة الله ﷻ: «إن مشيئته نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير، ففيها ردُّ على القدرية، الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله، والجبرية الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة، ولا فعل حقيقة، وإنما هو مجبور على أفعاله، فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة وفعالًا، وجعل ذلك تابعًا لمشيئته»^(٥).

❁ مذهب المخالفين:

خالف في مشيئة العبد فرقان؛ بناء على قولهم في خلق أفعال العباد:

الفرقة الأولى: الجبرية، حيث نفوا مشيئة العبد بناء على نفي فعل العبد وإضافته إلى الرب تعالى^(٦)، ومنهم الجهم بن صفوان حكى عنه الأشعري أنه يقول: إنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز كما يقال: تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس، وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله ﷻ، إلا أنه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل واختيارًا له منفردًا له بذلك كما خلق له طولًا كان به طويلًا

تعارض العقل والنقل (١/٣٢٦ - ٣٢٩).

(٥) تفسير السعدي (٨٩٨) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٦) الملل والنحل للشهرستاني (١/٨٥) [مؤسسة

الحلي].

ولونًا كان به متلونًا^(١).

الفرقة الثانية: المعتزلة القدرية، وهؤلاء أثبتوا مشيئة العبد وغلوا في ذلك، فنفوا أن تكون مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله ﷻ، وأنكروا ذلك مدّعين أن ذلك جبر يتنافى مع التكليف^(٢).

وفي بيان بطلان هذه المذاهب يقول العلامة ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وأرباب هذه المذاهب مع كل طائفة منهم خطأ وصواب، وبعضهم أقرب إلى الخطأ، وأدلة كل منهم وحججه إنما تنهض على بطلان خطأ الطائفة الأخرى، لا على إبطال ما أصابوا فيه، فكل دليل صحيح للجبرية إنما يدل على إثبات قدرة الرب تعالى ومشيئته، وأنه لا خالق غيره، وأنه على كل شيء قدير، لا يستثنى من هذا العموم فردًا واحد من أفراد الممكنات، وهذا حق ولكن ليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون العبد قادرًا مريدًا فاعلاً بمشيئته وقدرته، وأنه هو الفاعل حقيقة، وأفعاله قائمة به، وأنها قائمة به لا بالله، وكل دليل صحيح يقيمه القدرية، فإنما يدل على أفعال العباد فعل لهم قائم بهم، واقع بقدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم،

وأنتهم مختارون غير مضطرين ولا مجبورين، وليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون الله سبحانه قادرًا على أفعالهم، وهو الذي جعلهم فاعلين^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «منهاج السنة النبوية».
- ٢ - «أقوم ما قيل في القضاء والقدر»، لابن تيمية.
- ٣ - «التكليف في ضوء القضاء والقدر»، لأحمد علي عبد العال.
- ٤ - «خلق أفعال العباد»، للبخاري.
- ٥ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٦ - «قدرة الله وقدرة العبد بين السلف ومخالفهم»، لأحمد بن صالح الزهراني.
- ٧ - «القضاء والقدر»، لأبي الوفا درويش.
- ٨ - «القضاء والقدر في الإسلام»، لفاروق أحمد الدسوقي.
- ٩ - «القضاء والقدر»، لعبد الرحمن المحمود.
- ١٠ - «القضاء والقدر»، لعمر سليمان الأشقر.

مشيئة الله

التعريف لغة

المَشِيئَةُ: الإرادة، وهي مصدر شاء

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (٢١٩/١) [المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٢) الانتصار في الرد على القدرية الأشرار ليحيى العمراني (٢٩٤/١) [أضواء السلف، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ]، وشرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (٨٨).

(٣) شفاء العليل (٩٤).

بعلم الله ﷻ ومشيئته، ولا تكون طاعة ولا معصية ولا يقع خير ولا شر إلا بعلم الله ﷻ ومشيئته؛ إذ هو المتصرف في الكل والمدبر له (٣).

❁ الحقيقة:

إن مشيئة الله تعالى نافذة؛ فما شاءه الله تعالى كان، وما لم يشأه لم يكن، ومشيئته سبحانه شاملة لكل ما يجري في الكون، فلا يخرج شيء عن مشيئته تعالى، ولا يحدث في الكون شيء من غير مشيئته سبحانه (٤).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ [٥٥] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْغَفْرِ﴾ [٥٦] [المدثر].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٢٥] [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [٣٦] ﴿يُدْخِلْ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [٣٦] [الإنسان].

يَشَاءُ مَشِيئَةً، وقالوا: كلُّ شيءٍ بِشِيئَةِ الله - بكسر الشين مثل شِيعَةٍ -؛ أي: بِمَشِيئَتِهِ، وقد شِئْتُ الشيءَ؛ أردته مَشِيئَةً وَمَشَاءَةً ومَشَائِيَةً، وقيل: المشيئة هي الإرادة المتعلقة بأحد الطَّرفَيْنِ، وقيل: هي صفة مخصصة لأحد طرفي المُقَدِّرِ بالوقوع (١).

❁ التعريف شرعاً:

مشيئة الله: هي إرادته الكونية القدرية التي هي موجبة لوقوع المراد ولا يمكن تخلفه عنها، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (٢).

❁ الأسماء الأخرى:

الإرادة الكونية القدرية.

❁ الحكم:

يجب الإيمان بمشيئة الله تعالى وأنها الموجبة لكل شيء؛ وإثبات عموم مشيئة الله ﷻ هي المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر الذي لا يصح الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بها. وذلك بالإيمان بأن الكون كله صغيره وكبيره ودقيقه وجليله خاضع لتلك المشيئة، فلا تسقط ورقة من شجرة إلا بعلم الله ﷻ ومشيئته، ولا تكون حركة ولا سكون إلا

(١) انظر: لسان العرب (١/١٠٣)، تاج العروس للزبيدي (١/٢٩٣)، والفروق اللغوية للعسكري.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/١٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، ١٤٢٥هـ]، وشفاء العليل (٩٠) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤١٣هـ].

(٣) انظر: منهاج السنَّة (٥/٣١١)، وشفاء العليل (٨٠).

(٤) انظر: شفاء العليل (٨٠).

وقال أحمد بن حنبل: «الاستطاعة لله والقوة. ما شاء الله كان من ذلك، وما لم يشأ لم يكن، ليس كما يقول هؤلاء؛ يعني: المعتزلة: الاستطاعة إليهم»^(٥).

وقال ابن بطة: «فإن أهل الإثبات من أهل السُنَّة يجمعون على الإقرار بالتوحيد وبالرسالة: بأن الإيمان قول وعمل ونية، وبأن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومجمعون على أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون»^(٦).

وقال ابن تيمية: «وأما الدرجة الثانية؛ فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة؛ وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد»^(٧).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الاحتجاج

بمشيئة الله:

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا

وعن أبي قتادة رضي الله عنه حين ناموا عن الصلاة، قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَبْضُ أَرْوَاحِكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ» فقبضوا حوائجهم، وتوضؤوا إلى أن طلعت الشمس وابتضت، فقام فصلى^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ، فَأُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَخْتَبِي دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه السائل قال: «اشفعوا فلتؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء»^(٣).

أقوال أهل العلم:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كل ما هو آت قريب إلا أن البعيد ما ليس بآت لا يعجل الله لعجلة أحد ولا يخف لأمر الناس، ما شاء الله لا ما شاء الناس، يريد الله أمراً ويريد الناس أمراً، ما شاء الله كان ولو كره الناس، لا مقرب لما باعد الله، ولا مبعد لما قرب الله، ولا يكون شيء إلا بإذن الله»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٧١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٧٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٧٦)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٢٧).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (جامع معمر، رقم ٢٠١٩٨)، ومن طريقه ابن بطة في الإبانة (٨٦/٤) [دار الراجعية، ط ١].

(٥) السُنَّة للخلال (٣/٥٥٩) [دار الراجعية، الرياض].

(٦) الإبانة لابن بطة (٢/٥٥٧).

(٧) الواسطية (٣/١٤٩) [ضمن مجموع الفتاوى].

أصلاً، بدليل أنه لو كان محرماً عليهم لصرفهم عنه؛ فإنه يفعل ما يشاء ويتحكم بعباده وفق ما يريد. وإما أنهم أرادوا معارضة الشرع بالقدر، فهم بين أنهم استدلووا بالمشيئة على رضا الله ﷻ عن فعلهم، أو استدلووا بالمشيئة على صحة فعلهم، أو عارضوا الشرع بالقدر.

قال شارح الطحاوية مبيناً وجه إنكار الله ﷻ لقولهم: «إنه أنكر عليهم ذلك؛ لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبته، وقالوا: لو كره ذلك وسخطه لما شاءه، فجعلوا مشيئته دليل رضاه، فردَّ الله عليهم ذلك، أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره به، أو أنه أنكر عليهم معارضة شرعه وأمره الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه بقضائه وقدره، فجعلوا المشيئة العامة دافعة للأمر، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره، دافعين بها لشرعه؛ كفعل الزنادقة، والجهال إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر»^(١).

الفروق:

الفرق بين المشيئة والإرادة:

تأتي المشيئة بمعنى الإرادة، لكن استخدام الشارع حدد فرقاً واضحاً بينهما؛ فالمشيئة لم تأت كما يقول

الظنَّ وَإِنْ أَنْتَ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٤٧﴾ [يس]، فهذه الآيات فيها احتجاج المشركين بالمشيئة، ولم يكذبهم الله ﷻ في كون شركهم واقع بمشيئته؛ بل النصوص الكثيرة تدل على أن كل ما وقع في هذا الكون إنما وقع بمشيئة الله ﷻ، وعليه فما الجواب عن معنى هذه الآيات التي جعلت قول المشركين ما قالوه سبباً في عذابهم كما في آية الأنعام، وعقب الله ﷻ بعدها بقوله: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ مؤكداً أن الهداية بيده ﷻ.

الجواب عن ذلك: أن مقولة المشركين هي من باب (كلمة حق أريد بها باطل)؛ فهم ما قالوا ما قالوه على وجه الإقرار لله ﷻ بعموم المشيئة والتدبير، وإنما قالوه ردّاً للحق ودعوة الرسل ﷺ، ومرادهم بقولهم هذا: إما أنهم يقولون: إن مشيئته دليل على رضاه عن فعلنا وقبوله لشركنا، بدليل أنه لو كرهه لهدانا لغيره، فاستدلووا بالقدر على رضا الله ﷻ عن فعلهم. وإما أنهم أرادوا أن فعلهم حلال وليس محرماً

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/١٠٥).

للمشيئة وخلق الأعمال، وإنكارهم للقدر مبني على قولهم بالعدل الذي هو عندهم: استيفاء الحق من الغير، وأن من القبيح عقلاً أن يأمر الله ﷻ بالشرع ثم يقدر على العبد خلافه^(٣).

❁ الرد عليهم:

إن النصوص التي سبق ذكرها في الأدلة على المشيئة، وكذلك الأدلة التي سبق ذكرها في مصطلح القدر ترد على منكري القدر، وهي أدلة صريحة واضحة، وكذلك خالفوا الإجماع في ذلك، وهذا كله دليل على بطلان مذهبهم؛ بل بطلانه وفساده معلوم بضرورة الشرع والعقل والفطرة.

قال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وهذه المرتبة - يعني: المشيئة - قد دلَّ عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان، وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان، وما

الجرجاني: «إلا لإيجاد المعدوم أو إعدام الموجود»^(١)، وهي التي يسميها أهل العلم: الإرادة الكونية القدرية؛ أي: التي يكون الباري عندها الأشياء أو يمنع وجودها.

أما الإرادة فتأتي على معنيين: الإرادة الكونية القدرية، والإرادة الدينية الشرعية،

فالمشيئة أعم من جهة وقوعها، فتشمل ما يحب الله ﷻ وما لا يحب. أما الإرادة فهي أعم من جهة معناها، فهي تشمل المشيئة وتشمل الإرادة الدينية.

قال الجرجاني: «فالمشيئة أعم من وجه من الإرادة ومن تتبع مواضع استعمالات المشيئة والإرادة في القرآن يعلم ذلك، وإن كان بحسب اللغة يستعمل كل منهما مقام الآخر»^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

خالف في إثبات المشيئة: المعتزلة نفاة القدر؛ فإنهم أنكروا صفات الله ﷻ ومنها: الإرادة وزعموا أن إرادة الله ﷻ مخلوقة لا في محل، وهم لا يفرقون بين الإرادة والمشيئة، ويجعلونها من باب واحد، وإنكارهم للقدر هو إنكارهم

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (١٣٢)، ١٣٣، ٤٤٠، ٤٥٧، ٤٥٨، والمغني في العدل والتوحيد (٢١٨/٦)، ومقالات الإسلاميين (١/١٥٣)، والفرق بين الفرق (١٣٣، ١٣٤، ١٥١، ١٦٩).

(١) التعريفات للجرجاني (٢٧٧) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ].
(٢) التعريفات للجرجاني (٢٧٧). وانظر: منهاج السنة النبوية (١٨٢/٣).

١٠ - «القضاء والقدر»، لعمر سليمان الأشقر.

مصادر التلقي عند أهل السنة

التعريف لغة:

المصدر: من مادة (صَدَرَ)، وهو أصل يدل على خلاف الوِرْد، يُقال: صَدَرَ عن الماء، وصَدَرَ عن البلاد، إذا كان وَرَدَهَا ثمَّ شَخَّصَ عنها^(٢).

ويسمَّى الموضع الذي صُدِرَ عنه: مَصْدَرًا، ومنه سمّيت مصادر الأفعال بذلك؛ لأنَّ المصادر كانت أول الكلام، كقولك: الذَّهاب والسَّمْع والحِفْظ، وإنما صَدَرَت الأفعال عنها^(٣).

التلقِّي: بمعنى الاستقبال، وفلان يتلقَّى فلانًا؛ أي: يستقبله^(٤).

التعريف اصطلاحًا:

يقصد بمصادر التلقي عند أهل السنة - في مجال العقيدة -: الأصول التي يرجع إليها أهل السنة في استمداد المسائل والأحكام الاعتقادية، ويردُّون القول إليها عند النزاع، وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع^(٥).

لم يشأ لم يكن، وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضوع، وإن كان منهم في موضع آخر، فجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله، وأن يشاء ما لا يكون، وخالف الرسل كلهم وأتباعهم من نفي مشيئة الله بالكلية، ولم يثبت له سبحانه مشيئة واختيارًا أوجد بها الخلق^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «أقوم ما قيل في القضاء والقدر»، لابن تيمية.

٢ - «التكليف في ضوء القضاء والقدر»، لأحمد علي عبد العال.

٣ - «خلق أفعال العباد»، للبخاري.

٤ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٥ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٦ - «قدرة الله وقدرة العبد بين السلف ومخالفهم»، لأحمد بن صالح بن حسن الزهراني.

٧ - «القضاء والقدر»، لأبي الوفا درويش.

٨ - «القضاء والقدر في الإسلام»، لفاروق أحمد الدسوقي.

٩ - «القضاء والقدر»، لعبد الرحمن المحمود.

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣/٣٣٧) [دار الجيل، ط ٢].

(٣) انظر: لسان العرب (٤/٤٤٩) [دار صادر، ط ١].

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٩/٢٢٨) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١هـ]، ولسان العرب (١٥/٢٥٦).

(٥) انظر: الإحكام لابن حزم (١/٩٥) [دار الحديث، ط ١، ١٤٠٤هـ]، وذم التأويل لابن قدامة (٢٢) =

◉ الأسماء الأخرى:

الاتباع، القرآن، الرد إلى الكتاب والسنة، الإجماع، السمع.

◉ الحكم:

اتفق أهل السنة والجماعة على وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة، في تلقي مسائل العقيدة، والرد إليها عند النزاع، والاكتفاء بها في أبواب التوحيد والغيبات^(١).

◉ الحقيقة:

الأصول المعتمدة عند أهل السنة والجماعة في علم الاعتقاد هي: القرآن، والسنة، والإجماع.

فالقرآن: هو كلام الله تعالى، المنزل على نبيه محمد ﷺ بلفظه ومعناه بواسطة جبريل، المعجز، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس.

والسنة: هي كل ما نقل عن النبي محمد ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية، أو خلقية.

والسنة المحتج بها: ما كانت صحيحة، متواترة كانت أو آحادًا، دون ما كان ضعيفًا، فالعقيدة لا يحتج فيها بالضعيف.

والمراد بالإجماع: إجماع السلف الصالح دون من عداهم.

والرجوع إلى الكتاب والسنة في العقيدة لا بد أن يكون منضبطًا بأصول؛ من أهمها^(٢):

١ - أن يكون الفهم للكتاب والسنة على وفق ما فهمه السلف الصالح، من الصحابة والتابعين، فلا يخرج عن أقوالهم فيما اتفقوا عليه^(٣).

٢ - أن يكون الفهم للكتاب والسنة موافقًا لقواعد اللغة العربية؛ وذلك أن القرآن قد نزل بلسان عربي مبين، وكان إنزاله بهذا اللسان المبين سبيلًا لتدبره وفهم معانيه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف]. وعامة الشبه والبدع إنما دخلت على أصحابها من قبل جهلهم بلسان

(٢) انظر: منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والامتدعة لأحمد الصويان (٤٥ - ٥٤) [المنتدى الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٩م].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥٣/١٧) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، ورسالة في علم الباطن والظاهر له ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٢٣٦/١) [المطبعة المنيرية، ط ١، ١٣٤٣هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢١٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١١هـ].

= [الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٦هـ]، وشرح الصدور بتحريم رفع القبور للشوكانى (٥٩٣) [مكتبة العبيكان، ط ٣، ١٤٠٨هـ]، ومصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان علي حسن (٧) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٣هـ].

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠٩/١١) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وشرح الصدور بتحريم رفع القبور للشوكانى (٥٩٣).

العرب^(١).

✦ المنزلة:

لقد كان التزام أهل السنة والجماعة بمصادر التلقي في مسائل الاعتقاد (الكتاب والسنة والإجماع) على وفق فهم السلف الصالح هو الفارق الأساس الذي فارقوا به سائر الطوائف المبتدعة، وكان هذا الالتزام هو الضابط الذي يميز أهل السنة والجماعة عمّن عداهم من فرق الضلال.

كما دلّ على ذلك حديث الافتراق الذي قال فيه ﷺ: «... وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»^(٤)، وفي رواية: «كلها في النار إلا ملة واحدة». فقيل له: ما الواحدة، قال: ما أنا عليه وأصحابي^(٥).

فمن فرط في هذه المصادر الثلاثة، أو زاد عليها العقل ونحوه فقد فارق مذهب أهل السنة.

قال ابن تيمية في شرحه لحديث الافتراق: «وشعار هذه الفرق - يعني:

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، ٤٥٩٧)، وأحمد (١٣٤/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن أبي عاصم في السنة (٧٦/١) [المكتب الإسلامي، ط١]، وحسنه الحافظ ابن حجر، كما في السلسلة الصحيحة (٤٠٥/١)، وله عدة شواهد أشار إليها الألباني في السلسلة الصحيحة، في الموضوع السابق.

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٤١)، والحاكم (كتاب العلم، رقم ٤٤٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٣٣٤، رقم ٢١٢٩) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ].

ولا بدّ من التنبّه إلى أن دلالة الشرع قد تخصص دلالة اللغة وتقيدها، فلا يرجع إلى دلالة اللغة رجوعاً مجرداً عن النظر للقائل، وبيان النبي ﷺ لذلك النص، وتفسير الصحابة والسلف.

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية أن أكثر ما يقع الخطأ في التفسير من جهتين:

«إحداهما: قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها.

والثانية: قوم فسّروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به»^(٢).

٣ - جمع النصوص الواردة في الباب الواحد.

وهذا الجمع هو السبيل لفهم المسألة الشرعية على وجهها، ولذا يقول الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الحديث إذا لم تجمع طريقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضاً»^(٣).

(١) انظر: الرسالة للشافعي (٥٠) [دار الكتب العلمية]، وجامع بيان العمل وفضله لابن عبد البر (١٦٨/٢) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/٣٣٥). وانظر منه: (٢٣٦/١٩).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢١٢) [مكتبة المعارف، ط٢]. وانظر: مجموع الفتاوى (٢٧/٣١٦-٣١٧)، والمواقفات للشاطبي (١/٢٤٥-٢٤٦) [دار المعرفة].

وسنة نبيه»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

عقد اللالكائي لكتابه في العقائد باباً بعنوان: (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم).

ومما ذكره في مقدمته قوله: «فإن أوجب ما على المرء: معرفة اعتقاد الدين، وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين، والتوصل إلى طرقها، والاستدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مقول وأوضح حجة ومعقول: كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله وصحابته رضي الله عنهم الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون»^(٣).

وقال ابن عبد البر: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله، أو صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أجمعت

(٢) الموطأ (كتاب القدر، رقم ٣٣٣٨) مؤسسة زايد بن سلطان، ط ١، وفي سنه انقطاع ظاهر بين مالك والنبى صلى الله عليه وسلم.

لكن له شاهد من حديث ابن عباس عند الحاكم (كتاب العلم، رقم ٣١٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠/١) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩/١) [دار طيبة، ١٤٠٢هـ].

الخارجة عن أهل السنة - مفارقة الكتاب والسنة والإجماع، فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة»^(١).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَنْزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٦٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا الْمُؤْمِنَاتِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب].

ودلَّ على الإجماع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

وروى مالك في الموطأ؛ أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتن بهما: كتاب الله

(١) شرح حديث الافتراق ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣/٤٦٦).

- عليه الأمة»^(١).
- ١ - التحقيق التام لما أمر به الشرع من الردّ إلى الكتاب والسنة، والقبول لما فيهما، قولاً وعملاً واعتقاداً، والاستغناء بهما عما سواهما.
- ٢ - عصمة الأصول التي بنوا عليها عقائدهم، فكانت عقائدهم يقينية الثبوت، سالمة من الاختلاف والتناقض، في مقابل الاختلاف والتناقض والتنقل والشك الذي كان لازماً لأهل البدع.
- ٣ - تعظيم نصوص الكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح.
- ٤ - توقفهم عن إثبات ما لم يأت في النصوص من الأمور العقديّة، فكانت طريقتهم أسلم وأعلم وأحكم.
- ٥ - التزام منهج أهل السنة - بتوحيد المرجعية إلى الكتاب والسنة - كفيل بجمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم، فالوحي قد ضمن فيه الهدى، ونفى عنه الاختلاف، وأما العقول المجردة والأهواء، فمن شأنها الاضطراب والاختلاف مما ينتج عنه الافتراق.
- قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران].

وبيّن ابن تيمية الميزان الذي توزن به أقوال الناس وأعمالهم، مشيراً إلى العلاقة بين اعتمادهم الإجماع في الاستدلال، وبين تسميتهم بأهل الجماعة، فقال: «وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة، مما له تعلق بالدين، والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح، إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة»^(٢).

🌟 الثمرات:

لقد كان لمنهج أهل السنة والجماعة في التزامهم بالمصادر الشرعية للتلقي آثار حميدة، يجمل أهمها فيما يلي^(٣):

- (١) جامع بيان العلم (٩٦/٢) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].
- (٢) العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٥٧/٣). وانظر: المرجع السابق (١١/٤٣٧)، الإبانة للأشعري (٢٩) [دار الأنصار، ط١، ١٣٩٧هـ]، الحجّة في بيان المحجّة لقوام السنة الأصبهاني (٢١٠/١) [دار الراجية، ط٢، ١٤١٩هـ]، درة التعارض (١٠٥/٧) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، الصواعق المرسلّة (٣/٨٣٣ - ٨٣٥) [دار العاصمة، ط٣، ١٤١٨هـ]، المسائل العقديّة التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع (٥٢) [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٨هـ].
- (٣) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد

عند أهل السنة والجماعة، د. عثمان علي حسن (٢/٧٣٠).

الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء، فأورثهم الافتراق والاختلاف، فإن النقل والرواية من الثقات والمتقين قلما يختلف، وإن اختلف في لفظ أو كلمة فذلك اختلاف لا يضر الدين ولا يقدح فيه، وأما دلائل العقل فقلما تتفق؛ بل عقل كل واحد يري صاحبه غير ما يري الآخر، وهذا بين والحمد لله»^(١).

❁ مذهب المخالفين:

الفرق المخالفة المبتدعة لم يحققوا الأصل الشرعي في مسألة مصادر التلقي؛ بل إنهم ضلوا فيه طردًا وعكسًا، فضلالهم من ناحيتين:

الناحية الأولى: ضلالهم فيما يتعلق بالمصادر المعتمدة للاستدلال العقدي (الكتاب، والسنة والإجماع).

فإنهم قد فرطوا في هذه الأصول الثلاثة، تفريطًا يخرجها عن أن تكون مصادر للتلقي في العقيدة.

ومن أوجه ضلالهم في ذلك:

١ - الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض، فيؤمنون بما يظنونونه مؤيدًا لبدعتهم، ويغضون الطرف عما كان صريحًا في إبطالها، فيكتمونه ويكرهون روايته^(٢).

(١) الانتصار لأصحاب الحديث (٤٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٢/٧، ١٧٣).

٢ - تحريف النصوص وصرفها عن معانيها الظاهرة، إما تحريف لفظ أو معنى^(٣).

فما خالف اعتقادهم مما جاء في كتاب الله فإنهم قد سلطوا عليه: طاغوت التأويل، وطاغوت المجاز^(٤)، وطاغوت تقديم العقل على النقل^(٥).

٣ - اتباع المتشابهات، وضرب بعض النصوص ببعض، وهجر النصوص الواضحة المحكمة، واتباع النصوص المشككة.

٤ - تصريح غلاتهم بأن نصوص الكتاب والسنة ظنية الدلالة، ولا تفيد اليقين، فلا يحتج بها في أبواب الاعتقاد^(٦).

بل إن من الفرق المبتدعة من صرح بأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة أصل

(١٢/١٥) (٢٠/١٦١)، ودرء التعارض (٥/١٧٢)، (١٧٣) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، والاعتصام للشاطبي (١/٢٢٢) [دار المعرفة، ١٤٠٢هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٦٧) (٤/٦٩)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٨٢، ٢٣٢) [المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٣٩١هـ].

(٤) انظر: درء التعارض (١/٥)، ومختصر الصواعق المرسله (٢/٦٩٠) وما بعدها [دار أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٥هـ]، ومنهج الأشاعرة في العقيدة للحوالي.

(٥) انظر: قانون التأويل للغزالي (١٠) [المكتبة الأزهرية للتراث، ط ١، ٢٠٠٦م]، وأساس التقديس للرازي (١٧٢، ١٧٣)، والمطالب العالية له (١/٣٣٧) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٦) انظر: المحصول للرازي (١/٥٤٧ - ٥٧٦)،

ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين له (١٤٣).

وهم يُعرّفون المتواتر بتعريف يجعل عامة سنة المصطفى ﷺ من قسم الآحاد، ولا يدخل في تعريفهم للمتواتر إلا أحاديث معدودة على الأصابع^(٦)، فهذا موقفهم من المصدر الثاني من مصادر الاعتقاد.

٩ - مخالفة أهل البدع لكثير من إجماعات السلف في غالب أبواب العقيدة من الصفات والقدر والوعد والوعيد وغيرها مما لا يتسع المجال لتفصيله. ومن هذه الأوجه وغيرها يتبين للناظر مقدار الانحراف الذي بلغه هؤلاء في مصادر التلقي الشرعية^(٧).

الناحية الثانية: ضلالهم في إحداث مصادر بدعية للتلقي في العقيدة.

فإن الفرق المبتدعة لم يُقَصِّروا في تحقيق هذه الأصول الثلاثة فحسب

(٢٣٠) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٠هـ]، وأساس التقديس له (١٢٧ - ١٢٩) [دار الجيل، ط١، ١٤١٣هـ]، والإحكام للآمدي (٤٧/٢ - ٥٥) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٤هـ]، وغاية المرام له (٣٤٩) [طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط ١٣٩٠هـ]، وشرح المواقف (١٤٨/١، ١٥٠) [دار الجيل، ط١]، والتقريب والتحرير لابن أمير الحاج (٣٧٧/١) (٣١٣/٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ].

(٦) انظر: مقدمة ابن الصلاح (٢٦٧)، والغاية في شرح الهداية للسخاوي (١٤٠)، وفتح المغيب له (٤٢/٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ]، وتدريب الراوي للسيوطي (١٧٨/٢) [مكتبة الرياض الحديثة].

(٧) انظر: منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة لأحمد الصويان (٥٥ - ٧٧).

من أصول الكفر - وبعضهم خففها، فقال: هو أصل الضلالة^(١)، عياداً بالله من قولهم.

٥ - عدم اعتبار بعضهم للسنة في الاستدلال على مسائل الاعتقاد، كما حكي ذلك عن بعض الخوارج وغلاة المعتزلة^(٢).

٦ - الكذب على النبي ﷺ لتأييد البدعة، وقد وقع في ذلك كثير من الرافضة وغيرهم^(٣).

٧ - الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة لتأييد البدعة، وهذا منهج قل أن يسلم منه أحد من أهل الأهواء والبدع^(٤).

٨ - عدم الاحتجاج بأحاديث الآحاد في مسائل الاعتقاد، وإنما يحتج بالمتواتر فقط^(٥).

(١) انظر: شرح الكبرى للسوسني (٨٢، ٨٣)، وشرح أم البراهين له، مطبوع مع حاشية الدسوقي (٣٨٠ - ٣٨٣).

(٢) انظر: أصول الدين للبغدادي (١١) [مطبعة الدولة، إستانبول، ط١، ١٣٤٦]، والصارم المسلول (١٨٤) [دار ابن حزم، ط١، ١٤١٧هـ]، ومجموع الفتاوى (٧٣/١٩).

(٣) انظر: الجامع لأخلاق الراوي (١٣٨/١)، ومنهاج السنة النبوية (٥٩/١) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩٥/٤، ٩٦)، الاعتصام للشاطبي (٢٢٤/١، ٢٢٥).

(٥) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني (٣٨٦)، وتمهيد الأوائل له (٤٤٥)، والتفسير الكبير للرازي (٢٥/١٧)، والمحصول له (٢٨٥/١) (١٥٦/٢) (٤).

٧ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٨ - «الفرق المنهجي بين أهل السنة وأهل الأهواء»، لعبد الله بن عبد العزيز العنقري.

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ - «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد»، لعثمان حسن.

١١ - «منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة»، لأحمد الصويان.

المُصَوِّر

التعريف لغة:

المُصَوِّر: اسم فاعل من التصوير، مشتق من الأصل الثلاثي (صور) الدال على إمالة الشيء إليك، هذا القول الأول، وعليه تكون الصورة هي الشكل المائل إلى الأحوال المطابقة للمصلحة والمنفعة.

وقيل: إنه مشتق من صار يصير، وعليه تكون الصورة هي منتهى الأمر ومصيره^(٣).

وفعله: صَوَّرَ يَصَوِّرُ تصويراً وصورة فهو مَصَوَّرٌ ومُصَوِّرٌ، إذا جعل له هيئة وصورة، والصورة الهيئة والخلقة

(الكتاب والسنة والإجماع)؛ بل إنهم قد ابتدعوا أصولاً أخرى للتلقي في أبواب الاعتقاد ما أنزل الله بها من سلطان، وجعلوها مقدمة على ما سواها^(١).

وأشهر ما ابتدعوه في هذا الباب: تلك القوانين والأدلة الكلامية الفلسفية، المولدة من أصول الفلاسفة القدماء - كدليل الأعراض والحوادث والتركيب - هذه القوانين التي سموها زوراً وبهتاناً: دليل العقل، أو: القواطع العقلية، والتي أبطلوا بها نصوص الوحيين، وكذا ما أحدثه أهل التصوف ونحوهم من الرجوع إلى الكشف والإلهام والرؤى والمنامات في إثبات أحكام الدين^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاعتصام»، للشاطبي.
- ٢ - «اعتقاد أهل السنة»، للإسماعيلي.
- ٣ - «جامع بيان العلم وفضله»، لابن عبد البر.

٤ - «خصائص أهل السنة والجماعة»، لصالح الدخيل.

٥ - «ذم الكلام»، للهروي.

٦ - «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»، للالكائي.

(١) انظر: الاعتصام للشاطبي (١/١٣٤).

(٢) انظر: الانتصار لأصحاب الحديث للسمعاني (٤٤)،

(٨٢)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/٣٥٥) (١٣/

١٤٣)، منهاج السنة النبوية (٧/٣٧).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٥٨٠) [دار الفكر، ط٢]،

ولوامع البيئات شرح أسماء الله تعالى والصفات

(٢١٧) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٠هـ].

والشكل، وما يُنتقش به الأعيان، والتصوير: نقش صورة الأشياء أو الأشخاص على لوح أو حائط ونحوه بالقلم أو بألة التصوير^(١).

التعريف شرعاً:

المصور له معنيان:

١ - أن الله ﷻ هو الذي أمال خلقه وعدّلهم إلى الأشكال والهيئات التي توافق تقديره وعلمه ورحمته، والتي تتناسب مع مصالح الخلق ومنافعهم^(٢).

٢ - أن الله ﷻ هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة، وهيئات متباينة، على غير مثال سابق، كل أحد بصورته الخاصة التي صار وانتهى إليها^(٣).

الحكم: يجب الإيمان بأن من أسماء الله سبحانه: المصور، وما دلّ عليه من صفة التصوير، ويكون إثبات ذلك لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وقد دلّت النصوص الشرعية على ذلك.

الحقيقة:

إن الله ﷻ أعطى كل شيء صورة معينة، وهذه الصور توافق تقديره سبحانه وعلمه ورحمته، وهي متناسبة مع مصالح الخلق ومنافعهم، فالله ﷻ صوّر جميع الموجودات، وأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة خاصة يتميز بها عن غيره من الموجودات مع كثرتها وتعدد أنواعها.

الأدلة:

ورد اسم المصور مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر].

وأما صفة التصوير فقد وردت في نصوص عدة؛ منها قوله ﷻ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَهُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران].

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام عن

(١) انظر: تهذيب اللغة (٢٢٧/١٢ - ٢٢٩) [الدار المصرية]، والصحاح (٧١٦/٢، ٧١٧) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٤٩٧) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٢٨/١) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢].

(٢) هذا باعتبار إرجاع اشتقاقه إلى إمالة الشيء. انظر: تفسير الطبري (٢٤/٢٦٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، تفسير البغوي (٨/٣٥٦) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ]، النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/١٦٨، ١٦٩) [مكتبة الذهبي، ط ٢، ١٤١٧هـ].

(٣) هذا باعتبار اشتقاقه من المصير والمنتهى. انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٧) [دار الثقافة العربية، ط ١، ١٩٧٤م]، شأن الدعاء (٥١) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، الحجّة في بيان المحجة (١/١٣١) [دار الراية، ط ١، ١٤١١هـ]، أحكام القرآن لابن العربي (٢/٣٤٨) [دار الكتب العلمية، ط ١]، تفسير ابن كثير (٨/٨٠) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٧٠) [مجلة الجامعة الإسلامية، ع: ١١٢، ١٤٢٣هـ].

رسول الله ﷺ؛ أنه كان إذا سجد قال: «اللَّهُمَّ لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: هو المعبود الخالق، الذي لا معبود يصلح له العبادة غيره، ولا خالق سواه، البارئ الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته، المصوِّر خلقه كيف شاء، وكيف يشاء»^(٢).

وقال البغوي: ﴿الْخَلْقُ﴾ المقدر والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره، كما قال: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: ٦]، ﴿الْبَارِئُ﴾: المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود، ﴿الْمُصَوِّرُ﴾: الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض، يقال: هذه صورة الأمر؛ أي: مثاله، فأولاً يكون خلقاً ثم برءاً ثم تصويراً^(٣).

وقال السعدي: ﴿الْخَلْقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾: الذي خلق جميع الموجودات، وبرأها، وسواها بحكمته، وصورها بحمده وحكمته، وهو لم يزل

وقال السعدي: ﴿الْخَلْقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾: الذي خلق جميع الموجودات، وبرأها، وسواها بحكمته، وصورها بحمده وحكمته، وهو لم يزل

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧١).

(٢) تفسير الطبري (٥٥٥/٢٢) [دار هجر، ١٦].

(٣) معالم التنزيل (٢٢٠/٥) [دار الفكر، ١٦].

ولا يزال على هذا الوصف العظيم»^(٤).

❁ المسائل المتعلقة:

- حكم التصوير:

وردت أحاديث كثيرة تدلُّ على تحريم التصوير من حيث العموم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصوِّرون»^(٥).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»^(٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما فقال: سمعت محمداً صلى الله عليه وسلم يقول: «من صوِّر صورة في الدنيا كلَّف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ»^(٧).

وعن سعيد بن أبي الحسن قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إني رجل أصور هذه الصور، فأفتني فيها. فقال له: ادن مني. فدنا منه. ثم قال: ادن مني. فدنا حتى وضع يده على رأسه، قال: أنبتك بما

(٤) تفسير السعدي (٦٢٤/٥)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكليات من أصول التفسير [مركز صالح الثقافي بعنيزة، ٢٢، ١٤١٢هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٠)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٩).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥١)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٨).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٦٣)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).

❁ الفروق:

الفرق بين الخالق، والبارئ،
والمصوِّر:

هذه الأسماء الحسنی الثلاثة وردت في سياق واحد في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وكلها متقاربة في المعنى، إلا أن أهل العلم تكلموا في الفرق بينها، ومدار كلامهم ينصب حول الترتيب الذي بين هذه الأفعال الدالة عليها هذه الأسماء، فالله ﷻ هو الخالق بمعنى: أنه المقدر للأشياء بمقتضى حكمته، البارئ بمعنى: أنه أوجدها بعد العدم، المصوِّر بمعنى: مشكِّل ومهيئ ما أوجده على هذه الأشكال والهيئات التي صارت إليها وفق تقديره وحكمته، فإن اسمي الجلال: (البارئ المصوِّر) هما تفصيل لمعنى اسمه: (الخالق)^(٤).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «تفسير أسماء الله الحسنی»، للزجاج.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنی»، للسعدي.
- ٣ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السنَّة الأصبهاني.
- ٤ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

سمعت من رسول الله ﷺ. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه في جهنم» وقال: إن كنت لا بد فاعلاً، فاصنع الشجر، وما لا نفس له^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ، وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه هتكه، وتلون وجهه، وقال: «يا عائشة! أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يظاهون بخلق الله». قالت عائشة: فقطعناه، فجعلنا منه وسادة أو وسادتين^(٢).

وللعلماء تفصيلات عدة في أحكام التصوير، إلا أنهم يرون أن نحت التماثيل محرّم شرعاً.

وكثير من أهل العلم على تحريم الصور عمومًا إلا ما دعت الضرورة إليه؛ كالصور اللازمة للتعريف بالشخص في الرخص والبطاقات وجوازات السفر وغير ذلك من المستجدات، أما تصوير ما لا روح فيه كالشجر والجبل والسيارات ونحو ذلك فلا حرج فيه، والله أعلم^(٣).

(١) أخرجه مسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٤)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٧).

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/٢٥٢ -

٢٥٦) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤١٨هـ]،

وفتاوى كبار العلماء في التصوير [مكتبة الرضوان،

ط ٣، ١٤٢٩هـ].

(٤) انظر: شفاء العليل لابن القيم (١/٣٦٦)، وتفسير

ابن كثير (٨/٨٠)، وفقه الأسماء الحسنی (٩٥).

والمضاف في الكلام: هو كل اسم أضيف إلى اسم آخر، فإن الأول يجزى الثاني، ويسمى الجار مضافاً، والمجرور: مضافاً إليه^(٢).

❁ التعريف شرعاً:

المضاف إلى الله تعالى: على نوعين وردا في النصوص الشرعية؛ أحدهما: إضافة الصفة إلى الموصوف، والثاني: إضافة المخلوق إلى الخالق.

أما إضافة الوصف إلى الله فهي: ما كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به.

وأما إضافة المخلوق إلى الله تعالى: فهي كل ما يضاف إلى الله، ويكون عيناً قائمة بنفسها، أو حالاً في ذلك القائم بنفسه^(٣).

❁ الحكم:

يجب على المسلم أن يعتقد أن المضاف إلى الله تعالى منه ما هو إضافة الصفة إلى الموصوف، ومنه ما هو إضافة المخلوق إلى الخالق، ويفرق بينهما كما ورد ذلك في نصوص الكتاب والسنة^(٤).

❁ الحقيقة:

إن ما ذُكر في القرآن الكريم من

٥ - «شرح أسماء الله الحسنى»، لسعيد بن القحطاني.

٦ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٧ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٨ - «فتاوى كبار العلماء في التصوير»، جمع وإعداد: عبد الرحمن بن سعد الشثري.

٩ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

١١ - «معجم ألفاظ العقيدة، لعالم عبد الله فالج».

١٢ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

❁ المضاف إلى الله تعالى ❁

❁ التعريف لغة:

المضاف: من مادة (ض - ي - ف)، والضاد والياء والفاء أصل واحد صحيح، يدلُّ على ميل الشيء إلى الشيء. يقال: أَضَفْتُ الشَّيْءَ إِلَى الشَّيْءِ: أَمَلْتُهُ إِلَيْهِ، وَأَنْزَلْتَهُ عَلَيْهِ، وَأَضَفْتَهُ إِلَى كَذَا: أَلْجَأْتَهُ^(١).

(٢) انظر: التعريفات للرجاني (١٠١).

(٣) انظر: الصفات الإلهية للتميمي (٢٥).

(٤) الجواب الصحيح (٢/١٥٥ - ١٥٧). وانظر:

مجموع الفتاوى (١٧/١٥١).

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢/١١٣)، مقاييس

اللغة لابن فارس (٣/٢٩٨)، الصحاح للجوهري

(٤/١٣٩٢، ١٣٩٣).

﴿فَاجِرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وفي الحديث الصحيح: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ»^(٢).

والنصوص الدالة على إضافة

المخلوق إلى الخالق كثيرة؛ منها: قوله

تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]،

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]،

وقوله سبحانه: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾^(٣)

[الشمس]، وقوله ﷺ: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي

لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٤)

[الحج].

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن خزيمة: «فما أضاف الله إلى نفسه على معنيين:

أحدهما: إضافة الذات، والآخر: إضافة الخلق، فتفهّموا هذين المعنيين»^(٣).

وقال ابن تيمية: «والمضاف إلى الله

نوعان؛ فإن المضاف إما أن يكون صفة

لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام

والحياة، وإما أن يكون عيناً قائمة

بنفسها:

فالأول: إضافة صفة كقوله: ﴿وَلَا

يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]،

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ

الْمَتِينِ﴾^(٥) [الذاريات]، وقوله ﷺ:

الإضافة إلى الله تعالى، إن كان عيناً

قائمة بنفسها، أو أمراً قائماً بتلك العين

كان مخلوقاً؛ كقول الله تعالى في

عيسى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]،

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]،

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ

اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وأما ما كان صفة لا تقوم بنفسها،

ولم يذكر لها محل غير الله كان صفة له،

مثل: القول، والعلم. وبهذا يفرق بين

كلام الله سبحانه، وعلم الله، وبين

عبد الله وبيت الله وناقته الله.

وهذا أمر معقول في الخطاب، فإذا

قلت: علم فلان وكلامه ومشيتته لم يكن

شيئاً بائناً عنه، والسبب في ذلك أن هذه

الأمور صفات لما تقوم به، فإذا أضيفت

إليه كان ذلك إضافة صفة لموصوف، إذ

لو قامت بغيره لكانت صفة لذلك الغير

لا لغيره^(١).

❁ الأدلة:

النصوص الدالة على إضافة الصفة إلى

الموصوف كثيرة، منها قوله ﷺ: ﴿وَلَا

يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]،

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ

الْمَتِينِ﴾^(٥) [الذاريات]، وقوله ﷺ:

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٨٢).

(٣) التوحيد (١/٩٢).

(١) انظر: شرح الأصفهانية لابن تيمية (٦٦، ٦٧)،

مجموع الفتاوى (١٧/١٥١).

كالبيت، والناقة، والعبد، والرسول، والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، ومصنوع إلى صانعه، لكنها إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريعاً يتميز به المضاف عن غيره؛ كبيت الله، وإن كانت البيوت كلها ملكاً له، وكذلك ناقة الله، والنوق كلها ملكه وخلقه، لكن هذه إضافة إلى إلهيته تقتضي محبته لها، وتكريمه وتشريفه، بخلاف الإضافة العامة إلى ربوبيته حيث تقتضي خلقه وإيجاده، فالإضافة العامة تقتضي الإيجاد، والخاصة تقتضي الاختيار، والله ﷻ يخلق ما يشاء ويختار مما خلقه»^(٢).

❁ الأقسام:

المضاف إلى الله تعالى أنواع:

أحدهما: إضافة الصفة إلى الموصوف.

ويكون المضاف في هذا القسم صفة لا تقوم بنفسها؛ كقدرة الله، وعزة الله، وعلم الله، وهذا في النصوص كثير جداً.

والثاني: إضافة المخلوق إلى الخالق.

ويكون المضاف عيناً قائمة بنفسها، أو قائمة بغيرها، وهذه الإضافة إضافة مخلوق إلى خالقه، وهي على مرتبتين: أ - أن تضاف إليه من جهة كونه

أَلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات]، وقوله: ﴿أَوْلُوا رِزْوَانًا أَنَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

والثاني: إضافة عين؛ كقوله تعالى: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج]، وقوله: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ [الشمس]، وقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان].

فالمضاف في الأول صفة لله قائمة به ليست مخلوقة له بئنة عنه، والمضاف في الثاني مملوك لله مخلوق له بئان عنه، لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى، كما خص ناقة صالح من بين النوق، وكما خص بيته بمكة من البيوت، وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق»^(١).

وقال ابن القيم: «المضاف إلى الله ﷻ نوعان:

صفات لا تقوم بأنفسها؛ كالعلم، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه، وكلامه، وإرادته، وقدرته، وحياته، صفات له غير مخلوقة، وكذلك وجهه ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه؛

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية (٢/ ١٥٥ - ١٥٧)، ومختصر الصواعق (٢/ ٤٢٢).

(٢) الروح (١٥٤) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ].

سبحانه خلقها وأبدعها، وهذا شامل لجميع المخلوقات.

ب - أن تضاف إليه لما خصه الله بها مما يحبه ويرضاه ويأمر به، والله لا يضيف إليه شيئاً من المخلوقات إضافة تخصيص إلا لاختصاصه بأمر يوجب الإضافة، وإلا فمجرد كونه مخلوقاً مملوكاً لا يوجب أن يخص بالإضافة.

ومثال المرتبة الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

ومثال المرتبة الثانية: قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ [الشمس]، وقوله ﷺ: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج].

وضابط هذا الباب: أن المضاف إذا كان معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات وجب أن يكون صفة لله تعالى قائماً به، وامتنع أن تكون إضافته إضافة مخلوق مربوب، وإن كان المضاف عيناً قائمة بنفسها؛ كعيسى وجبريل وأرواح بني آدم، امتنع أن تكون صفة لله تعالى؛ لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره^(١).

ج - وقد يضيف الله ﷻ إليه بعض ما يقوم بخلقه كما في قوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧] قال ابن القيم: «أضاف قتل المشركين يوم بدر إليه، وملائكته هم الذين بأشروه، إذ هو بأمره»^(٢).

ومن خلال السياق والقرائن المحتفة به يتبين ما يقوم بالله ويكون صفة له سبحانه، وما يكون من صفات خلقه أضافه إليه ﷻ من باب إضافة المخلوق إلى خالقه.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «فمن تدبر ما ورد في باب أسماء الله تعالى وصفاته، وإن دلالة ذلك في بعض المواضع على ذات الله، أو بعض صفات ذاته لا يوجب أن يكون ذلك هو مدلول اللفظ، حيث ورد حتى يكون ذلك طرداً للمثبت ونقضاً للنافي؛ بل ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه وما يبين معناه من القرآن والدلالات، فهذا أصل عظيم مهم نافع في باب فهم الكتاب والسنة والاستدلال بهما مطلقاً»^(٣).

مذهب المخالفين:

أنكر المعطلة من الجهمية والمعتزلة
(٢) مختصر الصواعق (٣/ ١٢٥٠) [دار أضواء السلف ١٤٢٥هـ].
(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ١٨).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٤ - ١٥١، ٩/ ٢٩٠ - ٢٩١)، درء تعارض العلل والنقل (٧/ ٢٦٥ - ٢٧٠)، والجواب الصحيح (٢/ ١٥٥ - ١٦٣)، ومختصر الصواعق المرسله (٢/ ٤٢٢)، وبدائع الفوائد (٢/ ١٨٣)، شرح العقيدة الطحاوية (٤٤٢)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/ ١٦٦)، والصفات الإلهية للتميمي (٢٥).

- ٦ - «شرح الأصفهانية»، لابن تيمية .
 ٧ - «شرح القصيدة النونية» لمحمد خليل هراس .
 ٨ - «الصفات الإلهية»، للتميمي .
 ٩ - القول المفيد، لابن عثيمين .
 ١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية .
 ١١ - «مختصر الصواعق المرسله»، لابن القيم .

❖ مطلق الإيمان ❖

يراجع مصطلح (الإيمان).

❖ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ❖

❖ اسمه ونسبه:

معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، أمير المؤمنين، وكاتب الوحي، ملك الإسلام، أبو عبد الرحمن، القرشي الأموي^(٢).

(٢) ينظر: تهذيب الكمال (١١٩/١٣) و(١٤٥/٣٢) و(٣٦١/٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٠هـ]، والإصابة (١٥١/٦) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ]، والبدية والنهاية (٤٧/٣) و(٣٥٤/٥) و(٩٥/٧) و(٢٠/٨) و(١١٧/٨) و(٢٢٦/٨) و(١٣/١٣) و(٢٠٦) [دار هجر، ط ١، ١٤١٨هـ]، وتاريخ الأمم والملوك (٢٦٣/٣) وما بعدها [دار التراث، ط ٢، ١٣٨٧هـ]، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٧/٥٩) [دار الفكر، ط ١، ١٤١٥هـ].

صفات الله ﷻ كلها، ولذلك جعلوا الإضافة إلى الله تعالى هنا كلها من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، ولم يعترفوا بالنوع الآخر منها، وهو إضافة الصفة إلى الموصوف.

وأما الكلابية وقدماء الأشاعرة وغيرهم، فإنهم لم يثبتوا الصفات الاختيارية المتعلقة بالمشيئة؛ كصفة الكلام، والغضب، والرضا ونحوها، بل إما أن يجعلوها من الصفات القديمة الواجبة، وإما أن يكون مخلوقاً منفصلاً عنه، ويمتنع أن يقوم به نعت أو حال أو فعل أو شيء ليس بقديم^(١).

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على إثبات ما أثبتته الله لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ، وعليه إجماع سلف هذه الأمة وأئمتها.

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم .
 ٢ - «التوحيد»، لابن خزيمة .
 ٣ - «الجواب الصحيح»، لابن تيمية .
 ٤ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية .
 ٥ - «الروح»، لابن القيم .

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/٣٣٥، ١٤٤/٦ - ١٥١)، والجواب الصحيح (١٦١/٢)، شرح القصيدة النونية لهراس (١/١٢٠، ١٣٨، ١٣٩)، والقول المفيد لابن عثيمين (١/٤١٤)، والصفات الإلهية (٣٥).

مولده ووفاته:

مولده: ولد معاوية رضي الله عنه: قبل البعثة بخمس سنين، وقيل: بسبع، وقيل: بثلاث عشرة، والأوّل أشهر^(١).

وفاته: اتّفقت المصادر التي ترجمت لمعاوية بن أبي سفيان على أنّ وفاته رضي الله عنه كانت في دمشق، في يوم الخميس، وفي شهر رجب، من سنة ٦٠هـ^(٢)، وقد نقل الإمام ابن جرير الإجماع على أن وفاته كانت في رجب من سنة ٦٠هـ^(٣).

إسلامه:

لا خلاف بين أهل العلم في إسلام معاوية رضي الله عنه، ولا يشك في ذلك إلا رجل أعمى الله بصره وبصيرته^(٤)، بل إنّ إسلامه رضي الله عنه متواتر لا شك فيه.

وقد أبدع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في بيان هذه المسألة المهمة، حين

(١) الإصابة (٦/١٥١).

(٢) ينظر على سبيل المثال: التاريخ الكبير (٧/٣٢٦) [دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن]، وطبقات ابن سعد (٧/٤٠٦)، وطبقات خليفة (٢٩٧)، وتاريخ دمشق (١٩/٢٣٧ - ٢٤١)، والكاشف (٢/٢٧٥) [دار القبلة، ط ١، ١٤١٣هـ]، وغيرها.

(٣) تاريخ الطبري (٣/٢٦١).

(٤) اعترف الرافضة بإسلام معاوية رضي الله عنه وهم ألد خصومه، ينظر: تذكرة الفقهاء للحلي (٩/٢٩٠)، وجواهر الكلام للجواهري (٢١/٢٣٥)، والجواهر التقي للمارديني (٢/٣٦٣)، ومكاتب الرسول للأحمدي الميانجي (٣/٤٩١) (٣/٧٤١)، وبحوث في تاريخ القرآن وعلومه لمير محمدي زرندي (١١٦)، وبنور فاطمة اهتديت لعبد المنعم حسن (١٧٩).

سئل: «عن إسلام معاوية بن أبي سفيان متى كان؟ وهل كان إيمانه كإيمان غيره أم لا؟ وما قيل فيه غير ذلك؟». فأجاب: «إيمان معاوية بن أبي سفيان ثابت بالنقل المتواتر^(٥)، وإجماع أهل العلم على ذلك؛ كإيمان أمثاله ممن آمن عام فتح مكة... وأما إسلامه عام الفتح... فمتفق عليه بين العلماء؛ سواء كان أسلم قبل ذلك أو لم يكن إسلامه إلا عام فتح مكة؛ ولكن بعض الكذابين زعم أنه عيّر أباه بإسلامه، وهذا كذب بالاتفاق من أهل العلم بالحديث... وكان معاوية أحسن إسلامًا من أبيه باتفاق أهل العلم...»^(٦).

ومن الأدلة على ثبوت إسلامه رضي الله عنه: ما ثبت في «صحيح مسلم»^(٧) في قصة زواج فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، وفيها: قالت: «فلما حللت ذكرت له - أي: للنبي صلى الله عليه وسلم - أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه»^(٨).

(٥) ينظر: منهاج السنّة (٢/٦٢) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/٤٦٦ - ٤٧٢) [طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٧) أخرجه مسلم (كتاب الطلاق، رقم ١٤٨٠).

والحديث له طرقٌ وألفاظٌ تنظر في: التلخيص الحبير (٣/٣٢٠، ٣٢١)، تحت الحديث (رقم ١٤٩٣) - حاشية المحقق - [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٨) قد جاء تفسيرها في الرواية الأخرى: «أبو جهم منه =

وأما معاوية فصعلوك لا مال له^(١)،
انكحي أسامة بن زيد»، فكرهته، ثم
قال: «انكحي أسامة»، فنكحته،
فجعل الله فيه خيراً، واغتبطت».

وقد اختلف أهل العلم في تحديد تاريخ
إسلام معاوية بن أبي سفيان؛ على قولين
مشهورين، وقد حكى ابن عساکر رحمته الله
بعض أقوال أهل العلم في ذلك^(٢).

القول الأول: أنه أسلم رحمته الله قبل
الفتح^(٣).

- سواء كان ذلك عام الحديبية، وهو
العام الذي صُدَّ فيه النبي رحمته الله عن البيت
في السنة السادسة من الهجرة.
- أو في عمرة القضاء، في السنة
السابعة من الهجرة.

= شدة على النساء أو يضرب النساء»، بعد هذه الرواية
في صحيح مسلم، قال النووي: «فيه تأويلان
مشهوران؛ أحدهما: أنه كثير الأسفار، والثاني: أنه
كثير الضرب للنساء وهذا أصح، بدليل الرواية التي
ذكرها مسلم بعد هذه أنه ضرب للنساء»، شرح
صحيح مسلم (٩٧/١٠) [دار إحياء التراث العربي،
ط ٢، ١٣٩٢هـ]، وينظر: الاستذكار (٩٤/٣)، و(٦/
١٤٩ - ١٥٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ]،
والتلخيص الحبير (٣٢١/٣).

(١) قد جاء تفسيرها في الرواية الأخرى: «إن معاوية
تربَّ خفيف الحال»، في الرواية التي بعدها في
صحيح مسلم، قال النووي: «قليل المال جداً»،
ينظر: شرح صحيح مسلم (٩٨/١٠)، وتحفة
الأحوذى (٢٤١/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١،
١٤١٠هـ]، وشرح الزرقاني على الموطأ (٢٧٠/٣)
[مكتبة الثقافة الدينية، ط ١].

(٢) تاريخ ابن عساکر (٥٧/٥٩) وما بعدها.

(٣) ينظر: فتح الباري (١٠٤/٧) [دار المعرفة، ط ١].

قال الحافظ أبو نعيم: «أسلم قبيل
الفتح، وقيل: عام القضية^(٤)، وهو ابن
ثمانى عشرة»^(٥).

وقد جزم الذهبي بأن ذلك كان في
عمرة القضاء؛ فقال: «أسلم قبل أبيه في
عمرة القضاء، وبقي يخاف من الخروج
إلى النبي رحمته الله من أبيه... وأظهر إسلامه
يوم الفتح»^(٦).

القول الثاني: أنه أسلم يوم فتح مكة؛
هو وأبوه وأمه وأخوه يزيد رحمته الله^(٧).

ومرد الاختلاف بين أهل العلم في
تحديد تاريخ إسلام معاوية رحمته الله يعود
- والله أعلم - إلى كون معاوية رحمته الله كان
يخفي إسلامه، ولذلك حكم من حكم
من أهل العلم بأنه أسلم يوم فتح مكة؛
لأن هذا هو الذي ظهر من حاله في ذلك
اليوم، وأما قبل ذلك فهو على ما عرف

(٤) نقل قوام السنة في سير السلف الصالحين (٢/٦٦٣)
[دار الراجعية، ط ١، ١٤٢٠هـ] رواية عن معاوية رحمته الله
قال فيها: «أسلمت عام القضية، لقيت النبي رحمته الله
فقبل إسلامي»، وينظر: تاريخ الطبري (٣٢٨/٥)،
والبداية والنهاية (٢١/٨)، والاستيعاب (٣/٣٩٥)،
وسير أعلام النبلاء (٣/١٢٢).

(٥) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني (٥/٢٤٩٦)
[دار الوطن، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي (٣٠٨/٤) [دار الغرب
الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣م]. وينظر: سير أعلام
النبلاء (٣/١٢٠).

(٧) ينظر: الاستيعاب (٣/٣٩٥)، والإصابة (٣/٤٣٣)،
ومنهاج السنة (٤٢٨/٤ - ٤٢٩)، و(٤/٤٣٦ -
٤٣٩)، والبداية والنهاية (٨/١١٨)، وشرح صحيح
مسلم للنووي (٨/٢٣١).

من حاله، وأنه على دين قومه.

فهذا الكلام من معاوية رضي الله عنه فيه دليل واضح على أنه أسلم قبل فتح مكة، ويؤكد هذا القول منه رضي الله عنه الأمر التالي.

لكن الذي يظهر - والله أعلم - أنه أسلم قبل الفتح وكان يخفي إسلامه، حتى كان يوم الفتح فأظهر إسلامه، ويدل على ذلك أمران:

الأمر الثاني: جاء في «الصحيحين»^(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن معاوية رضي الله عنه قال: «قَصَّرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَشَقِّصٍ».

الأمر الأول: قول معاوية رضي الله عنه نفسه: «لما كان عام الحديبية وصدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت، ودافعوه بالراح، وكتبوا بينهم القضية، وقع الإسلام في قلبي، فذكرت ذلك لأمي هند بنت عتبة، فقالت: «إياك أن تخالف أباك، أو أن تقطع أمراً دونه فيقطع عنك القوت»، وكان أبي يومئذ غائباً في سوق حُبَاشة، قال: فأسلمت وأخفيت إسلامي، فوالله لقد رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وإني مصدق به، وأنا على ذلك أكتمه من أبي سفيان، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام عمرة القضية وأنا مسلم مصدق به، وعلم أبو سفيان بإسلامي، فقال لي يوماً: «لكن أخوك خير منك، وهو على ديني»، فقلت: لم آل نفسي خيراً، قال: فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح، فأظهرت إسلامي، ولقيته فرحب بي، وكتبت له»^(١).

وقد أطال الحافظ ابن حجر رحمته الله في شرح الحديث وتحقيق القول في هذا الحديث؛ بذكر الأقوال الواردة في شرحه وتأويله، وتوجيهها^(٣).

فضائله:

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من جملة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين ثبتت لهم الفضائل العامة الواردة في الكتاب والسنة، وفي هذا المقام نشير إلى الأحاديث التي ثبتت له على وجه الخصوص، ومن ذلك:

ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر معاوية رضي الله عنه، فقال: «اللَّهُمَّ اجعله هاديًا مهديًا، وأهد به»^(٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٧٣٠)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١٢٤٦).

(٣) ينظر: فتح الباري (٣/٥٦٥، ٥٦٦)، وعمدة القاري (١٠/٦٦، ٦٧) [دار إحياء التراث العربي]، ونيل الأوطار (٥/١٣٠، ١٣١) [دار الحديث، ط ١]، فإنهما لخصاً كلام ابن حجر في هذه المسألة.

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٤٢) وحسنه، وأحمد (٢٩/٤٢٦) [مؤسسة الرسالة، =

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (متمم الصحابة/١٠٦) [مكتبة الصديق]، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/٦٧) [دار الفكر]، وفي سننه أبو بكر بن أبي سبرة، وقد رمي بالوضع. وينظر: تاريخ دمشق (٥٩/٥٧) قول ابن سعد، و(٥٩/٦٠) قول أبي نعيم، و(٥٩/٦٢) قول أبي بكر الخطيب.

وقد نقل ابن أبي يعلى الفراء في ترجمة أبي حفص عمر بن إبراهيم العكبري قوله: «سألني سائل: عن رجل حلف بالطلاق الثلاث إنَّ معاوية رضي الله عنه في الجنة؟ فأجبت: إنَّ زوجته لم تطلق فليقم على نكاحه، وذكرت له أن أبا بكر محمد بن عسكر سئل عن هذه المسألة بعينها؟ فأجاب بهذا الجواب. قال: وسئل شيخنا ابن بطة عن هذه المسألة بحضرتي، فأظنه ذكر جواب محمد بن عسكر فيها. وسمعت الشيخ ابن بطة يقول: سمعت أبا بكر بن أيوب يقول: سمعت إبراهيم الحربي وسئل عن هذه المسألة فقال: لم تطلق زوجته فليقم على نكاحه، قال^(٣): والدليل على ذلك ما روى العرياض بن سارية؛ أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لمعاوية بن أبي سفيان: «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَقِهِ الْعَذَابَ»، فالنبي مجاب الدعاء فإذا وقي

حبان (كتاب إخباره رضي الله عنه عن مناقب الصحابة، رقم ٧٢١٠)، وقال الهيثمي: (فيه الحارث بن زياد، ولم أجد من وثقه، ولم يرو عنه غير يونس بن سيف، وبقية رجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف). مجمع الزوائد (٣٥٦/٩) [مكتبة القدسي].

لكن ذكر الألباني له عدة شواهد في السلسلة الصحيحة رقم (٣٢٢٧).

وللحديث طرق ومخارج، ينظر تفصيل تخريجها والكلام عليها في: منزلة معاوية بن أبي سفيان عند أهل السنة والجماعة لأمير قروي (٣٨٥/١ - ٤٠٢). (٣) الذي يظهر - والله أعلم - أن القائل هنا صاحب الترجمة أبو حفص العكبري، ويحتمل أن ترجع إلى آخر قائل؛ وهو إبراهيم الحربي.

يقول ابن حجر الهيتمي: «فتأمل هذا الدعاء من الصادق المصدوق وأن أدعيته لأُمَّته - لا سيما أصحابه - مقبولة غير مردودة، تعلم أن الله سبحانه استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء لمعاوية؛ فجعله هاديًا للناس مهديًا في نفسه، ومن جمع الله له بين هاتين المرتبتين كيف يتخيل فيه ما تقوله عليه المبطلون، ووصمه به المعاندون، معاذ الله لا يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء الجامع لمعالي الدنيا والآخرة المانع لكل نقص نسبتبه إليه الطائفة المارقة الفاجرة، إلا لمن علم صلى الله عليه وسلم أنه أهل لذلك حقيق بما هنالك...»^(١).

وثبت عن العرياض بن سارية رضي الله عنه؛ أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم - وهو يدعو إلى السحور في شهر رمضان - يقول: «هَلِّمْ إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارَكِ»، ثم سمعته يقول: «اللَّهُمَّ عَلِّمْ مَعَاوِيَةَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ، وَقِهِ الْعَذَابَ»^(٢).

[١] = وغيرهم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٦٩).

وللحديث طرق ومخارج، ينظر تفصيل تخريجها والكلام عليها في: منزلة معاوية بن أبي سفيان عند أهل السنة والجماعة والرد على شبهات الطاعنين فيه، لأمير بن أحمد قروي (٣٧٢/١ - ٣٨٤) [دار منار التوحيد، ط ١].

(١) تطهير الجنان واللسان (١٤) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٢) أخرجه أحمد (٣٨٢/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن خزيمة (كتاب الصيام، رقم ١٩٣٨)، وابن

والذهبي^(٧)، وابن كثير^(٨)، وابن حجر^(٩)، والصّالحي^(١٠)، وغيرهم، كما عدّه البيهقي^(١١) والسّيوطي^(١٢) من دلائل نبوته ﷺ.

- كما أخبر رسول الله ﷺ أن مُلك معاوية بن أبي سفيان ﷺ مُلك ورحمة؛ إذ يقول ﷺ: «أول هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكًا ورحمة...»^(١٣)، «فكانت نبوة النبي ﷺ نبوة ورحمة، وكانت خلافة الخلفاء الراشدين خلافة نبوة ورحمة، وكانت إمارة معاوية ملكًا ورحمة، وبعده وقع ملك عضوض»^(١٤)، وقد اتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة؛ فإنّ الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة وهو أول الملوك؛ كان ملكه ملكًا

العذاب فهو من أهل الجنة...»^(١١).

- وثبت عن النبي ﷺ أنّه قال لمعاوية ﷺ ناصحًا له: «يا معاوية، إن وليت أمرًا فاتق الله ﷻ واعدل»، قال: «فما زلت أظن أنّي مبتلى بعمل لقول النبي ﷺ حتى ابتليت»^(١٢).

هذا الحديث من فضائل خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان؛ كيف وقد جاء في أوله في بعض طرقة: أنّه ﷺ أخذ الإداوة يتبع النبي ﷺ، فبينما هو يوضئ النبي ﷺ قال له ذلك، ثمّ تخصيصه ﷺ لمعاوية ﷺ بهذه الوصية دليل على مكانته وجليل قدره، ولذا عدّه غير واحد من أهل العلم من الأحاديث الواردة في فضائله ﷺ، ومن أولئك: الآجري^(٣)، واللالكائي^(٤)، وقوام السنّة^(٥)، والعلائي^(٦)،

(٧) ينظر: سير أعلام النبلاء (٣/١٣١).

(٨) ينظر: البداية والنهاية (٦/٢٢٠)، و(٨/٢٠)، و(٨/١٢٣) وغيرها.

(٩) ينظر: الإصابة (٦/١٥٣).

(١٠) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١٠/٨٧)، و(١١/٣٩٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ].

(١١) ينظر: دلائل النبوة (٦/٤٤٦) [دار النفائس، ط ٢، ١٤٠٦هـ].

(١٢) كما في الخصائص الكبرى (٢/١٩٨، ١٩٩) [دار الكتب العلمية].

(١٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/٨٨) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وقال الهيثمي في المجمع (٥/١٩٠) [مكتبة القدسي]: رجاله ثقات. وجود الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٢٧٠).

(١٤) أفاده ابن تيمية في سؤال في يزيد بن معاوية، في جامع المسائل (٥/١٥٤) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(١) طبقات الحنابلة (٢/١٩٣) [دار المعرفة، بيروت]،

وينظر: المقصد الأرشد لابن مفلح (٢/٢٩١) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٢) أخرجه أحمد (٢٨/١٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]،

وأبو يعلى (١٣/٣٧٠) [دار المأمون، ط ١]، وفي سند أحمد انقطاع، وفي سند أبي يعلى راوٍ ضعيف، كما أشار محققو المسند.

وانظر: منزلة معاوية بن أبي سفيان عند أهل السنّة والجماعة لقروي (١/٣١٠ - ٣١٢).

(٣) ينظر: الشريعة (٥/٢٤٧٧) وما بعدها.

(٤) ينظر: شرح الأصول (٨/١٤٣٩) [دار طيبة، ط ٨].

(٥) ينظر: الحجّة في بيان المحجّة (٢/٤٠٢، ٤٠٣) [دار الراية، ط ٢، ١٤١٩هـ].

(٦) ينظر: تحقيق منيف الرتبة (٨٩، ٩٠) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٠هـ].

ورحمة... وكان في ملكه من الرحمة والحلم ونفع المسلمين ما يعلم أنه كان خيراً من ملك غيره»^(١).

- وثبت عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه؛ أنه قال: «كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواريت خلف باب، قال: فجاء فَحَطَّأَنِي حَطَّاءً»^(٢)، وقال: اذهب وادع لي معاوية، قال: فجئت، فقلت: هو يأكل، قال: ثم قال لي: اذهب وادع لي معاوية، قال: فجئت، فقلت: هو يأكل فقال: لا أشبع الله بطنه»^(٣).

وهذا الحديث هو أصح ما روي في فضل معاوية رضي الله عنه، كما ذكر ذلك الحافظ ابن عساكر^(٤)، وقد أورد الإمام

مسلم هذا الحديث بعد أحاديث من هذا القبيل؛ والتي تتعلق بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم على أشخاص وهو عليه الصلاة والسلام لا يريد الدعاء عليهم، وإنما هو دعاء لهم في الحقيقة؛ ولذلك بؤب عليها التّووي رضي الله عنه بقوله: «باب من لعنه

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٧٨). وينظر: منهاج السنّة (٤٥٣/٧).

(٢) حَطَّأَهُ، ضرب ظهره بيده مبسوطة. ينظر: مختار الصحاح (٦٠) [المكتبة العصرية، ط ٥، ١٤٢٠هـ]، ولسان العرب (١/٥٧) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٠٤).

(٤) تاريخ دمشق (١٠٦/٥٩). وينظر: البداية والنهاية (١٢٢/٨).

النبي صلى الله عليه وسلم أو سبّه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك؛ كان له زكاة وأجرًا ورحمة»^(٥)، ومن تلك الأحاديث التي أوردها الإمام مسلم رضي الله عنه:

١ - عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان، فكلماه بشيء لا أدري ما هو فأغضباه، فلعنهما وسبهما، فلما خرجا، قلت: يا رسول الله، من أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان، قال: وما ذاك؟، قالت، قلت: لعنتهما وسببتهما قال: أو ما علمت ما شارطت عليه ربي؟ قلت: اللّهُمَّ إنّما أنا بشر، فأبي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرًا»^(٦).

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللّهُمَّ إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه؛ فإنّما أنا بشر، فأبي المؤمنين آذيتهم، شتمتهم، لعنتهم، جلدتهم، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقر به بها إليك يوم القيامة»^(٧).

قال التّووي: «وقد فهم مسلم رضي الله عنه من هذا الحديث أنّ معاوية لم يكن مستحقاً للدّعاء عليه، فلهذا أدخله في

(٥) صحيح مسلم (٤/٢٠٠٧).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٠٠).

(٧) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٠١).

هذا الباب، وجعله غيره من مناقب معاوية؛ لأنه في الحقيقة يصير دعاء له^(١).

مكانته:

لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مكانة عالية رفيعة عند أهل السنة والجماعة، من زمن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإلى يوم الناس هذا^(٢)، ومن تلك الأقوال الماثورة عن سلف الأمة وعلمائها، ما يلي:

يقول الإمام الأوزاعي رحمته الله: «أدرت خلافة معاوية جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم ينتزعوا يداً من طاعة، ولا فارقوا جماعة»^(٣).

وقال أيضاً: «أدرت خلافة معاوية رضي الله عنه عدّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم: سعد، وأسامة، وجابر، وابن عمر، وزيد بن ثابت، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد، ورافع بن خديج، وأبو أمامة، وأنس بن مالك، ورجال أكثر ممّن سمّينا بأضعاف مضاعفة، كانوا مصابيح الهدى وأوعية العلم، حضروا من الكتاب تنزيله، وأخذوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويله.

(١) شرح صحيح مسلم (١٥٦/١٦).

(٢) وفي كتاب: منزلة معاوية بن أبي سفيان عند أهل السنة والجماعة (٤٢٣/١ - ٤٧٣) تتبع لتلك الأقوال التي تثبت وتبيّن تلك المكانة والمنزلة، فليرجع إليه للاستزادة.

(٣) الاستيعاب (١٤٢٠/٣).

ومن التابعين لهم بإحسان - إن شاء الله - منهم: المسور بن مخرمة^(٤)، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن مَحْرِيْز، في أشباه لهم، لم ينزعوا يداً عن جماعة في أمة محمّد صلى الله عليه وسلم^(٥).

ولم يكن هذا شأنهم فحسب، بل ثبتت عنهم كلمات رائقة رائعة في الثناء على خال المؤمنين رضي الله عنه، ومما جاء عنهم في ذلك:

ما قاله الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعجبون من دهاء هرقل وكسرى، وتدعون معاوية»^(٦)، وفي لفظ عنه رضي الله عنه: «تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما؛ وعندكم معاوية»^(٧).

وقال أيضاً قبيل موته رضي الله عنه: «اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار، وإني إنما بعثتهم عليهم ليعدلوا عليهم، وليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، ويقسموا فيهم فيئهم، ويرفعوا إليّ ما

(٤) الصحيح أنه صحابي جليل رضي الله عنه.

(٥) ينظر: تاريخ أبي زرعة (٧، ٢٧) [مجمع اللغة العربية، دمشق]، وتاريخ دمشق (١٥٨/٥٩).

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١١٩/٥٩)، من طريق ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن عمر به، وعلقه الذهبي في السير (١٣٤/٣)، وتاريخ الإسلام (٣١١/٤)، عن ابن أبي ذئب به.

(٧) أخرجه الطبري في التاريخ (٢٦٤/٣)، بسنده عن ابن أبي ذئب به بمثل الإسناد السابق، وينظر: الكامل في التاريخ (٣٧٣/٣).

قيل له: هل لك في أمير المؤمنين معاوية؛ فإنه ما أوتر إلا بواحدة - فقال رضي الله عنه: «أصاب؛ إنه فقيه»^(٨)؛ أي: «يعرف أبواب الفقه»^(٩).

وثبت عنه رضي الله عنه - في رواية - أنه قال: «ليس أحد منّا أعلم من معاوية»^(١٠).

وقد قيل له رضي الله عنه: إن معاوية لم يوتر حتى أصبح، فأوتر بركعة، فقال: «إن أمير المؤمنين عالم»^(١١).

قال أبو إسحاق السبعي رضي الله عنه: «كان معاوية، وما رأينا بعده مثله»^(١٢)، وكان يقول ذلك كلما ذكر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه^(١٣).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٣٧٦٥)، وفي رواية (رقم ٣٧٦٤) أنه قال: «دعه؛ فإنه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم».

(٩) ينظر: عمدة القاري (١٦/٢٤٨).

(١٠) أخرجه الشافعي في مسنده (٨٦) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٣٧٠هـ]، وعبد الرزاق في مصنفه (كتاب الصلاة، رقم ٤٦٤١).

(١١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (متمم الصحابة/١٢٦) [مكتبة الصديق]، ومن طريقه ابن عساکر في تاريخه (١٦٥/٥٩)، ويشهد له ما سبق.

(١٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/١٢٢، ١٢٣)، برقم (٤٧)، ومن طريقه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٥٩/١٧٢)، قال: أخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، فذكره، وهذا إسناد [كوفي] صحيح، كما قال محقق الطبقات.

وأخرجه الخلال في السُّنَّة (٢/٤٣٨) (برقم ٦٧٠)، والأثر - كما في منهاج السُّنَّة (٦/٢٣٤) - من طريق محمد بن العلاء، عن أبي بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، فذكره، وهذا إسناد [كوفي] صحيح أيضًا، كما قال محقق السُّنَّة.

(١٣) كما قال أبو بكر بن عياش في رواية ابن سعد السابقة.

أشكل عليهم من أمرهم»^(١).

وهو الذي يقول رضي الله عنه: «والله ما ألو أن أختار خياركم»^(٢)، وقد جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه الشام كلها، وأقره عثمان بن عفان رضي الله عنه على ذلك^(٣)، قال الذهبي رحمته الله: «حسبك بمن يؤمره عمر، ثم عثمان على إقليم - وهو ثغر - فيضبطه، ويقوم به أتم قيام، ويرضي الناس بسخائه وحلمه»^(٤)، وقال ابن تيمية رحمته الله: «ولا استعمل عمر قط؛ بل ولا أبو بكر على المسلمين منافقًا»^(٥).

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «ما رأيت أحدًا بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب»؛ يعني: معاوية^(٦).

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «إني لأتمنى أن يزيد الله عليك معاوية من عمري في عمره»^(٧).

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما - وقد

(١) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٦٧).

(٢) أخرجه أبو عبيد في الأموال (٧١٣) (برقم ١٩٢٠) [دار الفكر، بيروت].

(٣) كما قال خليفة بن خياط رحمته الله في تاريخه (١٥٥، ١٧٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/١٣٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٥/٦٥).

(٦) ينظر: تاريخ دمشق (٥٩/١٦٠، ١٦١)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢/٥٤٤) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤١٣هـ]، والسير (٣/١٥٠).

(٧) أخرجه أبو عروبة كما في المنتقى من الطبقات (٦٨) [دار البشائر، ط ١، ١٩٩٤م].

بيان مكانة ومنزلة هذا الصحابي الجليل.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: كتابة معاوية رضي الله عنه

للوحي:

لقد كان لمعاوية رضي الله عنه مكانة عالية، ومنزلة خاصة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلته كاتباً بين يديه صلى الله عليه وسلم، أميناً على وحي ربه صلى الله عليه وسلم؛ فقد روى مسلم ^(٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أنه قال: «خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: الله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل عنه حديثاً مني، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن به علينا، قال: الله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله صلى الله عليه وسلم يباهي بكم الملائكة». وفي رواية زيادة: «إنكم لا

وذكر رضي الله عنه معاوية رضي الله عنه، فقال: «لو أدركتموه - أو أدركتم زمانه -؛ كان المهدي» ^(١).

وقال مجاهد بن جبر رضي الله عنه: «لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي؛ من فضله» ^(٢).

وقال إبراهيم بن ميسرة رضي الله عنه: «ما رأيتم عمر بن عبد العزيز ضرب إنساناً قط، إلا إنساناً شتم معاوية؛ فضربه أسواطاً» ^(٣).

وقال أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي رضي الله عنه [٢٤١هـ]: «معاوية ستر لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه» ^(٤).

إلى غير ذلك من النقول العظيمة في

(١) أخرجه الخلال في السنة (٤٣٩/٢) برقم (٦٧٢)، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبو سعيد الأشج، قال: ثنا أبو أسامة [حماد بن أسامة]، قال: حدثني الثقة، عن أبي إسحاق، فذكره، وقد ضعفه محقق السنة؛ لأجل إبهام شيخ حماد.

(٢) أخرجه الخلال في السنة (٤٣٨/٢) برقم (٦٦٩)، والبغوي في معجم الصحابة (٣٦٨/٥) برقم (٢١٩١)، وأبو عروبة الحراني كما في المنتقى من الطبقات (٦٧)، والأجري في الشريعة (٥/٢٤٦٥) برقم (١٩٥٣).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح الأصول (٧/١٢٦٥)، (١٢٦٦) برقم (٢٣٨٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/٢١١)، من طريق ابن المبارك، عن محمد بن مسلم، عن إبراهيم بن ميسرة، فذكره، وينظر: الصارم المسلول (٣/١٠٥٩) [رمادي للنشر، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/٢٠٩)، وينظر: البداية والنهاية (٨/١٣٩).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٠١).

وقد بَوَّبَ عليه الأجرى في الشريعة (٥/٢٤٥٩):

«باب ذكر صحبة معاوية رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم، ومنزلته عنده».

تجدون رجلاً منزلته من رسول الله ﷺ أمرهم للناس»^(٤).
 منزلتي، أقل حديثاً عنه مني، كنت
 ختنته^(١)، وكنت في كتابه، وكنت أرحل
 له ناقته»^(٢).

وقال أيضاً: «وأما قول الرافضي:

«وسموه كاتب الوحي، ولم يكتب له
 كلمة واحدة من الوحي»، فهذا قول بلا
 حجة ولا علم؛ فما الدليل على أنه لم
 يكتب له كلمة واحدة من الوحي، وإنما
 كان يكتب له رسائل.

وقوله: «إن كُتِّب الوحي كانوا بضعة
 عشر أخصهم وأقربهم إليه علي»، فلا
 ريب أن علياً كان ممن يكتب له أيضاً،
 كما كتب الصلح بينه وبين المشركين عام
 الحديبية، ولكن كان يكتب له أبو بكر
 وعمر أيضاً، ويكتب له: زيد بن ثابت
 بلا ريب... ومعاوية ﷺ»^(٦).
 وقال أيضاً: «هو واحد من كُتِّب
 الوحي»^(٧).

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «معاوية بن أبي
 سفيان الخليفة أحد كتاب الوحي...»^(٨).

- المسألة الثانية: حرص معاوية ﷺ
 على حديث النبي ﷺ:
 لقد كان معاوية ﷺ - إضافة إلى

وقد وردت عدة نصوص تدل على
 ثبوت كتابة معاوية ﷺ للوحي، من
 ذلك:

١ - ما أخرجه مسلم من حديث ابن
 عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كان المسلمون لا ينظرون
 إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال
 للنبي ﷺ: «يا نبي الله، ثلاث
 أعطينهن، قال: «نعم». قال: عندي
 أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي
 سفيان أزوجكها، قال: «نعم». قال:
 ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال:
 «نعم». قال: وتؤمرني حتى أقاتل
 الكفار كما كنت أقاتل المسلمين، قال:
 «نعم»^(٣).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ فيمن قال: لا
 أقول إن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول
 إنه خال المؤمنين؛ فإنه أخذها بالسيف
 غضباً: «هذا قول سوء رديء، يجانبون
 هؤلاء القوم، ولا يجالسون، ونبيّن

(١) ختن الرجل؛ المتزوج بابنته أو أخته. انظر: لسان
 العرب (١٣/١٣٨).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (١/
 ٣٨٠) [دار الراية، ط ١، ١٤١١هـ]، والآجري في
 الشريعة (٥/٢٤٦١) [دار الوطن، ط ٢]، وقال محقق
 الشريعة: «إسناده صحيح».

(٣) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٠١).

(٤) أخرجه الخلال في السُّنة (٢/٤٣٤) برقم (٦٥٩)،
 وصححه المحقق.

(٥) منهاج السُّنة النبوية (٤/٤٣٩).

(٦) المصدر السابق (٤/٤٢٧، ٤٢٨).

(٧) المصدر السابق (٤/٤٤٢).

(٨) المجموع شرح المهذب (١/١١٤) [دار الفكر].

وعنه أنه قال: «ياكم وأحاديث؛ إلا حديثاً كان في عهد عمر؛ فإن عمر كان يخيف الناس في الله ﷻ، سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما أنا خازن، فمن أعطيته عن طيب نفس فيبارك له فيه، ومن أعطيته عن مسألة وشره، كان كالذي يأكل ولا يشبع»^(٣).

وكتب معاوية ﷺ إلى عبد الرحمن بن شبل ﷺ: «أن علم الناس ما سمعت من رسول الله ﷺ»^(٤).

- المسألة الثالثة: خلافته عموماً ﷺ:

«كانت مدة خلافة معاوية ﷺ تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر تقريباً، منذ أن تنازل له الحسن بن علي ﷺ، في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين إلى أن توفي في رجب سنة ستين.

وكانت خلافة معاوية ﷺ خيراً للمسلمين، حيث زال تفكير الأعداء باستعادة المراكز التي تخلّوا عنها، إذ

كتابته للوحي - أحد رواة الحديث عن النبي ﷺ، وهذا أمر ثابت مسطر في كتب الحديث وغيرها، ومما يشهد لذلك:

أن ورّاداً مولى المغيرة بن شعبة ﷺ قال: «كتب معاوية إلى المغيرة: اكتب إلي ما سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة، فأملى علي المغيرة، قال: سمعت النبي يقول خلف الصلاة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»، وقال ابن جريح: أخبرني عبدة أن ورّاداً أخبره بهذا، ثم وفدت بعد إلى معاوية فسمعتة يأمر الناس بذلك القول^(١).

وكتب معاوية بن أبي سفيان مرة إلى مسلمة بن مخلد: «أن سل عبد الله بن عمرو بن العاص، هل سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا قدّست أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قويها وهو غير مضطهد»، فإن قال: نعم، فاحمله إلي على البريد، فسأله فقال: نعم، فحملة على البريد من مصر إلى الشام، فسأله معاوية فأخبره، فقال معاوية ﷺ: وأنا قد سمعته، ولكن أحببت أن أثبت^(٢).

[مكتبة القدسي]: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

والحديث المرفوع في هذه القصة ثابت، وهو مروى عن غير واحد من الصحابة. انظر: السلسلة الضعيفة (٣٥٦/١٤)، وصحيح الجامع (٨٤٣/٢).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٣٧).

(٤) أخرجه أحمد (٤٣٧/٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم في المستدرک (كتاب النكاح، رقم ٢٧٧٣) وصححه، وقوى إسناده ابن حجر في الفتح (٩/١٠١) [دار المعرفة]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٢٦).

(١) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٩٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٨٧/١٩) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وقال الهيثمي في المجمع (٢٠٩/٥).

مستقلًا بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو»^(٤).

موقف المخالفين منه:

من الأمور اللافتة أن معاوية رضي الله عنه قد طعن فيه من طوائف كثيرة من أهل البدع، ولم يسلم إلا من أهل السنة والجماعة، وهذا من توفيق الله لهم، وفيما يلي بعض النقول اليسيرة الكاشفة لمواقف أبرز تلك الطوائف المنحرفة في هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه:

- الخوارج: قال أبو الحسن الأشعري رحمته الله: «والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر، وينكرون إمامة عثمان رضوان الله عليهم في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة علي قبل أن يُحَكَّم، وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم، ويكفرون معاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري»^(٥).

- الشيعة الإمامية الاثني عشرية: فهم أكبر الوالغين في عرض معاوية رضي الله عنه، ومن جملة ما قالوه في حقه رضي الله عنه:

رجع المسلمون فوجها قوتهم إلى مناطق الثغور، وانطلقوا للجهاد والدعوة والعمل، فعادت أيام الفتح، وقطع الروم بخاصة أملمهم بالرجوع إلى الأماكن التي فقدوها، لذا عُرف بدء خلافته بعام الجماعة؛ إذ توحدت كلمة المسلمين بعد اختلاف، واجتمعت جيوشهم بعد افتراق فكان ذلك خيرًا لهم، وسرورًا لأنفسهم»^(١)، وتحقق بذلك قول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم للحسن رضي الله عنه: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(٢).

«وقد خرج مصداق هذا القول فيه بما كان من إصلاحه بين أهل العراق وأهل الشام وتخليه عن الأمر؛ خوفًا من الفتنة، وكراهية لإراقة الدم، ويسمى ذلك العام: سنة الجماعة، وفي الخبر دليل على أن واحدًا من الفريقين لم يخرج بما كان منه في تلك الفتنة من قول أو فعل عن ملة الإسلام؛ إذ قد جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم مسلمين»^(٣).

قال ابن كثير رحمته الله: «انعدت الكلمة على معاوية، وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين، فلم يزل

(١) انظر: معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وأسرته لمحمود شاعر (١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٦٢٩).

(٣) انظر: معالم السنن للخطابي (٣٧/٧) [المطبعة العلمية، ١٦، ١٣٥١هـ].

(٤) انظر: البداية والنهاية (١١٩/٨).

(٥) مقالات الإسلاميين (١٢٥) [دار فرانز شتايز، ط ٣، ١٤٠٠هـ].

منهم^(٩)، إلى غير ذلك من الأقوال الساقطة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

- المعتزلة: يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: «... إنا نعلم من حال الصحابة، وخاصة من حال علي بن أبي طالب عليه السلام، أنهم كانوا لا يعظمون صاحب الكعبة، ولا يوالونه في الله وكتابه، بل يلعنونه ويستخفون به، ولهذا فإن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول في قنوته: «اللَّهُمَّ العن معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص»...»^(١٠).

ويقول عالمهم ومقدمهم أحمد بن يحيى بن المرتضى المعتزلي - وهو يحكي معتقد المعتزلة -: «وأكثرهم على البراءة من معاوية وعمرو بن العاص»^(١١).

سبحانك هذا بهتان عظيم؛ فإنه من المعلوم أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما شهدت بذلك النصوص، والتي سبق إيراد شيء منها، وأن إسلامه مما لا يشك فيه رجل يؤمن بالله واليوم الآخر؛ وقد أبدع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في بيان هذه المسألة المهمة، حين سئل: عن إسلام

- أنه لم يسلم إلا بالاسم^(١)، وأنه بقي على جاهليته الأولى^(٢).

- ولم يمت حتى علق الصليب في عنقه^(٣).

- وأنه أحد أصحاب التواييت التي في أسفل درك الجحيم^(٤).

- وأنه يعذب في نار جهنم منذ مات، وينسبون إلى عدد من الأئمة أنهم رأوه مغلولاً في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً في واد من أودية جهنم^(٥).

- ويزعمون أيضاً أنه كان شرّاً من إبليس^(٦).

- وأنه إمام من أئمة الكفر^(٧).

- وأنه كان طليقاً، منافقاً، معانداً لله ولرسوله وللمؤمنين^(٨).

- وأنه كان من أعداء آل محمد، وخاصة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(١) انظر: ظلال الشيع لمحمد علي الحسيني (٢٨٦).

(٢) انظر: مقدمة مرآة العقول للعسكري (٣٨/١).

(٣) انظر: الصراط المستقيم للياضي (٥٠/٣).

(٤) انظر: الخصال للصدوق (٤٥٨/٢، ٤٨٥)، والبرهان للبحراني (٥٢٨/٤)، ومقدمة البرهان للعالمي (٢٦٣).

(٥) انظر: بصائر الدرجات الكبرى للصفار (٣٠٤ - ٣٠٧)، والاختصاص للمفيد (٢٧٥ - ٢٧٧)، وتفسير الصافي للكاشاني (٤٩١/٢).

(٦) انظر: منهاج الكرامة للحلي (١١٦).

(٧) انظر: الشافي للمرتضى (٢٨٧)، وتلخيص الشافي للطوسي (٤٦٢).

(٨) انظر: المصباح للكفعمي (٥٥٢)، والشيعية والحاكمون لمحمد مغنية (٣٩)، وأبو طالب مؤمن قريش للخنيزي (٥١).

(٩) انظر: الجمل للمفيد (٤٩)، ومنهاج الكرامة للحلي (١١٦)، والكشكول للآملي (١٦٠)، والشيعية في الميزان لمغنية (٢٥٥).

(١٠) شرح الأصول الخمسة (١٤٠، ١٤١).

(١١) كتاب طبقات المعتزلة (٨)، وكتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل (٦).

معاوية بن أبي سفيان متى كان؟ وهل كان إيمانه كإيمان غيره أم لا؟ وما قيل فيه غير ذلك؟

فأجاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إيمان معاوية بن أبي سفيان ثابت بالنقل المتواتر^(١)، وإجماع أهل العلم على ذلك... وأما إسلامه عام الفتح... فمتفق عليه بين العلماء؛ سواء كان أسلم قبل ذلك أو لم يكن إسلامه إلا عام فتح مكة؛ ولكن بعض الكذابين زعم: أنه عيّر أباه بإسلامه، وهذا كذب بالاتفاق من أهل العلم بالحديث... وكان معاوية أحسن إسلامًا من أبيه باتفاق أهل العلم...»^(٢).

فكيف يحكم بردته والعياذ بالله بعد ذلك؟ فضلًا عن أنه لم يسلم قط، أو يطعن في عدالته وفضله؟ وقد ثبت عن العرياض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو يدعو إلى السحور في شهر رمضان -: «هلمَّ إلى الغداء المبارك»، ثم سمعته يقول: «اللَّهُمَّ علِّم معاوية الكتاب والحساب، وقه العذاب»^(٣).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا»^(٤)؛ أي: «فعلوا فعلًا وجبت لهم به الجنة، أو أوجبوا

لأنفسهم المغفرة والرحمة»^(٥). قال ابن عبد البر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لم يختلف أهل السير فيما علمت أن غزاة معاوية هذه المذكورة في حديث هذا الباب، إذ غزت معه أمّ حرام كانت في خلافة عثمان»^(٦).

وفي رواية عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن خالته أمّ حرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «نام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا قريبًا مني، ثم استيقظ يبتسم، فقلت: ما أضحكك؟ قال: «أناس من أمتي عرضوا علي يركبون هذا البحر الأخضر كالملوك على الأسرة»، قالت: فادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم نام الثانية، ففعل مثلها، فقالت مثل قولها، فأجابها مثلها، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت من الأولين»، فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازيًا أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية فلما انصرفوا من غزوهم قافلين فنزلوا الشام، فقربت إليها دابة لتركبها، فصرعتها فماتت»^(٧).

وقال ابن عبد البر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وفيه فضل لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إذ جعل من غزا تحت رايته من الأولين»^(٨).

(٥) فيض القدير (٣/٨٤).

(٦) التمهيد (١/٢٤٢).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٧٨٨)، ومسلم (الإمامة، رقم ١٩١٢).

(٨) التمهيد (١/٢٣٥). وانظر: الشريعة للأجري (٥/٢٤٤٠، ٢٤٤١) (برقم ١٩٢٢)، وشرح أصول اعتقاد =

(١) انظر: منهاج السنة (٢/٦٢).

(٢) انظر: الجواب بطوله في الفتاوى (٤/٤٦٦ - ٤٧٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٩٢٤).

فتكفي هذه النصوص ونحوها في إبطال دعاوى المخالفين الطاعنة في هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه، والله المستعان.

المعجزة

التعريف لغة:

المُعْجِزَة: اسم فاعل من الفعل الثلاثي المزيد (أعجز)؛ ومعناها: ما أُعْجِزَ به الخصم عند التَّحَدِّي، والهَاءُ للمُبَالِغَةِ. والعين والجيم والزاي أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على الضَّعْف؛ يُقال: عَجَزَ عن الشيء يعجز عَجْزًا فهو عاجز؛ أي: ضعيف، ويُقال: أعجزني فلانٌ؛ إذا عَجَزْتُ عن طلبه وإدراكه^(١).

التعريف اصطلاحًا:

المعجزة: هي «أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد من يختاره لنبوته؛ ليدلَّ على صدقه وصحة رسالته»^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والاصطلاح:

يدور المعنى اللغوي للمعجزة حول: الضعف وعدم القدرة على طلب الشيء

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستيعاب»، لابن عبد البر.
- ٢ - «الإصابة»، لابن حجر العسقلاني.
- ٣ - «تحقيق منيف الرتبة»، للعلائي.
- ٤ - «تطهير الجنان واللسان»، لابن حجر الهيتمي.
- ٥ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السنَّة الأصبهاني.
- ٦ - «سؤال في يزيد بن معاوية من جامع المسائل»، لابن تيمية.
- ٧ - «سير السلف الصالحين»، لقوام السنَّة الأصبهاني.
- ٨ - «الصارم المسلول»، لابن تيمية.
- ٩ - «فضائل الصحابة»، لأحمد بن حنبل.
- ١٠ - «المقصد الأرشد» (ج ٢)، لابن مفلح.
- ١١ - «منزلة معاوية بن أبي سفيان عند أهل السنَّة والجماعة والرد على شبهات الطاعنين فيه»، لأمير بن أحمد قروي.

(١) انظر: الصحاح (٨٨٣/٣) [دار العلم للملايين، ٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٢٣٢/٤) [دار الفكر، ط ٢]، والقاموس المحيط (٦٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٥].

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (١٥٧/٢) [الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط ٢، ١٤١٢هـ]. وانظر: المعرفة في الإسلام لعبد الله القرني (١٤١) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤١٩هـ]، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنَّة لنخبة من العلماء (١٩٩) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالسعودية، ١٤٢١هـ].

= أهل السنَّة (٨/١٤٣٨)، برقم (٢٧٧٢)، فقد عدَّ الحديث من فضائل معاوية رضي الله عنه.

فالمعجزات أمر كبير، وبرهان منير، ما طرق العالم له معارض البتة، خصوصًا مع قدم النبوات وتواترها.

● الحقيقة:

المعجزات التي أيد الله بها أنبياءه ﷺ حق وصدق، ليست من قبيل سحر السحرة والمنتبئين والكذابين وشعوذتهم ودجلهم؛ بل هي تأييد من الله تعالى، وبرهان ساطع على صدق أنبيائه ورسله وصحة رسالتهم، فإنكارها وجحدها تكذيب للشرع وخروج عن الدين.

وهذه المعجزات مختصة بالأنبياء لا يشركهم فيها أحد غيرهم، وأنها مستلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، ولا يتصور وجودها مع انتفاء صدقهم؛ لأنّ من ادعى النبوة إما أن يكون صادقًا فيؤيده الله بالآيات، وإما أن يكون كاذبًا فلا يؤيده بها. فهي ملازمة للنبوة؛ فتدل عليها ولو كان النبي مَيِّتًا أو غائبًا. ولا بدّ أن تكون في نفسها خارقة للعادة، لا يقدر عليها إلا الله تعالى، خارجة عن قدرة الإنس والجن، ولا يمكن لأحد أن يعارضها، لا بمثلها ولا بأقوى منها.

ومعجزات الأنبياء - زيادة على أنّها تأييد للرسول ودلالة على صدقهم - هي من دلائل وجود وربوبية محدثها وموجدتها ﷺ وإثبات وحدانيته؛ بل هي من أقوى الطرق - التي دلّ عليها القرآن

وإدراكه، وهذه حقيقة المعجزة في اصطلاح الشَّرْع؛ فالمقصود منها: إثبات عجز الخلق وضعفهم عن الإتيان بها أو بمثلها أو ما يقاربها، أو معارضتها؛ للدلالة على صدق الرسول ﷺ والرسالة واتباعهما. فيظهر بهذا أنّ بين المعنى اللغوي والشرعي تناسبًا وتوافقًا واضحًا.

● سبب التسمية:

سمّيت المعجزة بهذا الاسم؛ لعجز الخلق وضعفهم عن الإتيان بها أو بمثلها أو ما يقاربها، أو معارضتها.

● الأسماء الأخرى:

المعجزة هي: البينة، والبرهان، وآيات النبوة، وعلاماتها، وأعلامها، وأدلتها، والخارق للعادة.

● الحكم:

يجب على المسلم أن يعتقد أنّ الله ﷻ أرسل رسوله ﷺ لدعوة الناس إلى توحيده ودينه، وأنّه أيدهم - بعلمه وقدرته وغناه - بدلائل النبوة الكثيرة المتنوعة، والتي منها: الآيات والبيّنات والبراهين - والتي سماها المتأخرون بالمعجزات - المناسبة لأهل زمانهم؛ للدلالة على صدق نبوتهم وأنهم مرسلون من عند الله تعالى حقًا؛ ولذا يتبعها دائمًا نصرهم وحصول العقاب لهم ولأتباعهم، وإهلاك أعدائهم، مع قلة العدد والعدد!

الأدلة:

أما الأدلة على تأييد الله تعالى لأنبيائه ﷺ بالمعجزات (الآيات، والبينات، والبراهين)، وأنها دالة على صدقهم وصحة رسالتهم؛ فمنها: قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨]، وقوله ﷺ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقوله: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿اللَّهُ يَأْتِيهِم نَبَأُ الَّذِي كَانُوا يُكَفِّرُونَ عَنْ قَوْمِهِمْ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى سِتْرًا عَاطِيَةً يَبِينُ﴾ [الإسراء: ١٠١]. والآيات في هذا الباب أكثر من أن تحصر، ودلالاتها على المقصود ظاهرة بيّنة. والحمد لله.

وثبت في «الصحاحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً

وأرشد إليها العباد - التي يستدل بها على وجود الله تعالى وتوحيده وأصحتها وأوثقها، وأدلتها على الصانع وصفاته وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر.

ودلائل النبوة ومعرفة صدق النبي ليست محصورة في المعجزات - التي هي الخوارق -؛ بل تكون بالمعجزات وغيرها من الطرق الكثيرة المتنوعة - خلافاً لمن خالف في ذلك من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم -؛ مثل: النظر في أحوال الأنبياء وما اشتهروا به من الصدق والأمانة ومكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، والنظر فيما جاؤوا به من التشريعات والأخبار وما فيها من إحكام وإتقان، ينتظم مصالح العباد في الدنيا والآخرة، مما يعلم أن مثله لا يصدر إلا من نبي صادق بار، وتأييد الله تعالى لهم تأييداً مستمراً لا ينقطع، وجعل العاقبة لهم ولأتباعهم ولو بعد حين، إلى غير ذلك من الدلائل المعروفة^(١).

(١) انظر: الشفا للقاضي عياض (٣٤١/١) وما بعدها، (٥٢٣) [مطبعة عيسى البابي الحلبي]، والنَّبَات (١٢، ٣٦، ١١٢، ١١٤، ١٦٥، ٢٠٢ - ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٥٩، ٢٧١، ٢٩٩)، ومجموع الفتاوى (١١/٢٧٥، ٣١١، ٣٧٩)، والجواب الصحيح (١/٣٩٩، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٠/٥، ٤٠٥، ٤١٢، ٤١٩، ٤٠٠/٦، ٤٠١، ٥٠٠)، وشرح العقيدة الأصفهانية (١٢٠، ٢٠٨) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ]، والصواعق المرسلة (٣/١١٩٧)، والبداية والنهاية (٢/٩٩، ٧٧/٦، ٢٨٨) [دار إحياء التراث

العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ]، والفصول في سيرة الرسول ﷺ (٢٢٨، ٢٨٧) [مؤسسة علوم القرآن بدمشق، ط ٣، ١٤٠٣هـ]، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١/١٤٠، ٢/٧٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤١٧هـ].

به، ويؤيدهم بها سبحانه؛ كانشقاق القمر، ونزول القرآن، فإن القرآن هو أعظم معجزة الرسول على الإطلاق، وكحنين الجذع، ونبوع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات الكثيرة»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: لفظ (المعجزة) لا يعرف في الكتاب والسنة:

من المسائل المتعلقة بالمعجزة: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية^(٤) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من أن: لفظ (المعجزات) لا يعرف في الكتاب والسنة؛ وإنما في القرآن لفظ: الآية، والبينة، والبرهان، وهذه الأسماء تدلُّ على مقصود آيات الأنبياء، وتختص بها ولا تقع على غيرها، بخلاف: (المعجزة) و(خرق العادة)، وإن كان ذلك من بعض صفاتها؛ فهي لا تكون آية وبرهاناً حتى تكون قد خرقت العادة وعجز الناس عن الإتيان بمثلها. وسبق ذكر كثير من الآيات التي فيها هذه الألفاظ في (الأدلة)؛ فراجعها.

ثم إن إطلاق (المعجزة) على ما كان للأنبياء من خوارق العادات، و(الكرامة) على خرق العادة للأولياء؛ لم يكن

(٣) التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من

المباحث المنيفة (١٠٧).

(٤) انظر: الجواب الصحيح (٤١٢/٥)، والنُّبُوتَات

(٢٢٠).

أوحاه الله إليّ؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»^(١). والقرآن ذكر أدلة وافرة على معجزات الأنبياء بأعيانهم، لم نذكرها هنا طلباً للاختصار.

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «آيات الأنبياء هي التي تعلم أنها مختصة بالأنبياء، وأنها مستلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، وهي لا بد أن تكون خارقة للعادة، خارجة عن قدرة الإنس والجن، ولا يمكن أحداً أن يعارضها. لكن كونها خارقة للعادة ولا يمكن معارضتها هو من لوازمها، ليس هو حاداً مطابقاً لها. والعلم بأنها مستلزمة لصدقهم قد يكون ضرورياً؛ كانشقاق القمر، وجعل العصا حية، وخروج الناقة؛ فمجرد العلم بهذه الآيات يوجب علماً ضرورياً بأن الله جعلها آية لصدق هذا الذي استدل بها؛ وذلك يستلزم أنها خارقة للعادة، وأنه لا يمكن معارضتها؛ فهذا من جملة صفاتها، لا أن هذا وحده كاف فيها»^(٢).

وقال السعدي: «إن المعجزة هي ما يجري الله على أيدي الرسل والأنبياء من خوارق العادات التي يتحدون بها العباد، ويخبرون بها عن الله لتصديق ما بعثهم

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم

٤٩٨١)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٢).

(٢) النُّبُوتَات (٢٠٣)، بتصرف يسير. وانظر منه: (٢٢٠).

معجزة لنبيّ من الأنبياء فهي معجزة لخاتمهم محمد ﷺ؛ وذلك أنّ كلّ منهم بشر بمبعثه، وأمر بمتابعته؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران]؛ فما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه العهد والميثاق: لئن بعث محمد ﷺ وهو حيّ ليؤمننّ به وليتبعنه ولينصرنّه.

- المسألة الثالثة: كل معجزة لنبيّ فلنبيّنا ﷺ أمثالها:

ومن المسائل المتعلقة أيضًا: ما ذكره بعض العلماء^(٣) من: أنّ كلّ معجزة لنبيّ فلنبيّنا أمثالها؛ فمن ذلك مثلاً: نجاة نوح ﷺ في السفينة بالمؤمنين، ولا شك أنّ حمل الماء للناس من غير سفينة أعظم من السلوك عليه في السفينة - لأنّ حمل الماء للسفينة معتاد -، وقد مشى كثير من الأولياء على متن الماء؛ فهذا أبلغ من ركوب السفينة، وأبلغ أيضًا من فلق البحر لموسى ﷺ؛ لأنّ معجزته انحسار الماء، وها هنا صار الماء جسداً يمشون عليه كالأرض. وكرامات الأولياء معجزة للأنبياء؛ فهذه المعجزة منسوبة

معروفاً عن السلف والأئمة المتقدمين - كالإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ وغيره -؛ فقد كانوا يسمّون هذا وهذا معجزات، بخلاف المتأخرين من أهل الكلام؛ فالمعجزة في اللغة وعرف المتقدمين تعمّ كل خارق للعادة، ويقولون لخوارق الأولياء: إنّها معجزات إذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك، بخلاف ما كان آية وبرهاناً على نبوة النبيّ فهذا يجب اختصاصه.

وقد يسمّون (الكرامات) آيات؛ لكونها تدل على نبوة من اتّبعه الولي؛ فهذه الكرامات إنّما حصلت ببركة اتباع هذا النبيّ؛ فهي في الحقيقة تدخل في معجزاته - فكرامات الأولياء معجزات للأنبياء -، والدليل مستلزم للمدلول، يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول؛ فكذلك ما كان آية وبرهاناً - وهو الدليل والعلم على نبوة النبيّ - يمتنع أن يكون لغير النبيّ^(١).

- المسألة الثانية: كل معجزة لنبي من الأنبياء هي معجزة لخاتمهم محمد ﷺ:

ومن المسائل المتعلقة أيضًا: ما ذكره غير واحد من العلماء^(٢) من أنّ: كل

(١) انظر: الجواب الصحيح (٤١٩/٥)، ومجموع الفتاوى (٣١١/١١). وانظر منه (٢٧٥/١١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والبداية والنهاية لابن كثير (١٦٩/٦، ٢٦٦، ٢٨٩).

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢٨٩/٦).

(٣) المرجع السابق.

إلى النبي ﷺ وبركة اتباعه .

- المسألة الرابعة: دلائل النبوة لا تنحصر بالمعجزة:

دلائل النبوة ومعرفة صدق النبي ليست محصورة في المعجزات التي هي الخوارق؛ بل تكون بالمعجزات وغيرها من الطرق الكثيرة المتنوعة، خلافاً لمن خالف في ذلك من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم؛ مثل: النَّظَر في أحوال الأنبياء وما اشتهروا به من الصِّدْق والأمانة ومكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، والنظر فيما جاؤوا به من التشريعات والأخبار وما فيها من إحكام وإتقان، ينتظم مصالح العباد في الدنيا والآخرة، مما يعلم أن مثله لا يصدر إلا من نبي صادق بار، وتأيد الله تعالى لهم تأييداً مستمراً لا ينقطع، وجعل العاقبة لهم ولأتباعهم ولو بعد حين، إلى غير ذلك من الدلائل المعروفة.

- المسألة الخامسة: معجزات الأنبياء من دلائل وجود وربوبية محدثها:

معجزات الأنبياء - زيادة على أنها تأييد للرسل ودلالة على صدقهم - هي من دلائل وجود وربوبية محدثها وموجدتها ﷻ وإثبات وحدانيته، بل هي من أقوى الطرق - التي دلَّ عليها القرآن وأرشد إليها العباد - التي يستدل بها على وجود الله تعالى وتوحيده وأصحتها وأوثقها، وأدلها على الصانع وصفاته

وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر، ودلائلها ضرورية بنفسها؛ ولذا يسميها الله تعالى في غير موضع من القرآن الكريم: (آيات بيِّنات)؛ فهي تدل بنفسها على ثبوت الصانع كسائر الحوادث، وهي تزيد على عموم الحوادث بأن دلالة الحوادث الغريبة غير المعتادة ليست كالحوادث المعتادة، فإذا اقترن خرق العادة مع دعوى الرسالة دلَّ ذلك على وجود رب قادر على كل شيء، وأنه سبحانه أراد أن يؤيد بهذه المعجزة نبية، وأن يقيم بها الحجة على مخالفه، وأمر باتباعه وطاعته، ولا وجه لوقوعها غير ذلك؛ فيكون التلازم بين وقوعها والدلالة على صدق النبي ضرورياً.

وبتعبير آخر نقول: لما ثبتت النبوة بحصول المعجزة؛ وجب تصديق النبي، وقبول سائر ما يخبر به عن الله تعالى واليوم الآخر والأمور الغيبية، والاستجابة لما يدعو إليه، وأعظم ما يدعو إليه: إثبات ربوبية الله تعالى، ووحدانيته، ولزوم طاعته وشرعه؛ فدل ذلك على أن المعجزات من أعظم دلائل ربوبية الله ﷻ ووحدانيته. والحمد لله.

- المسألة السادسة: معجزات الأنبياء منها الظاهر البيِّن ومنها ما ليس كذلك:

دلائل النبوة والمعجزات - كدلائل الربوبية - منها الظاهر والبيِّن لكل أحد (كالمعجزات الحسية)؛ لحاجة الناس

❁ الفروق:

الفرق بين دلائل النبوة والمعجزات:
تقدم بيان أنّ المعجزات نوع من أنواع دلائل النبوة الكثيرة، وأنّ دلائل النبوة لا تنحصر في المعجزات؛ فبينهما إذن عموم وخصوص؛ فكل معجزة هي من دلائل النبوة، ولا عكس.

❁ الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على الإيمان بمعجزات الأنبياء: إثبات وجود الله ﷻ، وربوبيته ووحدانيته سبحانه، وإثبات حياته وقدرته وإرادته، وعلمه بالكيليات والجزئيات، وصدق رسالة الرسل الكرام، والمبدأ والمعاد، كما تقدم تفصيله.

ومن الثمرات أيضًا: بيان شدة اعتناء رب العالمين ﷻ بأنبيائه ورسوله ﷻ، وتكريمه وتعظيمه لهم؛ بتأييدهم بالآيات والمعجزات الباهرات، والبراهين والبيانات الواضحات.

ومن الثمرات أيضًا: بيان كمال حكمة الله تعالى، وعظيم فضله على الناس ورحمته بهم؛ بإقامة الحجّة عليهم بإرسال الرسل، وتأييدهم بالمعجزات التي لا تدع لمتشكك مقالاً، ولا لراغب في الحق حيرة وضلالاً إلا أبدلتها نوراً وبرهاناً.

❁ الحكمة:

تقدم أنّ الحكمة من معجزات

إلى الإقرار بالخالق والإقرار برسله، ومنها ما يختص به من عرفه (كإعجاز القرآن مثلاً)؛ فلا يلزم ضرورة أن تكون كل آية ومعجزة صالحة لكل أحد؛ بل يستدل لكل واحد بما يناسبه من الآيات والدلائل.

- المسألة السابعة: مقارنة بين معجزاته ﷻ ومعجزات غيره من الأنبياء:

أنبياء الله ﷻ عندما أرسلهم إلى أممهم وأقوامهم، أنزل معهم معجزات حتى يصدقهم الناس ويؤمنوا برسالاتهم، ويعلمون أنهم أنبياء من عند الله تعالى حقاً. واختلفت معجزات الأنبياء، وكانت معجزة كل نبيّ مناسبة لمن أرسل إليهم من أقوامهم، وهي معجزاتٌ وقتية حسّية يراها الناس فيؤمنون بها ويستجيبون لرسولهم، وهذه المعجزات تنتهي بموتهم، وسبب ذلك أن الأنبياء والمرسلين قبل نبينا محمد ﷻ جاؤوا لأقوامهم خاصة، أما نبوة محمد ﷻ ورسالته فهي عامة للبشرية جميعاً؛ لأنه آخر الأنبياء والرسل فلا نبي بعده، ولأجل هذا كان لا بد أن تكون معجزته معجزة عالمية دائمة ومستمرة حتى بعد وفاته ﷻ، يصلح التحدي بها وإظهار إعجازها في كل زمان ومكان؛ فكانت تلك المعجزة هي كتاب الله تعالى، القرآن الكريم.

معجزات الأنبياء مختصة بهم لا يشركهم فيها غيرهم، مستلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، وأن خرقها للعادة وسلامتها من المعارضة من لوازمها وجملة صفاتها، لا أن هذا وحده كاف فيها؛ فشرط الشيء ولوازمه قد يكون أعم منه؛ فلا يصح أن يجعل مسمى المعجزة وخرق العادة هو الحد المطابق لها طردًا وعكسًا.

ثم افترقوا فريقين: فأنكر المعتزلة خوارق العادات لغير الأنبياء؛ فنفوا كرامات الأولياء والسّحر؛ لثلاث تشبه عندهم بالمعجزات، فيؤدّي إلى التباس النبي بالوليّ بالسّاحر، وليسلم لهم دليل النبوة^(٣)! وهذا أيضًا باطل ومجازفة، مصادم للكتاب والسنة وما تواتر نقل الناس له عبر العصور من إثبات الكرامات والسّحر.

أما الأشاعرة والماتريدية؛ فيثبتون كرامات الأولياء والسّحر، ويرون أنّها والمعجزات من جنس وحقيقة واحدة! ويفترقان في دعوى النبوة والتحدي بالمثل^(٤)؛ فيجيزون أن يكون كل خرق

(٤٥)، وأصول الدين للبغدادي (١٧٠) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٠١هـ]. وللماتريدية: التمهيد للنسفي (٤٦).

(٣) انظر: المغني لعبد الجبار (١٨٩/١٥، ٢٤١)، وأعلام النبوة للماوردي (٦٢) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٧هـ].

الأنبياء: الدلالة على صدق نبوتهم وصحة رسالتهم واتباعهم، وتمييزهم عن المتنبئين الكذّابين.

✽ مذهب المخالفين:

حصر المعتزلة والأشاعرة والماتريدية - خلافاً لأبي منصور الماتريدي نفسه - دلائل النبوة في المعجزات؛ فلم يصحّحوا طريقاً يقينياً لإثبات صدق الأنبياء وصحة رسالتهم إلا بالمعجزات^(١)! وهذا باطل عقلاً ونقلاً؛ فدلائل النبوة ومعرفة صدق النبي كثيرة متنوعة، والمعجزات إحداها وطريق من طرقها الصحيحة.

وقد عرفوا جميعاً المعجزة وحدوها بأنها: «أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي يظهر على يد نبيّ، سالم من المعارضة»^(٢). وقد تقدم تقرير أنّ

(١) انظر للمعتزلة: المغني للقاضي عبد الجبار (١٥/١٤٧) [المؤسسة المصرية العامة للتأليف]، وشرح الأصول الخمسة له (٥٦٨) [مكتبة وهبة، ط ١، ١٣٨٤هـ]. وللأشاعرة: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات للباقلاني (٣٧)، والإنصاف له (٦١) [مكتبة الخانجي، ط ٣، ١٤١٣هـ]، والإرشاد للنجويني (٢٦٠) [مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ]. وللماتريدية: التوحيد للماتريدي (١٨٨) [دار المشرق ببيروت]، وأصول الدين للزردوي (٩٧) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ١، ١٣٨٣هـ]، والتمهيد في أصول الدين لأبي المعين النسفي (٤٤) [دار الثقافة، القاهرة، ١٤٠٧هـ].

(٢) انظر للمعتزلة: المغني (٥٦٩/١٥)، وشرح الأصول الخمسة (٥٦٩). وللأشاعرة: البيان للباقلاني (٣٥)،

(٤) انظر للأشاعرة: البيان للباقلاني (٩١، ٩٦)، =

بمنزلة من سوى بين عبادة الرحمن وعبادة الشيطان والأوثان! (١).

ولئن كان جميع هؤلاء يشبتون اختصاص الأنبياء ﷺ بالمعجزات الدالة على صدقهم وصحة رسالتهم؛ فإن الشيعة الإمامية الاثني عشرية يسوون بين الأنبياء وأئمتهم في التأييد بالمعجزات؛ فيشبتون المعجزات أيضاً لأئمتهم تأييداً من الله لهم - بزعمهم - لإثبات الإمامة وإقامة الحججة على الخلق بهؤلاء الأئمة، ويدعون أن أئمتهم يقدرون على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجميع معجزات الأنبياء (٢)؛ فالأئمة - عندهم - هم حجة الله على الخلق ولولاهم ما عبد الله (٣)؛ ولعل هذا مرتبط أيضاً باعتقادهم في نزول الوحي على أئمتهم (٤)؛ فيحتاج الأئمة مع كل هذا

(١) الثبوت لابن تيمية (١٥٣).

(٢) انظر: ينابيع المعاجز وأصول الدلائل لهاشم البحراني (٢) [دار الكتب العلمية بقم]، وبحار الأنوار للمجلسي (٢٩/٢٧) [دار إحياء التراث، ط ٣، ١٤٠٣هـ]، وقلائد الخرائد في أصول العقائد للقزويني (٧٢) [مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٢م]، وعيون المعجزات لحسين بن عبد الوهاب (١٧، ٢٢، ٢٥، ٣٢، ٥٧، ٨٠) [مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٣، ١٤٠٣هـ].

(٣) انظر: أصول الكافي (١٧٧/١)، (١٩٢) [دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨هـ].

(٤) انظر: أصول الكافي للكلييني (١٧٦/١)، (٢٧١، ٢٤٠)، وبحار الأنوار للمجلسي (١٧/١٥٥)، (٢٦/٤٤، ٦٨، ٧٣، ٥٤/٢٣٧)، وبصائر الدرجات الكبرى للصفار (٤٣، ٩٣) [المختصر، طبعة النجف، ١٣٧٠هـ]، والشفا للقاضي عياض =

لعادة من معجزات الأنبياء، حتى لو كان من جنس خوارق الشياطين! وهذا ظاهر البطلان، معلوم الفساد بالاضطرار من دين الرسل؛ فقولهم هذا لم يجعل «آيات الأنبياء ومعجزاتهم خاصة تتميز بها عن السحر والكهانة، وعمما يكون لأحاد المؤمنين! ولم يجعلوا للنبي مزية على عموم المؤمنين، ولا على السحرة والكهان من جهة الآيات التي يدل الله بها العباد على صدقه! وهذا افتراء عظيم على الأنبياء وعلى آياتهم، وتسوية بين أفضل الخلق وشرار الخلق، بل تسوية بين ما يدل على النبوة وما يدل على نقيضها؛ فإن ما يأتي به السحرة والكهان لا يكون إلا لكذاب فاجر عدو لله؛ فهو مناقض للنبوة! فلم يفرقوا بين ما يدل على النبوة وعلى نقيضها، وبين ما لا يدل عليها ولا على نقيضها! فإن آيات الأنبياء تدل على النبوة، وعجائب السحرة والكهان تدل على نقيض النبوة، وأن صاحبها ليس ببر ولا عدل ولا ولي الله، فضلاً عن أن يكون نبياً، بل يمتنع أن يكون الساحر والكاهن نبياً؛ بل هو من أعداء الله، والأنبياء أفضل خلق الله، وإيمان المؤمنين وصلاحهم لا يناقض النبوة ولا يستلزمها؛ فهؤلاء سووا بين الأجناس الثلاثة؛ فكانوا = والإرشاد للجويني (٢٦٩). وللماتريدي: التمهيد للنسفي (٤٦).

- ٤ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.
- ٥ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العزّ الحنفيّ.
- ٦ - «الصفدية» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٧ - «الفصول في سيرة الرسول ﷺ»، لابن كثير.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ١١، ١٥)، لابن تيمية.
- ٩ - «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (ج ٣)، لعبد الرحمن المحمود.
- ١٠ - «التّبوات»، لابن تيمية.

المُعزّ

يراجع مصطلح (المعز المذل).

المُعطي المانع

التعريف لغةً:

المُعطي: اسم فاعل من العطاء، وأصله الثلاثي (ع - ط - و) الدّال على الأخذ والمناولة، يقال: عطا وأعطي يعطي عطاءً وإعطاءً وعطية فهو معطٍ، والأعطية جمعها أعطيات: الهبة، وما يعطى من الهدايا، ورجل معطاء: كثير العطاء.

وتعاطي الشيء: الجرأة على تناول ما لا يجوز تناوله، والقيام على أطراف أصابع الرجلين مع رفع اليدين ليأخذه،

إلى معجزة تؤكد صدق دعواهم! فالأئمة عندهم - على هذا - أفضل وأعلم من جميع الأنبياء والمرسلين، بما فيهم أولو العزم من الرسل^(١)! وقد تعدت هذه الاعتقادات الصورة النظرية فاتخذت صورة واقعية، تمثلت في نسبة الخوارق والمعجزات لغائبهم المنتظر، ثم تجاوزوا بها إلى ادعاء حصولها عند قبور أئمتهم وأضرحتهم! ففتحوا على أنفسهم وأتباعهم أبواباً واسعة من الشرك بالله^(٢)؛ فالله المستعان.

المصادر والمراجع:

- ١ - «آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية»، لمحمد بن عبد العزيز الشايخ.
- ٢ - «الجواب الصحيح» (ج ١، ٥، ٦)، لابن تيمية.
- ٣ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٨، ٩)، لابن تيمية.

= (٢/١٠٧٠). ولمزيد من التفصيل راجع: أصول مذهب الشيعة للقفاري (١/٣١٠، ٢/٥٨٦، ٦١٢، ٦٢٣)، وعقيدة حتم النبوّة للغامدي (١٤٣) [دار طيبة، الرياض، ١، ١٤٠٥هـ].

(١) انظر: بصائر الدرجات الكبرى للصفّار (٥/٢٤٧) [طبعة إيران، ١٢٨٥هـ]، والفصول المهمة في أصول الأئمة للحرّ العاملي (١٥١) [مكتبة بصيرتي بقم]، وعيون أخبار الرضا لابن بابويه (١/٢٦٢) [طبعة إيران، ١٣١٨هـ]، والحكومة الإسلامية للخميني (٥٢) [الحركة الإسلامية، إيران، ومطبعة الخليج، الكويت]. وانظر: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٦١٣).

(٢) انظر: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٦٢١ - ٦٢٩).

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا طَوَّيْنَا فَقَرَّ﴾ (٢٩) ❁ **التعريف شرعاً:**

اسم الجلال (المعطي) من الأسماء المتقابلة التي لا يُثنى على الله ﷻ بها إلا مع ذكر مقابله، اسم الجلال (المانع)؛ ولهذا نجد كثيراً من أهل العلم ممن أثبتوا يوردون تفسيرها في سياق واحد، فقالوا:

إن الله ﷻ هو المعطي المانع: لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، الممكن من نعمه، والحائل دونها، فجميع المصالح والمنافع منه تطلب، وإليه يرغب فيها، وهو الذي يعطيها لمن شاء تفضلاً، ويمنعها من يشاء عدلاً وابتلاء، وكل ذلك بحكمته ورحمته، لا راد لحكمه وقضائه^(٤).

قال السعدي في شرح اسمي (المعطي، المانع): «لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فجميع المصالح والمنافع منه تطلب، وإليه يرغب فيها،

ومفردات ألفاظ القرآن (٧٧٩) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٨٨٨/٢) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢].

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٣) [دار الثقافة العربية، ط ١]، والمنهاج في شعب الإيمان (٢٠٦/١) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩]، ومدارج السالكين (١٠٣/١) [دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ]، جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام (٦٣١) [دار ابن الجوزي، ط ٣، ١٤٢٠هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٤) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

[القمري]^(١).

المانع: اسم فاعل من المنع، أصله الثلاثي مَنَعَ الدَّال على خلاف الإعطاء.

قال ابن فارس: «الميم والنون والعين أصلٌ واحد هو خلاف الإعطاء. ومنَعْتُهُ الشَّيْءَ مَنَعًا، وهو مَانِعٌ وَمَنَاعٌ. وَمَكَانٌ مَنِيعٌ. وهو في عِزٍّ وَمَنَعَةٌ»^(٢).

يقال: منع يمنع منعًا فهو مانع ومَنَاعٌ، فالمنع: أن تحول بين شخص وشيء ما، ومنعه الشيء: حرمة منه، ومَنَاعٌ: بخيل بالأعطية، قال تعالى: ﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيْبٍ﴾ (١٥) [ق].

ومانعه: نازعه، وامتنع عن الشيء: كفَّ عنه، منعه فامتنع، وامتنع عليه الشيء: تعذَّر حصوله.

ومكان منيع: حصين، والمناعة: الحصانة، وهو في عزة ومنعة: حماية وممتنع عن يروم، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١]^(٣).

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٠٢/٣ - ١٠٣) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٧٨٨) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٢٤٣٠/٦ - ٢٤٣١) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، والقاموس المحيط (١٦٩٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٦٠٩/٢) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢].

(٢) مقاييس اللغة (٢٧٨/٥) [دار الجليل، ط ٢].
(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٩/٣) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٩٦٦) [دار الفكر، ط ٢]، والصحاح (١٢٨٧/٣) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م].

وهو الذي يعطيها لمن يشاء، ويمنعها من يشاء بحكمته ورحمته^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

بالرجوع إلى المعنى اللغوي لاسم المعطي والمانع يتبين أن معناهما الشرعي متصل بالمعنيين الأصليين اللذين دلَّ عليهما اسما المعطي والمانع بطريق المطابقة، فكلاهما دالٌّ على العطاء والمنع، فالله وَعَلَى يعطي ويهب من يستحق العطاء من خلقه، ويمنع من لا يستحق العطاء فيحرمه بحكمته، إلا أن معنى هذا الاسم الذي يتصف به الله تعالى هو خاص به لا يشاركه فيه أحد من المخلوقين.

الحكم:

اسم (المعطي المانع) من الأسماء الثابتة لله تعالى، كما وردت بذلك السُّنَّة الصحيحة.

الحقيقة:

دلَّ اسم المعطي المانع أن الله تعالى متفرد بالعطاء والمنع، وأن حقيقة العطاء والمنع إليك لا إلى غيرك؛ بل هو سبحانه المتفرد بها لا يشركه فيها أحد^(٢).

(١) تفسير السعدي (٩٤٨).

(٢) جلاء الأفيام (٤٦٠) [دار العروبة، الكويت، ط ٢، ١٤٠٧هـ].

الأدلة:

دلَّت النصوص من السُّنَّة النبوية على ذلك، منها:

حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم، ولا تزال هذه الأمة ظاهرين على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون»^(٣).

حديث المغيرة بن شعبة؛ أنه كتب إلى معاوية بن أبي سفيان؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلَّم: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللَّهُمَّ لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ»^(٤).

أقوال أهل العلم:

ذكر ابن القيم بعض الأسماء الحسنى وقال: «منها ما لا يطلق مفردة، بل مقرونًا بمقابله، كالمانع والضار والمنتقم، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله بالمعطي والنافع والعفو، فهو المعطي المانع الضار النافع المنتقم العفو...»^(٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣١١٦)

واللفظ له، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٣٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٤٤)، ومسلم

(كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٩٣).

(٥) بدائع الفوائد (١/١٧٧).

ومن غريب ما يشار إليه هنا: أن بعض أهل العلم أورد اسم المانع دون المعطي ومن بينهم: الزجاج^(٧)، والخطابي^(٨).

المسائل المتعلقة:

اسمَي الجلال (المعطي والمانع) من الأسماء المتقابلة التي ينبغي أن يُثنى على الله بها مجموعة في سياق واحد؛ لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، وهذا لا يعني ألا يذكر اسم المعطي لوحده مطلقاً، وإنما اسم (المانع) الدال على المنع، الذي يتضمن بعض معاني النقص في بعض الأحوال إذا كان مطلقاً غير مضاف، أما إذا أُضيف إلى الله ﷻ فإن منعه تبارك وتعالى كله خير وحكمة، لا يمنع إلا لما فيه خير العباد ومصلحتهم، وفي كل منع له حكمة قد يدركها البشر وقد لا يدركونها؛ ولهذا قال أهل العلم بأن اسم (المانع) لا يُثنى به على الله ﷻ إلا بذكر مقابله (المعطي)، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: فإن هذه الأسماء المتقابلة لا يظهر الكمال المطلق فيها إلا باجتماع الوصفين، فالإعطاء المطلق من غير منع قد يكون فيه نقص وضرر،

(٧) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى (٦٣) [دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٧٤م].

(٨) انظر: شأن الدعاء (٩٣) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ].

وقال السعدي في شرح اسمَي (المعطي، المانع): «لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فجميع المصالح والمنافع منه تطلب، وإليه يرغب فيها، وهو الذي يعطيها لمن يشاء، ويمنعها من يشاء بحكمته ورحمته»^(١).

وذكر ابن عثيمين أن من الأسماء «الذي لا يطلق إلا مقروناً بغيره؛ لكون الكمال لا يحصل إلا به؛ كالضار النافع، والمنتقم والعفو، والمانع المعطي، إذ كمال التصرف لا يحصل إلا به»^(٢).

أورد هذا الاسم معظم من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها من أهل العلم، ولم يسقطه من جمعه سوى: الزجاجي، وابن العربي، وابن الوزير، وابن حجر، وصديق حسن خان، ومحمد حمود التجدي.

وبعض أهل العلم أثبت اسم المعطي دون المانع ومن بينهم: ابن حزم^(٣)، وابن عثيمين^(٤)، والقحطاني^(٥)، وعبد الرزاق البدر^(٦).

(١) تفسير السعدي (٩٤٨).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٤٦/٧).

(٣) انظر: المحلى (٣١/٨) [إدارة المطبعة المنيرية، ط١، ١٣٥٢هـ].

(٤) انظر: القواعد المثلى (٢٠) [دار الوطن، ط١، ١٤١٢هـ].

(٥) انظر: شرح أسماء الله الحسنى (١٩٧) [دار الإيمان].

(٦) انظر: فقه الأسماء الحسنى (٣٢٣) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

راضٍ قانع، فإن أغناه صرف في طاعته غناه، وإن منعه علم أنه لم يمنعه من بخل ولا عدم؛ بل ليكون منعه معقباً له ما هو أشرف وأكرم من الغنى الذي لا ينصره، فإن جاءه من أحد من الخلق سبب من أسباب الرزق فليرد ذلك إلى الواحد الحق، وإن منعه أحد من الناس فلا يرى المانع إلا الله، فيضرب عن الأسباب صفحاً، ويجعل الله هو الكل، وكل موجود مع القدرة كالظل، لا حكم له في الفعل، فلا يذم مانعاً بوجه، ويمدح معطيّاً إلا من حيث ينظر إلى الله فيمدحه لمدح الله إياه، إذ جرت بالخير يدها على ما أجزأهما الله^(٢).

والمنع المطلق من غير إعطاء قد يكون فيه نقص وضرر على العباد، والكمال في اجتماع الإعطاء والمنع وفق الحكمة والمصلحة، وذلك شأن رب العالمين^(١).

الآثار:

١ - إيمان العبد بأن الله هو المعطي والمانع، وأنه لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى، يدفعه إلى التوجه الصادق إلى مولاه، وإخلاص العبادة له، والتقرب إليه بالصالحات، رغبة فيما عنده من الخيرات وسائر البركات والرحمات، وخشية من الحرمان؛ لأنه تعالى هو المتفرد بالعطاء والمنع، فلا يلتفت العبد إلى غير الله بالسؤال وطلب الخيرات، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، بل يطلب ذلك كله من مالكة وواهبه سبحانه.

٢ - يجب على من علم أن الله هو المعطي المانع أن يقطع من قلبه من الخلق المطامع، وأن يقف مع الله بقلب

(١) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/٢٠٦)، مجموع الفتاوى (٨/٩٤، ٩٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١، ١٤١٦هـ]، ومنهاج السنّة (٥/٤١٠) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ]، وبيان تلبيس الجهمية (٣/٣٠٠، ٣٠١) (٤/٣٧ - ٣٩) (٧/٤٦٥، ٤٦٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١، ١٤٢٦هـ]، والرسالة الأكملية (٣٩) [مطبعة المدني، ١٤٠٣هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٤).

٣ - كما ينبغي للعبد أن يعلم يقيناً أن العطاء لله ﷻ أحب إليه من المنع، كما أن العفو أحب إليه من الانتقام، فلا يتعرض لأسباب سخطه وغضبه حتى ينال منه عطاء لا منع فيه، وجوداً وكرماً لا انقطاع له، وإن هو وقع في مساخطه ومناهيه «فقد استدعى من الجواد الكريم خلاف ما هو موصوف به من الجود والإحسان والبر، وتعرض لإغضابه وإسقاطه وانتقامه، وأن يصير غضبه وسخطه في موضع رضاه، وانتقامه وعقوبته في موضع كرمه وبره وعطائه، فاستدعى بمعصيته من أفعالهما سواء

(٢) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٣٥٧) [دار الصحابة، ط ١، ١٤١٦هـ].

أحب إليه منه، وخلاف ما هو من لوازم ذاته من الجود والإحسان^(١).

٤ - كما أن مُشاهدة العبد بقلبه تفرّد الله ﷻ بالعطاء والمنع؛ وتعبّده بمقتضاهما: يجعل حظّه منهما الشكر عند العطاء؛ والافتقار عند المنع، ولا يرى أنه ترك شيئاً؛ ولا أخذ شيئاً؛ بل الله وحده هو: المُعطي المانع^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

خالف في هذا الباب طوائف من أهل البدع؛ كالصوفية وسائر القبورية، فلم يفرّدوا الله بالعطاء والمنع، ولم يخصّوا الله سبحانه بأنه المُعطي المانع، فقد اعتقدوا في بعض المخلوقين ممن يسمونهم بالأولياء أنهم يملكون النفع والضّر، والعطاء والمنع، واخترعوا لإثبات ذلك قصصاً ممجوجة وحكايات باردة؛ كمثّل ما ذكر في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني من أن أحد خدامه توفي فجاءت زوجته تتضرع وتستغيث بالشيخ وتلتجئ إليه، فتوجه الشيخ إلى المراقبة فرأى في عالم الباطن ملك الموت وهو يصعد بالأرواح المقبوضة،

فلحقه الشيخ وقال له: أرجع روح خادمي، فامتنع ملك الموت، فسحب منه الشيخ الظرف الذي فيه الأرواح، وكان على هيئة الزنبيل، ففترقت الأرواح وعادت إلى أبدان أصحابها، فشكى ملك الموت ذلك إلى ربه، فقال له: لم تعطه روح خادمه؟ فسبب روح واحدة ذهبت الأرواح كلها^(٣).

وجاء في الكتاب نفسه أن رجلاً جاء إلى الغوث الأعظم - يعني: الجيلاني - وقال: «هذا الباب العالي قبلة الحاجات وملجأ النجاة، فأنا ألتجئ إليه، وأطلب ولداً ذكراً» ثم ذكر أن الشيخ أخبره بأنه سيأتيه ما طلب فلازمه الرجل حتى ولدت له أنثى، فأخذها وجاء بها إلى الشيخ وقال له: ما هكذا الطلب، فقال له الشيخ: لفها وارجع بها إلى البيت وسترى ما يظهر من وراء أستار الغيب ففعل الرجل ذلك فإذا هي ولد^(٤).

فتوجهوا انطلاقاً من هذا وأمثاله إلى غير الله بطلب المدد، والمال والصحة والولد، وتفريج الكرب، وإنجاح الطلبات، وتحقيق الرغبات، والاستغاثة بهم فيما لا يقدر عليه أحد إلا الله

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٢١٢، ٢١٣) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ]. وانظر: نفس المصدر (١/٢١١، ٢١٢)، فقه الأسماء الحسنی (٣٢٦) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩].

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/٢٠)، الفوائد (٧٩) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٣٩٣].

(٣) انظر: تفريج الخاطر في ترجمة الشيخ عبد القادر لعبد القادر محيي الدين (٢١، ٢٢) [أصل الكتاب بالفارسية لمحمد صادق القادري، ترجمه إلى العربية عبد القادر محيي الدين، وسمّاه: تفريج الخاطر].

(٤) تفريج الخاطر في ترجمة الشيخ عبد القادر (٢٢).

كما أنه سيميتكم ويأتي بقوم بعدكم، إله مع الله يفعل هذه الأفعال؟ لا أحد يفعل مع الله شيئاً من ذلك حتى بإقراركم أيها المشركون، ولهذا كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله مخلصين له الدين لعلمهم أنه وحده المقدر على دفعه وإزالته»^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٤ - «جلاء الأفهام»، لابن القيم.
- ٥ - «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.
- ٦ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.
- ٧ - «الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال»، لابن تيمية.
- ٨ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.
- ٩ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.
- ١٠ - «مدارج السالكين» (ج ١)، لابن القيم.
- ١١ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

الواحد الأحد سبحانه، وصرفوا إليهم أنواعاً من القربات؛ كالذبح والنذر والطواف حول القبور والأضرحة، والتمسح بتربتها، وغير ذلك، فوقعوا بذلك في الشرك الصريح، قال الله تعالى: ﴿...ذَلِكَ كُفْرًا لِّمَا كُفِّرُوا بِهِ وَإِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْوَيْلَ مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾^(١) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَايِرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر].

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾؛ «أي: لا يقدر على ما تطلبون منها»^(١).

وقال الله سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٢) [النمل].

قال السعدي في تفسيرها: «أي: هل يجيب المضطر الذي أفلقتة الكروب وتعسر عليه المطلوب واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله وحده؟ ومن يكشف سوء؟ أي: البلاء والشر والنقمة إلا الله وحده؟ ومن يجعلكم خلفاء الأرض يمكنكم منها ويمد لكم بالرزق ويوصل إليكم نعمه وتكونون خلفاء من قبلكم،

(١) تفسير ابن كثير (٥٤١/٦) [دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢٠١٤هـ].

(٢) تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي (٦٠٨).

١٢ - «المنهاج في شعب الإيمان»، للحليمي .

شيء ﷻ، وقد تكون خاصة بنصره وأولياءه وحفظهم وتأيدهم .

الحكم:

إثبات صفة المعية لله تعالى وأنها معية عامة لعموم خلقه، لا يخفى عليه من أحوالهم شيء، ولا يغيب عن علمه وتصرفه قليل ولا كثير من شؤونهم، وإثبات المعية الخاصة لمن شاء من خلقه بالتأييد والنصرة والإعانة والحفظ والرعاية منه ﷻ^(٣).

الحقيقة:

صفة المعية ثابتة لله ﷻ كما أثبتتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ وأثبتها له أهل العلم تبعاً لذلك، والمفهوم منها لغة وشرعاً هو مطلق المصاحبة والمقارنة، ثم تتحدد حسب متعلقاتها الواردة في النص الشرعي، فقد تكون معية علم وإحاطة، وقد تكون معية تأييد وتوفيق، وقد تكون معية نصره وإعزاز، وقد تكون معية حفظ ورعاية، فتتحدد معانيها حسب متعلقاتها، ولا تعني بحال أن معية الله معية اختلاط وامتزاج بخلقه، فإن ذلك معنى مرفوض ومردود شرعاً وعقلاً؛ إذ إن علو الله على خلقه علو ذاتي فهو على عرشه بائن من خلقه سبحانه، ونصوص المعية تثبت معيته

معية الله ﷻ

التعريف لغةً:

الميم والعين كلمة تدلُّ على اختلاط، كما تفيد المصاحبة واجتماع شيئين وضم الشيء إلى الشيء وما أشبه ذلك، وتكون بمعنى (عند)، وأصلها: معاً، تقول: كنا معاً أي: جميعاً^(١).

التعريف شرعاً:

معية الله ﷻ: أن الله سبحانه مع خلقه بعلمه وإحاطته بهم كافة، وليس مخالطاً لهم، ومع أوليائه بالنصر والحفظ^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى الشرعي مرتبط بالمعنى اللغوي من ناحية أن المعية مطلق المصاحبة، إلا أن المعنى الشرعي يفيد أن معية الله ﷻ لخلقها ليس فيها امتزاج ولا اختلاط، وإنما هي عامة لكل الخلق، لا يخفى عليه من أحوالهم شيء، وتدبيره وتصرفه بهم لا يحول دونه شيء، ولا يعجزه

(١) مقاييس اللغة (٥/٢٧٣)، والقاموس المحيط (٩٨٧)، المعجم الوسيط (٨٧٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٢٩٦)، ومختصر الصواعق المرسله (٣/١٢٤٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٢٩٦)، ومختصر الصواعق المرسله (٣/١٢٤٦) وما بعدها.

سبحانه لخلقه فليس بينهما تعارض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة»^(١)، فيثبت له سبحانه العلو المطلق والعلو الذاتي، وتثبت له المعية العامة والمعية الخاصة على ما يأتي بيانه في الأقسام، وليس في ذلك تعارض؛ إذ إن المعية لا يلزم منها الاختلاط ولا الامتزاج لغة ولا شرعاً، فتقول: سرت والقمر، وسرت والنجم، ولا يعني ذلك أن القمر بجانبك وملاصق لك، وإنما هو في مكانه وأنت في مكانك، والمفهوم من ذلك أنك سرت مصاحباً له ومصاحباً لك.

● الأهمية:

إن معية الله لخلقه من لوازم ربوبيته سبحانه وقيوميته على كل نفس، فهو مطلع على أحوالهم محيط بهم، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فهي من لوازم الربوبية والألوهية.

● الأدلة:

وردت صفة المعية في القرآن الكريم

على معنيين:

المعنى الأول: المعية العامة.

وقد وردت في مواضع من القرآن

الكريم، منها:

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الحديد].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنْشِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [المجادلة].

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٨٨﴾﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [يونس].

وقوله تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأعراف].

المعنى الثاني: المعية الخاصة.

وقد وردت في القرآن الكريم في

مواطن كثيرة؛ منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [النحل].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠٣/٥).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [٤٦] [طه].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو عمر الطلمنكي رحمته الله: «وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمه، وأن الله ﷻ فوق السماوات بذاته مستوٍ على عرشه كيف شاء»^(٢).

وقال ابن أبي زيد القيرواني المالكي: «وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وأنه في كل مكان بعلمه»^(٣).

قال الإمام أبو بكر بن الحسين البيهقي في كتاب «الاعتقاد»: «وفي كثير من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية أن الله بذاته في كل

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥).

(٢) انظر: بيان تلبس الجهمية لابن تيمية (٢/٣٨).

(٣) رسالة ابن أبي زيد القيرواني [مطبعة مصطفى الحلبي، ط ٢، ١٣٦٨هـ].

مكان، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] إنما أراد به بعلمه لا بذاته»^(٤).

قال ابن رجب بعد ذكره لآيات المعية: «ولم يكن أصحاب النبي ﷺ يفهمون من هذه النصوص غير المعنى الصحيح المراد بها، يستفيدون بذلك معرفة عظمة الله وجلاله واطلاعه على عبادته وإحاطته بهم وقربه من عابديه وإجابته لدعائهم، فيزدادون به خشية لله وتعظيمًا وإجلالًا ومهابة ومراقبة واستحياء ويعبدونه كأنهم يرونه، ثم حدث بعدهم من قلَّ ورعه وانتكس فهمه وقصده، وضعفت عظمة الله وهيبته في صدره، وأراد أن يرى الناس امتيازه عليهم بدقة الفهم وقوة النظر، فزعم أن هذه النصوص تدل على أن الله بذاته في كل مكان كما حكى ذلك طوائف من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم، تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا.

وهذا شيء ما خطر لمن كان قبلهم من الصحابة رضي الله عنهم، وهؤلاء ممن يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وقد حذر النبي ﷺ منهم في حديث عائشة المتفق عليه^(٥).

(٤) الاعتقاد للبيهقي (١١٤، ١١٥)، [دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١، ط ١].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٥٤٧)، ومسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٦٥).

والتأييد والحفظ، وهذه لأوليائه أهل طاعته، ومنها قوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ٢٢٨]. وقال ابن عثيمين: «المعية درجات: عامة مطلقة، وخاصة مقيدة بوصف، وخاصة مقيدة بشخص. فأخص أنواع المعية ما قيد بشخص، ثم ما قيد بوصف، ثم ما كان عامًّا. فالمعية العامة تستلزم الإحاطة بالخلق علمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا وسلطانًا، وغير ذلك من معاني ربوبيته، والمعية الخاصة بنوعها تستلزم مع ذلك النصر والتأييد»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: لوازم المعية العامة والخاصة:

إن لازم المعية هو العلم والإحاطة والسمع والبصر والتدبير بالنسبة للمعية العامة، أما المعية الخاصة فلازمها مع ما سبق النصر والحفظ والتأييد والإعانة، والنصوص الشرعية السابقة تدل على ذلك، وكلام أهل العلم في هذا كثير مدوّن في مظانه، وأهل السنّة مجمعون على أن معية الله لخلقه لا تعني بحال اختلاطه ﷻ بهم ولا ممازجته لهم، بل هو سبحانه فوق عرشه مستوٍ عليه بائن من خلقه، وعلمه محيط بهم، وأكدوا أن

وتعلقوا أيضًا بما فهموه بفهمهم القاصر مع قصدهم الفساد بآيات في كتاب الله تعالى مثل قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]. فقال من قال من علماء السلف حينئذ: «إنما أراد أنه معهم بعلمه»، وقصدوا بذلك إبطال ما قال أولئك مما لم يكن أحد قبلهم قاله ولا فهمه من القرآن... وحكى ابن عبد البر وغيره إجماع العلماء من الصحابة والتابعين في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾: أن المراد علمه، وكل هذا قصدوا به رد قول من قال إنه تعالى بذاته في كل مكان»^(١).

الأقسام:

معية الله تعالى لخلقه قسمان:

١ - معية عامة: وهي بمعنى العلم والإحاطة، وهذه للخلق كافة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

٢ - معية خاصة: ومعناها النصرة

(٢) انظر: مختصر الصواعق (١٢٤٦/٣) وما بعدها.

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٤٠١/١)

[دار ابن الجوزي، ٢٢، ١٤١٥هـ].

(١) فتح الباري لابن رجب (٢/٣٣١).

اللغة العربية لا يلزم منها إثبات المعية في أمر الاختلاط والامتزاج وإنما مطلق المصاحبة، كما سبق ذكره في المعنى اللغوي.

اجتناب ما حرم الله، والمصارعة إلى فعل ما أمر به من الطاعات على وجه الكمال ظاهراً وباطناً، ولا سيما إذا دخل في الصلاة التي هي أعظم صلة ومناجاة بين العبد وربّه، فيخشع قلبه، ويستحضر عظمة الله وجلاله، فتقل حركاته، ولا يسيء الأدب مع ربه بالبصق أمامه أو عن يمينه^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

المخالفون في المعية ثلاث طوائف:

أولاً: الجهمية ومن قال بقولهم في نفي الصفات كالمعتزلة وغيرهم في نفي صفة العلم عن الله ﷻ ونفي سمعه وبصره سبحانه^(٣)، والذين ينكرون علو الله ﷻ على خلقه واستواءه على عرشه فينكرون إحاطته بخلقهم علماً وبصراً وسمعاً وقدرة، فهؤلاء كلهم ينكرون معية الله لخلقهم على المفهوم الذي ورد في النصوص^(٤).

ثانياً: أهل الحلول، فهم يقولون: إنه في كل مكان ولا يخلو منه مكان، وعزاه الأشعري إلى طائفة من المعتزلة، وعزاه السجزي وابن عبد البر والعمرائي

المعيرة الثانية: تفسير المعية بالعلم ليس تأويلاً:

تفسير أهل السنة للمعية بالعلم أو غيره من المعاني التي يدل عليها السياق ليس من باب التأويل؛ إذ التأويل صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى مخالف للظاهر؛ وهنا في المعية ليس فيه صرف للفظ عن ظاهره، وإنما هو من باب تفسير اللفظ ببعض معانيه وما يدل عليه السياق؛ قال قوام السنة الأصبهاني رَحِمَهُ اللهُ «فإن قيل: قد تأولتم قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، قلنا: ما تأولنا ذلك، وإنما الآية دلت على أن المراد بذلك العلم؛ لأنه قال في آخرها: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١).

❁ الثمرات:

١ - الإيمان بإحاطة الله ﷻ بكل شيء، وأنه مع علوه فهو مع خلقه، لا يغيب عنه شيء من أحوالهم أبداً.

٢ - أن هذه المعية إذا استحضرها العبد في كل أحواله؛ فإنه يستحيي من الله ﷻ أن يراه حيث نهاه، أو أن يفترقه حيث أمره، فتكون عوناً له على

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٤١٩)، (٤٢٠).

(٣) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/٨٥) [دار المعرفة، ١٤٠٤هـ].

(٤) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٢٣٥) [دار إحياء

التراث العربي، بيروت، ط٣].

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (٢/٢٩١).

وقوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] أن المعية لا تعني إلا المخالطة أو المصاحبة في المكان!!
والرد عليهم من وجوه:

أولاً: أن ظاهرها ليس كما ذكرتم؛ إذ لو كان الظاهر كما ذكرتم؛ لكان في الآية تناقض أن يكون مستويًا على العرش، وهو مع كل إنسان في أي مكان! والتناقض في كلام الله تعالى مستحيل.

ثانيًا: قولكم: إن المعية لا تعقل إلا مع المخالطة أو المصاحبة في المكان! هذا ممنوع؛ فالمعية في اللغة العربية اسم لمطلق المصاحبة، وهي أوسع مدلولًا مما زعمتم؛ فقد تقتضي الاختلاط، وقد تقتضي المصاحبة في المكان، وقد تقتضي مطلق المصاحبة وإن اختلف المكان؛ فهذه ثلاثة أشياء:

١ - مثال المعية التي تقتضي المخالطة أن يقال: اسقوني لبنًا مع ماء؛ أي: مخلوطًا بماء.

٢ - ومثال المعية التي تقتضي المصاحبة في المكان قولك: وجدت فلانًا مع فلان يمشيان جميعًا وينزلان جميعًا.

٣ - ومثال المعية التي لا تقتضي الاختلاط ولا المشاركة في المكان: أن يقال: فلان مع جنوده. وإن كان في

إلى بشر المريسي، وذكر هذا ابن عبد البر بسنده عن وكيع قال: «كفر بشر المريسي في صفته هذه، قال: هو في كل شيء، قيل له: وفي قلنسوتك هذه؟ قال: نعم. قيل له: وفي حمارك؟ قال: نعم». ونسب هذا القول إلى النجارية الشهرستاني وعزاه ابن تيمية إليهم وإلى صوفية وعباد الجهمية. وهو قول ينسجم مع الدعوى الكفرية، وهي دعوى الحلول وكذلك دعوى وحدة الوجود^(١).

ثالثًا: قول من يقول: إن الله بذاته في كل مكان وهو مستوٍ على عرشه، عزاه الأشعري إلى زهير الأثري وأبي معاذ التومني، وعزاه ابن تيمية إلى أبي طالب المكي وأتباعه وأبي الحكم بن بركان من السالمية^(٢).

❁ الرد عليهم:

شبهة الذين يقولون: إن الله في كل مكان أو إن الله بذاته في كل مكان وهو مستوٍ على عرشه: ظنهم أن قول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]،

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٢٨٦، ٣٥١)، ورسالة السجزي إلى أهل زبيد [الجامعة الإسلامية، ط ٢]، والتمهيد لابن عبد البر (٧/١٤٣٩)، والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية للعمرائي (٢/٦٠٩) [أضواء السلف، ١٤١٩هـ]، والملل والنحل للشهرستاني (١/٧٧)، ومجموع الفتاوى (٢/٢٩٨).

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٣٥١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/٢٩٩).

في مكان. وإما أن يكون متعددًا؛ يعني: كل إله في جهة ضرورة تعدد الأمكنة. خامسًا: أن نقول: قولكم هذا أيضًا يستلزم أن يكون الله حالًا في الخلق؛ فكل مكان في الخلق؛ فالله تعالى فيه، فصار هذا القول متفقًا مع قول الحلوية وأهل وحدة الوجود^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الآثار المروية في صفة المعية»، لمحمد التميمي.
- ٢ - «إثبات علو الله ومباينته لخلقه والرد على من زعم أن معية الله لخلقه ذاتية»، لحمود التويعري.
- ٣ - «رسالة المعية»، لابن باز.
- ٤ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣، ٥)، لابن تيمية.
- ٥ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٦ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.
- ٧ - «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد»، لليهقي.
- ٨ - «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.
- ٩ - «شرح العقيدة الواسطية» (ج ١)، لابن عثيمين.

غرفة القيادة، لكن يوجههم. فهذا ليس فيه اختلاط ولا مشاركة في مكان. ويقال: زوجة فلان معه. وإن كانت هي في المشرق وهو في المغرب. فالمعية إذاً كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله وكما هو ظاهر من شواهد اللغة: مدلولها مطلق المصاحبة، ثم هي بحسب ما تضاف إليه، فإذا قيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل]، فلا يقتضي ذلك لا اختلاطًا ولا مشاركة في المكان، بل هي معية لائقة بالله ﷻ، ومقتضاها النصر والتأييد.

ثالثًا: نقول: وصفكم الله ﷻ بهذا من أبطل الباطل وأشد التنقص لله ﷻ، والله ﷻ ذكره عن نفسه متمدحًا؛ أنه مع علوه على عرشه؛ فهو مع الخلق، وإن كانوا أسفل منه، فإذا جعلتم الله ﷻ في الأرض؛ فهذا نقص، إذ جعلتم الله ﷻ بذاته معكم في كل مكان، وأنتم تدخلون الكنيف، ويكون الإنسان في بعض أحواله في مكان يستنكف أن يكون هو فيه مع غيره أو غيره معه فيه، فكيف يقال ذلك عن الله ﷻ. هذا أعظم التنقص، حاشا ربنا من ذلك!

رابعًا: يلزم على قولكم هذا أحد أمرين لا ثالث لهما، وكلاهما ممتنع: إما أن يكون الله متجزئًا، كل جزء منه

(١) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (١/٤٠٧ - ٤٠٩).

١٠ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن

أبي العز. لم يثبت أن المعين من أسماء الله ﷻ،

لكن يخبر عن الله ﷻ أنه هو المعين، فلا تسوغ تسمية الله ﷻ بالمعين، أو دعاؤه به، أو التعبيد به فيقال: عبد المعين، لعدم ثبوت النص في كونه اسمًا لله ﷻ.

المُعِين

التعريف لغةً:

المُعِين: اسم فاعل من العون، وفعله: عان يعين عونًا فهو معين وجمعه أعوان، وأعان يعين عونًا ومعونة فهو معين، وتقول: أعنته إعانة، وتعاونوا وعاونوا: أعان بعضهم بعضًا، من التعاون وهو التظاهر والمساعدة، ورجل معوان: حسن المعونة، وكثير المعونة للناس، والماعون: التعاون قال ﷻ: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون] (١).

الحقيقة:

المُعِين: هو الذي لا يحتاج في شيء من أموره إلى مُعين، وما له من المخلوقين من ظهير، وليس له ولي من الذل، فهو سبحانه بالغ أمره، فكل ما يطلبه فهو يبلغه ويناله، ويصل إليه وحده، لا يعينه أحد (٣).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء].

ومن السُّنَّة: ما جاء عن النبي ﷺ؛ أنه قال لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يا معاذ والله إنني لأحبك، والله إنني لأحبك، ثم قال: أوصيك يا معاذ، لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللَّهُمَّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» (٤).

التعريف شرعًا:

المُعِين: هو المستعان، وهو الذي لا يُطلب العون إلا منه؛ لأنه ﷻ غني عن الظهير والمعين والشريك والوزير؛ بل كل إعانة وعون فمنه وبه سبحانه لا إله إلا هو (٢).

(١) انظر: تهذيب اللغة (٣/٢٠٢ - ٢٠٤) [الدار المصرية]، والصحاح (٦/٢١٦٨، ٢١٦٩) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٥٩٨) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (١٥٧١) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٢/٦٣٨) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢].

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/٣٥٠) [دار الكتب العلمية، ط١]، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٥٤٥) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١/٣٨).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥٢٢)، والنسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٠٣)، وأحمد =

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه: «رب أعني ولا تعن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رحمته الله: «وهو سبحانه بالغ أمره، فكل ما يطلبه فهو يبلغه ويناله، ويصل إليه وحده، لا يعينه أحد، ولا يعوقه أحد، لا يحتاج في شيء من أموره إلى معين، وما له من المخلوقين ظهير، وليس له ولي من الذل»^(٢).

سئل ابن عثيمين رحمته الله عن بعض الأسماء - ومنها اسم المعين - فقال: «والمعين كذلك ليس من أسماء الله، ولكنه من صفاته، فهو الذي يعين من شاء من عباده، ومن العلماء من قال: إنه من أسماء الله؛ لأنه دالٌّ على معنى حسن، وليس فيه نقص بوجه من الوجوه»^(٣).

= (٤٣٠/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ٧٥١)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥١٩٤) وصححه، وصححه النووي في الخلاصة (٤٦٨/١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ١٣٦٢) [مؤسسة غراس، ط١].

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥١٠)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٥١) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٣٠)، وابن حبان (كتاب الرقاق، رقم ٩٤٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (رقم ١٣٥٣) [مؤسسة غراس، ط١].

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٨/١).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٠٨/١).

❁ الآثار:

إذا تحقق العبد من أنه لا معين إلا الله تعالى، فإنه يبعثه على تحقيق الاستعانة به وحده لا شريك له، فيستعين به في أمور الدين والدنيا، وهذا تحقيق لقوله صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» [الفاتحة]، فالاستعانة بالله تعالى هي أحد ركني العبادة، ولهذا كان أنفع الدعاء طلب الإعانة.

قال ابن القيم رحمته الله: «فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية الماثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضاده وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها»^(٤).

ومن تحقق من أنه لا معين إلا الله وحده، استغنى عن الخلق أجمعين، ففي ذلك صلاحه ونفعه في الدنيا والآخرة، ولهذا كانت الاستعانة بغيره تعالى فيها المضرة والهلاك والفساد^(٥).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٢ - «أحكام القرآن»، لأبي بكر ابن العربي.

(٤) مدارج السالكين (٧٥/١) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩/١).

وَعَوَّثَ الرَّجُلُ: صرخ: واغوثاه،
واستغاث: استنصر وطلب الغوث،
والإعانة، ومنه الاستغاثة: طلب الغوث؛
أي: النصر والإعانة والنجدة.
والغويث: ما أعتت به المضطر من
طعام أو نجدة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ
كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]،
يصح أن يكون من الغوث، وهو
النصرة، ويصح أن يكون من الغيث،
وهو المطر^(١).

❁ التعريف شرعاً:

المغيث: هو المنقذ من الشدائد
الفادحة والكروب والمشقات، فهو
سبحانه المغيث لجميع المخلوقات عندما
تتعسر أمورها وتقع في الشدائد
والكربات يطعم جائعهم، ويكسو
عاريهم، ويخلص مكروبهم، وينزل
الغيث عليهم في وقت الضرورة
والحاجة، ويجيب إغاثة اللهفان^(٢).

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٧٦/٨، ١٧٧) [الدار
المصرية، ١٤، ١٣٨٧هـ]، ومقاييس اللغة (٧٠٨)
[دار الفكر، ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٢٨٩/١)
[دار العلم للملايين، ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات
ألفاظ القرآن (٦١٧) [دار القلم، ٢، ١٤١٨]،
والقاموس المحيط (٢٢٢) [مؤسسة الرسالة، ٥،
١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٦٦٥/٢) [دار
الدعوة، ٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٧،
٢٣٨) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢،
١٤٢٣هـ].

٣ - «مجموع الفتاوى» (ج ١)، لابن
تيمية.

٤ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

٥ - «معتقد أهل السنة والجماعة في
أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٦ - «النهج الأسمى في شرح
أسماء الله الحسنى»، لحمود النجدي.

٧ - «شرح أسماء الله الحسنى»،
للقحطاني.

٨ - «أسماء الله الحسنى الثابتة في
الكتاب والسنة»، للرضواني.

٩ - «فقه الأسماء الحسنى»،
لعبد الرزاق البدر.

١٠ - «مجموع فتاوى ورسائل ابن
عثيمين».

❁ المُغْنِي

يراجع مصطلح (الغني).

❁ المُغْنِي

❁ التعريف لغة:

المُغْنِي: اسم فاعل من الإغاثة،
ومادته (غ - و - ث) الدالة على الإعانة
والنصرة عند الشدة. يقال: استغثته
فأغثنني فهو مغيث وغيّث، قال ﷺ:
﴿إِذْ تَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ﴾
[الأنفال: ٩].

الحكم:

أن: لا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله ﷻ، وأن كل غوث من عنده، وإن كان جعل ذلك على يدي غيره؛ فالحقيقة له سبحانه، ولغيره مجاز. قالوا: ومن أسمائه تعالى: المغيث والغياث. وجاء ذكر المغيث في حديث أبي هريرة، قالوا: واجتمعت الأمة على ذلك^(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

«وهو المغيث لكل مخلوقاته

وكذا يجيب إغاثة اللهفان»^(٤)

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «ومن أسمائه المغيث وهو المنقذ من الشدائد الفادحة والكروب: ﴿قُلْ مَنْ يُجِئِكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٦٣]. فالمغيث يتعلق بالشدائد والمشقات، فهو المغيث لجميع المخلوقات عندما تتعسر أمورها وتقع في الشدائد والكربات؛ يطعم جائعهم ويكسو عاريهم ويخلص مكروبهم وينزل الغيث عليهم في وقت الضرورة والحاجة، وكذلك يجيب إغاثة اللهفان أي دعاء من دعاه في حالة اللهف والشدّة والاضطرار، فمن استغاثه أغاثه، وفي الكتاب والسنة من ذكر تفريجه للكربات وإزالته الشدائد وتيسيره للعسير شيء كثير جداً معروف»^(٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١/١١٠، ١١١).

(٤) متن القصيدة التونية لابن القيم (٢٠٨).

(٥) الكافية الشافية (٣٨٤)، والحق الواضح المبين =

لا يصح إطلاق اسم المغيث على الله ﷻ، لافتقاره إلى الدليل الصريح على ثبوته، وإنما هو من باب الأفعال، وباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، وليس كل ما يصح إطلاقه فعلاً يصح اسماً، والله أعلم.

كما أن هذا الاسم لم يورده في جمعه سوى قلة من أهل العلم المعتمنين بجمع الأسماء الحسنی وشرحها^(١).

الحقيقة:

إن الله تعالى هو الذي يغيث العباد عند الشدائد، فيطعم جائعهم، ويكسو عاريهم، ويخلصهم من كربات الدنيا، ويجب دعاء الخائف الملهوف.

الأدلة:

استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله ﷻ في خبر الاستسقاء: «اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «لهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى: يجب على كل مكلف أن يعلم

(١) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنی للتميمي (١٠٩ - ١١١) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الاستسقاء، رقم ١٠١٤).

ومسلم (كتاب صلاة الاستسقاء، رقم ٨٩٧).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: إطلاق اسم الغياث على الله ﷻ:

«الغياث: وأكثر ما يقال: غياث المستغيثين، ومعناه: المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه، ومريحهم ومخلصهم»^(١). وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب^(٢).

ولم يرد فيه نصٌ صحيح صريح بإطلاقه، لذا لا يعتبر من الأسماء، وإنما يصح من باب الإخبار فيقال: إن الله غياث المستغيثين ومغيثهم وغوثهم.

ومن ذكر أنه اسم من أسماء الله تعالى استدل بقول النبي ﷺ في خبر الاستسقاء الطويل: «اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا»^(٣)، وهو حديث صحيح لكن ورد من باب الطلب والدعاء والأفعال لا الأسماء، وباب الأفعال أوسع من باب الأسماء.

وقال شيخ الإسلام: «وأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله تعالى؛ فهو غياث المستغيثين لا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره، لا بملك مقرب، ولا نبي مرسل، ومن زعم أن أهل

= (٢٤٧)، كلاهما ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي (مركز صالح الثقافي، ١٤١٢هـ).

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١/١٢٥) [مكتبة السوادي].

(٢) مجموع الفتاوى (١/١١١).

(٣) تقدم تخريجه.

الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم، ونزول الرحمة بهم إلى الثلاثمائة، والثلاثمائة إلى السبعين، والسبعين إلى الأربعين، والأربعين إلى السبعة، والسبعة إلى الأربعة، والأربعة إلى الغوث فهو كاذب ضال مشرك»^(٤).

- المسألة الثانية: حكم تسمية النبي ﷺ أو أحد من البشر بالغياث أو المغيث:

لا يجوز تسمية الرسول ﷺ بالغياث أو المغيث أو الغوث؛ لأنه من الغلو والإطراء المنهي عنه، ومن باب أولى عدم جواز تسمية غيره. وكذلك لا يجوز الاستغاثة بغير الله تعالى؛ لأنه شرك وباطل^(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك عنى بالغوث ما يقوله بعضهم من أن في الأرض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً يسمونهم (النجباء) فينتقى منهم سبعون هم (النقباء)، ومنهم أربعون هم (الأبدال)، ومنهم سبعة هم (الأقطاب)، ومنهم أربعة هم (الأوتاد)، ومنهم واحد هو (الغوث)، وأنه مقيم بمكة، وأن أهل الأرض إذا نابهم نائبة في رزقهم

(٤) مجموع الفتاوى (١١/٤٣٧). وانظر: معجم المناهي اللفظية ل بكر أبي زيد (٤٠٥) [دار العاصمة، ط ٣، ١٤١٧هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/١٠١)، ومنهاج السنة (١/٤٨) [مؤسسة قرطبة].

- ٥ - «الاستغاثة في الرد على البكري»، لابن تيمية.
- ٦ - «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.
- ٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٨ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
- ١٠ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

المغيرة بن شعبة رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معقب^(٣) بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس الثقفي، أبو عيسى، أو أبو محمد، أو أبو عبد الله^(٤).

مولده ووفاته:

مات المغيرة بن شعبة رضي الله عنه سنة خمسين من الهجرة، وجزم به ابن كثير

(٣) في طبعة دار هجر [تحقيق التركي]: (معتب). انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣٠٠/١٠) [دار هجر، ط١].

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥٤٩/١) [دار الغرب الإسلامي، ط١]، وسير أعلام النبلاء (٣/٢١) [مؤسسة الرسالة، ط٣]، والبداية والنهاية (١١/٢٢٠) [دار هجر، ط١] والإصابة في تمييز الصحابة (١٩٧/٦) [دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ].

ونصرهم فزعوا إلى الثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وأولئك يفرعون إلى السبعين، والسبعون إلى الأربعين، والأربعون إلى السبعة، والسبعة إلى الأربعة والأربعة، إلى الواحد، وبعضهم قد يزيد في هذا وينقص في الأعداد والأسماء والمراتب، فإن لهم فيها مقالات متعددة حتى يقول بعضهم: إنه ينزل من السماء على الكعبة ورقة خضراء باسم غوث الوقت، واسم خضره على قول من يقول: منهم إن الخضر هو مرتبة وإن لكل زمان خضراً، فإن لهم في ذلك قولين، وهذا كله باطل لا أصل له في كتاب الله ولا سنة رسوله، ولا قاله أحد من سلف الأمة ولا أئمتها، ولا من المشايخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للاقتداء بهم، ومعلوم أن سيدنا رسول رب العالمين وأبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم كانوا خير الخلق في زمنهم وكانوا بالمدينة ولم يكونوا بمكة^{(١)(٢)}.

المصادر والمراجع:

١ - «المنهاج في شعب الإيمان»، للحليمي.

٢ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٣ - «الدعوات الكبير»، للبيهقي.

٤ - «الأسنى في شرح أسماء الله

الحسنى»، للقرطبي.

(١) مجموع الفتاوى (٩٧/٢٧ - ١٠٠).

(٢) معجم المناهي اللفظية لبكر أبي زيد (٣٦٢).

فضائله:

- أنه ممن شهد بيعة الرضوان التي وقعت في الحديبية^(١٠)، وقد جاء في فضل أهلها قول رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها»^(١١).

قال ابن كثير: «وشهد الحديبية، وكان واقفاً يوم الصلح على رأس رسول الله ﷺ بالسيف صلثاً»^(١٢)، ويدل على ذلك ما جاء في حديث صلح الحديبية الطويل من رواية المسور بن مخرمة ومروان، وفيه: «فقام عروة بن مسعود... فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال له: أحر يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أي غدر أُلست أسعى في غدرك؟ وكان المغيرة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء»^(١٣). قال ابن هشام: «أراد عروة

وذكر أنه المشهور^(١)، وعزاه ابن حجر إلى أكثر أهل العلم^(٢)، وحكى الخطيب البغدادي الإجماع عليه بقوله: «المغيرة مات سنة خمسين، أجمع العلماء على ذلك، ولم يختلفوا أن وفاته كانت بالكوفة»^(٣). وقيل: توفي المغيرة ﷺ سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة إحدى وخمسين^(٤)، وقيل: سنة ثمان وخمسين^(٥)، عن سبعين سنة^(٦)، ودفن بموضع يقال له: الثوية^(٧).

❁ إسلامه:

أسلم قبيل الحديبية^(٨)، وشهد المغيرة ﷺ أيضًا الإمامة، وفتوح الشام، واليرموك، والقادسية. وولاه عمر ﷺ البصرة، فافتتح ميسان، وافتتح دستميسان، وأبزقباد، وسوق الأهواز، وهمدان، وشهد فتح نهاوند^(٩).

(١) انظر: البداية والنهاية (١١/٢٢٠).

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١٠/٣٠١) [دار هجر].

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١/٥٤٩).

(٤) انظر: البداية والنهاية (١١/٢٢٠)، والإصابة في تمييز الصحابة (١٠/٣٠١) [دار هجر].

(٥) انظر: البداية والنهاية (١١/٢٢٠).

(٦) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١/٥٥١)، والبداية والنهاية (١١/٢٢٠).

(٧) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١/٥٥١).

(٨) انظر: المعارف لابن قتيبة (٢٩٥) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢]، وتاريخ بغداد (١/٥٤٩)، والإصابة في تمييز الصحابة (٦/١٩٨).

(٩) انظر: المعارف (٢٩)، والبداية والنهاية (١١/٢٢١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٦/١٩٨) [دار الجيل].

(١٠) انظر: المعارف (٢٩٥)، وتاريخ بغداد (١/٥٤٩)، والإصابة في تمييز الصحابة (٦/١٩٨).

(١١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٦).

(١٢) البداية والنهاية (١١/٢٢٠) [دار هجر].

(١٣) أخرجه البخاري (كتاب الشروط، رقم ٢٧٣١).

وجعله سعد بن أبي وقاص رسوله إلى رستم.

قال ابن كثير: «كان المغيرة من دهاة العرب، وذوي آرائها... وبعثه رسول الله ﷺ بعد إسلام أهل الطائف هو وأبو سفيان بن حرب، فهدما اللات، وقد قدمنا كيفية ذلك، وبعثه الصديق إلى البحرين، وشهد اليمامة واليرموك، فأصيبت عينه يومئذ، وقيل: بل نظر إلى الشمس وهي كاسفة، فذهب ضوء عينه. وشهد القادسية، وولاه عمر فتوحًا كثيرة، منها همذان وميسان، وهو الذي كان رسول سعد إلى رستم، فكلمه بذلك الكلام البليغ، فاستنابه عمر على البصرة... وولاه الكوفة، واستمر به عثمان حينًا، ثم عزله، فبقي معزولًا حتى كان أمر الحكمين، فلحق بمعاوية، فلما قتل علي وصالح الحسن معاوية ودخل الكوفة، ولّاه معاوية عليها، فلم يزل أميرها حتى مات»^(٥).

ومما يدل على فطنة المغيرة وذكائه ما ساقه الحافظ ابن عساكر بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه: «أن عمر بن الخطاب استعمل المغيرة بن شعبة على البحرين، فكرهوه وأبغضوه، قال: فعزله عنهم، قال: فخافوا أن يردّه عليهم، قال: فقال دهقانهم: إن فعلتم ما أمركم

بقوله هذا: أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلًا من بني مالك، من ثقيف، فتهايج الحيّان من ثقيف: بنو مالك رهط المقتولين، والأحلاف رهط المغيرة، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية، وأصلح ذلك الأمر»^(١).

وقال ابن كثير: «أسلم عام الخندق بعد ما قتل ثلاثة عشر رجلًا من ثقيف مرجعهم من عند المقوقس، وأخذ أموالهم، فغرم ديّاتهم عروة بن مسعود»^(٢).

مكانته:

كان المغيرة من كبار الصحابة رضي الله عنهم، وأولي الشجاعة والسياسة والحنكة والدهاء والمهابة^(٣)، وله منزلة كبيرة، يدل عليها إسناد النبي ﷺ إليه بعض المهام، وكذا من بعده الخلفاء الراشدون، فمن ذلك: إرسال النبي ﷺ إياه مع أبي سفيان بن حرب إلى الطائف لهدم اللات^(٤)، وبعثه أبو بكر الصديق إلى البحرين، وولّاه أمير المؤمنين عمر الفاروق فتوحًا كثيرة،

(١) سيرة ابن هشام (٢/٣١٣، ٣١٤) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ].

(٢) البداية والنهاية (١١/٢٢٠).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٢١).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/٣١٣) [دار صادر، ط ١]، الطبري في التاريخ (٣/١٠٠) [دار التراث، ط ٢]، والبيهقي في الدلائل (٥/٣٠٣) [دار الكتب العلمية، ط ١]، من عدة طرق، وكلها مرسلة أو معضلة.

(٥) انظر: البداية والنهاية (١١/٢٢٠، ٢٢١).

به لم يرد علينا، قالوا: مرنا بأمرك، قال: تجمعوا مائة ألف، حتى أذهب بها إلى عمر، فأقول: إن المغيرة اختان هذا ودفعه إلي، قال: فدعا عمر المغيرة، فقال: ما يقول هذا؟ قال: كذب - أصلحك الله - إنما كانت مائتي ألف، قال: فما حملك على ذلك؟ قال: العيال والحاجة، قال: فقال عمر للعلاج: ما تقول؟ قال: لا والله لأصدقنك - أصلحك الله - والله ما دفع إلي قليلاً ولا كثيراً، قال: فقال عمر للمغيرة: ما أردت إلى هذا؟ قال: الخبيث كذب علي، فأحبيت أن أخزيه^(١).

❁ موقف المخالفين منه:

الرافضة: وجه الروافض إلى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه جملة من الطعون^(٢)، فذكروا أنه هامان الأمة، وأنه من المنافقين ومن رؤوس الضلال^(٣).

❁ الرد عليهم:

لا شك أن اتهامات الروافض للمغيرة رضي الله عنه بتلك الطامات العظمى خالية تماماً عن الدليل والبرهان، فهم عندما أطلقوا هذه التهم لم يذكروا

مستنداً، لا صحيحاً ولا واهياً، وإنما عمدتهم الكذب والافتراء النابعين عن الحقد والكراهية لهذا الصحابي الجليل رضي الله عنه، وما كان كذلك فهو في غاية الفساد والبطلان؛ بل إن هذا الصنيع الشائن يناقض صريح الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، لما هو معلوم من أن المغيرة بن شعبة هو ممن شهد بيعة الرضوان، وقد أخبر الله في كتابه بأنه رضي عن أهل بيعة الرضوان كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح]. وثبت من حديث أم مبشر؛ أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها»^(٤).

فالطعن في هذا الصحابي رضي الله عنه بتلك الطامات الكبرى تكذيب صريح لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فيما أخبرا به في هذين النصين وما في معناهما، وهو كفر لا يشوبه إيمان، وأمانة ظاهرة على الخذلان والعياذ بالله.

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج ٦)، لابن حجر.
- (٤) تقدم تخريجه.

(١) تاريخ دمشق لابن عساکر (٦٠/٣١) [دار الفكر].

(٢) انظر: موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة لعبد القادر عطا صوفي (١٤٠٤ - ١٤٠٧).

(٣) انظر: الإيضاح للفضل بن شاذان (٦٦) [مؤسسة انتشارات]، والحدائق الناضرة للبحراني (١٤٤/٤) [مؤسسة النشر الإسلامي].

تعالى: ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾؛ أي: لا موضع لكم. وقرئ: ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٣] بالضم؛ أي: لا إقامة لكم^(١).

المحمود: اسم المفعول من حمد، قال ابن فارس: «الحاء والميم والداد كلمة واحدة وأصل واحد يدل على خلاف الذم. يقال: حَمَدْتُ فلانًا أَحْمَدُهُ. ورجل محمود ومحمّد؛ إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة»^(٢).

✽ التعريف شرعاً:

المقام الذي يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس؛ ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم^(٣).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي عام، والمعنى الشرعي خاص بنبيّنا محمد ﷺ.

✽ سبب التسمية:

أن مقام الشفاعة العظمى يحمد فيه الخلائقُ كلهم الأولون والآخرون

٢ - «البداية والنهاية» (ج ١١)، لابن كثير.

٣ - «تاريخ بغداد» (ج ١)، للخطيب البغدادي.

٤ - «تاريخ دمشق» (ج ٦٠)، لابن عساكر.

٥ - «تفسير محمد بن مسعود العياشي» (ج ٢).

٦ - «سير أعلام النبلاء» (ج ٣)، للذهبي.

٧ - «سيرة ابن هشام» (ج ٢).

٨ - «فتح الباري» (ج ٥)، لابن حجر.

٩ - «المعارف»، لابن قتيبة.

١٠ - «موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة»، لعبد القادر عطا صوفي.

✽ المفاضلة بين الأنبياء ✽

يراجع مصطلح (النبوة).

✽ المقام المحمود ✽

✽ التعريف لغةً:

المقام: مكان القيام، والإقامة بالمكان. قال الجوهري: «المُقام والمُقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام؛ لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم، وقوله

(١) الصحاح (٢٠١٧/٥) [دار العلم للملايين].

(٢) مقاييس اللغة (٢٨١) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٣) تفسير الطبري (١٧٧/٩) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٣هـ]، وإثبات الشفاعة (٢٠) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وتفسير القرطبي (١٤٧/١٣)

[مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ]، وتفسير ابن كثير (٥٥/٩) [دار عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٥هـ]،

ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٨٣) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٧هـ].

المسلمون والكفار محمداً ﷺ^(١)،
فلذلك يسمى المقام مقاماً محموداً.

الحكم:

يجب الإيمان بالمقام المحمود، وقد وعد الله به نبينا محمداً ﷺ، فيستحب طلبه من الله له بعد الأذان، لقوله ﷺ: «من قال حين يسمع النداء: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدُّعْوَةُ التَّامَةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتَ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

الحقيقة:

حقيقة المقام المحمود أنه درجة عظمى يكرم الله بها عبده محمداً ﷺ، فيشفع للخلائق كلهم لبدء حسابهم، وليريحوا من كرب الموقف.

المنزلة:

هي منزلة عظمى لا ينالها إلا عبد الله ورسوله محمد ﷺ، فيغبطه الأولون والآخرون.

الأدلة:

من الأدلة على المقام المحمود للنبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ الْآيَاتِ فَتَهِجْدُ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ

مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء]، وسئل النبي ﷺ عن هذه الآية فقال: «هي الشفاعة»^(٣).

ومن الأدلة قول النبي ﷺ: «إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ، فيشفع ليقضي بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم»^(٤)، وقوله ﷺ: «يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهوماً بذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم... فيأتوني فأستأذن على ربي في داره، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقول: ارفع محمد، وقل يُسمع، واشفع تُشفع، وسل تُعط، قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء]، قال: وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ»^(٥).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع يا فلان

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣١٣٧) وقال: «حديث حسن»، وأحمد (٤٥٨/١٥) مؤسسه الرسالة، ط ١، وصححه الألباني لشواهده في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٣٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٧٥).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٤٠).

(١) انظر: جلاء الأفهام (١٩٢)، وتفسير ابن كثير (٥٥/٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦١٤).

اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود^(١)، وثبت رفعه عن ابن عمر عند البخاري^(٢)، وأدلة الشفاعة العظمى التي هي المقام المحمود كثيرة جداً^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

اختلفت أقوال أهل العلم في المقام المحمود، فقال الجمهور: هو الشفاعة العظمى، ونقل ابن القيم عن جمع من أهل العلم أنه: إقعاد الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ على العرش^(٤)، ومن العلماء من قال: لا منافاة بين القولين، فيمكن الجمع بينهما، بأن كليهما من ذلك^(٥).

❁ المسائل المتعلقة:

ذكر بعض العلماء في معنى المقام المحمود: أنه إقعاد الله ﷻ نبيه محمداً

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧١٨).

(٢) أخرجه البخاري بمعناه (كتاب الزكاة، رقم ١٤٧٥)، وقد تقدم قريباً.

(٣) من مظانها: التذكرة للقرطبي (٥٩٧/٢) وما بعدها، وشرح النووي على مسلم (٥١/٣) وما بعدها [دار المعرفة، ط ١٢، ١٤٢٧هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٥١٩/١١) وما بعدها [دار السلام، ط ١، ١٤٢١هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (٢٨٢) وما بعدها [دار عالم الكتب، ط ٣]، والشفاعة للوادعي (٢٥) [دار الآثار، ط ٣، ١٤٢٠هـ].

(٤) بدائع الفوائد (١٣٧٩/٤، ١٣٨٠) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ]، ونونية ابن القيم (٨٤) [مطبعة التقدم العلمية، مصر، عام ١٣٤٤هـ].

(٥) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣٦/٢) فتوى (٤٥١) [مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ].

❁ الفروق:

الفرق بين المقام المحمود ولواء

الحمد:

والمقام المحمود غير لواء الحمد^(١٠)

(٦) تفسير الطبري (١٨٢/٩). وانظر: بدائع الفوائد لابن القيم (١٣٧٩/٤، ١٣٨٠) والنونية له (٨٤)، فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣٦/٢).

(٧) درء التعارض (٢٣٧/٥) [جامعة الإمام، ط ٢].

(٨) انظر: ميزان الاعتدال (٤٣٩/٣)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٨٧٠، ٨٧١) [مكتبة المعارف].

(٩) مختصر العلو (١٩، ٢٠) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠١هـ].

(١٠) الفرقان (٦) [مكتبة المعارف، ط ١٤٠٢هـ].

رؤوس الخلائق يوم القيامة^(٢)، وسبب اختصاصه ﷺ بالمقام المحمود، وهو عموم رسالته، وكونه سبباً في امتلاء الأرض من الهدى والإيمان والعلم والعمل الصالح^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إثبات الشفاعة»، للذهبي.
- ٢ - «التذكرة» (ج ٢)، للقرطبي.
- ٣ - «تفسير ابن كثير» (ج ٩).
- ٤ - «تفسير الطبري» (ج ٩).
- ٥ - «تفسير القرطبي» (ج ١٣).
- ٦ - «جلاء الأفهام»، لابن القيم.
- ٧ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

- ٨ - «الشفاعة»، لمقبل الوداعي.
- ٩ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر.
- ١٠ - «فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم» (ج ٢).
- ١١ - «القيامة الكبرى»، للأشقر.
- ١٢ - «شرح صحيح مسلم» (ج ٣)، للنووي.

المقت

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الميم والقاف والتاء

(٢) انظر: القيامة الكبرى (٢٣٧).

(٣) جلاء الأفهام (١٧٩).

الذي يعقد للنبي ﷺ يوم القيامة، كما ورد في بعض ألفاظ الحديث: «بيدي لواء الحمد، وفي بعضها: أحمل لواء الحمد، أعطي لواء الحمد»، ويحشر تحته آدم ﷺ ومن دونه، ولواء الحمد والمقام المحمود كلاهما ذكرا في حديث: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي... فيقال لي: ارفع رأسك، سل تعط، واشفع تشفع، وقل يسمع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء]»^(١).

الآثار:

يبدأ الحساب بعد أن يقوم النبي محمد ﷺ مقاماً محموداً، يشفع عند ربه تعالى ليقضي بين العباد؛ فيرتاح الخلائق من أهوال الموقف.

الحكمة:

إظهار رحمة الله بعباده؛ إذ يأذن لنيبه محمد ليشفع في الخلائق؛ لينخلصهم من كربات الموقف وأهواله، وإظهار فضل نيبه ﷺ على الأولين والآخرين، وإظهار منزلته العظيمة، ودرجته العالية على

(١) أخرجه الترمذي في سننه (أبواب التفسير، رقم ٣١٤٨) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٣٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٥٤٣) [مكتبة المعارف، ط ٥].

القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢].

عن عياض بن حمار المجاشعي؛ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض؛ فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب» الحديث^(٥).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «إن الله لا يحب الشرك، ولا تكذيب الرسل، ولا يرضى ذلك، بل هو يُبغض ذلك ويمقتة ويكرهه؛ كما ذكر الله في سورة بني

كلمة واحدة تدل على شناعة وقبح، ومقته مقتاً فهو مقيت وممقوت»^(١). وقال الجوهرى: «مَقْتُهُ مَقْتًا، أَبْغَضَهُ»^(٢). وقال ابن الأثير: «المقت في الأصل: أشد البغض»^(٣). فالمقت: هو البغض الشديد من أجل أمر قبيح.

❁ التعريف شرعاً:

المَقْت: صفة من الصفات الفعلية الخبرية الاختيارية ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، وقد جاء بيان ذلك وإثباته في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ^(٤).

❁ الأسماء الأخرى:

هناك ألفاظ أخرى قريبة من لفظ المقت، وجاءت بها النصوص الشرعية وأضافتها إلى الله تعالى، وذكرها السلف، وهي: الكره والسخط والبغض والغضب؛ فهي أيضاً من صفات الله الفعلية مثل صفة المقت.

❁ الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة؛ للدلالة

(١) مقاييس اللغة (٥١٨/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) الصحاح (٢٦٦/١) [دار العلم للملايين، ط ٤٤].

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٤٦/٤) [المكتبة العلمية، بيروت].

(٤) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٣٢١) [دار الهجرة، ط ٣، ١٤٢٦هـ]، وصفات الله ﷻ للمسد (١١٦ - ١٢٠) [دار المدني، جدة، ط ٢، ١٤١٢هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٩٩، ٤٠٠) [مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٥).

الصفات لا تسلب إلا عن الموات أو عمّن فقد حسه أو بلغ في النهاية والضعف والعجز والجهل إلى الغاية التي لم تدع له حبًا ولا بغضًا ولا غضبًا»^(٣).

وقال الشيخ محمد خليل هراس عن هذه الآية وغيرها: «تضمنت هذه الآيات إثبات بعض صفات الفعل لله من الرضا، والغضب، واللعن، والكره، والسخط، والمقت والأسف، وهي عند أهل الحق صفات حقيقية لله ﷻ على ما يليق به، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق»^(٤).

وقال الشيخ عبد العزيز السلطان: «تضمنت هذه الآيات الكريّات إثبات بعض الصفات الفعلية من الرضا والغضب واللعن والكره والسخط والأسف والمقت، وهذه الصفات يثبتها أهل السنّة والجماعة حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته يفعلها متى شاء»^(٥).

وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي: «وعقوبته للعصاة والظلمة وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة تدلُّ على صفة

إسرائيل ما ذكره من المحرّمات، ثم قال: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء]»^(١).

وقال أيضًا: «وكذلك وصف نفسه بأنه يمقت الكفار، ووصفهم بالمقت، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر]، وليس المقت مثل المقت»^(٢).

وقال ابن القيم: «إن ما وصف الله سبحانه به نفسه من المحبة، والرضا، والفرح، والغضب، والبغض، والسخط من أعظم صفات الكمال؛ إذ في العقول أنا إذا فرضنا ذاتين:

إحدهما: لا تحب شيئًا، ولا تبغضه، ولا ترضاه، ولا تفرح به، ولا تبغض شيئًا، ولا تغضب منه، ولا تكرهه، ولا تمقته.

والذات الأخرى: تحب كل جميل من الأقوال والأفعال والأخلاق والشيم، وتفرح به، وترضى به، وتبغض كل قبيح يسمي، وتكرهه، وتمقته، وتمقت أهله، وتصبر على الأذى، ولا تجزع منه، ولا تتضرر به، كانت هذه الذات أكمل من تلك الموصوفة بصفات العدم والموات والجهل الفاقدة للحس؛ فإن هذه

(١) كتاب النبوات (١/٢٨٨) [أضواء السلف، ط ١].

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٣) الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة (٤/١٤٥١) [دار العاصمة الرياض، ٣، ١٤١٨هـ].

(٤) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢ - ٧٤) [الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط ١٣، ١٤٢٠هـ].

(٥) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (٥٣) [مطابع المدينة، ط ١٣، ١٤٢١هـ].

امتنع ذلك، ونصوص الكتاب والسنة ترد على من أول هذه الصفة بغيرها أو نفاها عن الله ﷻ، والحق الذي لا ريب فيه أنه يجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة الكتاب والسنة على ذلك، والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات» (ج ٢)، لليهقي.
- ٢ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
- ٣ - «شرح العقيدة الواسطية»، لمحمد خليل هراس.
- ٤ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٥ - «الصواعق المرسله» (ج ٤)، لابن القيم.
- ٦ - «صفات الله ﷻ»، لصالح علي المسند.
- ٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣)، لابن تيمية.
- ٨ - «مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية»، لعبد العزيز محمد سلمان.
- ٩ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

الغضب والسخط، والإبعاد والطرده والإقصاء يدل على المقت والبغض»^(١).

مذهب المخالفين:

المقت صفة من صفات الله الفعلية، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على إثباتها لله ﷻ، وخالف في ذلك غلاة المعطلة الذين ينكرون جميع الأسماء والصفات، وهم الفلاسفة والجهمية وغلاة الصوفية، ووافقهم على ذلك المعتزلة الذين ينفون عن الله ﷻ قيام الصفات بذاته سبحانه، والكلائية يثبتون هذه الصفة ونحوها من الصفات الفعلية ولكنهم جعلوها صفة ذاتية واحدة أزلية، وبذلك خالفوا مذهب السلف، والأشاعرة والماتريدية لا يثبتون هذه الصفة، ويؤولونها بالإرادة أو يفوضونها^(٢)، ولكن من تأويلهم لها بالإرادة يلزمهم مثل ما يلزمهم من إثبات صفة المقت، فإن المخلوق أيضًا عنده إرادة، فالمعنى الذي صرفوا إليه ألفاظ النصوص مثل المعنى الذي صرفوا عنه، فإن جاز هذا جاز ذلك، وإن امتنع هذا

(١) فتاوى ورسائل عبد الرزاق عفيفي (٢/ ٥٤) [دار الفضيلة، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: الأسماء والصفات لليهقي (٢/ ٤٦٩، ٤٧٠) [مكتبة السوادى، ط ١، ١٤١٣هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٦٨٤ - ٦٨٩) [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ]، ومن كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (١٨٢، ١٨٣) [مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

١٠ - «النبوات» (ج ١)، لابن تيمية.

الرابع: في الترتيب الصناعي، تعلم الهجاء مقدم على تعلم الخط.

والمقدم نقيض المؤخر، وقدم نقيض وراء^(٣).

❖ المقتدر ❖

يراجع مصطلح (القدرة).

المؤخر: ضد المقدم، وهو اسم فاعل للفعل أَخَّرَ يُؤَخِّرُ تأخيراً، والتأخير ضد التقديم، وهو جعل الشيء بعد موضعه. قال ابن فارس: «الهمزة والخاء

❖ المقتصد ❖

يراجع مصطلح (مراتب المؤمنين).

والراء أصل واحد إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التقدم^(٤). يقال: أَخَّرْتَهُ فتأخَّر واستأخَّر، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]. ومؤخر الشيء ضد مقدمه، والمطروح من شيء أو شخص^(٥).

❖ المقدم المؤخر ❖

❖ التعريف لغة:

المُقدِّم: بوزن (مُفَعَّل)، اسم فاعل للفعل (قَدَّمَ)، يقال: قَدَّمَ يُقَدِّمُ تقدِّمًا فهو مُقَدِّمٌ، وأَقَدَّمَهُ وقَدَّمَهُ بمعنى واحد، قال ابن فارس: «القاف والداد والميم أصل صحيح يدل على سبق ورعف»^(١)؛ والرفع معناه: التقدم^(٢).

❖ التعريف شرعاً:

ومصدر الفعل (قَدَّمَ) هو: التقدُّم، والتقدم على أربعة أوجه:

الأول: في المكان، وهو بحسب الإضافة، يقال: فلان متقدم على فلان باعتبار المكان.

الثاني: في الزمان، نحو: عهد النبوة متقدم على الخلافة الراشدة.

الثالث: في المنزلة، نحو: فلان متقدم على فلان؛ أي: أشرف منه.

(١) مقاييس اللغة (٢/٣٨٩) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١/٤٧٠).

المقدم والمؤخر: من أسمائه الحسنی المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد بمفرده على الله إلا مقرونًا بالآخر؛ فإن

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٩/٤٥، ٤٦، ٤٩) [الدار المصرية]، مقاييس اللغة (٨٧٨) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، الصحاح (٥/٢٠٠٦ - ٢٠٠٨) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، مفردات ألفاظ القرآن (٦٦٠، ٦٦١) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، المعجم الوسيط (٢/٧٢٦، ٧٢٧) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢].

(٤) مقاييس اللغة (١/٤٢).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٧/٥٥٦، ٥٥٧) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٦٣) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٢/٥٧٦، ٥٧٧) [دار العلم للملايين، ط ٤]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٩) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والمعجم الوسيط (١/٨، ٩) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢].

الكمال من اجتماعهما، فهو تعالى المقدم لمن شاء والمؤخر لمن شاء بحكمته^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

معنى المقدم والمؤخر في الشرع مأخوذ من معناه اللغوي المباشر، الذي هو ضد التقديم والتأخير، وجعل الشيء قبل غيره أو بعده، فهو اسم فاعل لما يجري بيد الله ﷻ من تقديم أشياء وأشخاص وتأخير أشياء وأشخاص، وفقاً لمشيئته وحكمته النافذة التابعة لحكمته.

الحكم:

اسما الجلال (المقدم والمؤخر) من الأسماء الثابتة بصريح السنة النبوية. وهما من أسماء الجلال المزدوجة المقترنة التي لا يطلق واحد منها على الله ﷻ إلا مقرونًا بالآخر؛ لأن الكمال في اجتماعهما^(٢).

الحقيقة:

يدل الاسمان (المقدم المؤخر) على

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدى (٢٣٨) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: شأن الدعاء (٨٦) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٣٧٣/١) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدى (٢٣٨)، وفقه الأسماء الحسنى (٢٨٠) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

أنه سبحانه هو المنزل الأشياء منازلها، الذي يقدم ما يجب تقديمه حكماً وفعلاً، على ما أحب وكيف أحب، ويؤخر ما يجب تأخيره حكماً وفعلاً على ما أحب وكيف أحب، بحكمته ﷻ، وما قدمه فهو مقدم، وما أخره فهو مؤخر، تعالى الله علواً كبيراً^(٣).

كما أن هذين الاسمين هما من الأسماء المتقابلة التي لا ينبغي أن يثنى على الله بها إلا مقرونة مع الأخرى؛ لأن المدح المحض والكمال المطلق في اجتماع الاسمين، ففي اقترانهما واجتماعهما دلالة على كمال ربوبية الله تعالى وانفراده سبحانه بالملك التام والتصرف الكامل والتدبير الشامل^(٤).

الأدلة:

ورد هذان الاسمان في السنة النبوية في أحاديث عدة، منها:
حديث أبي موسى الأشعري ﷺ عن

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٥٩) [دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٧٤م]، وشأن الدعاء (٨٦)، والمنهاج في شعب الإيمان (٢٠٨/١) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩]، الأسماء والصفات (٢١٠/١) [مكتبة السوادى، ط١، ١٤١٣هـ]، والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٥٦، ٥٥/٣) [مكتبة الذهبي، ط٢، ١٤١٧هـ].

(٤) انظر: الحق الواضح المبين للسعدى (٢٥٨ و ٢٦٤)، وتوضيح الكافية الشافية له (٣٨٩)، كلاهما من مطبوعات [مركز صالح بن صالح الثقافي بعينزة، ط٢، ١٤١٢هـ].

النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: ﴿أقوال أهل العلم:﴾

قال ابن القيم: «أما تضمنها لمعاني أسمائه الحسنی، فإن الرب هو القادر الخالق البارئ المعطي المانع الضار النافع المقدم المؤخر، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته، التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنی»^(٣).

وقال أيضًا:

«وهو المقدم والمؤخر ذاك الضد»

صِفَتَانِ لِلْأَفْعَالِ تَابِعَتَانِ

وَهُمَا صِفَاتُ الذَّاتِ أَيْضًا إِذْهُمَا

بِالذَّاتِ لَا بِالغَيْرِ قَائِمَتَانِ»^(٤)

وذكر الاسمين في الأسماء الحسنی

ابن عثيمين في القواعد المثلى^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اقتران اسمي

الجلال (المقدم والمؤخر):

المقدم والمؤخر من أسماء الله المزدوجة المقترنة، التي تجرى مجرى الاسم الواحد ولا يفصل بينهما، ولا تطلق على الله بمفردها، بل لا بد أن تكون مقرونة بمقابلها؛ لأن الكمال المطلق في اقتران كل منهما بما يقابله^(٦).

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَدِي وَهَزْلِي وَخَطِيئَتِي وَعَمْدِي وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١).

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجّد قال: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنْبِتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٩٨)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٩)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٢٠) واللفظ له، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٦٩).

(٣) بدائع الفوائد (٢/٤٧٣).

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٣/٧٣٨) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٥) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/٢٧٨).

(٦) انظر: شأن الدعاء (٨٦)، والأسنى (١/٣٧٣)، =

والضابط في ذلك: ما كان دالاً على المدح والكمال المطلق فهو يمكن أن يستقل وحده دون اقتران، وأما ما كان دالاً على غير المدح المحض، فهذا لا بد أن يكون مقروناً بما يقابله؛ وذلك لأن في اجتماع الاسمين والوصفين المتقابلين دلالة على كمال ربوبية الله تعالى وشموليتها^(١).

- المسألة الثانية: التقديم والتأخير من الله ﷻ قد يكون كونياً، وقد يكون شرعياً، فهو من هذا الوجه على قسمين:

أ - التقديم والتأخير الكوني: وهو تقدير الله في خلقه وتكوينه وفعله، فقد قدم الله بعض المخلوقات على بعض، وأخر بعضها عن بعض في الخلق والتقدير، وقدم الله الأسباب على مسبباتها، والشروط على مشروطاتها، وأنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقدير بحر لا ساحل له.

ب - التقديم والتأخير الشرعي: وهو متعلق برضا الله ومحبه سبحانه لمكان أو شخص أو قول أو فعل، فقد فضل الله

= وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٨)، وفقه الأسماء الحسنى (٢٨٠) [دار التوحيد، ١، ١٤٢٩].

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/٢٩٤، ٢٩٥) [دار عالم الفوائد، ١، ١٤٢٥هـ]، والحق الواضح المبين للسعدي (٢٦٤)، وتوضيح الكافية الشافية له (٣٨٩)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتيمي (٢٦٤، ٤١١ - ٤١٦) [دار إيلاف، ١، ١٤١٧هـ].

المساجد الثلاثة على غيرها من المساجد، وفضل المساجد على غيرها من الأماكن والبقاع، وفضل الصف الأول من المساجد للرجال والصف الأخير للنساء على غيرها من الصفوف، وفضل الأركان والواجبات على المستحبات والمندوبات، وفضل الأنبياء على الخلق ثم فضل بعضهم على بعض، وفضل العلماء والصالحين على غيرهم، وقدمهم في العلم والإيمان والعمل والأخلاق وسائر الأوصاف، وأخر من أخر منهم بشيء من ذلك، وكل هذا تبع لحكمته سبحانه، يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه وفضله، ويؤخر من يشاء عن ذلك بعدله^(٢).

- المسألة الثالثة: علاقة اسمي الجلال المقدم والمؤخر بمغفرة الذنوب:

لقد ورد ذكر الاسمين الكريمين: المقدم والمؤخر في الأحاديث في سياق طلب المغفرة للذنوب كلها، ماضيها ومستقبلها، وسرها وجهرها وخطئها وعمدها، وفي ذلك إشعار قوي ودليل واضح على أن الذنوب والمعاصي والسيئات من أسباب التخلف والتأخر؛

(٢) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٦٤)، وفقه الأسماء الحسنى للبدر (٢٨٠) [مطابع الحمضي، ١، ١٤٢٩هـ]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٢١٨، ٢١٩) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ٤٤، ١٤٣١هـ].

بل من أسباب الهلاك والدمار والعذاب في الدنيا والآخرة، وأن توبة العبد إلى ربه، وأوبته إليه سبحانه، وطلبه المغفرة منه ﷺ، وعفو الله له، وستره عليه من أسباب التقدم والارتقاء والسعادة والهناء والرخاء، والحياة الطيبة الآمنة المطمئنة في الدنيا والآخرة^(١).

الآثار:

١ - إن الله ﷻ حكيم في أفعاله، وهو المقدم والمؤخر، فما قدمه كان الكمال في تقديمه، وما أخره كان الكمال في تأخيره^(٢).

فعلى العبد أن يعتقد أن الله ﷻ هو وحده المقدم والمؤخر بمشيئته وإرادته التابعة لعلمه وحكمته، لا شريك له في ذلك، وهذا يثمر كمال الذل بين يديه ﷻ، وشدة الطمع فيما عنده، والخوف منه سبحانه، وعدم اليأس من روحه، وعدم الأمن من مكره، وحسن الالتجاء إليه رغبا ورهبا، وخوفاً وطمعاً.

كما يثمر الإيمان بهذا الاسم الحرص على تقديم ما قدمه الله ﷻ وتأخير ما أخره، في المنزلة والمحبة والبغض، وذلك أوثق عرى الإيمان^(٣).

٢ - إن إيمان العبد بأن الله وحده هو المقدم والمؤخر يثمر كمال الذل بين يديه، وقوة الطمع فيما عنده، والخوف منه ﷻ، وعدم اليأس من روحه وعدم الأمن من مكره، وحسن الالتجاء إليه رغبا ورهبا وخوفاً وطمعاً وحرصاً ومسابقة إلى الخيرات والأعمال الصالحات^(٤).

٣ - الإيمان بهذين الاسمين وما دلّا عليه من صفة التقديم والتأخير لله ﷻ يقتضي تقديم ما قدمه الله وتأخير ما أخره الله تعالى، وقد كان النبي ﷺ شديد التحري لذلك، قال ابن القيم: «والنبي ﷻ كان شديد التحري لتقديم ما قدمه الله والبدء بما بدأ به، فلهذا بدأ بالصفاء في السعي وقال: «نبداً بما بدأ الله به»^(٥)، وبدأ بالوجه ثم اليدين ثم الرأس في الوضوء، ولم يُخل بذلك مرة واحدة، بل كان هذا وضوءه إلى أن فارق الدنيا، لم يقدم منه مؤخرًا ولم يؤخر منه مقدمًا قط، ولا يقدر أحد أن ينقل عنه خلاف ذلك»^(٦). وقال أيضًا: «كان يحافظ على تقديم ما قدمه الله وتأخير ما أخره، كما بدأ بالصفاء وقال: «أبدأ بما بدأ الله به»،

(٣٧٥)، وفقه الأسماء الحسنی (٢٨١، ٢٨٢)،

والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی (٣/ ٦١، ٦٢).

(٤) انظر: فقه الأسماء الحسنی (٢٨١).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٢١٨).

(٦) بدائع الفوائد (٢/ ٦٨٥).

(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنی للسعدي (٢٣٨)، وفقه الأسماء الحسنی (٢٨٠).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٤/ ١٠٠) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ٢، ١٤١١هـ].

(٣) انظر: الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی (١/

- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنی»، للزجاج.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنی»، للسعدي.
- ٥ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
- ٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٧ - «فقه الأسماء الحسنی»، لعبد الرزاق البدر.
- ٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنی»، للتميمي.
- ٩ - «مفردات ألفاظ القرآن»، للراغب.
- ١٠ - «المنهاج في شعب الإيمان»، للحليمي.
- ١١ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی»، لحمود النجدي.

❖ المُقْسِط ❖

❖ التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «القاف والسين والطاء أصل صحيح يدل على معنيين متضادين والبناء واحد؛ فالقسط: العدل، ويقال منه: أقسط يقسط. والقسط بفتح القاف: الجور، والقسوط: العدول عن الحق»^(٢).

والمُقْسِط: اسم فاعل من القِسط،

وبدأ في العيد بالصلاة ثم جعل النحر بعدها، وأخبر أن من ذبح قبلها فلا نسك له؛ تقديمًا لما بدأ الله به في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ﴾^(١) [الكوثر]، وبدأ في أعضاء الوضوء بالوجه، ثم اليدين، ثم الرأس، ثم الرجلين؛ تقديمًا لما قدمه الله، وتأخيرًا لما أخره، وتوسيطًا لما وسطه، وقدم زكاة الفطر على صلاة العيد تقديمًا لما قدمه في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^(٢) وذكر اسم ربه صَلَّى^(٣) [الأعلى]، ونظائره كثيرة^(٤).

وهكذا كان شأن النبي صَلَّى^(٥) في جميع أمور الدين، فقد كان يقدم ما قدمه الله ويؤخر ما أخره الله، ولنا جميعًا في رسول الله صَلَّى^(٦) أسوة حسنة، فيجب على كل مسلم أن يقدم شرع الله وسنة رسوله صَلَّى^(٧) ومنهج حياته على كل منهج ودستور وقانون، وأن لا يقدم عليه عقله وهواه، وأن يراعي ما قدمه الله وما أخره في أحكامه وتشريعاته، وأن يطبق هذا التقديم والتأخير في جميع شؤونه وفي كل شعب حياته، والله ولي التوفيق.

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی»، للقرطبي.

(١) زاد المعاد (٢/٣٥١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢٦،

بمعنى: العدل في القسمة والحكم، والقِسْطُ: النَّصِيبُ بالعدل، والإقساط: هو العدل، والقسطاس: الميزان، يعبر به عن العدالة، وأما القِسْطُ بفتح القاف وسكون السين فيدل على خلاف معنى القِسْطُ بكسر القاف، وهو الجور والظلم^(١).

الحكم:

لم يثبت أن المقسط من أسماء الله ﷻ، لكن يخبر عن الله ﷻ أنه هو المقسط، فلا تسوغ تسمية الله ﷻ بالمقسط، أو دعاؤه به، أو التعبيد به فيقال: عبد المقسط؛ لعدم ثبوت النص في كونه اسماً لله ﷻ.

التعريف شرعاً:

المُقْسِطُ: هو القائم بالقسط، وهو العادل في قوله وفعله، والعادل الذي لا يحيف ولا يجور^(٢).

الحقيقة:

المقسط: هو العادل في قوله وعمله، فهو من جماع صفات الكمال لله تعالى، فالله ﷻ لم يزل متكلماً بالعدل، مخبراً به، أمراً به، وقيامه بالقسط يتضمن أنه يقول الصدق، ويعمل بالعدل، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود]، وهذا بمنزلة قوله تعالى: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]؛ فإن الاستقامة والاعتدال متلازمان، فمن كان قوله وعمله بالقسط كان مستقيماً، ومن كان قوله وعمله مستقيماً كان قائماً بالقسط^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تتضح العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي في تطابق المعنيين؛ إذ كلاهما دالٌّ على معنى العدل، وهو في حق الله ﷻ بالغ غايته وكماله، أو ما اختص به بعض عباده من الخير دون غيرهم بمقتضى حكمته وعدله.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال تعالى:

(١) انظر: تهذيب اللغة (٣٨٨/٨، ٣٨٩) [الدار المصرية، ط ١، ١٣٨٧هـ]، ومقاييس اللغة (٨٨٧) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (١١٥٢/٣) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٧٠) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (٨٨١) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٧٣٤/٢) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: شأن الدعاء (٩٢) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، والحجة في بيان المحجة (١٤٨/١) [دار الراجعية، ط ١]، ومدارج السالكين (٣٣٨/٣) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٥/١٤ - ١٧٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ٥، ١٤٢٥هـ]، ومدارج السالكين لابن القيم (٣٣٦/٣ - ٣٣٩).

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال: «إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابهُ النور - وفي رواية: النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال قوام السُّنة التيمي رحمته الله: «واسمه تعالى المقسط؛ أي: العادل في حكمه، الذي لا يحيف والذي ولا يجور»^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «والله وتر يحب الوتر، جميل يحب الجمال، مقسط يحب المقسطين»^(٣).

وقال الشيخ حافظ حكيمي رحمته الله: «المقسط: الذي أرسل رسله بالبينات، وأنزل معهم الكتاب، والميزان ليقوم الناس بالقسط، وما للظالمين من نصير»^(٤).

وقال الشيخ محمد خليل هراس رحمته الله:

قال ابن فارس رحمته الله: «القاف واللام والباء أصلان صحيحان؛ أحدهما: يدل على خالص شيء وشريفه، والآخر:

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٩).
(٢) الحجّة في بيان المحجّة (١/١٤٨) [دار الراجعية، ط ١، ١٤١١هـ].
(٣) الرسالة الأكملية (٤٨) [مطبعة المدني، ١٤٠٣هـ].
(٤) معارج القبول (١/٤٣) [دار ابن الجوزي، ط ٦، ١٤٣٠هـ].

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٣ - «الحجة في بيان المحجّة»، للأصبهاني.
- ٤ - «الرسالة الأكملية»، لابن تيمية.
- ٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٦ - «شرح أسماء الله الحسنى»، للقحطاني.
- ٧ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٨ - «الطريقة المثلى لإحصاء أسماء الله الحسنى»، لغريب بن محمد.
- ٩ - «معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
- ١٠ - «النهج الأسمى»، للنجدى.

❁ مقلب القلوب ❁

❁ التعريف لغةً:

على ردّ شيء من جهة إلى جهة»^(١). **الحكم:**

يجب الإيمان بثبوت اسم مقلب القلوب من أسماء الله تعالى المضافة، وأنه متضمن لصفة التقلب، من الصفات الفعلية الحقيقية، على ما يليق بجلاله، وعظمة سلطانه، دون تمثيل أو تحريف أو تعطيل^(٤).

الحقيقة:

مقلب القلوب: مصرفها ومغيرها من حال إلى حال، من الطاعة إلى المعصية، ومن الإيمان إلى الكفر، والعكس، وفق إرادته ﷻ ومشيئته، وقلوب العباد كلها بين إصبعين من أصابعه، كقلب واحد، يصرفها حيث يشاء، بقدرته ﷻ، ولا يتوهم في ذلك تمثيل ولا تشبيه، الذي يؤدي إلى التعطيل، فهو القادر على كل شيء، وصفاته كلها صفات كمال، تليق بجلاله وعظمة سلطانه.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أكثر ما كان النبي ﷺ يحلف: «لا ومقلب القلوب»^(٥).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤٨٤/٢٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١، ١٤١٦هـ].
(٥) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٩١).

مقلب: اسم فاعل من التقلب مأخوذ من أصله الثلاثي قَلَبَ، والقلوب: جمع قَلْب وهو أيضًا مأخوذ من الأصل الثلاثي قَلَبَ، والقاف واللام والباء أصلان صحيحان يدل أحدهما على خالص شيء وشريفه، وإليه يرجع معنى القلب والقلوب، ويدل على رد شيء من جهة إلى جهة وإليه يرجع معنى مقلب. وقيل: سُمي القلب قلبًا؛ لكثرة تقلبه، فيرجع إلى الأصل الثاني، وتقلب الأمور: تصرفها وتديرها والنظر فيها، ومنه القلب: البئر قبل أن تطوى، والقلوب والقُلُب: المتقلب وكثير التقلب^(٢).

التعريف شرعًا:

مقلب القلوب: مصرفها من حال إلى حال، ومن رأي إلى رأي، من الطاعة إلى المعصية، ومن المعصية إلى الطاعة، وهكذا من حال إلى حال^(٣).

(١) مقاييس اللغة (١٧/٥) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٧٢/٩ - ١٧٦) [الدار المصرية، ط ١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (٢٠٤/١) - [٢٠٦] [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٨١، ٦٨٢) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (١٦٢، ١٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٥]، والمعجم الوسيط (٢/٧٥٣) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢م].

(٣) انظر: فتح الباري (٢٦٦/١٥) (٣٣٧/١٧) [دار طيبة، ط ١، ١٤٢٧هـ]. وانظر: تحفة الأحوزي (٦/٣٤٩) [دار الفكر].

ثبت في الكتاب والسنة^(٤).

الآثار:

من آثار الإيمان بهذا الاسم هو المبادرة إلى الطاعات، واجتناب المعاصي والمحرمات، والخوف من العاقبة، وسوء الخاتمة، واللجوء إلى الله في كل وقت وحين، وسؤاله الثبات على الدين إلى الممات، وبخاصة عند ظهور الفتن وكثرتها وغلبتها.

وكذلك البعد عن تزكية النفس، ومجاهدتها في ترك الغرور، والاعتداد بالأعمال وحدها؛ بل على المرء أن يحرص على أن يكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (١٠) ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (١١) [المؤمنون].

المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام القرآن»، لأبي بكر ابن العربي.
- ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٣ - «أسماء الله الثابتة في الكتابة والسنة»، للرضواني.
- ٤ - «كتاب التوحيد» (ج ٢)، لابن منده.
- ٥ - «تفسير السعدي».

(٤) مجموع الفتاوى (٢٢/٤٨٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال ابن منده رحمته الله - ضمن أسماء الله وعلى المضافة إلى صفاته وأفعاله -: «ذو القوة المتين، ذو العرش المجيد مقلب القلوب»^(٣).

وقال ابن تيمية: «ومن أسمائه التي ليست في هذه التسعة والتسعين اسمًا: السبوح، وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما

(١) أخرجه الترمذي (أبواب القدر، رقم ٢١٤٠) وحسنه، وأحمد (١٦٠/١٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٦هـ]، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٩٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٤).

(٣) انظر: التوحيد (٢/٢٠٣) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط ٢، ١٤١٤هـ].

ولذلك فوصف الله تعالى بها جاء مقيدًا بما يفيد الكمال والعظمة، والعدل والحكمة.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن المعنى المتعلق بوصف الله تعالى هو على جهة الكمال الذي لا يعتره نقص بوجه من الوجوه، ولذلك لا يأتي إلا مقيدًا بما يفيد المدح والحمد، بخلاف ما قد يوصف به المخلوق من المكر، فإنه قد يكون تعديًا وظلمًا.

الحكم:

وجوب إثبات ما أضافه الله تعالى إلى نفسه من صفة المكر على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وأن يؤتى بذلك مقيدًا - كما في القرآن - بما يفيد الكمال، ويزيل إيهام النقص.

الحقيقة:

لما كانت صفة المكر من الصفات المنقسمة التي تقبل المدح وتقبل الذم، جاء وصف الله تعالى بها مقيدًا بما يدل على المدح والكمال المطلق. فالمكر حين يتعلق بمن يستحق المكر وفي المواقف الموجبة له يعد مدحًا لدى كل عاقل.

قال ابن تيمية - في تسمية فعل الله

٦ - «شرح رياض الصالحين»، لابن عثيمين.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٢٢)، لابن تيمية.

٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتيمي.

المكر

التعريف لغة:

المكر: يدل على الاحتيال، والخديعة، والمغرة، والتدبير على العدو^(١).

التعريف شرعًا:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى في مقابل مكر الماكرين، وردّ كيد الكائدين، يتصف الله بها على وجه الكمال تقتضي مدحًا للموصوف.

وهي بمعنى: إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، والتوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم، وهي في محلها صفة كمال يحمد عليها^(٢).

(١) انظر: الصحاح (٢/٣٨٣)، ومقاييس اللغة (٥/٣٤٥)، والنهية في غريب الحديث والأثر (٤/٧٧٤)، والقاموس المحيط (٦١٣)، والمصباح المنير (٢/٥٧٧)، والفروق اللغوية للعسكري (٢٠٦).

(٢) انظر: إعلام الموقعين (٣/٢٢٩)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٣٣٥)، والقول المفيد لابن عثيمين (٢/٦٤)، وراجع: مجموع الفتاوى (١١١/٧).

وقال أبو إسحاق الحربي: «والكيد من الله خلافة من الناس، كما المكر منه خلافة من الناس»^(٣).

وقال ابن تيمية: «وهكذا وصف نفسه بالمكر والكيد، كما وصف عبده بذلك، ﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [١٥] و﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [١٦] [الطارق]، وليس المكر كالمكر ولا الكيد كالكيد»^(٤).

وقال ابن القيم: «وكذلك المكر ينقسم إلى محمود ومذموم فإن حقيقته إظهار أمر وإخفاء خلافة ليتوصل به إلى مراده، فمن الم محمود: مكره تعالى بأهل المكر مقابلة لهم بفعلهم وجزاء لهم»^(٥).

المسائل المتعلقة:

إذا كانت الصفة كملاً في حال، ونقصاً في حال، لم تكن جائزة في حق الله، ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تُثبِت له إثباتاً مطلقاً، ولا تُنْفَى عنه نفياً مطلقاً، بل لا بد من التفصيل، فتجوز في الحال التي تكون كملاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً، وذلك كالمكر، والكيد، والخداع، ونحوها، فهذه الصفات تكون

(٣) غريب الحديث للحربي (٩٤/١) [جامعة أم القرى، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٤) التلمية (٢٦).

(٥) إغانة اللهفان (١/٣٨٨).

سبحانه بالماكرين والكائدين والمستهزئين مكرًا وكيدًا واستهزاء: «بل تسميته مكرًا وكيدًا واستهزاءً وسيئة وعقوبة على بابه؛ فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، وكذلك الكيد، فإن كان ذلك الغير يستحق ذلك الشر كان مكرًا حسنًا، وإلا كان مكرًا سيئًا، بل إن كان ذلك الشر الواصل حقًا لمظلوم كان ذلك المكر واجبًا في الشرع على الخلق، وواجبًا من الله بحكم الوعد، إن لم يعف المستحق، والله سبحانه إنما يمكر ويستهزئ بمن يستوجب ذلك فيأخذه من حيث لا يحتسب»^(١).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ [آل عمران].

وقال سبحانه: ﴿وَمَكُرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل].

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري: «وأما الذين زعموا أن قول الله تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، إنما هو على وجه الجواب، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة، فنافون عن الله ﷻ ما قد أثبتته الله ﷻ لنفسه، وأوجبه لها»^(٢).

(١) الفتاوى الكبرى (٦/١٢٩).

(٢) تفسير الطبري (١/٣٠٦).

وأوليائه من النصر والعاقبة الحسنة، مع قلة ذات اليد لديهم؛ لكنه نصر الله تعالى الذي يكيد لهم ويمكر لهم.

٧ - ما يقع على الظالمين من العقوبة والعذاب، فهم وإن فرحوا بمكرهم واعتدائهم زماناً، إلا أن المآل القريب هلاك وخسران، فهم يكيدون كيداً، والله يكيد كيداً، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ [الأنفال].

❁ مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في إثبات هذه الصفة، وهذا بناء على ما أصلوه في نفي الصفات.

فمخالفة الجهمية بناء على أصلهم الفاسد في أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه^(٢).

ومخالفة المعتزلة بناء على أصلهم في نفي الصفات؛ لاستلزامها التشبيه، ولأن تعدد الصفات يلزم منه تعدد القدماء^(٣)، فيثبتون المكر باعتبار أثره، ويجعلونه استعارة لأخذ العبد من حيث لا يحتسب^(٤).

(٢) الفرق بين الفرق للبيغدادي (٢٢١) [دار التراث]، والملل والنحل للشهرستاني (٩٨/١) [دار المعرفة، ط ٢].

(٣) شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (١٦٢) [مكتبة وهبة، ط ٣، ١٤١٦هـ].

(٤) انظر: الكشاف للزمخشري (٣/٣٧٧).

كماً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها؛ لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله، أو أشد، وتكون نقصاً في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤٌ وَّمَكْرٌ لِلَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ [آل عمران]^(١).

❁ الآثار:

١ - التعبد لله تعالى بالخوف منه، وعدم أمن مكره وكيدته، مع رجائه وحسن الظن به.

٢ - التجاء المؤمن إلى ربه ﷻ في ردّ مكر الماكرين، وصرف أذى المبطلين.

٣ - الحذر من المكر المؤدي إلى إحقاق باطل، أو إبطال حق؛ فمن مكر للباطل مكر الله به للحق.

٤ - يقين المؤمنين بنصر الله تعالى؛ فهو جاعل العاقبة للمتقين، يمكر لهم لا عليهم في ردّ مكر كل مبطل.

٥ - قيام ما خلق الله تعالى بالعدل والحكمة؛ فمن مكر ظلماً وعدواناً لا يدوم له مكر وإن فرح به زماناً؛ فالله تعالى لا يهدي كيد الخائنين، ومبطل بمكره مكر المبطلين.

٦ - ما يكون لرسول الله وأنبيائه

(١) انظر: القواعد المثلى (٢٩) [مكتبة السُّنة، ط ٢].

لجميع ما أثبتته الله تعالى لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ يقررون هذا الأصل الجامع لكل الصفات، المانع من أي ظن كاذب أو لازم باطل، ومنها صفة المكر.

٣ - ثم إن إثبات الصفات الفعلية لا يلزم منه أن تكون ذاته محلاً لحوادث مخلوقة، فهو لم يزل ولا يزال فعالاً لما يريد، والنصوص الدالة على تعدد أفعاله وتنوعها لا تكاد تحصى، وليس في شيء منها ما يدل على أن شيئاً من المخلوقات يحل في ذاته^(٢).

٤ - يقال لمنكر صفة الاستهزاء والمكر: إن الله ﷻ أخبرنا أنه مكر بقوم مضوا قبلنا لم نرهم، وأخبر عن آخرين أنه خسف بهم، وعن آخرين أنه أغرقهم، فصدفنا الله تعالى ذكره فيما أخبرنا به من ذلك، ولم نفرق بين شيء منه.

فما برهانك على تفريقك ما فرقت بينه بزعمك أنه قد أغرق وخسف بمن أخبر أنه أغرق وخسف به، ولم يمكر بمن أخبر أنه قد مكر به؟ ثم نعكس القول عليه في ذلك، فلن يقول في أحدهما شيئاً إلا ألزم في الآخر مثله.

فإن لجأ إلى أن يقول: إن الاستهزاء عبث ولعب، وذلك عن الله ﷻ منفي.

(٢) انظر: رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية ضمن جامع الرسائل (٥٧/٢) [دار العطاء، ط ١، ١٤٢٢هـ].

ومخالفة الأشاعرة بناء على أصلهم في نفي الصفات الفعلية؛ لأن إثباتها يستلزم حلول الحوادث في ذات الله تعالى، وكذلك توهم النقص في إثبات هذه الصفة نظراً لجانب النقص الذي يحتمله إثباتها، فأولوها إلى صفة الإرادة التي يثبتونها ضمن الصفات العقلية السبع التي يثبتونها، فتكون الصفة عندهم بمعنى إرادة العقوبة، أو بمعنى العقوبة الواقع على الممكور به^(١).

الرد عليهم:

١ - بنفي ما أحدثوه من لوازم باطلة، فإثبات الصفات لا يلزم منه تعدد القدماء، ولا التشبيه، ولا أيّاً من اللوازم الباطلة التي يجعلها النفاة مانعة لإثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه، وأثبتته له رسوله ﷻ من الأسماء والصفات.

فإن الله تعالى أثبت لنفسه صفات، وأثبتها لخلقه؛ كالعلم، والقدرة، والإرادة، والعظمة، ومن ذلك صفة مكره بالماكرين، ولم يلزم من هذا الإثبات أي معنى للتشبيه والتنقص الذي يزعمه هؤلاء النفاة، بل المتقرر شرعاً وعقلاً ما أخبر به تعالى عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

٢ - وأهل السنة والجماعة في إثباتهم

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١/١٢٩، ١٤/١٥١).

- ٣ - «جامع الرسائل»، لابن تيمية.
 ٤ - «الرسالة التدمرية»، لابن تيمية.
 ٥ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن
 عثيمين.
 ٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في
 الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.
 ٧ - «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.
 ٨ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.
 ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

■ الملائكة ■

❁ التعريف لغةً:

الملائكة: جمع مَلَك، وهو تخفيف
 المَلَك، اجتمعوا على حذف همزه،
 قال الكسائي: أصله مَلَك بتقديم الهمزة
 من الألوک وهي الرسالة، يقال: أَلَكْنِي
 إليه؛ أي: أرسلني إليه، ثم قلبت
 وقدمت اللام فقليل: مَلَأَكْ ثم تركت
 همزته لكثرة الاستعمال فقليل: ملك،
 فلما جمعه ردوها إليه فقالوا: ملائكة
 وملائك^(٢). ويأتي بمعنى المَلِك، قال
 ابن فارس: «الميم واللام والكاف أصل
 صحيح يدل على قوة في الشيء
 وصحة... والاسم المَلِك؛ لأن يده فيه
 قوة صحيحة»^(٣).

قيل له: إن كان الأمر عندك على ما
 وصفت من معنى الاستهزاء، أفلست
 تقول: (الله يستهزئ بهم) و(سخر الله
 منهم) و(مكر الله بهم) وإن لم يكن
 من الله عندك هزء ولا سخرية؟ فإن قال:
 لا. كذب بالقرآن، وخرج عن ملة
 الإسلام. وإن قال: بلى. قيل له:
 أفَتَقول من الوجه الذي قلت: (الله
 يستهزئ بهم) و(سخر الله منهم):
 يلعب الله بهم ويعبث؟ - ولا لعب من الله
 ولا عبث. - فإن قال: نعم؛ وصف الله
 بما قد أجمع المسلمون على نفيه عنه،
 وعلى تخطئة واصفه به، وأضاف إليه ما
 قد قامت الحجة من العقول على ضلال
 مضيفه إليه. وإن قال: لا أقول:
 يلعب الله بهم ولا يعبث، وقد أقول:
 (يستهزئ بهم) و(يسخر منهم). قيل: فقد
 فرقت بين معنى اللعب والعبث، والهزء
 والسخرية، والمكر والخديعة. ومن
 الوجه الذي جاز قيل هذا، ولم يجز قيل
 هذا، افترق معنيهما. فعلم أن لكل
 واحد منهما معنى غير معنى الآخر^(١).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «إعلام الموقعين عن ربِّ
 العالمين»، لابن القيم.
 ٢ - «إغاثة اللفهان من مصائد
 الشيطان»، لابن القيم.

(٢) ينظر: لسان العرب (٤٨١/١٠) [دار صادر]،
 والقاموس المحيط (١٢٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (٥/٣٥١، ٣٥٢).

(١) انظر: تفسير الطبري (١/٣٠٦).

التعريف اصطلاحًا:

الملائكة خلق من مخلوقات الله، حجبهم الله عنا، فلا نراهم، وربما كشفهم لبعض عباده، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل والتمثل والتصوير بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاح:

معنى الملائكة في اللغة: هو الرسل، ولا شك أن الملائكة ﷺ هم رسل الله تعالى إلى أنبيائه ﷺ، وإلى من شاء من خلقه ﷺ، يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَلْعَدُّ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحٍ﴾ [فاطر: ١]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]. وعلى القول بأنه مشتق من الملك، وهو الأخذ بقوة؛ فلأن الملائكة أولو قوة وشدة في القيام بأداء ما أوكل الله إليهم القيام به.

الحكم:

الإيمان بالملائكة واجب، وهو ركن من أركان الإيمان في الإسلام، لا يتحقق الإيمان إلا به.

الحقيقة:

خلق الله الملائكة ﷺ من نور، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»^(٢). وَخُلِقَ الْمَلَائِكَةُ كَمَا كَانَ قَبْلَ آدَمَ ﷺ قَطْعًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْتَوٍ﴾ [الحجر: ٧٨].

المنزلة:

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان عبد إلا بتحقيقه.

الأهمية:

يدل على أهمية هذا الركن أن القرآن الكريم مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، والأمر بالإيمان بهم، والتحذير من الكفر بهم، وبيان أحوالهم مع الله تعالى ومع الناس، وبيان مراتبهم وأعمالهم، حتى أن بعض سور القرآن قد

(١) ينظر: تفسير اللباب (١/١٢١) [دار الكتب العلمية]، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/١٢٣) [دار إحياء التراث العربي]، والقول المفيد على كتاب التوحيد (٣/٦٥).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرفائق، رقم ٢٩٩٦).

وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت^(٢).

المسائل المتعلقة:

١ - المسألة الأولى: يتضمن الإيمان بالملائكة عدة أمور لا بد للعبد من تحقيقها حتى يتحقق له الإيمان بالملائكة وهي:

أ - الإقرار بوجودهم والتصديق بهم، كما دلّت على ذلك النصوص المتقدمة من أن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان فلا يتحقق الإيمان إلا بذلك.

ب - الإقرار بتكريم الله لهم، كما تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنبياء] وقال: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس]. فوصفهم بأنهم مكرمون منه ﷺ.

ج - الإقرار بشرفهم عنده ﷺ، فقد قال في حقهم: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [فصلت]، فوصفهم بأنهم عنده، وهذا تشریف لهم، ومن تشریف الله للملائكة أنه تعالى أقسم بهم في غير موضع من كتابه وهذا لشرفهم عنده، فقال: ﴿وَالصَّفَاتِ صَفًا ﴿١﴾﴾ فَأَلزَجَرْتِ زَجْرًا

سميت باسمهم. والسنة مثل القرآن مليئة بأخبارهم وأحوالهم مبينة لما أجمل من أحوالهم في القرآن، آمرة بالإيمان بهم، كما أمر بذلك القرآن^(١).

الأدلة:

الأدلة على هذا الركن كثيرة، منها: قول الله تعالى: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ فَقَلَّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وحكم ﷺ بالكفر والضلال على من لم يؤمن بأركان الإيمان، ومنها الإيمان بالملائكة، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء].

وبيّن النبي ﷺ لأُمَّته أن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، يدل عليه حديث عمر بن الخطاب ﷺ، حينما أتى جبريل ﷺ النبي ﷺ في صورة البشر، وفيه: «فقال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته،

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر ﷺ. وهو بنحوه عند البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(١) ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (١٦، ١٧) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٢هـ].

اللَّهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٩٨﴾ [البقرة].

و - أن لا يغلو المسلم في الملائكة فيصرف لهم شيئاً من أنواع العبادة، ولا يعتقد فيهم غير ما أمره الله به، من أنهم خلق من خلق الله لا شأن لهم في الخلق والتدبير وتصريف الأمور؛ بل هم جند من جنود الله يعملون بأمر الله، والله تعالى هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ذلك. وقد حذر تعالى من اتخاذ الملائكة أرباباً من دون الله، فقال ﷺ:

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ [آل عمران]، وردَّ ﷺ على من قال: إن الملائكة بنات الله، وأنهم يشفعون من دون الله تعالى، فقال: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ مِنْهُمْ وَهُم مِّنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٦٩﴾

[الأنبياء]. فهم مع إكرام الله لهم، ورفع منزلتهم بين مخلوقاته؛ إلا أنه لم يأمر بعبادتهم ولم يتخذ منهم ولداً كما زعم من كفر، بل هم له تعالى في غاية الطاعة قولاً وفعلاً، ولا يشفعون إلا بإذنه ورضاه.

ز - الإيمان المفصل بمن جاء

﴿٢﴾ فَالْتَبَيْتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ [الصفات]، وقال المولى ﷺ: ﴿فَالْفِرْقَتِ فَرَقًا﴾ ﴿٤﴾ فَالْمَلِئَتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ [المرسلات].

د - موالاتهم ومحبتهم، لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، فدخل الملائكة في هذه الآية؛ لأنهم مؤمنون قائلون بطاعة ربهم، كما أخبر الله عنهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [التحريم]، وأخبر ﷺ عن موالاته الملائكة لرسوله وللمؤمنين فقال: ﴿وَإِنْ تَطَهَّرْنَا عَلَيْهِ فإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ ﴿٦١﴾ [التحريم]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَتَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴿٦٣﴾ [فصلت] فوجبت موالاته الملائكة على المؤمنين؛ لموالاتهم لهم ونصرهم وتأيدهم واستغفارهم لهم.

هـ - الحذر من بغضهم وعداوتهم، وذلك لأن عداوة الملائكة موجبة لعداوة الله وسخطه، فهم إنما يصدرون عن أمر الله وحكمه، فمن عاداهم فقد عادى ربه، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ

ب - أنهم عقلاء، قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم]، وقال ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١١﴾ كِرَامًا كَنِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار]. وقال تعالى في خطابه للملائكة: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة]، فأثبت الله ﷻ للملائكة علمًا واتباعًا للأوامر واجتنابًا للمعاصي، وهذا كله دلالة على كمال عقولهم.

ج - أنهم ينطقون، قال تعالى: ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ]، وقال تعالى على لسان الملائكة وهم يخاطبون الكفار في النار: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ النَّوَىٰ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ أَيُّومَ تُحْزَنُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام].

د - أنهم موصوفون بالقوة والشدة، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًّا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُم نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ﴾ [التحریم: ٦]. وقال تعالى في وصف جبريل ﷻ الذي نزل بالوحي على محمد ﷺ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم]؛ أي: ذو قوة، وقال تعالى في وصف جبريل أيضًا: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير]؛ أي: شديد الخلق، شديد

التصريح بذكرهم من الملائكة على وجه الخصوص في الكتاب والسنة؛ كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وغيرهم ممن جاءت النصوص بتسميتهم. وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف؛ كرقيب وعتيد، أو بذكر وظيفته؛ كملك الموت وملك الجبال، أو من جاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة؛ كحملة العرش، والكرام الكاتبين وغيرهم، ممن أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم.

- المسألة الثانية: صفاتهم:

اشتملت نصوص الكتاب والسنة على صفات كثيرة للملائكة ﷻ، منها:

أ - أنهم أحياء، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْعَنَمِ وَيُرَى الْمَلَائِكَةُ نَزِيرًا﴾ [الفرقان]، فالتسبيح والصلاة، والعروج إلى السماء والنزول إلى الأرض، ومخاطبة الملائكة لربهم ولرسله ولمن شاء تعالى من خلقه، ومخاطبة الملائكة للكفار مما هو مذكور في القرآن، فيه الدلالة على حياة الملائكة.

البطش والفعل^(١).

[النجم]؛ أي: أن الذي عَلَّمَهُ هو جبريل عليه السلام^(٥)، وهذا متضمن وصف جبريل بالعلم والتعليم.

ز - أنهم كرام أبرار، قال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس]، وقال عليه السلام: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار].

ح - ومن صفاتهم: الحياء؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق عثمان رضي الله عنه: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»^(٦).

ط - ومن صفاتهم: الحسن والجمال، فالملائكة خلقوا على أجمل صورة، قال تعالى في حق جبريل عليه السلام: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾﴾ [النجم] قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: «ذو منظر حسن»^(٧). وقال تعالى حال النسوة اللاتي رأين يوسف عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف] وإنما قلن ذلك لما هو مقرر عند البشر من وصف الملائكة بالجمال والحسن.

- المسألة الثالثة: خصائصهم:

اختص الله الملائكة بخصائص

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٤٤/٧).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠١).

(٧) أخرجه الطبري في التفسير (٤٩٩/٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١].

هـ - عظم خلقهم: فهم موصوفون بعظم الأجسام والخلق، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦]، وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عن جبريل: «لم أره على صورته التي خلق عليها غير مرتين، رأيتُه منهبطًا من السماء سادًا عِظْمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض»^(٢)، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبريل في صورته، له ستمائة جناح»^(٣)، وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»^(٤).

و - العلم، فقد أثبت الله صلى الله عليه وآله وسلم للملائكة علمًا وأثبت لنفسه علمًا لا يعلمونه، وذلك في قوله تعالى مخاطبًا الملائكة: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾﴾

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٤٤/٧، ٣٣٨/٨) [دار طيبة، ط٤، ١٤٢٨هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٤).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٢٧)، وصححه الذهبي في العلو (رقم ٢٣٤)، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى ﴿٧٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٧٨﴾﴾ [النجم]، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلرَّبُّكَ أَلْبَنَاتٌ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَكَلَّمَ اللَّهُ وَإِلَهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الصافات].

د - الملائكة باقون على أصل خلقتهم، لا يتوالدون ولا يتزاوجون، وهذا يدل عليه ظاهر الآيات السابقة.

هـ - أنهم لا يأكلون ولا يشربون، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنثَىٰ حَدِيثُ صَيفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَىٰ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَفَرَّقَهُهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْفَظْ وَبَشِّرُوهُ بِعَلَمٍ عَلَيْهِ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْفَظْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٧٧﴾﴾ [هود].

و - قدرتهم على التشكل، فقد جاؤوا إبراهيم في صورة بشر فلم يعرف أنهم ملائكة، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنثَىٰ حَدِيثُ صَيفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريات]،

اختصوا بها عن سائر المخلوقات، منها: أ - سكن الملائكة هو السماء، فمنازلهم هي السماء، قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ٥]، وقال ﷺ: «أُطَّتِ السَّمَاءُ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَتَطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا عَلَيْهِ مَلِكٌ سَاجِدٌ»^(١). وإنما ينزل الملائكة إلى الأرض تنفيذاً لأمر الله في الخلق وما أسند إليهم من تصريف شؤونهم. قال تعالى: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل: ٢].

ب - تفاوتهم في الخلق، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له ستمائة جناح، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِيٰ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١].

ج - لا يوصف الملائكة بالأنوثة، قال تعالى منكرًا على الكفار قولهم: إن الملائكة بنات الله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَخَّكَبُ شَهْدَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف]،

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الزهد، رقم ٢٣١٢) وحسنه، وأحمد (٤٠٥/٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٨هـ] واللفظ له، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٨٨٣) وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٣٨٠) [مكتبة المعارف، ط ٥].

﴿سَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٢٠)
[الأنبياء].

ط - مبادرتهم إلى امتثال أمر الله تعظيماً له، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر]. وهم لا يفعلون شيئاً إلا بوحية وأمره يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْفِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء].

ي - جعل الله الملائكة فرقاناً بين الحق والباطل، فهي تنزل بأمر الله تعالى على الرسل، تفرق به بين الحق والباطل، والهدى والغى، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحياً فيه إغذار إلى الخلق، وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره، قال ﷺ: ﴿فَالْفَرْقَتِ فَرَقًا﴾ (٤) ﴿فَالْمَلِئِكَةِ ذِكْرًا﴾ (٥) عُدًّا أَوْ نَذْرًا ﴿١﴾ [المرسلات].

ك - أنهم منظمون في عباداتهم وكل شؤونهم، وقد حثنا رسول الله ﷺ على الاقتداء بهم، يدل عليه حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها تبارك وتعالى؟ قال: قلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتممون الصفوف الأولى ويتراصون في الصف» (٣)، وفي يوم القيامة: يأتون

وجبريل حين أتى مريم في صورة بشرية: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (١١) فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ [مريم]، وحديث الأقرع والأبرص والأعمى حينما أتاهم ملك في صورة رجل ليختبرهم (١). وحديث جبريل حينما أتى في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، فأخذ يسأل النبي عن أركان الإسلام والإيمان والإحسان، والنبي ﷺ يجيبه (٢).

ز - أنهم لا يعصون الله في شيء، ولا تصدر منهم الذنوب، بل طبعهم الله على طاعته، والقيام بأمره، كما قال تعالى في وصفهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١) [التحريم].

ح - أنهم لا يتعبون ولا يملئون عن عبادة الله تعالى، قال ﷺ: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْعَمُونَ﴾ (٢٨) [فصلت]، وقال تعالى: ﴿...وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٦)

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٦٤)، ومسلم (كتاب الزهد والرفائق، رقم ٢٩٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر رضي الله عنه، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٠).

مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»^(٤)، كما أن ما ورد في النصوص عن وجود ملائكة تقوم على الإنسان: فهناك ملك موكول بالنطفة، وملكان لكتابة الأعمال، وملائكة لحفظه، وملائكة سيّاحة تبحث عن مجالس العلم، وملائكة تتعاقب على البشر، دلالة على أعدادهم الكثيرة التي لا يعلم بها إلا الله.

- المسألة الخامسة: تفاضلهم:

تفاضل الملائكة وعدم تساويهم في الفضل والمنزلة عند الله، دلّت عليه النصوص الشرعية، قال تعالى على لسان الملائكة: ﴿وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤) [الصفات]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنَ الْنَّاسِ﴾ [الحج: ١٧٥]. وقال ﷺ: «لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ» [النساء: ١٧٢] فأخبر أن منهم مصطفين بالرسالة ومقربين، فدلّ على فضلهم على غيرهم. وقال عن جبريل عليه السلام: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾» [التكوير: ١٠] أي: له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله

صفوفاً منتظمة: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٢٢) [الفجر] ويقفون بين يدي الله تعالى صفًّا: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٢٨) [النبأ].

ل - أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب أو صورة، فعن أبي طلحة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة تماثيل»^(١).

- المسألة الرابعة: عددهم:

عدد الملائكة لا يحصى ولا يعد، فلا يعلم عدد الملائكة ﷻ إلا الله تعالى، قال ﷺ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ (٣١) [المدثر]. وفي حديث البيت المعمور، قال ﷺ: «يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم»^(٢)، قال ابن حجر رحمته الله: «استدل به على أن الملائكة أكثر المخلوقات؛ لأنه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد جنسه في كل يوم سبعون ألفًا، غير ما ثبت عن الملائكة في هذا الخبر»^(٣)، وفي حديث عبد الله بن

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٢٥)،

ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٧)،

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤)، واللفظ له.

(٣) فتح الباري (٧/٢٥٥) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،

رقم ٢٨٤٢).

وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٣١﴾ لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ [الأنبياء]. فهذا صريح في براءتهم عن المعاصي وكونهم متوقفين في كل الأمور إلا بمقتضى الأمر والوحي.

وعن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه قال: «دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله! نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن لو تدمون على ما تكونون عندي وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فُرُشكم وفي طرقكم؛ ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ثلاث مرات» ^(٣).

ووجه الدلالة هنا: أن من كان منزهاً عن الوقوع في الغفلة، وكان ملازمًا لذكر الله وعبادته في كل وقته كان شبيهاً بالملائكة. أيضًا فإن الله تعالى حكى عن الملائكة أنهم طعنوا في البشر بالمعصية، ولو كانوا من العصاة، لما حسن منهم ذلك الطعن. أيضًا حكى تعالى عنهم أنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ومن كان كذلك امتنع

تعالى. وأفضل الملائكة: المقربون مع حملة العرش، وأفضل المقربين الملائكة الثلاثة الوارد ذكرهم في دعاء النبي ﷺ الذي كان يفتح به صلاة الليل فيقول: «اللَّهُمَّ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة» ^(١)، وأفضل الملائكة في الجملة من شهد منهم معركة بدر، فعن رفاعة بن رافع رضي الله عنه؛ أن جبريل جاء للنبي ﷺ، فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة» ^(٢).

ـ المسألة السادسة: عصمتهم:

دلت نصوص القرآن والسنة على عصمة كل الملائكة عن جميع الذنوب؛ فمنها:

قوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ^(١) [التحریم]، وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ^(٢) [النحل]، فقوله: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ^(٣) يتناول فعل جميع المأمورات وترك المنهيات؛ لأن المنهي عن الشيء مأمور بتركه. ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٣٩٩٢).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٠).

صدور المعصية منه^(١).

- المسألة السابعة: أسماء الملائكة:

للملائكة أسماء عامة مثل: الرسل، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: ١]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]. والسفيرة، قال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس]. والجند، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. والملا الأعلى، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ [ص]، وقال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ ﴿٨﴾ [الصفافات]. والأشهاد، قال ﴿يَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨].

كذلك للملائكة أسماء خاصة؛ منها: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، يدل عليه قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٩٨﴾ [البقرة]، وقد ذكرهم النبي ﷺ في قوله: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ»^(٢). ومنهم: مالك خازن النار، قال تعالى: ﴿وَنَادَاؤُا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْهِمَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنكُوتُونَ﴾ ﴿٧٧﴾

[الزخرف]. ومنهم: منكر ونكير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبر الميت - أو قال: أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر والآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل»^(٣)، الحديث. ومنهم: ملك الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتُوقَّكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١﴾ [السجدة]. ومنهم: هاروت وماروت، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

- المسألة الثامنة: عبادة الملائكة:

ورد في القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ، عبادات متعددة للملائكة، منها:

أ - التسبيح، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غافر: ٧]، وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ [فصلت].

ب - الصلاة، وشاهده قول النبي ﷺ للصحابه قبل دخوله في الصلاة: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها تبارك وتعالى؟ قال: قلنا: يا رسول الله

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧١) وحسنه، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٧)، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٩١).

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٦٦/٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣].

(٢) تقدم تخريجه.

وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتَّمون الصفوف الأولى ويتراصُّون في الصف^(١)، وفي حديث الإسراء: «فَرُفِعَ لي البيت المعمور، فسألتُ جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»^(٢).

ج - السجود، دلَّ عليه حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إذ قال لهم: «هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء يا رسول الله! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأسمع أطيِّب السماء، وما تلام أن تتط، وما فيها موضع قدم إلا وعليه ملك إما ساجدٌ وإما قائمٌ»^(٣).

د - الحج، ودليله ما جاء في حديث الإسراء الطويل، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فَرُفِعَ لي البيت المعمور، فسألتُ جبريل فقال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم»^(٤).

هـ - الخشية والخوف، ولا شك أن

الملائكة من أكثر المخلوقات خشية لله تعالى وخوفاً منه، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل].

و - المحبة، فالملائكة تحب الله تعالى وتحب من يحبه الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبيه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبهوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض»^(٥).

- المسألة التاسعة: وظائف الملائكة:

للملائكة وظائف وأعمال كلَّفهم الله تعالى بها، وأعطاهم القدرة على تأديتها الوجه الأكمل. وهم بحسب ما يقومون به من وظائف وأعمال، كما يلي:

- تبليغ وحى الله تعالى إلى رسله صلى الله عليه وسلم، والموكل بالوحي هو جبريل، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ [١٩٦] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ [الشعراء]، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل]، وقد وصف الله جبريل عليه السلام بالقوة والأمانة على تأدية مهمته، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٤٢٢/١) [دار الراجعية، ط ١]، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٦٧/٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٨٥٢).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٩)،

ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٣٧).

(٤) تقدم تخريجه.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ﴿٢٥﴾ مُطَاعٌ تَمَّ
أَمِينٍ ﴿٢٦﴾ [التكوير].

الصور ملك من الملائكة لم يثبت في تسميته حديث صحيح؛ بل الثابت ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته وأصغى سمعه، ينظر متى يؤمر»، قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»^(٣).

- قبض أرواح العباد، والموكل بقبضها ملك الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَنفُكُنْكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة]، ولملك الموت أعوان من الملائكة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام].

- ومن الأعمال التي يقومون بها ما يقوم به الملك الموكل بالجبال، وقد ورد ذكره في حديث خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الطائف، وفيه: «فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من

- إنزال القطر من السماء، والموكل به هو ميكائيل عليه السلام؛ لما ثبت في حديث ابن عباس رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل على أي شيء ميكائيل فقال: «على النبات والقطر»^(١). وقد ورد ذكر ميكائيل عليه السلام في القرآن، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة]. وهناك ملائكة تزجر السحاب وتسوقه، كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَالرَّجْرَجَاتِ زَجْرًا﴾ [الصافات]، وعلى ذلك فإنهم من أتباع ميكائيل عليه السلام.

- النفخ في الصور، والصور: هو القرن الذي ينفخ فيه، كما ورد في المسند عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال أعرابي: يا رسول الله، ما الصور؟ قال: «قرن ينفخ فيه»^(٢). والذي ينفخ في

(١) أخرجه ابن أبي شيبه في كتاب العرش (٤٦٢) [مكتبة الرشد، ط١]، والطبراني في الكبير (٣٧٩/١١) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وقال الهيثمي في المجمع (١٩/٩) [مكتبة القدسي]: فيه محمد بن أبي ليلي، وقد وثقه جماعة، ولكنه سيئ الحفظ، وبقيّة رجاله ثقات.

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٤٢)، والترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٣٠) وحسنه، وأحمد (٥٣/١١) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٤٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٨٠).

(٣) أخرجه الترمذي (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٣١) وحسنه، وأحمد (٨٩/١٧) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٥٦٩) [مكتبة المعارف، ط٥].

يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»^(١).

- ومنهم خزنة النار وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر، قال ﷺ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾^(٤٩) [غافر]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾^(٧) سَدَّعُ الزَّيْبَانِيَةَ^(١٨) [العلق]، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾^(٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا^(١٧) [المدثر].

- ومنها ما يقوم به الملك الموكل بالرحم، على ما دلَّ عليه حديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ: يَا رَبِّ! نَظْفَةٌ. يَا رَبِّ! عَلَقَةٌ. يَا رَبِّ! مَضْغَةٌ. فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا، قَالَ الْمَلِكُ: أَيُّ رَبِّ! ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيَكْتُبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»^(٢).

- ومنهم زوار البيت المعمور، سبعون ألف ملك يدخلون فيه ثم لا يعودون إليه، كما ورد في حديث الإسراء الطويل؛ أن النبي ﷺ قال: «فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جَبْرِيلَ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»^(٣).

- ومن أعمالهم حمل العرش، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾^(١٧) [الحاقة].

- ومنهم خزنة الجنة، قال ﷺ: ﴿وَسَيِّقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَأَدْخَلُوهُمَْا خَالِدِينَ﴾^(٧٣) [الزمر]. وقال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾^(١٣) [الرعد].

- ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر، لما ثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، تَنَادَوْا: هَلْمُوا إِلَيْنَا حَاجَتِكُمْ. قَالَ: فَيَحْفُونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يَسْبِحُونَكَ، وَيُكْبِرُونَكَ وَيُحْمَدُونَكَ،

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣١) واللفظ له، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحيض، رقم ٣١٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٦) واللفظ له.

ويمجدونك»^(١).

قال: قال النبي ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر»^(٤).

- ومن أعمال الملائكة: الدعاء للمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].
وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث، تقول: اللَّهُمَّ اغفر له، اللَّهُمَّ ارحمه»^(٥).

- ومنها الاستغفار للمؤمنين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر].

- ومنها أنها تصلي مع المصلين خلف الإمام، لما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده فقولوا: اللَّهُمَّ ربنا لك الحمد فإنه من وافق قوله قول

- ومن الملائكة من يتعاقبون على المسلمين في صلاة العصر وصلاة الفجر، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «الملائكة يتعاقبون؛ ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم يصلون وأتيناهم يصلون»^(٢).

- ومنهم من يبلغون النبي ﷺ وهو في قبره السلام من أمته، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام»^(٣).

- ومنهم من يقفون على أبواب المساجد يوم الجمعة، يكتبون الأول فالأول، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٤٠٨) وهذا لفظه، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٢٣) واللفظ له، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦٣٢).

(٣) أخرجه النسائي (كتاب صفة الصلاة، رقم ١٢٨٢)، وأحمد (١/٣٨٧، ٤٤١، ٤٥٢) [مؤسسة قرطبة، مصر (مصورة عن الطبعة الميمنية)]، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨١٦)، وابن حبان في صحيحه (كتاب الرقائق، رقم ٩١٤)، والحاكم في مستدرکه (كتاب التفسير، رقم ٣٥٧٦) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢١١). ومسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٥٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٤٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦٤٩).

الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١). - المسألة العاشرة: موت الملائكة:

ظاهر النصوص تدلُّ على بقاء الملائكة أحياء - كلهم أو بعضهم - إلى حين النفخ في الصور، وإنما وقع الخلاف بين العلماء عند النفخ في الصور، فهل يشمل ذلك الملائكة أو لا؟ والذي ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله هو أن الملائكة تصعق عند النفخ في الصور مثلها مثل سائر المخلوقات. قال ابن تيمية: «الذي عليه أكثر الناس، أن جميع الخلق يموتون حتى الملائكة وحتى عزرائيل ملك الموت»^(٤). ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(٥) [سبأ]، قال ابن كثير رحمته الله: «إنه تعالى إذا تكلم بالوحي، سمع أهل السماوات كلامه، أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي»^(٥). وعن عبد الله بن مسعود رحمته الله قال رسول الله ﷺ: «إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجبر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم، قال: فيقولون: يا

- ومنها كتابة أعمال العباد وإحصاؤها عليهم، والذي يقوم بها هم الكرام الكاتبون، قال تعالى: ﴿...عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَتِيبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار].

- ومنها سؤال العباد في قبورهم، ودليله حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه - إنه ليسمع قرع نعالهم - أتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل - لمحمد ﷺ -؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا»^(٢).

- ومنها حراسة المدينة من الدجال، لما روى البخاري عن أنس وأبي بكره عن النبي ﷺ: «تحرس الملائكة المدينة من الدجال»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٢٨)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٧٤) وهذا لفظه، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٠).

(٣) أخرجه البخاري معلقًا مجزومًا به (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣٩)، ووصل حديث أنس في (كتاب الحج، رقم ١٨٨١)، ووصل حديث أبي بكره في (كتاب

الفتن، رقم ٧١٢٥). وأخرج حديث أنس أيضًا:

مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٣).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٥٩/٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ].

(٥) تفسير ابن كثير (٥١٤/٦).

العلم، ومنها: الاقتداء بالملائكة في إتقان الأعمال، والقيام بها على الوجه الأكمل. ومنها: عدم استكثار ما يقوم به العبد من العمل الصالح، إذا قارنه بما تقوم به الملائكة دون تدمير أو ملل منها. ومنها: أن يحرص العبد كل الحرص على أن يبتعد عن المعاصي والذنوب إذا علم أن الله قد وكل به ملك يكتب أقواله وأفعاله.

❁ مذهب المخالفين:

ذهبت طوائف من الإسماعيلية إلى أن الملائكة هم دعاة الإسماعيلية، يقول النعمان القاضي الإسماعيلي: «الملائكة هم الحجج، وأرباب دعوته القائمون بها، وهم الدعاة الآخذون عهده على المستجيبين لهم»^(٤)، ويقول أحمد الكرمانى: «الملائكة هم حدود الدعوة»^(٥)، في حين ذهب آخرون إلى أن الملائكة جواهر روحانية وقوى عقلية بحتة لا صلة لها بعالم الأجسام، يقول الداعي الإسماعيلي شمس الدين الطيبي عن المقربين من الملائكة: «وأما الملائكة المقربون فهم القوى العاملة في العوالم العالية والسافلة»^(٦). وقول

جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق، فيقولون: الحق الحق»^(١). قال ابن تيمية: «فقد أخبر أنهم يصعقون صعق الغشي، فإذا جاز عليهم صعق الغشي؛ جاز صعق الموت»^(٢). أما الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، فهو متناول لمن في الجنة، فإن الجنة ليس فيها موت^(٣)، والله أعلم.

❁ الآثار:

للإيمان بالملائكة آثار عظيمة، منها: العلم بعظمة الخالق ﷻ وكمال قدرته وسلطانه. ومنها: شكر الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم، وغير ذلك مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة. ومنها: محبة الملائكة على ما هداهم الله إليه من تحقيق عبادة الله على الوجه الأكمل. ومنها: الحرص على ارتياد الأماكن التي تحبها الملائكة؛ كالمساجد وحلق

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٣٨)، وابن حبان في صحيحه (كتاب الوحي، رقم ٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال ابن القيم: (هذا الإسناد كلهم أئمة ثقات). مختصر الصواعق (٤٨٨) [دار الحديث، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٩٣) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٢٦٠).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/٢٦٠).

(٤) الرسالة المذهبية، للقاضي النعمان (٨٤) [ضمن خمس رسائل إسماعيلية، دار الإنصاف، ١٣٧٥هـ].

(٥) راحة العقل للداعي أحمد حميد الدين الكرمانى (٥٨٢) [دار الأندلس، ط ٣، ١٩٨٣م].

(٦) الدستور ودعوة المؤمنين للحضور، للداعي =

ولا شك في أن الأقوال السابقة كلها مخالفة للقرآن والسنة وإجماع السلف الصالح، فحاشا أن تكون الملائكة دعاة بدعة وضلالة كما زعمت الإسماعيلية، بل هذا تكذيب منهم للقرآن الذي نفى أن تكون الملائكة بشرًا، كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام]. قال القرطبي في تفسيره: «قال ابن عباس: لو رأوا الملك على صورته لماتوا؛ إذ لا يطيقون رؤيته. وقال مجاهد وعكرمة: لقامت الساعة. وقال الحسن وقتادة: لأهلكوا بعذاب الاستئصال؛ لأن الله أجرى سنته بأن من طلب آية فأظهرت له فلم يؤمن؛ أهلكه الله في الحال، ولو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكًا؛ لنفروا من مقاربتة، ولما أنسوا به، ولدخلهم من الرعب من كلامه والاتقاء له ما يكفهم عن كلامه، ويمنعهم عن سؤاله، فلا تعم المصلحة، ولو نقله عن صورة الملائكة إلى مثل صورتهم ليأنسوا به وليسكنوا إليه لقالوا: لست ملكًا وإنما أنت بشر فلا نؤمن بك وعادوا إلى مثل حالهم»^(٥).

الطبيبي الإسماعيلي قريب من قول الفلاسفة الذين زعموا أن الملائكة عقول مجردة، ونفوس مدبرة لهذا العالم^(١).

وممن أنكر الملائكة إياها محمد زعيم منظمة أمة الإسلام في أمريكا، حيث إن من الأصول التي بنى عليها مذهبه: الإيمان بما هو محسوس ومشاهد فقط، وبما أن الملائكة محجوبون عن البشر، فالإيمان بهم غير وارد لديه^(٢).

أيضًا فإن بعضًا ممن ينتسب إلى الإسلام ممن تأثر بالمنهج العقلي في تناول النصوص: أنكر وجود الملائكة، بزعمه أن الإيمان بالملائكة مخالف للحس، وغير واقعي، ولا يقبله كل الناس^(٣). في حين زعم آخرون أن الملائكة أرواح مجردة، ونفوا أن تتمثل الملائكة بصوت أو صورة حقيقيين، وإنما هو إشراق يقع في نفس النبي فيحصل له شيء من العلم الإلهي^(٤).

= الإسماعيلي شمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطبيبي (٦٨) [ضمن أربع رسائل إسماعيلية، دار مكتبة الحياة، ط ٢، ١٩٧٨م].

(١) ينظر: فصوص الحكم للفارابي (٧٣) [انتشارات بيدار، ط ٢، ١٤٠٥هـ]، ورسالة في الحدود لابن سينا (٧٤) [ضمن تسع رسائل في الحكمة والطبيعات، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٢) ينظر: منظمة إياها محمد الأمريكية دراسة وتحليل، لعبد الوهاب أبو سليمان (٧١) [دار الشروق، ط ١، ١٣٩٩هـ].

(٣) ينظر: قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر لحسن حنفي (٩٣) [دار الفكر العربي، ط ٣، ١٩٨٧م].

(٤) ينظر: رسالة التوحيد لمحمد عبده (١٠٥، ١٠٦).

[دار إحياء العلوم، ط ٤، ١٤٠٢هـ].

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٣٢٧/٨، ٣٢٨) مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ.

- ٨ - «عمدة القاري» (ج ١٥)، للعيني.
 ٩ - «القول المفيد على كتاب التوحيد» (ج ٣)، لابن عثيمين.
 ١٠ - «لوامع الأنوار البهية»، للسفاريني.
 ١١ - «معارج القبول»، لحافظ بن أحمد الحكمي.
 ١٢ - «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، لمحمد بن عبد الوهاب العقيل.
 ١٣ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج ١)، للنحليمي.

❖ المِلَّة ❖

❖ التعريف لغة:

المِلَّة - بكسر الميم - هي في اللغة: السُّنَّة والطريقة، تقول: هذا طريق مَمْلٌ؛ أي: لِحِبِّ مسلوك، واختلف في أصل المِلَّة في اللغة، فقيل: أصلها من المَلِّ، قال أبو هلال العسكري: «وأصل الملة في العربية من المَلِّ، وهو أن يعدوَ الذئب على شيء ضرباً من العدو، فسُمِّيت الملة ملة لاستمرار أهلها عليها»^(٢).

(٢) الفروق اللغوية (٢٢٠) [دار العلم والثقافة]، وانظر: لسان العرب (٦٣١/١١) [دار الفكر، ط ١، ١٤١٠هـ].

وليست الملائكة ﷺ جواهر عقلية أو أرواحاً مجردة كما زعم من زعم من الفلاسفة ومن تأثر بهم في هذا العصر؛ بل الملائكة خلق من خلق الله، لهم أجسام حقيقية، وأصل مادة خلقهم هي النور كما مر معنا، خصهم الله بعدم قدرة البشر على رؤيتهم إلا من استثناه الله تعالى، ومنهم النبي محمد ﷺ حيث رأى جبريل ﷺ في صورته الحقيقية، كما ثبت من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته، وله ستمائة جناح»^(١).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لنخبة من العلماء.
 ٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.
 ٣ - «تفسير اللباب» (ج ١)، لابن عادل الحنبلي.
 ٤ - «الجامع لشعب الإيمان» (ج ١)، للبيهقي.
 ٥ - «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.
 ٦ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
 ٧ - «عالم الملائكة الأبرار»، لعمر بن سليمان الأشقر.

(١) تقدم تخريجه.

صحيحة، وهذا القول هو الراجح لشموله جميع الديانات، بخلاف التعريف الأول فلا يشمل إلا الديانات الصحيحة. وقول ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كأنه أراد بذلك بيان المراد بملة إبراهيم عليه السلام التي أمرنا الله باتباعها، ولم يرد تعريف الملة على وجه العموم.

وقد ورد إطلاق لفظ الملة في القرآن بهذا المعنى، فجاء إطلاقها على دين إبراهيم عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، كما ورد إطلاقها على ديانة من لا يؤمن بالله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧] ^(٦).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

لما كانت الملة في اللغة تطلق على الدين والشريعة، أُطلقت في الاصطلاح بهذا المعنى، فصارت تطلق على الديانة سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة.

سبب التسمية:

اختلف في سبب تسمية الملة بهذا الاسم، على أقوال:

١ - قيل: سميت الملة بهذا الاسم؛ لأن الملك يملئ الوحي على

(٦) انظر: المفردات، للراغب (٧٧٣)، وعلم الملل ومناهج العلماء فيه (١٠، ١١) [دار الفضيحة، ط١، ١٤٢٥هـ].

وقيل: أصلها من أملتت، يقال: أملتت الكتاب؛ أي: أملتته، قال الراغب الأصفهاني: «وأصل الملة من: أملتت الكتاب، قال تعالى: ﴿وَلِيْمَلِبِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ٢٨٢]» ^(١).

والملة بالفتح: الرماد الحار، والجمر، ومنه قولهم: خبز ملة، وذلك أنه إذا دفن فيه الخبز وغيره تكرر عليه الحمي حتى ينضج ^(٢).

التعريف اصطلاحًا:

الملة اصطلاحًا: قيل: هي الدين والشريعة، وكل ما جاء عن طريق الرسل عليهم السلام، كملة الإسلام والنصرانية واليهودية ^(٣)، قال الراغب الأصفهاني: «الملة كالدين، وهي اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء» ^(٤).

وقال ابن القيم: «الملة: هي الدين، وهي مجموعة أقوال وأفعال واعتقاد ودخول الأعمال في الملة كدخول الإيمان» ^(٥).

وقيل: هي الديانة التي يدين بها جنس من البشر، سواء كانت صحيحة أم غير

(١) المفردات للراغب (٧٧٣) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]. وانظر: المصباح المنير (٤٧٤).

(٢) انظر: الصحاح (١٨٢١/٥) [دار الملايين، ط٣]، والقاموس المحيط (١٣٦٧) [مؤسسة الرسالة ط٢].

(٣) انظر: الصحاح (١٨٢١/٥)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٣٦٠/٤).

(٤) المفردات، للراغب الأصفهاني (٧٧٣).

(٥) تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القيم (١٢٣).

محمد ﷺ، قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: ٩٥]، قال: «أي: اتبعوا ملة إبراهيم التي شرعها الله في القرآن على لسان محمد ﷺ وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكمل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم»^(٣).

٢ - الملة الباطلة:

والملة الباطلة: هي كل ملة خارجة عن ملة الأنبياء ﷺ، ويدخل في ذلك جميع ملل الكفر، قال تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧]، ومن أمثلة ذلك، الأديان الوثنية كالهندوسية، والبوذية وغيرهما، ويدخل في ذلك الأديان المحرفة كالنصرانية واليهودية.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: نسخ جميع الملل بدين الإسلام:

نسخ الله تعالى جميع ملل الأنبياء وأديانهم بملة محمد ﷺ وهو دين الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد بعث الله نبينا محمداً ﷺ للناس عامة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

الأنبياء ﷺ، فسُمِّيت ملة من الإماء، قال أبو المظفر السمعاني - في كلامه على الملة -: «قيل: هي عبارة عما يُمله الملك على النبي ﷺ من الوحي»^(١).

٢ - وقيل: إنما سُمِّيت بذلك لاستمرار أهلها عليها، قاله أبو هلال العسكري كما تقدم.

٣ - وقيل: إنما سُمِّيت بذلك لتكرار ذلك عليهم، ذكر ذلك أبو هلال العسكري فقال: «وقيل: أصلها التكرار من قولك: طريق مليل إذا تكرر سلوكه حتى توطأ، ومنه الملل وهو تكرر الشيء على النفس حتى تضجر»^(٢).

الأقسام:

١ - الملة الصحيحة:

والملة الصحيحة هي ملة الأنبياء ﷺ وهي: اسم لما شرعه الله لعباده عن طريق الأنبياء ﷺ؛ ليتوصلوا به إلى السعادة في الدنيا والآخرة، وملة الأنبياء هي التوحيد ومجانبة الشرك، قال الله تعالى عن يوسف ﷺ: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

وأفضل الملل والشرائع ملة نبينا

(١) تفسير السمعاني (٢/٢٠١).

(٢) الفروق اللغوية (٢٢٠).

(٣) تفسير ابن كثير (١/٤١٠) [دار المعرفة، ط١].

وقد نشأت هذه الدعوة بين النصارى الغربيين، وتبناها مجلس الكنائس العالمي، واستجاب لها نفر قليل من المسلمين، ممن نشأ في بلاد الغرب وتربى على الثقافات الغربية^(٢).

وقد تصدى لهذه الدعوة كثير من العلماء، وبيّنوا خطرها على المسلمين. وتوالت الفتاوى من الهيئات الشرعية، والمجامع الفقهية في بيان حقيقتها، وحكم الدعوة إليها أو اعتقاد صحتها، فمن ذلك:

ما ورد في فتوى اللجنة الدائمة حول هذه الدعوة من قولهم: «إن الدعوة إلى وحدة الأديان، إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله ﷻ، وتبطل صدق القرآن، ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام، من قرآن وسنة وإجماع»^(٣).

وقال الشيخ بكر أبو زيد، في الرد على من ينادي بطبع القرآن الكريم، مع

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ [سبأ]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّد: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ وهذا خطاب للأحمر والأسود، والعربي والعجمي، ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلَنَّا أَمْعُدُهُ﴾ [هود: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَكَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ [آل عمران: ٢٠]، والآيات في هذا كثيرة، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم»^(١).

- المسألة الثانية: الدعوة إلى وحدة الملل والأديان:

هذه الدعوة، هي دعوة كفرية خبيثة، هدفها زعزعة المسلمين عن دينهم، وصددهم عن عقيدتهم.

(٢) انظر: دعوة التقريب بين الأديان لأحمد القاضي [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٣) فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، رقم (١٩٤٠٢)، وتاريخ: ١٤١٨/١/٢٥هـ.

(١) تفسير ابن كثير (٢/٢٨٣).

الملة والدين في الأصل بمعنى واحد، لا سيما في إطلاق كل منهما على جملة الشريعة، سواء كانت باطلة أم صحيحة^(٢).

- الفرق بين الملة والنحلة:

المشهور عند علماء الجمل والنحل، إطلاق لفظ (النحلة) على العقائد والآراء الباطلة التي تنتحلها بعض الفرق المنحرفة، فعلى هذا تكون الملة أعم من النحلة، حيث تطلق على الديانات سواء كانت صحيحة أو باطلة^(٣).

وذهب ابن حزم إلى إطلاق هذا اللفظ على معنى (الفرقة) سواء كانت معتقداتها وآرائها صحيحة أم منحرفة، وعلى هذا تكون النحلة مرادفة للملة، لكن القول الأول هو المشهور عند أهل هذا الفن وهو الأقرب في ذلك^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان»، لبكر أبي زيد.
- ٢ - «تفسير ابن كثير».
- ٣ - «تفسير السمعاني».
- ٤ - «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي.

أسفار وإصحاحات اليهود والنصارى المحرفة: «كيف لا يستحي من المنتسبين إلى الإسلام من يدعو إلى طبع هذه الأسفار والإصحاحات المحرفة المفترى فيها، مع كتاب الله المعصوم (القرآن الكريم)؟ إن هذا من أعظم المحرمات، وأكبر الجنايات، ومن اعتقده صحيحاً فهو مرتد عن الإسلام»^(١).

الفروق:

- الفرق بين الملة والدين:

١ - أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي ﷺ الذي تسند إليه، نحو قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٥]، وقوله: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾ [يوسف: ٣٨]، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى، ولا إلى آحاد أمة النبي ﷺ، فلا يقال: ملة الله، ولا يقال: ملتي وملة زيد، بخلاف الدين فيقال: دين الله ودين زيد.

٢ - لا تستعمل الملة إلا في جملة الشرائع دون آحادها، ولا يقال: الصلاة ملة الله، بخلاف الدين.

٣ - تقال الملة اعتباراً بالشيء الذي شرعه الله، وأما الدين فيقال اعتباراً بمن يقيمه؛ إذ كان معناه الطاعة.

وهناك من العلماء من ذهب إلى أن

(٢) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٢٢٠)، والمفردات للراغب (٧٧٣).

(٣) انظر: علم الملل ومناهج العلماء فيه (١٩).

(٤) انظر: الفصل لابن حزم (٨٨/٢) [مكتبة السلام].

(١) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان لبكر أبي زيد [دار العاصمة، ١، ١٤١٧هـ].

مقصور من مالك أو مليك، والجمع الملوك، والاسم المَلِك، والموضع مملكة^(٢) اه باختصار. فالملك يتضمن معنى القوة والعزة والقدرة والتصرف والتدبير وغيرها من معاني العظمة والجلال.

❁ التعريف شرعاً:

المَلِك: من صفات العظمة والكبرياء، والقهر، والتدبير لله تبارك وتعالى، ومعناه: المَلِك لجميع المملوكات، النافذ الأمر في ملكه، الذي له التصرف المطلق في كل شيء، في الخلق والأمر والجزاء بلا مدافعة ولا ممانعة، يؤتي المَلِك من يشاء وينزع المَلِك ممن يشاء، وهو الأمر الناهي المعز المذل الذي يُصَرِّفُ أمور عباده كما يحب، ويقلبهم كما يشاء^(٣).

❁ الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن الكريم والأحاديث النبوية عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير

(٢) الصحاح (٤/١٦٠٩، ١٦١٠) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م].

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٠) [دار المأمون، ط ٥، ١٤٠٦هـ]، وشأن الدعاء (٣٩، ٤٠) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، واشتقاق أسماء الله (٤٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٤) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

٥ - «دعوة التقريب بين الأديان»، لأحمد القاضي.

٦ - «علم الملل ومناهج العلماء فيه»، لأحمد جود.

٧ - «الفروق اللغوية»، لأبي هلال العسكري.

٨ - «كتاب التعريفات الاعتقادية»، لسعد آل عبد اللطيف.

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
١٠ - «مفردات ألفاظ القرآن»، للراغب الأصفهاني.

❁ المَلِك

يراجع مصطلح (المَلِك).

❁ المَلِك

❁ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة، ثم قيل: مَلِك الإنسان الشيء يملكه مَلِكًا، والاسم المَلِك»^(١). وقال الجوهري: «مَلَكْتُ الشيء أمليكه مَلِكًا، ومَلَكْتُ الشيء تملكًا؛ أي: جعله مَلِكًا له. والمَلَكوت من المَلِك، وهو المَلِك والعِزُّ. فهو مليك، ومَلِكٌ ومَلِكٌ، كأن المَلِك مخفف من مَلِكٍ، والمَلِك

(١) مقاييس اللغة (٢/٥٢٣) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل^(١).

❁ الحقيقة:

إن الله ﷻ متصف بصفة الملك حقيقة، والملك فيه معنى القوة والعزة والقدرة وغيرها من معاني العظمة والجلال، والله موصوف بهذه المعاني كلها، فهو القوي العزيز القدير المالك للأمور كلها، وجميع الخلق ممالئكه وعبيده، ومفتقرون إليه في جميع شؤونهم، وليس لأحد خروج عن ملكه وقدرته وسلطانه، وله التدبيرات النافذة، والتصرف الكامل، يقضي في ملكه بما يشاء، ويحكم فيه بما يريد، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه^(٢).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [المائدة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ [المائدة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ﴾

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، تفسير السعدي (٢٧، ٢٨) [دار الصميعي، الرياض، ١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٧٦٣/٢) [دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١، ١٤٢٨هـ]، وطريق الهجرتين (٢٠٦) [دار ابن القيم، الدمام، ٢، ١٤١٤هـ].

[الفرقان: ٢]، وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [س: ٨١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجّد قال: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيمَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنْبِتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ؛ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمَقْدِمُ وَأَنْتَ الْمُوَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَوْ: لَا إِلَهَ غَيْرُكَ»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مَلُوكِ الْأَرْضِ؟»^(٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٢٠) واللفظ له، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨١٢)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٧).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «وسمى نفسه بالملك، فقال: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وسمى بعض عباده بالملك فقال: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهِ؟﴾ [يوسف: ٥٠]، وليس الملك كالمَلِك»^(١).

وقال ابن القيم: «وإذا أعطيت اسم الملك حقه - ولن تستطيع - علمت أن الخلق والأمر والثواب والعقاب والعطاء والحرمان أمر لازم لصفة الملك، وأن صفة الملك تقتضي ذلك ولا بد»^(٢).

وقال السعدي: «المالك: هو من اتصف بصفة الملك التي من آثارها أنه يأمر وينهى، ويثيب ويعاقب، ويتصرف بمماليكه بجميع أنواع التصرفات، وأضاف الملك ليوم الدين، وهو يوم القيامة، يوم يدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها؛ لأن في ذلك اليوم يظهر للخلق تمام الظهور كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق، حتى إنه يستوي في ذلك اليوم المملوك والرعايا والعبيد والأحرار، كلهم مذعنون لعظمته، خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصه بالذكر، وإلا فهو المالك ليوم الدين

ولغيره من الأيام»^(٣).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الملك:

لقد ورد اسم الملك في القرآن الكريم خمس مرات، منها: قوله تعالى: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وأورد هذا الاسم جميع من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها تقريباً، ولم يسقطه من جمعه سوى الإمام سفيان بن عيينة، والزجاجي^(٤).

وهذا الاسم مما يطلق على الله ﷻ وعلى المخلوق، قال تعالى: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤]، ومن إطلاقه على المخلوق قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]؛ لكن ملك الله ملك مطلق، وملك المخلوق ملك مقيّد محدود، وإنما اكتسبه من خالقه، فهو الذي آتاه إياه، وينزعه منه متى شاء، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

- المسألة الثانية: المالك:

المالك اسم فاعل من المُلْك،

(٣) تفسير السعدي (٢٧، ٢٨).

(٤) انظر: معتقد أهل السنّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٧٩-٨٤) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ].

(١) مجموع الفتاوى (٣/١٣).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (٣٦) [دار الفكر].

على قوة في الشيء وصحة، وهذا الاسم لا يطلق إلا على الله ﷻ؛ لأنه هو وحده الذي يملك التصرف في كل شيء على الحقيقة دون من سواه، الملك بيده يؤتبه من يشاء وينزعه عن من يشاء، وقد يكون معناه: مالك الملوك، كما يقال: رب الأرباب، وسيد السادات، وقد يحتمل أن يكون معناه: وارث الملك يوم لا يدعي الملك مدّع، ولا ينازعه فيه منازع؛ كقوله ﷻ: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦] (٦).

ولهذا جاء النهي عن التسمي بملك الملوك، أو مالك الأملاك، وما في معناه: كشاها شاه بلغة العجم (٧)، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أخنى الأسماء يوم القيامة عند الله رجلٌ تسمّى ملك الأملاك» (٨)، وفي حديث آخر عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اشتد غضب الله على رجل تسمّى بملك الأملاك، لا ملك إلا الله» (٩).

وقد استدل من أثبت هذا الاسم من

وقد استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة] (١).

قال السعدي عند ذكر الأسماء الحسنى في آخر تفسيره: «الملك: المالك الذي له الملك، فهو الموصوف بصفة الملك وهي صفات العظمة والكبرياء والقهر والتدبير» (٢).

- المسألة الثالثة: المليك:

المليك (فعل) صيغة مبالغة من المُلْك، وقد استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ [القمر] (٣).

قال قوام السُّنَّة الأصبهاني: «ومن أسمائه: المليك، وهو المالك، وبناء (فعل) للمبالغة في الوصف» (٤).

وذكره ابن عثيمين ضمن الأسماء الحسنى في القواعد المثلى (٥).

- المسألة الرابعة: مالك الملك:

هو اسم مركب من اسم الفاعل: مالك، والمصدر: الملك، وكلاهما يرجع إلى الأصل الثلاثي: مَلَك، الدالّ

(١) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٨٣، ٨٤) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٢) تفسير السعدي (٩٤٥).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/١٥٠).

(٤) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٨٣، ٨٤).

(٥) انظر: القواعد المثلى - ضمن مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/٢٧٧).

(٦) انظر: شأن الدعاء (٩١) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ].

(٧) والأسماء والصفات للبيهقي (١/٨٨، ٨٩) [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ].

(٨) انظر: زاد المعاد (٢/٣٤٠، ٣٤١) [الرسالة، ط ٢٧، ١٤١٥هـ].

افتح الباري لابن حجر (١٠/٥٩٠) [دار المعرفة، ط ١، ١٣٧٩هـ].

(٩) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٢٠٥) واللفظ له، ومسلم (كتاب الآداب، رقم ٢١٤٣).

(٩) أخرجه أحمد (١٦/٢٤٧) [الرسالة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

والحاكم (كتاب الأدب، رقم ٧٧٢٤) وصححه.

المعاني، ومنهم من جعل الملك لعالم الشهادة، والملكوت لعالم الغيب ولكن سياق الآيات والأحاديث لا يدل على هذا التفريق؛ بل كل واحد منهما يدل على الآخر، وإن كان الملكوت فيه زيادة معنى في مقابل الملك، وقد يكون هذا التفريق مقبولاً وسائغاً عند الاجتماع، فيكون الملكوت لعالم الغيب والملك لعالم الشهادة، كما هو الشأن في الإيمان والإسلام، وفي البر والتقوى، إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، والله تعالى أعلم.

❁ الفرق:

الفرق بين الملك والمليك والمالك:

ذُكر في الفرق بين هذه الأسماء الثلاثة؛ أن المالك هو الذي له ملكية الشيء، وهو المتصرف فيه بفعله، والملِك: هو المتصرف بفعله وأمره، والمليك: هو المالك العظيم الملك، فهو اسم يدل على العلو المطلق للملك في ملكه وملكيته، فله علو الشأن والقهر والفوقية في وصف الملكية على الدوام، أولاً وأبداً، فهذا الاسم يشمل معنى الملك والمالك^(٤)، والله أعلم.

أهل العلم بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]^(١).

- المسألة الخامسة: مالك يوم الدين:

سُمي الله ﷻ بذلك؛ لأنه هو المتصرف وحده يوم الحساب والجزاء، وحُصِرَ به يوم الدين؛ لأنه اليوم الذي لا يملك أحد فيه شيئاً مما كان الله ملكهم في الدنيا، وفي هذا اليوم لا يدعي أحد الملك سواه، قال تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر]^(٢).

وقد استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاحة]^(٤).

- المسألة السادسة: معنى ذي

الملكوت:

الملكوت (فعلوت) من الملك؛ أي: من بيده ملك كل شيء، بمعنى: من هو مالك كل شيء كائناً ما كان، وقال بعض أهل العلم: زيادة الواو والتاء تفيد المبالغة في ذلك^(٣)، وهذا ليس بعيداً؛ فإن زيادة المباني تدل على زيادة

(١) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٧٩، ٨٠).

(٢) انظر: اشتقاق أسماء الله (٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، والصفات الاختيارية - ضمن جامع الرسائل لابن تيمية (٢/٦٩) [دار المدني، ط ٢، ١٤٠٥هـ]، ومجموع الفتاوى (٦/٤٤٢، ٤٤٣).

(٣) انظر: أضواء البيان (٥/٥٥٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٤) انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (١٨٢) [دار العلم والثقافة، القاهرة، طعام: ١٤١٨هـ]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٧٨، ٧٩) [شركة مكتبة وتسجيلات الإمام الذهبي، الكويت، ط ٤، ١٤٣١هـ].

❁ الثمرات:

٣ - «صفات الله ﷻ الواردة في

الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٤ - «فقه الأسماء الحسنی»،

عبد الرزاق البدر.

٥ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣)، لابن

تيمية.

٦ - «طريق الهجرتين وباب

السعادتین»، لابن القيم.

٧ - «معتقد أهل السنة والجماعة في

أسماء الله الحسنی»، لمحمد بن خليفة التيمي.

٨ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم

عبد الله فالج.

٩ - «أضواء البيان» (ج ٥)، لمحمد

الأمين الشنقيطي.

من الناس من يطغى ويتجبر ويظن أنه الملك الحقيقي، وينسى أنه إنما هو مستخلف فيما آتاه الله من ملك، فيتكبر ويتجبر ويعتدي على خلق الله بغير حق، ومن أمثلة ذلك ما قصه الله ﷻ من شأن فرعون الذي زعم بأنه الملك بل الإله، قال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ [الزخرف]، وقال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ [النازعات].

فأهلكه الله ﷻ وقومه الذين أطاعوه ليكون عبرة لكل ظالم متكبر من ملوك الأرض يأتي بعده، وينسى نفسه وحقيقته، وأن الملك إنما هو لله وحده.

- إذا علم العبد أن الملك المطلق إنما هو لله وحده لا شريك له، حمله ذلك على الطاعة المطلقة لله وحده لا شريك له، وقدّم طاعة الله ﷻ على طاعة من سواه، ولا طاعة لأحد في معصية الملك الأحد.

❁ ملك الأملاك ❁

يراجع مصطلح (قاضي القضاة).

❁ ملك الجبال ❁

❁ التعريف لغة:

الملك بفتح اللام: مفرد ملائكة وملائكة، أصله مألِك بتقديم الهمزة من الألوك وهي الرسالة، ثم قلبت وقدمت اللام، فقليل: مألِك، ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال، فقليل: ملك، فلما جمعه ردها إليه فقالوا ملائكة

❁ المصادر والمراجع:

١ - «أسماء الله الحسنی: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة»، لماهر مقدم.

٢ - «الأسماء والصفات» (ج ٢)، لليبهيقي.

وملائك^(١).

الذي هو ركن من أركان الإيمان.

المنزلة:

الإيمان بملك الجبال يدخل في الإيمان بالملائكة ﷺ، والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصوله العظيمة.

الأدلة:

عن عروة بن الزبير؛ أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثته؛ أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي؛ فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد! فقال: ذلك فيما شئت: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»^(٥).

والجبال: جمع جبل، وهو اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال^(٢).

التعريف شرعاً:

مَلَكٌ عَظِيمٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالْجِبَالِ، وَمَتَّصِفٌ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ فِيهَا مِنَ الْخَالِقِ ﷻ^(٣).

سبب التسمية:

سمي بهذا الاسم لأنه الملك الذي سخر الله تعالى له الجبال، وجعل أمرها بيده.

الأسماء الأخرى:

اشتهر بملك الجبال، ولا يُعلم له تسمية أخرى، قال الحافظ ابن حجر: «وأما ملك الجبال فلم أقف على اسمه»^(٤).

الحكم:

يجب الإيمان بملك الجبال كما ورد به النص. أيضًا فإن الإيمان به يدخل في عموم وجوب الإيمان بالملائكة ﷻ.

(١) ينظر: لسان العرب (٤٨١/١٠) [دار صادر]، والقاموس المحيط (١٢٢٩) [مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث، ط ٢، ١٤٠٧هـ].

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٩٦/١١)، والقاموس المحيط (١٢٥٨).

(٣) ينظر: عمدة القاري (١٤٢/١٥) [دار إحياء التراث العربي].

(٤) فتح الباري (٣٥٥/٦) [المطبعة السلفية، ط ٢، ١٤٠٠هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٩٥).

وملائكة، أصله مَأَلِكٌ بتقديم الهمزة من الألوک وهي الرسالة، ثم قلبت وقدمت اللام فقيل: مَأَلِكٌ ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل: ملك، فلما جمعه ردها إليه فقالوا: ملائكة وملائك^(١).

والموت: ضد الحياة، وهو مفارقة الروح للبدن^(٢).

✽ التعريف شرعاً:

ملك عظيم من الملائكة موكل بقبض أرواح العباد^(٣).

✽ سبب التسمية:

سمي بهذا الاسم لقيامه بقبض أرواح العباد بأمر الله تعالى.

✽ الأسماء الأخرى:

عزرائيل.

✽ الحكم:

يجب الإيمان بملك الموت على ما وردت به النصوص، والإيمان به يدخل في عموم وجوب الإيمان بالملائكة.

✽ المنزلة:

الإيمان بملك الموت يدخل في

✽ الثمرات:

عِظَم مخلوقات الله تعالى، فالجبال مع قوتها وصلابتها وثقلها، إلا أن هناك من الملائكة من هو أعظم خلقاً منها.

✽ المصادر والمراجع:

١ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة»، لنخبة من العلماء.

٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.

٣ - «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.

٤ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٥ - «عمدة القاري» (ج ١٥)، لبدر الدين العيني.

٦ - «عالم الملائكة الأبرار»، لعمر الأشقر.

٧ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ١)، للسفاريني.

٨ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكمي.

٩ - «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، لمحمد العقيل.

✽ مَلِكُ المَوْتِ ✽

✽ التعريف لغةً:

المَلِكُ بفتح اللام: مفرد ملائك

(١) ينظر: لسان العرب (٤٨١/١٠) [دار صادر]، والقاموس المحيط (١٢٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].

(٢) ينظر: لسان العرب (٨٩/٢)، والقاموس المحيط (٢٠٦).

(٣) ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (١٨٧) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٢هـ].

❖ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: عزرائيل:

ورد في بعض الآثار أن اسم ملك الموت: عزرائيل؛ ولكنها لا تثبت، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وأما ملك الموت فليس بمصرَّحٍ باسمه في القرآن، ولا في الأحاديث الصحاح»^(٤).

- المسألة الثانية: أعوان ملك

الموت:

دلَّت نصوص القرآن والسُّنَّة على أن لملك الموت أعواناً؛ فمنها:

قول الله رَحِمَهُ اللهُ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾^(١) [الأنعام]، وقوله رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٢) [الأنفال]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّئُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣) [النحل]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام]:

الإيمان بالملائكة رَحِمَهُ اللهُ، والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصوله العظيمة.

❖ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة].

وعن أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ عن رسول الله رَحِمَهُ اللهُ، فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله رَحِمَهُ اللهُ: «جاء ملك الموت إلى موسى رَحِمَهُ اللهُ، فقال له: أجب ربك»^(١)، الحديث. وفي حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ، قال: قال رسول الله رَحِمَهُ اللهُ: «فلما قضى عمر آدم، جاءه ملك الموت فقال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود؟»^(٢) الحديث.

وفي حديث البراء بن عازب رَحِمَهُ اللهُ مرفوعاً إلى النبي رَحِمَهُ اللهُ: «ثم يجيء ملك الموت رَحِمَهُ اللهُ حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة! اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان»^(٣).

- (١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٣٩)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٢)، واللفظ له.
- (٢) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٧٦)، وقال: حسن صحيح، والحاكم في المستدرک (كتاب التفسير، رقم ٣٢٥٧) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٠٨).
- (٣) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٥٣)،

والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٠١) مختصراً، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٥٤٩) مختصراً، وأحمد (٤٩٩/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٨هـ] واللفظ له، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ١٠٧) وصححه، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين (١/١٣٧) [دار الكتب العلمية، ط ١]، والألباني في أحكام الجنائز (١٥٩) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٤) البداية والنهاية (١/١٠٦) [دار هجر، ط ١].

فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم»^(٣).

وقد أسند الله قبض الأنفس إليه سبحانه في قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وأسنده تعالى إلى الملائكة في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، وفي قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وأسنده إلى ملك الموت في قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، ولا تعارض بين الآيات، فالله هو الذي قضى بالموت وقدره وأمر به، فأضيف إليه التوفي لأجل ذلك، وملك الموت يتولى قبضها واستخراجها من البدن، ثم تأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، ويتولونها بعده^(٤).

- المسألة الثالثة: وجود ملائكة - غير ملك الموت - تقبض أرواح بني آدم:

ذهب بعض الصحابة والتابعين، وبعض أهل العلم إلى أن هناك ملائكة

[٩٣]، وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ يَصْرِيحُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارُهُمْ﴾ [٩٧] [محمد]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [٩٧] [النساء].

كما أن ظاهر النصوص يدل على أن أعوان ملك الموت قسمان: ملائكة الرحمة الذين يتلقفون روح المؤمن من ملك الموت، وملائكة العذاب الذين يتلقفون روح الكافر.

ويدل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن المؤمن إذا قبض أته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي إلى روح الله» الحديث، وفيه: «وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي إلى غضب الله»^(١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إذا خرجت روح العبد المؤمن، تلقاها ملكان يصعدانها»^(٢).

وقال ابن عباس وغير واحد من السلف: «لملك الموت أعوان من الملائكة، يخرجون الروح من الجسد،

(١) أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، رقم ١٨٣٣)، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠١٤)، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٣٠٢) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٢).

(٣) أخرج أثر ابن عباس رضي الله عنه: الطبري في التفسير (١١/٤١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]. وقد ذكر ابن كثير الأحاديث تشهد بصحة ما نقل عنه. تفسير ابن كثير (٣/٢٦٧) [دار طيبة، الإصدار الثاني، ط٤، ١٤٢٨هـ].

(٤) ينظر: التذكرة للقرطبي (١/٢٤٨) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ]، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (٢٩٤) [دار ابن خزيمة، ط٢، ١٤١٧هـ].

- المسألة الرابعة: هل ملك الموت يقبض أرواح جميع الأحياء؟
ذهبت طائفة من أهل العلم منهم القرطبي، وابن حجر الهيثمي، والآلوسي وغيرهم إلى أن قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢]، عام في كل ذي روح، فملك الموت يقبض أرواح الأحياء كلهم، من بني آدم وغيرهم^(٥). قال الآلوسي: «والذي ذهب إليه الجمهور أن ملك الموت لمن يعقل وما لا يعقل من الحيوان واحد»^(٦).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد»، للفرزاني.
- ٢ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة»، لنخبة من العلماء.
- ٣ - «أصول السنة»، لابن أبي زمنين.
- ٤ - «البحر الزاخر في علوم الآخرة» (ج ١)، للسفاريني.
- ٥ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.
- ٦ - «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج ١)، للقرطبي.
- ٧ - «تفسير القرآن العظيم» (ج ٣، ج ٨)، لابن كثير.

آخرون يقبضون أرواح بني آدم مع ملك الموت، وملك الموت هو الذي يرسلهم، ويستدلون بقول الله تعالى: ﴿وَاللَّزَغَاتِ غَرَقًا ۝ وَاللَّسْطَاتِ نَشْطًا ۝﴾ [النازعات]. قال ابن كثير: «قال ابن مسعود وابن عباس، ومسروق، وسعيد بن جبير، وأبو صالح، وأبو الضحى، والسُّدِّي: ﴿وَاللَّزَغَاتِ غَرَقًا ۝﴾: الملائكة، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعنف فتغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط، وهو قوله: ﴿وَاللَّسْطَاتِ نَشْطًا ۝﴾، قاله ابن عباس»^(١). قال القرطبي: «تارة يضاف إلى ملك الموت لمباشرته ذلك، وتارة إلى أعوانه من الملائكة؛ لأنهم قد يتولون ذلك أيضًا»^(٢). وقال: «فخلق الله ملك الموت وخلق جنودًا يكونون معه يعملون عمله بأمره»^(٣). وقال ابن القيم: «وأكثر المفسرين على أنها الملائكة التي تنزع أرواح بني آدم من أجسامهم، وهم جماعة، كقوله: ﴿تَوَفَّيْتَهُ رُسُلَنَا﴾ [الأنعام]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [النساء: ٩٧]»^(٤).

(١) تفسير ابن كثير (٣١٢/٨).

(٢) التذكرة للقرطبي (٢٤٨/١)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (٢٩٤).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٢٦١/١).

(٤) التبيان في إيمان القرآن (٢٠٧) [عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٥) ينظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١).

(٦) (٢٥٧)، والفتاوى الحديثية (٦) [الباي الحلبي، ط ٢].

(٦) روح المعاني (١٦٥/٢١) [دار الحديث، ١٤٢٦هـ].

٨ - «الحبائك في أخبار الملائك»، ◉ الحكم:

للسيوطي .
٩ - «الرسالة الوافية»، لأبي عمرو الداني .
١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكمي .

◉ المَلَل ◉

◉ التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «مَلِلْتُهُ أَمَلُّهُ مَلَلًا ومَلَالَةٌ: سَمِئْتُهُ»^(١). وقال الجوهري: «مَلِلْتُ الشَّيْءَ بِالْكَسْرِ، وَمَلِلْتُ مِنْهُ أَيْضًا مَلَلًا وَمَلَّةً وَمَلَالَةً: إِذَا سَمِئْتُهُ»^(٢). فالمَلَل في اللغة بمعنى السَّامة .

◉ التعريف شرعاً:

ذكر بعض أهل العلم أن المَلَل صفة من صفات الله تعالى، وأن المَلَل المضاف إلى الله ﷻ ليس كَمَلَل المخلوقين، بل هو على الوجه اللائق بالله تعالى^(٣).

◉ الأسماء الأخرى:

السَّامة .

إثبات هذه الصفة مختلف فيه بين أهل العلم، كما سيأتي في نقل أقوالهم، والذي يترجح في هذه المسألة - والله تعالى أعلم بالصواب - هو إثبات صفة المَلَل لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، مع نفي توهم النقص في حقه تعالى، بأي وجه من الوجوه. فشان هذه الصفة شأن بقية الصفات التي تثبت لله تعالى على وجه الكمال، وإن كانت في حق المخلوقين ليست كمالاً كالاستهزاء والمكر والخداع، ويكون المعنى: إن الله تعالى لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل، لكن لا يوصف الله تعالى بهذه الصفة على وجه الإطلاق، وإنما يوصف بها بالقيود المذكور في الحديث، فهو لا يمل إلا إذا ملوا، كما أنه لا يخدع إلا المخادعين، ولا يمكر إلا بالماكرين، ولا يستهزئ إلا بالمستهزئين، ولا يسخر إلا بالساخرين، فهذه الصفات لا يجوز أن يوصف الله تعالى بها على وجه الإطلاق^(٤).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: «الواجب هو إمرار هذا الحديث كما جاء، مع الإيمان بالصفة، وأنها حق على الوجه الذي يليق بالله، من غير

(١) مقاييس اللغة (٤٨٩/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٤٠هـ].

(٢) الصحاح (١٩٨/١) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٣) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٣٢٧) [دار الهجرة الرياض، ط ٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٤٠٧) [مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٤) أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين (٢٢٩، ٢٣٠) [مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط ١، ١٤٢٧هـ].

الليل! خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله، لا يسأم الله حتى تسأموا»^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

أقوال أهل العلم في نسبة الملل إلى الله ﷻ ووصفه سبحانه به مختلفة، فمنهم من يرى أن هذه صفة من صفات الله تبارك وتعالى، وفيما يلي ذكر أقوالهم:

قال ابن عبد البر: «وقد بلغني عن ابن القاسم أنه لم ير بأسًا برواية الحديث أن الله ضحك، وذلك لأن الضحك من الله والتنزل والملاحة والتعجب منه ليس على جهة ما يكون من عباده»^(٥).

وقال محمد بن إبراهيم آل الشيخ: «فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تملُّوا» من نصوص الصفات، وهذا على وجه يليق بالباري، لا نقص فيه؛ كنصوص الاستهزاء والخذاع فيما يتبادر»^(٦).

وقد سئل ابن عثيمين: هل نستطيع أن نثبت صفة الملل والهولة لله تعالى؟ فأجاب: «جاء في الحديث عن النبي ﷺ قوله: «فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تملُّوا».

فمن العلماء من قال: إنَّ هذا دليل

مشابهة لخلقه ولا تكييف؛ كالمكر والخذاع والكيد الواردة في كتاب الله ﷻ، وكلها صفات حق تليق بالله ﷻ على حد قوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾» [الشورى]^(١).

❁ الحقيقة:

المَلَل: هو الضجر والسامة، ويوصف الله ﷻ بالملل على وجه المقابلة كما يليق بجلال الله وعظمته^(٢).

❁ الأدلة:

أ - ما كان بلفظ الملل: عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي امرأة، فقال: «من هذه؟» فقلت: امرأة، لا تنام، تصلي، قال: «عليكم من العمل ما تطيقون، فوالله لا يملَّ الله حتى تملُّوا»^(٣).

ب - ما كان بلفظ السامة: عن عائشة زوج النبي ﷺ؛ أن الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى مرت بها وعندها رسول الله ﷺ، فقلت: هذه الحولاء بنت تويت، وزعموا أنها لا تنام الليل. فقال رسول الله ﷺ: «لا تنام

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/٤٠٣).

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢/٤٠٣)، والفتاوى والرسائل للشيخ محمد بن إبراهيم (١/٢٠٩) [مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط ١، ١٣٩٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٣)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٨٥)، واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم في الموضوع السابق نفسه.

(٥) التمهيد (٧/١٥٢) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٣٩٩هـ].

(٦) الفتاوى والرسائل (١/٢٠٩).

«الواجب هو إمرار هذا الحديث كما جاء، مع الإيمان بالصفة، وأنها حق على الوجه الذي يليق بالله، من غير مشابهة لخلقه ولا تكيف؛ كالمكر والخداع والكيد الواردة في كتاب الله ﷻ، وكلها صفات حق تليق بالله ﷻ علي حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى] (٢).

والقول الثاني: هو قول من يرى أن الله تبارك وتعالى لا يوصف بالملل، وأن الحديث ليس من أحاديث الصفات.

قال ابن قتيبة في الردّ على من ينسب الملل إلى الله تعالى استدلالاً بهذا الحديث: «قالوا: رويتم أن رسول الله ﷺ قال: «اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا»، فجعلتم الله تعالى يمل إذا ملوا، والله تعالى لا يمل على كل حال ولا يكل. قال أبو محمد: ونحن نقول: إن التأويل لو كان على ما ذهبوا إليه كان عظيمًا من الخطأ فاحشًا، ولكنه أراد فإن الله سبحانه لا يمل إذا مللتم، ومثال هذا قولك في الكلام: هذا الفرس لا يفتر حتى تفتر الخيل، لا تريد بذلك أنه يفتر إذا فترت، ولو كان هذا هو المراد ما كان له فضل عليها؛ لأنه يفتر معها فأية فضيلة له، وإنما تريد أنه لا يفتر إذا

على إثبات الملل لله، لكن ملل الله ليس كملل المخلوق؛ إذ إن ملل المخلوق نقص؛ لأنه يدل على سأمه وضجره من هذا الشيء، أما ملل الله؛ فهو كمال وليس فيه نقص، ويجري هذا كسائر الصفات التي نثبتها لله على وجه الكمال وإن كانت في حق المخلوق ليست كمالًا.

ومن العلماء من يقول: إن قوله: «لا يَمَلُّ حتى تملوا»؛ يراد به بيان أنه مهما عملت من عمل؛ فإن الله يجازيك عليه؛ فاعمل ما بدا لك؛ فإن الله لا يمل من ثوابك حتى تمل من العمل، وعلى هذا، فيكون المراد بالملل لازم الملل.

ومنهم من قال: إن هذا الحديث لا يدل على صفة الملل لله إطلاقًا؛ لأنّ قول القائل: لا أقوم حتى تقوم؛ لا يستلزم قيام الثاني، وهذا أيضًا: «لا يمل حتى تملوا»؛ لا يستلزم ثبوت الملل لله ﷻ.

وعلى كل حال يجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى مُنَزَّه عن كل صفة نقص من الملل وغيره، وإذا ثبت أنّ هذا الحديث دليل على الملل؛ فالمراد به ملل ليس كملل المخلوق^(١).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة:

(١) مجموعة دروس وفتاوى الحرم المكي (١/١٥٢) [دار اليقين، المنصورة، ودار طيبة الرياض].

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/٤٠٣).

[الشورى: ٤٠] وقوله: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، والجزاء لا يكون سيئة، والقصاص لا يكون اعتداء؛ لأنه حق وجب، وكذلك قوله ﷺ: «إن الله لا يمل حتى تملوا»؛ أي: إن من ملّ من عمل يعمل قطعه عنه جزاؤه، فأخرج لفظ قطع الجزاء بلفظ الملل؛ إذ كان بحدائه وجواباً له^(٢).

وقال ابن رجب: «الملل والسامة للعمل يوجب قطعه وتركه، فإذا سأم العبد من العمل وملة قطعه وتركه فقطع الله عنه ثواب ذلك العمل؛ فإن العبد إنما يجازى بعمله، فمن ترك عمله انقطع عنه ثوابه وأجره إذا كان قطعه لغير عذر من مرض أو سفر أو هرم، وسمي هذا المنع من الله مللاً وسامة مقابلة للعبد على ملّهِ وسامته، كما قال تعالى: ﴿سُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ﴾ [التوبة: ٦٧] فسمى إهمالهم وتركهم نسياناً مقابلة لنسيانهم له. هذا أظهر ما قيل في هذا»^(٣).

الآثار:

إن الله ﷻ لا يمل من إعطاء عباده الصالحين المطيعين الثواب والجزاء على طاعاتهم وحسناتهم وأعمالهم الصالحة،

فترت، وكذلك تقول في الرجل البليغ في كلامه والمكثار الغزير: فلان لا ينقطع حتى تنقطع خصومه، تريد: أنه لا ينقطع إذا انقطعوا، ولو أردت أنه ينقطع إذا انقطعوا لم يكن له في هذا القول فضل على غيره، ولا وجبت له به مدحة، وقد جاء مثل هذا بعينه في الشعر المنسوب إلى ابن أخت تأبط شرّاً، ويقال: إنه لخلف الأحمر:

صَلَيْتَ مِنِّي هَذِيلٌ بِخِرْقٍ

لَا يَمَلُّ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلُّوا

لم يرد أنه يمل الشر إذا ملوه، ولو أراد ذلك ما كان فيه مدح له؛ لأنه بمنزلتهم، وإنما أراد أنهم يملون الشر وهو لا يمله^(١).

وقال ابن عبد البر: «قوله: «إن الله لا يمل حتى تملوا» فلفظ مخرّج على مثال لفظ، ومعلوم أن الله ﷻ لا يمل، سواء مل الناس أو لم يملوا، ولا يدخله ملال في شيء من الأشياء، جلّ وتعالى علواً كبيراً، وإنما جاء لفظ هذا الحديث على المعروف من لغة العرب، بأنهم كانوا إذا وضعوا لفظاً بإزاء لفظ وقبالتة، جواباً له وجزاءً ذكره بمثل لفظه، وإن كان مخالفاً له في معناه، ألا ترى إلى قوله ﷻ: ﴿وَجَزَاؤُا سِنَّةٍ سِنِّتُهُ مِثْلَهَا﴾

(٢) التمهيد (١/١٩٥، ١٩٦).

(٣) فتح الباري لابن رجب (١/١٥١، ١٥٢) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢٢هـ].

(١) تأويل مختلف الحديث (٤٨٦، ٤٨٧) [المكتب الإسلامي، بيروت، ومؤسسة الإشراف، الدوحة، ط٢، ١٤١٩هـ].

وعلم العبد بذلك وإيمانه به يجعله يكثر من الأعمال الصالحة ويواظب عليها ويستمر فيها.

❖ المليك ❖

يراجع مصطلح (الملك).

❖ المُماسَّة ❖

يراجع مصطلح (الاستواء).

❖ المُميت ❖

يراجع مصطلح (المحيي المميت).

❖ المنّ ❖

يراجع مصطلح (المنان).

❖ المَنَّان ❖

❖ التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الميم والنون أصلان؛ أحدهما: يدل على قطع وانقطاع، والآخر: على اصطناع خير... تقول: مَنْ يَمُنُّ مَنْأً؛ إذا صنع صنْعاً جميلاً، ومن الباب المَنَّة، وهي القوة التي بها قوام الإنسان»^(١).

والمَنَّان: (فَعَال) من صيغ المبالغة، مأخوذ من المَنَّ الدال الصنع الجميل، يقال: مَنْ يَمُنُّ مَنْأً فهو مَنَّانٌ، ومَنَّانٌ، إذا صنع صنْعاً جميلاً، والمَنَّة: النِّعْمَة الثقيلة،

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٨٥) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

❖ المصادر والمراجع:

١ - «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» (ج ٢)، للقاضي أبي يعلى الفراء.

٢ - «أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين»، لسليمان بن محمد الديخي.

٣ - «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة.

٤ - «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (ج ٧)، لابن عبد البر.

٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٦ - «فتاوى ورسائل» (ج ١)، لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ.

٧ - «فتح الباري» (ج ١)، لابن رجب.

٨ - «مجموعة دروس وفتاوى الحرم المكي» (ج ١)، لابن عثيمين.

٩ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالج.

١٠ - «النفي في باب صفات الله ﷻ بين أهل السنة والجماعة والمعطلة»، لأرزقي بن محمد سعيداني.

وما تضمنه من الصفة: المن؛ لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثبات ذلك لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

❁ الحقيقة:

اسم المنان يدور حول معنيين:

الأول: العطاء دون عوض.

الثاني: التفاخر بالعطية من المعطي وتعدد ما صنعه.

وكلا المعنيين مما يصح إطلاقه في حق الله ﷻ، قال تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحجرات]، فإن الله ﷻ لما كان هو الذي يدرّ العطاء على عباده منّا عليهم بذلك وتفضلاً كانت له المنّة في ذلك، وهو أمر مشهود للخليفة كلها، برّها وفاجرها من جزيل مواهبه، وسعة عطاياه وكريم أياديه، وجميل صنائعه، وسعة رحمته، وبره ولطفه، وإجابته لدعوات المضطرين، وكشف كربات المكروبين، وإغاثة الملهوفين، ودفع المحن والبلايا بعد انعقاد أسبابها، وصرفها بعد وقوعها، ولطفه تعالى في ذلك إلى ما لا تبلغه الآمال.

وقد حظر الله على عباده المنّ

ويقال ذلك على وجهين؛ أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل، فيقال: منّ فلان على فلان؛ إذا أثقله بالنعمة، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ونحوها، وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى. والثاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة، ولقبح ذلك قيل: المنّة تهدم الصنيعة، ومنه: الامتنان؛ إذا امتنّ عليه، آذاه بمنه^(١).

❁ التعريف شرعاً:

المَنَان: اسم الله ﷻ الدالّ على عظيم عطائه وإنعامه على خلقه تفضلاً وكرماً بلا فائدة تعود عليه، ولا جزاء من خلقه يرجوه؛ بل هو الجود والإحسان والكرم، فقد أنعم فأجزل وأسنى النعم، وأكثر العطايا والمنح، يبتدئ بالنوال قبل السؤال^(٢).

❁ الحكم:

يجب الإيمان بهذا الاسم: المنان،

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٥/٤٧١، ٤٧٢) [الدار المصرية، ط ١، ١٣٨٧هـ]، ومقاييس اللغة (٩٦٢) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٦/٢٢٠٧) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٧٧٧، ٧٧٨) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والمعجم الوسيط (٢/٨٨٨، ٨٨٩) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/٢٠٣) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ]، والأسماء والصفات (١/١٧١) [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ].

بالصنعة واختص به صفة لنفسه؛ وذلك
لعلة أمور:

❁ الأدلة:

- أن من العباد تكدير وتعيير،
ومن الله ﷻ إفضال وتذكير.

- أن الله هو المنعم في نفس الأمر
والعباد وسائط، فهو المنعم على عبده
في الحقيقة.

- الامتنان استعباد وكسر وإذلال لمن
يمن عليه، ولا تصلح العبودية والذل
إلا لله.

- أن المنة أن يشهد المعطي أنه هو
رب الفضل والإنعام وأنه ولي النعمة
ومسديها، وليس ذلك في الحقيقة إلا لله.

- أن المانّ بعطائه يشهد نفسه مترفعًا
على الآخذ مستعليًا عليه، غنيًا عنه
عزيزًا، ويشهد ذل الآخذ وحاجته إليه
وفاقته، ولا ينبغي ذلك للعبد.

- أن المعطي قد تولى الله ثوابه ورد
عليه أضعاف ما أعطى، فبقي عوض ما
أعطى عند الله، فأبي حق بقي له على
الآخذ، فإذا امتنّ عليه فقد ظلمه ظلمًا
بينًا؛ لأنه قد أخذ حقه من قبل الله ﷻ،

ومن هنا - والله أعلم - بطلت صدقته

بالمَنّ؛ فإنه لما كانت معاوضته ومعاملته
مع الله وعوض تلك الصدقة عنده، فلم
يرض المان بصدقته بذلك العوض،
ولاحظ العوض من الآخذ، فمنّ عليه
بما أعطاه، فأبطل معاوضته مع الله

ومعاملته له^(١).

الأدلة على صفة المن كثيرة؛ منها:
قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ
مِنَ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١] وقوله تعالى:
﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ
إِسْلَمْتُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ لِلْإِيمَانِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات]،
وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران:
١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّآ عَلَى
مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الصافات].

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم قال:
لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم
في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط
الأنصار شيئًا، فكأنهم وجدوا إذ لم
يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال:
«يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضلّالًا
فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله
بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟» كلما قال شيئًا
قالوا: الله ورسوله أمّن. قال: «ما يمنعم
أن تجيبوا رسول الله ﷺ؟» قال: كلما قال
شيئًا قالوا: الله ورسوله أمّن. الحديث^(٢).

(١) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٦٤)، وطريق الهجرتين
(٥٤١) [دار ابن القيم، ٢، ١٤١٤هـ]، والأسنى
في شرح أسماء الله الحسنى (١/٢٥٩، ٢٦٠) [دار
الصحابة، ١٤]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٩٩) [دار
التوحيد، ١، ١٤٢٩هـ].
(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٣٠)،
ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٦١).

أبواب التوحيد»^(٣).

وقال السفارينبي: «ومن أسمائه المنان، وهو المنعم المعطي، من المن وهو العطاء»^(٤).

الآثار:

من عرف ربه سبحانه بهذا الاسم العظيم وأنه وحده وليّ المن والعطاء، صاحب الهبة والنعمة، أوجب له ذلك أن يحمده ربه على نعمائه، وأن يشكره على فضله وعطائه، ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقد أمر الله عباده بالشكر ونهاهم عن ضده، وأثنى على عباده الشاكرين، ووعدهم بأحسن الجزاء، وجعل الشكر سبباً لمزيد الفضل والعطاء، وحارساً وحافظاً للهبة والنعمة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبِّكُمْ لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم]، وأوجب له كذلك ألا يستعمل نعمة الله ومنته سبحانه في معصيته، وألا يضيف النعمة إلا إلى المنعم وحده، وهو الله لا شريك له، خلاف من قال عنهم: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل]؛ أي: بإضافة النعمة إلى غير المنعم»^(٥).

وعن أنس رضي الله عنه؛ أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً ورجل يصلي، ثم دعا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَانُ، بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(١).

أقوال أهل العلم:

قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى (المنان) هو المنعم المعطي، من المن: العطاء لا من المنة، وكثيراً ما يرد المن في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيه ولا يطلب الجزاء عليه، فالمنان من أبنية المبالغة كالوهاب»^(٢).

وقال ابن القيم معلقاً على حديث أنس السابق: «فهذا سؤال له وتوسل إليه وبحمده، وأنه الذي لا إله إلا هو المنان، فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته، وما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعاً عند المسؤول، وهذا باب عظيم من

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٥)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٤٤)، والنسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٠٠)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٨)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٨٩٣)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٨٥٦) وصححه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٣/٥) مؤسسه غراس، ط ١، ١٤٢٣هـ.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٣٦٥) [المكتبة العلمية، بيروت].

(٣) بدائع الفوائد (١/٢٨٢) [دار عالم الفوائد، ط ١].

(٤) لوامع الأنوار البهية (٢/٢٥٧).

(٥) فقه الأسماء الحسنى (٢٩٩ - ٣٠١). وانظر: النهج

الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٣/٨٥ - ٨٨) =

المصادر والمراجع:

النعمة: ما ينعم الله تعالى على عبده به من مال، وعيش^(١).

المُنْعَم: اسم فاعل من الإنعام، مأخوذ من: (نَعِم) الدَّال على الترفه وطيب العيش وصلاحه، والنُّعْمَة: ما ينعم الله به على عباده من مال وعيش وحالة حسنة، والنُّعْمَة التَّنْعَم، ونَعِمَ اللهُ وَأَنْعَمَهُ: عطاياه، وَأَنْعَمَ يَنْعَمُ إِنْعَامًا فهو منعم: أوصل الإحسان إلى غيره، والمنعَّم: كثير المال حسن الحال^(٢).

التعريف شرعًا:

المنعم: المتفضل والمحسن إلى عباده، بجميع النعم، بواسطة، وبغير واسطة^(٣).

الحكم:

لم يثبت أن المنعم من أسماء الله ﷻ، لكن يخبر عن الله ﷻ أنه هو المنعم، المتفضل على عباده، فلا تسوغ تسمية الله ﷻ بالمنعم، أو دعاؤه به، أو

- ١ - «الأسماء والصفات»، لليهقي.
- ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٣ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.
- ٤ - «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.
- ٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٦ - «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيم.
- ٧ - «فقه أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
- ٩ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لحمود النجدي.
- ١٠ - «أسماء الله الحسنى: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة»، لماهر مقدم.

المُنْعَم

التعريف لغة:

قال ابن فارس كَتَبَهُ: «النون والعين والميم فروع كثيرة، وعندنا أنها على كثرتها راجعة إلى أصل واحد، يدل على ترفه، وطيب عيش، وصلاح؛ منه

= [مكتبة الذهبي، ط ٢، ١٤١٧هـ].

(١) مقاييس اللغة (٥/٤٤٦) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣/٩ - ١١) [الدار المصرية،

ط ١، ١٣٨٧هـ]، ومقاييس اللغة (١٠٣٥) [دار

الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٥/٢٠٤١ -

٢٠٤٣) [دار العلم للملايين، ط ٤]، ومفردات ألفاظ

القرآن (٨١٤، ٨١٥) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]،

والقاموس المحيط (١٥٠٠، ١٥٠١) [مؤسسة

الرسالة، ط ٥]، والمعجم الوسيط (٢/٩٣٥) [دار

الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢م].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٣٢، ١٠/٨٤) [مجمع

الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ].

«الحمد لله على كل حال، وإذا جاء شيء يعجبه قال: الحمد لله المنعم المفضل الذي بنعمته تتم الصالحات»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فإن العبد يدعو إلى عبادة الله داعي الشكر، وداعي العلم؛ فإنه يشهد نعم الله عليه، وذلك داع إلى شكرها، وقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها، والله تعالى هو المنعم، المحسن، الذي ما للعباد من نعمة فمنه وحده»^(٤).

وقال أيضًا: «والله رحمته الله هو المنعم، المحسن إلى عبده بالحقيقة، فإنه المتفضل بجميع النعم، وإن جرت بواسطة؛ إذ هو ميسر الوسائط، ومسبب الأسباب»^(٥).

وقال العلامة ابن القيم رحمته الله: «يقال: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ أي: أنت وحدك المنعم، المحسن، المتفضل بهذه النعمة»^(٦).

التعبيد به فيقال: عبد المنعم؛ لعدم ثبوت النص في كونه اسمًا لله رحمته الله.

❁ الحقيقة:

المنعم: هو الله تعالى وحده لا شريك له، وهو المتفضل المحسن على عباده، ويمتنع أن يكون المخلوق مكافئًا له، أو متفضلًا عليه؛ بل ولا يزال الله هو المنعم المتفضل، وما من نعمة في الخلق فمنه وحده تعالى فضلًا وجودًا^(١).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ [النمل: ١٩]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَّهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ [الفجر: ١٥].

وأما في السنة فقد ورد بصيغة الفعل؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألم تروا إلى ما قال ربكم؟ قال: ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون: الكواكب وبالكواكب»^(٢).

وقد ورد في اسم المنعم حديث لا يصح: عن التابعي حبيب بن أبي ثابت، قال: حدثنا شيخ لنا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جاءه شيء يكرهه قال:

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/٤١، ٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٧٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الدعاء، رقم ٢٩٥٥٤)، وأبو داود في المراسيل (٣٥٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والطبراني في كتاب الدعاء (٥٠١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ]، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/٢١٥) [مكتبة السوادى، ط١، ١٤١٣هـ]، وقال أبو داود: روي متصلًا، وفيه أحاديث ضعاف، ولا يصح.

(٤) مجموع الفتاوى (٨/٣٢).

(٥) مجموع الفتاوى (١٠/٨٤).

(٦) بدائع الفوائد لابن القيم (٢/٤٢٦، ٤٢٧) [دار عالم الفوائد، ط٢، ١٤٢٧هـ].

❁ الأقسام:

فعلى العبد أن يجتهد في شكر هذه النعم، وذلك بامثال ما أمر الله ﷻ به، واجتناب ما نهى عنه وزجر^(٢).

إنعام الله تعالى على خلقه ينقسم إلى قسمين ظاهرين^(١):

❁ المصادر والمراجع:

١ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، للبيهقي.

٢ - «اقتضاء الصراط المستقيم» (ج ٢)، لابن تيمية.

٣ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.

٤ - «التحفة العراقية في الأعمال القلبية»، لابن تيمية.

٥ - «التوحيد» (ج ٢)، لابن منده.

٦ - «شفاء العليل» (ج ١)، لابن القيم.

٧ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر.

٨ - «قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.

٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ١، ٤، ٨)، لابن تيمية.

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/٢٦٢، ٢٦٣) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٨هـ]، وشفاء العليل (١/٣٤٥) [مكتبة العبيكان، ط ١]، ورسالة في وجوب اختصاص الخالق بالعبادة لابن تيمية - ضمن مجموع الفتاوى (١/٤٢، ٤٣)، وقاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة (١٠٥) [مكتبة لينة، ط ١، ١٤١٢هـ]، وتفضيل الناس على سائر الأجناس لابن تيمية - ضمن مجموع الفتاوى (٤/٣٦١)، ومجموع الفتاوى له (٨/٢٢٤، ٢٢٥)، والتحفة العراقية له (٤٥٠) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢١هـ]، واقتضاء الصراط المستقيم له (٢/٧٨٥، ٧٨٦) [مكتبة الرشد، ط ٤، ١٤١٤هـ].

القسم الأول: الإنعام المطلق: وهو مختص بأهل الإيمان، لا يشركهم فيه سواهم، وهو المتصل بسعادة الأبد، وبالنعيم المقيم، ودليله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

القسم الثاني: مطلق الإنعام: وهو النعمة العامة المشتركة للخلقة كلهم، برّهم وفاجرهم، ومؤمنهم، وكافرهم، ودليلها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، وقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ١٣].

❁ الآثار:

إن هذا الاسم مستلزمٌ لتتابع نعم الله تعالى على عباده؛ بحيث لا يستطيع أحدٌ منهم أن يكافئ نعمه أبداً، لا أقلّها؛ ولا أدنى نعمةٍ من نعيمه، فإنه تعالى هو (المنعم) المتفضل الخالق للشكر والشاكر وما يشكر عليه.

وصنوف نِعَمِ الرَّبِّ الْمُنْعَمِ ﷻ لا يُحصيها أهلُ سَمَاوَاتِهِ وَلَا أَهْلُ أَرْضِهِ.

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/٤٢٦، ٤٢٧).

١٠ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.

١١ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

منكر ونكير

التعريف لغة:

منكر ونكير: النُّكْرُ والنُّكْرَاءُ والنُّكْرَاءُ، بالفتح في الكل، والنُّكْرُ بالضم: الدَّهَاءُ والفُطْنَةُ، ونعت للأمر الشديد، والنُّكَيْرُ: اسم للإنكار الذي معناه: التغيير، والنُّكَيْرُ: الإنكار، وهو الجحود^(١).

التعريف شرعاً:

منكر ونكير: اسم للملكين الموكلين بفتنة القبر وسؤال الناس في قبورهم^(٢).

الأسماء الأخرى:

يطلق عليهما: ملائكة السؤال، وكذا الفتَّانان.

الحكم:

وجوب الإيمان بما وردت به النصوص الشرعية من منكر ونكير، وسؤالهم الميت

في قبره، وما يتبع ذلك من الفتن^(٣).

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المُنْكَرُ، والآخر: النكيرُ، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟»^(٤).

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ في المرابط يموت: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتَّان»^(٥).

وقد نقل أهل العلم إجماع أهل السنة على ذلك، قال ابن عبد البر: «وأما قوله: «إنكم تفتنون في قبوركم»^(٦) فإنه أراد فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فالآثار بذلك متواترة، وأهل السنة والجماعة وهم أهل الحديث والرأي في أحكام شرائع الإسلام كلهم مجمعون على الإيمان والتصديق بذلك، إلا أنهم لا يتكلفون فيه شيئاً، ولا ينكره

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧١) وحسنه، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٧)، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٩١).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩١٣).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٨٦)، ومسلم

(كتاب الكسوف، رقم ٩٠٥).

(١) انظر: تهذيب اللغة (٩/٢١٠) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م]، والصحاح (٣/٤٠١) [دارالعلم للملايين، ط ٤]، والقاموس المحيط (٦٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ]، وتاج العروس (١٤/٢٨٧) [دار الهداية]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥/٢٤٠) [دار الفكر].

(٢) راجع الروح لابن القيم (٥٧) [دار الكتب العلمية].

إلا أهل البدع»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

وهذا المعتقد ثابت بالتواتر والإجماع، قال ابن عبد البر: «وأما قوله: «إنكم تفتنون في قبوركم» فإنه أراد فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فالآثار بذلك متواترة، وأهل السنّة والجماعة وهم أهل الحديث والرأي في أحكام شرائع الإسلام كلهم مجمعون على الإيمان والتصديق بذلك، إلا أنهم لا يتكلفون فيه شيئاً، ولا ينكره إلا أهل البدع»^(٢).

وقال ابن القيم: «أما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة»^(٣).

❁ المسائل المتعلقة:

- عدد ملائكة السؤال:

تنوعت الروايات الحديثية الصحيحة في ذكر عدد ملائكة السؤال، فروايات جاء فيها أن الإنسان يأتيه ملك^(٤)، وفي

(١) الاستذكار لابن عبد البر (٢/٤٢٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ]، والتمهيد له (٢٢/٢٤٧) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ].

(٢) الاستذكار لابن عبد البر المالكي (٢/٤٢٣)، والتمهيد له (٢٢/٢٤٧).

(٣) الروح (٥٢).

(٤) أخرج هذه الرواية: أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٥١)، وأحمد (٢١/١١٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححها الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٩٣٠).

روايات: يأتيه ملكان^(٥)، وفي بعضها: يأتيه آت^(٦)، أو يؤتى، أو يُسأل، أو يقال له دون ذكر للملك أو الملكين^(٧).

ولا تعارض بين روايات «ملك» و«ملكين» والحمد لله؛ بل كل ذلك صحيح المعنى بالنسبة إلى الأشخاص، فرب شخص يأتيه ملكان فيسألانه في آن واحد عند انصراف الناس؛ لتكون الفتنة في حقه أشد وأعظم، بحسب ما اقترب من الآثام، ورب شخص يأتيه متفرقين، فيأتيه أحدهما قبل انصراف الناس عنه، ويأتيه الآخر بعد انصرافهم عنه؛ لتكون الفتنة في حقه أخف وأقل لما عمله من صالح الأعمال، ويحتمل أن يأتيه الملكان معاً، ويكون السائل أحدهما، فتحمل رواية مجيء الملك الواحد على هذا، وكذا يقال في الروايات التي جاءت بنحو: «يأتيه آت»، أو: «يؤتى»^(٨).

(٥) أخرجها البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٣٨)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٠).

(٦) أخرجها أحمد (٣٠/٥٧٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٩٧) [دار الكتب العلمية، ط١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/٢١٩) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٧) انظر: رسائل الآخرة (٢/٣٧٥ - ٣٩٢).

(٨) انظر: التذكرة (١٢٨، ١٢٩) [دار قباء للنشر]، وشرح الصدور (١٩٨) [دار ابن كثير، ط٢، ١٤١٣هـ]، ولوامع الأنوار البهية (٢/٧) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١١هـ]، ورسائل الآخرة (٢/٣٧٥ - ٣٩٢).

ويلحق بهؤلاء: المخالفون في عذاب القبر والذي ينكرونه، فلا شك أنهم ينكرونه إجمالاً وتفصيلاً.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستذكار»، لابن عبد البر.
- ٢ - «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة.
- ٣ - «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة»، للقرطبي.
- ٤ - «التمهيد»، لابن عبد البر.
- ٥ - «الروح»، لابن القيم.
- ٦ - «شرح الصدور»، للسيوطي.
- ٧ - «عمدة القاري»، للعيني.
- ٨ - «الفتاوى الحديثية»، لابن حجر الهيتمي.
- ٩ - «فيض القدير شرح الجامع الصغير»، للمناوي.
- ١٠ - «لوامع الأنوار البهية»،

للسفاري.

١١ - «المسائل والرسائل المروية عن

وانظر في أقوال الطوائف: معالم الدين (١٧٢) لوزارة التراث القومي والثقافة، ط ١٤٠٧هـ، والتصوير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين (١١٢) [عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٣م]، ومنهج الطالبين (٥١٨)، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة (٤١٦/١) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤١٤هـ]، والإسماعيلية المعاصرة (٩٥) [ط ١، ١٤١٤هـ]، والإسماعيلية تاريخ وعقائد (٤٥٣، ٤٥٧، ٤٥٨) [إدارة ترجمان السُّنة، ط ١، ١٤٠٦هـ].

ولا يصح القول بأن القائم على فتنة القبر ثلاثة أو أربعة؛ إذ لا دليل عليه^(١). ولا يصح تسمية ملائكة الفتنة بناكور، ورومان، ومبشر، وبشير؛ إذ لا دليل عليها^(٢).

مذهب المخالفين:

خالفت المعتزلة؛ إذ قالت بالمجاز، والرافضة والباطنية؛ إذ قالت بالتأويل الباطني.

وكلاهما مجانب الصواب، إذ تأولا المنكر والنكير بما يقتضي التحريف، ولمخالفتها ظاهر النص، ولكون النبي ﷺ قد فسّر المراد بالمنكر والنكير، وكل قول بعد قوله فضلال.

قال إمام أهل السُّنة أحمد بن حنبل لما سئل عن عذاب القبر ومنكر ونكير: «نؤمن بهذا كله، ومن أنكر واحدة من هذه فهو جهمي»^(٣).

(١) انظر: الآثار الواردة في ذلك في الموضوعات لابن الجوزي (٢٤٣/٣ - ٢٣٥) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤٠٧هـ]، واللائئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية (٤٣٦/٢، ٤٣٧) [دار المعرفة].

(٢) انظر: اللآئ المصنوعة (٤٣٧/٢)، وتنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعية (٣٧٢/٢) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠١هـ]، وشرح الصدور (٢٠٠).

(٣) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (١٧٧/٢) [دار طيبة، ط ١، ١٤١٢هـ]، والروح لابن القيم (٥٧، ٥٨) [دار الكتب العلمية]، ولوائح الأنوار السننية (١٤٩/٢، ١٥٩، ١٦٠) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ]، ورسائل الآخرة (٣٩٩ - ٣٩٤/٢).

الإمام أحمد في العقيدة»، لعبد الله السماء^(٣).
الأحمدي.

❁ سبب التسمية:

سمي بالمهدي؛ لأنه مهتدٍ في نفسه،
ويهدي الناس إلى طريق الحق بإذن الله
تعالى.

❁ الحكم:

الإيمان بخروج المهدي واجب،
فخروجه ثابت بأدلة صحيحة ومعتبرة عند
أهل السُّنَّة والجماعة. قال
السفارينسي رحمته الله: «الإيمان بخروج
المهدي واجب، كما هو مقرر عند أهل
العلم، ومدون في عقائد أهل السُّنَّة»^(٤).

❁ الحقيقة:

محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي،
من ذرية فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما دلَّ عليه حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت:
سمعت رسول الله يقول: «المهدي من
عترتي من ولد فاطمة»^(٥). وذهب آخرون
أنه من ولد فاطمة رضي الله عنها، ثم من ولد
الحسن بن علي رضي الله عنه؛ قال ابن القيم:

(٣) ينظر: النهاية أو الفتن والملاحم (١/٢٤ - ٣٢) [دار
الكتب الحديثية، ط١]، ولوامع الأنوار البهية (٢/
٧٥) [المكتب الإسلامي، دار أسامة].

(٤) لوامع الأنوار البهية (٢/٨٤).

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب المهدي، رقم ٤٢٨٤)
واللفظ له، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٨٦)،
والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٧٢)،
وقال البخاري في التاريخ الكبير (٣/٣٤٦) دائرة
المعارف العثمانية: في إسناد نظر.

❁ المهاجرون

يزاجع مصطلح (الصحابة).

❁ المهدي

❁ التعريف لغةً:

الهدى ضد الضلال وهو الرشاد،
والمهدي: الذي قد هداه الله إلى
الحق^(١)، وقد استعمل في الأسماء حتى
صار كالأسماء الغالبة، وبه سمي
المهدي الذي بشر به النبي، أنه يجيء
في آخر الزمان^(٢)

❁ التعريف شرعاً:

رجل من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، يخرج
في آخر الزمان، يملك سبع سنين، يملأ
الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً،
يقاتل على السُّنَّة، لا يترك سُنَّةً إلا
أقامها، ولا بدعة إلا رفعها، وتنعم الأمة
في عهده نعمة لم تنعمها قط، وتخرج
الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها،
ويعطي المال بغير عدد، ويصلي عيسى
ابن مريم عليه السلام خلفه عند نزوله من

(١) ينظر: مقاييس اللغة (١٠٢٧) [دار إحياء التراث
العربي، ١٤٢٩هـ]، ولسان العرب (١٥/٣٥٣) [دار
صادر، ط٣].

(٢) ينظر: لسان العرب (١٥/٣٥٤).

«وفي كونه من ولد الحسن سر لطيف وهو أن الحسن رضي الله عنه ترك الخلافة لله فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق المتضمن للعدل الذي يملأ الأرض، وهذه سنة الله في عباده أنه من ترك لأجله شيئاً أعطاه الله أو أعطى ذريته أفضل منه، وهذا بخلاف الحسين رضي الله عنه؛ فإنه حرص عليها وقاتل عليها فلم يظفر بها والله أعلم»^(١). إلا أنه لم يثبت فيه حديث صحيح في أنه من ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما.

❁ الأدلة:

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تذهب أو تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»، وفي رواية: «يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي»^(٤).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف»^(٥)، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين»^(٦).

وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم؛ لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، ويعيش سبعاً أو ثمانياً؛ يعني: حججاً»^(٢).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يكون في أمتي المهدي إن قصر فسيع، وإلا فتسع، فتنعم فيه أمتي نعمة، لم ينعموا مثلها قط، تؤتى أكلها ولا تدخر

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (١٥١) [مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٣هـ].

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢٢٣٢) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٨٣)، وأحمد (٢٥٤/١٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٧٣) واللفظ له، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٢٨/٢، رقم ٧١١).

(٣) هو الحديث السابق نفسه، وهذا لفظ ابن ماجه.

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب المهدي، رقم ٤٢٨٢)، والترمذي (أبواب الفتن، ٢٢٣٠) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٤٢/٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٢٧٥).

(٥) أجلى الجبهة؛ أي: خفيف شعر ما بين الزعتين من الصدغين، والذي انحسر الشعر عن جبهته. وأقنى الأنف؛ أي: طويل الأنف مع دقة أرنبته، وحذب في وسطه. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٦٢، ٧٧٥) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب المهدي، رقم ٤٢٨٥) واللفظ له، وأحمد (٢٠٩/١٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٨هـ]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٨٢٦)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٧٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٧٣٦).

ملئت جوراً»^(١).

أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام؛ فيساعده في قتل الدجال بباب لُد بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه»^(٤).

وقال السفاريني: «والصواب الذي عليه أهل الحق: أن المهدي غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنّة حتى عد من معتقداتهم... وقد روي عن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم عليه السلام بروايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم، ما يفيد مجموعته العلم القطعي. فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدوّن في عقائد أهل السنّة والجماعة»^(٥).

وقال صديق حسن خان: «الأحاديث الواردة في المهدي، على اختلاف رواياتها، كثيرة جداً، تبلغ حد التواتر المعنوي، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد... وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار، وأنه لا بد في آخر الزمان من ظهور

وعن أبي هريرة عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟»^(٢)، وجاء في حديث جابر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا. فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو الحسن الآبري: «قد تواترت الأخبار واستفاضت وكثرت بكثرة رواياتها عن المصطفى عليه السلام بخروجه، وأنه من

(١) أخرجه أبو داود (كتاب المهدي، رقم ٤٢٨٣)، وأحمد (١٦٣/٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، ومن طريقه الضياء في المختارة (١٧٢/٢) [دار خضر، ط٣]، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٥٣٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٤٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٥).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ: الحارث بن أسامة في مسنده، كما ذكر ابن القيم في المنار المنيف (١٤٧، ١٤٨) [مكتب المطبوعات الإسلامي، ط١]، وقال: «هذا إسناد جيد». قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٧٦/٥)، رقم (٢٢٣٦) [مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ]: «وهو كما قال ابن القيم رحمه الله: فإن رجاله كلهم ثقات، من رجال أبي داود».

والحديث رواه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٦) من دون ذكر المهدي، قال الشيخ محمد صديق خان عن حديث مسلم: «ليس فيه أيضاً ذكر المهدي؛ ولكن لا مَحْمَل له ولأمثاله من الأحاديث إلا المهدي المنتظر» اهـ. ينظر الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (١٨٠، ١٨١) [دار ابن حزم، ط١، ١٤٢١هـ].

(٤) نقله عنه السخاوي في القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراف الساعة (٧٩) [أضواء السلف، ط١].

(٥) لوائح الأنوار البهية (٨٤/٢).

دَلَّ عليه حديث جابر رضي الله عنه السابق ذكره، قال: قال رسول ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صلِّ بنا. فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة»^(٥). قال ابن حجر الهيتمي: «خروج المهدي قبل نزول عيسى هو الحق. وأما ما قيل: إنه بعد نزوله فبعيد، والأحاديث ترد على قائله فلا ينظر إليه»^(٦). ولم يثبت تحديد وقت خروجه بشهر أو بعام، قال صديق حسن خان: «لا شك في أن المهدي يخرج في آخر الزمان، من غير تعيين لشهر وعام»^(٧).

- المسألة الثانية: شريعة المهدي:

المهدي لا يأتي بشريعة جديدة بل يحكم بشريعة الإسلام متبعًا لنبيِّنا محمد ﷺ، كما دلَّت عليه الأحاديث السابق ذكرها، ومنها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟»^(٨)، وحديث جابر رضي الله عنه

رجل من أهل البيت النبوي، يؤيد الدين ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويُسمى بالمهدي»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: وقت خروجه ومكانه:

يخرج المهدي من جهة الشرق، كما دَلَّ عليه حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل من خراسان فأتوها، فإن فيها خليفة الله المهدي»^(٢). قال ابن كثير: «يخرج المهدي ويكون ظهوره من بلاد المشرق»^(٣). ويكون وقت خروجه قبل عيسى ﷺ ويعاصره، ويشهد مقتل الدجال^(٤)، كما

(١) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (١٤٩)، (١٥٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٨٤)، وأحمد (٧٠/٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، والبخاري (١٠٠/١٠) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٤٣٢) وصححه، وصحح إسناده البزار أيضًا، والبوصيري في مصباح الزجاجة (٢٠٤/٤) [دار العربية، ط ٢].

(٣) النهاية أو الفتن والملاحم (٢٩/١). وينظر: المنار المنيق (١٥٢).

(٤) ينظر: القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراف الساعة (٧٨)، ولوامع الأنوار البهية (٨٤/٢ - ٨٦)، والبحور الزاخرة (٤٧٠/١) [دار غراس، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) القول المختصر في علامات المهدي المنتظر (٨٠) [دار الصحوة، ط ١]، وينظر البحور الزاخرة (١) (٤٦٩).

(٧) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (١٨٢).

(٨) تقدم تخريجه.

«المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف»^(٤).

٤ - المهدي يصلحه الله ﷺ في ليلة، كما دلّ عليه حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة»^(٥). وقد اختلف العلماء في المراد بصلاح المهدي في ليلة، هل معناه: أنه يصلحه في أمر دينه ولم يكن صالحاً؟ أو أنه يصلحه لأمر الولاية وإمارة الناس؟ والأظهر هو الثاني؛ أي: أن الله يصلح المهدي في ليلة لإمارة الناس، ويمن الله عليه بصفات تؤهله لقيادة المسلمين، ويرفع قدره في ليلة واحدة أو في ساعة واحدة من الليل؛ حيث يتفق على خلافته أهل الحل والعقد فيها^(٦). والقول بأنه كان عاصياً فيهديه الله في ليلة لا يستقيم وقيادة الناس بعلم شرعي مؤصل؛ وذلك أن المهدي يحكم بينهم ويفتيهم، ويفصل بينهم في خصوماتهم، ويقودهم في

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٨٥)، وأحمد (٧٤/٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وأشار العقيلي إلى ضعفه في الضعفاء (٤/٤٦٥) [دار المكتبة العلمية، ط١]، وقال البوصيري: (هذا إسناد فيه مقال). مصباح الزجاجة (٢/٢٠٤) [دار العربية، ط٢].

(٦) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٦٠) [دار الآثار، ط١، ١٤٢٨هـ]، والمهدي وفقه أشراف الساعة (٣٦) [دار بلسية، الدار العالمية، ط١، ١٤٢٣هـ].

قال: قال رسول ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا. فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة»^(١)، فصلاة عيسى خلف المهدي لبيان أن عيسى نزل متبعاً لنبيّنا محمد ﷺ حاكماً بشريعته ﷺ.

- المسألة الثالثة: الضوابط التي يُعرف بها المهدي، في ضوء الأحاديث السابق ذكرها:

١ - تطابق اسم المهدي مع اسم النبي ﷺ كما دلّ عليه حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب أو تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»، وفي رواية: «يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي»^(٢).

٢ - أنه من ولد فاطمة رضي الله عنها ابنة النبي ﷺ، كما دلّ عليه حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^(٣).

٣ - أن تنطبق عليه الصفات الخلقية الواردة التي قالها فيه الرسول ﷺ:

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

القتال؛ وهذا العلم لا يجتمع في ليلة؛ إلا أن يكون وحيًا، والوحي للأنبياء فقط^(١).

٥ - يظهر وقد امتلأت الأرض جورًا وظلمًا، فيملأها قسطًا وعدلاً، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه: «يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا»^(٢).

٦ - أنه يقسم المال بين المسلمين بالعدل والسوية، ويكثر الخير في عهده، ويصلح حال الأمة، كما دلّ عليه حديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحًا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة»^(٣).

○ مذهب المخالفين:

تزعم الرافضة أن المهدي هو المحبوس في غار في سامراء من عام (٢٦٠هـ) حتى الآن، وأنه هو الذي سيخرج آخر الزمان. قال ابن كثير: «ليس بالمنتظر الذي تزعم الروافض

(١) ينظر: نهاية العالم أشرط الساعة الصغرى والكبرى (١٩٠) [دار التدمرية، ط٨، ١٤٣١هـ].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

وترتجي ظهوره من سرداب في سامراء، فإن ذاك ما لا حقيقة له ولا عين ولا أثر»^(٤). وقال: «يخرج المهدي ويكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء كما تزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كثير من الخذلان، وهوس شديد من الشيطان؛ إذ لا دليل عليه ولا برهان، لا من كتاب ولا من سنة، ولا من معقول صحيح ولا استحسان»^(٥).

كما أن بعض العلماء من أهل السنة أنكروا وجود المهدي لعدم ثبوت الأدلة عندهم^(٦)؛ وهذا لا حجة لهم فيه؛ إذ إن أحاديث المهدي ثابتة وصحيحة، وقال ابن تيمية رحمته الله: «إن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم»^(٧).

(٤) النهاية أو الفتن والملاحم (١/٢٤).

(٥) النهاية أو الفتن والملاحم (١/٢٩). وينظر: المنار المنيف (١٥٢).

(٦) ينظر: مجموعة رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود (٣/٤٩٣ وما بعدها) [العبيكان، ط١، ١٤٢٧هـ].

وتفسير المنار (٩/٤٩٩) [دار المعرفة، ط٢].

(٧) منهاج السنة (٨/٢٥٤) [جامعة الإمام، ط١].

وينظر: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر

(٣٢، ٣٣).

٤ - «السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها» (ج ٥)، لعثمان بن سعيد الداني.

٥ - «عقد الدرر في أخبار المنتظر»، ليوسف السلمي.

٦ - «القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراف»، للسخاوي.

٧ - «كتاب الفتن» (ج ١)، لنعيم بن حماد المروزي.

٨ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ٢)، للسفاريني.

٩ - «المنار المنيف»، لابن القيم.

١٠ - «المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة»، لعبد العليم عبد العظيم البستوي.

١١ - «الموسوعة في أحاديث المهدي»، لعبد العليم عبد العظيم البستوي.

المُهَيِّمِينَ

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الهاء والميم والنون ليس بشيء، فأما المهيمين وهو الشاهد، فليس من هذا، إنما هو من باب أمن، والهاء مبدلة من همزة»^(٤). والمُهَيِّمِينَ

(٤) مقاييس اللغة (٢/٦١٢) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

وروي عن مجاهد بن جبر^(١)، وعن الحسن البصري^(٢)؛ أن المهدي هو عيسى عليه السلام، وهذا غير صحيح، وما روي عنهما لم يصح إسناده إليهما. قال السفاريني: «والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام»، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السُّنَّة حتى عد من معتقداتهم...»^(٣).

المصادر والمراجع:

١ - «الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر»، لحمود بن عبد الله التويجري.

٢ - «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»، لمحمد صديق خان.

٣ - «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان»، لعلي حسام المتقي الهندي.

(١) رواه ابن أبي شيبه (١٥/١٩٨) [الدار السلفية، ١٣٩٩هـ]، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف كثير الاضطراب، وكان قد اختلط ولم يميز، فترك حديثه. ينظر كتاب: الموسوعة في أحاديث المهدي (١٧٨) [المكتبة المكية، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٢) رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن (١/٣٧٤) رقم (١١٠٨)، و(١/٣٧٦) رقم (١١١٩). ونعيم بن حماد لا يحتج به، وراوي كتابه عنه ضعيف أيضًا، وفيه علل أخرى. تنظر في كتاب الموسوعة في أحاديث المهدي (١٧٥، ١٧٦).

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢/٨٤).

ذلك الله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته ﷻ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

❁ الحقيقة:

المهيمن: المُطَّلَع على خفايا الأمور وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علمًا، وهو الشهيد على خلقه بما يكون منهم من قول أو عمل. فهذا الاسم الكريم لربنا ﷻ قد أورد أهل العلم له عدة تفسيرات، فقليل إن معناه:

- الرقيب الحافظ^(٣).

- الشاهد أو الشهيد على خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل^(٤).

- الأمين، وذلك أن أصله مؤيمن، قلبت الهمزة هاء؛ لأن الهاء أخف من الهمزة، فالله ﷻ هو الأمين على أفعال خلقه، فلا ينقص الميثب من ثوابه، ولا يزيد العاصي من العقاب على قدر معصيته^(٥).

اسم فاعل من الهيمنة، مأخوذ من الفعل هيمن يهيمن هيمنة فهو مهيمن؛ إذا سيطر وصار رقيبًا وحافظًا وشاهدًا على الشيء.

وجاء من معاني المهيمن في اللغة: الأمين^(١).

وقال الجوهري: «المهيمن: الشاهد، وهو من آمن غيره من الخوف، وأصله أَمَّنَ مُؤَمِّنٌ، بهمزتين، قُلِبَتْ الهمزة الثانية ياء كراهية لاجتماعهما، فصار مُؤَيِّمِنٌ، ثم صُيِّرَت الأولى هاء، كما قالوا: أراق الماء وهراقه»^(٢).

❁ التعريف شرعًا:

المهيمن: اسم من أسماء الله ﷻ دالٌّ على إحاطته سبحانه بكل شيء وسيطرته عليه، وأنه الرقيب الشهيد على كل شيء والحافظ لكل شيء، والأمين على أعمال خلقه فلا يضيع منها شيئًا.

❁ الحكم:

يجب الإيمان بهذا الاسم: المهيمن، وما دلَّ عليه من صفة الهيمنة؛ لدلالة القرآن الكريم عليها، ويجب إثبات

(١) انظر: تهذيب اللغة (٦/٣٣٢ - ٣٣٤) [الدار المصرية، ط ١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (٥/٢٠٧١، ٦/٢٢١٧، ٦/٢٢١٨) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، والقاموس المحيط (١٦٠٠) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٢/١٠٠٥) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢م].

(٢) الصحاح (٦/٢٢١٧، ٦/٢٢١٨).

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٢)، وشأن الدعاء (٤٦) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (١/١٦٨) [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ]، أحكام القرآن لابن العربي (٢/٣٤٧) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٣/٣٠٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٢)، وشأن الدعاء (٤٦)، واشتقاق أسماء الله (٢٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ].

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٣/٣٠٤)، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٢)، واشتقاق أسماء الله (٢٢٨)، =

- المصدّق^(١).

وقال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى (المهيمن): هو الرقيب، وقيل: الشاهد، وقيل: المؤتمن، وقيل: القائم بأمور الخلق»^(٤).

وقال السعدي: «المهيمن: المطلع على خفايا الأمور وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علماً»^(٥).

❖ الأدلة:

ورد اسم المهيمن في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ﴾ [الحشر: ٢٣].

❖ أقوال أهل العلم:

عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الْمُهَيَّبُ﴾ [الحشر: ٢٣] قال: «الشهيد»، وقال مرة أخرى: «الأمين»^(٢).

قال البيهقي: «المهيمن: هو الشهيد على خلقه بما يكون منهم من قول أو عمل، وهو من صفات ذاته، وقيل: هو الأمين، وقيل: هو الرقيب على الشيء والحافظ له»^(٣).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «أسماء الله الحسنى: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة»، لماهر مقدم.
- ٣ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٤ - «الاعتقاد والهداية»، للبيهقي.
- ٥ - «الجواب الصحيح»، لابن تيمية.
- ٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٧ - «صفات الله وَجَلَّ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٨ - «فقه أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

= وشأن الدعاء (٤٦)، والمنهاج في شعب الإيمان (٢٠٣، ٢٠٢/١) [دار الفكر، ط١]، والأسماء والصفات (١٦٦/١ - ١٦٨).

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٠٤/٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحقيقة مذهب الاتحاديين ووحدة الوجود، ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧٢/٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١، ١٤١٦هـ]، والرد الأقوم على ما في فصوص الحكم، ضمن مجموع الفتاوى (٤٢٨/٢)، الجواب الصحيح (٢/٢٧٢، ٤٢٨) [دار الفضيحة، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٩٨٢/١٠)، رقم ٣٣٧٧٦ [دار السلام، القاهرة، ط٣، ١٤٢٩هـ] وإسناده حسن، كما في التفسير الصحيح (٤٧٠/٤) [دار المآثر، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (٤٢) [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ].

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٧٥/٥) [المكتبة العلمية، بيروت].

(٥) تفسير السعدي (٦٢٤/٥)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكمليات من أصول التفسير وكملياته [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط٢، ١٤١٢هـ].

والهلاك^(٤)، ويسمى: الساعة الصغرى، والقيامة الصغرى^(٥).

❁ الحكم:

الإيمان بالموت واجب.

❁ الحقيقة:

الاعتقاد الجازم بأن الموت أمر وجودي يقابل الحياة، واعتقاد أن الموت الشرعي مفارقة الروح الجسد مع بقائها بعده، وأنها لا تفتنى ولا تبلى بفنائها، والتصديق بكل ما جاءت به النصوص من الأمور المتعلقة به.

قال القرطبي: «قال العلماء: الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقتها، وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار، والحياة عكس ذلك»^(٦).

وقال الحافظ ابن حجر: «ولا يلزم

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في

أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

❁ موانع التكفير

يراجع مصطلح (التكفير).

❁ الموت

❁ التعريف لغةً:

ذهاب القوة من الشيء، قال ابن فارس: «الميم والواو والتاء أصل صحيح يدل على ذهاب القوة من الشيء، ومنه الموت خلاف الحياة»^(١).
فالموت إذن: ضد الحياة وخلافها^(٢).

❁ التعريف شرعاً:

الموت: مفارقة الروح الجسد كلياً بالموت أو جزئياً بالنوم^(٣).

❁ الأسماء الأخرى:

الموت، والحتف، والمنون، والسام، والجمام، والردي، والحين، والوفاة،

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/٢٨٣) [دار الجليل، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (٢٠٦)، والمصباح المنير للفيومي (٢/٥٨٤) [دار الكتب العلمية].

(٣) انظر: فتح الباري (٢/٦٧) [دار المعرفة]. وراجع: التذكرة للقرطبي (٤)، والروح لابن القيم (٣٤) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ].

(٤) انظر: الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة (١/٢٣٢) [دار الجليل، ط ١، ١٤١١هـ]، ومقاييس اللغة (٢/١٣٥) [دار الجليل، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وتهذيب اللغة (٤/٢٥٧) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(٥) انظر: إحياء علوم الدين (٤/٦٤) [دار المعرفة]، وتفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٦/٤٠٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ]، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/٥٣٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وروح المعاني (٧/١٤١) [دار إحياء التراث العربي].

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٧/٣٧٧) [دار الشعب].

كليهما: خلود فيما تجدون لا موت فيه أبداً»^(٣).

وفي الموت الذي تفارق فيه الروح الجسد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا تُوهُ مِائَةٌ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَتْهُ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَّا تُوهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [٢١] [عبس].

وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان»^(٤).

وفي الموت الذي هو بمعنى النوم قال ﷺ: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»^(٥).

وقد جاء الجمع بين الموتين في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكِ الْتِي فَضَلْنَا عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر].

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٣٢٧)، وأحمد (٧٧/٣) [دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ]، وجوّد المنذري إسناده في الترغيب والترهيب (٤/٣١٧) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ]، وأورده الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٠٧/٣) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٧هـ] وقال: «حسن صحيح».

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٠١)، والترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٢٤)، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٩٨)، وأحمد (٤٠٦/١٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٣٢٦) وصححه، وصححه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح (٥٢٧/١) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٥هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣١٢).

من قبض الروح الموت، فالموت انقطاع تعلق الروح بالبدن ظاهراً وباطناً، والنوم انقطاعه عن ظاهره فقط»^(١).

❁ الأدلة:

دلّ على الموت كأمر وجودي مخلوق قول الحق تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوَةَ يَسْئَلُكُمْ أَنْتُمْ عَنْهَا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [٢] [الملك].

وقوله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة...، فيذبح» الحديث^(٢)، والناس يعرفونه يوم القيامة، وموطن ذبحه الصراط؛ لقوله ﷺ: «يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط، فيقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم ربنا، هذا الموت، ثم يقال: يا أهل النار، فيطلعون فرحين مستبشرين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم، هذا الموت، فيؤمر به فيذبح على الصراط، ثم يقال للفريقين

(١) فتح الباري (٦٧/٢) [دار المعرفة].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٣٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٩).

وفي قوله ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه... ثم يقول: باسمك ربّ وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»^(١).

فالإمساك في الموتة الكبرى والإرسال في الصغرى.

❁ الأقسام:

ينقسم الموت باعتبار مفارقة الروح الجسد إلى قسمين:

الأول: موت كلي: وهو الوفاة الكبرى التي تفارق فيه الروح الجسد وتنفصل عنه بالكلية فيما نسميه الموت.

والثاني: موت جزئي: وهو الوفاة الصغرى التي تفارق فيه الروح الجسد وتنفصل عنه انفصلاً جزئياً فيما نسميه النوم وما أشبه ذلك.

وعليه فحقيقة الموت هنا، مفارقة الروح الجسد كلياً بالموت أو جزئياً بالنوم^(٢).

❁ المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى: الموت مخلوق** وجودي يذبح يوم القيامة بعد استقرار أهل الدارين في داريهما.

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

لِبَلْوَاكُمْ أَتُكْمَلُونَ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ [الملك]، قال ابن كثير: «استدل بهذه الآية من قال: إن الموت أمر وجودي؛ لأنه مخلوق»^(٣).

وتقدم أنه يؤتى به يوم القيامة على صورة كبش ويذبح.

وقد فسّر الفزع الأكبر في قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] بتفاسير؛ أحدها: أنه ساعة ذبح الموت^(٤).

وكذا فسّر يوم الحسرة في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم]، بأنه ساعة ذبح الموت على رأي الجمهور^(٥).

- **المسألة الثانية: هل الموت للروح والبدن؟**

ذكر بعض أهل العلم أن الموت للروح والبدن سواء، وذهب آخرون إلى أن الموت للبدن والروح باقية، وذكر ابن القيم رحمته الله: أن موت النفوس إن أريد به مفارقتها لأجسادها وخروجها منه، فالأرواح ذائقة الموت، وإن أريد أن

(٣) تفسير ابن كثير (٣٩٧/٤) [دار الفكر، ١٤٠١هـ].

(٤) انظر: النكت والعيون (٤٧٣/٣) [دار الكتب العلمية]، وتفسير العز بن عبد السلام (٣٣٩/٢) [دار

ابن حزم، ١، ١٤١٦هـ].

(٥) انظر: تفسير ابن عطية (١٧/٤) [دار الكتب العلمية، ١، ١٤١٣هـ]، وعمدة القاري (٢٨٣/١٩) [دار

إحياء التراث العربي].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٢٠)،

ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٤).

(٢) انظر: موسوعة الروح (١١٦/١).

الروح لعدم وتضمحل وتصير عدماً محضاً فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية في البرزخ إما في نعيم وإما في عذاب^(١).

ومما يدل على ذلك كقوله ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»^(٢).

وقوله ﷺ: «إنما نسمة المسلم طير تعلق^(٣) في شجر الجنة، حتى يرجعها الله ﷻ إلى جسده يوم القيامة»^(٤).

قال ابن تيمية: «الذي عليه الأنبياء وأتباعهم وجمهور العقلاء أن الروح تفارق البدن وتبقى بعد فراق البدن»^(٥) في مقرها المعد لها.

(١) انظر: الروح (٣٤) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ].
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٧٩)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٦).

(٣) تعلق: تأكل. انظر: النهاية (٢٨٩/٣).

(٤) أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٧٣)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٧١)، وأحمد (٢٥/٥٥) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، ومالك في الموطأ (كتاب الجنائز، رقم ٤٩) [دار الحديث، ط٢، ١٤١٣هـ]، وابن حبان (كتاب السير، رقم ٤٦٥٧)، وصححه ابن كثير في تفسيره (١٦٤/٢) [دار طيبة، ط٢]، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٦٩٤)، وقال عن إسناد أحمد: «وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين».

(٥) الجواب الصحيح (٢٦٨/٣).

أما الجسد فيفنى بالموت ويبلى إلا عَجَب الذَّنْب؛ لقوله ﷺ: «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عَجَب الذَّنْب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»^(٦)، ويستثنى من ذلك أجساد الأنبياء لورود النص بأن أجسادهم محرمة على الأرض، كما في الحديث: «أكثرُوا عليّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة؛ فإن صلاتكم معروضة عليّ». قالوا: كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أُرمت؟ أي: بليت. فقال: «إن الله تعالى حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»^(٧).

- المسألة الثالثة: علامات الموت:

جعل الفقهاء للموت علامات يعرف بها، ومنها: انقطاع نفس الميت، وانخساف صدغيه، وميل أنفه، وامتداد جلدة وجهه، وانفصال كفيه، واسترخاء رجليه^(٨).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٣٥)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٥٥).
(٧) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٠٤٧)، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٣٧٤)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، رقم ١٠٨٥)، وأحمد (٢٦/٨٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ١٦١٣)، وصححه النووي في الأذكار (١١٥) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٢٧).

(٨) انظر: الأم (١/٢٧٤) [دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٣هـ]، والمغني في فقه الإمام أحمد (٢/١٦٢) [دار الفكر، ط١، ١٤٠٥هـ]، وشرح منتهى الإرادات (٣٤٣/١) [عالم الكتب، ط٢، ١٩٩٦م]، والخروشي =

- المسألة الرابعة: الموت علامة انتهاء الأجل:

لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، قال ابن كثير: «أي: لا يموت أحد إلا بقدر الله، وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله له»^(١).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَعْرِضُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ١١].

فكل من مات فموته بسبب انتهاء أجله ليس غير.

والآيات الآتفة تبطل زعم المعتزلة أن الأجل يتقدم ويتأخر، وأن من قتل فإنما يهلك قبل أجله، وكذلك كلما ذبح من الحيوان كان هلاكه قبل أجله؛ لأنه يجب على القاتل الضمان والدية^(٢).

- المسألة الخامسة: كراهة الموت فطرية:

فإنه لما قال ﷺ: «من أحب لقاء الله

أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: «ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه»^(٣).

والمؤمن غالبًا لا يكره الموت إلا خوفًا من تقصير يؤاخذ به، أو طمعًا في خير يزداد منه، ومثل هذا يعذر صاحبه، بخلاف من كرهه لأجل متع الحياة وإيثارها على نعيم الآخرة فمذموم، قال التبريزي: «من كره الموت إيثارًا للحياة على ما بعد الموت من نعيم الآخرة كان مذمومًا، ومن كرهه خشية أن يفضي إلى المؤاخذه، كأن يكون مقصرًا في العمل لم يستعد له بالأهبة بأن يتخلص من التبعات، ويقوم بأمر الله كما يجب، فهو معذور، لكن ينبغي لمن وجد ذلك أن يبادر إلى أخذ الأهبة، حتى إذا حضره الموت لا يكرهه؛ بل يحبه لما يرجو بعده من لقاء الله»^(٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٧)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٣).

(٤) مشكاة المصابيح (٥/٥٨٧).

= على مختصر سيدي خليل (١٢٢/٢) [دار الفكر].
(١) تفسير ابن كثير (١٢٩/٢) [دار طيبة، ط ٢٥].
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٢٧/٤) [دار إحياء التراث العربي].

- المسألة السادسة: تمنى الموت
يجوز في حال دون حال:

فيجوز تمنى الموت في حال خوف
الفتنة؛ لقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ
فَعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ
الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً
فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مُفْتُونٍ»^(١).

ويدخل في ذلك: الخوف من الفتنة
الدينية، ومثله ما جاء في تمنى مريم ﷺ
الموت خوف قذفها بالفاحشة.

كما يجوز تمنى الموت شهيدًا؛
لحديث: «من سأل الله الشهادة بصدق،
بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على
فراشه»^(٢).

ولا يجوز تمنى الموت في حال
الضر؛ لقوله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم
الموت لضر نزل به، فإن كان لا بدُّ
متمنيًا فليقل: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ
الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةَ
خَيْرًا لِي»^(٣)، لما في ذلك من منافاة
للصبر والرضا بالقدر.

وأما قول يوسف ﷺ: «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٣٥)،
وأحمد (٤٢٢/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال
البخاري والترمذي: حسن صحيح، كما ذكر
الترمذي عقب إخرجه للحديث.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٩٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٥١)،
ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،
رقم ٢٦٨٠).

مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَرَبِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقْفَى بِالصَّلَاحِينَ ﴿١٠١﴾
[يوسف]، فليس فيه تمنى الموت؛ وإنما هو
دعاء بالموت على الإسلام، لا بمطلق
الموت ولا الموت الآن^(٤).

ومثله قول السحرة بعد أن آمنوا لَمَّا
أَرَادَهُمْ فِرْعَوْنُ عَن دِينِهِمْ وَهَدَّاهُمْ بِالْقَتْلِ:
﴿رَبَّنَا أفرغ علينا صبرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٦٦﴾﴾
[الأعراف].

- المسألة السابعة: الاحتضار:

الاحتضار: هو الساعة التي يكون فيها
العبد في إقبال من الآخرة وإدبار من
الدنيا، وهو وقت حضور الموت، وقرب
مفارقة الروح البدن.

وهو أحد مفردات الإيمان باليوم
الآخر، التي تسبق الموت، وفيه تكون
السكرات، والبشارات، وحضور
الملائكة الموكلة باستلام الروح قبل
نزعها.

وقد دلت النصوص الكثيرة عليه؛
منها: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ
الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ
صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا
وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾
[المؤمنون].

(٤) انظر: شرح الطحاوية (٣٦٩) [المكتب الإسلامي،
ط ٤].

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَمَا لَهُمْ حَمِيمٌ ﴿٩٢﴾ [الواقعة].

قال ابن سعدي: «ذكر الله تعالى أحوال الطوائف الثلاث: المقربين، وأصحاب اليمين، والمكذبين الضالين في أول السورة في دار القرار، ثم ذكر أحوالهم في آخرها، عند الاحتضار والموت»^(٣)، ثم ساق الآيات بتفسيرها. وعليه؛ فيختلف قبض الأرواح وانتزاعها، وكيفية خروجها، وما ينالها بعد ذلك.

قال عليه السلام: «نفس المؤمن تخرج رشحاً، ونفس الكافر تخرج من شذقه كما تخرج نفس الحمار»^(٤).

وقد جاءت السُّنَّة بالتفريق بين نزاع روح المؤمن وروح الكافر وما يعقب ذلك، كما في قوله عليه السلام: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ وُجُوهِهِمْ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا

(٣) تفسير السعدي (٨٣٦).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣٣/١٠) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٣٢٣) [مكتبة القدسي]، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٤/٥).

وهذا «حين تنقطع الدنيا، ويعاين الآخرة، قبل أن يذوق الموت»^(١).

وقد دلت السُّنَّة على ذلك، قال النبي عليه السلام: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ بِيضُ وُجُوهِهِمْ كَأَنَّ وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَ الْبَصَرِ. وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سَوْدُ الْبَصَرِ»^(٢).

- المسألة الثامنة: أقسام الناس عند الاحتضار وتمايزهم في قبض الروح وخروجها:

جاء تقسيم الناس عند الاحتضار كما في آخر سورة الواقعة إلى ثلاثة أقسام: مقربين، وأصحاب يمين، ومكذبين ضالين، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَحَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾

(١) تفسير الطبري (٦٩/١٩)، مؤسسة الرسالة، ط ١. وانظر: تفسير ابن كثير (٤٣٩/٥)، [دار طيبة، ط ٢].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٥٣)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٩) مختصراً، وأحمد (٤٩٩/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين (١٣٧/١) [دار الكتب العلمية، ط ١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٦١٩/٢) و(٩٠١/٣) [المكتبة الإسلامي، ١٤٠٩هـ].

الظن بالله تعالى: أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه .

قالوا: وفي حالة الصحة يكون خائفًا راجيًا، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه؛ لأن مقصود الخوف: الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى، والإذعان له^(٤).

ولا منافاة بين الحديث الآنف وحديث امتزاج الرجاء بالخوف الذي رواه أنس وفيه قال: «أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو بالموت، فقال: «كيف تجدك؟» قال: والله يا رسول الله إنني أرجو الله، وإنني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن، إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف»^(٥).

فإن الحديث الأول فيه الحث الأكيد

ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥).

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (٢٥٦/٩).

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ٩٨٣)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦١)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١٣٥/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١]، والألباني في أحكام الجنائز (٣) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت ﷻ حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء. وإنّ العبد الكافر، إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرّق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السّفود من الصّوف المبلول^(١).

- المسألة التاسعة: إحسان الظن بالله تعالى عند الاحتضار، وسؤال المغفرة والرحمة:

يتفكر المحتضر في سعة رحمة الله ومغفرته وعفوه؛ لقوله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ»^(٢)، ففيه تغليب جانب الرجاء.

وفي هذا تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة، وقد جاء في الحديث الآخر قوله ﷺ: «أنا عند ظن عبدي بي»^(٣)، قال العلماء: معنى «حسن

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٥)،

وسياتي التفريق بين الغرغرة والاحتضار. ويمكن القول: إن الغرغرة تكون آخر وقت الاحتضار بعد رؤية الملك وانتزاعه الروح، وفي الحديث: «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»^(٥)؛ أي: ما لم تبلغ روحه حلقومه^(٦).

ويدلُّ على قبول التوبة حال الاحتضار وقبل المعاينة والنزع: ما ثبت في «الصحیحین» من دعوة النبي ﷺ عمه أبا طالب إلى التوحيد وهو في حال الاحتضار^(٧)، قال ابن مفلح مفسراً لحضور الوفاة: «المراد: قربت وفاته وحضرت دلائلها، وذلك قبل المعاينة والنزع، ولو كان في حال المعاينة والنزع لما نفعه الإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتْتُ الْأَنْ﴾ [النساء: ١٨]، ويدل على أنه قبل المعاينة محاورته للنبي ﷺ مع كفار قريش»^(٨).

على إحسان الظن بالربِّ تعالى عند الموت، وهو يتضمن تغليب جانب الرجاء على الخوف عند الاحتضار، والله أعلم.

وقد استحسنت بعض العلماء أن يُذكَر المريض بسعة رحمة الله ولطفه وبره، ليحسن ظنه بربه؛ وكذا تلقينه محاسن عمله عند موته، لكي يحسن ظنه بربه^(١)، كما فعل ابن عباس مع عائشة ؓ عند موتها^(٢).

ومن إحسان الظن بالله تعالى عند الاحتضار الدعاء بالمغفرة والرحمة تأسياً بالنبي ﷺ، فإنه كان يقول في ساعة الاحتضار: «اللَّهُمَّ اغفر لي، وارحمني، وألحقتني بالرفيق»^(٣).

- المسألة العاشرة: تقبل توبة المحتضر ما لم يغرغر:

لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِمَهَلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

والتوبة من قريب هي التوبة قبل حضور الموت أي قبل الغرغرة^(٤)،

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٣٧) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٥٣)، وأحمد (١٣٢/٢) [عالم الكتب، ط ١]، وابن حبان (كتاب الرقاق، رقم ٦٢٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٦/١) [المكتب الإسلامي].

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٦٦٥/٣) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

(٧) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤).

(٨) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٦٢/١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٧هـ].

(١) انظر: سبل السلام (٩٠/٢) [مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ٤، ١٣٧٩هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المرضى، رقم ٥٦٧٤)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٤).

(٤) انظر: روح البيان (١٤٣/٢) [دار إحياء التراث العربي].

- المسألة الحادية عشرة: تمنى الكافر والمفرط استئناف الحياة عند الاحتضار: وذلك لإصلاح ما قد أفسد؛ لأنه في تلك الساعة ينكشف له الغطاء عما ينتظره من عذاب؛ لسوء عمله، فيحاول تدارك ذلك بالعودة إلى الحياة مرة ثانية، وإعادة التجربة مرة أخرى، ولكن هيهات، فقد فات الآوان، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنين].

قال ابن كثير مفسراً: «يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المفرطين في أمر الله تعالى، وقيلهم عند ذلك، وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا؛ ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته»^(٣).

- المسألة الثانية عشرة: سكرات الموت عامة، وهي على الكفار والعصاة أشد:

سكرات الموت كرباته وغمراته وشدته نتيجة الألم، وهي عامة للمؤمن والكافر.

وقد ذكر الحق تعالى السكرات في قوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق].

وهي المرادة بقوله تعالى في الغشي:

ولما ثبت في «الصحيحين» من دعوته ﷺ للغلام اليهودي - الذي عاده في مرض موته - إلى التوحيد^(١)، فأسلم ومات عليه، فكان من الناجين، ومن الصحابة المرضيين.

أما ساعة معاينة ملك الموت ونزع الروح فإن التوبة لا تقبل؛ للحديث المتقدم في الغرغرة؛ ولقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ﴾ [النساء: ١٨]، فهذا هو المعايين الذي لا تقبل توبته؛ كتوبة فرعون لما رأى الملائكة وأدركه الغرق قال: ﴿ءَأْمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأْمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس]، فكان الجواب: ﴿ءَأَلَّكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس].

فالتوبة مبسطة للعبد حتى يعاين قابض الأرواح، وذلك عند غرغرتة بالروح، وإنما يغرغر به إذا قطع الوتين، فشخص من الصدر إلى الحلقوم، فعندها المعاينة، وعندها حضور الموت، فيجب على الإنسان أن يتوب قبل المعاينة والغرغرة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿تَتَذَكَّرُ يُؤْتُونَكَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧]^(٢).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٦).

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (١/٥٢) [دار فباء للنشر].

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٢٥٦) [دار الفكر].

الْمَا، وقد وصف القرآن الكريم حال الظالمين في السكرات وشدة الملائكة عليهم، فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ عَيَّرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَن آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام].

وإن كانت المعاناة عامة ومتفاوتة المقدار، إلا أن الشهيد يخفف عليه كما دلَّ عليه ظاهر قوله ﷺ: «الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة»^(٣).

- المسألة الثالثة عشرة: قول الخير عند المحتضر والدعاء له بالمغفرة إذا قبض:

عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً: «إذا حضرتم الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة تؤمن على ما تقولون»، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «قولي: اللَّهُمَّ اغفر له، وأعقبنا عقبى صالحه»، قالت: فأعقبني الله محمداً ﷺ^(٤).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل الجهاد، رقم ١٦٦٨) وقال: حسن صحيح، والنسائي (كتاب الجهاد، رقم ٣١٦١)، وابن ماجه (كتاب الجهاد، رقم ٢٨٠٢)، وأحمد (٣٣٤/١٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٥٢)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٦٠).

(٤) أخرجه بهذا السياق: أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٥)، والترمذي (أبواب الجنائز، رقم ٩٧٧) =

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾
أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ ينظرون إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَيْتِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَالْحَبِطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب].

والذي يغشى عليه من الموت، هو المحتضر يغمى عليه لما يعاني من سكرات الموت^(١).

وفي «صحيح البخاري» أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: إن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات» ثم نصب يده، فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض، ومالت يده، قال أبو عبد الله: العلبة من الخشب والركوة من الأدم^(٢).

وقد تقدم ذكر الفرق والاختلاف بين المؤمن والكافر حال الاحتضار والبشارة ونزع الروح، وكون الكافر يكون أكثر

(١) أيسر التفاسير (٢٧٩/٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط ٥، ١٤٢٤هـ]، وانظر: بيان المعاني (٢٨/٦) [مطبعة الترقى، ط ١٣٨٢هـ]، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٩٣٣/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقائق، رقم ٦٥١٠).

- المسألة الرابعة عشرة: عرض الإسلام على المُحتَضِر الكافر:

- المسألة الخامسة عشرة: التلقين المشروع للميت يكون وقت الاحتضار:

لقوله ﷺ: «لَقِنُوا مَوْتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٣). قال النووي: «معناه: من حضره الموت، والمراد: ذكروه لا إله إلا الله؛ لتكون آخر كلامه كما في الحديث: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٤)»^(٥).

وهل الأمر بالتلقين للاستحباب أم للوجوب؟ وهل يكرر على المحتضِر؟ ذكر بعض أهل العلم أن الأمر بهذا التلقين أمر نذبي، وأجمع العلماء على هذا التلقين، وكرهوا الإكثار عليه والموالاة؛ لثلا يضجر بضيق حاله وشدة كربه؛ فيكره ذلك بقلبه ويتكلم بما لا يليق، قالوا: وإذا قاله مرة لا يكرر عليه إلا أن يتكلم بعده بكلام آخر، فيعاد التعريض به؛ ليكون آخر كلامه^(٦).

- المسألة السادسة عشرة: التخيير بتأخير الموت عند الاحتضار خاص بالأنبياء:

لقوله ﷺ: «ما من نبي يمرض إلا

فعن سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ: «أي عم، قل: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(١) [التوبة].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»^(٢).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩١٦).
 (٤) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٦)، وأحمد (٣٦٣/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٢٩٩) وصححه، وصححه الألباني في الإرواء (رقم ٦٨٧).
 (٥) شرح صحيح مسلم للنووي (٢١٩/٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ].
 (٦) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٢١٩/٦)، وبداية المجتهد لابن رشد (١٦٤/١) [دار الفكر]، وشرح فتح القدير (١٠٤/٢) [دار الفكر، ط ٢].

= وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٤٧)، وأحمد (١٠١/٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٩١). وأصله في صحيح مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٢٠).
 (١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٦٧٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤).
 (٢) تقدم تخريجه.

خَيْرٌ بين الدنيا والآخرة»^(١)؛ أي: «بين الإقامة في الدنيا والرحلة إلى الآخرة؛ لتكون وفادته على الله وفادة محب مخلص مبادر»^(٢).

وفي تخيير موسى ﷺ قال النبي ﷺ: «جاء ملك الموت إلى موسى، فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله ﷻ، فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: فرد إليه عينه، قال: ارجع إلى عبدي فقل له: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة، فضع يدك على متن ثور، فما وارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، قال: رب أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر»، قال رسول الله ﷺ: «لو أني عنده لأريتك مقبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»^(٣).

وفي تخيير محمد ﷺ قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «لن يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخير» فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة،

ثم أفاق، فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: «اللَّهُمَّ الرفيق الأعلى» قلت: إذا لا يختارنا، وعلمت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح، قالت: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها: «اللَّهُمَّ الرفيق الأعلى»^(٤).

فإن قال قائل: ما وجه التخيير بعد أن يرى مقعده من الجنة، ولو أن أحدنا رأى مكانه من الجنة لم يتخير الدنيا عليه؟ فالجواب: أن التخيير يكون إكرامًا له؛ ليكون قبض روحه عن أمره، فيجوز أن يختار تعجيل معاناة الموت لما يصير إليه، ويجوز أن يختار تأخير الموت عنه مع علمه بمنزلته إيثارة لطاعة الله على حظ النفس^(٥).

- المسألة السابعة عشرة: وصاة الأنبياء ﷺ بالتوحيد عند الاحتضار وتحذيرهم من الشرك:

التوصية هي التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة، سواء كان حالة الاحتضار أو لا، وسواء كان ذلك التقدم بالقول أو الدلالة، وإن كان الشائع في العرف استعمالها في القول المخصوص حالة الاحتضار^(٦).

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٥٨٦) واللفظ له، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٤).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (٧١٣/٢) مكتبة الإمام الشافعي، ٣، ١٤٠٨هـ.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٣٩)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٣٧)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٤).

(٥) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٥٤٠/٢) [دار الوطن، ط ١٤١٨هـ].

(٦) روح المعاني (٣٨٦/١) [دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ].

- المسألة الثامنة عشرة: حضور
الشیطان ساعة الاحتضار للإفساد على
المحتضر:

دلّ على ذلك ظاهر قوله تعالى:
﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّي أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ (١٨)
[المؤمنون]، قال الشنقيطي: «والظاهر أن
المعنى: أعوذ بك أن يحضرني
الشیطان في أمر من أموري كائناً ما
كان، سواء كان ذلك وقت تلاوة
القرآن أو عند حضور الموت، أو غير
ذلك من جميع الشؤون في جميع
الأوقات» (٢).

وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي
أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرْدِي، وَالْهَدْمِ، وَالغَرَقِ،
وَالْحَرِيقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَطَنِي
الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ
أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مَدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ
أَمُوتَ لَدِيغًا» (٣).

وتخبط الشيطان للمحتضر يكون
بإفساد دينه أو عقله (٤)، وذلك بأن
يستولي عليه الشيطان عند مفارقتة الدنيا

والتوصية عند الموت تكون بأعظم
المهمات التي تشغل البال، ومن أعظم
ما يوصى به التوحيد، وقد ذكر تعالى
وصاة إبراهيم الخليل ﷺ لابنيه
بالتوحيد، وكذا يعقوب ﷺ،
قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَرْعُبْ عَن مِّلَّةِ
إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ، وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ
فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ
(١٢٢)﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّي
الْعَلَمِينَ (١٢٣)﴾ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبَ يَنْبَغِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الَّذِينَ فَلَا
تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٢٤)﴾ أَمْ كُنْتُمْ
شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ
لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ
إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٢٥)﴾

ولكون الشرك مما يقدر في التوحيد،
فقد حذر منه خاتم النبيين ﷺ في ساعة
الاحتضار، قالت عائشة وابن
عباس ﷺ: لما نزل برسول الله ﷺ
طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا
اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو
كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى
اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما
صنعوا (١)؛ أي: لسد ذريعة الشرك
المؤدية إلى عبادة من فيها.

(٢) أعضاء البيان (٣٥٣/٥) [دار الفكر، ط ١٤١٥هـ].
(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥٥٢)،
والنسائي (كتاب الاستعاذة، رقم ٥٥٣١)، وأحمد
(٢٨١/٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم
(كتاب الدعاء، رقم ١٩٤٨) وصححه، وصححه
الألباني في صحيح أبي داود (٢٧٤/٥) [مؤسسة
غراس، ط ١، ١٤٢٣هـ].
(٤) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير (٤٨٨/١)
[مكتبة الإمام الشافعي، ط ٣، ١٤٠٨هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الوحي، رقم ٥٨١٦)،
ومسلم (كتاب المساجد، رقم ١٢١٥).

بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ [النحل].
فهذا خبر عن السعداء أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون؛ أي: مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء، وأن الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة^(٣).

وأما الأشقياء فقال تعالى يصف حالهم ومآلهم: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان]، والمعنى: «أي: هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم؛ بل يوم يرونهم لا بشري يومئذ لهم، وذلك يصدق على وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار والغضب من الجبار»^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ النَّوْثِ وَالْمَلَائِكَةُ بِأَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ أَيُّومَ يُخْرَجُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام].

الفروق:

الفرق بين الغرغرة والاحتضار:

الغرغرة ليست هي الاحتضار؛ بل هي

فيضله، ويحول بينه وبين التوبة، أو يعوقه عن إصلاح شأنه والخروج من مظلمة تكون قبله، أو يؤيسه من رحمة الله تعالى، أو يكره له الموت ويؤسفه على حياة الدنيا، فلا يرضى بما قضاه الله من الفناء والنقلة إلى دار الآخرة، فيختم له بسوء، ويلقى الله وهو ساخط عليه^(١).

- المسألة التاسعة عشرة: حضور الملائكة عند الاحتضار وبشارتها المتوفى بالمصير والمآل:

تحضر الملائكة الموكلة بقبض الأرواح العبد حال الاحتضار، وتبشره بما ينتظره من رحمة أو عذاب، وبما هو صائر إليه من خير أو شر.

فأما السعداء فقال تعالى يصف حالهم ومآلهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [٣٣] ﴿تَحْنُ أَوْلِيَائِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [٣٤] ﴿رُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [٣٥] [فصلت]، فيبشرون حال احتضارهم بالخيرات وحصول المسرات^(٢).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّئُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢٨٧/٤)

[دارالكتب العلمية، ٢، ٥١٤١٥هـ].

(٣) انظر: المرجع نفسه (٥٦٢/٢).

(٤) انظر: المرجع نفسه (٣١٤/٣).

(٢) انظر: ابن كثير (٣١٤/٣).

والفلاسفة فزعموا أن الموت أمر عرضي أو عدمي^(٥)؛ أي: أنه ليس جسمًا وجوديًا.

قال السفاريني: «ذهب جمعٌ إلى أن الموت عرض ومعنى، والأعراض لا تنقلب أجسامًا؛ بل زعم بعضهم أن الموت عدم محض، وبه قال الزمخشري»^(٦).

وقال ابن تيمية: «وكثير من النزاع في ذلك يكون لفظيًا، فإنه قد يكون عدم الشيء مستلزمًا لأمر وجودي، مثل الحياة مثلاً فإن عدم حياة البدن مثلاً مستلزم لأعراض وجودية، والناس تنازعوا في الموت: هل هو عدمي أو وجودي؟ ومن قال: إنه وجودي احتج بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢]، فأخبر أنه خلق الموت، كما خلق الحياة.

ومنازعه يقول: العدم الطارئ يخلق كما يخلق الوجود، أو يقول: الموت المخلوق هو الأمور الوجودية اللازمة لعدم الحياة وحينئذ فالنزاع لفظي»^(٧).

الحشرجة عند الموت وتردد النفس^(١)، ولا يمنع أن تكون بعضه، ويدل على الفرق قبول التوبة حال الاحتضار لا حال الغرغرة كما تقدم بيانه.

وأما غمرات الموت في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣]، فهي شدائده وسكراته وكُرْبَاتِهِ^(٢)، وسميت بذلك؛ لأن أهوالها يغمرن من يقعن به^(٣).

❁ الثمرات:

الاحتضار وما يصحبه من سكرات هو من المصائب والشدائد والأهوال التي تصيب المؤمن؛ فتكفر به سيئاته، وتزاد حسناته، وترفع درجاته.

وقد كان السلف رحمهم الله يستشعرون هذا المعنى، قال عمر بن عبد العزيز: «ما أحب أن تهون عليّ سكرات الموت؛ إنه لآخر ما يكفر به عن المؤمن»^(٤).

❁ مذهب المخالفين:

خالف طائفة من المعتزلة والقدرية

(٥) الحاوي للفتاوي (٢/٢٨٣) [دار الكتب العلمية، ١، ١٤٢١هـ]، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (٢/٥٩١) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٦هـ]، وأضواء البيان (٨/١١٥) [دار الفكر، ١٤١٥هـ]، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (٤٢٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣].
(٦) لوامع الأنوار البهية (٢/٢٣٧).
(٧) درء تعارض العقل والنقل (٢/٣٨٣).

(١) انظر: الصحاح (٢/٣٢٩) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، وتباج العروس (٥/٤٨٣) [دار الهداية]، والقاموس المحيط (٢٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٠٢).

(٣) زاد المسير (٣/٨٧) [المكتب الإسلامي، ط ٣].

(٤) جامع العلوم والحكم (٣٧٠) [دار المعرفة، ط ١، ١٤٠٨هـ].

وقد رد ابن القيم على المخالفين بما يأتي:

١ - هذا الكبش والإضجاع والذبح ومعاناة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأً قبيحاً، وقال: الموت عرض والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح، وهذا لا يصح.

٢ - أن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح، كما ينشئ من الأعمال صوراً معاناة يثاب بها ويعاقب، والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها، وينشئ من الأجسام أعراضاً، كما ينشئ ﷻ من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للربّ تعالى، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال.

٣ - لا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله، والتأويل الباطل الذي لا يوجهه عقل ولا نقل، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول ﷺ وكلامه، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح، وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي

ذكرناه. وأن الله سبحانه ينشئ من الأعراض أجساماً ويجعلها مادة لها^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور»، للسيوطي.

٢ - «حادي الأرواح»، لابن القيم.

٣ - «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (ج ٢)، للمناوي.

٤ - «مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع» لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة (ج ٢، ٣).

٥ - «الموت في الفكر الإسلامي»، للفرماوي.

٦ - «الآداب الشرعية والمنح المرعية» (ج ١)، لابن مفلح.

٧ - «الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع» (ج ١)، للشربيني.

٨ - «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة» (ج ١)، للقرطبي.

٩ - «سبل السلام» (ج ٢)، للصنعاني.

١٠ - «القيامة الصغرى»، للأشقر.

موسى

اسمه ونسبه:

موسى: هو ابن عمران، قيل: ابن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن

(١) انظر: حادي الأرواح لابن القيم (٢٨٣) فما بعدها.

إسحاق بن إبراهيم^(١). وقيل: إن عمران هو ابن يصهر بن قاهث... إلخ^(٢).

معنى اسمه لغة:

موسى: اسم أعجمي معرب، أصله بالعبرانية: (موشا)، مركب من: (مو) وهو الماء، و(شا) وهو الشجر؛ لأنه وجد بين الماء والشجر^(٣). وقال الأزهرى: «قال الليث: أما موسى النبي ﷺ فيقال: إن اشتقاقه من الماء والساج، فال(مو): ماء، و(سا): شجر لحال التابوت في الماء»^(٤).

وقيل: إن أصله من اللغة القبطية، وهو مركب إما من: (mo) وهو الماء، و(use) وهو بمعنى: أنقذ، وإما من: (mes) أو (meso) وهو بمعنى الطفل أو الابن^(٥).

مولده ونشأته:

ولد موسى ﷺ في العام الذي كان فرعون يذبح فيه الذكور ويستبقي فيه

(١) المعارف لابن قتيبة (٤٣/١) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٢م]، والمنظّم في التاريخ (١/٣٣١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ]، والبداية والنهاية لابن كثير (٣١/٢) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: المنظّم في التاريخ (١/٣٣١).

(٣) انظر: المعرّب للجواليقي (٥٦٧) [دار القلم، ط١، ١٤١٠هـ].

(٤) تهذيب اللغة (٨١/١٣) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م].

(٥) انظر: المعرّب للجواليقي (٥٦٧).

وبعد ولادة موسى ﷺ نفذت أمه الوحي الإلهي، فأدخلت ابنها في التابوت، ورمته في البحر المتلاطم الأمواج، اعتماداً على الله، وثقة بوعده، فأنجاه الله وحماه من كل سوء، وسخر له عدوه فرعون؛ إذ التقطه جنوده من اليم وأتوا به إليه، وإذا بزوجه تشير عليه بأن يتخذوه ولدًا لهم، فوافق فرعون، وأخذوا يبحثوا عن من يرضعه لهم بالأجرة، فحرم الله المراضع على الطفل؛ ولذا لم يقبل إلا ثدي أمه،

(٦) انظر: فبهدهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء ﷺ لعثمان الخميس (٣٢٩) [دار إيلاف الدولية، ط١، ١٤٣١هـ].

يَجْرِبِ أَوْ آتَيْكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُورٌ أَنْ يُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسِي إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ [النمل]، وقوله ﷺ: ﴿وَأَذَكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَدَبْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ [مريم]، وقوله ﷺ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١٣﴾ [الأعراف]، وقوله ﷺ: ﴿قَالَ يَمْوَسِي إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٥٤﴾ [الأعراف]، وقوله ﷺ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ [المؤمنون].

وكانت نبوته قبل أيوب وبعد آل يعقوب^(١). وقيل: إنه كان بينه وبين إبراهيم ألف سنة^(٢).

❁ دلائل نبوته:

أرسل الله نبيه موسى ﷺ إلى أكفر أهل الأرض في زمانه، وهو فرعون، وأيده بتسع آيات بيّنات تدل على صحة نبوته، وصدق رسالته، كما قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَخَّلَ

(١) المعارف لابن قتيبة (٤٣/١).

(٢) انظر: المنتظم في التاريخ (٣٣١/١).

فأعاده الله إليها من حيث لا يشعر فرعون وأعوانه بذلك، قال الله تعالى: ﴿فَاللَّفِطَّةُ ءَأَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتْ أَمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَرْمُوسَى فَرِحًا إِنَّ كَادَتْ لِلسَّبْيِ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَّنَا قَلْبَهَا لِيُنكِرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى آتِيهِ كَمَا نَفَرْنَا مِنْهَا وَلَا تَحْزَنْ وَتَلَعَلَّمَ آتُكَ وَعَدُّ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ [القصص].

وهكذا أعاد الله موسى إلى أمه فأرضعته حتى الفطام بمقابل مادي، وهكذا نشأ موسى تحت رعاية فرعون إلى أن صار شاباً قوياً، وبدل عليه ما حكاه الله ﷻ من قول فرعون لموسى لما جاءه رسولاً يدعو إلى الله: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِيْنَا وَلَيْدًا وَلَيْسَتْ فِيْنَا مِنْ عَمْرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ [الشعراء].

❁ نبوته:

دلت النصوص الشرعية على نبوة

موسى ﷺ؛ منها: قول الله تعالى: ﴿إِذْ

قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا

﴿١١﴾ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ [النمل]، قال ابن كثير: «أي: هاتان ثنتان من تسع آيات أويدك بهن، وأجعلهن برهاناً لك إلى فرعون وقومه»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ﴾ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَاهَا يَمْوَسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِيُزَيِّنَ لَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ [طه].

وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الشَّرَايِ لَعَلَّهُمْ يَدْذَكُرُونَ﴾ ﴿١٣٠﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالظُّورِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿١٣٣﴾ [الشعراء].

كتابه:

أنزل الله على نبيه موسى ﷺ التوراة
(٤) تفسير ابن كثير (١٨٠/٦).

بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أُنزِلَ هَؤُلَاءَ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ مُّجْرِبًا ﴿١٢﴾ [الإسراء]. واختلف في تحديد هذه المعجزات^(١)؛ وهي على ما ذهب إليه بعض أهل العلم كابن عباس - في رواية - ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة: نقص الثمرات، والطفوفان، والبحر، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وتحويل العصا إلى حية تسعى، وخروج اليد من الجيب^(٢) بيضاء، ورجحه ابن كثير بقوله: «وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي»^(٣).

ويدل على هذه الأمور النصوص التالية:

قول الله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَىٰ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١١﴾ [الأنعام]، ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حِسْتًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَقُورٌ رَّحِيمٌ﴾

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/١٨، ٢٢) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وأحكام القرآن لابن عربي (٣/٢١٦) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ]، وتفسير القرطبي (٢/٣٠، ١٠/٣٣٥) [دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ]، وتفسير ابن كثير (١٨٠/٦).

(٢) الجيب هو الشق الذي يدخل منه الرأس، وكان موسى إذا أدخل يده تحت إبطه يتحول لون كفه من غير برص إلى بياض قوي له شعاع يبهز الناظرين. انظر: تفسير الطبري (١٨/١٩، ٢٠)، وتفسير القرطبي (٧/٢٥٧)، وتفسير السعدي (٦٠٠)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن باز (٥/٤٦).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥/١٢٤) [دار طيبة، ط ٢].

ومن فضائل التوراة: أن الله كتبها بيده، لما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنه قال: «احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلموني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى، ثلاثاً»^(٣). وفي رواية لمسلم: «كتب لك التوراة بيده»^(٤).

دعوته:

كان موسى عليه السلام يدعو إلى توحيد الله، والخضوع والإخلاص له، وإفراجه بالربوبية وجميع خصائصه، ونبذ الكفر والشرك الذي كان يعلنه فرعون، ويفرضه على الأتباع بالقوة، كما قال الله تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، فأمر الله

الهيثمي في المجمع (١/١٩٧) [مكتبة القدسي]: (فيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/١٠٤، رقم ١٥٧٥) [مكتبة المعارف، ط١].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(٤) أخرجه مسلم في الموضوع السابق.

كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المؤمنون]، والمراد بالكتاب هنا التوراة^(١)، وقال الله تعالى في شأن التوراة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّزِينَونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنهَا سَأُورِيكَ دَارَ الْفَسَقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ فِي سُخْرِيهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف].

وقد جاء في السنة تحديد وقت نزول التوراة، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»^(٢).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/٣٢١).

(٢) أخرجه أحمد (١٩١/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، والطبراني في المعجم الأوسط (٤/١١١) [دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ] واللفظ له، وقال

مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا
عٰلِينَ ﴿٤٦﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ
بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَئِهِۦ بِآيَاتِنَا﴾ [يونس: ٧٥]. وقد قص الله
علينا في مواطن عديدة من كتابه الكريم
مواقف فرعون وملئه من دعوة موسى
وهارون من جهة، وموقف بني إسرائيل
منهما من جهة أخرى:

أما فرعون وأتباعه فقد كفروا بهما
وبدعوتهما، وسلكوا لتسويع ذلك
مسالك عدة، يمكن بيانها على النحو
التالي:

الأول: مسلك التكذيب والاتهام
بالجنون والتشكيك في صحة وجود
الرب والإله الحق، كما قال الله
تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَكْفُرُونَ إِنِّي لَأُبْرَأُ
لِعٰلِيِّ رَبِّي مِنَ الْآسٰبِيبِ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ السَّمٰوٰتِ
فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ
كٰذِبًا﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَىٰ
﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ
هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ
عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتٰبٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا
يَنسَىٰ ﴿٥٢﴾﴾ [طه].

ولمّا جاء موسى وهارون إلى فرعون
وأخبراه بأنهما رسولا رب العالمين، قال
مستنكراً كما حكاه الله عنه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ

موسى وهارون ﴿٤٥﴾ أن يدعوا هذا
الطاغوت الكبير إلى الإيمان بالله
وتوحيده، وفك بني إسرائيل من قبضته،
وإرسالهم معهما وترك تعذيبهم، وأن
يقولا له قولاً ليئلاً كما قال تعالى:
﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي
﴿٤٦﴾ أَذْهَبًا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٧﴾ فَقَوْلًا لَهُ
قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ رَبَّنَا
إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٩﴾
قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٥٠﴾
فَأَنبَأَهُ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُوْلَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي
إِسْرٰوِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّكَ
وَأَلْسَلْنَا عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٥١﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ
إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٥٢﴾﴾
[طه].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ
أَنْتَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْفِقُونَ
﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾
وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ
هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ
﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَآذِهِمَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ
مُسْتَمْعِنُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُوْلَا رَبِّ
الْعٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرٰوِيلَ ﴿١٧﴾﴾
[الشعراء].

﴿ قومه وموقفهم منه: ﴾

قوم موسى وهارون هم فرعون وقومه
وبنو إسرائيل الذين تسلط عليهم فرعون
وأذلهم، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا

لِلنَّاطِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرُ
عَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ [الشعراء].

وقال الله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا
لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكُمْ
بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴿٢٣﴾ فَاجْمَعُوا
كَيْدَكُمْ ثُمَّ انْتَوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مِنْ
أَسْتَعْلَى ﴿٢٤﴾ [طه].

الرابع: السعي إلى حشد السحرة
المهرة المنتشرين في المدائن، لمبارزة
موسى على مرأى ومسمع من الناس
ومحاولة مغالبتهم إياه، قال تعالى: ﴿قَالَ
الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ
﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي
الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تَوَكُّبِكُمْ لِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ
﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا
لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا
أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾
قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ
وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
[الأعراف].

وبينما هم في هذا المشهد الرهيب
الذي يظنون أنهم هم الغالبون
المنصورون فيه، فإذا بالأمر ينقلب رأساً
على عقب، وتصير هذه الأحلام هباء
منثوراً، بعد أن أمر الله موسى بأن يلقي
عصاه لتبتلع أكاذيب السحرة الدجالين،
كما قال تعالى: ﴿وَأَوْجِنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ

وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ
لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي
أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ ﴿٢٨﴾
[الشعراء].

ولما عجز فرعون عن مواجهة هذه
الحجج الدامغة لجأ إلى التخويف،
كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُخَلِّدَ
إِلَيْهَا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٢٩﴾
[الشعراء].

الثاني: مسلك التناول على موسى،
واحتقاره والخط من مكانته، والتلبس
على الأتباع، قال الله تعالى: ﴿وَنَادَى
فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ
مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا
تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ
مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ
مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّبِينَ ﴿٥٣﴾
فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ [الزخرف].

الثالث: رميها بالسحر وإنكار
المعجزات بعد مشاهدتها، قال الله تعالى
فيما حكاها عن فرعون: ﴿قَالَ لَنْ أُخَلِّدَ
إِلَيْهَا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ
أُولُو حِجَّتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا
هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَرَزَقَ بِهِ فُقَرَاءًا هِيَ بَيْضَاءُ

إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاهُ
الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى
مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ
فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَرْزَلْنَا تَمَّ الْآخِرِينَ
﴿٦٤﴾ وَأَوْحَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ
أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴿[الشعراء].

وأما موقف بني إسرائيل من موسى
وهارون فيمكن إجماله في الآتي:
الأول: أذيتهم إياه بزعمهم أنه آدر،
والأدرة نفخة في الخصى^(١).

لقد قام بنو إسرائيل بأذية موسى ﷺ
أذية بالغة، ومن ذلك وصفهم إياه بأنه
آدر، فبراه ربه من ذلك، كما في حديث
أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كانت
بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم
إلى بعض، وكان موسى صلى الله عليه وسلم يغتسل وحده،
فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا
إلا أنه آدر، فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه
على حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج
موسى في إثره، يقول: ثوبي يا حجر، حتى
نظرت بنو إسرائيل إلى موسى، فقالوا:
والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه فطفق
بالحجر ضرباً»^(٢).

الثاني: عبادتهم العجل بعد ذهابه
لمناجاة ربه:

عَصَاكَ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَّ
الْحَقُّ وَبَطَلُ مَا كَانُوا يَعْمُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ
وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ
﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى
وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴿[الأعراف]. ولما أفلس
فرعون في ميدان المناظرة، انتقل إلى
التنديد والتهديد بالقتل والصلب
للمؤمنين، كما حكاه الله عنه بقوله:
﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَّنْتُكُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأَدِّنَ لَكُمْ إِنَّ
هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمْهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا
أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَقْبِلَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ
﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ
مِنْهَا إِلَّا ءَأَنْتَ ءَأَمْنَا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا
رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾
[الأعراف]، فأوحى الله إلى نبيه موسى
بأن يسري بالمؤمنين كما قال تعالى:
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ
مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الشعراء].

وأرسل فرعون الشرط في مدائن مصر
حاشرين؛ للقضاء على موسى وأتباعه
المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ
فِي الْمَلَأَيْنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٢﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ
﴿٥٣﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ
﴿٥٥﴾﴾ [الشعراء].

فأهلك الله فرعون وجنوده في اليم،
وأورث أرضهم بني إسرائيل، كما قال
تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾
وَكُنُوزٍ وَمَقَامِرٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/٣٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الغسل، رقم ٢٧٨)، ومسلم
(كتاب الحيض، رقم ٣٣٩).

حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ
الْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ [طه].

وعاتب موسى أخاه هارون ﷺ على
وجه الخصوص عتابًا شديدًا، فأخبره
هارون بأنه نهاهم عن ذلك ولكنهم
عصوه، وكادوا يقتلونه، فتركهم انتظارًا
لمجيء موسى ﷺ، حتى لا يكون سببًا
في تفرقتهم، كما حكاه الله عنه بقوله:

﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٦﴾
أَلَّا تَتَّبِعَ أَفْصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٧﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ
لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ
تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي

﴿٩٤﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ
مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضَبَ عَلَيْهِمْ أَسْفًا قَالَ بِئْسَمَا
خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَالْقَى
الْأَلْوَابِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ
أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا
تُشْمِتْ لِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿١٥٦﴾ [الأعراف].

ثم اتجه موسى ﷺ إلى السامري،
ووبخه على إضلاله للناس، ونسف عجله
في اليم، وقد ذكر الله تعالى ما جرى
بينهما بقوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ
﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ
قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا
وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَآذِهِبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا
مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ نُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ
إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ

لما أراد نبي الله موسى ﷺ أن
يذهب إلى مناجاة ربه، استخلف على
قومه أخاه هارون، فبرز من بينهم رجل
يقال له: هارون السامري، فعمد إلى ما
كانوا استعاروه من الحلبي من الأقباط،
فصاغ منه عجلًا، فكان يخور كما يخور
العجل الحقيقي، وكانت الريح إذا
دخلت من دبره خرجت من فيه فيخور
كما تخور البقرة، فيرقصون حوله
ويفرحون، ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ
مُوسَىٰ فَئْسَى ﴿٨٨﴾ [طه] (١).

ونهاهم هارون عن هذا الشرك،
ولكنهم أصروا على هذا العمل حتى
أتاهم موسى، كما قال الله تعالى:
﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلِ يَوْمِ إِثْمًا
فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا
أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى
يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ [طه].

وأبلغ الله نبيه موسى بضلال قومه من
بعده، فرجع وهو في حال غضب شديد
ووبخ قومه على صنيعهم، كما قال
تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضَبًا
أَسْفًا قَالَ يَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدًّا
حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ
يَجِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي
﴿٩١﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤٧٥/٣)، وصحيح (قصاص
الأنبياء لابن كثير) لسليم الهلالي (٣٢٥، ٣٢٦) [دار
غراس، ط ١، ١٤٢٢هـ].

لَنَنْسِفَنَّ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ
اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ
عِلْمًا ﴿١٨﴾ [طه].

الثالث: نكول بني إسرائيل عن قتال
الكفار لفتح بيت المقدس:

أمر الله بني إسرائيل أن يفتحوا
الأرض المقدسة، فامتنعوا عن دخولها؛
خوفًا وهلعًا من الكفار، وقالوا لنبي الله
موسى ﷺ: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا
ههنا قاعدون، فعاقبهم الله بآتيه أربعين
سنة، قال تعالى: ﴿يَقْوِرَ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ
الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى
أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ
فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا
مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾
قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ
فَأِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا أَبَدًا
مَا دَامُوا فِيهَا فَاهْزَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا
هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا
نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتَهَوَّتْ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ [المائدة].

وفاته:

ورد ذكر وفاة نبي الله موسى ﷺ في
حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ

قال: «جاء ملك الموت إلى موسى ﷺ
فقال له: أجب ربك، قال: فلطم
موسى ﷺ عين ملك الموت ففقاها،
قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال:
إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد
الموت، وقد فقا عيني، قال: فرد الله إليه
عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل:
الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع
يدك على متن ثور، فما توارت يدك من
شعرة فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟
قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب،
رب أمتني من الأرض المقدسة رمية
بحجر، قال رسول الله ﷺ: والله لو أني
عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند
الكثيب الأحمر»^(١). وكانت وفاته بعد
وفاة هارون بثلاث سنين^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ما فضله الله به من
التكليم:

لقد كلم الله نبيه موسى ﷺ من غير
واسطة، كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ
مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٧٤﴾ [النساء]، وهذا
تفضيل وتكريم لنبيه موسى ﷺ بهذه
الفضيلة، كما قال سبحانه: ﴿تِلْكَ الْأَرْسُلُ
فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمْ

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٣٩)،
ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٢).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧٩/٣).

اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴿البقرة: ٢٥٣﴾ .

وقال تعالى ممتناً على موسى بوجه خاص: ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف].
وقد شاركه في هذه الفضيلة من أنبياء الله: آدم ومحمد، عليهما الصلاة والسلام.

أما آدم فليماً صحَّ من حديث أبي أمامة؛ أن رجلاً قال: «يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم؛ مكلم، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون»^(١).

وأما نبينا محمد فلما ثبت في ليلة المعراج، حيث جاء في حديث المعراج الطويل: «ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بما أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك،

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (كتاب التاريخ، رقم ٦١٩٠) [الرسالة، ط ٢]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٠٣٩) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وصححه الحاكم وابن كثير على شرط مسلم. انظر: البداية والنهاية (١/٢٣٧) [دار هجر، ط ١]، وصححه الألباني أيضاً في السلسلة الصحيحة (٦/٣٥٩) [مكتبة المعارف، ط ١].

فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى، فقال: مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت... فرجعت، فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحيت، ولكنني أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادي مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي»^(٢).

- المسألة الثانية: قصة موسى مع الخضر:

هذه القصة طويلة وخلصتها: أن نبي الله موسى ﷺ قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا. فعتب الله عليه ذلك؛ إذ لم يرد العلم إليه، وأخبره تعالى بأن هناك من هو أعلم منه، فرغب موسى في التعلم منه، وسأل ربه عن مكانه فأخبره بأنه سيجده عند مجمع البحرين، فتجهز موسى للسفر وانطلق مع فتاه يوشع، ولما التقى بالخضر أخبره بالأمر، فاشتراط عليه الخضر الصبر، وعدم السؤال عما يفعل حتى يخبره بنفسه، فوعده موسى

(٢) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٨٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢).

بالصبر، ولكنه لما رأى بعض الأمور، التي ظاهرها مخالفة الشريعة؛ كقتله الغلام، وخرقه سفينة المساكين، وإصلاح الجدار الموجود في القرية التي أبى أهلها أن يضيفوها - ولا شك أن إكرام الضيف من الإيمان وتركه مخالف للشريعة - لم يصبر معه كثيراً، حيث أخذ يسأله عما يفعل ويستنكر عليه، وبعد المرة الثالثة فارقه الخضر، وشرح له حقيقة ما فعل، وأنه لم يفعل إلا ما أمره الله به. وقصته مبسوبة في الكتاب والسنة؛ أما الكتاب ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ لَا أَسْبَحُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف].

ثم عثر عليه وبدأ الحوار بينهما، كما قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَأَلَيْتَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّنْ لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف].

وبعد أن تم الاتفاق بينهما انطلقا على بركة الله، وبدأ الخضر يعمل ما أمر به من خرق السفينة وقتل الغلام، وإصلاح

الجدار الذي على وشك السقوط، وفي كل واحدة من هذه الأعمال سأله موسى واعترض عليه فيها، ولم يصبر معه، وفي آخرها فارقه الخضر كما أخبرنا الله تعالى بقوله: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقَهَا لِنُفُوقِ أَهْلِهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتَ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَبِيا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا رَّكِبَةً يُعْغِرُ نَفْسِي لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا ثُكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنبَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوَدِّعُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف].

وبعد أن أعلن الخضر مفارقة موسى، بدأ يشرح له حقيقة ما خفي عليه في الأمور الثلاثة، كما قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّنَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ

هَذَا نَصَبًا ﴿١٦﴾، ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله قال له فناه: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف]، فكان للحوت سرًّا، ولهما عجبًا، قال له موسى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف]، رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب، فسلم موسى فرد عليه، فقال: وأنى بأرضك السلام، قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم؛ أتيتك لتعلمني ﴿مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿١٩﴾﴾ [الكهف]، قال: يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه، قال: هل أتبعك ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٢٠﴾﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٢١﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَمْرًا ﴿٢٢﴾﴾، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة كملوهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول^(٢)، فلما ركبا في السفينة، جاء عصفور فوق على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، قال له الخضر: يا موسى ما نقص علمي

أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتَهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الكهف].

وأما السُّنَّةُ فقد روى الشيخان القصة في حديث طويل من رواية أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه، فقال له: بلى؛ لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب ومن لي به؟ - وربما قال سفيان: أي رب وكيف لي به؟ - قال: تأخذ حوتًا فتجعله في مكمل، حيثما فقدت الحوت فهو ثم - وربما قال: فهو ثمّة -، وأخذ حوتًا فجعله في مكمل، ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما، فرقد موسى واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ [الكهف]، فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل الطاق^(١) - فقال: هكذا مثل الطاق -، فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما، حتى إذا كان من الغد ﴿قَالَ لِقَتْلُهُ إِنَّا عَدَاءُكَ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا

(١) مثل الطاق: أي كالقوة. انظر: فتح الباري لابن حجر (١/١٥١)، والمقصود: أن مكان دخوله في البحر بقي كالفتحة والشق ولم يتلاءم الماء كما كان.

(٢) النول: هو الأجر والجعل والعطية. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/١٢٩).

وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر. إذ أخذ الفأس فزاع لوحًا، قال: فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحًا بالقدوم^(١)، فقال له موسى: ما صنعت؟ قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا ﴿٧٣﴾، فكانت الأولى من موسى نسيانًا، فلما خرجا من البحر، مروا بغلام يلعب مع الصبيان، فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا - وأوماً سفيان بأطراف أصابعه، كأنه يقطف شيئًا - فقال له موسى: ﴿...أَقَلَّتْ نَفْسًا رَكِيبًا بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي فَمَا بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَتَعَمَّا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ. قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ [الكهف] مائلاً - أوماً بيده هكذا وأشار سفيان كأنه يمسح شيئًا إلى فوق، فلم أسمع سفيان يذكر مائلاً إلا مرة -، قال: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا عمدت إلى

حائطهم ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (٧٧) [الكهف]، ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأْنِيكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٧٨) ﴿...﴾ (٧٩).

- المسألة الثالثة: خروج موسى إلى مدين:

نشأ موسى في بيت فرعون حتى شب وقوي، وذات يوم خرج إلى المدينة على حين غفلة من أهلها، فوجد رجلين يقتتلان؛ أحدهما: من الفراعنة والآخر: من بني إسرائيل، فاستغاثه هذا الأخير على الأول فهبَّ موسى لنصرة المستغيث ووكز الرجل فمات، وندم موسى على ما فعل، واشتكى أهل الميت إلى فرعون، فأخذوا يبحثون عن القاتل، وفي اليوم التالي خرج موسى فوجد نفس الرجل الذي نصره بالأمس يقاتل قبطياً آخر، ويستغيثه عليه من جديد، فغضب موسى وقال له: إنك كثير الغواية والضلال، ومد يده ليبطش بالقبطي فظن الإسرائيلي أنه المراد بالبطش، فقال لموسى: تريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس، فسمع الفرعوني هذا الكلام وذهب مسرعاً وأبلغ قومه، فانطلقوا وأبلغوا فرعون بالأمر، فأرسل فرعون بمن يمسك بموسى، فسمع بالخبر شخص فذهب إلى موسى وسبقهم إليه وأخبره

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠١)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٨٠).

(١) القدوم هي: الحديدية التي يُنحت بها. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٦٦).

الخبر، ونصحه بالخروج الفوري، فخرج موسى من مصر متجهاً نحو مدين وهي البلاد الواقعة حول خليج العقبة من عند نهايته الشمالية وشمال الحجاز وجنوب فلسطين^(١)، وقد قصَّ الله علينا قصته، فقال: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِهُ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعْتَبَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَاصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوسَى ابْنَ الْمَلَأَ يَأْتَمُرُونَ بِكَ لِتَقْتُلَهُ فَأَخْرَجَ إِلَى لَكَ مِنَ النَّصِيحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ [القصص].

فنجاه الله كما قال تعالى ممتناً عليه بذلك: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/٢٨٧ - ٢٨٨)، وقصص الأنبياء للنجار (١٦٣، ١٦٤) [دار إحياء التراث العربي، ط٣].

ولما ورد ماء مدين، وجد قومًا من الناس يسقون بهائمهم، ووجد امرأتين حابستين غنمهما عن الورد، فسألهما موسى عن سبب وقوفهما بعيدًا عن الحوض، فأخبرتا بهنما ينتظران حتى يسقي الرعاة الأقوياء مواشيهم ويخلو المكان؛ لضعفهما وكبر سن والدهما^(٢)، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدَرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٢﴾ [القصص].

فسقى لهما وذهب إلى الظل كما قال تعالى: ﴿سَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٣﴾ [القصص].

ولما رجعتا إلى أبيهما أخبرتا بقوة الرجل وأمانته، وبإحسانه إليهما، ورجبتا في استئجاره، فطلب أبوهما بإحضاره، ﴿فَجَاءَتْهُ إِحَدُهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحَدُهُمَا يَتَأْتِبَ اسْتَجْرَهُ إِنَّ خَيْرَ مَن اسْتَجَرَ الْقَوْمِ الْآمِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَابٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنَ عِنْدِكَ

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/٢٨٨).

خطيئتك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق؟ فقال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى مرتين»^(٢).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى ﷺ عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض، فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجياً، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً، قال آدم: فهل وجدت فيها ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(١٦) [طه]، قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي أن أعمله، قبل أن يخلقني بأربعين سنة، قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى»^(٣).

وفي هذا الحديث ضلّت طائفتان؛ أحدهما: أنكرت الحديث؛ لظنها أنه

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠٩)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠٩)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢)،

واللفظ له.

وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ فَصَيْتَ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٣٨﴾ [الفصص]، وبقي كل هذه السنين في مدين، وبعد تمام المدة زوجه الرجل إحدى ابنتيه^(١)، فاتجه موسى قافلاً إلى بلده، كما قال تعالى: ﴿فَلَبِثْتُ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتُ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْؤُوسِي﴾^(٤٠) [طه]، وفي أثناء العودة أوحى إليه، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾^(٣٩) فلما أتتها نُوردي من شلطي الواد الأيمن في البقعة المبركة من الشجرة أن يَمْؤُوسِي إني أنا الله ربُّ العالمين [الفصص].

- المسألة الرابعة: احتجاج آدم وموسى ﷺ:

هذه المحاجة وقعت عند الله بين أبي البشر آدم وموسى ﷺ، وهي من القصص الغيبية التي أخبرنا بها نبينا ﷺ، فيجب التسليم بها وتصديقه فيها، فقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى؛ فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك

(١) انظر: تفسير البغوي (٢٠٢/٦) [دار طيبة، ط ٤].

فريضتي وخففت عن عبادي»^(١).

- المسألة السادسة: تجلي الله للجبل حين طلب موسى رؤية الله:

لما ذهب موسى ﷺ لميقات ربه، وكلمه الله طلب من ربه رؤيته تعالى، كما حكاه الله عنه بقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا بَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وعن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ «قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا بَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] - قال حماد: هكذا وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبغه اليمنى - قال: فساخ الجبل ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]»^(٢).

والمقصود بهذا وأمثاله من الأدلة: أن رؤية الله في الدنيا لا تقع لأحد من الخلق؛ لقول النبي ﷺ: «تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٨٧) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٧٤) وقال: «حسن صحيح»، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٦٧) وصححه، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٣٨/٢، ٢٣٩) [مكتبة المعارف، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة ١٤٢٠هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراف الساعة، رقم ١٦٩).

وليس المراد نفي رؤية الله في الدارين.

- المسألة السابعة: الصحف

والألواح، أوهي التوراة أم شيء آخر؟:

اختلف في كون صحف موسى هي التوراة أم بينهما فرق؟ على قولين^(٤):

القول الأول: أنهما شيء واحد، قال

الشنقيطي: ﴿وَمَا أَوْقَى مُوسَى وَعِيسَى﴾

[البقرة: ١٣٦] لم يبين هنا ما أوتيته موسى

وعيسى، ولكنه بينه في مواضع آخر،

فذكر أن ما أوتيته موسى هو التوراة

المعبر عنها بالصحف في قوله: ﴿صُحُفَ

إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى]، وذلك

كقوله: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾

[الأنعام: ١٥٤]، وهو التوراة بالإجماع^(٥)

وجاء عن ابن باز ما يدل على أنها

التوراة من إجابته على السؤال التالي:

«س: المعروف أن الكتب السماوية

المنزلة هي أربعة: التوراة، الزبور،

الإنجيل، القرآن. فماذا عن صحف

إبراهيم وموسى التي جاء ذكرها في

القرآن الكريم الآيتان رقم (١٨) و(١٩) من

سورة الأعلى. أرجو إعطائي نبذة

وتعريفًا عن هذه الصحف المطهرة؟

ج: قد أخبر الله سبحانه أنه أرسل

رسله بالبينات والزبر، كما قال ﷺ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ

(٤) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٥٠/٨)

[دار الوطن، ١٤١٣هـ].

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤٥/١).

أما الألواح فهي التوراة كما سماها الله تعالى بقوله: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠] (٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «المعارف»، لابن قتيبة.
- ٢ - «المعرب»، للجواليقي.
- ٣ - «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (ج ١)، لابن الجوزي.
- ٤ - «مجموع الفتاوى» (ج ١١)، لابن تيمية.
- ٥ - «البداية والنهاية» (ج ٢)، لابن كثير.
- ٦ - «تفسير ابن كثير» (ج ٥).
- ٧ - «صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير)»، لسليم الهلالي.
- ٨ - «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء»، لإبراهيم بن محمد العلي.
- ٩ - «قصص الأنبياء»، للنجار.
- ١٠ - «فبهدهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء ﷺ»، لعثمان الخميس.

فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾
بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿النحل﴾ والزبر هي الكتب. وقال سبحانه في سورة الحديد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ونصَّ سبحانه على صحف إبراهيم وموسى في سورة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١﴾ وبين سبحانه من هذه الكتب والصحف: التوراة المنزلة على موسى، والزبور المنزل على داود، والإنجيل المنزل على عيسى، والقرآن المنزل على محمد ﷺ، وليس للعباد من العلم إلا ما علمهم الله إياه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، والله ولي التوفيق» (١).

وأما ابن عثيمين فقد توقف في الأمر لما سئل قائلاً: «يحتمل أنها التوراة، ويحتمل غيرها، ولم يتبين لي فيها شيء» (٢).

القول الثاني: بل كل منهما مختلف عن الآخر. ولعل دليل هذا القول حديث أبي ذر الطويل، وفيه: «وأنزل على موسى - قبل التوراة - عشر صحائف» (٣)، وهو ضعيف جداً.

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن باز (٣٠٥/٩).

(٢) الكنز الثمين في سؤالات ابن سيد لابن عثيمين (٥).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٦١)، قال الهيثمي في موارد الظمان (١/٥٤) [دار الكتب العلمية، بيروت]: «فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني؛ قال أبو حاتم

وغیره: كذاب»، وحكم عليه الألباني بالضعف الشديد في ضعيف الترغيب والترهيب رقم ١٣٥٢ [مكتبة المعارف بالرياض، ط ١، ١٤٢١هـ].
(٤) انظر: لقاء الباب المفتوح (١٦) [ترقيم المكتبة الشاملة].

أبو موسى الأشعري رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب ابن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر أبو موسى الأشعري، مشهور باسمه وكنيته معاً. وأمه: ظبية بنت وهب بن عك، أسلمت وماتت بالمدينة^(١).

مولده ووفاته:

توفي أبو موسى الأشعري رضي الله عنه سنة اثنتين وخمسين الهجرة على الصحيح، حسب قول الحافظ ابن كثير، وقيل: توفي سنة خمسين^(٢)، وقيل: سنة إحدى وخمسين^(٣)، وقيل: سنة ثلاث وخمسين^(٤)، وقيل: سنة اثنتين

(١) طبقات خليفة بن خياط (١٢٦) [دار الفكر]، والطبقات الكبرى لابن سعد (٧٨/٤) [دار الكتب العلمية، ط١]، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٧٦٢/٤، ١٧٦٣) [دار الجيل، بيروت، ط١]، وسير أعلام النبلاء (٣٨١/٢) [مؤسسة الرسالة، ط٣]، والإصابة في تمييز الصحابة (٢١١/٤، ٢١٢) [دار الجيل، بيروت، ط١].

(٢) انظر: طبقات خليفة بن خياط (١٢٦)، والمعارف لابن قتيبة (٢٦٦) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢]، والبداية والنهاية (٢١٣/١١) [دار هجر، ط٣].

(٣) انظر: طبقات خليفة بن خياط (١٢٦).

(٤) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٩٧/٢)، وابن حجر في الإصابة (٢١٣/٤) وعزواه للمدائني.

وأربعين^(٥)، وقيل غير ذلك^(٦). وهو ابن ثلاث وستين سنة^(٧)، قال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر القولين الأول والرابع: «قلت: بالأول جزم ابن نمير وغيره، وبالثاني أبو نعيم وغيره»^(٨).

واختلف في موضع موته؛ أكان بالكوفة أم في مكة؟^(٩) فقيل: مات بالكوفة^(١٠)، وقيل: بل مات بمكة^(١١).

إسلامه:

أسلم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قديماً، فهو من السابقين الأولين، واختلف في هجرته إلى الحبشة على قولين ذكرهما ابن سعد وغيره^(١٢):

القول الأول: أنه أسلم وهاجر إلى الحبشة، وبه جزم الحافظ الذهبي^(١٣)، والحافظ ابن حجر.

والقول الثاني: أنه أسلم ورجع إلى بلاد قومه، ولم يهاجر إلى الحبشة، وعزاه ابن حجر إلى الأكثرين، وعلل ذلك بأن موسى بن عقبة وابن إسحاق

(٥) انظر: المعارف لابن قتيبة (٢٦٦).

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٩٧/٢).

(٧) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٨١/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢١٣/٤).

(٨) الإصابة في تمييز الصحابة (٢١٣/٤).

(٩) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢١٣/٤).

(١٠) انظر: طبقات خليفة بن خياط (١٢٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٨٠/٣).

(١١) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٨٠/٣).

(١٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧٩/٤).

(١٣) انظر سير أعلام النبلاء (٣٨٢/٢).

رسول الله ﷺ بعثنا هاهنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا، فأقمنا معه، حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا - أو قال: فأعطانا منها - وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهد معه، إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معهم^(٤).

فضائله:

- ظفره ببشرى النبي ﷺ وبيان فضل قومه.

فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: «كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال، فأتى رسول الله ﷺ رجلاً أعرابي، فقال: ألا تنجز لي يا محمد ما وعدتني؟ فقال له رسول الله ﷺ: أبشر، فقال له الأعرابي: أكثرت علي من أبشر، فأقبل رسول الله ﷺ على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان، فقال: إن هذا قد رد البشرى فاقبلا أنتما، فقالا: قبلنا يا رسول الله، ثم دعا رسول الله ﷺ بقدر فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه، ثم قال: اشربا منه وأفرغا علي وجوهكما ونحوركما وأبشرا، فأخذا القدر ففعلا ما أمرهما به رسول الله ﷺ، فنادتاهما أم سلمة من وراء الستر: أفضلا لأمكما مما في إنائكما، فأفضلا لها منه

والواقدي لم يذكره في مهاجرة الحبشة. ثم قدم المدينة بعد فتح خيبر وصادف مجيء سفينته مجيء سفينة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقدموا جميعاً^(١)، وقيل: إنه أدرك غزوة خيبر وأنها أول مشاهدته^(٢).

وروى الإمام البخاري بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه؛ أنه قال: «بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فركبنا سفينة، فألقنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، فقال النبي ﷺ: لكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان»^(٣).

وفي لفظ آخر عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم، - إما قال: في بضع، وإما قال: في ثلاثة وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي - فركبنا سفينة، فألقنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، ووافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢١٢/٤)، وانظر أيضاً: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧٩/٤)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٧٦٢/٤).

(٢) انظر: المعارف لابن قتيبة (٢٦٦)، وسير أعلام النبلاء (٣٨٢/٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٧٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٠٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣١٣٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٠٢).

طائفة»^(١).
عمر بن الخطاب رضي الله عنه على البصرة بعد

المغيرة رضي الله عنه، ففتح بلاد الأهواز، ومن بعدها أصبهان، ثم استعمله الخليفة الراشد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه على الكوفة^(٦).

وروى أبو زرعة الدمشقي بسنده عن مسروق قال: «كان القضاء في أصحاب محمد رضي الله عنه في ستة: في عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي، وزيد، وأبي موسى»^(٧).

المسائل المتعلقة:

- قضية التحكيم بين علي ومعاوية:

كان أبو موسى رضي الله عنه أحد الحكمين بين علي ومعاوية، حينما وقع الخلاف بينهما في توقيت المطالبة بدم عثمان رضي الله عنه؛ حيث رأى علي رضي الله عنه تأجيله حتى تستقرّ أمور الخلافة، بعد أن بايعه المهاجرون والأنصار في المدينة، وطلب من جميع الأمصار البعيدة مبايعته، ومنها بلاد الشام، في حين أن معاوية رضي الله عنه رأى ضرورة البدء بمطالبة دم عثمان،

ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٣٣).

وانظر: أخبار القضاة لوكيع (١٠٠/١) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١].

(٦) انظر: طبقات خليفة بن خياط (١٢٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/٤١٢).

(٧) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (٦٤٩، ٦٥٠) [مجمع اللغة العربية بدمشق] وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/٣٨٨) وقال محققو السير: «وهذا سند صحيح» (الحاشية رقم ٤).

- دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالمغفرة وبالمدخل الكريم يوم القيامة.

فقد ثبت من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال: «اللَّهُمَّ اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما»^(٢).

- أنه أوتي مزمارة من مزامير آل داود. فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «يا أبا موسى، لقد أوتيت مزمارة من مزامير آل داود»^(٣).

وقال البخاري في بيان فضل الأشعريين - ومنهم: أبو موسى الأشعري -: «وقال أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم: هم مني وأنا منهم»^(٤).

مكانته:

مما يبيّن مكانته رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسله إلى اليمن قاضيا ومعلما مرشدا^(٥)، وقد استعمله أمير المؤمنين

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٢٨)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٢٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠٤٨)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٩٣).

(٤) أخرجه البخاري تعليقا مجزوما (كتاب المغازي، قبل حديث رقم ٤٣٨٤)، ووصله في (كتاب الشركة، رقم ٢٤٨٦)، وهو عند مسلم أيضا (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٠٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٣٨).

وحويصة ابنا مسعود، وهما ابنا عم
المقتول؛ لأنهما كانا أسنَّ من أخيه، فلم
يطلب معاوية من ذلك إلا ما كان له من
الحق أن يطلبه، وأصاب في ذلك الأثر
الذي ذكرنا، وإنما أخطأ في تقديمه ذلك
على البيعة فقط»^(٤).

وعليه؛ فعلي رضي الله عنه «خرج يريد
معاوية بن أبي سفيان ومن معه بالشام،
فبلغ ذلك معاوية فخرج فيمن معه من
أهل الشام، والتقوا بصفين في صفر سنة
سبع وثلاثين، فلم يزالوا يقتتلون بها
أيامًا. وقُتل بصفين عمار بن ياسر،
وخزيمة بن ثابت، وأبو عمرة المازني،
وكانوا مع علي. ورفع أهل الشام
المصاحف يدعون إلى ما فيها»^(٥).

فقبل منهم عليٌّ ذلك، واختار أبا
موسى الأشعري، واختار معاوية عمرو بن
العاص؛ ليحكما بين الطائفتين بكتاب الله
ولا تأخذهما في الله لومة لائم.

قال أبو بكر ابن العربي: «والذي
صحَّ من ذلك ما روى الأئمة - كخليفة بن
خياط والدارقطني - أنه لما خرج الطائفة
العراقية في مائة ألف، والشامية في
سبعين أو تسعين ألفًا، ونزلوا على
الفرات بصفين، اقتتلوا في أول يوم
- وهو الثلاثاء - على الماء فغلب أهل

وتأجيل بيعة علي، ولما اشتد الخلاف
في هذا بينهما وامتنع معاوية من تنفيذ
أوامره رأى الخليفة الراشد علي بن أبي
طالب بأن هذا خروج عن طاعته،
وحاول ثنيه عن ذلك وإعادته إلى
طاعته^(١). قال الإمام ابن حزم: «وأما
أمر معاوية رضي الله عنه فبخلاف ذلك، ولم
يقاتله علي رضي الله عنه لامتناعه من بيعته؛ لأنه
كان يسعه في ذلك ما وسع ابن عمر
وغيره، لكن قاتله لامتناعه من إنفاذ
أوامره في جميع أرض الشام، وهو
الإمام الواجبة طاعته، فعليُّ المصيب في
هذا، ولم ينكر معاوية قط فضل علي
واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أدَّاه
إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة
عثمان رضي الله عنه على البيعة، ورأى نفسه
أحق بطلب دم عثمان، والكلام فيه من
ولد عثمان وولد الحكم بن أبي العاص
لستّه ولقوته على الطلب بذلك، كما أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن سهل أخا
عبد الله بن سهل المقتول بخيبر
بالسكوت وهو أخو المقتول، وقال له:
«كبر كبر»^(٢) وروى: «الكبر الكبر»^(٣)،
فسكت عبد الرحمن وتكلم محيصة

(١) انظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة لمحمد
أمحزون (٢/٢٢٤) [دار طيبة، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجزية، رقم ٣١٧٣)،
ومسلم (كتاب القسامة والمحاربين، رقم ١٦٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الديات، رقم ٦٨٩٨).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/١٢٤) [مكتبة
الخانجي].

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٢٣).

وهاشم بن عتبة، وفيها اجتمع الحكمان أبو موسى الأشعري من قبل علي، وعمرو بن العاص من قبل معاوية بدومة الجندل في شهر رمضان، ويقال: بأذرح وهي من دومة الجندل قريب^(٥).

ويشير القاضي ابن العربي إلى ما قرره الحكمان فيقول: «الذي روى الأئمة الثقات الأثبات أنهما لما اجتمعا للنظر في الأمر في عصبة كريمة من الناس، منهم: عبد الله بن عمر، ونحوه، عزل عمرو معاوية. ذكر الدارقطني سنده عن حصين بن المنذر قال: لما عزل عمرو معاوية جاء فضرب فسطاطه قريبًا من فسطاط معاوية، ثم جعل يتكلم فبلغ ثناه معاوية، فأرسل إلي فقال: إنه بلغني عن هذا كذا وكذا، فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه، فأتيته فقلت: أخبرني عن الأمر الذي وليت أنت، وأبو موسى، كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا، ولكن قلت لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. قلت: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: إن يستعن بكما فبيكما معونة، وإن يستغن عنكما، فطالما استغنى

(٥) تاريخ خليفة بن خياط (١٩١، ١٩٢).

العراق عليه، ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة^(١)، ويوم الخميس، ويوم الجمعة، وليلة السبت، ورفعت المصاحف من أهل الشام، ودعوا إلى الصلح، وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل، حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعوتين بالحق، فكان من جهة علي أبو موسى الأشعري، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص، وكان أبو موسى رجلاً ثقيلاً ثقفًا فقيهاً، عالمًا... أرسله النبي ﷺ إلى اليمن مع معاذ، وقدمه عمر، وأثنى عليه بالفهم^(٢).

وكان انعقاد التحكيم في دومة الجندل^(٣). وذكر ابن سعد أنه كان في أذرح^(٤)، ولا اختلاف بينهما؛ لأنها قريب من دومة الجندل؛ لذا قال خليفة بن خياط في سنة سبع وثلاثين: «فيها وقعة صفين يوم الأربعاء، لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين، وكان الصلح ليلة السبت لعشر خلون من صفر، وفيها قُتل عمار بن ياسر،

(١) قال المحقق: «بباض في جميع الأصول. وهي سنة (٦٥٨/٥٣٨ م) على الأصح». النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم لابن العربي (٣٠٨، ٣٠٩)، (الحاشية رقم ٣).

(٢) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم (٣٠٨).

(٣) انظر: تاريخ خليفة بن خياط (١٩١، ١٩٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٠/٥٧٠).

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣/٣).

أمر الله عنكما»^(١). وترك نصرته^(٢)، ويزعمون أن علياً عليه السلام لعنه^(٣)، وأن حذيفة رضي الله عنه أيضاً شهد عليه بالنفاق^(٤)، ويصفونه بأنه من شر الأولين والآخرين، ويلقبونه بالسامري^(٥).

الرد عليهم:

هذه الادعاءات لا أساس لها من الصحة؛ لأنها مبنية على الكذب والضعيفة، وليس لها أي مستند يستحق أدنى حظ من النظر، فالروايات المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه منحوتة نحتاً وفق أهوائهم الضالة وعقائدهم الفاسدة، ومما يدل على هذا أنها تنافي الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم من الثناء على أبي موسى رضي الله عنه والدعاء له بالمدخل الكريم يوم القيامة كما تقدم في فضائله، وما كان يسند إليه من المهام العظام من قبل النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بعده من خلفائه.

كما تعارض هذه الادعاءات ما هو معروف من ثناء علي بن أبي طالب علي رضي الله عنه أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فقد روى يعقوب الفسوي بسنده عن أبي البحري قال: «سئل علي عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال: عن أيهم تسألوني؟ قالوا: عن

فقاله: «أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ» يدل على أن أبا موسى أثبت علياً، ويؤكد قول عمرو: «فأين تجعلني ومعاوية؟» ثم إجابته عن هذا بقوله: «وإن يستغن عنكما، فطالما استغنى أمر الله عنكما»، وهذا معناه - والله أعلم -: أنهما إن احتاج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إليهما أفاد منهما، وإن استغنى عنهما فيصبحان كبقية أفراد المسلمين والله أعلم.

وهناك روايات كثيرة في هذه القصة لا تثبت؛ إذ هي من نقل الأخباريين ممن لا يوثق بهم، والأصل المقرر عند أهل السنة في هذا: الإمساك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم، فكلهم كما قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد]. وذكر تفاصيل ما جرى في هذه القصة ونحوها قد يورث شيئاً في النفوس، اتجاه أحد من الصحابة وهذا خلاف ما جاء في الكتاب والسنة من الثناء عليهم ومحبتهم.

موقف المخالفين منه:

الروافض:

يطعن الروافض في أبي موسى الأشعري؛ لما ينسبونه إليه من خلع علي

(١) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم (٣١٠)،

(٢) الإيضاح للفضل بن شاذان (٦٣) [مؤسسة انتشارات، ط ١، ١٣٦٣هـ].

(٣) انظر: الإيضاح للفضل بن شاذان (٦٣).

(٤) انظر: الصراط المستقيم للعالمي (٢٤٧/٣) [المكتبة المرتضوية].

(٥) الخصال للصدوق (٤٥٨) [منشورات جماعة

المدرسين، ١٤٠٣هـ]، والأمالئ للمفيد (٣٠) [دار المفيد، ط ٢، ١٤١٤هـ].

- ٨ - «المعارف»، لابن قتيبة.
 ٩ - «موقف الشيعة الإمامية الاثني عشرية من الصحابة عليهم السلام»، لعبد القادر محمد عطا صوفي.
 ١٠ - «النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم»، لابن العربي.

❖ الموقف ❖

❖ التعريف لغةً:

الموقف: مكان الوقوف، قال ابن فارس: «الواو، والقاف، والفاء أصل واحد يدل على تمكث في الشيء»^(٣). وهذا الفعل يأتي منه لازم ومتعد^(٤)، ومصدر الفعل المتعدي يكون وقفاً، ومصدر اللزوم يكون وقوفاً، ومنه الموقف، وهو محل الوقوف حيث كان^(٥).

❖ التعريف شرعاً:

المكان الخاص الذي أعده الله تبارك وتعالى لحشر الناس لحسابهم وفصل القضاء بينهم^(٦).

❖ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

خصص الشرع المعنى اللغوي الذي

عبد الله. قال: علم القرآن وعلم السنّة ثم انتهى وكفى به علماً. فقالوا: أخبرنا عن أبي موسى؟ قال: صبغ في العلم صبغاً^(١)، وكذا اختياره إياه أيضاً للتحكيم، فقد روى ابن أبي شيبه بسنده عن أبي صالح «أن علياً قال لأبي موسى: احكم ولو بحز عنقي»^(٢).

كما أن تلك الروايات تحكي ما هو معروف انتفاؤه بدهاة عن جيل الصحابة الأطهار عليهم السلام، من لعن بعضهم بعضاً، وشهادة بعضهم بالنفاق على بعض.

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج ٤)، لابن عبد البر.
 ٢ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج ٤)، لابن حجر.
 ٣ - «تاريخ خليفة بن خياط».
 ٤ - «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (ج ٢)، لمحمد أمحزون.
 ٥ - «سير أعلام النبلاء» (ج ٢)، للذهبي.
 ٦ - «الطبقات الكبرى» (ج ٤)، لابن سعد.
 ٧ - «طبقات خليفة بن خياط».

(٣) مقاييس اللغة (١١٠١) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٤) القاموس المحيط (٧٩٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

(٥) مقاييس اللغة (١١٠٢)، والقاموس المحيط (٧٩٤).

(٦) حياة الآخرة (٢٤١/١) [دار لينة، مصر، ط ١].

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣٤٦/٢) [دار صادر، ط ١]، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٥٤٠/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠١هـ].

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (كتاب الجمل وصفين والخوارج، رقم ٣٧٨٥٣)، ورجاله ثقات.

وقال النبي ﷺ: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ حتى يغيب أحدهم في رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أذْنِيهِ»^(٢)، وفي رواية: «يقوم الناس يوم القيامة لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: مكان الموقف:

يكون الموقف في «أرض بيضاء قاع صفصف، لا ترى فيها عوجًا ولا أمثًا»^(٤)، ولا ترى عليها ربوة يختفي الإنسان وراءها، ولا وهدة ينخفض فيها عن الأعين، بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيها، يساقون إليه زمراء، فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض»^(٥).

قال النبي ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة

هو مكان الوقوف حيث كان، إلى مكان خاص يقف فيه العباد يوم القيامة للحساب.

سبب التسمية:

سبب تسمية الموقف بالموقف هو أن الناس يقفون فيه لرب العالمين فيحاسبهم.

الحكم:

وجوب الإيمان به، وهو يدخل في الإيمان باليوم الآخر، لقوله تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا» [الأنعام: ٣٠].

الحقيقة:

يقف الناس يوم القيامة على أقدامهم إلى ما شاء الله أن يقفوا، وليست حالتهم واحدة، ولا موقفهم ولا مقامهم واحدًا، ولكن لهم مواقف وأحوال^(١).

الأدلة:

من الأدلة على الموقف: قوله تعالى: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥﴾» [غافر]، وقوله تعالى: «أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾» [المطففين].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٣٨)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٨/١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والبيهقي في شعب الإيمان (٤١٥/١) [مكتبة الرشد، ط١] واللفظ له، وصححه سننه محققو المسند.

(٤) قال تعالى: «وَسَتُورُكَ عَنِ الْعَالَمِ فَكُلٌّ يَتَّبِعُهَا رَبِّي سَفَا ﴿١٦﴾ قَبْدَهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٧﴾ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٨﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّجْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٩﴾» [طه].

(٥) أحوال الميت من نفخة الصور إلى الاستقرار في الجنة أو النار (١٥، ١٦) [دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩١م].

(١) انظر: التذكرة (٢/٥٢٨، ٥٢٩) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ]. وشعب الإيمان (١/٤١٥) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ].

النَّبِيِّ^(١) ليس فيها عَلَمٌ لأحد»^(٢).
- المسألة الثانية: مقدار الوقوف في الموقف:

نقل صاحب البحور الزاخرة في هذه المسألة عدة أقوال بأدلتها، والظاهر أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص على حسب الأعمال، بدليل كونه على المؤمنين أخف من الصلاة المكتوبة، والله ﷻ أعلم^(٣).

- المسألة الثالثة: صفة الوقوف:

بينها النبي ﷺ بقوله: «إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء]، فأول من يُكسى إبراهيم»^(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً»^(٥). قلت: يا رسول الله! الرجال

(١) قال النووي: العفراء بالعين المهملة والمد، بيضاء إلى الحمرة، والنقي بفتح النون وكسر القاف وتشديد الباء، هو: الدقيق الحواري، وهو: الدرمل، وهو: الأرض الجيدة. المنهاج (١٧/١٣٢) [دار المعرفة، ط ١٢، ١٤٢٧هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦١٥٦)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٩٠).

(٣) البحور الزاخرة (١/٦٢٥) [شركة غراس، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٤٧)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٠).

(٥) غرلاً: بضم المعجمة وسكون الراء؛ جمع أغرل، وهو الأقلف وزنه ومعناه، وهو من بقيت غرلته،

والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «يا عائشة! الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»^(٦)، وفي رواية: «يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً، فقالت له عائشة: يا رسول الله! فكيف بالعورات؟ فقال: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُنَّ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ﴾ [عبس]»^(٧).

- المسألة الرابعة: رؤية أهل الإسلام في الموقف ربهم:

بؤب السيوطي في كتابه «البدور السافرة» بقوله: «باب تجليه تعالى في الموقف لأهل الإسلام وامتحانهم»^(٨)، ثم ذكر قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيَدْعُونَ إِلَى الشُّجُودِ﴾ [القلم: ٤٢]، ثم قال: أخرج الشيخان في الموقف عن أبي هريرة قال: «قال أناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله! قال:

وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن من الذكر. انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/٤٦٦) [دار السلام، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٢٧)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٥٩) واللفظ له.

(٧) أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٨٣)، وأحمد (١٣٥/٤١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الأهوال، رقم ٨٦٨٤) وصححه، وصححه الألباني في تعليقه على سنن النسائي.

(٨) البدور السافرة (٢٣٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ].

❖ المولد ❖

❖ التعريف لغةً:

المولد: مشتق من الولادة، والولادة هي: حدوث الشيء عن الشيء وحصوله عنه، وهو دليل النجل والنسل^(٣).

قال الجوهري: «وميلاد الرجل: اسم للوقت الذي ولد فيه. والمولد: الموضع الذي ولد فيه»^(٤).

❖ التعريف اصطلاحاً:

المراد بالمولد هنا: مولد النبي ﷺ.

❖ العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاح:

العلاقة ظاهرة: فمولد النبي ﷺ هو اسم لوقت ولادته ولمكانها.

❖ سبب التسمية:

سمي الاحتفال بالمولد مولدًا؛ لكونه يقام في تاريخ ولادة ذلك المعظم من نبي أو ولي من كل عام.

❖ الحكم:

تخصيص يوم مولد النبي ﷺ باحتفال أو عبادة وجعله مناسبة وعيدًا: بدعة ضلالة محدثة في الشرع؛ إذ لا دليل

«هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سبحانه؟» قالوا: لا يا رسول الله! قال: «فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك»^(١)، ثم ذكر ﷺ عدة أحاديث أخرى^(٢) كلها تدل دلالة صريحة على أن المؤمنين يرون ربهم في الموقف.

❖ المصادر والمراجع:

١ - «البحر الزاخرة» (ج ١)، للسفاريني.

٢ - «البدور السافرة في أحوال الآخرة»، للسيوطي.

٣ - «البعث»، لابن أبي داود.

٤ - «التذكرة» (ج ٢)، للقرطبي.

٥ - «حياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار» (ج ١)، لغالب العواجي.

٦ - «شعب الإيمان» (ج ١)، لليهقي.

٧ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر.

٨ - «الفتاوى الحموية الكبرى»، لابن تيمية.

٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤، ٥)، لابن تيمية.

١٠ - «شرح صحيح مسلم» (ج ١٧)، للنووي.

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٦/١٤٣) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ]، وتهذيب اللغة (١٤/١٧٦) [الدار المصرية للتأليف، ط ١، ١٣٨٤هـ]، والفاموس المحيط (٣٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٧، ١٤٢٤هـ].
(٤) الصحاح (٢/٥٥٤) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٧٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٢).

(٢) انظر: عدة الأحاديث بتمامها في البدور السافرة للسيوطي (٢٣٠ - ٢٣٧).

على مشروعيتها من كتاب ولا سنة ولا عمل صحابي ولا أثر عن أحد من السلف أصحاب القرون الثلاثة المفضلة، ولم تخترع هذه المحدثثة إلا في القرن الرابع الهجري على أيدي العبيديين القرامطة الغلاة الباطنية؛ تشبهاً بالنصارى الذين يحتفلون بمولد المسيح ﷺ؛ وتظاهراً من العبيديين بحب النبي ﷺ مخادعةً للمسلمين، وتحسيناً لصورتهم عندهم، ولجعل هذه الموالد وسيلة لجذب الرعايا إليهم، ونشر خصائص مذهبهم الباطني الإسماعيلي وعقائده الباطلة^(١).

❁ الحقيقة:

المولد يشمل: مولده المكاني، ومولده الزماني وهو يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل على المشهور، وفيه أقوال أخرى، الموافق لشهر أغسطس/آب من عام ٥٧٠

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٢٣/٢) [دار إشبيلية، ط٢، ١٤١٩هـ]، والمواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (٣٣٢/١ - ٣٣٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ]، والإبداع في مضار الابتداء لعلي محفوظ (١٢٦) [المكتبة العلمية، ط٥، ١٣٩١هـ]، وحكم الاحتفال بالمولد النبوي لابن باز، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (٦١/١) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط٢، ١٤٢٤هـ]، والقول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (٣٩٤/٢) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط٢].

من تاريخ ميلاد المسيح ﷺ^(٢). وقد يطلق المولد على غير مولد النبي ﷺ، ولكن مقيداً باسم من يحتفل بمولده؛ كموالد الأولياء المحدثثة من قبل الباطنية العبيديين وأشباههم من الرافضة والصوفية القبورية، ومنها: مولد علي، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد الزهراء، ومولد الخليفة الحاضر، ومولد البدوي، وغيرها^(٣).

وحقيقة الاحتفال بالمولد: تعظيم ليوم مولد هذا المعظم واحتراف به تقرباً إلى الله تعالى، وهذا بدعة محدثة لم يشرعها الله ولا فعلها رسوله ﷺ ولا السلف الكرام، ولا أمروا بها مع قيام المقتضي لذلك وعدم المانع^(٤).

❁ الأدلة:

يمكن تصنيف الأدلة على تحريم هذه الموالد على ما يلي:

(٢) انظر: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب (١٠٠/٧) [دار الغرب الإسلامي، ط١٤٠١هـ]، والبداية والنهاية (٣٧٥/٣) [دار هجر، ط١، ١٤١٧هـ]، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني (١٣١/١) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ]، ووفيات الأعيان (٤٣٧/١) [دار صادر]، والإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (١/٣٦١) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط٢].

(٣) انظر: المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (٣٣٢/١ - ٣٣٤).

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٢٣/٢).

أولاً: أدلة النهي عن الابتداع والإحداث في الدين.

وهي كثيرة منها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(١).

وفي رواية لمسلم^(٢): «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه... ويقول: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»^(٣).

وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قوله ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(٤).

ثانياً: الأدلة الآمرة بمتابعة النبي ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم والتحذير من مخالفة سبيلهم، وهي كثيرة، ومنها:

قوله ﷺ: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» [الحشر: ٧].

وقال ﷺ: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [النور].

وقال سبحانه: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» [الأحزاب].

ثالثاً: أن الله ﷻ قد أكمل لنا الدين، ورسوله ﷺ قد بلغ الأمة البلاغ المبين، وليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ما يدل على مشروعية الاحتفال بهذه الموالد، ولذلك لم يفعله أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولا أحد من السلف أصحاب القرون الثلاثة المفضلة. والله ﷻ قد قال في محكم التنزيل: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» [المائدة: ٣].

ف«إحداث مثل هذه الموالد يفهم منه: أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة، وأن الرسول ﷺ لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به، حتى جاء هؤلاء

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلح، رقم ٢٦٩٧)، ومسلم (كتاب الأفضية، رقم ١٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم في الموضوع السابق.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٦٦).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، رقم ٤٦٠٧)، والترمذي (أبواب العلم، رقم ٢٦٧٦) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٤٢)، وأحمد (٣٦٧/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به، زاعمين: أن ذلك مما يقربهم إلى الله، وهذا بلا شك فيه خطر عظيم، واعتراض على الله سبحانه، وعلى رسوله ﷺ، والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين، وأتم عليهم النعمة. والرسول ﷺ قد بلغ البلاغ المبين، ولم يترك طريقاً يوصل إلى الجنة ويباعد من النار إلا بينه للأمة، كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم» رواه مسلم في «صحيحه»^(١). ومعلوم أن نبينا ﷺ هو أفضل الأنبياء وخاتمهم، وأكملهم بلاغاً ونصحاً، فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذي يرضاه الله سبحانه لبيّنه الرسول ﷺ للأمة، أو فعله في حياته، أو فعله أصحابه رضي الله عنهم، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء؛ بل هو من المحدثات التي حذر الرسول ﷺ منها أمته»^(٢).

رابعاً: أن في إقامة هذه الموالد وجعلها عيداً تشبيهاً ومضاهاةً بالنصاري في احتفالاتهم بعيد ميلاد المسيح، وقد نهينا

عن التشبه بالكفار وأمرنا بمخالفتهم^(٣).
خامساً: ما أدى إليه إحداث هذه الموالد من البدع الأخرى والغلو والاعتقادات الباطلة والمنكرات المصاحبة؛ لأن «البدعة: إفراز لمرض الشبهة، والشبهة باب البدعة، والبدعة: بريد الكفر، وشرك الشرك»^(٤). فكل مُبتدِعٌ مُحدث يتولد منه أمور محدثة، وهكذا تبدو المحدثات صغاراً ثم تنمو، حتى تتقطع السبيل إلى سبل، وتغاب السنن^(٥).

❁ أقوال أهل العلم:

من أقوال أهل العلم في إنكار بدعة الموالد:

قال تاج الدين الفاكهاني رحمته الله: «لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بأثار المتقدمين، بل هو بدعة، أحدثها الباطلون، وشهوة نفس اغتنى بها الأتكالون»^(٦).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٢٣/٢).

(٤) الرد على المخالف من أصول الإسلام ليكر أبي زيد، ضمن الردود (٩) [دار العاصمة، ١٤١٤هـ]. وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/٥٥٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥هـ].

(٥) انظر: تصحيح الدعاء ليكر أبي زيد (٣١٦)، وحكم الانتماء له أيضاً (١٠٧، ١٥٩).

(٦) المورد في عمل المولد للفاكهاني - ضمن رسائل =

(١) صحيح مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٤٤).

(٢) حكم الاحتفال بالمولد النبوي لابن باز - ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (٥٨/١، ٥٩).

وعقد ابن الحاج المالكي رحمته الله في كتابه «المدخل» فصلاً عن المولد، سرد فيه جملة من المفاسد والمنكرات التي تفعل في الموالد ثم قال: «وهذه المفاسد مركبة على فعل المولد إذا عمل بالسماع، فإن خلا منه وعمل طعاماً فقط ونوى به المولد ودعا إليه الإخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نيته فقط؛ إذ إن ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين، واتباع السلف أولى بل أوجب من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه؛ لأنهم أشد الناس اتباعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له ولسنته صلى الله عليه وسلم، ولهم قدم السبق في المبادرة إلى ذلك، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد، ونحن لهم تبع فيسعدنا ما وسعهم وقد علم أن اتباعهم في المصادر والموارد، كما قال الشيخ الإمام أبو طالب المكي رحمته الله في كتابه: «وقد جاء في الخبر لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً» انتهى. وقد وقع ما قاله صلى الله عليه وسلم بسبب ما تقدم ذكره وما سيأتي بعد؛ لأنهم يعتقدون أنهم في طاعة ومن لا يعمل عملهم يرون أنه مقصر بخيل، فإننا لله وإنا إليه راجعون»^(١)

وقال ابن تيمية رحمته الله: «أما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية؛ كبعث ليالي شهر ربيع الأول الذي يقال: إنها ليلة المولد، أو بعض ليالي رجب، أو ثامن عشر ذي الحجة، أو أول جمعة من رجب، أو ثامن شوال الذي يسميه الجهال (عيد الأبرار) فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف ولم يفعلوها»^(٢).

وقال أيضاً عن هذا المولد: «إن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه لو كان خيراً، ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف صلى الله عليه وسلم أحق به منا؛ فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعتة وطاعته واتباع أمره، وإحياء سنته باطناً وظاهراً، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. وأكثر هؤلاء الذين تجدهم حراساً على أمثال هذه البدع مع ما لهم من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم بهما المثوبة تجدهم فاترين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه، وإنما هم بمنزلة

= في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (١/٨، ٩).

(١) المدخل لابن الحاج (١٠/٢) [دار الفكر،

يقول ابن التركماني في كتابه «اللمع في الحوادث والبدع»^(٣) عن هذه الأعياد النصرانية: «فصل: ومن البدعة أيضًا والخزي والبعاد ما يفعله المسلمون في نيروز النصارى ومواسمهم والأعياد من توسع النفقة، وهذه نفقة غير مخلوفة، وسيعود شرها على المنفق في العاجل والآجل».

- المسألة الثانية: الاحتفال بيوم ميلاد الإنسان:

وهذا فرع عن المسألة السابقة، فيكون ذلك محرماً منهياً عنه؛ لما فيه من مشابهة الكفار التي نهينا عنها، وهذا ما أفتت به اللجنة الدائمة، وابن باز وابن عثيمين^(٤).

- المسألة الثالثة: الاحتفال برأس السنة الهجرية:

وهذا أيضًا بدعة محرمة؛ لأن الأعياد مرجعها إلى الشرع وليس إلى العادات؛ فيكون في اختراع أعياد لم يدل الشرع عليها إحداث وابتداع في الدين، وفيه أيضًا: تشبه بالنصارى في احتفالهم برأس السنة الميلادية كما تقدم، وهذا ما أفتت به اللجنة الدائمة، وابن باز وابن عثيمين^(٥).

(٣) (١/٢٩٣ - ٣١٦).

من يحلي المصحف ولا يقرأ فيه، أو يقرأ فيه ولا يتبعه، وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه أو يصلي فيه قليلاً، وبمنزلة من يتخذ المسابيح والسجادات المزخرفة، وأمثال هذه الزخارف الظاهرة التي لم تشرع، ويصحبها من الرياء والكبر والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها^(١).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الاحتفال برأس السنة الميلادية:

وهو المسمى: الكرسميس، أو تهنئة النصارى فيه؛ فهذا احتفال بدعي محرم لا يجوز فعله ولا تهنئة النصارى فيه؛ لأمرين^(٢):

الأول: أن هذا فيه تشبه بالكفار؛ لأنه موافقة للنصارى فيما ليس من ديننا ولا عادة سلفنا، فيكون فيه مفسدة موافقتهم والتشبه بهم، وترك مصلحة مخالفتهم المقصودة للشارع.

الثاني: ما ورد من الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار في النهي عن مشابهة الكفار في أعيادهم خاصة، وما ورد في النهي عن مدهانتهم والرضا بأفعالهم.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/١٢٣، ١٢٤).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٤٧٨، ٤٧٩)، ومجموع ورسائل وفتاوى ابن عثيمين (٢٥/٤٩٥) [دار الثريا، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٤) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢٨/٢٦٠)، ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٥/١٧٦)، ومجموع ورسائل وفتاوى ابن عثيمين (٩/٣٧٦).

(٥) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢٧/٤٣٧)، ومجموع =

- المسألة الرابعة: التأريخ بالتاريخ

الميلادي:

كان التاريخ الميلادي موجودًا في عهد الصحابة رضي الله عنهم، ولكنهم لم يستعملوه، بل عدلوا عنه إلى التاريخ الهجري، وهذا دليل على أن المسلمين يجب أن يستقلوا عن عادات الكفار وتقاليدهم، لا سيما وأن التاريخ الميلادي رمز على دينهم؛ لأنه يرمز إلى تعظيم ميلاد المسيح والاحتفال به على رأس السنة، وهذه بدعة ابتدعتها النصارى؛ فيجب ألا نشاركهم في ذلك بالتأريخ بتاريخهم حتى لا نقع في التشبه بهم المنهي عنه في شريعتنا. وفي التاريخ الهجري الذي اتفق عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كفاية وغناء، وهذا ما أفتت به اللجنة الدائمة، وابن باز وابن عثيمين والفوزان^(١).

١ - الوقوع في الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام، وذلك بالإطراء في القصائد والمدائح والغلو في الرسول والأولياء ودعائهم من دون الله، وتقديم النذور والذبائح قربانًا لغير الله.

٢ - «الاعتقادات الباطلة والظنون الفاسدة؛ كظن بعضهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحضر المولد!

٣ - تزايد البدع والمحدثات وتكاثرها، ومن ذلك: جعل الاحتفال بالمولد أيامًا عديدة، أو تكراره كل ليلة جمعة، واختراع موالد أخرى للأولياء والمعظمين، وشد الرحال إلى القبور والمزارات البدعية، واختراع أدعية محدثة مخالفة للشرع تسمى بـ(الأحزاب أو الرواتب).

٤ - الاستشهاد بالأحاديث المكذوبة

الآثار

ترتب على إحداث هذه الموالد كثير من المخالفات الشرعية والمناهي الجلية التي تدور بين الشرك والبدعة والمعصية، وهكذا هي خطوات الشيطان. وقد نبّه أهل العلم قديمًا وحديثًا على هذه

= فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٣١/١٧)، ومجموع ورسائل وفتاوى ابن عثيمين (٢٠٣/١٦، ٢٠٤).

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٣٩٨/٢٦)، والمنتقى من فتاوى الفوزان (٢٥٧/١) مكتبة الغرباء، ط ٢، ١٤١٧هـ.

(٢) انظر: المورد في عمل المولد للفاكحاني ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (١١/١، ١٢)، والمدخل لابن الحاج، والمعيار المعرب للونشريسي (٧/١٠٠، ١٠١، ٨/٢٥٥، ٩/٢٥٢)، وتفسير المنار (٩/٩٦) [دار المعرفة، ط ٢]، وحكم الاحتفال بالمولد النبوي والرد على من أجاز له للشيخ محمد بن إبراهيم - ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (١/٣٧ - ٤٣)، والإبداع في مضار الابتداع (١٢٦ - ١٢٨)، وحكم الاحتفال بالمولد النبوي لابن باز ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (١/٦١ - ٦٣)، والإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (١/٣٥٤ - ٣٦٠، ٣٧٦)، والقول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (٢/٦٢٩ - ٨٦٥).

- والضعيفة، والقصص الواهية، والرؤى والخرافات الوهمية.
- ٥ - تعظيم البدع والنشاط فيها، والاستهانة بالسنن؛ بل بالواجبات والكسل عنها.
- ٦ - التشبه باليهود والنصارى في أعيادهم واحتفالاتهم بموالد معظمهم.
- ٧ - امتهان آيات القرآن العظيم وأحاديث الرسول الكريم ﷺ، وقلة احترامهم وتعظيمهم لها، حيث يجمعون في احتفالاتهم بينها وبين لهو الحديث ولغو الكلام، وقد يتدثون بها وقصدتهم الغناء والطرب بها.
- ٨ - انتهاك حرمة المساجد بهذه المنكرات، وكثرة اللغو ورفع الأصوات المنافية لأداب بيوت الله.
- ٩ - الأغاني وما يصاحبها من آلات اللهو من المعازف والمزامير الشيطانية.
- ١٠ - الشطح، والرقص، والهز والدوران الشديد المسمى بـ(الزار)، وقد يحصل في بعضها شيء من الفجور وتعاطي المسكرات والمفترات.
- ١١ - الافتتان بالمردان الذين يغنون ويتراقصون في هذه الاحتفالات.
- ١٢ - افتتان الرجال بالنساء لما يحصل في بعض اجتماعاتهم من الاختلاط، واطلاع الرجال على النساء، وارتفاع أصوات النساء.
- ١٣ - خروج النساء إلى المقابر وارتكاب أنواع المحرمات من نياحة ورفع الصوت، واختلاط.
- ١٤ - الإسراف والتبذير وإضاعة المال في هذه الحفلات التي لا تعود بنفع في دين ولا في دنيا.
- ١٥ - اتخاذ هذه الموالد عند البعض لأغراض دنيوية من أكل لأموال الناس بالباطل، أو طلب جاه أو مدح، أو تعظيم متبوع من سادتهم، ونحو ذلك من الأغراض الدنيئة الخسيسة.
- ١٦ - اتهام أرباب هذه الموالد غيرهم ممن لا يقيمها بأقبح التهم وأشنعها؛ وهو أنه لا يحب الرسول!
- «هذا الذي ذكر بعض المفسد المشهورة المعروفة، وما في ذلك من الدسائس ودخول وساوس النفوس وشياطين الإنس والجن مما يتعذر حصره، فالسعيد السعيد من أعطى قياده للاتباع وترك الابتداع، وفقنا الله لذلك بمنه»^(١).
- ولما كانت هذه الموالد بهذه الدرجة من الانحراف والضلال والفساد العقدي والأخلاقي سعى الكفار المحتلون لعدد من البلاد الإسلامية وأعوانهم من الحكومات الفاسدة إلى تشجيع هذه البدع ودعم أربابها من الفرق الضالة؛

(١) المدخل لابن الحاج (٢/٢٦).

لما وجدت من حكومات الباطل والشر إلا محاربتها والقضاء عليها»^(٢).

وهذا هو ما أكده المؤرخ المصري الجبرتي عن الاستعمار الفرنسي لمصر حيث قال في كتابه «عجائب الآثار»^(٣) عن هذه الموالد ودعم الفرنسيين المحتلين لها: «ورخص فرنسا ذلك للناس لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات والتلاهي وفعل المحرمات».

❁ مذهب المخالفين:

اتفق المخالفون في المولد مع القائلين بأنه بدعة محدثة لم تفعل في القرون الثلاثة المفضلة؛ لكنهم خالفوهم في جعل هذه البدعة: بدعة حسنة، واستحبوا فعلها مستندين في ذلك إلى أن البدعة تنقسم إلى حسنة وسيئة^(٤).

والجواب عليهم من وجوه عديدة؛ منها:

الأول: جميع الأدلة القاضية بعموم

(٢) الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (١/٣٥٥ - ٣٥٦).

(٣) (٢/٣٠٦) [دار الجبل، ط٢، ١٩٧٨م].

(٤) انظر مثلاً: حسن المقصد في عمل المولد للسيوطي ضمن الحاوي للفتاوى (١/١٨٩) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ]، وحول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، والذخائر المحمدية لمحمد علوي المالكي، وغيرهم. وقد رد عليهم جملة من علماء الأمة.

لتخدير المسلمين، وإلهائهم عن عظام الأمور، وشغلهم بهذه الرسوم والمواسم عن الإعداد لجهاد الكافرين، وتضييعهم عن دينهم القويم وما فيه من أصول وتعاليم لو تمسكوا بها وأقاموها لسادوا على جميع العالمين، «فقد كانت فرنسا في بلاد المغرب بأقاليمه الثلاثة تساعد حتى بتخفيض تذكرة الإركاب في القطار، وكذلك بلغني أن الحكومات المصرية تفعل نحو ذلك، ومن أغرب ما نسمع عن هذا الوفاق أن حكومة اليمن الجنوبي^(١) وهي بلشفية خالصة تشجع هذه الموالد ولو بعدم إنكارها، وهي التي أنكرت الإسلام عقائد وعبادات وأحكاماً. ولهذا دلالة كبرى وهي: أن هذه الموالد ما ابتدعت إلا لضرب الإسلام، وتحطيمه والقضاء عليه. ومن هنا كان حكم الإسلام على هذه الموالد والمواسم والزرد والحضرات المنع والحرمة، فلا يبيح منها مولداً ولا موسمًا ولا زردة ولا حضرة؛ وذلك لأنها بدع قامت على أساس تقويض العقيدة الإسلامية، وإفساد حال المسلمين، ويدلك على ذلك مناصرة أهل الباطل لها ووقوفهم إلى جنبها ومعها، ولو كان فيها ما يوقظ الروح الإسلامي، أو يحرك ضمائر المسلمين

(١) أي: قبل أن يُوحَّد شطرا اليمن عام (١٩٩٠م).

ضلال كل البدع، وأن كل بدعة ضلالة ❁ المصادر والمراجع:

١ - «الإبداع في مضار الابتداء»،

لعلي محفوظ.

٢ - «الاعتصام»، للشاطبي.

٣ - «اقتضاء الصراط المستقيم»

(ج ٢)، لابن تيمية.

٤ - «الإنصاف فيما قيل في المولد

من الغلو والإجحاف»، للجزائري.

٥ - «حكم الاحتفال بالمولد والرد

على من أجازته»، لمحمد بن إبراهيم آل

الشيخ.

٦ - «حكم الاحتفال بالمولد النبوي»،

لابن باز.

٧ - «الرد القوي على الرفاعي

والمجهول وابن علوي وبيان أخطائهم

في المولد»، للتويجري.

٨ - «فتاوى محمد رشيد رضا» (ج ٤).

٩ - «القول الفصل في حكم التوسل

بخير الرسل»، للأنصاري.

١٠ - «مجموع وسائل وفتاوى بن

عثيمين» (ج ٩، ١٦، ٢٥).

١١ - «المدخل»، لابن الحاج

المالكي.

١٢ - «المورد في الكلام على

المولد»، للفاكهاني.

١٣ - «المواعظ والاعتبار بذكر

الخطط والآثار» (ج ١)، للمقريزي.

وليس فيها بدع حسنة.

الوجه الثاني: أن تقسيم البدعة إلى

حسنة وسيئة أو إلى الأحكام التكليفية

الخمسة تقسيم باطل يقضي بإبطال عموم

الأدلة الدالة على إنكار كل البدع

المحدثة في الدين، وهو تقسيم مفتعل

مخترع متناقض.

ثم إن كلام أي عالم لا يكون

مخصصًا أو مقيدًا لعموم كلام

رسول الله ﷺ.

وأقوال العلماء في إبطال هذا التقسيم

المناقض للأدلة كثيرة جدًا، وردودهم في

هذه المسألة بالذات أكثر وأكثر^(١).

ومما يحتج به المخالفون: أن

هذا الاحتفال تعظيم للنبي ﷺ وإظهار

لحبه.

والجواب: أن المولد ليس من تعظيم

النبي ﷺ؛ لأن التعظيم عبادة،

والعبادات توقيفية باتفاق المسلمين،

والنبي ﷺ لم يشرع لنا الاحتفال بمولد

آدم أو إبراهيم أو موسى أو غيرهم من

الأنبياء ﷺ، ثم السلف من الصحابة

والتابعين وأئمة المذاهب متفقون على

عدم فعله وعدم مشروعيته، فلا يسوغ لنا

فعله.

(١) انظر مثلاً: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٨٦ -

١٠١)، والاعتصام (١/٣٢٧ - ٣٢٣).

عيده^(٤).

❖ الأسماء الأخرى:

من الألفاظ المرادفة لكلمة الميثاق:
العهد، الإِشهاد، الفطرة.

❖ الحكم:

يجب الإيمان بأن الله تعالى أخذ الميثاق من بني آدم، فجعلهم شاهدين على أنفسهم مقرّين بربوبية الله تعالى لهم وأنهم عبيدٌ له سبحانه، فأما نطقهم وتكلمهم بذلك، فليس في شيء من الأحاديث التي تقوم بها الحجة ولا يدل عليه القرآن. فالإِشهاد على أنفسهم كان على وجه الإقرار ولسان الحال، لا بلسان المقال^(٥).

❖ الحقيقة:

حقيقة الميثاق في قوله تعالى:
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾
[الأعراف: ١٧٢] فيها قولان لأهل العلم^(٦):

الأول: أن الإِشهاد في الآية يُفسر بالفطرة على التوحيد، وهو مما خلقوا عليه وجبلوا عليه. والأحاديث الواردة

❖ المولى

يراجع مصطلح (الولي).

❖ الميثاق

❖ التعريف لغةً:

الميثاق: مشتق من مادّة (و - ث - ق). قال ابن فارس: «الواو والشاء والقاف كلمة تدلّ على عَقْد وإحكام، وَوَثَّقْتُ الشَّيْءَ: أَحْكَمْتَهُ، وناقة موثَّقة الخلق؛ أي: محكمته. والميثاق: العَهْد المحكم»^(١). وقال الفيروزآبادي: «المِيثاق: عَقْدٌ يُوَكِّدُ بيمين وَعَهْدٌ، وَأخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف»^(٢).

والموثَّقة: مصدر الشيء الوثيق المُحْكَم، والفعل اللازم: وَثَّقَ وثاقه فهو وثيق. والوثيقة في الأمر: إحكامه والأخذ بالثقة، والجمع: الوثائق. والموثَّقة: المعاهدة»^(٣).

❖ التعريف شرعاً:

هو إقرار بني آدم بربوبية الله تعالى، وشهادتهم على أنفسهم بأنه ربهم وهم مخلوقون له، فشهدوا على أنفسهم بأنهم

(١) مقاييس اللغة (٦/٨٥) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ].

(٢) بصائر ذوي التمييز (٥/١٥٨) [لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط ١٤١٢هـ].

(٣) تهذيب اللغة (٩/٢٠٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢٠٠١م]، ولسان العرب (١٠/٣٧١) [دار صادر، ط ٣].

(٤) انظر: درء التعارض لابن تيمية (٨/٤٨٨).

(٥) انظر: درء التعارض لابن تيمية (٨/٤٨٣، ٤٨٥)،

وأحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/١٠٠٤) [مكتبة رمادي، ط ١٤١٨هـ].

(٦) انظر: المصدر السابق.

مِثْقَكُمُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ [الحديد]؛
أي: وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في
صلب آدم، بأن الله ربكم لا إله لكم
سواه^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي
ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٧﴾
[الأعراف].

ومن السُّنَّة: ما جاء عن أنس بن
مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله
تعالى لأهل النار عذاباً يوم القيامة:
لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت
تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردت
منك أهون من هذا، وأنت في صلب
آدم: أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن
تشرك بي»^(٣).

وعن هشام بن حكيم؛ أن رجلاً أتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أُنبتدي
الأعمال أم قد قضي القضاء؟ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله أخذ ذرية آدم
من ظهره، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم
أفاض بهم في كفة، فقال: هؤلاء في
الجنة وهؤلاء في النار، فأهل الجنة
ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار

في ذلك دالة على إثبات القدر السابق
واستخراج صور بني آدم وتميز أهل
السعادة من أهل الشقاوة.

الثاني: أن الله أخرج جميع ذرية آدم
من ظهور الآباء في صورة الذر،
وأشهدهم على أنفسهم بلسان المقال:
﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ ثم أرسل بعد
ذلك الرسل مذكرة بذلك الميثاق.

الأهمية:

أهمية الميثاق الذي أخذه الله على آدم
وذريته تتبين في أن الله تبارك وتعالى
تعرف قبل التكليف بنفسه وبعد التكليف
بالسفراء؛ لأنه لو خاطبهم وكاشفهم قبل
التكليف بلا سفير لبطل التكليف، لذا
فإن كل واحد من بني آدم يجد أثر
عهد الله وميثاقه في سويداء قلبه، فإن الله
تعالى لما تعرّف إلى عباده بنفسه يوم
الميثاق أبقى أثر معرفته وميثاقه في فطرة
كل واحد من بني آدم^(١).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ
مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴿٧٧﴾ [البقرة]،

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ

(٢) تفسير الطبري (٣٩٠/٢٢) [دار هجر، ط١].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٥٧)،
ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم

(١) انظر: درء التعارض لابن تيمية (٥١٠/٨)، وميثاق

ميسرون لعمل أهل النار»^(١).

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللَّهُمَّ أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت»^(٢) الحديث. قال ابن بطال رحمته الله: «يريد العهد الذي أخذه الله على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم: ألسنت بربكم؟ فأقروا له بالربوبية وأذعنوا له بالوحدانية»^(٣).

❖ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فأشهادهم على أنفسهم جعلهم شاهدين على أنفسهم؛ أي: مقرين له بربوبيته، كما قال في تمام الكلام: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فقولهم: بلى شهدنا، هو إقرارهم بربوبيته، وهو شهادتهم على أنفسهم بأنه ربهم وهم مخلوقون به، فشهدوا على

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنّة (٧٣/١)، (٧٤) [المكتب الإسلامي، ط١]، والطبراني في المعجم الكبير (١٦٨/٢٢) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤١٥هـ] واللفظ له، والبيهقي في القضاء والقدر (٢٢٥) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١هـ]، وحسن إسناده الهيثمي في المجمع (١٨٧/٧) [مكتبة القدسي]، وصححه الألباني في ظلال السنّة [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٠٦).

(٣) فتح الباري (١/٩٩، ١٠٠).

أنفسهم بأنهم عبده. كما يقول المملوك: هذا سيدي، فيشهد على نفسه بأنه مملوك لسيده، وذلك يقتضي أن هذا الإشهاد من لوازم الإنسان، فكل إنسان قد جعله الله مقرّاً بربوبيته، شاهداً على نفسه بأنه مخلوق والله خالقه. ولهذا جميع بني آدم مقرون بهذا شاهدون به على أنفسهم. وهذا أمر ضروري لهم لا ينفك عنه مخلوق، وهو مما خلقوا عليه وجبلوا عليه، وجعل علماً ضرورياً لهم، لا يمكن أحداً جحده»^(٤).

وقال ابن كثير رحمته الله: «يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكنهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه»^(٥).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «أخبر سبحانه أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكنهم وأنه لا إله إلا هو. وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم ﷺ، وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وإلى أصحاب الشمال، وفي بعضها الإشهاد عليهم بأن الله ربهم»^(٦).

(٤) درء التعارض لابن تيمية (٨/٤٨٨).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/٥٠٠) [دار طيبة، ط٢].

(٦) شرح الطحاوية (٢١٤) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط١، ١٤١٨هـ].

المسائل المتعلقة:

ووردت أيضًا بمعنى العقود والعهود

والمواثيق التي عقدها رسول الله ﷺ مع بعض المشركين^(٥)، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [النساء: ٩٠].

ووردت أيضًا بمعنى البيعة التي بايع الصحابة رسول الله ﷺ عليها^(٦)، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧].

ووردت أيضًا بمعنى العهد والعقد مطلقًا مما يكون بين الخلق وخالقهم أو بعضهم مع بعض^(٧)، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَقْضُونَ الْوَعْدَ﴾ [الرعد].

مذهب المخالفين:

ذهب بعض أهل العلم من أهل السنة وغيرهم إلى أن الله أخرج جميع ذرية آدم من ظهور الآباء ونثرهم كالذرة، وأشهدهم على أنفسهم بلسان المقال: ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ ثم أرسل بعد ذلك الرسل مذكرة بذلك الميثاق^(٨).

- معاني الميثاق الوارد في النصوص:

وردت كلمة (ميثاق) في النصوص بمعانٍ عدة، غير المعنى المراد به هنا.

فقد وردت بمعنى العهد الذي أخذه الله تعالى على عباده ألا ينقضوه^(١)، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [البقرة].

ووردت أيضًا بمعنى ما أخذه الله على بني إسرائيل من امتثال ما أنزل الله من التوراة^(٢)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣].

ووردت أيضًا بمعنى ما أخذه الله على الأنبياء ﷺ من إقامة دين الله، وإبلاغ رسالته وأن يصدق بعضهم بعضًا، ويأمر بعضهم بالإيمان بعضًا^(٣)، قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب].

ووردت أيضًا بمعنى عقد النكاح^(٤)، قال تعالى: ﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء].

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٠٨/٥).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠٨/٦)، وتفسير ابن كثير (٣٠/٢).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٠٧/٩)، وتفسير النسفي (٤٠٩/٢).

(٨) انظر: درة التعارض لابن تيمية (٤٨٣/٨، ٤٨٥)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (١٠٠٤/٢).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤٧/١).

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٩٣/١)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٥٨٢/١).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢٤/٤)، وتفسير ابن كثير (٤٦٩/٣).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠٣/٥)، وتفسير ابن كثير (٤٦٧/١).

❖ الرد عليهم:

- ٥ - «الروح»، لابن القيم.
 ٦ - «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
 ٧ - «العهد والميثاق في القرآن الكريم»، لناصر العمر.
 ٨ - «فتح الباري» (ج ١)، لابن حجر.
 ٩ - «الفطرة: حقيقتها ومذاهب الناس فيها»، لعلي بن عبد الله القرني.
 ١٠ - «ميثاق الإيمان»، لعيسى بن عبد الله السعدي.

أن الاستخراج والاستنطاق لم يرد فيهما شيء من الأحاديث التي تقوم بها الحجة ولا يدل عليهما القرآن. وأن معنى الشهادة في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ يراد بها الإقرار، ولا يلزم في هذا النطق، بل الشهادة تكون حالاً ومقالاً، فالشهادة على النفس معناها الإقرار؛ أي: جعلهم مقرين بهذا الميثاق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر حالاً لا مقالاً، فإنهم كانوا مقرين لما هو كفر، فكان ذلك شهادتهم على أنفسهم، وإن لم ينطقوا بذلك. وكذلك قوله: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ القول: قد يكون باللفظ، وقد يكون بالحال^(١).

❖ الميزان

❖ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الواو والزاء والنون بناءً يدل على تعديل واستقامة: ووزنت الشيء وزناً، والزنّة: قدر وزن الشيء، والأصل ووزنة»^(٢).

وأصل الميزان: مؤزان؛ قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، وجمعه: موازين^(٣)، وجائز أن تقول للميزان الواحد بأوزانه: موازين^(٤).

❖ المصادر والمراجع:

(٢) مقاييس اللغة (٦/١٠٧) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ]، وانظر: تهذيب اللغة (١٣/١٧٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢٠٠١م].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٧/٦٣)، ولسان العرب لابن منظور (١٣/٤٤٦) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ]، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة (٣٦٤) [دار قباء للنشر]، وفتح الباري لابن حجر (١٣/٥٤٧)، وفتح القدير (٢/١٩١) [دار الفكر، ط ١٤٠٣هـ].

(٤) انظر: لسان العرب (١٣/٤٤٦).

١ - «أحكام أهل الذمة» (ج ٢)، لابن القيم.

٢ - «أخذ الميثاق»، لعبد العزيز العثيم.

٣ - «تفسير ابن كثير» (ج ٣).

٤ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٨)، لابن تيمية.

(١) انظر: درء التعارض لابن تيمية (٨/٤٨٥)، وشرح الطحاوية (٢١٤).

على ثبوتها، وهو أحد مفردات اليوم الآخر.

❁ الحقيقة:

دلّت النصوص الشرعية أنه ينصب يوم القيامة ميزان لوزن أعمال العباد، وسجلاتها، وله لسان وكفتان، والغاية من ذلك أن لا تظلم نفس شيئاً، ويظهر بذلك عدل الله تعالى.

أحد مفردات يوم القيامة الكائنة في العرصات بعد البعث وقبل دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِهَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء]، وقال ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأَمَّهُ هَكَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة].

وعن أبي هريرة رضى الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» (٤).

ويطلق الميزان على واحد المثاقيل التي يوزن بها الأشياء، وعلى الآلة التي يوزن بها الأشياء، قال ابن منظور: «العرب يسمون الأوزان التي يُوزنُ بها التمر وغيره، المُسَوَّاةَ من الحجارة والحديد، المَوَازِينَ، واحدها: ميزان، وهي المِثاقِيلُ، واحدها: مِثْقَالٌ، ويقال للآلة التي يُوزنُ بها الأشياء: ميزانٌ أيضاً» (١).

❁ التعريف شرعاً:

هو ميزان حقيقي له كفتان، ينصب يوم القيامة لوزن العمال وأعمالهم وصحائف أعمالهم (٢).

قال السفاريني: «قال علماؤنا: نؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، قالوا: وله لسان وكفتان توزن به صحائف الأعمال» (٣).

❁ سبب التسمية:

جاءت التسمية موافقة لطبيعة عمل الميزان؛ إذ توضع فيه الأشياء التي تظهر مقدار ما للعبد من حسنات وما عليه من سيئات؛ إظهاراً لعدل الله تعالى.

❁ الحكم:

الإيمان به واجب؛ لدلالة النصوص

(١) المرجع السابق (١٣/٤٤٦).

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (٣٥٩، ٣٦٠)، رسائل الآخرة للعبدي (١١٢٥/٢).

(٣) لوامع الأنوار للسفاريني (٢/١٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٤٠٦)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٩٤).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال: «إن الله تعالى يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتتكر من هذا شيئاً؟ أظلمت كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم» قال: «فتوضع السجلات في كفة» قال: «فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم»^(١).

وقال الطحاوي: «نوؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب، وقراءة الكتاب والثواب والعقاب، والصراط والميزان»^(٤).

وقال السفاريني: «قال علماؤنا: نوؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، قالوا: وله لسان وكفتان توزن به صحائف الأعمال»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صفات الميزان:

دلّت نصوص السنّة على أن للميزان كفتين، وأنه من الكبير بمكان، بحيث لو وزن فيه السماوات والأرض لوسعهن، وقد تقدم في أدلة السنّة الآنفه إثبات الكفة، وأما كبر الميزان وعظمه؛ فلقوله صلى الله عليه وسلم: «يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعها، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟

(٢) انظر: رسالة الإمام أحمد برواية ابن عبدوس في شرح اعتقاد أهل السنّة لللكائي (١/١٥٨).

(٣) انظر: رواية ابنه عبد الله عنه في شرح اعتقاد أهل السنّة لللكائي (٦/١١٧٩).

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوي لابن أبي العز (٤٠٤). وانظر: اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (١٠٣).

(٥) لوامع الأنوار للسفاريني (٢/١٨٤).

أقوال أهل العلم:

قال الإمام أحمد بن حنبل: «والإيمان بالميزان، كما جاء يوزن العبد يوم القيامة، فلا يزن جناح بعوضة، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر، والإيمان به والتصديق به، والإعراض

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٣٩) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٣٠٠)، وأحمد (٥٧٠/١١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الإيمان، رقم ٢٢٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٥).

فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»^(١).

وأما إثبات اللسان للميزان فجاء موقوفاً على ابن عباس^(٢)، والحسن البصري^(٣)، وقد نقل أبو إسحاق الزجاج إجماع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن له لساناً وكفتين^(٤).

- المسألة الثانية: عدد الموازين:

ذكر الميزان في السنة تارة بلفظ الأفراد وتارة بلفظ الجمع، وأما القرآن الكريم فبلفظ الجمع فحسب كما تقدم؛ ولذلك اختلف العلماء في الميزان من حيث عدده: أهو ميزان واحد أم موازين متعددة؟ على قولين^(٥):

أحدهما: أنه ميزان واحد، عبّر عنه بلفظ الجمع، باعتبار تعدد الأعمال أو الأشخاص.

(١) أخرجه الحاكم (كتاب الأحوال، رقم ٨٧٣٩) وصححه، لكن تعقبه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦١٩/٢)، وبيّن أن السند ليس صحيحاً، ثم قال: «وقد رواه الآجري في الشريعة موقوفاً على سلمان، وإسناده صحيح، وله حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي».

(٢) ذكره البيهقي في الشعب (٤٤٧/١) مكتبة الرشد، ط ١.

(٣) انظر: زاد المسير (١٧١/٣) المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٤٠٧هـ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٠٧٣/٣).

(٤) انظر: فتح الباري (٥٤٨/١٣) مختصراً.

(٥) انظر: رسائل الآخرة (١١٣٤/٢) فما بعد.

قال الألويسي: «المشهور الصحيح: أن الميزان مطلقاً واحد، وجمعه باعتبار تعدد الأوزان والموزونات»^(٦)، وحكى ابن عطية الإجماع عليه^(٧)، ورجحه جماعة من المتقدمين والمتأخرين^(٨).

والآخر: أن الموازين متعددة، أخذاً بظاهر الآيات القرآنية الدالة على جمع الموازين.

قالوا: فيكون «لكل شخص ميزاناً أو لكل عمل ميزاناً، فيكون الجمع حقيقة»^(٩)، وهو قول جماعة^(١٠).

- المسألة الثالثة: الأشياء التي يقع عليها الوزن:

دلّت النصوص على وزن العامل وعمله وصحيفة العمل:

أما العامل؛ فلحديث ابن مسعود؛ أنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان

(٦) روح المعاني (٨٥/٨) [دار إحياء التراث، ط ٤].

(٧) انظر: لوائح الأنوار السنية (١٩٥/٢) مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ، والنشر الطيب على شرح الشيخ الطيب (٢٨٤/٢) [المطبعة الإسلامية، ط ١، ١٣٥٢هـ].

(٨) انظر: فتح الباري (٥٤٧/١٣)، ولوائح الأنوار السنية (١٩٤/٢)، ولوامع الأنوار (١٨٦/٢) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١١هـ]، وشرح حديث جبريل - ضمن مجموع فتاوى ابن عثيمين (١٧٩/٣) [دار الوطن، ط الأخيرة، ١٤١٣هـ].

(٩) فتح الباري (٥٤٧/١٣).

(١٠) انظر: لوائح الأنوار السنية (١٩٥/٢)، والنشر الطيب على شرح الطيب (٢٨٤/٢)، وتفسير الرازي (٨/٢٩) [دار الفكر، ط ٣، ١٤٠٥هـ]، وتفسير القرطبي (٢٩٣/١١) [دار إحياء التراث العربي]، وأضواء البيان (٥٨٤/٤، ٥٨٥)، فتح القدير (١٩١/٢).

دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «م تضحكون؟» قالوا: «يا نبي الله، من دقة ساقه»، فقال: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»^(١).

وأما العمل؛ فلقوله ﷺ: «ليس شيء أثقل في الميزان من خلق حسن»^(٢)، وتقدم حديث: «كلمتان خفيفتان».

وأما صحيفة العمل؛ فلحديث صاحب البطاقة المتقدم آنفاً.

- المسألة الرابعة: وزن الكافر:

ورد نوعان من الآيات في وزن الكافر، بعضها أثبت الوزن له؛ كقول تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وبعضها نفاه؛ كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَأْتِي رَبَّهُمْ وِلْقَائِهِمْ يُخِطُّونَ أَعْمَلَهُمْ فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف].

قال القرطبي عقب الآيات السابقة: «وهذه الآيات إخبار لوزن أعمال

(١) أخرجه أحمد (٩٨/٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٦٩)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٥٠٦/١٩) [دار هجر، ط ١]: «إسناده جيد قوي»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٧٥٠).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٧٩٩)، والترمذي (كتاب البر والصلة، رقم ٢٠٠٢) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٤٢٧/١٠) [دار الكتاب العربي، ط ١٤٠٧هـ]، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١٧٧) [دار الصديق، ط ٢، ١٤١٥هـ].

الكفار»^(٣).

وللجمع بين الآيات يقال: إن الوزن بالنسبة للكفار يوم القيامة ليس عامًّا؛ بل هو خاص بالبعض منهم؛ لأن من الكفار «من يعجل به إلى النار بغير حساب وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنُوصَى وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن]»^(٤).

ومن أهل العلم من رأى أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن؛ لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك، ولا منافاة بينها، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة. وقال: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾»^{(٥)(٦)}.

- المسألة الخامسة: وقت الميزان:

إذا انقضى الحساب للعباد كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن

(٣) التذكرة (٣٥٩).

(٤) لوائح الأنوار (٢/٢٠٤). وانظر: رسائل الآخرة للعبدي (٢/١١٤٥).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٢٩)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٥).

(٦) انظر: معارج القبول (٢/٨٤٥ فما بعدها)، وشرح الواسطية لابن عثيمين (٥٠٢، ٥٠٣).

ويقال لهم: إن قلب الأعراض أعياناً يوم القيامة داخل في نطاق القدرة الإلهية، والعقل السليم لا يحيل ذلك.

قال السفاريني: «نهج المعتزلة مبين لنهج الرسول؛ فإن الله تعالى قادر على تجسيم الأعراض والإتيان بها في أحسن صورة، وأقبح صورة، وهذا غير محال في العقل، وقد ثبت به النقل فوجب اعتقاده والمصير إليه»^(٤).

أضف إلى ذلك أن الأمور الأخروية توقيفية لا مجال للعقل فيها؛ لأنها لا تعلم إلا بالوحي.

ومن شبهاتهم قولهم: إن الأعمال معلومة لله تعالى، فوزنها عبث لا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه ففعله قبيح، والرب تعالى منزه عن ذلك، ثم فسروا الميزان بالعدل والإنصاف^(٥).

ويقال لهم: إن الله تعالى منزه عن العبث و«لعل في الوزن حكمة لم نطلع عليها، وعدم اطلاعنا على الحكمة لا يوجب العبث»^(٦)، وقد تقدم ذكر جملة من الحكم المترتبة على الوزن.

وأما تفسيرهم الميزان بالعدل والإنصاف فباطل؛ لأنه صرف للفظ عن

إظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها^(١).

❁ الحكمة:

للوذن الكائن يوم القيامة في العرصات حكم متعددة، منها^(٢):

١ - امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا.

٢ - إظهار علامة السعادة والشقاوة في الأخرى.

٣ - تعريف العباد ما لهم وما عليهم من خير وشر.

٤ - إقامة الحجة عليهم.

٥ - الإعلام بأن الله عادل لا يظلم.

❁ مذهب المخالفين:

أنكرت الجهمية والمعتزلة البغداديون الميزان، وتأولوه بالعدل، إذ زعمت أن الأعمال أعراض لا تقوم بنفسها، وإن أمكن إعادتها لم يمكن وزنها^(٣).

(١) انظر: التذكرة للقرطبي (٣٠٩).

(٢) انظر: زاد المسير (١٧١/٣).

(٣) انظر: لوائح الأنوار السنية (١٨٠/٢)، ومقالات الإسلاميين (١٦٤/٢) [المكتبة العصرية، ١٤١١هـ]، درء التعارض (٨٠/٣)، شرح ابن عيسى على النونية (٨٣/١)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/٥٤٨)، وزاد المسير (١٧٠/٣)، وتفسير القرطبي (١٦٥/٧)، وتفسير الطبري (٤٣٣/٥) [دار الكتب العلمية، ١، ١٤١٢هـ]، وروح المعاني (٨٤/٨)، والنهاية في الفتن والملاحم (٢٢٩/٢) [دار الكتب العلمية، ١، ١٤٠٨]، والتذكرة (٣١٤)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧٥/٨) [مصطفى الحلبي، ١، ١٣٨١هـ].

(٤) لوائح الأنوار السنية (١٨١/٢).

(٥) انظر: لوائح الأنوار السنية (١٨٠/٢)، وروح المعاني (٨٤/٨)، وتفسير الرازي (٢٩/٥).

(٦) لوائح الأنوار السنية (١٨٠/٢).

الحقيقة إلى المجاز، وهو ممتنع.

وبنحو الشبهتين الآنفتين اعترضت الإباضية^(١)، والجواب واحد.

■ ميكائيل ■

○ التعريف لغةً:

ميكائيل اسم، يقال: هو (ميكائيل) يهمز ولا يهمز، ويقال: ميكال وهو لغة^(٢)، وفي اسمه ﷺ لغات عدة^(٣).

○ التعريف شرعاً:

ملك من الملائكة الكرام؛ بل من أعيانهم، ورد ذكره في القرآن والسنة، وهو ذو مكانه عالية، ومنزلة رفيعة عند ربه، وله وظائف يقوم بها بأمر الله ﷻ^(٤).

○ الحكم:

الإيمان بميكائيل واجب ويدخل في عموم وجوب الإيمان بالملائكة، الذي هو الركن الثاني من أركان الإيمان.

○ المنزلة:

ميكائيل من أعيان الملائكة ﷻ، ولا شك في أن تخصيص الله تعالى، وتخصيص رسوله ﷺ ميكائيل بالذكر يدل على المنزلة العظيمة، والمكانة الرفيعة التي له ﷻ.

○ المصادر والمراجع:

- ١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.
- ٢ - «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة»، للقرطبي.
- ٣ - «شرح اعتقاد أهل السنة»، للالكائي.
- ٤ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٥ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.
- ٦ - «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، لابن حزم.
- ٧ - «لوائح الأنوار السننية»، للسفاريني.
- ٨ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٩ - «مجموع فتاوى ابن عثيمين».
- ١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكيمي.

(١) انظر: الإباضية عقيدة ومذهباً (١٢١، ١٦٠) [دار الجيل، ١٩٨٦]، والأصول الإيمانية لدى الفرق الإسلامية (٤٨٤) [دار المعرفة الجامعية، ط ١، ١٤١٤هـ]، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١٦) [الندوة العالمية، ط ٢، ١٤٠٩هـ].

(٢) ينظر: لسان العرب (٢٩٠/١٥) [دار صادر].

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٢/٢٦٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ].

(٤) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/٦٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٣٢هـ].

الأدلة:

وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيْلَ وَمِيكَئِلَ
فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ [البقرة]،
وعطفهما على الملائكة، مع أنهما من
جنسهم لشرفهما، من قبيل عطف
الخاص على العام، فإنهما دخلا في
الملائكة، ثم عموم الرسل، ثم خصصا
بالذكر^(٣). أيضا فإن في تخصيص
النبي ﷺ له مع جبريل وإسرافيل في
دعائه الذي كان يفتح به صلاة الليل
فيقول: «اللَّهُمَّ رب جبريل وميكائيل
وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم
الغيب والشهادة»^(٤) دلالة على فضل
وتشريف الثلاثة على سائر الملائكة^(٥).

- المسألة الثانية: وظيفته:

ميكائيل ﷺ موكل بالقطر والغيث،
لما ثبت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن
النبي ﷺ سأل جبريل ﷺ على أي شيء
ميكائيل فقال: «على النبات والقطر»^(٦)،
وهناك ملائكة تزجر السحاب وتسوقه،
كما دل عليه قوله تعالى: ﴿فَالرَّجْرَجَاتِ

قال الله تعالى: ﴿ءَأَمِنَ الرُّسُولُ بِمَا
أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]
وميكائيل داخل في عموم الملائكة أيضا
ورد ذكره ﷺ في القرآن الكريم في
قوله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيْلَ وَمِيكَئِلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ
لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ [البقرة]، حيث بين تعالى
أن من عادى جبريل أو ميكائيل فقد
عادى الله ﷻ.

كما ذكره النبي ﷺ في دعائه الذي
كان يفتح به صلاة الليل فقال: «اللَّهُمَّ
رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر
السماوات والأرض عالم الغيب
والشهادة»^(١)، وعن سُمرة بن
جندب رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ:
«رأيت الليلة رجلين أتياني، فقالا: الذي
يوقد النار: مالك خازن النار، وأنا
جبريل، وهذا ميكائيل»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: فضل ميكائيل:

ميكائيل ﷺ ذو مكانة عالية، ومنزلة
رفيعة عند ربه، ولذا خصّه الله بالذكر مع
جبريل في قوله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٤٦/١) [دار طيبة، ط ٤،

١٤٢٨هـ].

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) ينظر: عون المعبود (٤٧١/٢) [دار الفكر، ط ٣،

١٣٩٩هـ].

(٦) أخرجه ابن أبي شيبه في كتاب العرش (٤٦٢) [مكتبة

الرشد، ط ١، والطبراني في الكبير (٣٧٩/١١)

[مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وقال الهيثمي في المجمع

(١٩/٩) [مكتبة القدسي]: فيه محمد بن أبي ليلي،

وقد وثقه جماعة، ولكنه سيئ الحفظ، وبقية رجاله

ثقات.

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم

٧٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣٦).

- زَجْرًا ﴿٢﴾ [الصفات]، وعلى ذلك فإنهم من أتباع ميكائيل ﷺ .
- ٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير .
- ٣ - «الجامع لشعب الإيمان» (ج ١)، للبيهقي .
- ٤ - «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي .
- ٥ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز .
- ٦ - «عالم الملائكة الأبرار»، لعمر الأشقر .
- ٧ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ١)، للسفاريني .
- ٨ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكيمي .
- ٩ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج ١)، للحلبي .
- ١٠ - «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، لمحمد العقيل .
- ومن خصائص ميكائيل: قتاله ومدافعته عن الرسول ﷺ هو وجبريل ﷺ يوم أحد، فعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض، ما رأيتهما قبل ولا بعد. يعني: جبريل وميكائيل ﷺ» وفي رواية: «يقاتلان عنه كأشد القتال»^(٢) .

المصادر والمراجع:

- ١ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة»، لنخبة من العلماء .



(١) أخرجه النسائي (كتاب الافتتاح، رقم ٩٤١)، وأحمد (٦٩/٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٩]، والضياء في المختارة (٣/٣٣٥) [دار خضر، ط ٣]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٨٤٣) .

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٠٦) .

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٢٧١	الفِرَاسَة	٢١٩١	حرف الغين
٢٢٧٧	الفرح	٢١٩١	الغرباء
٢٢٨٠	الفردوس	٢١٩١	غربة الإسلام
٢٢٨٦	الفرق الضالة	٢١٩٥	الغضب
٢٢٨٦	الفرقة الناجية	٢١٩٩	الغفران
٢٢٩٠	الفسق	٢١٩٩	الغفّار
٢٢٩٤	الفَطْر	٢٢٠٤	الغفور
٢٢٩٤	الفطرة	٢٢٠٤	الغلبة
٢٢٩٨	الفقه الأكبر	٢٢٠٥	الغلو
٢٢٩٨	الفناء	٢٢١١	الغنى
٢٣٠٠	الفوقية	٢٢١١	الغنيّ
٢٣٠١	حرف القاف	٢٢١٧	الغوث
٢٣٠١	القائم	٢٢١٧	الغول
٢٣٠١	القابض	٢٢٢٠	الغياث
٢٣٠١	قابل التوب	٢٢٢٠	الغير
٢٣٠١	القادر	٢٢٢٨	الغيرة
٢٣٠١	القاهر	٢٢٣٣	الغيور
٢٣٠١	القبر	٢٢٣٥	حرف الفاء
٢٣٠٦	القبض	٢٢٣٥	الفاطر
٢٣٠٦	القبض والبسط	٢٢٤١	فاطمة بنت النبي محمد ﷺ
٢٣١٢	القَبُول	٢٢٥١	القال
٢٣١٨	القدر	٢٢٥٥	الفتاح
٢٣٢٩	القدرة	٢٢٥٥	الفتح
٢٣٣٤	قدرة الله	٢٢٦٠	الفتن
٢٣٣٥	القدس	٢٢٦٦	فتنة القبر

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
القَدَم	٢٣٣٥	الكبيرة	٢٤٣٢
القَدَم	٢٣٣٨	الكتابة (صفة لله تعالى)	٢٤٣٨
القُدوس	٢٣٤٢	الكتابة (من مراتب القدر)	٢٤٤٥
القدير	٢٣٤٧	الكتب السماوية	٢٤٥٦
القديم	٢٣٤٧	الكرام الكاتبون	٢٤٦٥
القرآن	٢٣٤٧	كرامات الأولياء	٢٤٧٢
القرب	٢٣٦٤	الكرسي	٢٤٧٨
القريب	٢٣٧١	الكَرَم	٢٤٨٢
القرين	٢٣٧١	الكَرِه	٢٤٨٧
القصاص	٢٣٧٥	الكروبيون	٢٤٩١
القضاء والقدر	٢٣٧٩	الكريم	٢٤٩١
القلم	٢٣٧٩	الكشف	٢٤٩١
القطرة	٢٣٨٢	الكفر	٢٥٠٠
القنوت	٢٣٨٤	الكفيل	٢٥٠٧
القنوط	٢٣٨٧	كمال الإيمان	٢٥١٠
القهار	٢٣٨٧	الكَفِّ	٢٥١٠
القهر	٢٣٨٨	الكهانة	٢٥١٢
القوة	٢٣٩٢	الكوثر	٢٥٢٠
القوي	٢٣٩٦	الكوني والشرعي	٢٥٢٣
القياس	٢٣٩٦	الكيد	٢٥٣١
قيام الحجة	٢٤٠٧		
القيامة الصغرى	٢٤١٨	حرف اللام	٢٥٣٧
القيامة الكبرى	٢٤١٨	لا إله إلا الله	٢٥٣٧
القيَم	٢٤١٨	اللّه	٢٥٤٦
القيوم	٢٤١٨	اللطف	٢٥٥٢
القيومية	٢٤٢٤	اللطف	٢٥٥٥
		اللعن	٢٥٥٥
		اللَّفْظ بالقرآن	٢٥٦٠
		لقاء الله	٢٥٦٧
		اللوح المحفوظ	٢٥٦٧
		لوط <small>عليه السلام</small>	٢٥٧٢
		حرف الكاف	٢٤٢٥
		الكافي	٢٤٢٥
		الكَبَر	٢٤٢٧
		الكبير	٢٤٢٧

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٦٥٣	المدح	٢٥٨١	حرف الميم
٢٦٥٩	المُذَل	٢٥٨١	المؤخّر
٢٦٥٩	مراتب المؤمنين	٢٥٨١	المؤمن
٢٦٦٩	المراقبة	٢٥٨٤	الماجد
٢٦٧٤	مرتكب الكبيرة	٢٥٨٤	مالك
٢٦٧٤	المرشد	٢٥٨٦	المالك
٢٦٧٤	المريد	٢٥٨٦	مالك الملك
٢٦٧٤	مريم <small>عليها السلام</small>	٢٥٨٦	مالك الناس
٢٦٧٨	المستعان	٢٥٨٧	مالك يوم الدين
٢٦٧٩	مستقر الأرواح	٢٥٨٧	المانع
٢٦٧٩	المسح	٢٥٨٧	مباينة الله
٢٦٨٢	المُسْعَر	٢٥٨٧	المُئِين
٢٦٨٤	مسلمة الفتح	٢٥٨٩	المتانة
٢٦٨٤	المسيح الدجال	٢٥٨٩	المتعالي
٢٦٩٨	المشيئة	٢٥٨٩	المتكبر
٢٧٠٤	مشيئة العبد	٢٥٩٣	المتكلم
٢٧٠٦	مشيئة الله	٢٥٩٣	المتين
٢٧١١	مصادر التلقي عند أهل السنّة	٢٥٩٦	المثل الأعلى
٢٧١٨	المُصَوَّر	٢٥٩٩	المجد
٢٧٢٢	المضاف إلى الله تعالى	٢٥٩٩	المجيء والإتيان
٢٧٢٦	مطلق الإيمان	٢٦٠٥	المجيد
٢٧٢٦	معاوية بن أبي سفيان <small>رضي الله عنه</small>	٢٦٠٩	محاسبة الكفار
٢٧٤١	المعجزة	٢٦٠٩	المحب
٢٧٥٠	المُعَزّ	٢٦٠٩	المحبة
٢٧٥٠	المُعطي المانع	٢٦١٤	المُحَدَّث
٢٧٥٧	معية الله <small>عليه السلام</small>	٢٦٢٢	المُحْسِن
٢٧٦٤	المُعِين	٢٦٢٥	المُحْكَم والمتمشابه
٢٧٦٦	المُغْنِي	٢٦٣١	محمد <small>صلى الله عليه وسلم</small>
٢٧٦٦	المُغِيث	٢٦٥٣	المحو والثبات
٢٧٦٩	المغيرة بن شعبة <small>رضي الله عنه</small>	٢٦٥٣	المُحْيِي

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٨٣٢	المُميت	٢٧٧٣	المفاضلة بين الأنبياء
٢٨٣٢	المَمّ	٢٧٧٣	المقام المحمود
٢٨٣٢	المَمَّان	٢٧٧٦	المقت
٢٨٣٦	المُنعم	٢٧٨٠	المقتدر
٢٨٣٩	منكر ونكير	٢٧٨٠	المقتصد
٢٨٤٢	المهاجرون	٢٧٨٠	المقَدَّم المؤخَّر
٢٨٤٢	المَهدي	٢٧٨٥	المُقَسِّط
٢٨٤٨	المُهَيِّمِن	٢٧٨٧	مقلَّب القلوب
٢٨٥١	موانع التكفير	٢٧٩٠	المكر
٢٨٥١	الموت	٢٧٩٤	الملائكة
٢٨٦٧	موسى <small>عليه السلام</small>	٢٨١٢	المِلَّة
٢٨٨٦	أبو موسى الأشعري <small>رضي الله عنه</small>	٢٨١٧	المَلِك
٢٨٩٢	الموقف	٢٨١٧	المُلْك
٢٨٩٥	المولد	٢٨٢٢	ملك الأملاك
٢٩٠٥	المولى	٢٨٢٢	مَلِك الجبال
٢٩٠٥	الميثاق	٢٨٢٤	مَلِك الموت
٢٩٠٩	الميزان	٢٨٢٨	المَلَل
٢٩١٥	ميكائيل	٢٨٣٢	المليڪ
		٢٨٣٢	المُماَسَة

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com